

أعيان لعصر وأعيان لنصر

لصالح الدين خليل بن أبيك الصفي

توفي ٧٦٤ هـ

حققه

الدكتور علي أبو زيد

الدكتور محمود سالم محمد

الدكتور محمد موعده

الدكتور نبيل أبو عشتة

قدم له

مازن عبد القادر المبارك

الجزء الرابع

دار الفكر
دمشق - سورية

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

الرقم الاصطلاحي: ١١٥٠, ٠١١-٤

الرقم الدولي للسلسلة: ISBN: 1-57547-494-8

الرقم الدولي: ISBN: 1-57547-498-0

الرقم الموضوعي: ٩١٠

الموضوع: التراجم والسير والأنساب

العنوان: أعيان العصر وأعيان النصر

التأليف: صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي

التحقيق: د. علي أبو زيد، د. نبيل أبو عمشة،

د. محمد الموعد، د. محمود سالم محمد

قدم له: مازن عبد القادر المبارك

الصف التصويري: دار الفكر - دمشق

التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق

عدد الصفحات: ٦٨٦ ص

قياس الصفحة: ٢٥×١٧ سم

عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع

والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي

والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن

خطي من

دار الفكر بدمشق

برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد

ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية

برقياً: فكر

فاكس ٢٢٣٩٧١٦

هاتف ٢٢١١١٦٦، ٢٢٣٩٧١٧

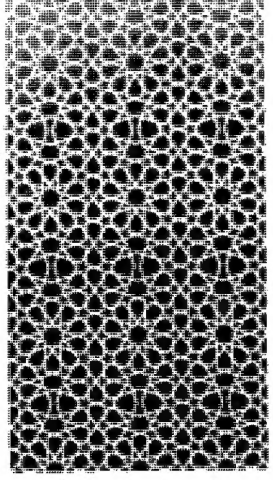
<http://www.fikr.com/>

E-mail: info @fikr.com



الطبعة الأولى

1418 هـ = 1998 م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَعْيَانُ لِعَصْرٍ وَأَعْوَانُ لِنَصْرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو حسبي ونعم الوكيل

قال الشيخ الإمام العالم الفاضل العلامة نادرة الزمان أبو الصفاء صلاح الدين خليل الصفدي ، متّع الله العالمين بطول بقائه آمين^(١) .

حرف الغين

١٣٢٥ - غازان بن أرغون بن أبغا*

ابن هولاكوبن تولى بن جنكزخان ، السلطان الكبير والقان الجليل إيلخان ، معز الدين .

كان من أجل ملوك هذا البيت وأعظم من ركب ظهر أدهم أو امتطى صهوة كمت . جزء أعظم من كلهم ، وواحد في موازنة جلهم ، رابط الجأش ، ضابط السياسة والانتعاش ، خبيرا بالحروب وتديريها ، وهلاك أعدائه^(٢) وتدميرها .

وكان أشقر ربة خفيف العارضين واللحية ، غليظ الرقبة ، كبير الوجه ، عليه من المهابة حلية وأي حلية :

(١) هذه المقدمة خلت منها (أ) ، (ط) .

* تاريخ أبي الفداء : ٥٠/٤ ، والبداية والنهاية : ٢٩/١٤ ، وفوات الوفيات : ٩٧/٤ ، والدرر : ٢١٢/٣ ، والشذرات : ١٩/٦ ، وقد خلا الأصل من ترجمته ، وأثبتناها عن (أ) .

(٢) (ط) : « أعدائه » .

يد يديه في المفاضة ضعيف وعينيه من تحت البرتكة أرقم^(١)

لَمَّا مَلَكَ أَخَذَ نَفْسَهُ فِي الْمَلِكِ مَأْخَذَ جَنْكَزْخَانَ ، وَدَوَّخَ الْبِلَادَ وَالْأَقْطَارَ وَأَخَذَ مَنْ أَدَّى الْأَمَانَةَ وَمَنْ خَانَ . وَكَانَ لَا يَعْفَى عَنِ الْأَمْوَالِ وَيَعْفَى عَنِ الدِّمَاءِ ، وَيُودُّ لَعْلَوْ هَمَّتَهُ أَنْ يَمْلِكَ^(٢) مَا تَحْتَ السَّمَاءِ .

وَكَانَ يُوَثِّرُ أَنْ يَظْهَرَ الْعَدْلُ عَنْهُ ، وَيُودُّ لَوْ تَمَكَّنَ مِنْهُ ، وَلِذَلِكَ تَسَمَّى « مَحْمُود » ، يُرِيدُ بِهِ^(٣) نُورَ الدِّينِ الشَّهِيدِ . وَيَنْتَمِي إِلَى تَقْلِيدِ أَفْعَالِهِ فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، فَمَا تَمَسَّكَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِأَقْصَرِ سَبَبٍ ، وَحَكَّى وَلَكِنْ فَاتَهُ الشُّنْبُ . هَذَا فِي بِلَادِ أَذْرَبِيجَانَ وَالْعِرَاقِ ، وَمَا ضُرِبَ فِيهِ لَهُ خَامٌ أَوْ امْتَدَّ رَوَاقٌ ، وَأَمَّا الشَّامُ فَإِنَّهُ مَنِيَّ مِنْ مَغُولِهِ بِالْذِّمَاءِ الْعِضَالِ ، وَرُمِيَ مِنْ جِبَارِهِمْ بِمَا يُرْمَى بِهِ الْغُرُضُ مِنَ النَّبَالِ فِي النَّضَالِ ، وَسَلَّمُ اللَّهِ مِنْهُمْ بَعْضَ السَّلَامَةِ ، وَلَطْفُ بَأَهْلِهِ إِلَّا مَنْ أَسْرَوْهُ فَاسْرَوْهُ أَوْ جَرَّعُوهُ حِمَامَهُ . وَلَكِنْ لَمَّا عَادُوا^(٤) فِي الْوَاقِعَةِ الثَّانِيَةِ أَخَذَ اللَّهُ بِالثَّأْرِ لَنَا ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾^(٥) :

وَإِنْ كَانَ أَحَبَّكُمْ عَامُكُمْ فَعُودًا إِلَى حِمُصَ فِي قَابِلٍ
فَإِنَّ الْحِسَامَ الْخُضَيْبَ الَّذِي قُتِلَ بِهِ فِي يَدِ الْقَاتِلِ

وَالَّذِي أَعْتَقَدَهُ أَنَّهُ مِنْ حِينَ ظَهَرَ جَنْكَزْخَانَ مَا جَرَى لِلْمَغُولِ بَعْدَ وَاقِعَةِ عَيْنِ جَالُوتَ وَلَا إِلَى يَوْمِنَا مِثْلَ وَاقِعَةِ شَقَّحَبَ^(٦) ، كَادَتْ تَأْتِي عَلَى نَوْعِهِمْ فَنَاءً ، فَإِنَّ الْمَوْتَ أَهْلَهُمْ وَرَحَبَ ، وَمَا نَجَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ حَصَّنَهُ الْأَجَلَ ، أَوْ اخْتَارَ الْأَسْرَ لَمَّا وَجَدَ مِنْ^(٧) الْوَجَلِ .

(١) كَذَا فِي (أ) ، (ط) ، (ق) .

(٢) (ط) : « لَوْ مَلَكَ » .

(٣) لَيْسَتْ فِي (ط) .

(٤) (أ) : « عَادَ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ط) ، (ق) .

(٥) الْحَاقَّةُ : ٨/٦٩ .

(٦) سَنَةُ (٧٠٢ هـ) ، انْظُرْ : الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ : ٢٥/١٤ ، وَتَارِيخُ أَبِي الْفَدَاءِ : ٤٨/٤ .

(٧) لَيْسَتْ فِي (ط) .

ولم يزل غازان على حاله إلى أن ...^(١) وصلت إليه يدٌ سواء عندها البازي الأشهب والغراب الأبقع .

وتوفي في ثاني^(٢) عشر شوال سنة ثلاث وسبع مئة ، ببلاد قزوین ، وحُمِل إلى تربة ب « شم » ظاهر توريز ، والعوام يسمّون هذا المكان : الشام ، وهي تربة اشملت على عمارة جليلة .

وظاهر توريز يشتمل^(٣) على ثلاث مدارس : للشافعية وللحنفية وللحكّاء^(٤) ، وعلى مارستان وجامع وخانقاه ، ورصد للكواكب ، وخزائن للمكتب ، ودار مضيف ، وأوقاف ذلك تغلّ في السنة نحو خمس مئة ألف دينار رائج ، والرائج ستة دراهم ، والدرهم نصف وربع كاملي . وكان النظر في ذلك للخواجه رشيد^(٥) وأولاده .

واختلفت أخباره^(٦) على البلاد الإسلامية^(٧) ، وخطب القُصّاد فيها تحبيطاً كبيراً . واشتهر أخيراً أنه سَمّ في منديل تمسّح به بعد الجماع ، فتعلّل مدّةً ومات .

وكان الشيخ علاء الدين الوداعي - المقسّم ذِكره - تلك المّة في البيرة ، فكتب مطالعة عن نائبها إلى السلطان الملك الناصر محمد ، وكتب فيها :

قَد مات قازانُ بلا مَرِيّةٍ ولم يَمُتْ في الحِجَجِ المَاضِيهِ
بل شَنَعُوا عَنْ موتهِ فانتفى حيّا ولكنْ هذهِ القَاضِيهِ

فكتب الجواب إلى الأمير سيف الدين طوغان نائب البيرة شيخنا العلامة

(١) كذا بياض في (أ) ، (ط) ، (ق) .

(٢) (أ) : « ثامن » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والدرر .

(٣) (ط) : « عمارة جليلة ظاهر توريز ، وتشتمل » .

(٤) (ط) : « والحكّاء » .

(٥) هو رشيد الدولة ، فضل الله بن أبي الخير ، ستأقي ترجمته في موضعها .

(٦) (أ) : « أجناده » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٧) (ط) : « الشامية » .

شهاب الدين أبو الثناء محمود - رحمه الله تعالى - : ووقفنا على البيتين اللذين نُظِمَا في [وَصَف] ^(١) حال قازان ، وتحقق مؤتبه بعد اختلاف الأخبار فيه ، والجواب عنهما :

مات من الرعب وإن لم تكن بموته أسافنا راضيه
وإن يفتها فأخوه إذا رأى ظباها كانت القاضيه

وللوداعي - رحمه الله تعالى - في موت قازان عدة مقاطيع منها ما نقلته من خطه :

لقد مات قازان فويلُ منافقٍ يكابرُ فيه بالخديعة والمكر
ولم يبقَ إلا أن يحيى بنفسه ويحلف أني قد شِبتُ من القبر
ونقلت منه أيضاً له :

وكم يجعل القصاد حياً وميتاً قزاناً وأوحثهم شياطينهم وحياً
إلى أن قضى غباً وصار إلى لظى وأصبح فيها لا يموت ولا يحيا
ونقلت منه أيضاً له مضناً :

قد قال غازان يا للمسلمين لقد ثارت بقصادكم بين الوري القتن
كم قد نعت وكم قد متّ عندكم ثم انتفضت فزال القطن والكفن

وكان جلوس غازان على تخت المُلْك في سنة ثلاث وتسعين وست مئة . وحسن له نائبه نوروز ^(٢) الإسلام ، فأسلم في سنة أربع وتسعين ، ونثر الفضة والذهب واللؤلؤ على رؤوس الناس ، وفشا بذلك الإسلام في التتار . وكان ^(٣) صاحب العراقين وخراسان وفارس والجزيرة وأذربيجان والروم .

(١) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) (ط) : « وكان هو » .

قال العز الإربلي الطيب (١) ما معناه : إن غازان لما ملك استضاف نساء أبيه إلى نسائه [على ياسا (٢) المغول في ذلك ، وكان مغرياً بحبّ بلغان خاتون دون نسائه] (٣) ، وهي أكبر نساء أبيه ، فلما أسلم قيل له : إن الإسلام يفرّق بينك وبينها ، لأنه لا يجوز في دين الإسلام أن ينكح الرجل ما نكح آبائُه من النساء ، فهم بالردة إلى أن أفتاه بعض العلماء بأن أرغون أباه كان كافراً . وكانت بلغان خاتون معه سفاحاً والحرام غير محرّم ، فيجوز لك أن تنكحها ، فسّر بذلك ، وعقد عقد نكاحه عليها ، وثبت على الإسلام ، ولولا ذلك لارتد . قال : ولأموا من أفتاه ، فقال : إنما قلت ظاهر الشرع ، وإن تسهّلت فالتسهّل (٤) في ارتكاب غازان بمحرّم واحد وأسهل من أن يرتدّ كافراً ، وينتصب لمعاداة الإسلام وأهله . فاستحسن ذلك من قوله ، وعرف فيه حسن قصده .

وكان غازان يتكلم بالتركية والمغلية (٥) والفارسية ، ولكنه ما يتكلم بها إلا مع الخواجا رشيد وأمثاله من خواصّ حضّرتِه ، ويفهم أكثر ما يقال قدامه بالعربي ، ولا يظهر أنّه يفهمه تعاضلاً لأجل ياسا جنكزخان الخالصة . ولما ملك أخذ نفسه بطريق جنكزخان ، وأقام الياسا المغولية ، وربّ الأرغوجية لعمل (٦) الأرغو وأن يلزم كل أحد قدره ، ولا يتعدّى طوره ، وأن يكون الآغا آغا والأيني أيني ، وصرف همته وعزيمته إلى إقامة العساكر وسدّ الثغور ، وقصد الأعداء في الأطراف ونفّذ البرالغ (٧) والأحكام بعمارة البلاد والكف عن سفك الدماء وتوفير أهل كل صنعة على عملها ليكثرُوا

(١) حسن بن أحمد بن زفر ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) كلمة مغولية تعني ههنا القوانين ، وقد سلفت الإشارة إليها .

(٣) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٤) في (أ) : « فالتسهّل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٥) (ط) : « يتكلم بالمغلية » .

(٦) (ط) : « بعمل » .

(٧) جمع بُرْلَغ ، وهو المرسوم .

وتعمر البلاد كما كانت في [أيام] ^(١) الخلفاء - رضوان الله عليهم - والملوك الخوارزمية وغيرهم . إلا أنه كان مع شجاعته وحزمه ورأيه مبخلاً بالنسبة إلى ملوك بيته .

قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله [علي إن شيخنا] ^(٢) شمس الدين الأصفهاني حدثني [عنه] ^(٣) أنه أجاز خواجا رشيد على كتاب صنّفه باسمه ألف ألف دينار ، أخذ ^(٤) بها عقاراً ^(٥) خراباً كان يساوي أضعاف ذلك ، ثم عمّره بجاهه ، فتضاعفت قيمته .

قلت : مثل هذا لا يُعدُّ كرمًا ، لأن هؤلاء الملوك عطاؤهم لخواصهم ومن يقربونه ويحبّونه ليس بقياس ولا على قاعدة مطرّدة ، فإن السلطان الملك الناصر محمد كان يعطي خواصه مثل بكثر الساقى وقوصون وبشتاك والحجازي ويلبغا أضعاف هذا العطاء ^(٦) ، وهذا الخواجا رشيد لم يكن عند قازان أحد في محله ولا في رتبته لأنه كان لا يثق إلا به ، وهو جليسه وأنيسه ونديمه ^(٧) وطبيبّه وطباخه ، فلا يأكل إلا من يده أو من أيدي أولاده ، وكانوا يطبخون الطعام له في قُدرٍ فضة ، ويفرفونها في الطيّاسي الذهب والجفانات ^(٨) الذهب ، ويحملونها بأنفسهم إليه ، ويقطع له خواجا رشيد ويلقمه بيده . وكان بيد خواجا رشيد على هذه الوظيفة مغل بلذّين ، إلى غير ذلك من الأرزاق الواسعة ، وكان يطلعه من أسراره على ما لا يطلّع غيره عليه .

(١) زيادة من (ط) .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٣) زيادة من (ط) .

(٤) زيادة من (ط) .

(٥) (أ) : « أخذتها » ، وأثبتنا ما في (ط) . وفي (ط) : « عقاراً كان ... » .

(٦) (ط) : « أضعاف ذلك » .

(٧) ليست في (ط) .

(٨) (ط) ، (ق) : « والحناقات » .

ولما استقر غازان وثبتت قدمه قطع الراتب [عن ^(١)] كاز خاناه السراي وجامعهم بتوزير وما ^(٢) كان لهم من قديم الزمان ، فجاءته رُسُل ملك السراي وقالوا له : خرجت عن الياسا ، فردّهم أقبح رد ، وقال : الياسا ما أقرره أنا ، ويكفيكم ^(٣) سكوقي عنهم .

قال نظام الدين يحيى بن الحكيم ^(٤) : إن هولاء كوّمًا فتح البلاد لمنكوقان نزل نفسه منزلة النائب له ، لا يخرج له عن أمر ، فبعث يقول له : إن بركة آغا يعني ملك السراي ليس في بلاده صنّاع ولا لها كبير دخل ، ويحتاج هو وعسكره إلى قاش فتكون له مراغة وتوريز ، فسَلَّمها إلى نواب بركة ، فعمروا بها كازخانة لاستعمال القماش ، والكازخانة عندهم بمنزلة دار الطراز ^(٥) [عندنا] ، وبنوا لهم جامعاً وظفّ له وظائف ، وكتب عليها اسمه . ثم كانوا فيما بعد يُجرون للكازخانة والجامع بعض خراج مراغة وتوريز ، فقطع غازان ذلك رأساً ، والجامع والكازخانة إلى الآن باقيان ^(٦) ، وعليها اسم بركة .

ثم إن قازان بعد ذلك تسمى بالقان [وأفرد ^(٧)] نفسه بالذكر في الخطبة ^(٨) وضرب السكة باسمه دون القان الأكبر ، وطرد نائبه من بلاده ، ولم يسبق قازان إلى هذا أحد من آبائه . بل كان هولاء كوّمًا وجميع من جاء بعده لا ينزلون أنفسهم إلا منزلة [نواب ^(٩)] القان الأكبر ، ولا يُسمّى أحد منهم بالقان ، وإنما يقال السلطان فلان ،

(١) زيادة لعل السياق يقتضيها .

(٢) (أ) ، (ق) : (ما) ، وأثبتنا ما في (ط) .

(٣) (ط) ، (ق) : « ويكفيهم » .

(٤) في الأصل : « الحكم » ، وأثبتنا ما في (ط) ، وهو يحيى بن عبد الرحمن الجعيري ، نظام الدين المعروف بابن النور الحكيم ، توفي بعد السبعين والسبع مئة . الدرر : ٤١٧/٤ .

(٥) زيادة من (ق) ، (ط) .

(٦) (ط) : « هما باقيان » .

(٧) زيادة من (ق) ، (ط) .

(٨) (ط) : « بالذكر والخطبة » .

(٩) زيادة من (ق) ، (ط) .

والسكّة والخطبة للقان الأكبر دونهم ، وإن ذكر لأحد منهم اسم ، ذكر على سبيل التبع ، وإن كانوا ملّاك البلاد وحكامها ، ولهم جباية الخراج ، وإليهم العقد والحل والولاية والعزل .

وقال قازان لما طَرَدَ نائب القان : أنا أخذت البلاد بسيفي ، ما أخذتها^(١) بجنكزخان ولا بأحد . ولا^(٢) يجسر أحد على مراجعته . ولهذا لا يقال ذهب هولاي ولا أبغاوي ولا أرغوني ، وما يقال إلا ذهب قازاني وذهب خربندي وذهب بوسعيدي .

قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله : قال لي الأمير سيف الدين ظهير بغا - رحمه الله تعالى - : المغل تقول : « من رأى غازان ما فاتته رؤية جنكزخان » . ثم قال : مات مُلْكُ المغل من^(٣) بعده . قال : فحكيت ما قاله للأمير سيف الدين أيتمش الناصري ، وكان أعرف أهل زمانه بأحوال المغل ، فقال : لا أخطأ إلا مَنْ رأى غازان ما فاتته رؤية هولالكو ، ومن رأى أبغا ما فاتته رؤية جنكزخان ، وما مات ملك المغل بعد غازان ، وإنما ماتت ياسا المغل .

قال : وقال لي ظهير بغا : كان غازان إذا اشتد غضبه ، وهو جائع أكل ، أو هو بعيد العهد بالنساء جامع ، وتشاغل عن غضبه بهذا وأمثاله . وكان يقول : آفة العقل الغضب ، ولا يصلح للملك أن يكون في عقله آفة^(٤) .

وقال : كان غازان إذا غضب خرج إلى وسيع الفضاء^(٥) ، ويقول : الغضب إذا خزنته ازداد ، وإذا صرفته تصرف .

(١) (أ) ، (ق) : « ما أخذته » ، وأثبتنا ما في (ط) .

(٢) (ط) ، (ق) : « ولم » .

(٣) ليست في (ط) .

(٤) (ط) : « غضب وآفة » .

(٥) (ط) : « وسع من الفضاء » .

وقال : كان يقول : المُلْك بلا رجال ، شجرة بلا أغصان ، والملِك بلا مال ، شجرة بلا ثمر ، والملِك بلا سلاح ، شجرة بلا ورق ، والملِك بلا إحسان ، شجرة بلا فيء .

وقال : رُمي بعض أولاد القانات بابنه ، فقال الناس : ابن قان يكون بهذا^(١) ، كيف يتفق هذا ؟ فقال لهم غازان : ما العنب منه خمرٌ وخلٌّ !

وقال : ركب قازان يوماً فرساً ، فلعبَ به ، فقال له^(٢) : معذور أنت ، محمود غازان فوقك . فوقع عنه ، فقال : لولا وقوع المطر على الأرض ما طلع النبات . انتهى .

وضرب غازان في مدة مُلكه سبع مصافات ، منها ما حضره بنفسه ، ومنها ما لم يحضره^(٣) ، فأولها المصاف الذي بينه وبين نوروز بن أرغون آغا ، وكان هذا نوروز قد سعى لغازان حتى ملك ، ثم وقع في خاطره أنه أن خروج المهدي ، وأنه هو يكون الممهّد له ، فاستحال على غازان ، وخرج غازان لقتاله ، واستعان نوروز^(٤) بالأكراد اللو ، فانتصر غازان ، وهرب نوروز إلى أقاصي خراسان ، ثم لجأ إلى قلعة ، فأمسكه صاحبها وقطع رأسه ، وجهّزه إلى غازان ، فأنكر عليه غازان ، وقال : كان قتلُ هذا إلى ما هو إليك ، ثم إنه قتله به^(٥) .

والمصاف الثاني مع اللو الأكراد ، لكونهم قاموا مع نوروز ، فكسّرهم كسرة عظيمة أُبيعت فيها البقرة الفتية السمينة بخمسة دراهم ، والرأس الغنم بدرهم ، وأبيع الصبي البالغ الحسن الصورة باثني عشر درهماً .

(١) (ط) : « أين كان يكون هذا » .

(٢) ليست في (ط) .

(٣) (ط) : « منها ما خصّه مالم يخصّه » .

(٤) (ط) : « غازان » ، سهو .

(٥) (ط) : « وقتله به » .

قال الإربلي : وقُتل في هذه الواقعة أَوَّلًا وآخرًا خمسون ألفاً .

والمصاف الثالث كان مع عرب البطائح وواسط ، وكانوا قد ملكوا عليهم شيخاً منهم يُدعى عمران ، وكان قد حاربه عز الدولة بن بويه عدّة نُوَب ، ولم ينتصف منه .

وللمصاف الرابع والخامس والسادس بالشام ، نوبة حمص ونوبة الأطراف ونوبة شقحب ، فانتصر في الأولى ، ومَلِك الشام مدة أربعة أشهر ، وفي الثانية طلع رأساً برأس ، وفي الثالثة كانت الكسرة على جيشه .

والمصاف السابع كان من أهل كرمان بعد حصارها ونهب أموالها ، وعفّ عن الدماء في الذراري ^(١) والنساء .

ولم يَصُدع حصاة قلبه ولا فلّ عرش قواه مثل نوبة شقحب ، فإنها أماتته بغبنه غبناً ^(٢) ، وكانت بغير رأيه ، لأنه جهّز قطلوشاه بالعساكر ليغير بهم على حلب والأطراف ، وأمره ألا يعدي ^(٣) حمص ، فلما جاء إلى البلاد وجد عساكرها قد تقهقرت قدامه ، والبلاد خالية ، وليس للجيوش ولا للسلطان في الشام خبر ، فظن أن كسرتهم نوبة حمص ما بقي لها خبر ، فجاء إلى دمشق ، ومرّ على ظاهرها وجرّه الطمع إلى مصر ، لعلّه يملك لغازان مملكة الإسلام . فأنجز الله وعده ، ونصر حزبه . ولما رجع قطلوشاه شتمه وضربه وأوقفه يوماً في الشمس وحملها غازان على نفسه ، فلم تتطاول به الأيام حتى مات .

وقيل : إن بلغان خاتون سمّته في منديل عقيب نكاحها .

قال القاضي شهاب الدين : ولم يصح هذا ، وإنما هذا شيء ادعته يَلْقُطُو بنت

(١) (ط) : « عفّ عن الذراري » .

(٢) في (أ) : « غمّا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٣) في (أ) : « ألا يتعدى » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

أبغا^(١)، ومشت به إلى ملوك الإسلام، وكانت تكاتبهم، وادّعت أنها حسّنت ذلك لبلغان خاتون، لأن بلغان خاتون كان لها أرب لم تخل فيه من هوى، وكانت تخافه، فقالت لها: أمرك ما بقي يَخْفَى، فعاجليه وإلا فروحك رائحة.

قال الإربلي: وكان غازان له نظر في عواقب الأمور وخبرة تامة بتدبير الملك، وكان يلتحق في أفعاله بجده الأكبر هولاكو، ولم يكن فيه ما يشينه، غير أنه كان مبخلًا، لكن كانت هيئته قوية، وكان الرعايا في أيامه آمنين.

قلت: وخطب له على منبر دمشق في يوم الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة بحضور المغل، ودّعي له على السدة، وقرئ مرسوم بتولية قبجق نيابة دمشق^(٢).

وكان قد كتب غازان لأهل دمشق فرمانا بإشارة الأمير سيف الدين قبجق ونسخته:

بِقُوَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، لِيَعْلَمَ أَمْرَاءُ التُّوْمَانَاتِ وَالْأَلُوفِ وَالْمِائَاتِ وَعِوْمُ عَسَاكِرِنَا مِنَ الْمَغُولِ وَالتَّتَارِ وَالْأَرْمَنِ وَالْكَرْجِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ هُوْدَاخْلَ تَحْتَ طَاعَتِنَا أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمَّا نَوَّرَ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِسْلَامِ، وَهَدَانَا إِلَى مِلَّةِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿أَفَنُ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهَوَّ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٣) وَلَمَّا سَمِعْنَا أَنَّ حَكَّامَ [مِصْرَ وَالشَّامِ خَارِجُونَ عَنْ طَرَائِقِ الدِّينِ غَيْرَ مُمَثِّلِينَ بِأَحْكَامِ]^(٤) الْإِسْلَامِ نَاقِضُونَ لِعَهْدِهِمْ، مَخَالِفُونَ لِمُعْبُودِهِمْ، حَالِفُونَ بِالْإِيمَانِ الْفَاجِرِ، ظَالِمُونَ فِي^(٥) أَحْكَامِهِمُ الْمُتَغَايِرِ، لَيْسَ لَدَيْهِمْ وِفَاءٌ وَلَا ذِمَامٌ، وَلَا لَأُمُورِهِمُ التَّنَامُ وَلَا

(١) هي عمّة غازان، ستأتي ترجمتها في موضعها.

(٢) البداية والنهاية: ٨/١٤، وستأتي ترجمة (قبجق) في موضعها.

(٣) الزمر: ٢٢/٣٩.

(٤) زيادة من (ط)، (ق).

(٥) في الأصل: «من»، وأثبتنا ما في (ط).

انتظام ، وكان أحدهم ﴿ إذا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ، فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلِبَاسَ الْمِهَادِ ﴾^(١) ، وشاع الخبر أن شعارهم الحيف على الرعية ، ومد الأيدي إلى حريمهم وأموالهم بالأذى ، والتخطي عن جادة العدل والإنصاف . وارتكاهم الجور والاعتساف^(٢) ، حَمَلْنَا الْحِيَةَ الدِّينِيَّةَ وَالْحَفِظَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ عَلَى أَنْ تَوَجَّهْنَا إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ ، لِإِزَالَةِ الْعَدْوَانِ وَالْفُسَادِ ، مُسْتَصْحِينَ الْجَمَّ الْغَفِيرَ مِنَ الْعَسَاكِرِ ، وَنَذَرْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا إِنْ وَقَّعْنَا اللَّهُ تَعَالَى بِجَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ لِفَتْحِ الْبِلَادِ ، أَنْ نُزِيلَ عَنْ أَهْلِهَا الْعَدْوَانَ وَالْفُسَادَ ، وَنَبْشُطَ الْعَدْلَ فِي الْعِبَادِ ، مُمَثِّلِينَ الْأَمْرَ الْإِلَهِيَّ الْمَطَاعَ ﴿ إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(٣) ، وإجابة إلى مائِدَبَ إِلَيْهِ الرُّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْمَقْسُطُونَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ فِي أَحْكَامِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ^(٤) .

وحيث كانت طويتنا^(٥) مشتملة على هذه الطوية الجميلة والنذور الأكيدة ، مَنْ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْنَا بِتَبْلُجِ تَبَاشِيرِ النُّصْرِ الْمُبِينِ ، وَأَتَمَّ عَلَيْنَا نِعْمَتَهُ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا سَكِينَتَهُ ، فَهَزَمْنَا الْعَدَّةَ^(٦) الطَّاغِيَّةَ ، وَالْجِيُوشَ الْبَاغِيَّةَ ، فَفَرَقْنَاهُمْ أَيْدِي سَبَا ﴿ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾^(٧) ، حَتَّى ﴿ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنْ الْبَاطِلُ كَانَ زَهُوقًا ﴾^(٨) . فَازْدَادَتْ صُدُورُنَا انْشِرَاحًا لِلْإِسْلَامِ ، وَقَوِيَتْ نَفُوسُنَا بِحَقِيقَةِ الْأَحْكَامِ ،

(١) البقرة : ٢٠٥/٢ ، ٢٠٦ .

(٢) (أ) : « والإعساف » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٣) النحل : ٩٠/١٦ .

(٤) الحديث في صحيح مسلم ، في الإمارة : ١٤٥٨/٣ ، رقم (١٨) .

(٥) (ط) : « طريقتنا » .

(٦) (ط) : « فقهرنا العدو » .

(٧) سبأ : ١٩/٣٤ .

(٨) الإسراء : ٨١/١٧ .

منخرطين في زُمرَةٍ مَنْ حَبَّبَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ ، فوجب علينا رعاية تلك العهود الموثقة والنذور المؤكدة ، فصَدَرَت مراسمنا العالية أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ أَحَدٌ مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمَذْكُورَةِ عَلَى اخْتِلَافِ طَبَقَاتِهِمْ بِدَمَشْقٍ وَأَعْمَالِهَا وَسَائِرِ الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ ، وَأَنْ يَكْفُوا أَظْفَارَ التَّعَدِّيِّ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَحَرِيمِهِمْ وَأَطْفَالِهِمْ ، وَأَنْ لَا يَحُومُوا حَوْلَ حِمَاهُمْ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ حَتَّى يَشْتَغَلُوا بِصُدُورٍ مَنْشُوحَةٍ وَأَمْالٍ مَنْسُوحَةٍ لِعِمَارَةِ الْبِلَادِ وَمَا هُمْ بِصُدُودِهِ مِنْ تِجَارَةِ وَزَرَاعَةٍ .

وكان في هذا المهرج العظيم وكثرة العساكر تعرَّضَ بعضُ نفرٍ يسيرٍ إِلَى بعضِ الرعايا وأسرهم ، فقتلنا منهم ليعتبر الباقيون ويقطعوا أطعاهم عن النهب والأسر وليعلموا أَنَّا لَا نَسَامِحُ بَعْدَ هَذَا الْأَمْرِ الْبَلِيغِ الْبِتَّةِ ، وَأَنْ لَا يَتَعَرَّضُوا لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْأَدْيَانِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئَةِ ، فَإِنَّمَا يَبْذُلُونَ الْجُزْيَةَ لِتَكُونَ أَمْوَالُهُمْ كَأَمْوَالِنَا ، وَدِمَائُهُمْ كَدِمَائِنَا ، لِأَنَّهُمْ مِنْ جَمَلَةِ الرعايا ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مُسْوُولٌ عَنْهُمْ ^(١) ، فَسَبِيلُ الْقَضَاءِ وَالْخُطْبَاءِ وَالْمَشَايِخِ وَالْعُلَمَاءِ وَالشُّرَفَاءِ وَالْأَكْبَرِ وَعَامَةِ الرعايا الْاسْتَبْشَارُ بِهَذَا النَّصْرِ الْهَيِّ وَالْفَتْحِ السَّنِيِّ ، وَأَخَذَ الْحِظَّ الْوَافِرَ مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ ، مُقْبِلِينَ عَلَى الدَّعَاءِ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ وَالْمَمْلَكَةِ الظَّاهِرَةِ .

وكتب بتاريخ خامس ربيع الآخر ، وقرئ هذا الفرمان في الجامع ، ونثر الناس عليه بعضَ دنانير وبعضَ ^(٢) دراهم .

ولما نزل قازان على دمشق دخلها الأمير سيف الدين قبجق ، وجلس بالعزيزية ، وكتب للناس أمانات من جهته ، وخطب يوم الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة [تسع و ^(٣) تسعين وست مئة بجامع دمشق لغازان ، وقرئ مرسوم بولاية قبجق

(١) انظر الجامع الصغير : ٩٥/٢ ، ومسلم في الإمامة (١٤٥٩/٣) برقم (٢٠) .

(٢) ليست في (ط) .

(٣) زيادة من (ط) .

لدمشق . وفي رابع عشري جمادى الأولى خرج جماعة من القلعة وكسروا المجانيق التي للبتار بالجامع الأموي .

وَدَقَّت البشائر ، ورحل غازان عن دمشق بعدما أخذ أموالاً كثيرة وترك قبجق نائباً عليها ، وعنده قطليشاه ، ومعه جماعة من المغول .

قال الشيخ وجيه الدين بن المنجا^(١) - رحمه الله تعالى - : الذي حُمِلَ من دمشق إلى خزانة غازان ثلاثة آلاف [ألف]^(٢) أو ست مئة ألف درهم سوى ما تمَحَقَّ من البراطيل والتراسيم وإن^(٣) شيخ المشايخ الذي نزل بالعاطلية حصل له ما قيمته [ست]^(٤) مئة ألف [والذي حصل للأصيل بن نصير الدين الطوسي مئة ألف]^(٥) درهم والصفى السنجاري^(٦) ثمانون ألفاً .

قلت : هذا خارج عما نهبه للغل والأرمن للناس من الصالحية ومن المدينة وضواحيها ، ولعله يقارب هذا المقدار .

وفي سادس عشري جمادى الأولى ، نودي في دمشق بخروج الناس إلى البلاد والقرى والخواضر ، وألا يُغَرَّرَ أحد بنفسه . وفي سابع عشري رجب أُعيدت الخطبة للملك الناصر محمد بن قلاوون على منابر الجوامع بدمشق^(٧) .

(١) قله في البداية والنهاية : ٩/١٤ .

(٢) زيادة من (ق) و (ط) والبداية .

(٣) (ط) : « وابن » .

(٤) زيادة من (ق) و (ط) والبداية .

(٥) زيادة من (ط) و (ق) والبداية .

(٦) في البداية : « السخاوي » ، تحريف ، انظر : الدارس : ٤٠٨/١ ، ٤٠٩ .

(٧) ههنا ينتهي ما بين أيدينا من نسخة (أ) ، وجاء في آخرها « تم الجزء الرابع من أعيان العصر وأعوان

النصر ، بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ، ويتلوه إن شاء الله في الخامس غازي بن داود بن عيسى » .

١٣٢٦ - غازي بن داود بن عيسى بن محمد بن أيوب*

الأمير الملك المظفر بن الناصر صاحب الكرك بن المعظم بن العادل .

كان رجلاً جيداً كبير القدر محترماً مبجلاً ، عنده فضيلة وفيه تواضع .

قال شيخنا البرزالي : روى لنا عن خطيب مردا ، والصدر البكري . كان قد حج وزار القدس ، وقدم دمشق وأقام بها مدة ثلاثة أيام .

ثم إنه عاد إلى القاهرة فتوفي بها - رحمه الله تعالى - في ثاني عشر شهر رجب سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وست مئة بقلعة الكرك .

ودفن بالقرافة ، وصلي عليه بدمشق غائباً .

١٣٢٧ - غازي بن خطلبا**

شهاب الدين الصرخدي ثم الدمشقي .

أخبرني من لفظه شيخنا أثير الدين قال : كان المذكور جندياً ثم تصوّف ثم استغل^(١) بالقاهرة وتعبد^(٢) وقعد في الدكان يسترزق مع الشهود .

وأنشدني لنفسه بباب المدرسة الفاضلية :

فلولا حظوظ النفس ما كنت في الهوى أسيراً وفي بحر الهوى أنت غارق
دع الكل والإخلاص إن كنت خالصاً وإياك والأوهام فهي العلائق

* الدرر : ٢١٥/٣ ، والشذرات : ٣١/٦ ، وذيل العبر : ٧١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢٤/٩ .

** لم نقف على ترجمة له .

(١) في (ط) : « اشتغل » .

(٢) زيادة من (ط) .

إذا ما نظرتَ الخلقَ بالحقِّ لن ترى سوى الحقِّ إنَّ الكلَّ بالحقِّ ناطقٌ
وأَيْنَ السَّوى والغَيْرُ إن كنتَ عارفاً سوى صُورٍ والسُّرِّ في الكلِّ فارقٌ

غازي بن عبد الرحمن بن أبي محمد* - ١٣٢٨ -

شهاب الدين الدمشقي^(١) الكاتب المشهور المجوّد .

كاتب كِبَتِ البروقَ وراءَه وَمَا لحقتَ غبارَه ، ولأَنشَقَّتْ الرياضُ ريحانَه ولا
ملكْتِ للملوكِ طُومارَه . لحقَ الوَلِيّ التبريزي ، فكانَ الوَلِيّ وَسِيماً وهو وَلِيّه^(٢) ، وخطُّه
تحت طبقتَه والوليُّ عليّه .

وَكَتَبَ عليه جماعةٌ من الكُتّابِ وأبناءَ الرؤساءِ وأربابِ الآداب ، وكان يدّعي أَنه
كتبَ على الوَلِيّ ، والصحيح أَنه كتبَ على ابن النجّار^(٣) ، وأُتِيَ بما ينجِلُ الجواهرَ
والأحجارَ .

ولم يزل إلى أَن حَقَّقَ الْمَوْتَ نَسْخَه ، وأوجبَ عَقْدَ الحِياةِ فَسَخَه .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الثلاثاء رابع عشر شوال سنة تسع وسبع مئة .

ومَوْلَدُه سنة ثلاثين وست مئة .

وكان قد أجادَ قلمَ الرقاع ، وكان يُكَتِّبُ الناسَ على طريقِ الوَلِيّ التبريزي
وَيَسْتَحْسِنُهَا ويقول : ما كتبَ أَحَدٌ مثله ، وكان يجلسُ في المدرسة العزيزية وَيَكْتَبُ
الناسَ فيها مدةَ خمسين سنة وقبلها مدةً زمانية تحتَ مئذنة فيروز ، وكتبَ عليه عَامَّةُ
من أجادِ الخطِّ في زمانه كشمس الدين محمد بن أسد النجار^(٤) ونجم الدين بن

* تالي وفيات الأعيان : ١٢٧ ، والدرر : ٢١٥/٣ .

(١) ليست في (ط) .

(٢) الولي : المطر بعد المطر .

(٣) إبراهيم بن سليمان بن حزة القرشي الدمشقي كتب للأعجد صاحب بعلبك .

(٤) ستأتي ترجمته في موضعها .

البصيص^(١) ، وابن الأخطي^(٢) ، وغيرهم ، وإن كان ابن النجار قد كتب على ابن الشيرازي^(٣) فإن أكثر انتفاعه إنما كان بالشهاب غازي ، وكان إماماً في التوفيق ومعرفته بالخط أكثر من كتابته باليد ، ولكنه كان في لسانه سفة وبذاءة مع كل بنت شفه وغير ذلك .

وكان قد سمع شيئاً من الحديث من ابن عبد الدائم ، وروى ، وسمع عليه الطلبة .

١٣٢٩ - غازي بن عمر بن أبي بكر*

ابن محمد بن أبي بكر بن أيوب ، الأمير شهاب الدين أخو المعظم عيسى بن المغيث بن العادل بن الكامل بن العادل الكبير .

أجاز لي بخطه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة .

١٣٣٠ - غازي بن أحمد**

الصدر الكبير ، القاضي شهاب الدين المعروف بابن الواسطي الكاتب .

كان صدراً كبيراً ، ورئيساً^(٤) تنقل في المباشرات حتى صار وزيراً ، وعلا بكتابته وتديره محلاً أثيراً ، إلا أنه ما كان يخلو من جور ، وميل إلى تنقل^(٥) من طور إلى طور ، وكانت لديه فضيلة ، وأدب عنده منه نكت جليhle .

(١) موسى بن علي ، ستأتي ترجمته .

(٢) ويعرف بابن الأخطي ، وهو : محمد بن نجيب بن محمد الكاتب ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن هبة الله ، ستأتي ترجمته في موضعها .

* الدرر : ٢١٦/٣ .

** نكت المهيان : ٢٢٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٧ ، والدرر : ٢١٤/٣ .

(٤) (ط) : « رئيساً » بلا واو .

(٥) (ط) : « من جور وتنقل » .

وكتب الإنشاء بالقاهرة ، وأبرز طروسه كالرياض الزاهرة ، وكان خطّه كالوشى إذا حَبِكَ ، والذهب الخالص إذا سَبِكَ .

ولم يزل إلى أن أضرّ ، وقوبل بما أضرّ وأسرّ ، حتى التحق برّبّه ، وجرّه القبر إليه وضقه بترّبه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .
ومولده بحلب ، وكان من أبناء الثمانين رحمه الله تعالى .

خدم بديوان الاستيفاء نائباً في حلب ، ثم خَدَم كاتب الجيش بها ، ثم إنه توجّه إلى مصر وخدم هناك في جهات ، وحضر إلى حلب مستوفياً في دولة الظاهر بيبرس وصُرف ، وعاد إلى مصر ورُتّبَ بديوان الإنشاء . وكان يكتب خطأ حسناً ، رأيتُ بخطه نسخة (المثل السائر) في مجلدة واحدة في غاية الحسن .

ثم إنه ولي نظر الصحبة في الأيام المنصورية . ورافق الأمير بدر الدين بكتوت الأقرعي^(١) سنة اثنتين وثمانين وست مئة والأقرعي مُشدّ الصحبة وصادراً الناس وعاقبهم ، ووصل أذاها إلى القضاة .

ثم إنه ولي نظر حلب في الدولة الناصرية إلى سنة اثنتين وسبع مئة ، وصُرف ، ثم إنه ولي نظر الدواوين بدمشق ، ثم إنه صُرف وأعيد إلى حلب وقد ضَعَف نظره جداً ، وتوفي بها رحمه الله تعالى في التاريخ المذكور .

وكان قد وصل من مصر إلى دمشق متولّي النظر بها [عوضاً]^(٢) عن شرف الدين بن مزهر^(٣) في شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبع مئة .

(١) (ت ٦٩٤) ، الوافي : ٢٠٠/١٠ .

(٢) زيادة من (ط) .

(٣) في الدرر : « هرمز » ، تحريف ، وهو : يعقوب بن مظفر ، ستأتي ترجمته في موضعها .

١٣٣١ - غازي بن قرا أرسلان بن أرتق*

ابن غازي بن ألي بن قمرتاش بن غازي بن أرتق ، الملك المنصور نجم الدين بن الملك المظفر فخر الدين بن الملك السعيد نجم الدين بن الملك المنصور ناصر الدين صاحب ماردین .

أقام في سلطنة ماردین نحو عشرين سنة ، وليها بعد أخيه السعيد داود ، وولي بعده الأمير علي ولقب بالملك العادل ، فبقي سبعة عشر يوماً ، ومات رحمه الله تعالى وولي بعده أخوه الملك الصالح شمس الدين بن الملك المنصور ، وكان المنصور رجلاً سميناً بديناً إذا ركب يكون خلفه محفه دائماً خوفاً من تعب يحصل له ، فتكون الحفة مهياة ، ولما مرض أخرج أهل السجون وتصدق .

وتوفي رحمه الله تعالى في تاسع شهر ربيع الآخر في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، ودُفن رحمه الله تعالى بمدرستهم تحت القلعة عند أبيه وأجداده ، رحمه الله تعالى أجمعين ، وكان شيخاً في عشر السبعين^(١) .

اللقب والنسب

☆ أولاد ابن غانم : جماعة ، منهم القاضي شمس الدين محمد بن سلمان بن حمایل ، وهو والد الرؤساء الإخوة : الشيخ علاء الدين علي ، وأولاده بدر الدين محمد وجمال الدين عبد الله ، ونجم الدين أحمد . والشيخ شهاب الدين أحمد وولده تاج الدين عبد الله وأمين الدين إبراهيم . والشيخ حسام الدين سلمان بن حسن . والشيخ بهاء الدين أبو بكر ، وولده شهاب الدين أحمد . والشيخ أبو الحسن عبد الله . وجمال الدين عمر بن محمد بن سلمان . وفخر الدين عثمان .

* البداية والنهاية : ٦٨/١٤ ، والدرر : ٢١٦/٣ ، والشذرات : ٣١/٦ ، وذيل العبر : ٦٩ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢٤/٩ .

(١) (ط) : « التسعين » ، تحريف .

- ☆ والغانمي : إبراهيم بن يونس .
- ☆ والغافقي : النحوي إبراهيم بن أحمد بن عيسى .
- ☆ الغالب بأمر الله : صاحب الأندلس إسماعيل بن الفرج .
- ☆ ابن غاليه : المسند يوسف بن أحمد .
- ☆ الغُثَمِيّ : نائب الرحبة ، حسام الدين لاجين .
- ☆ الغزي : بدر الدين حسن بن علي ، أخوه الحسين بن علي ، الشيخ محمد المَنْجَم .
- ☆ الغُرَّافِي : إبراهيم بن أحمد بن عبد المحسن ، وتاج الدين علي بن أحمد بن عبد المحسن .
- ☆ ابن غَنُوم : صدر الدين يوسف بن أحمد .
- ☆ الغوري : محمد بن الحسين .

١٣٣٢ - غنایم بن إسماعیل بن خلیل*

الشيخ الصالح أبو محمد التدمري الخَوَّاص بقرية راوية بقبر الست مِنْ غُوطَة دمشق^(١) .

كان رجلاً مباركاً معروفاً بالصلاح والديانة من البَيَانِيَّة .

سمع من الشيخ تقي الدين بن الواسطي ، وكان عنده فهم ، وله شعر ، ويحفظ جملة من اللغة . وكان حسن الأخلاق ، أخبر باليوم الذي ، يموت فيه وصَدَق .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع عَشْرِي شهر شوال سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، تجاوز الثمانين .

* الدرر : ٢١٧/٣ ، وفيه : « غانم بن إسماعيل » .

(١) انظر معجم البلدان .

حرف الفاء

١٣٣٣ - فارس بن أبي فراس بن عبد الله*

- الجبيري الحوائصي ، الشيخ الصالح المَعْمَر أبو محمد .
- أجاز لي في سنة تسع وعشرين وسبع مئة بدمشق .
- وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

النسب واللقب

- ☆ الفارسي : علاء الدين علي بن بلبان .
- ☆ الفاروئي : نصير الدين عبد الله بن عمر .
- ☆ الفاتولة : عبد الله .
- ☆ الفار الشطرنجي : أحمد بن محمد .
- ☆ الفارقي : جماعة منهم : سعد الدين سعد الله بن مروان .
- ☆ الفارقي النحوي الكفري : سليمان بن أبي حرب .
- ☆ زين الدين الخطيب : عبد الله بن مروان .
- ☆ الفاشوشة الكتبي : إبراهيم بن أبي بكر .
- ☆ الفارغ المحوي : أمين الدين عبد الحق بن أبي علي .

* الدرر: ٢١٩/٣ ، ووقع في الأصل : « ابن أبي فارس » ، وأثبتنا ما في (ط) والدرر .

١٣٣٤ - فاطمة بنت إبراهيم بن محمود بن جوهر*

الشيخة المعمرة المُسنّدة العابدة ، أم محمد البطائحية البعلية ، والددة الشيخ إبراهيم بن القريشة^(١) ، وقد تقدّم ذكره في الأبّاره .

سمعت (صحيح البخاري) من ابن الزبيدي ، وسمعت من العلامة الحصري (صحيح مسلم) .

وحدّثت في أيام ابن عبد الدائم ، وطال عمرها ، وروت الصحيح مرّات .

سمع منها شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وسراج الدين بن الكويك ، وتقي الدين بن أبي الحسن ، وابن شيخنا الذهبي^(٢) ، وعدد كثير .

وتوفيت - رحها الله تعالى - سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولدها سنة خمس وعشرين وست مئة .

١٣٣٥ - فاطمة بنت إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر**

المقدسيّة الصّالحة المعمّرة^(٣) ، خاتمة أصحاب إبراهيم بن خليل ، وآخر من حدّث بالإجازة في الدنيا عن محمد بن عبد الهادي^(٤) ، وابن السروري^(٥) ، وابن عوّة^(٦) ، وخطيب مردا ، وغيرهم .

* الدرر : ٢٢٠/٣ ، والشذرات : ٢٨/٦ ، وذيول العبر : ٦٠ .

(١) في الدرر والشذرات : « القرشيّة » . وفي ذيول العبر : « القرشية » .

(٢) عبد الله بن محمد بن عثمان (ت ٧٥٤) ، وفيات ابن رافع : ٣١٦/١ .

** وفيات ابن رافع : ٢٣٨/١ ، والدرر : ٢٢٠/٣ ، وذيول العبر : ٢٥٩ .

(٣) (خ) : « الشيخة الصالحة المعمرة » .

(٤) في ذيول العبر : « عبد القادر » . ومحمد بن عبد الهادي بن يوسف المقدسي (ت ٦٥٨ هـ) . العبر :

٢٤٩/٥ .

(٥) أبو طالب تمام بن أبي بكر بن أبي طالب الدمشقي السروري (ت ٦٥٨) ، الشذرات : ٢٩٢/٥ .

(٦) عمر بن أبي نصر بن أبي الفتح الجزري (ت ٦٥٦) ، الشذرات : ٢٨٠/٥ .

توفيت رحمها الله تعالى في ذي القعدة سنة سبع وأربعين وسبع مئة^(١) .

فاطمة أم عبد الله*

- ١٣٣٦ -

ابنة الشيخ الإمام المقرئ المحدث جمال الدين سليمان بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن سعد الله بن عبد الله^(٢) بن أبي القاسم الأنصاري الدمشقي .

كانت امرأةً صالحة ، وقفت وبرّت أهلها وأقاربها في حياتها .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : روت لنا عن أكثر من مئة شيخ ، منهم - بالسماع - المُسلم المازني^(٣) ، وكريمة ، وابن رواحة . وبالإجازة المجد القزويني ، والحسين بن صَـرَى ، والفتح بن عبد السلام ، والداهري^(٤) ، وابن عُفِيجَة^(٥) ، والحسن بن الجوالقي^(٦) ، وأحمد بن النرسي ، وعبد السلام بن سكينَة^(٧) ، وللمهذب بن قُنَيْدَة^(٨) ، والأخوان ابنا الزبيدي^(٩) وعبد اللطيف بن الطبري^(١٠) ، ومحاسن الخزازي ، وشرف النساء بنت الأنبوسي^(١١) ، وجماعة من البغداديين وغيرهم .

(١) توفيت عن أزيد من ثلاث وتسعين سنة ، كما في ذيول العبر .

* الدرر : ٢٢٢/٣ ، والشذرات : ١٧/٦ .

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) .

(٣) المسلم بن أحمد بن علي المازني (ت ٦٣١) ، الشذرات : ١٤٧/٥ .

(٤) أبو الفضل عبد السلام بن عبد الله بن أحمد (ت ٦٢٨) ، السير : ٣٠٤/٢٢ .

(٥) محمد بن عبد الله بن المبارك البندنجي (ت ٦٢٥) ، السير : ٢٨٠/٢٢ .

(٦) الحسن بن إسحاق بن موهوب بن أحمد (ت ٦٢٥) ، السير : ٢٧٨/٢٢ .

(٧) عبد السلام بن عبد الرحمن بن علي (ت ٦٢٧) ، السير : ٣٣٢/٢٢ .

(٨) في الأصل و (ط) : « قنيدة » ، تحريف ، وهو المهذب بن علي بن هبة الله الأزجي (ت ٦٢٦) ،

السير : ٣١٢/٢٢ ، والشذرات : ١٢١/٥ .

(٩) هما الحسن والحسين ابنا مبارك بن محمد بن يحيى ، توفي الحسن سنة (٦٢٩) ، (السير : ٣١٥/٢٢) ،

والحسين سنة (٦٣٠) ، (السير : ٣٥٨/٢٢) .

(١٠) عبد اللطيف بن عبد الوهاب بن محمد الطبري (ت ٦٢٩) ، والشذرات : ١٣٢/٥ .

(١١) أمة الله بنت أحمد بن عبد الله (ت ٦٢٦) ، الشذرات : ١١٩/٥ .

وقرأ عليها شيخنا الذهبي قبل موتها بيوم ، وحضر^(١) معه جماعة ، وأسَمعت كثيراً .

وكان لها إجازات من العراق وأصبهان ودمشق .
وتوفيت رحمها الله تعالى ثاني عشرين شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبع مئة .
ومولدها تقريباً سنة عشرين وست مئة .

١٣٣٧ - فاطمة بنت عباس بن أبي الفتح*

الشيخة الْمُفْتِيَّة الفقيهة العالمة الزاهدة العابدة ، أم زينب البغدادية الحنبليَّة الواعظة .

كانت تصعد المنبر وتعظ النساء ، فَيُنِيب لوعظها^(٢) ، ويقلع من أساء ، وانتفع بوعظها جماعة من النسوة ، ورَقَّت قلوبهن للطاعة بعد القسوة ، كم^(٣) أَذْرَتْ عبرات ، وأجرت عيوناً من الحشرات كأنها أَيْكِيَّة على فننها ، وحمامة تصدح في أعلى غصنها^(٤) .

وكانت تدري الفقه وغوامضه الدقيقه ، ومسائله العويصه ، التي تدور مباحثها بين المجاز والحقيقه . وكان ابن تيمية رحمه الله تعالى يتعجب من علمها ، وَيُثْنِي على ذكائها وخشوعها وبكائها .

وبحَثْتُ مع الشيخ صدر الدين بن الوكيل في الحيض وراحت ، وزخرت بحور علومها وماجت ، فلو عاينَتْها لَقَرَّبْتُ من الشيخ تقي الدين في تفضيلها . ولن أقصيه ،

(١) في الأصل : « حضرت » ، وأثبتنا ما في (ط) .

* الدرر : ٢٢٦/٣ ، وفيه : « بنت عياش » ، وحسن المحاضرة : ٣٩٠/١ ، والشذرات : ٣٤/٦ .

(٢) في الأصل : « وعظها » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « ثم » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « على غصنها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

وقلت له : هذه التي يصح أن يقال عنها : إنها بأربع أخصية ، لأنها مؤنثة قد تفرّدت بالتذكير ، وعارفة لم يدخل على معرفتها تنكير .
ولم تزل على طريق ^(١) سداد واعتداد من الازدياد إلى أن فُطم من الحياة رضاعها ، وأن من الدنيا ارتجاعها .

وتوفيت رحمها الله تعالى بالقاهرة في يوم عرفة سنة أربع عشرة وسبع مئة .
انصلح بها جماعة [نساء] ^(٢) في دمشق وبصدقها في وعظها وتذكيرها وقناعتها ، تحوّلت بعد السبع مئة إلى مصر ، وانتفع بها في مصر من النساء جماعة ، وبَعُدَ صيتها . وكانت قد تفقّحت عند المقادسة بالشيخ شمس الدين وغيره .
حكى لي غير واحد أن الشيخ تقي الدين بن تيمية قال : بقي في نفسي منها شيء ، لأنها ^(٣) تصعد المنبر ، وأردت أن أنهاها ، فمِتْ ليلة ، فرأيت النبي ﷺ وسلم في المنام ، فسألته عنها . فقال : امرأة صالحة ، أو كما قال .

وحكى لي أيضاً أنها بحثت مع الشيخ صدر الدين بن الوكيل في الحيض ، وراجت عليه . ثم قالت : أنت تدري هذا علماً ، وأنا أدريه علماً وعملاً .

١٣٣٨ - فاطمة بنت محمد بن جميل بن حمد *

ابن حميد بن أحمد بن عطّاف ، الشیخة الصالحة المعمرة ، أم محمد البغدادية المولد ، الدمشقية .

سمعت من والدها ، وأجاز لها السلفي أجازت لي بدمشق سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، وكتب عنها يافذا عبد الله بن الحب .

(١) في الأصل : « طرائق » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٣) في (ق) ، (ط) : « لكونها » .

* الدرر : ٢٢٧/٣ .

وتوفيت رحما الله تعالى سنة^(١) ثلاثين وسبع مئة .

١٣٣٩ - فاطمة بنت القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد *

أم الحسن ابنة شيخنا الإمام علم الدين البرزالي .

تقلتُ من خط شيخنا والدها ، رحما الله تعالى ، قال : أحضرته سماع الحديث ، ولها ثلاثة أيام ، حضرت على ابن الموازيني ، وفاطمة بنت سليمان^(٢) ، وابن مشرف ، والمخرمي^(٣) ، وفاطمة بنت البطائحي ، والفخر إسماعيل بن عساكر ، وجماعة .

وسمعت من القاضي بهاء الحنبلي ، وإبراهيم بن النصير^(٤) ، وعيسى المطعم^(٥) ، وأبي بكر بن عبد الدائم والبهاء بن عساكر ، وابن سعد ، وجماعة من الشيوخ . وسمعت (صحيح البخاري) على ست الوزراء بنت ابن المنجّ ، وحفظت من الكتاب العزيز ، وتعلّمت الخط ، وكتبت ربعة [ظريفة]^(٦) ، وكتاب (الأحكام) لابن تيمية ، و (صحيح البخاري) ، وكملته قبل موتها بأيام قليلة .

قلت : ونسختها هذه بدمشق من النسخ التي يعتمد عليها ، ويُنقل منها .

قال : وكتّبت غير ذلك ، وحجت ، وسمعت بطريق الحجاز ، وحدثت بالحرمين الشريفين .

(١) في الأصل : « من سنة » ، وأثبتنا ما في (ط) .

* تاريخ أبي الفداء : ١٠٢/٤ ، والشذرات : ٩٧/٦ .

(٢) في الأصل : « ابن يوسف أم محمد بنت الحسن » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، وما أثبتناه من (ط) ، (ق) ، وما يقتضيه نسب والدها .

(٣) إبراهيم بن الحسن ، سلفت ترجمته .

(٤) في الأصل و (ط) : « البصير » ، وأثبتنا ما في الإعلام للذهبي ، ووفاته (٧١٩ هـ) .

(٥) في الأصل : « المعظم » ، وأثبتنا ما في (ط) ، وقد سلفت الإشارة إليه .

(٦) زيادة من (ق) ، (ط) .

وكانت امرأة مباركة محافظة على الفرائض والنوافل ، لها اجتهاد وحرص على فعل الخير ، تجتهد يوم دخول الحّمّام أن لا تؤخر الفريضة عن وقتها ، لا تدخل حتى تصلي الظهر ، وتجتهد في الخروج ، لإدراك العصر ، وكذلك تسارع في قضاء أيام الحيض من شهر رمضان تصومها وتعجلها وتخطّط فيها ، وكان فيها مودة ، وخير وعقل ومعرفة وخير^(١) لم يفارقها قط . وتزوجت نحو خمس سنين ، ولم تخرج من البيت ، ومارأيت منها إلا ما يسرّني ، وكنت إذا رأيته تصلي أفرح وأقول : أرجو الله أن ينفعني بها ، فإنها كانت تصلي صلاة مكملة ، وتجتهد في الدعاء ، ولم تسألني قط شيئاً من الدنيا ، ولا شراء حاجة . وانتفعت بها في الدنيا وأرجو أن ينفعني الله بها في الآخرة .

واعتبرتُ الشيوخ الذين سمعت منهم فوجدتهم مئة وخمسة وثمانين نفساً .

وتوفيت رحمها الله تعالى في يوم الاثنين حادي عشري صفر سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفنت عند تربتهم خارج الباب الشرقي .

ومولدها يوم الجمعة سادس عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وسبع مئة .

فاطمة بنت الحشّاب*

- ١٣٤٠ -

تقلت من خطّ القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، قال : بلغني عنها وقد سكنت قريباً مني أنها تجيد النظم ، فكتبت إليها لأمتحنها في شهر رجب سنة تسع عشرة وسبع مئة :

هل ينفعُ المُشتاقُ قُرْبَ الدّارِ	والوصلُ ممتنعٌ على الزّوّارِ
يانازلين بُمهجتي وديارهم	من ناظري بطمح الأبصارِ
هيَجَّتُم شَجَنِي فَعُدْتُ إِلَى الصَّبَا	من بعد ما وخط المشيب عِذارِي ^(٢)

(١) قوله : « وخير » ، ليس في (ط) .

* الدرر : ٢٢٥/٣ ، وفيه : « فاطمة بنت علي بن عمر بن خالد الخزومية بنت الحشّاب » .

(٢) في (ق) ، (ط) : « خطّ » . وخطه الشيب : خالطه .

أَنِّي اهْتَدَيْتُ، وَلِيُلْقِي مُسَوِّدَةٌ
 عَهْدِي بَأَنِّي لَا أَخَافُ مِنَ الرَّدَى
 لَا أَرْهَبُ اللَّيْثَ الْمَزِيرَ مُجَاوِرًا
 الصَّائِبَاتِ بِلَحْظِهِنَّ مِقَاتِلِي
 يَا جِيرَتِي الْأَذْنَيْنِ حَقِّي وَاجِبٌ
 لِيَلِي بِكُمْ أَدَبُ الزَّمَانِ مَقْسَمٌ
 يَا جِيرَةً جَارَ الزَّمَانِ يَبْعُدُهُمْ
 إِنِّي سَمِعْتُ صِفَاتِكُمْ فَسَكَرْتُ مِنْ
 وَهْوِيَّتِ بِالْأَخْبَارِ حَسَنُكُمْ كَمَا
 يَا مُعْرِضِينَ وَمَا جَنَيْتَ إِلَيْهِمْ
 مِيلُوا إِلَيَّ فَلِلْفُصُونِ تَمَائِلٌ
 وَتَلَفَّتُوا نَحْوِي التَّفَاتِ أَوَانِسِي
 وَاجْلُوا مُحَاسِنَكُمْ لِأَحْظَى بِالَّذِي
 لَا تَحْسَبُوا أَنَّ السُّفُورَ تَقِيصَةَ
 أَوْ تَحْسَبُوا أَنِّي أَضَيِّعُ سِرَّكُمْ
 أَيْحُوزُ أَنْ أَظْهَرَ وَوَرْدُ نَدَامِكُمْ
 وَأَمُوتُ مِنْ دَائِي وَفِي أَيْدِيكُمْ
 وَلَقَدْ عَرَفْتُمْ فِي الْأَنَامِ بِنَطْقِ
 فَحْوَيْتُمْ حَسَنَ الصِّفَاتِ مُؤَيِّدًا
 بِمُحَاسِنِ تَهَبُّ الْعُقُولِ بِلَاغَةَ
 أَخْرَسْتُمُ الْفُصَحَاءَ إِذْ أَنْطَقْتُمْ

وَضَلَلْتُ حِينَ أَضَاءَ ضَوْءُ نَهَارِي
 فَخَذَارُ مِنْ لَحْظِ الْعَيُونِ خَذَارِ
 دَارِي، وَأَرْهَبُ مِنْ جَوَارِ جَوَارِ
 هَلْ لِلْسَّهَامِ لَدَيَّ مِنْ أَوْتَارِ
 إِنْ كُنْتُمْ تَرْعُونَ حَقَّ الْجَارِ (١)
 مَا بَيْنَ تَسْهِدٍ إِلَى أَفْكَارِ (٢)
 وَهُمْ بِأَقْرَبِ مَنْزِلٍ وَجَوَارِ
 طَرَبِي بِغَيْرِ مُدَامَةٍ وَخَارِ
 تَهْوَى الْجَنَانِ بِطَيِّبِ الْأَخْبَارِ
 ذَنْبًا سِوَى وَجْدِي وَقَرَبِ دِيَارِ
 حَتَّى تَقْبَلَ أَوْجُهُ الْأَنْهَارِ
 إِنْ الْأَوَانِسَ غَيْرَ ذَاتِ نِفَارِ
 قَدْ كُنْتُ أَسْمَعُهُ مِنَ الْأَخْبَارِ
 أَوْ مَا تَرُونَ مَطَالِعَ الْأَقَارِ
 وَأَنَا الْمَعْدُ لِمُودَعِ الْأَسْرَارِ
 صَفْوٌ مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ (٣)
 طَبِّي مِنَ الْأَسْقَامِ وَالْأَخْطَارِ
 عَذْبُ الْمَذَاقَةِ طَيِّبِ الْمَشَارِ
 بِمُحَاسِنِ الْأَقْوَالِ وَالْأَثَارِ
 وَبِلَاغَةِ تَذَرِ الْمَفْوِّهِ عَارِي
 مَنْ لَا يُجِيزُ الْقَوْلَ بِالْأَشْعَارِ

(١) فِي الْأَصْلَ: «يَا جِيرَةُ الْأَنْسِ»، تَحْرِيفٌ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ط)، (ق).

(٢) (ط): «إِنْكَارٌ».

(٣) فِي الْأَصْلَ: «الْأَقْدَارُ»، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق)، (ط).

فبعثت من نظمي قلادة أدمع نُثِرَتْ لآلِهَا بلاستِيعار
نقشات مصدور الفؤاد مقيم عجزت موارده عن الإصدار
قال : فكتبت الجواب إليّ :

إن كان غرّكم جـالـ إزاري فالقبحُ في تلك المحاسن واري
لا تحسبوا أني أمائل شعركم أني تُقاسُ جداولٌ ببحار
لو عاصر الكندي عَصْرَكُمْ رمى لكم عوالي راية الأشعار
أقصى اجتهادي فهم ظاهر نظمكم لا أنني أدعى دُعَاء مُجَار
من قصّرت عنه الفحول فحقه أن ليس يبلغه لحاق جواري
ولربما استحسنتم غير حقيقة فإذا سفرتُ أشحت بالآبصار
لست الطُمُوحَ إلى الصُّبا من بعدما وضع المشيبُ بلمّتي كنهاري

قلت : هذا الشعر كثير من امرأة في مثل هذا الزمان ، ولعلها أشعر من ذكران كثيرين في عصرنا ، ومَن تقدمنا أيضاً ، وما أحسن ما استعملت لفظ جواري هنا في القافية ^(١) .

(٢) اللقب والنسب

☆ ابن الفاكهاني : عمر بن علي .

☆ ابن الفراء : مقدم البريدية ، الأمير علاء الدين علي بن عبد الرحمن . ابنه : ناصر الدين محمد بن علي .

☆ ابن الفرات : عز الدين عبد الرحيم بن علي .

(١) لم يذكر المؤلف شيئاً عن ولادتها ووفاتها ، وفي الدرر أنها ولدت سنة (٧٠٨) وسمعت من وزيرة والحجار صحيح البخاري وحدثت ، سمع منها أبو حامد بن ظهيرة بعد السبعين .

(٢) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

١٣٤١ - فخرية بنت عثمان*

أم يوسف البَصْرِيَّة ، الحَاجَّة الصَّوامة القوامة العابدة الزاهدة ، زاهدة عصرها ، وفريدة دهرها .

رفضت الدنيا ، ولم ترض إلاّ بالمنزلة العليا ، خرجت عن أهلها ومالها ، وتَقَوَّت في القوت ببعض حلالها ، وانزوت بحرم القدس الشريف ، وتَبَرَّأت عن التالد والطريف ، وقنعت من العيش الرغيد بكوز ماءٍ وزغيفٍ .

واشتهر أمرها ، وعَرَفَ الناس ^(١) خَبَرَهَا ، وأعرضت عن الدنيا الفانيه ، وأصبحت وهي لرابعة ^(٢) ثانيه . وجَرَّبَ الناس لها أحوالا ، وَصَدَّقُوا منها مقاماً ومقالا . وكان لها كرامات ، وعن وجوه الدنيا انصرافات وانصرامات . وكانت تتنّى أن تموت بمَكَّة ، وتدفن إلى جانب قبر خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها . فسمع الله لها هذه الأُمْنِيَّة واستجاب منها .

وتوفيت رحمها الله تعالى في مستهلّ صفر سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة عن ست وثمانين سنة .

حكى لي أخوها الأمير صفّي الدين أبو القاسم البصري ، قال : حَمَلَ إليها أخي نجم الدين ستة عشر ألف درهم مما يَخْصُّها ، فتصدقت بالجميع في جلسة واحدة ، ولم تترك منها درهماً واحداً .

كانت تستقي ماء الوضوء بنفسها ولا تستعين بأحد . ولما حَجَّت في سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، قالت عند منصرف الحاج للذي قد توجّه يخدمها من جهة أخيها :

* لم نقف على ترجمة لها .

(١) في (ط) ، (خ) ، (ق) : « عرف بين الناس » .

(٢) في الأصل : « رابعة » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) .

انصرف ودعني في حالي ، فأنا إذا دخل الحجاج^(١) إلى دمشق التحقت بربي ، وكان الأمر كما ذكرت ، وتوفيت رحمها الله تعالى مستهل صفر ، ودفنت إلى جانب قبر خديجة زوج النبي ﷺ .

وأقامت بالقدس منقطعة أربعين سنة تقف على باب الحرم تصلي إلى أن يفتح الباب فتكون أول داخل إليه ، وآخر خارج منه ، وتقتات بشيء يسير مما يحضر إليها من مملكتها ، وهو قريب من مئتي درهم ، وتؤثر الفقراء والمساكين بالباقي . وطار ذكرها في الآفاق ، ودخل إليها الأمير سيف الدين تنكرز رحمه الله تعالى مرات ، ومعه الذهب ، ويخرج به وما تقبل منه شيئاً .

وسياتي ذكر أخيها صفى الدين أبو^(٢) القاسم ، وذكر أخيها نجم الدين محمد بن عثمان في مكانها^(٣) ، إن شاء الله تعالى .

١٣٤٢ - فرج بن قراسنقر*

الأمير جمال الدين بن الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري ، و [أخوه]^(٤) الأمير علاء الدين ، وقد تقدم ذكره ، كان جميل الصورة حسن الشكالة .

توفي رحمه الله تعالى بدمشق في ثالث عشرين شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقبيبات . وهو والد الأمير جمال الدين فرج أيضاً .

☆ الفرجوطي : محمد بن محمد .

(١) (خ) : « الحجاج » .

(٢) كذا في الأصل على الحكاية لأنه اسم له وليس كنية .

(٣) في الأصل : « مكانها » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) .

* الدرر : ٢٣٠/٢ .

(٤) زيادة من (ط) ، (ق) .

١٣٤٣ - فرج بن محمد بن أحمد*

الشيخ الإمام العالم نور الدين الأرتبيلي ، بفتح الهمزة وسكون الراء وفتح الدال المهملة وكسر الباء الموحدة وياء آخر الحروف ساكنة ولام ، الشافعي ، مدرّس المدرسة الناصرية^(١) الجوانية بدمشق ، داخل باب الفراديس ، والمدرسة الجاروخية .

كان عالماً ديناً ، فاضلاً صيناً ، منجماً عن الناس ، مباعداً مَنْ لا يشاكله من الأجناس^(٢) .

وله إلام (بالكشاف) يعرفه ويُقْرِيه ، ويُسبغ كؤوس مافيه من للمشكل^(٣) ويُمرّيه .

وعلق على (منهاج) الشيخ محي الدين النواوي في مواضع منه مفرقة في نحو ستة مجلدات .

ولم يزل على حاله إلى أن طُفي^(٤) نوره ، وغلب على نهار عيشه دُجُوره .

وتوفي رحمه الله تعالى في العشر الأوسط من جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

وَرَدَ إلى دمشق ولازم شيخنا العلامة شمس الدين الأصفهاني مدّة مقامه في دمشق ولم^(٥) يفارقه .

* وفيات ابن رافع : ٢٦٥ ، والدرر : ٢٣٠/٣ ، والدارس : ١٧٢/١ .

(١) في الأصل : « المنصورية » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) والدارس .

(٢) في الأصل : « الناس » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ط) ، (ق) .

(٣) قوله : « من المشكل » . ليس في (خ) .

(٤) (خ) : « أطفئ » .

(٥) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « لم » بغير واو .

ولما توفي الشيخ كال الدين بن الشيرازي تولّى عوضاً عنه تدريس المدرسة الناصرية في جمادى الأولى^(١) سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

اللقب والأنساب

☆ ابن فرج الإشبيلي : شهاب الدين أحمد بن فرج .

☆ ابن فرحون : علي بن محمد .

١٣٤٤ - أبو الفرج ، ولي الدولة ابن الخطير*

تقدم في الدولة لما ظهر النشو صهره ، وأضاء في سماء المعالي بدُّره ، خدم عند كبار الأمراء الناصريّين ، وتطفّل الأمراء على خدمته لهمّته السريّة ، وخضع الناس له ودانوا ، وتطامنوا لترقّعه^(٢) واستكانوا .

وكان خلّو الصورة لطيف الإشاره ، عذب الكلام ، طلق العبارة ، فصيحاً في نطقه ، مليحاً في خلقه وخلّقه ، يحفظ مارق من شعر المتأخرين ، ووقائع المعاصرين النازلين والمفتخرين ، ويندب ماهو أرشق من حركات القدود للمشوقه ، وألطف من إشارات العيون المعشوقه ، ويزدوق الأحيّة النحويّة ويضعها بلا كلفه ، ويأتي بها وهي أحسن من البدر إذا تطلّع في السدّفه^(٣) ، حتى كنت أعجب منه ومن اقتداره ، مع عدم اشتغاله بما يعينه في هذا الفن إذا جرى في مضاره ، وأمّا التصحيف فكان لا يتكلّف فهمه ولا يردّ من الإصابة فيه سهّمه ، وأمّا التورية والاستخدام ، فكانا له من أطوع الأرقاء والخدام ، يذوقهما حال ما يطرقان سمعه ، ويقد ذهنه لفهما كأنه شمعه .

(١) قوله : « في جمادى الأولى » ليس في (خ) .

* انظر شيئاً من خبره في بدائع الزهور ٤٧٦/١/١ .

(٢) (خ) : « لرفّعه » .

(٣) (خ) : « من البدور .. من السدّفة » .

ثم اشتملت عليه قافية صهره ، وجرت به إلى الردى ، فصدر وقاسى من القلة مارق له منه العبد ، ثم أعان الله وأفرج عنه ، وعادت له الدولة لتأخذ حظها منه . ثم إن الزمان استدرك عليه ما فرط ، وأوقعه في أحبولة الوهم والغلط ، فسبروا شخصه على جمل ، وشمروا إليه ذيل الأجل ، وفاز عدوه بالسرور والشمات ، وقال وليه : « علو في الحياة [وفي ^(١) المات] » .

وكان قد أسلم فما سلم ، وحكم الله فيه بما علم ، وحل بمن يعرفه هجوم ^(٢) الوجوم ، « وعند الله تجتمع الخصوم » . وكانت واقعة في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة في شهر ربيع الأول .

كان ولي الدولة هذا قد تزوج وهو نصراني ، بأخت القاضي شرف الدين النشو ناظر الخاص قبل اتصال النشو بالسلطان ، ولما تولى النشو الخاص عظم ولي الدولة ، وزادت وجاهته ، وتقدم على إخوة ^(٣) النشو . وخدم عند الأمير سيف الدين أرغون شاه ، ثم إنه انفصل من عنده وخدم عند الأمير علاء الدين طيغبا المجدى ، وتحدث في ديوان الأمير سيف الدين بهادر الموعزى ، وهو أمير مئة مقدم ألف من أمراء المشورة ، وفي ديوان الأمير سيف الدين طقبا ، وزادت وجاهته ، فلما أمسك القاضي شرف النشو وجماعته ، أمسك هو في الجملة ، ولكنه دخل إلى السلطان ، وقال : والله يا خوند أنا ما أحمل ^(٤) عقوبة ، وأنا أحمل موجودي ، فإن بلغ مولانا السلطان أنه بقي لي درهم واحد ، خذ روحي ، فأمر السلطان بأن لا يعاقب ، وسلم تلك المرة إلا من ضرب يسير .

(١) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « هجوم » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) .

(٣) في الأصل و (ط) : « أخوه » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « لأحمل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

وتوفي النشوت تحت العقوبة وأهله ، وبقي وليّ الدولة وأخوه الشيخ الأكرم في الاعتقال بعدما استُصفي موجودهما .

وكان قد عمّر داراً عظيمة على بركة الفيل في حكر أزدمر الشجاعي فأبيعت في [جملة] ^(١) موجوده ، وموجود أخيه ، ولما مرض السلطان الملك الناصر محمد مرضه الذي مات فيه ، أفرج عن وليّ الدولة وعن أخيه فيمن أفرج عنه من الاعتقال بالشام ومصر .

وكان الأمير سيف الدين ملكبتر الحجازي يعرف وليّ الدولة ، لأنّ مجد الدين رزق الله أخا النشو ، كان كاتبه ، فطلب من الملك المنصور أبي بكر ، فرسم به له ، فأخذه وأسلم على يده وبقي عنده .

وعاد إلى تلك العظمة بزائد ، ورُمي بأشياء مما أوجبت خلع المنصور ، وأوحى أعداؤه إلى الأمير سيف الدين قوصون ما أوحوه ، فقَبَضَ عليه ، وحسّنوا له تسميره ، فأخرج من محبسه وسَمّر على جمل ، وهو لابس فرجيةً بسنجا وشعلوا قدّامه الشموع ، وطافوا به بالمغاني في شوارع القاهرة ، ثم قضى الله أمره فيه .

وبلغني أنه وقف قدّام دكان الشهود على باب خانقاه « سعيد السعداء » . وقال :
يا مسلمين اشهدوا أنني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، والله لم يبدُ شيء مما رُميتُ به ، ولكن لي ذنوبٌ ، وخطايا تقدّمت ، هذا بها .

١٣٤٥ - فرج الله بن علم السعداء*

الصدر الرئيس أمين ^(٢) الدين بن العسال .

(١) زيادة من (خ) ، (ق) .

* الدرر : ٢٢٩/٣ .

(٢) في الأصل : « ابن أمين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ط) (ق) والدرر .

دخل هذا^(١) هو وأخوه سعد الدين [أسعد]^(٢) بن علم السعداء إلى القاهرة عقيب ما جرى للنصارى ما جرى من إلزامهم بلبس الأزرق وشد الزنار ، فأنقوا من ذلك وأسلموا .

وكان هذا أمين الدين صدراً محتشماً ، فيه مكارم ومروءة ، ورأى من السعادة في دمشق ما لا رآه أمثاله ، وباشر صحابة الديوان مدة ، ولما غضب تنكز على ابن الحنفى ناظر ديوانه ، وتوفي رحمه الله تعالى ، تولى أمين الدين نظراً ديوانه ، فأقام به مدة ، ثم إنه عزل منه ، وعاد إلى صحابة الديوان ، وعمر القاعات للمليحة المشهورة عند « قناة صالح »^(٣) داخل دمشق ، واجتهد وسعى ، فزوّج صلاح الدين يوسف ابن أخيه ، الآتي ذكره في مكانه إن شاء الله تعالى ، بابنة صاحب شمس الدين غبريال .

ولم يزل في سعادة وصدارة إلى أن توفي رحمه الله تعالى في حادي عشر شهر رمضان سنة ثلاثين وسبع مئة .

النسب والألقاب

☆ الفرسي : فخر الدين علي بن عثمان .

☆ الفزاري : الخطيب شرف الدين أحمد بن إبراهيم . الشيخ برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن . والده تاج الدين عبد الرحمن .

☆ ابن أبي الفصيح : فخر الدين أحمد بن علي . وجلال الدين عبد الله بن أحمد . والدمرندري عبد الرحمن بن العليم .

☆ الفصيح : المغني عبد العزيز .

(١) ليست في (ط) .

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) ، وانظر : الدرر : ٤٤٩/٤ .

(٣) أشار إليها صاحب الدارس : ٢٥٠/٢ .

١٣٤٦ - فضل الله بن عمر بن أحمد بن محمد*

القاضي بدر الدين بن إمام الدين القزويني الشافعي .

قدم دمشق للحج ، ونزل بترية أم الصالح عند ابن أخيه القاضي إمام الدين ^(١) والخطيب جلال الدين .

وحصل له ضعف فلم يمكنه السفر .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة ست وتسعين وست مئة ، وشيعه الخلق إكراماً لأخويه .

وكان مع شيخوخته يكرر على (الوجيز) ، وكانت له حلقة إقراء بتبريز ، ثم ولي قضاء بنسكار ^(٢) بلده بالروم ، وكانت له معرفة بالحساب وغير ذلك .

١٣٤٧ - فضل الله بن أبي بن الخير عالي**

رشيد الدولة ، فخر الوزراء ، مُشير الدول الهمداني ، الطبيب العطار والده .

أسلم هو ، ومات والده يهودياً على دينه ، وجرى القضاء بسعدٍ ولده هذا في ميادينه ، واتصل بغازان محمود ، وخدمته في خدمته السعود ، فقربه نجياً ، وقرّ به عيناً لما استقرّ به صفياً ، وعظم شأنه ، وعلا بتمكنه مكانه ، ولم يكن عنده أحد في محله ، وحكمه في حرمه وحله .

ثم إنه اتصل بعده بخريندا ، فزاده على ذلك وعقد له لواءً من السعد وبندا ، وزاد

* لم نقف على ترجمته .

(١) هو عمر بن عبد الرحمن القزويني (ت ٦٩٩ هـ) . (النجوم الزاهرة : ١٩٢/٨) .

(٢) كذا في الأصل ، وفي (ط) : « بنكبار » وفي (ق) : « ينكسار » .

** الوافي : ٧٨/٢٤ ، والدرر : ٢٣٢/٣ ، وفيه : « عالي » ، والشذرات : ٤٤/٦ .

علوا ، واستفاد غلوا ، وكثرت أمواله ، وامتدت آماله ، وصار في عداد اللوك ، ونظمت جواهر سعوته في السلوك .

ثم إن الدهر تيقظ ، وتيقن هلاكه وما تحفظ ، فنقض ما أبرم ، ونقض ما أكرم ، ولما طبب خربندا ومات ، نزل به المكروه والشمات ، وشغب عليه الوزراء ، علي شاه وأمثاله ، وصاده من المقدور حبائله وحبائه ، فدارى عن نفسه بقناطير من الذهب ، ودفع جلا من الجواهر^(١) ، فما أفاد ، لأن عمره ذهب .

وقتل هو وابنه قبله ، وذبحوها على غير قبله ، وذلك في سنة ست عشرة وسبع مئة .

وقال الشيخ علم الدين البرزالي : في جمادى الأولى سنة ثمان عشرة وسبع مئة ، وعاش بضعا وسبعين سنة ، ولما قتلوه فصلوا أعضائه ، وبعث إلى كل بلد بعض من أعضائه ، وأحرقت جثته ، يقال : إن جوبان أخذ منه ألف ألف متقال .

وكان فيه حلم وتواضع وسخاء وبذل للعلماء والصلحاء ، وكان ذا رأي ودهاء ومروءة ، وفسر القرآن ، وأدخل فيه الفلسفة .

ويقال : إنه كان [جيد]^(٢) الإسلام - رحمه الله تعالى - ولما مات خلف بنين وبنات ، وعمائر فاخرة ، وأموالاً لا تحصر ، وأحرقت تآليفه بعده .

ثم وزر ابنه محمد بعده^(٣) بسنوات ، وتمكن أيضاً وسيأتي ذكره في مكانه .

وكان قد نسب رشيد الدولة إلى أنه سقى خربندا السم ، فطلبه جوبان على البريد السلطانية ، وأحضره بين يديه ، وقال له : أنت قتلت القان . فقال : كيف أفعل ذلك ، وأنا كنت رجلاً طبيباً عطاراً ضعيفاً بين الناس ، فصرت في أيامه وأيام أخيه

(١) في (ق) ، (ط) : « الجوهر » .

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) والوافي .

(٣) في الأصل : « ابنه بعده محمد » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

متصرفاً في أموال المملكة ، ولا يتصرف الأمراء والنواب إلا بأمرى ، وحصلت من الجواهر في أيامها ما لا يحصى ؟ .

وأحضر الجلال الطبيب ابن الحزّان طبيب خربندا ، فسأله عن موت خربندا ، وقالوا : أنت قتلتها ؟ فقال : الملك أصابته هيفة قوية فانهل^(١) بسببها ثلاث مئة مجلس ، وتقيّاً قيّاً كثيراً ، فطلبني وعرض عليّ هذا الحال فاجتمع الأطباء بحضور الرشيد على أعطائه أدوية قابضة مخشنة للمعدة والأمعاء .

فقال الرشيد : عنده امتلاء ، وهو يحتاج إلى الاستفراغ بعد فسقيناها برأيه دواء مسهلاً ، فانسهل به سبعين مجلساً ، فات ، وصدقه الرشيد على ذلك . فقال الجوبان فأنت يا رشيد^(٢) قتلتها ، فأمر بقتله . واستأصلوا جميع أمواله وأملاكه ، وقتلوا قبله ولده إبراهيم ، وكان عمره ست عشرة سنة .

وحمل رأس الرشيد إلى تبريز ، ونودي عليه هذا رأس اليهودي الذي بدّل كلام الله تعالى ، وقطعت أعضاؤه وحمل كل عضو إلى بلد ، وأحرقت جثته ، وقام في ذلك الوزير علي شاه التبريزي ، وقال بعضهم : إن الوزير كان ملحداً عدواً للإسلام .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : ولما قدم علينا الشيخ تاج الدين الأفضلي التبريزي حاجاً إلى دمشق في رمضان سنة ثمانى عشرة وسبع مئة . فذكرناه ، فذكر قتل الشيخ والنداء عليه . وقال : قَتَلَهُ أَعْظَمُ مِنْ قَتْلِ مِئَةِ أَلْفِ نَصْرَانِي ، فإنه كان يكيد الإسلام .

قال الإربلي : الأفضلي كان قد تكلم في الرشيد مرّة ، وهو يهودي ، وقد بدّل كلام الله ، فقصده الرشيد لينتقم منه^(٣) ، فاختمى الأفضلي منه مدة ، ثم وقعت فيه شفاعه ،

(١) في الأصل : « قام » ، وأثبتنا ما في (ق) ، وفي (ط) : « فأسهل » .

(٢) في الأصل : « الرشيد » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٣) في ق : « لنفسه منه » ، وفي (ط) : « منه لنفسه » .

ففعى عنه وطلبه إليه ، وطيب قلبه وخلع عليه خلعاً سنياً ، فلم يقبلها منه ، وبقي في نفس الأفضلي منه إلى الآن يُذَمُّه حَيّاً وميتاً . والرشد ما دخل في الإسلام كرهاً ، وقد كان ينصح المسلمين ويخدمهم في كل الأحوال .

قلت : وحكى لنا نجم الدين قاضي الرحبة ما رآه ^(١) الرشيد من الشفاعة ^(٢) على أهل الرحبة ، وحقن دمائهم ، وكيف ساعدتهم على خلاصهم من التتار ، وإصلاح أمورهم مع الملك الناصر ، وله في تبرز عظمة من البر ، وكان مشغولاً بسعادته عن معاداة الإسلام وكيدته ، ولم يكن يتبع إلا أعداءه ، ومن يقصد أذاه وسواء أكان مسلماً أو كافراً أو صالحاً أو فاسقاً .

١٣٤٨ - فضل بن عيسى *

الأمير الكبير شجاع الدين أخو الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى .

كان ذا رأي وفضل ، وخير وعدل ، وهمة بلغت السماك ، وعزمة ليس لها عن الحزم انفكاك .

تولى إمرة آل فضل سنين عديدة ، ونزل من السعادة بروجاً مشيده ، وأخذها منه موسى ابن أخيه في وقت وأعيدت إليه مع عود المقة وذهاب المقت .

وكان خبيراً بأخلاق السلطان ، درياً بأحوال الغربان ، قد خبرهم وجربهم ، وصرفهم على ما أراد ، وسرهم لماسرهم ، وكثرت إقطاعاته وأمواله ، وزادت مواشيه وغلاله ، وفت عبيده وإماؤه ، ومطرته بالسعادة والأمن ساءؤه .

ولم يزل على حاله إلى أن فض لفضل ختم القبر وكسر كسراً ماله جبر .

(١) في الأصل : « قال ما رآه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، وهو الوجه .

(٢) (ط) (ق) : « الشفقة » .

* الدرر : ٢٣١/٣ .

وتوفي رحمه الله تعالى ... (١) .
ورأيته برحبة مالك بن طوق .

وكان إذا وَرَدَتْ جِماله الْفُرات يظنّ الإنسان أنّ الله تعالى قد ملأ الفضاء جمالاً ،
وبلغني هناك أنه دفن في بعض دفائنه في تلك الأراضي قِدرًا فيها ثمانون ألف دينار ،
وضاع المكان منه ولم يقع له على خبر .

وكان السلطان الملك الناصر محمد قد أخذ الإمرة من أخيه مهنا لما خرج عن الطاعة
في واقعة قراستقر ، وأعطاهما للأمير شجاع الدين فضل ، وغضب عليه في وقت
وأعطاهما للأمير مظفر الدين موسى بن مهنا ، ثم أعادها إلى فضل .

١٣٤٩ - فضل بن عيسى بن قنديل*

الشيخ الزاهد العابد الصالح العَجَلُوني . كان مقيماً بالمدرسة المسارية .

كان مشهوراً بالخير والصلاح ، وتعبير الرؤيا ، اشتغل في ذلك على الشيخ شهاب
الدين العابر الحنبلي ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً ، وعُرض عليه خَزَنُ الْمُصْحَفِ
العثماني ، فامتنع . وكان لا يقبل لأحد شيئاً .

وحضر إليه الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - و - وزاره وهو في بيته في
المدرسة المذكورة .

مولده سنة تسع وأربعين وست مئة (٢) .

ودفن بمقبرة الصّوفيّة قريباً من قبر الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وحضر جنازته
القضاة ، والأمراء والأعيان والجلم الغفير .

(١) كذا بياض في الأصل و (ط) و (ق) ، ولم يذكر صاحب الدرر سنة وفاته أيضاً .

* البداية والنهاية : ١٧٣/١٤ ، والدرر : ٢٣١/٣ .

(٢) في الأصل و (ط) : « سبع مئة » ، سهو وأثبتنا ما في (ق) ، وفي الدرر أنّ ولادته كانت سنة
(٦٤٩) ووفاته سنة (٧٣٥) ، وكذا جاءت سنة وفاته في البداية .

الألقاب والأنساب

☆ ابن فضل الله : جماعة منهم : شهاب الدين أحمد بن يحيى . ولده شرف الدين عبد الوهاب . القاضي محي الدين يحيى بن فضل الله . أخوه القاضي شرف الدين عبد الوهاب . بدر الدين محمد بن يحيى .

١٣٥٠ - فضيل بن عَرَبِي بن معروف بن كلاب الجُرْفِي*

وَالْجُرْفُ : قرية ببلاد أَدْفُو

كان رجلاً مباركاً متورعاً متطوعاً ، يحكي عنه أهل تلك الناحية حكايات عجيبة من الكرامات والصلاح .

قال الفاضل كمال الدين الأَدْفَوِي : قال لي بعض الجُرْفِيَّة : إني زرعت أنا وهو مقشاةً ، فظهر فيها بطيخة كبيرة . وكان بعض الفلاحين يشتهي أن يسرقها ، ويخشى من الشيخ فضيل ، فقطعها ودفعها إليه ، وقال : خُذْهَا حَلَالاً .

وحكى لي ^(١) نفيس الخولي ، وكان قد أسلم وحسن إسلامه ، قال : رأيت في النوم ثعباناً كبيراً وقصدي ثم صار إنساناً . وقال لي : تبُّ عن القضية الفلانية ، فوقع في نفسي أنه فضيل ، فلما وصلنا إلى الجرف قلت له : يا شيخ فضيل أنا من قبيل أن تعاملني بهذه للعاملة ؟ فقال : ماهي ؟ القضية الفلانية ؟ نعم ^(٢) أنا هو .

[قال] ^(٣) : وحكى لي الجُرْفِيَّة : أنه كان يوماً بأدفو ، فركبوا إلى أن وصلوا

* الوافي : ٨٢/٢٤ ، والطالع السعيد : ٤٦٦ ، والدرر : ٢٣١/٣ ، وفيه : « الفضل » .

(١) عبارة الوافي : « قال : وحكى لي » . والقول ما زال للأدفوي في الطالع السعيد .

(٢) في الطالع : « قلت : نعم . قال : أنا هو » .

(٣) زيادة من (ط) ، (ق) ، والقول للأدفوي أيضاً .

[إلى]^(١) قلاوة الكوم - وهي أرض كشف - فوقه في مكان ، وحوّوق حوّاقة^(٢) ، وقال : ادفنوني هاهنا ، ثم توجه إلى بيته ، فأقام ثلاثة أيام أو نحوها . وتوفي - رحمه الله تعالى - ودفناه بتلك البقعة وبينها وبين مسكنه مسافة طويلة .

ووفاته في سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

الألقاب والأنساب

- ☆ ابن الفقاعي : جمال الدين إسماعيل بن محمد .
- ☆ ابن الفهّاد القوصي : محمد بن إبراهيم .
- ☆ ابن أبي الفوارس : محمد بن مجاهد .
- ☆ ابن القوّطي : كمال الدين للمؤرخ ، عبد الرزاق بن أحمد .
- ☆ ابن الفويرة : جمال الدين يحيى بن محمد . ووالده [بدر الدين]^(٣) محمد بن يحيى وعلاء الدين علي بن يحيى .
- ☆ ابن الفويّة : محمد بن أحمد .

١٣٥١ - فيروز الأمير نجم الدين *

أحد أمراء الطبليخانات بصفد .

كان في شكله قصيرا ، إلا أنه في الحرب كان يُرى بصيرا ، فيه شجاعة وإقدام ، وثبات عند الوثبات لا تزعج له الأقدام .

(١) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي ، والطالع .

(٢) في الأصل : « حوقة » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي ، والطالع .

(٣) زيادة من (ط) م (ق) .

* الوافي : ١٠٢/٢٤ ، والدرر : ٢٣٤/٢ ، وفيه : « فيروز بن عبد الله » .

وكان ذا تجمل وافر ، واضطلاع بأمر الإمرة متظافر ، كثير الرّخت ، وافي الحظ من ذلك والبخت ، يتجمل في خروجه إلى الأيْزَاك ، ويَظْهَرُ بمِجَاعَةٍ من الجنود الذين تهول أشكالهم من الأتراك ، وكان لصفد به جَلال ، ولَبْدَرٍ ذِكْرُهَا في البلاد به كمال . إلى أن كتب نائبها الحاج أرقطاي في معناه إلى السلطان في سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، فأمر باعتقاله في قلعة صفد . فأقام بها مُعْتَقَلًا نحواً من خمس سنين . ثم إنَّ الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - شفع فيه . فَأُفْرِجَ عنه ، وحضر إلى دمشق بطالاً .

ولم تطل مدته حتى توفي - رحمه الله تعالى - سنة خمس وثلاثين وسبع مئة تقريباً . وكان يرميه أهل صفد بأنه ظَفِيرٌ ياكسيرٍ كان مع بعض المغاربة ، وأنه تزوج بامرأة المغربي ، وأخذه منها .

وعمر بصفد داراً حسنة بالنسبة إلى صفد وعمل إلى جانبها تربة مليحة ومسجداً ، ونقل غالب أحجار الدار من عكا . وأقام بصفد مدة - رحمه الله تعالى - .

حرف القاف

١٣٥٢ - القاسم بن محمد بن يوسف*

شيخنا الإمام الحافظ المحدث المؤرخ عَلم الدين أبو محمد ابن العَدْل بهاء الدين ابن الحافظ زكي الدين البرزالي - بكسر الباء الموحدة ، وسكون الراء وبعدها زاي ، وألف ولام - الإشبيلي ثم الدمشقي الشافعي ^(١) .

حفظ القرآن العظيم ثم (التنبيه) ومقدمة ... ^(٢) في صغره ، وسمِعَ سنة ثلاث وسبعين وست مئة من أبيه ، ومن القاضي عز الدين بن ^(٣) الصَّائغ .

ولما سَمِعَ (صحيح البخاري) على الإربلي بَعَثَه والده فسمِعَه سَنَةً سَبْعَ ، وأحبَّ طَلَبَ الحديث ونسخ الأجزاء ، ودار على الشيوخ ، وسمع من ابن أبي الخير ، وابن أبي عَمر ، وابن عَلَّان ، وابن شَيْبَان ، والمقداد ، والفخر ، وغيرهم . وَجَدَ في الطلب وذهب إلى بعلبك ، وارتحل إلى حَلَب سنة خمس وثمانين ، ومنها ارتحل إلى مصر ، [وأكثر] ^(٤) عن العز الحَرَّاني وطبقته .

وكتب بخطه كثيراً وخرَّج لنفسه ولغيره كثيراً ، وجلس في شببته مع العدول

* الوافي : ١٦١/٢٤ ، والفوات : ١٩٦/٣ ، والبداية والنهاية : ١٨٥/١٤ ، والدرر : ٢٣٧/٣ ، والشذرات : ١٢٢/٦ .

(١) زاد في الوافي : وُلِدَ في جمادى الأولى سنة خمس وستين وست مئة .

(٢) كذا بياض في الأصل و (ط) و (ق) والوافي .

(٣) ليست في الوافي .

(٤) زيادة من (ق) والوافي .

الأعيان^(١) مدة . وتقدم في معرفة الشروط . ثم إنه اقتصر على جهات تقوم به ، وحصل كتباً جيدة ، وأجزاء في أربع خزائن ، وبلغ عدد مشايخه بالسَّماع أزيد من ألفين ، وبالإجازة أكثر من ألف ، رتب كل ذلك وترجمهم في مسودات متقنة .

وكان - رحمه الله تعالى - رأساً في صدقه ، بارعاً في خدمه ، أميناً صاحب سنة واتباع ، ولزوم فرائض ومجانبة الابتداع ، متواضعاً مع أصحابه ومن عداهم ، حريصاً على نفع الطلبة وتحصيل هداهم ، حسن البشر دأبه ، صحيح الود حافظ السر كاتمه ، ليس فيه شر ، ولا له على خيانية مقر ، فصيح القراء عدم اللحن والدمج ، ظاهر الوضاه ، لا يتكثر^(٢) بما يعرف من العلوم ، ولا يتنقص بفصائل غيره ، بل يوفيه فوق حقه المعلوم .

وكان عالماً بالأسماء والألفاظ ، وتراجم الرواة والحفاظ ، وخطه كالوشى الياني ، أو رونق الهنداوي ، لم يخلف بعده في الطلب وعمله مثله ، ولا جاء من وافق شكله شكله .

ولم يزل على حاله إلى أن حج سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، فتوفي بخليص^(٣) محرماً بكرة الأحد رابع ذي الحجة عن أربع وسبعين سنة ونصف ، وتأسف الناس عليه .

وكان - رحمه الله تعالى - لدمشق به في الحديث جمال ، بلغ ثبته أربعاً وعشرين مجلداً ، وأثبت^(٤) فيه من كان يسمع معه ، وله (تاريخ) بدأ فيه من عام مولده الذي توفي فيه الإمام أبو شامة ، فجعله صلة (لتاريخ) أبي شامة في ثماني مجلدات ، وله مجاميع وتعليق كثيرة ، وعمل كثير في الرواية ، قل من وصل إليه ، وخرج أربعين

(١) في الأصل : « والأعيان » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) ، وما يتفق مع الوافي .

(٢) في الأصل : « ولا يكثر » ، وأثبتنا ما في (ط) (ق) والوافي .

(٣) حصن بين مكة والمدينة ، (معجم البلدان) .

(٤) عبارة الدرر : « أثبت » .

بلدية ، وحجّ سنة ثمان وثمانين وأخذ عن مشيخة الحرّمين . وحج غير مرة ، وكان باذلاً لكتبه لا يمنعها من سأله شيئاً منها ، سحاً في كلّ أموره مؤثراً متصدقاً ، وله إجازات عالية عامّ مولده من ابن عبد الدائم وإسماعيل بن عزّون والنجيب وابن علاق ، وحدث في أيام شيخه ابن البخاري .

ولي دار الحديث مقرئاً فيها ، وقراءة الظاهرية سنة ثلاث عشرة وسبع مئة ، وحضر المدارس ، وتفقه بالشيخ تاج الدين عبد الرحمن الفزاري ، وصحبه ، وأكثر عنه ، وسافر معه ، وجوّد القراءة على رضي الدين بن دَبّوقا^(١) ، وتفرّد ببعض مروياته . ثم تولّى مشيخة دار الحديث النورية ، ومشيخة النفيسية ، ووقف كتبه وعقاراً جيداً على الصدقات .

وقرأت أنا عليه بالرواحيّة قصيدة لابن إسرائيل^(٢) يروها عن المصنف سماعاً ، وهي في مديح سيدنا رسول الله ﷺ أولها :

غَنَّا بِاسْمِ مَنْ إِلَه سَرَاهَا

وقرأت أيضاً عليه قصيدتين ميمية ، أولها :

هي المنازلُ فانزل يُمَنِّة العَلَم

ودالية أولها :

قلْبٌ يقوم به الغرام ويقعّد

في مديح سيدنا رسول الله (ﷺ) ، نظم الضياء أبي الحسن علي بن محمد بن يوسف الخزرجي^(٣) رواها لي سماعاً عن المصنف بالإسكندرية .

(١) جعفر بن القاسم بن جعفر المقرئ ، توفي (٦٩١ هـ) ، العبر : ٣٧٢/٥ .

(٢) محمد بن سوار بن إسرائيل الشيباني (٦٧٧ هـ) ، العبر : ٣١٢/٥ .

(٣) ت ٦٨٦ هـ ، والوافي : ١٥٧/٢٢ .

وسمعت عليه وعلى الحافظ جمال الدين المزي (جزء الأربعين العوالي ، من المصافحات والموافقات والأبدال) ، تخريج ابن جعوان^(١) للقاضي دانيال^(٢) . وقرأت عليه غير ذلك ، وقرأ هو عليّ قطعة من شعري .

وكان دائم البشر لي جميل الودّ ، وكان من عقله الوافر وفضله السافر أنه يصحب المتعاضدين ، وكل منهما يعتقد صحة ودّه ، ويبتسّر إليه .

وكان العلامة تقي الدين بن تيمية يودّه ويصحبه ، والشيخ العلامة كمال الدين بن الزملكاني يصحبه ويودّه ويؤتي عليه .

وقال القاضي شهاب الدين بن فضل الله يرثيه :

تَراهم بالذي ألقاه قد علّموا	شَطَطَ الْمَزَارِ، وَبَانَ الْبَانُ وَالْعَلَمُ
لهفي عليهم وقد شَدُّوا رُكائِبهم	عن الديار ولا يُثْنِي بهم نَدم
قد [كان] يُدْنِيهم طيفاً أَلَم بنا	فالآن لا الطيف يدنيهم ولا الحلم ^(٣)
الله أكبر كم أجرى فراقهم	دَمْعاً، وَعَادَ بَنَ لَاعَادَ وَهُوَ دَم
أُمُّوا الْحِجَازَ فَمَا سَارَتْ مَطِيَّتُهُمْ	حتى استقلت دموعاً قُدِّمَتْ لَهُمْ
وَأَحْرَمُوا لِطَوَافِ الْبَيْتِ لَأَحْرَمُوا	مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ طَوْلَ الدَّهْرِ لَأَحْرَمُوا ^(٤)
زَارُوا النَّبِيَّ وَسَارُوا نَحْوَ مَوْقِفهم	حَتَّى إِذَا فَارَقُوا مَطْلُوبَهُمْ جَثُّوا
يَاسَائِرِينَ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ لَقَدْ	خَلَفْتُمْ فِي حِشَايَ النَّارِ تَضْطَرُّم
هَلْ مُنْشَدٌ فَيْكُمْ أَوْ نَاشِدٌ طَلِباً	أَضَلَّلْتُهُ وَأَذْهَمْتُ بَعْدَهُ الظُّلَم

(١) محمد بن محمد بن عباس (ت ٦٨٢ هـ) ، الوافي : ٢٠٣/١ .

(٢) في الأصل (ط) و (ق) : « ابن دانيال » ، وفي الوافي : « ضياء الدين دانيال » ، وهو دانيال بن منكلي الشافعي (ت ٦٩٦ هـ) ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل : « يثنى عليهم طيف » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) . والزيادة منها .

(٤) (ط) (ق) : « ما حرموا » .

قد كان في قاسمٍ مِنْ غَيْرِهِ عِوَضٌ
 مِنْ لَوْ أَتَى مَكَّةَ مَالَتْ أَبَاطِحُهَا
 أَقْسَمْتُ مُنْذُ زَمَانٍ مَا رَأَى أَحَدٌ
 هَذَا الَّذِي يَشَدُّ الْخِتَارَ هَجْرَتِهِ
 مَا كَانَ يَنْكُرُهُ رُكْنَ الْحَطِيمِ لَهُ
 لَهُ إِلَيْهِ وَفَادَاتٌ تَقْرَأُ بِهَا
 مُحَدَّثُ الشَّامِ صِدْقًا بَلْ مُؤَرِّخُهُ
 يَاطَالِبُ الْعِلْمِ فِي الْفَنَيْنِ مُجْتَهِدًا
 يُرَوِّى حَدِيثَ الْعَوَالِي عَنْ بَرَاعَتِهِ
 قَدْ كَانَ يَدَابُ فِي نَفْعِ الْأَنْامِ وَلَا
 وَحَقَّقَ النِّقْدَ حَتَّى بَانَ بِهَرَجَةٍ
 وَعَرَّفَ النَّاسَ كَيْفَ الطَّرِيقَ أَجْمَعَهَا
 وَعَرَّفَ النَّاسَ فِي التَّارِيخِ مَا جَهِلُوا
 يُرِيكَ تَارِيخَهُ مَهْمَا أُرِدْتَ بِهِ
 مَا فَاتَهُ فِيهِ ذُو ذِكْرٍ أَخْلَبَ بِهِ
 إِذَا نَشَرْتَ لَهُ جِزَاءً لَتَقْرَأَهُ
 يَا أَيُّهَا الْمَوْتُ مَهْلًا فِي تَفَرَّقِنَا
 تَجِدُ فِينَا وَتَسْمَعُ فِي تَطَلُّبِنَا
 قَدْ ظَفِرْتَ بِفَرْدٍ لَا مِثْلَ لَهُ
 يَا ذَاهِبًا مَا لَنَا إِلَّا تَذَكُّرُهُ
 جَادَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْغَفَرَانِ بَارِقَةٌ

فَالْيَوْمَ لَا قَاسِمَ فِينَا وَلَا قَسَمَ
 بِهِ سُرُورًا، وَجَادَتْ أَفْقُهُمَا الدَّيْمَ
 لِقَاسِمٍ شِبْهًا فِي الْأَرْضِ لَوْ قَسَمُوا
 «وَالْبَيْتَ يَعْرِفُهُ وَالْحِلَّ وَالْحَرَمَ»^(١)
 لَوْ أَخَّرَ الْعَمْرُ حَتَّى جَاءَ يَسْتَسْلِمُ
 جِبَالُ مَكَّةَ وَالْبَطْحَاءُ وَالْأَكْمُ
 جَرَى بِهَذَا وَذَا فِيمَا مَضَى الْقَلَمُ
 فِي ذَا وَهَذَا يَنَادِي الْمُفْرَدُ الْعِلْمُ
 وَمَالَهُ طَاعِنٌ فِيهَا وَمَتَّهِمُ
 يَرُدُّهُ ضَجَرٌ مِنْهُ وَلَا سَامَ
 وَصَحَّحَ النَّقْلَ حَتَّى مَابَهُ سَقَمُ
 إِلَى النَّبِيِّ فَمَا حَارُوا وَلَا وَهَمُوا
 وَبَعْضُ مَا جَهِلُوا أَضَعَفَ مَا عَمِلُوا
 كَأَنَّ تَارِيخَهُ الْآفَاقُ وَالْأُمَمُ
 وَلَوْ يَرُومُ لِعَادَاتٍ عَادَ أَوْ إِرَامَ^(٢)
 تَظَلَّ تَنْشُرُ أَقْوَامًا وَهُمْ رَمَمُ
 شَتَّتْ شَمَلَ الْعَالِي وَهُوَ مُنْتَظَمُ
 اصْبُرْ سِنَاتِيكَ لَا تَسْعَى بِنَا قَدَمُ
 وَإِنْ أُرِدْتَ لَهُ مِثْلًا فَأَيْنَ هُمُ
 أَهَاءَ عَلَيْكَ وَآةَ كُلِّهَا أَلَمُ
 غَرَاءُ يَضُكُّ فِيهَا الْبَارِدُ الشِّمُ

(١) ضَمَّنَ عَجَزَ بَيْتٍ مِنْ قَصِيدَةِ الْفَرَزْدَقِ الْمَشْهُورَةِ فِي مَدْحِ زَيْنِ الْعَادِي بْنِ عَلِيٍّ .

(٢) (ط) : « مَا فَاتَهُ » .

تُرَوِّي ثَرَاكَ وَتُسْقَى مِنْ جَوَانِبِهِ
وَحَلَّ أَرْضَ خُلَيْصٍ كُلِّ رِيحٍ صَبَا
وَحَيَّمَتْ دُونَ عُسْفَانٍ لَهَا سُحْبَةٌ
لُفِي عَلَيْكَ لِتَحْرِيرِ بَلْعَتَ بِهِ
مَا الْحَافِظُ السَّلَفِيِّ الطُّهْرِ إِنْ ذَكَرْتَ
قَطَعْتَ عُمْرَكَ فِي قَرْضٍ وَفِي سَنٍ
إِلَى جَوَانِبِ خُزَوَى الْبَانِ وَالسَّلْمِ
بَنَشْرِهِمَا تَبْعُثُ الْأُرْدُنَّ وَاللَّهْمِ
تَسْقَى بِأَنْوَاهَا السَّكَاةَ وَالْخَيْمِ
مَا لَيْسَ تَبْلُغُهُ أَوْ بَعْضُ الْمَهْمِ
أَسْلَافَكَ الْعَزَّ وَالْآثَارَ وَالْكَرَمِ
هَذَا الْغَنِيَّةُ وَالْأَعْمَارُ تَغْتَمُ

١٣٥٣ - أبو القاسم بن الأجل*

الصاحب جلال الدين .

أول ما علمته من حاله أنه كان من جملة كتاب حلب ، فلما كان في أيام الأمير علاء الدين أيدغش أمير آخور نائب دمشق في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، حَضَرَ عَلَى الْبَرِيدِ مِنْ مِصْرَ عَلَى يَدِهِ مَرْسُومٌ شَرِيفٌ بِأَنْ يَكُونَ مُسْتَوْفِيًا بِدِمَشْقَ ، فَمَا مَكَنَّهِ وَرَدَّةً رَدًّا قَبِيحًا . وَلَمَّا مَاتَ أَيْدِغَشُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَادَ بَعْدَ ذَلِكَ وَبَاشَرَ الْإِسْتِيفَاءَ بِدِمَشْقَ مَدَّةً .

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ تَوَجَّهَ إِلَى مِصْرَ بِحَسَابِ دِمَشْقَ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِئَةٍ ، أَوْ أَوَائِلَ سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ .

وَرَأَى عَلَى أَنَّهُ يُصْلِحُ حَالِ مَعَامِلَةِ دِمَشْقَ ، فَعَادَ مِنْهَا وَقَدْ تَوَلَّى نَظَرَ النِّظَارِ بِدِمَشْقَ عَوْضًا عَنِ الصَّاحِبِ شَمْسِ الدِّينِ بْنِ التَّاجِ إِسْحَاقَ ، فَمَا هَانَ ذَلِكَ عَلَى الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ أَرْغُونَ شَاهٍ .

واستمر به وهو منكّر الوجه عليه ، فضاقت عينه لذلك ، ولم يَقم إلا قليلاً ، وطلب الإعفاء من المباشرة . فكتب أرغون شاه بذلك ، وطلب عودَ الصاحب شمس الدين بن التاج إسحاق ، فأعيد .

واستمر الصاحب جلال الدين على نظر الحَرَمَيْنِ القدس الشريف وحرم الخليل عليه السلام ، عوضاً عن الصاحب شمس الدين ، وأقام على ذلك مدة ثم توجه إلى مصر وأقام مدّة . وحضر صحبة ركاب [الملك] ^(١) الصالح صالح إلى دمشق في واقعة بيبغاروس ، وعاد صحبة الركاب إلى مصر ، وحنا عليه الأمير عز الدين طقطاي الدوادار ، وبقي يذكّر به الأمير سيف الدين شيخو ، وتوجه صحبة شيخو إلى الصعيد ، ورأى تلك الأحوال وما بذله شيخو [من السيف] ^(٢) في أهل الصعيد ، وعاد ، ثم إنه ولي ^(٣) استيفاء الصحبة بالقاهرة ، وحضر هو والأمير سيف الدين جرجي إلى دمشق ، بسبب ديوان المهمّات ، وتذكّره على يده في حال معاملة دمشق .

ثم إنه عاد إلى مصر وأقام إلى أن انفصل من الاستيفاء ، وأقام بمصر بطّالاً إلى أن استخدم قبل موته بأشهر قلائل في نظر الخزانة البرّانية فيما أظن إلى أن توفي رحمه الله تعالى في طاعون مصر سنة أربع وستين وسبع مئة .

١٣٥٤ - أبو القاسم بن عثمان*

الأمير صفى الدين البصروي الحنفي ، أخو الأمير نجم الدين محمد البصروي ، ابن أخي قاضي القضاة صدر الدين الحنفي ، وسيأتي ذكر أخيه في مكانه من المحمّدين إن شاء الله تعالى .

(١) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٢) زيادة من (ط) ، و (ق) .

(٣) (ط) و (ق) : « تولى » .

* الدرر : ٢٦٠/٢ ، والذيل التام : ١٦٨ .

كان فقيهاً فاضلاً في مذهبه ، ناهلاً ما صفا من الفضائل في مشربه ، ودرس ببصرى زماناً ، وكان على ما يعانيه من ذلك مُعاناً .

وله إقطاع في الحلقة يأكله ، ويتخذ من العلم ما يشاكله ، يلبس القباء والعمة المدوّرة ، ويُبْرَزُ بذلك في صورة مركبة بين الأمراء والعلماء مصوّره ، ثم إنه أُعطي الطبلخاناه ، وانسلخ من ذلك الزي الذي عاناه .

ولم يزل على حاله إلى أن كدّر بالموت ^(٢) صفاؤه ، وحان بالوفاء وفأؤه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في أواخر سنة تسع وخمسين وسبع مئة أو أوائل سنة ستين وسبع مئة ، وكان من أبناء الستين تقريباً .

كان لأخيه الأمير نجم الدين على السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون خِدمٌ يرهاها له لما كان بالكرك ، ولما مات نجم الدين رعى حق أخيه ، وأعطاه إمرة عشرة - فيما أظن - مضافاً لما بيده من تدريس المدرسة ببصرى ، فلبس قباء وعمامة مدوّرة ويتوجه كلّ قليل إلى باب السلطان بالخيول المثمنة الجيدة العربية .

ولما كان بعد موت الأمير تنكز - رحمه الله تعالى - ألزمه السلطان بلبس الكلوتة ، ثم أُعطي طبلخاناه ، وكانت جيّدة .

ولما ورد الأمير سيف الدين أرغون شاه إلى دمشق نائباً أخذه الأفرم منه وجهزه إلى حلب على إمرة غيرها ، فلما قتل أرغون شاه عاد الأمير صفى الدين إلى دمشق على حاله .

وتولى نابلس فعمل الولاية على أتم ما يكون من الأمانة وللهابة والحُرمة ، وأقام بها قليلاً وسأل الإقالة منها ، فأجيب إلى ذلك .

(١) (ط) : « كدّر الموت » ، وفي (ق) : « كدّر الحيام » .

وتولّى نظر الحرمين القدس والخليل عليه السلام ، وعمله على أتمّ ما يكون وذلك في آخر عمره ، وفيه توفي - رحمه الله تعالى .

وكان له نظمٌ متوسّط - رحمه الله تعالى - ، وقد تقدم ذكر أخيه فخرية أم يوسف في حرف الفاء مكانه .

١٣٥٥ - القاسم بن مظفر بن محمود*

ابن تاج الأمناء أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن عساكر .

الشيخ الجليل الطبيب المُعَمَّر مُسند الشام بهاء الدين أبو محمد الدمشقي .

له حضور في سنة مولده على مشهور النيرباني ، وحضر في الثانية^(١) على كريمة القرشيّة ، وحضر في الثالثة على سيف الدولة بن غسان^(٢) ، والفخر الإربلي ، ومكرم بن أبي الصقر^(٣) ، وعم جده أبي نصر عبد الرحيم بن محمد^(٤) ، وحضر سنة اثنتين وثلاثين وست مئة على ابن المقيّر ، وسمع في سنة أربع وثلاثين من ابن اللّتي والقاضي شمس الدين بن سنّي الدولة والعز النسابة وطائفة ، وأجاز له خاصاً وعاماً ، مثل أبي الوفاء بن مندة ، وابن رُوزبه والقطيعي [وخلق]^(٥) .

وكان يعالج المرضى مُروءة ، وله من ملكه ومغلّه ووقفه شيء وافر . وخدم في ديوان الخزانة مُدّة ، ثم ترك ذلك وكبر وارتعش خطّه .

خرّج له المفيد ناصر الدين بن الصيرفي^(٦) (معجماً) حافلاً في سبع مجلدات ،

* الوافي : ١٦٨/٢٤ ، والبداية والنهاية : ١٠٨/١٤ ، والدرر : ٢٣٩/٣ ، والشذرات : ٦١/٦ .

(١) في الأصل و (ط) : « الثالثة » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهو الصواب .

(٢) محمد بن غسان بن غافل (ت ٦٣٢) ، السير : ٢٨١/٢٢ ، والشذرات : ١٥٥/٥ .

(٣) مكرم بن محمد بن حمزة بن أبي الصقر (ت ٦٣٥ هـ) ، المعبر : ١٤٦/٥ .

(٤) (ت ٦٣١) ، المعبر : ١٢٦/٥ .

(٥) زيادة من (ق) و (ط) والوافي .

(٦) محمد بن طغريل ، ستأتي ترجمته في موضعها .

وخرّج له شيخنا البرزالي ، والشيخ صلاح الدين العلائي ، وعمر دهرأ ، وروى الكثير ، وكان كثير المحاسن صبوراً على الطلبة .

قال شيخنا الذهبي : على تخطيط في نخلته والله أعلم بسره ، وله صدقة ووقف ، وقد جعل داره دار حديث .

توفي - رحمه الله تعالى - خامس عشري شعبان سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة تسع وعشرين وست مئة .

اللقب

☆ قاضي القضاة حسام الدين الحنفي الرومي : الحسن بن أحمد .

☆ تقي الدين الحنبلي : سليمان بن حزة .

☆ وقاضي القضاة جمال الدين الزرعي : سليمان بن عمر .

☆ قاضي بغداد الحنبلي : سليمان بن عبد الرحمن .

☆ وقاضي القضاة شرف الدين الحافظ : عبد الله بن حسن .

☆ زين الدين قاضي قضاة حلب الشافعي المعروف بابن قاضي الخليل :
عبد الله بن محمد .

☆ وقاضي القضاة الحنبلي : شرف الدين عبد الغني بن يحيى .

☆ وقاضي القضاة بصفد : شرف الدين محمد بن عثمان . ووالده : جلال الدين
عثمان بن أبي بكر .

☆ وقاضي القضاة بحلب نجم الدين خطيب جبرين : فخر الدين عثمان بن علي .

☆ وقاضي القضاة عماد الدين الطرطوسي الحنفي : علي بن أحمد .

- ☆ وقاضي القضاة الشيخ علاء الدين القُونُوي : علي بن إسماعيل .
- ☆ وقاضي القضاة نور الدين السخاويّ المالكي : علي بن عبد النصير .
- ☆ وقاضي القضاة علاء الدين بن التركّاني الحنفي : علي بن عثمان .
- ☆ وقاضي القضاة صدر الدين الحنفي : علي بن القاسم .
- ☆ وقاضي القضاة زين الدين المالكي بن مخلوف : علي بن مخلوف .
- ☆ وقاضي القضاة علاء الدين بن المنجّ الحنبلي : علي بن منجا .
- ☆ وقاضي القضاة عز الدين الحنبلي : عمر بن عبد الله .
- ☆ وقاضي القضاة إمام الدين القزويني الشافعي : عمر بن عبد الرحمن .
- ☆ وقاضي القضاة نجم الدين بن العديم : عمر بن محمد .
- ☆ وقاضي القضاة زين الدين البلفيائي : عمر بن محمّد .
- ☆ وقاضي القضاة سعد الدين الحارثي الحنبلي : مسعود بن أحمد .
- ☆ وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة : محمد بن إبراهيم .
- ☆ وقاضي القضاة ناصر الدين بن العديم : محمد بن عمر .
- ☆ وقاضي القضاة ابن المجد : محمد بن عيسى .
- ☆ وقاضي قضاة حلب ابن بهرام : محمّد بن محمّد .
- ☆ وقاضي القضاة علم الدين الإخنائي : محمد بن أبي بكر وأخوه وقاضي القضاة المالكي : محمد بن أبي بكر .
- ☆ وقاضي القضاة شرف الدين المالكي : محمد بن أبي بكر .

- ☆ وقاضي القضاة شمس الدين بن النقيب : محمد بن أبي بكر .
- ☆ وقاضي القضاة جمال الدين ابن واصل : محمد بن سالم .
- ☆ وقاضي القضاة جمال الدين الزواوي : محمد بن سليمان .
- ☆ وقاضي القضاة عز الدين الحنبلي : محمد بن سليمان .
- ☆ وقاضي القضاة جلال الدين : محمد بن عبد الرحمن .
- ☆ وقاضي قضاة حلب بدر الدين أبو اليسر : محمد بن محمد بن الصايغ . وأخوه قاضي القضاة بحلب أيضاً نور الدين محمد بن محمد بن محمد .
- ☆ وقاضي القضاة جمال الدين : يوسف بن إبراهيم بن جملة .
- ☆ قاضي نابلس فخر الدين : عثمان بن أحمد .
- ☆ قاضي فوه شمس الدين : علي بن محمد .
- ☆ ابن قاضي شهبة كمال الدين : عبد الوهاب .
- ☆ قاضي شهبة نجم الدين : عمر بن عبد الوهاب .
- ☆ قاضي غزة : عمر بن محمد .
- ☆ القاضي أخوين : محمد بن محمد .
- ☆ قاضي ملطية : محمد بن محمد بن علي .
- ☆ قاضي تونس : إبراهيم بن الحسن .
- ☆ ابن قاضي الحصن : إبراهيم بن علي .
- ☆ قاضي الرحبة نجم الدين : إسحاق بن إسماعيل .

١٣٥٦ - القاسم بن يوسف بن محمد بن علي*

الإمام المحدث الرّحال علم الدين التّجبي السّبي .

قال شيخنا الذهبي : حجّ وقبم علينا ، وسمع من ابن القّواس ، والشرف بن عساكر وطائفة .

قال : وانتقيت له مئة حديث من مئة شيخ . ثم إنه سمع بمصر وبالشّعر من الغرّافي ، وبالمغرب ، ونسخ وقرأ وحصل أصولاً ، وله فضيلة جيّدة ، تأخّر وحدّث وروى عنه الوادي آشي .

قال : وسمعتة يقول : أحاديث بقيّة^(١) ليست نقيه ، فكن منها على تقيّه .

وُلد في حدود السبعين وست مئة .

قال : وأظنه بقي إلى نحو الثلاثين وسبع مئة .

اللقب والنسب

☆ ابن القاهر : علي بن عبد الملك .

☆ القبّابي : نجم الدين عبد الرحمن بن الحسن .

☆ القبّاري : الشيخ أحمد .

١٣٥٧ - قبجق**

الأمير الكبير سيف الدين نائب دمشق وحماة وحلب .

* الوافي : ١٧٣/٢٤ ، والدرر : ٢٤٠/٣ .

(١) بقية بن الوليد الكلاعي ضعه المحدثون (ت ١٩٧) ، السير : ٤٥٥/٨ .

** السوافي : ١٧٨/٢٤ ، وتحفة ذوي الألباب : ١٩٥/٢ ، والعبر : ٣٨٦/٥ ، والدرر : ٢٤١/٣ ، وإعلام الوری : ١٠ .

وكان من فرسان الإسلام ، وأبطاله^(١) الشجعان الأعلام ، لا يُرام ولا يُرامى ، ولا يُسام في تدبير ولا يُسامى ، بَرَز في جَوْدَةِ الرمي بالنشّاب ، واللعب بالرمح على ظهور المُطَمَّهَةِ العِراب .

وأما عَقْلُهُ ودهاؤُهُ وحزمه وانتخاؤُهُ ، فانفرد بافتراع دُرُوتِهِ ، وإحكام عُرُوتِهِ ، يَظُنُّ بالشَّيء قبل وقوعه ما آل إليه ، ويتخيَّل المقادير فتشال عليه ، وكان فصيحاً في اللغة المُعْلِيَّة ، مُجيداً في كتابتها كما تُجيدُهُ كُتَّابُ العريِّيه .

وكان لا يكاد الصَّيد يخرج من بين يديه سليماً ، ولا يعبأ هو به أكان ظلياً أو ظلياً ، لكنه اضطر في الدخول إلى بلاد التتار ، والتجاهر بالخروج منها دون الاستتار . ولكنه شَعَبَ ما صَدَعَ ، ودَمَل ما جَذَعَ . فكان في عداد التتار وهو مع الإسلام ، وفي ظاهر الأمر بينهم ، وهو في الباطن^(٢) تحت الأعلام . وداراهم إلى أن عادوا ، وبَدَّهَمُ بدهائِهِ إلى أن بادوا^(٣) .

ولم يزل بعد ذلك يتقلب في النيابات ، ويشفي غَلَّةَ سيوفه من التتار في المصافَّات إلى أن جاءه المصرع القاسر ، واختطفه^(٤) عقبان المنية الكواسر .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بحلب وهو نائبها في أواخر جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة ، ونقل إلى حماة ودفن في تربتة المشهورة بها .

لما كان في بيت المنصور قلاوون كان مؤاخياً للأمير حسام الدين لاجين لا يكاد أحدهما يصبر عن الآخر إلى أن انعكس ذلك ، على ماسياتي ذكره .

وما زال الأمير سيف الدين قبجق مقدماً في البيت المنصوريّ ، رأساً من رؤوس

(١) في الأصل : « وأبطال » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « الظاهر » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « عادوا » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٤) في (ط) ، (ق) : « واختطفته » .

بماليكه ، وتأمّر وأستاذه^(١) ما يثق به ولا يركن^(٢) إليه ، ولا يزال ينتظر منه بادرة ، فلا يُخرجه معه إلى حروب الشام ، ولا تجاريدته خوفاً منه لئلا يهرب .

قال لي القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله : حكى بلبان الطُّشلاقي مملوك الصالح علي ، قال : ركب المنصور يوماً إلى قبة النصر في جماعة من خوُشدا شيتته الأمراء الصالحية ، ونزلوا هناك في صواوين خفاف ، فأكلوا وانشرحوا ، وقام كل أمير إلى صيوانه ، فأتى المنصورُ بعدة خراف رُمسانَ بَدَارِيَّة ، فقلّبها ثم إنه تخيّر له منها خروفاً من أصحابها أعضاء ، وفرق البقية ، ثم بعث إلى كل أمير بخروف منها . وقال : ليقم كل واحد يذبح خروفه بيده ويشويه بيده مثلاً نعمل في بلادنا ، وأنا في الأول . ثم قام فذبح خروفه الذي اختاره وسلخه بيده ، وأمر بنارٍ فأوقدت ، ثم شَواه بيده ، ولما انتهت طلب الأمراء ليأكلوا معه ، ثم أخذ منه^(٣) الكتف اليمين ، فأكل لحمه ، ولما فرغ لحمه جرّده إلى أن أنقاه^(٤) ، ثم إنه تركه قليلاً إلى أن جف ، ثم قام وجعل يلّوحه على النار برفق ، ثم نظر إليه وأطال فيه التأمّل ، ثم تفلّ عليه وسبّه ، فألقاه من يده ، وكان يجيد معرفة النظر في الكتف فلم يجسر أحد من الأمراء^(٥) على سؤاله عما رأى فيه ، فندسوا عليه أميراً سَمَاه الطشلاقي ، قال القاضي شهاب الدين : أظنه يئسري ، فازحّه ، وقال له : يا خوند أي شيء رأيت في الكتف . فقال : والله حاشاك^(٦) ، [قال]^(٧) عن هذا الصبيّ قبحق ، وهذا الصبيّ عبد الله [عن]^(٨) مملوك آخر [كان]^(٩) عنده^(١٠) من

(١) في الأصل : « وتأمّر أستاذة » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) ، وعبارة الوافي : « وتأمّر وأستاذة » .

(٢) في الوافي : « ولا يسكن » .

(٣) (ط) و (ق) والوافي : « هو منه » .

(٤) في الوافي : « تقاه » .

(٥) في الأصل : « من أحد الأمراء » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) والوافي .

(٦) في الأصل و (ط) : « فقال حاشاك » وفي (ق) : « فقال والله قال حاشاك » . وأثبتنا ما في الوافي .

(٧) زيادة من الوافي .

(٨) زيادة من الوافي .

(٩) زيادة من الوافي .

(١٠) في الأصل : « هذه » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) ، والوافي .

الْمُكْتَسِبِينَ أَيْضاً لَا تَخْرِجْهُمْ مَعَكَ إِلَى الشَّامِ ، فَهَؤُلَاءِ مَتَى صَارُوا^(١) فِي الشَّامِ هَرَبُوا وَعَمَلُوا فِتْنَةً . فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَتَقَدَّمَ مَوْتَهُ ، وَأَمَّا قَبْجَقُ ، فَلَمَّا صَارَ نَائِبَ الشَّامِ هَرَبَ وَأَقَى بِالْتَّارِ .

وَقَالَ : قَالَ وَالِدِي : إِنْ الشَّجْعَاعِي ، قَالَ مَرَّةً ، وَقَدْ جَاءَ كِتَابٌ مِنْ قَبْجَقٍ : هَذَا قَنِينَةٌ تُهَنِّئُكَ بِوَرْدٍ مَخْبُوءٍ لِكُلِّ يَوْمٍ مَشْؤُومٍ .

وَلَمْ يَزَلْ مُقَدِّمًا فِي بَيْتِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ وَهُوَ مُؤَخَّرٌ إِلَى أَنْ مَاتَ الْمَنْصُورُ ، وَهُوَ مُؤَخَّرٌ^(٢) .

وَلَمَّا مَلَكَ وَلَدُهُ الْأَشْرَفُ أَجَلُهُ وَنَوَّهَ بِقَدْرِهِ ، وَكَانَ مِنْ أَقْرَبِ الْمُقْرِبِينَ إِلَيْهِ ، وَرَبَّمَا اسْتَشَارَهُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ .

وَلَمَّا قَتَلَ الْأَشْرَفُ ، وَمَلَكَ كَتَبْغَا لَمْ يَبْقَ لِحَاشِيَتِهِ دَأْبٌ إِلَّا لِأَجِينٍ وَقَبْجَقٍ ، وَتَقَصَّدَ قَبْجَقُ قَصَّ جَنَاحِ لَاجِينَ حَتَّى اتَّفَقَا وَطَرَدَا كَتَبْغَا ، وَمَلَكَ لَاجِينَ ، وَخَيَّرَ قَبْجَقُ بَيْنَ نِيَابَةِ الشَّامِ وَنِيَابَةِ مِصْرَ ، فَاخْتَارَ الشَّامَ ، فَجَاءَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ مَالِكُهَا ، وَوَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ يَوْمَ السَّبْتِ سَادِسَ عَشْرِ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ [سِتٍّ]^(٣) وَتَسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ .

وَوَضَعَ مِنْ تَعْظِيمِ لَاجِينَ لَهُ أَنْ كَتَبَ إِلَيْهِ « بِالْجَنَابِ الْعَالِي » ، وَكَانَ يَكْتُبُ إِلَيْهِ : « الْمَمْلُوكِ » ، فَاسْتَعْفَى ، فَقِيلَ لَهُ : أَنْتَ تَعْرِفُ مَكَانَتَكَ وَنَحْنُ نَعْرِفُ مَكَانَتَكَ .

ثُمَّ إِنَّ لَاجِينَ وَلَّى جَاغَانَ ، الْمَقْدَمَ ذِكْرُهُ ، أَحَدَ مَمَالِيكِهِ شَدَّ الدَّوَاوِينَ بِالشَّامِ ، وَكَانَ جَاغَانٌ مُدِلًّا عَلَى أَسَاتِذِهِ ، فَعَمِلَ الْوُظَيْفَةَ عَلَى قَاعِدَةٍ ضَاقَ مِنْهَا قَبْجَقُ وَانْخَصَرَ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « صَارَ » ، وَأَبْتَنَّا مَا فِي (ط) وَ (ق) ، وَالْوَاقِي .

(٢) الْعِبَارَةُ مُضْطَرِبَةٌ ، وَفِي الْوَاقِي : « وَلَمْ يَزَلْ مَعَ تَقَدُّمِهِ فِي الْبَيْتِ الْمَنْصُورِيِّ مُؤَخَّرًا عِنْدَ السُّلْطَانِ حَتَّى مَاتَ » .

(٣) زِيَادَةٌ مِنْ (ط) وَ (ق) وَالْوَاقِي .

وكانت مراسيم قبجق تردّ عليه ، فمنها ما يرده ، ومنها ما يؤقّفه على المشاهدة ، فنشأت بينها منافسة ، وبقي جاغان يكتب في حقّه بما يغيّر بينه وبين السلطان من المودة التي [أنفقوا]^(١) فيها الأعمار ، حتى اشتد تخيل لاجين منه ، وبعث إلى أقوش الأفرم ، وهو ابن خالة لاجين ، يقول له : تجعل بالك من قبجق ، وتعرفنا بأخباره ، فطمع في النيابة ، وكتب بما يزكي أخبار جاغان وأقواله .

واشتد نفار قبجق [وهمّ بالأفرام ، فجاء الأفرم البريد بطّلبيه إلى مصر ، ورسم لجاغان بسلوك الأدب مع قبجق]^(٢) ولا يرده له أمراً ، ولا ينقل قدماء عن قدم إلاّ بأمره ، فأظهر قبجق الرضا ، وأسرّ ما أسرّ .

ثم [إنّ]^(٣) الأخبار تواترت بقصد التتار أطراف الشام ، فجرّدت^(٤) العساكر المصرية والشامية ، ورسم لقبجق بالخروج ، وأن يكون مقدماً عليهم ، فخرج إلى حمص وعرض عرضاً ما رأى قبله مثله ﴿ وَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾^(٥) وعليه قباء مزركش بالذهب مرصع بالجواهر^(٦) ، وكذلك سربّه يبهّر العيون ، وعليه كلوته كذلك ، وفي وسطه كاشّ ملبس بالذهب مرصّع بالجواهر ، وكذلك سرجه وكنفوشه ولجامه .

ونزل بمحمص وخيم عليها ، فقال منكوتمر لاجين : ما قصرّت سلطنت قبجق وبعثت معه الجيوش والأمراء ، وقعدت أنت وحدك برقبتك ، ونذمه .

(١) زيادة من (ق) والوافي .

(٢) زيادة من (ق) و (ط) والوافي .

(٣) زيادة من (ط) و (ق) .

(٤) في الأصل : « فجرت » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) .

(٥) القصص : ٧٩/٢٨ .

(٦) زاد في الأصل مانصّه : « وكذلك سرجه وكنفوشه بالذهب مرصع بالجواهر » ، وقد خلت منه (ط)

و (ق) ، وكذلك الوافي ، ثم إنّ هذا الكلام سيتكرر في معناه بعد قليل .

وكان هذا دأب منكوتر يوحش بين لاجين وبين الأمراء ، ويتقصّد إبادتهم ، فشرع لاجين في العمل على إمساك من قدر عليهم منهم ، واغتيال من لا يقدر على إمساكه ، ونَدَب لهذا صلغاي بن حمدان ، وكان خوؤناً تماماً غربال أصرار .

ولما جاء قبجق وحَدَّثه وكان والدي حاضراً^(١) ، قال : فقال له : السلطان يُسَلِّمُ عليك ، ويقول لك : قد حَصَلَ القصد بالقاء السمعة والمهابة ، وما بقي للتتار حركة ، وأنا قد بعثني أردّة العساكر المصرية من حلب والأمير يرجع إلى دمشق .

فقال له قبجق : لَمَّا قال لك السلطان هذا ، كان منكوتر حاضراً عنده ؟ قال : وإلا فأين يغيب ذاك . قال والدي : تفهَمْتَ^(٢) بها خيانة ابن حمدان .

ثم إن ابن حمدان قطع الكلام ، وقال : يا خوند أنا جيعان^(٣) وقد اشتهيت كركياً يُشَوَّى لي . فقال : هاهنا كركي مشوي هاتوه ، فأتوا به وأنا قاعد ، فلما أتى به ، قال ابن حمدان : لا يقطع لي أحد ، أنا أقطع لنفسي ، ثم إنه أخرج سيخاً كان معه ، وجعل يقطع برأسه ، ويأكل ، ثم قطع بسفل ذلك السيخ وقَدَّمه لقبجق ، وقال له : أنا قد قطعتُ لك وأنت إن اشتهيت تأكل ، وإن اشتهيت لا تأكل ، ففهم قبجق أنه قد سَمَّ له ما قطعه له ، وغضب وأربدَّ وجهه واسودَّ وظهر عليه ما لا يخفى من الأذى ، ثم قال : أنا ما أكل شيئاً .

قال والدي : ففهمت من عنده ، وشرع قبجق فيما هم فيه ، وهم بما هم به .

ثم سافر ابن حمدان إلى جهة حلب وكان من الأمراء الذين بها ما كان ، وركب بكثر السلاح دار وألبكي نائب صفد ، عائدين إلى حمص^(٤) حتى أتيا قبجق وشكيا إليه ما كان أريد بها مجلب ، فشكا هو إليهما ما أريد به بمحمص ، وأجمعوا على الرأي .

(١) في الأصل : « وحَدَّثه قال : وكان حاضراً » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والوافي .

(٢) في الوافي و (ق) : « تفهَمْتَ » .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) في الأصل : « صفد » ، وأثبتنا ما في (ق) و (ط) والوافي .

وأراد قبجق تخليف الأمراء له ، وطلب من شهاب الدين بن غانم ليتولى له ذلك ، فعمل نسخة بالتخليف ، فلما حضر ليحلف . قال له أمراء الشام : أين كاتب السر ، فقالوا : هو بعث هذا .

فقال الطواشي ، وكان رأس المينة وكبير الأمراء والملك الأوحى بن الزاهر ما تخلف إلا إن حلفنا كاتب السر ، فإنه أخبر بالعادة .

قال والدي : فَطُلِبْتُ ، وأُعطيتُ نسخة التخليف ، فوجدتها مجردة لقبجق .

فقلت : ما جرت بهذا عادة ، ثم أخذت القلم وأضفت فيها اسم السلطان ولزوم طاعته ، وجماعته ، فحلفوا على هذا .

وتنكر لي قبجق ، قال : فلما رأى قبجق أن الأمر ما يتم له ، لاختلاف الأمراء عليه ، أعمل الرأي في الهرب ، قال : حكى لي الغرسي^(١) الحاجب ، قال : جئت إلى قبجق في الليلة التي أراد الركوب فيها للهرب ، وأخذت في لومه وعذله ، وقلت له : يا خوند بعد الحج إلى بيت الله الحرام وقطع هذا العمر في الإسلام ، وأمير علي تَرَوَح^(٢) إلى بلاد العدو ؟ فقال : يا حاج ، أنا كنت أعتقد أن لك عقلاً ، الروح ما يعد لها شيء ، وأما الإسلام فأنا مسلم أينما كنت ، ولو كنت في قبرس . وأما الحج فكل سنة يحج من الشرق قدر من يحج من عندكم مرات ، وأما أمير علي ، فأني امرأة بصقت فيها جاء منها أمير علي وأمير إبراهيم وأمير خليل .

ثم قال : هاتوا ما نأكل ، فجاؤوا بزبدية خشب فيها لحم يخني ، فأخذ منه قطعة وحطها على قباء كنجي زيتي عليه ، وشرع يقطع منها ويأكل ، ويفني بالتتري ، يريني بذلك أنه قد دخل في زي التتار ، وعيشهم .

(١) في الوافي : « الغرسي » .

(٢) في الأصل : « روح » ، وأثبتنا ما في (ق) و (ط) والوافي .

ثم هرب وأمسك نائب حمص معه . فقال : يا خوند أيش هو ذنبي . فقال : مالك ذنب ، وإنما أخذتك معي حتى تفرّق هؤلاء الحّيال ، يعني ^(١) جند حمص ثم إنه أطلقه بعد ذلك .

وبعد هربه بيومين ثلاثة - قلتُ أنا : الصحيح بعد أسبوع وأكثر - جاءت الأخبار بقتل السلطان لاجين وذبج مملوكه منكوتر ، فجّهز إليه البريدي الذي وصل بهذا الخبر ، وهو علاء الدين الديسي ، فلحقه وأخبره ، فما صدقه ، وهمّ بقتله ، ثم تركه ورّده ، واستمر قبجق حتى وصل إلى أردو القان غازان ، فقبل وفادته ، ولم يجد لديه طائل إكرام .

قال : وحكى لي شرف الدين راشد كاتب بكثر السلاح دار ، قال : إن غازان رتبّ له راتباً لا يليق بمثله ، ثم إن غازان حشد للصيد وجمع حلقةً ما رُئي مثلها ، وضمت ما لا يحصى من الوحش .

وقال لأمرائه ^(٢) : حتى نبصر هؤلاء إن كانوا أجبّةً أولاً ، فظن ^(٣) أنه يفضّحهم . ثم قالوا لقبجق : يا قبجق نحن قد شعبنا ^(٤) ، وإنّا علمناه ضيافة لكم ، فنزل قبجق ، وضرب له جوكا ، ثم قال : بسعادة القان تنصيّد ، فعبرت بهم حرّ وحشيّة ، فأمر غازان بالرمي عليها .

فقال قبجق : أيش يشتهي القان يأكل لحمه من هذه الحمير . فقال له : هذا وهذا ، وأشار إلى اثنين منها أو ثلاثة أو أكثر ، فساق قبجق وصهرّ له عليها ، واتفقا على الرمي على مكان منهما .

(١) في الوافي : « عن » .

(٢) في الأصل : « لأمراته » ، وأثبتنا ما في (ق) و (ط) والوافي .

(٣) في الوافي : « وكان يظنّ » .

(٤) عبارة الوافي : « نحن شبايعي صيد » .

ثم حاذياها ورميا عليها ، فلم يخطئ المكان حتى تلاقى نشابها وتقاصف . وهكذا في كل رماياهم ، ثم إنها حملها حتى رمياها بين يدي غازان . فلما رأى رميها المتوارد على مكان واحد في كل رمية زاد توقيرهم في صدره ، وقال إلي قبجق بك ، ثم ألبسه قبعاً^(١) كان على رأسه ، وألبس صهره بكلاً^(٢) كان عليه ، ثم أصفى إلى كلامهم ، فحدثوه في أمر^(٣) الشام ، واتفق أن الملك المظفر صاحب ماردین كان قد تحدث في هذه الإغارة التي شملت بلاده ، فخرج بهم غازان حتى أتى بلاد حمص ، وكان الملك قد آل إلى الملك الناصر ، وقد خرج إلى الملتقى .

قال : فحكى لي والدي قال : قال لي قبجق بعد عودِهِ لما تلاقينا : نحن وأنتم تَتَغَنَّ جيشنا ، فهمّ غازان بالرجوع ، وطلبني ليضرب عنقي قبل أن نرجع لكون خروجه كان برأيي ، ففطنت لذلك فلما صرت بين يديه قال : أيش هذا ؟ فضربت له جوكا ، ثم قلت له : أنا أخبر بأصحابنا ، وهم لهم قرْد حلة ، فالقان يصبر ، ويُبْصِر كيف ما يبقى قدامه منهم أحد ، وكان الأمر كما قلت ، وخلصت من يده ، فلما انكسرتم^(٤) أراد أن يسوق عليكم ، فعلمت أنه متى فعل ذلك لم يبق منكم أحد ، فقلت له : القان يَصْبِر فإن هؤلاء أصحابنا أخباث ، وربما يكون لهم كمين ، ، وقد انهزموا مكيدة حتى نسوق خلفهم فيردّوا علينا ، ويطلع الكمين وراءنا ، فوقف حتى أبعدتم عنا ، فلولا أنا ما قتل منكم أحد ، ولولا أنا ما بقي منكم أحد .

ولما جاء غازان ونزل بتل راهط ، جعل الحكم لقبجق بدمشق ، وكان فيه مغلوباً مع التتار لا يسمعون منه ، وعلى هذا ، فكان يداري ويدافع عن المسلمين بجهده ويباطن أرجواش في عدم تسليم القلعة .

(١) في الوافي : « تبعاً » .

(٢) في الوافي : « تكلأ » .

(٣) في الوافي : « في أخذ » .

(٤) في الوافي : « انكسر ثم » .

ولما عزم غازان على العود ، جعل إليه نيابة الشام ، وليكثر السلاح دار نيابة حلب ، ولألبكي نيابة السواحل كلها .

قال : ووقفت على نسخ تقاليد كتبت لهم على مصطلح ملوكنا ، كتبت بخط جمال الدين بن المكرم ، وكتب لقبجق فيها « الجناب العالي » ، وجعل زكريا بن الجلال وزيراً بالشام وحلب والسواحل عامة ^(١) يتحدث في الأموال ، وترك بولاي من عسكر التتار ، ليكون ردءاً لهؤلاء النواب إلى أن يستخدموا لهم جنداً .

ثم لما بنت ببولاي الدار ، شرع يرأسل المصريين ، وجهز صاحب عز الدين بن القلانسي والشریف زين الدين رسلاً منه إليهم ، واستعان بكتب كتبها محمد بن عيسى ، إلى الأمراء بسببه .

فأما سلاّر فلان له جانبه . وأما الجاشكير فخشن عليها ، ثم غلب عليه رأي سلاّر والأمراء الكبار . وقالوا : لو لم يكن إلا لأجل محمد بن عيسى ، فإنه بالغ في أمره ، وقام معه هذا القيام الذي ما بقي معه يمكن أن يتخلى عنه ، وإن لم تؤووه أنتم آووه هم .

وأخذوا وجهاً عند غازان ، وقالوا : عملنا هذا لأجلك ، فأجمعوا على صلحه ، ثم جعلوا مقامه بالشوبك خاصة مماليكه على رزق جيد ^(٢) عيّن لهم .

ودام على هذا حتى كانت الواقعة الثانية نوبة شقحَب ، فحضر وشهد يومها بمماليكه ، وأبلى ^(٣) بلاءً حسناً لم يُبل أحدٌ بلاءه .

وسبق إلى الماء ليلكه ، فوجد عليها فوجاً من التتار ، فما زال يقاتلهم حتى

(١) في الوافي : « ولاية عامة » .

(٢) في (ق) والوافي : « جند » .

(٣) في الأصل : « وبلى » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) .

زَحْرَجْهِمْ ، وملكه . فبات للمسلمون يرتوون بالداء ، وبات التتار يصلون بنسار العطش ، وكان ذلك من أكبر أسباب النُصرة فرعي له هذا العمل .

ولما خلت حماة بعث إليها قبجق نائباً ، وكان مثل مالکها .

حكى الصاحب أمين الدين ، قال : طلبت يوماً إلى دار النياابة وسلاّر جالسٍ ويبرس إلى جانبه ، فدخلت مسرعاً لكثرة الاستعجال ، وليس معي منديل للحساب . فقال لي سلاّر : أين كارتك ، يعني مزرة الحساب ، فقلت : هي مع العبد ، فأمر بها ، فأحضرت .

فقال : اكشف أي شيء مضمون التذكرة التي كُتبت على حماة ، قال : فكشفتها ، وكانت قد كتبت تذكرة على حماة ، وكتب فيها إلى قبجق فالجناب العالي^(١) يتقدم بكذا ، والجناب العالي يفعل كذا .

فقال لي : يا سبحان الله نسيت ما عمله قبجق أمس ها تريد^(٢) تغيظه ، حتى يعمل النوبة أنحس من النوبة الأولى ، هو طلع رقاصاً عندكم ، حتى تقولوا له : اعمل كذا ، اعمل كذا ما يقنعكم ، أنه قنع بحماة ويسكت عنكم ، ثم أخرج كتاباً جاء منه ، وهو يقول فيه بين أسطره : لا إله إلا الله ، ياخوند ياخوشدش صرت مشدّ جهةٍ عند الكتاب والدواوين أو والي بلد ، إن كان هذا بمرسومك ، فحاشاك منه ، والموت أهون من هذا ، وإن كان بمرسوم الدواوين ، فتريد تعرف أن الدنيا سائبة وأنت تعرف أيش يترتب على هذا .

قال : فقمتم والله ما أبصر الطريق ، فلما كنت في الدهليز لحقني تقيبّ فردّني ،

(١) في الوافي : « العالي السيفي » .

(٢) عبارة الوافي : « ما عمله قبجق ، أيش هذا ، تريد » .

فلما رأي ، قال : لا تعودوا تذكرون حماة ، واحسبوا أنها ماهي ^(١) في الدنيا ، قال : فوالله ، ما عدنا مددنا فيها قلم .

ثم لم يزل فيها قبجق حتى جاء السلطان الملك الناصر من الكرك إلى دمشق آخر مرة تسلطن فيها ، وجاءه قبجق من حماة وأسندمر من طرابلس معاً ، وكانا قد اتعدا لمثل ذلك .

وخرج السلطان للقائهما بظاهر الميدان الصغير بدمشق ، وترجل لهما وعانقهما . ولما ركب أمسك [أسندمر له] ^(٢) الركاب وعضده قبجق ، ثم توجها معه إلى مصر ، ولما استقر له الملك بمصر بعث قبجق ، وفي ظنه أنه نائب الشام . وأتى دمشق ونزل بالقصر الأبلق وهو ينتظر التقليد ، فجاءه التقليد بحلب ، فتوجه إلى حلب ، وأقام بها نائباً إلى أن مات في التاريخ المذكور ، وكان ما يحبّ إلا دمشق ، وما يمتنى سواها ، ففرقت الأيام بينها وبينه ، وعكست مراده ، وهذه عادتها القادرة ، وشيئها الغادرة .

١٣٥٨ - قبلاي الأمير سيف الدين الناصري*

ولي نيابة الكرك في الأيام الصّالحية إسماعيل لما أخذت من أخيه الناصر أحمد ، فأقام بها مدة ، ثم طُلب إلى مصر ، وأقام إلى أن ولي الحجة الصّغرى مع الأمير سيف الدين أمير حاجب أيتش الناصري ، ثم إنه ولي الحجة الكبرى ، ولم يزل على ذلك إلى أن خلع السلطان الملك الناصر حسن ، وتولى المُلْك المُلْك الصالح صالح ، فولاه نيابة السلطنة ^(٣) بالديار المصرية عوضاً عن الأمير سيف الدين بيبغاتر ، وذلك في شهر رجب الفرد سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

(١) في الأصل و (ط) : « أنا هي » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .

(٢) زيادة من (ق) و (ط) والوافي .

* الوافي: ١٨٥/٢٤ ، والدرر: ٢٤٣/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٣٢١/١٠ ، والذيل التام : ١٤٨ .

(٣) عبارة الوافي : « فولاه كفالة الملك » .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في أوائل سنة ست وخمسين وسبع مئة .

الألقاب والأنساب

☆ القبتوري : خلف بن عبد العزيز .

☆ قتال السبع : اسمه آقوش .

١٣٥٩ - قجا الأمير سيف الدين *

مشد الخاص بزُرع وإربد وطَقَس ، ومشدّ مراكز البريد بالقبليّة والشمالية ، أحد أمراء الطبليخانات بدمشق .

كان خبيراً نحريراً ، ذكياً بصيراً ، يعرف ما يَاشِرُهُ ، ويعرف الرجل قبلها يعاشره ، إلا أنه كان مُتَشَدِّداً في أموره ، متجدّداً في يقظته يخاف من نسبته إلى قصوره .

وكان لا يَمَكِّن رفيقه من الحديث ، ولا يدعه يستريب ولا يستريث ، وكان المباشرّون معه في بوتقة حَصْر ، وأبواعهم المديدة تشكو من القَصْر . لا ينخدع^(١) ولا ينصدع ، ولا يرتد عن الشدة ولا يرتدع . فكان الكتاب وغيرهم يبيتون معه بليلة السليم^(٢) ، ويصبح كلّ منهم وهو غير سليم :

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعةً بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم^(٣)

* الدرر : ٢٤٢/٣ ، والذيل التام : ١٤٨ ، وذبول العبر : ٣٠٧ .

(١) في الأصل : « ولا ينخدع » بزيادة الواو ، وأثبتنا ما في (ق) و (ط) ، (خ) .

(٢) السليم هو النبي لدغته الأفعى .

(٣) (خ) : « وإن كانوا » .

ولم يزل في جبروته يتشدد ، وفي قسوته يتبرّخ ويتبرّد ، إلى أن قصمت بالمنون
عُرى عُروره وبات وليّة في حزنه ، وعدوّه في سروره .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ليلة الأحد رابع شوال سنة ست وخسين وسبع مئة ،
وقد تعدى ^(١) الخمسين .

ومن الغريب أنه في بلاد الساحل بغزة قد توجّه للقسم وأرجف بأنه مات . وكان
ذلك في شعبان ، وأظنه بلغه الخبر ، فنجّز أشغاله ، وحضر إلى دمشق ، وأرى الناس
نفسه ومابه قلبه . ثم إنه توجّه لقبض مغلّ زرع ، فأرجف بموته ، فحضر في أخريات
رمضان وهو متوعك ، [وركب] ^(٢) وجاء لدار السعادة في ليالي العيد ، وهو يتجلّد ،
ويري أنه ممّن يخلّد ^(٣) :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كلّ تميّة لا تنفع ^(٤)
فأقام على حاله بعد ذلك ، وتوفي ساعده الله .. ^(٥) .

وأول أمره كان من جملة البريديّة ، وكان فيه حذق ومعرفة وخبرة ، فجهّزه
الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله تعالى - بمشافهة فيها قوّة وغلظة ، إلى الأمير
علاء الدين الأطنبغا نائب حلب ، فبلغه المشافهة بعبارة فجّة مؤلة ، فبقيت في قلب
الأطنبغا .

(١) (ق) و (خ) : « وكان قد تعدى » .

(٢) زيادة من (ق) و (خ) .

(٣) في الأصل : « وهو يرى » ، وأثبتنا ما في (ط) (ق) ، وعبارة (خ) : « ويّري أعداءه أنه من
يخلّد » .

(٤) لأبي ذؤيب الهذلي .

(٥) (ق) ، (ط) ، (خ) : « توفي رحمه الله وساعده » .

ولما جاء نائب الشام أراد أذاه ، فقطع خبزه^(١) وتهدّده ، وكان قجا رجلاً ، فسعى^(٢) في إصلاح أمره ، وسكنت القضية .

ولم يزل على حاله في جملة البريدية ، إلى أن جاءت واقعة بيبغاروس ، فاحتاج الأمير سيف الدين أرغون الكامل إلى المطالعة بأمره ، فكتب مطالعة ، واستنجد بالمصريين في سرعة إنجاده ، وندب سيف الدين قجا في التوجه بالمطالعة ، فتوجّه بها ، وكان ذلك مهماً كبيراً ، فجاء قجا وقد أعطي إمرة عشرة ، ثم إنه أخذ تقدمة البريدية^(٣) وأخذ في الترامي إلى الأمير سيف الدين صرغتمش ، والانتماء إليه .

فلما كان السلطان الملك الصالح صالح بدمشق أعطي طبلخاناه ، وتحدث في أمر شدّ زرع وطفس وإربد ، ثم إنّه توجه في أواخر سنة خمس وخمسين وسبع مئة [إلى مصر وأثبت]^(٤) محاضر بوقفية زرع وطفس وإربد ، وأنه هو مشدّها ، وأبطل من كان فيها مباشراً ، واستخدم غيرهم .

وزادت عظمته ووجاهته ، وتسلّطه إلى أن مات - رحمه الله تعالى - في وسط عزّه .

وكتبت له توقيعاً بتقدمة البريدية عوضاً عن ناصر الدين محمد بن القرايلي ، لما توفي إلى رحمة الله تعالى ، في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، ارتجالاً من رأس القلم وهو : « أمّا بعد حمّد الله على نعمه التي جرّدت من أولياء هذه الدولة القاهرة سيفاً ، ومنعت مجده جَنَفاً من الأيام^(٥) التي زادت خطباً وحيفاً ، وجمعت بمضائه من المصالح ما كانت الأَطْباع لا تؤمل أن تراه طيفاً ، وصلاته على سيّدنا محمد ،

(١) في الأصل : « خبه » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، (خ) .

(٢) (ق) ، (خ) : « يَسْعَى » .

(٣) في الأصل : « البرية » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٥) (خ) : « الأنام » .

وآله وصحبه الذين نصرُوا حِزْبَهُ ، وتظاهروا^(١) على قع عداه ، فحازوا من المعالي أرفع رُتبه ، وتضافروا على اتباع هداه ، فلم يكن بين الكواكب وبينهم نسبة^(٢) ، صلاةً يلاً البرَّ بريدها ، ويكثر موج البحر عديدها ، ماتقعق من البريد لجام ، وزعزع من المهمات ريح تثير السحب السَّجام ، وسلامه إلى يوم الدين .

فإنَّ أُولَى من عُذِق به أمر البريد المنصور ، وأضيفت إليه أَمْرُ التقدمة على فرسانه الذين يسبقون البروق اللامعة في الديجور ، مَن قَدُمَت خدمته في الدولة^(٣) القاهرة ، وساق في مهمَّاته الشريفة ، فشخصت لسيره ، وسَراه عيونُ النجوم الزاهره ، وقطع المسافة في وقت تُقصر عنه فيها الطيور الطائره ، كم تألَّق برق دُجْنَة فسَبَقه في شق جيب الظلام ، وأقَى في مهم فبلغ الغاية قبل وصول خبره على أجنحة الحمام .

يكاد من السرعة يأتي ، وما جفَّ ختم كتابه ، ولا ارتسم ظله على الأرض ، ولا اغتقل الخيال بركا به ، وتحمل من أسرار الملوك مشافهاتٍ لم يُيدها من القلم لسان ، وأدَّى فيها الأمانة التي لم تحملها الجبال وحملها الإنسان .

وكان المجلس السامي الأميري السيفي قُجا الصالحي ، هو هو الذي تضمنته هذه الإشارة ، ومن رَبا ذكره نفحٌ غير هذه العبارة . وعلى شخصه دلَّت هذه الأدلة ، وعليه وقع اختيار هذه الإمارة . فلذلك رُسم بالأمر العالي المولوي السلطاني الملكي الصالحي أن يرتب مقدماً على جماعة البريدية الشاميين عوضاً عن كان بها على عادة ابن الفراء ، لما كان^(٤) أمير عشرة ، لأنه نصَّل تجرَّع العدو منه الغُصَّة لما تجرد ، وأصل تَفَرَّع^(٥)

(١) (خ) : « وظاهروا » .

(٢) (ق) ، (خ) : « بين الكواكب وبين سيوفهم نسبة » .

(٣) (ق) ، (ط) ، (خ) : « مَن قَدُمَت هجرته في خدمة الدولة » .

(٤) (خ) : « لما كان بها » .

(٥) في الأصل و (ط) : « تَفَرَّد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، وهو الصحيح ، لما سيأتي .

بالحاسن وبالمزايا تفرد ، قد عرف الأيام وخبرها ، ودرب الأمور وذبرها ، وقطع [مفاوز] ^(١) المباشرات وعبرها .

فليباشر ذلك مباشرة من مارس هذه الوظيفة طول عمره ولم يركن إلى زيد الزمان ولا عمره ، وليرتب الجماعة نوباً يتداولون الخدمة ، ويختار لكل شغلٍ بريدياً يكون في ذلك الأثم عالي الهمة ، ويعامل باللطف كبيرهم ، وصغيرهم ، ويبدل البشر إذا رأى جليلهم ولا يعرف الناس حقيرهم . حتى يعترف الجميع ^(٢) بفضل الجليل الجلي ، ويقولوا إن القرايلي ما يلي ، وتعود أيامهم بيضاً بعدما سَجَا الدجا ، ويقول أحدهم : ذهب ناصرنا ، فجاء قُجَا ، يَعمر أرجاء الرِّجا ، والوصايا كثيرة وتقوى الله تعالى عمدة ^(٣) إن ازدجر ، وعمل للأخرة وأذكر ، وخاف من سفرٍ ينتهي به إما إلى جنة عدن ، وإما إلى سقر .

فلا يصحب غيرها خليلا ، ولا يلح من سواها وجهاً جميلاً ، والله يعلي درجته ، ويحرس مهجته ، والخطّ الكريم أعلاه ، حجه في العمل بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

١٣٦٠ - قجليس *

الأمير سيف الدين الناصري السلاح دار .

كان خيراً ، لطيفاً ، حسن العشرة ظريفاً ، يحب العلماء ويؤثرهم ، ويتعصب لهم وينصرهم ، ويخلص مجاهه لهم المناصب ، ويدفع عنهم كل عذاب واصلب .

إلا أن أستاذة الملك الناصر يقذف به في كل هُو ، ويعتمد عليه في كل واقعة مرجوه ، فما أمسك في الشام أمير إلا على يده ، ولا كُشف قمر منير إلا بتتبع رصده ،

(١) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٢) (خ) : « الناس » .

(٣) (خ) : « لمن » ، وهي أشبه .

* الدرر : ٢٤٣/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٧/١ .

فكان إذا سمع الناس بمخروجه من مصر تزلزلت أقدامهم ، تحقّقوا أنه متى وصل تحتّم إعدامهم .

وكان من كبار الخواصّ عند أستاذه المقرّبين ، وأمراء الألوّف الذين أصبحوا على وُفق مرّاده مجرّبين .

ولم يزل على حاله إلى أن سقي بكأس سقي به سواه وضمّه قَبْرُهُ وحواه .

وتوفي - رحمه الله تعالى في نصف صفر ليلة الثلاثاء ، سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بالقراقة .

وكان عارفاً بعلم المواقيت يضع الأسطرلابات والأرباع والرخامات المليحة ، ويتقنها ، ويعرف عدة صنائع ، وعنده آلاتها المليحة الفائقة الظريفة .

واقنتى من المجلدات النفيسة شيئاً كثيراً إلى الغاية . وكان الفضلاء يترددون إليه خصوصاً أرباب المعقول ، كان يتردد إليه الشيخ شمس الدين بن الأكفاني ، وله عنده مملوك يقطع جعله أستاذ داره . ويتردد إليه شرف الدين بن مختار الحنفى^(١) وغيرهما من الفقهاء وغيرهم .

وكان جميل المودة ، حسن الصُحبة لطيفاً ظريفاً ، حسن العشرة ، ولكنه له سُمعة في الشام سيئة لما ذكرته من أن السلطان يندبه في المهمّات وثوقاً بعقله .

وكانت طبليخاتته في القاهرة مالأحد مثلها ، لأنه اعتنى بصناعاتها وانتقام ، وأحضر بعضهم من البلاد .

وكان قد تزوج ابنة الأمير سيف الدين المملك ، كان يقال : إنه في القاهرة ليس لها

(١) محمد بن مختار الحنفى ، ستأني ترجمته في موضعها .

نظير ، وكان يُحِبُّهَا مَحَبَّةً مُفْرَطَةً^(١) ، وينفق عليها نفقة عظيمة إلى الغاية ، ولا تنقطع^(٢) الأغاني من داره ليلاً ولا نهاراً من الجوّاري المطربات الفائقات . فكانت إذا دخلت إلى الطهارة وخرجت^(٣) تَلَقَّيْنَهَا وزفَيْنَهَا ، وكذلك إذا أرادت النوم مع زوجها يعملن لها زفة .

وأخذت يوماً منه إذناً لتنزل إلى المنطرة التي له على البحر مدة ثمانية أيام ، فأعطاهما لكل يوم مبلغ ألفي درهم ، وأباعت هي من قماشها شيئاً بعشرة آلاف درهم ، وطلعت إلى القلعة قبل الميعاد بيومين ، وقالت : فرغت النفقة .

ولما مات - رحمه الله تعالى - ما انتفع بها أحد بعده ، لأنه^(٤) حصل لها مرض سوداوي ، وتوفيت - رحمهما الله تعالى - .

اللقب والنسب

☆ القَحْقَازِي : الشيخ نجم الدين ، علي بن داود .

☆ القدسي : علاء الدين الشافعي علي بن أيوب . وشرف الدين محمد بن موسى .

☆ ابن قُدُس : محمد بن أحمد .

١٣٦١ - قُدُودَارُ الْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ *

متولّي القاهرة ، ولأه السلطان الملك الناصر محمد القاهرة ، بعد الأمير علم الدين سَنَجَرُ الحازن في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، فوليها وأحسن إلى الناس أول ولايته ، ولم يزل فيها إلى أن توجّه إلى الحجاز فحج وجاء .

(١) في (ق) ، (ط) : « مفرطة إلى الغاية » ،

(٢) في الأصل : « ولا تنقطع » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٣) في (ط) ، (ق) : « وخرجت منها » .

(٤) (ق) ، (ط) : « لأنها » .

* الوافي : ٢٠٦/٢٤ ، والدرر : ٢٤٤/٣ ، وفيه : « قُدِيدَار » .

توفي - رحمه الله تعالى - سادس عشر صفر سنة ثلاثين وسبع مئة .

١٣٦٢ - قرايغا ، الأمير سيف الدين *

قرايغا دوادار الأمير سيف الدين أرغون شاه .

لَمْ نَرَ ولم نسمع بدوادار كانت له منزلة هذا عند أستاذه ، على أنه كان قد قاسى منه شدايد في أول أمره ثم سخره - الله تعالى - له أخيراً .

كان لا يخالفه فيما يراه ، ولا يخفي عنه ما ألم به في باطنه أو اعتراه . وكانت آراؤه عليه مباركة ، وليس له فيها مع أحد مشارك ، قد تحقق نُصْحُه ومحبته ، وتيقن خبرته بحاله ودربته ، فقولُه عنده ، قَوْلُ « حَذَام » ، وأمره ^(١) على كل حال لزام ، وثور نعمه طائله ، وسعادة هائله ، في مدة يسيرة جداً ، ووقتٍ كأنه زمن الورْد إذا ردّ وتردّى . هذا مع أنه كان لا يعرف باللسان العربي كلمة واحدة ، ولا درى ^(٢) ما اللفظة الفائتة من الفائدة .

ولكن اختطف من وسط هذه السعادة ، واقتطف من روض هذه السياده ، وخلّت منه الديار ، وشطّ منه المزار .

وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم الاثنين حادي عشري شوال سنة تسع وأربعين وسبع مئة . ودفن في تربة [زوجه] كسْبَاي ^(٣) عند دار الأمير شمس الدين حمزة التركاني بالقيبيات .

* الوافي : ٢٠٧/٢٤ ، والبداية والنهاية : ٢٢٨/١٤ ، والدرر : ٢٤٤/٣ .

(١) في الأصل : « وقوله » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) . وقوله : « حذام » إشارة إلى البيت للشهور :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

(٢) في (ط) ، (خ) ، (ق) : « ولا يدري » .

(٣) الزيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) . وفي الوافي : « كسبائي » .

أخبرني القاضي ناصر الدين كاتب السر بالشام ، قال : لم أدخل على هذا أرغون شاه قط فرأيته جالساً قدامه ، بل إلى جانبه ، ولا رأيته يتحدث هو وأستاذه ، وعنده^(١) مملوك آخر ، انتهى .

وكان يرجع إلى قوله ومهما أشار به فهو الذي يكون والعمل عليه ، ولم يكن يشتري ماله بل السلطان الملك الناصر وهبته له على عادة إنعاماته ، وزوجه بجاريته كُسبائي ، وهي أعز جواريه ، وأحظاهنّ عنده .

وكان بعد ذلك لا يصبر أستاذها عنها ، ولما خرج معه إلى صفد ، أعطي إمرة عشرة ، ولما توجه إلى مصر وأُعطي نيابة حلب أعطي قرباغا إمرة طبلخاناه .

ولما حضر إلى دمشق أعطاه أستاذه من عنده زيادة على إقطاع الطبلخاناه قرية بيت جن^(٢) ، وهي تعمل مئة ألف درهم^(٣) ، وأعطاه في كل سنة مئتي ألف درهم ، غير الذي ينعم به على الدوام والاستمرار من الخيل والذهب والقماش .

مرضت زوجه كسبائي المذكورة في أيام الطاعون وبصقت دمًا وماتت في اليوم الثالث ، ودفنت في تربة أنشأها لها في جمعة ، فدفنت في يوم الخميس سادس عشر شوال سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ثم إنه مات ابنها ودايته^(٤) بعدها بيومين . ثم إنه هو بصق دمًا ، ومات يوم الاثنين [في] التاريخ ، فلحقها بعد خمسة أيام وحمل من دار حمزة إلى باب النصير ، وخرج أستاذه وصلى عليه مع الأمراء والقضاة ، وللناس ولم يتبعه^(٥) أستاذه - رحمها الله تعالى - .

(١) (ق) ، (خ) : « وعندها » .

(٢) من قرى ريف دمشق .

(٣) عبارة الوافي : « تغلّ مئة ألف وخمسين ألفاً » .

(٤) في الوافي : « وكاتبه » .

(٥) في الأصل و (ط) : « يبلغه » ، وأثبتنا مات (خ) ، (ق) .

وكان لي ربيب يُدعى مراد ، يحمل دواقي قَوْصِفَ له ، فدخل إلى قاعة الإنشاء ، وأخذه^(١) بيده وراح وسلّمه إلى طواشي أرغون شاه . وقال : هذا مملوك ملك الأمراء ، فكتبت إلى القاضي ناصر الدين صاحب ديوان الإنشاء في هذا :

ياسيداً صرتُ ظلَّ جنابه لي جنّة إن جاد دَهري أوبغا
أترى الزمان معاندي ومحاربي حتى رماني في السورى بقرايغا

١٣٦٤ - قرايغا، الأمير سيف الدين *

ابن أخت الأمير سيف الدين أيتش نائب الشام .

حضر معه إلى دمشق ، وكان في مصر من جملة السلاح داريّة للسلطان الملك الناصر حسن ، وكان خاله ، قد قال له في مصر : يا قرايغا ، إن كنت تجيء معي على أنك ابن أختي تشفع وتكلم فيما لا يعينيك ، فلا تجيء ، وإن كنت جئت كأنك أجنبي لا يكون لك في شيء كلام ، فتعال . فحضر معه ، وأقام قليلاً ، ورثب له في كل [يوم]^(٢) مبلغ خمسين درهماً ، إلى أن انخلت طبلخاناه ، فأخذها وكان لا يجسر أن يتحدث مع خاله في شيء ، وإنما كان الناس يخدمونه لأجل [الصورة]^(٣) الظاهرة .

وكان أسمر طوالاً غليظاً ، إلا أنه أرق من نسيم ، وألطف من كأس تسنيم ، حسن الأخلاق ، يتصف بما راق ، ومالاق ، ويسجع على عوده كأنه الورقاء بين الأوراق ، نادم جماعة من أهل دمشق وأجمعوا على لطفه ، وجنوا ثمار الإحسان من عطفه ، ولما توجه خاله إلى نيابة طرابلس توجه معه ، ولم يحل عن تلك الحال ، ولا ذاك الصنع الذي صنعه .

(١) في الأصل و (ط) : « وأخذ » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .

* الوافي : ٢٠٨/٢٤ .

(٢) كذا العبارة في الأصل و (ط) ، ولعل الصواب : « في كل شهر مبلغ ... » ، أو نحو ذلك .

(٣) زيادة من (ق) ، (ط) .

ولما توفي خاله - رحمه الله تعالى - توجه إلى مصر فأقام بها ، إلى أن اضمحل وتلاشى ، وأصبح على نار المنية فراشا .
وتوفي - رحمه الله تعالى - في ... (١)

١٣٦٥ - قَرَا جَا بِن دُلْفَادَر *

بدال مهملة ، ولام ساكنة ، وغين معجمة وبعدها ألف ودال مهملة وراء : الأمير زين الدين النائب بالأبلستين .

كان من أمراء التركان ، وارتقى إلى الأمير سيف الدين تنكز وانتمى إليه ، فأقامه وأحبّه وعظّمه ، وكان مثله إليه أحد الأمور التي تقمها السلطان (٢) على تنكز لأنّه كان يراجعه في أمره كثيراً ، ويقول له : اعزّله عن الأبلستين ، فراجعه في أمره ، لأن ابن دلفادر كان الواقع بينه وبين الأمير أرتنا حاكم البلاد الرومية .

ولما هرب الأمير سيف الدين طشتر ، حمّص أخضر نائب حلب المحروسة توجّه إليه ، واستجار به فأواه ، وأقام عنده إلى أن انتصر الناصر أحمد على قوصون ، وطلب طشتر ، فحضر من البلاد الرومية وابن دلفادر معه ، وتوجّه معه إلى مصر ، وما صدّق [بالخروج من القاهرة ، ورأى نفسه قد عدّى حلب وقويت نفسه عليه من ذلك الوقت] (٣) ووقع بينه وبين الأمير سيف الدين يلغا اليحيوي نائب حلب ، وتواقعا وانتصر ابن دلفادر عليه .

ولما جاء الأمير سيف الدين أرغون شاه إلى حلب نائباً دخل معه ، وكان يكتبه

(١) كذا في الأصل و (ط) والوافي ، وفي هذا الأخير أنه كان حيّاً سنة (٧٥٦ هـ) .

* الوافي : ٢٠٩/٢٤ ، والدرر : ٢٤٥/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٤/١٠ .

(٢) في الوافي : « السلطان الناصر » .

(٣) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) والوافي .

دائماً ويهاديه ولما قدم دمشق استر الودّ بينهما ، وأخذ لابنه الأمير صارم ^(١) الدين طبلخاناه بدمشق ، وكانت بيده ، وهو عند والده .

[ولما] ^(٢) وصل الأمير سيف الدين بيبغاروس إلى حلب وأراد الخروج على السلطان الملك الصالح صالح ، راسله واتفق معه ، وحضر معه ^(٣) في تركانه إلى دمشق ، وتسيّب تركانه يفسدون في الأرض ، ويعبثون فنهبوا الأموال ، واقتضوا الفروج ، وسبّوا الحرّيم ، وسفكوا الدماء ، واعتمدوا ما لا يعتمده الكفار ^(٤) في الإسلام .

ثم إنه لما تحقق خروج السلطان الملك الصالح ، ووصله إلى لد ^(٥) خامر على بيبغاروس ، وتوجّه على البقاع إلى بلاده ، وساق قدامه ما وجدته للناس من خيول . فأخذ لأهل صفد جُشاراً فيه [أكثر من] ^(٦) خمس مئة فرس .

ولما هرب بيبغاروس وأحمد وبكلمش وغيرهم ، توجهوا إليه إلى الأبلستين فتقرب إليهم ، وجّهز أولاً أحمد وبكلمش إلى حلب ، ثم أمسك بيبغاروس من الأبلستين وجّهزه إلى حلب ، فجرى ما جرى ، على ما هو مذكور في تراجمهم ، ثم إن الأمير سيف الدين شيخو ، والأمير سيف الدين طاز قاما في أمره قياماً عظيماً ، وجّهزا الأمير عز الدين طقطاي الدوادار إلى الأمير سيف الدين أرغون الكامل نائب حلب وصفاً عليه . وقالوا : لابدّ من الخروج إليه بالعساكر ، وخراب أبلستين ، فتوجّه بما معه من العساكر الحليّة وغيرهم من عساكر الثغور ، ووصلوا إلى الأبلستين ، وقاست العساكر شدائد عظيمة ، وأهولاً فنيّت فيها خيولهم وجباهم ، ومشوا على أرجلهم في عدة

(١) في الأصل و (ط) : « حسام » ، وأثبتنا ما في (خ) (ق) والوافي .

(٢) زيادة من (ق) .

(٣) (خ) : « وحضر إليه » .

(٤) في الوافي : « إلّا الكفار » .

(٥) في الوافي : « إلى الرملة » .

(٦) زيادة من (خ) .

(٧) في الوافي : « الأميرين » .

أماكن ، ووجدوا أهوالاً صعبة ، وهرب منهم خلق فخرَّب [الأبلستين وحرقتها وخرَّب]^(١) قراها ، وتبعه بالعساكر إلى قريب قيصرية ، وأحاطت به العساكر من هنا ، وعساكر ابن أرتنا من هناك ، فأمسكه قطلوشاه من أمراء المغول بالروم ، وجّهزه إلى [ابن] أرتنا^(٢) .

وكتب نائب حلب إلى ابن أرتنا يطلبه ، فدافعه من وقت إلى وقت إلى أن بعثه في الآخر مقيّداً .

ودخل^(٣) إلى حلب يوم السبت ثاني عشري شعبان سنة أربع وخسين وسبع مئة . فثقل النائب قيوده وأغلاله واعتقله بقلعة حلب ، وجّهز سيفه إلى السلطان صحبة مملوكه علاء الدين طيغما المقدّم^(٤) .

ولما كان يوم الاثنين خامس [عشر]^(٥) شهر رمضان ، وصل إلى دمشق وجّهز إلى مصر صحبة عسكري يوصله إلى غزة . ووصل إلى مصر فأقام في الاعتقال مدة ، ثم إنه وسَّط وعُلّق على باب زويلة قطعتين ثلاثة أيام ، وذلك في ذي القعدة سنة أربع وخسين وسبع مئة . فسبحان مبيد الجبارين^(٦) .

وكنْتُ قد قلت لما أمسك ابن دلغادر أحمد وبكلمش وبيبغاروس وحضّرم^(٧) إلى حلب ، وذلك موالياً :

قد جيت في الغدر زايد يا بن دلغادر وما تركتُ لفعلك في الورى عاذر

(١) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) والوافي .

(٢) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٣) في الأصل : « أدخل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) والوافي .

(٤) (خ) : « المقدّم ذكره » .

(٥) زيادة من (ق) ، (خ) والوافي .

(٦) هنا تنتهي الترجمة في الوافي .

(٧) (خ) : « وجّهّرم » .

وخت من آمنك وانتقاد لك صاغِرُ سَوَدت وجهك في الأول وفي الآخر

ولما كان بيبغاروس على دمشق وتوجهنا نحن مع النائب بالشام^(١) الأمير سيف الدين أرغون الكامل إلى لَدَ وأقمنا بها زائداً عن أربعين يوماً ، وفي كلِّ يوم نسمعُ من الأخبار ما ينكد عيشنا من جهة أهل دمشق وأهلنا وأولادنا ، جاءني من القاضي شرف الدين حسين بن ريان كتابٌ قبل خروجي من دمشق ، فلما عدت من لَدَ كتبت جوابه ، وجاء منه : « وحاول المملوك الجواب فجاءت هذه العوائق التي ما احتسبت والحوادث التي لم تكن كيوم القيامة ، فإن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت^(٢) » ، يامولانا : هذه مصائب عمّت وطمّت وصرّحت بالشرّ وما عمّت ، وقيدت إليها الأهوال وزمّت ودعت الجفلى إلى مآذها وأصمّ المسامع نعي نوادبها ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قول من ضاقت به حيلته ، واتسعت عليه بالهموم ليلته :

وكان ما كان ممّا كنت أذكره فظنّ شرّاً ولا تسأل عن الخبر^(٣)

ونسأل الله تعالى حسنَ الخاتمة ، وفجر هذه الليلة العاتمة ، فقد بلغت القلوب الحناجر ، وحزّت الغلام بالحناجر^(٤) ، وكسرت براني الصبر ، وحسد من امتطى ظهر الأرض من استكن في جوانح القبر ، وهذه رزية شمسٍ التثيت بها كاسفه ، وليس لها من دون الله كاشفه ، اللهم اكشف هذه البليّة عن البريّة ، ولقّ النفوس الظالمة ووقّ البريّة ، وأجرنا على عادة أجرنا وعجل فكّ أسرنا بأسرنا ، إنك بالإجابة جدير ، وعلى كشف هذه^(٥) اللاواء قدير .

(١) (ق) ، (خ) : « نائب الشام » .

(٢) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ [البقرة : ٢٨٦/٢] .

(٣) (ق) ، (خ) : « لست أذكره » .

(٤) (خ) : « وحزّت ... بالحناجر » .

(٥) (ق) ، (ط) : « هذا » .

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك نظماً ونثراً مطوّلاً ، وكتبت أنا جوابه نظماً ونثراً مطوّلاً ، وهما في الجزء الرابع والثلاثين من التذكرة التي لي .

١٣٦٦ - قرا أرسلان*

الأمير الكبير بهاء الدين المنصوري ، أحد الأمراء المقدمين الكبار بدمشق ، كان مليح الصورة ، تامّ الخلق ، سميناً ، شجاعاً .

لما هرب الأمير سيف الدين قبجق إلى بلاد التتار أمر هو ونهى ، وحجّ بالناس .

توفي رحمه الله تعالى سنة ثمان وتسعين وست مئة ، ودفن بمقابر باب توما ، في يوم الأربعاء مستهل جمادى الأولى من السنة المذكورة .

١٣٦٧ - قرا سنقر**

الأمير الكبير شمس الدين أبو محمد الجوكندار المنصوري ، من كبار الأمراء وأجل ممالك البيت المنصوري ، اشتراه الملك المنصور في زمان الإمرة قبل أن تطير سمعته ويظهر^(١) اسمه .

وكان من رجالات العالم ودّهاتهم ، وممن إذا قصده عداه وقف كالشجى في لهاتهم ، كثير العزم ، كبير الحزم ، لا يشق بمن يداهنه أو يداهيه ، ولا يصبر لمن يظاهره أو يضاويه ، قد حلب الدهر أشطره ، وعلم الخزية من الأمور والمأثرة :

يروّعه السّرار بكلّ شيء مخافة أن يكون به السّرار^(٢)

* الوافي : ٢١١/٢٤ .

** الوافي : ٢١٢/٢٤ .

(١) في الوافي و (ق) : « ويذكر » .

(٢) لبشار بن برد .

عاداه جماعة من الأكابر وربطوا عليه الخالص والمضائق والمعابر ، ولم يظفرهم الله تعالى منه بمقصود .

ولم يزل زرعهُ قائماً غير مَحْصود ، ودفن من أَعاديهِ جُمْلَهُ ، وفرّق بِكائِدِهِ من حِزْبِهِ شَمْلَهُ ، بطريقٍ خَفِيَّةٍ المسارب ، دَقِيقَةِ المسالك بعيدة المرامي والمضارب .

ترك المال والوطن والولد ، ونزع من عنقه مائة^(١) الصبر والجلد ، وألقى حمل الاحتمال عن الكبد ، ولم يرض أن يكون ثالث الأذلين العير والوتد^(٢) ، وأخذ في النجا بسنة النبي عليه السلام فنجا برأس طمرة ولجام^(٣) ، ودخل بلاد التار ، وخلقى من تطلبه كما يقال على برد الديار ، فأخذ البريد بسببه في قعقة لجه والبر يضيق عن الجيش وحجمه ، والقصاد تروح وتغدو ، وتعود ناكصةً على أعقابها ، والفداوية تفد عليه ولكن يدوس على رقابها :

إِلَى كَمْ تَرَدَّ الرِّسْلَ عَمَّا أَتَوَاهُ
لَهُمْ عِنْدَكَ بِالْبَيْضِ الْخَفَافِ تَفَرَّقَ

كَأَنَّهُمْ فِيمَا سَمِعْتَ مَسْلَامَ
وَحَوْلِكَ بِالْكَتَبِ اللَّطَافِ زَحَامَ

وكادت خزائن مصر فيه يسكنها الغراب الأبقع ، وبلد مصيف تعود وهي خرابٌ
بلقع ، هذا والسلطان لايني عزمه ، ولا يثنى حزمه ، بل البريد في أثر البريد ،
والقاصد في عقد القاصد فيما يريد ، وغلب سعادة مثل الملك الناصر في احترازه وتوقيه

(۱) مَأْن مَأْنَه : لم یكثر له .

(٢) يشير إلى قول المتلمس :

ولا يقيم على ضم يراد به
ديوانه : ٢٠٨ .

(٣) يشير إلى قول حسان في الحارث بن هشام :

ترك الأجابة أن يقاتل دونهم
ونجى برأس طمرة وجام
وسلفت الإشارة إليه .

وردّ سهامه بترفعة عنها وترقيّه ، إلى أن مات حتف أنفه من غير نجاح ، أمر ، وكاد يقول : بيدي لا بيد عمرو^(١) :

وإن أسلم فلما أبقى ولكن سلّمت من الحمام إلى الحمام^(٢)

وتوفي رحمه الله تعالى في مراغة في شوال سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

كان الأمير شمس الدين قرا سنقر لما اشتراه المنصور وهو أمير جعله أوشاقياً ، ثم إنه ترقى وعُرف عنده من صغره بحسن التأني^(٣) في الأمور والتحيل لبلوغ الغرض . وهو من أقران طرنطاي^(٤) وكتبغا والشجاعى وتلك الطبقة ، وكان أسعد منهم ، لأنه عاصرهم وقاسمهم سعادة أيامهم ، وعمر بعدها العمر الطويل متنقلاً في النيابات الكبار ، فأناس كثيرون يعتقدون أنه من قارا^(٥) النبك ، وليس بصحيح ، بل هو جهاركس استنابه الملك المنصور في حلب ، وتتبعه طرنطاي ونصب له الحبائل ، وسلّط الحلبيين عليه فشكوا منه ، وأخذ يحسنُ للمنصور عزله ، ولم يزل يعث به إلى أن أمره بالكشف عليه ، فأتى حلب بنفسه وكشفَ عليه ، ولم يظفر منه بمراد .

ثم إن الوزير ابن السلعوس أغرى به الأشرف وفطن له قرا سنقر ، فلم يزل يتلافى أمر نفسه ويرفع حاله بنفائس الأموال وكرائم الذخائر إلى أن سكن غيظ الأشرف عنه واستمر به .

ثم إن ابن السلعوس لم ينم عنه حتى عزله من حلب ووّلى الطباخيّ عوضه ، ونقل^(٦) قرا سنقر إلى أمراء مصر وتقرب إلى الأشرف وخواصه بكلّ نفيس ، إلى أن ندم

(١) مقولة للزباء لما قتلت نفسها ، صارت مثلاً .

(٢) للمتنبى في ديوانه : ٢٧٩/٤ ، (البرقوقي) .

(٣) في الوافي : « التأني » .

(٤) في الوافي : « طرنطاي ولاجين » .

(٥) قارة بلدة إلى الشمال من النبك بنحو عشرين كيلاً على الطريق إلى حمص .

(٦) الكلام الآتي أسنده المصنّف في الوافي إلى القاضي معين الدين بن العجمي .

الأشرف على عزله ، فقال له : حلب الآن انفصل أمرها ، ولكن سل حاجتك ، فقبل الأرض وقال : نظرة من وجه السلطان أحب إليّ من حلب وما فيها ، ولكن أسأل أن أكون أمير جاندار ، لأنني أرى وَجْهَ مولانا السلطان^(١) ، وإذا جاء ذلك الرجل أقول له يتصدق مولانا ويقعد ، فإن السلطان في هذا الوقت مشغول ، يعني بذلك الرجل الوزير ابن السلعوس ، فضحك السلطان ومزح معه في هذا ، وقال له : هذا بسّ ، قال : يا خوند يكفيني ، وهذا ما هو قليل . واستمرّ أمير جاندار ، وحجّب ابن السلعوس مرّات من الدخول إلى السلطان ، وابن السلعوس يتلظى عليه ، وقرا سنقر يعمل مع الأمراء الأشرفية عليه إلى أن فعلوا تلك الفعلة .

قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله : حكى لي أئنيك مملوك بيسري قال : خرجنا مع الأشرف إلى جهة تروجة ، فقدم للسلطان لبن ورقاق ، وهو سائر ، فنزل يأكل ، وكان أستاذي بيسري ولاجين قرا سنقر قد نزلوا جملة على جانب الطريق ، فبعث الأشرف إليهم بقصعة من ذلك اللبن وقد سمّها ، فقال بيسري : فؤادي يغسني ، ما أقدر أكل لبناً على الريق ، فقال : لاجين : أنا صائم ، فقال قرا سنقر : دسّ الله هذا اللبن في كذا وكذا ممّن بعثه ، نحن نأكله^(٢) ؟ ثم أخذ منه ، وأطعم كلباً كان هناك ، فمات لوقته [فقال : أبصروا أيش كان ، يريد يزقّمنا]^(٣).

ثم قاموا على كلمة واحدة واتفاق واحد في نِجاز ما كانوا بنوا عليه ، إلى أن كان ما كان ، ولم يُباشِر قرا سنقر قتله ، ولما قتل نزل إليه ونزع^(٤) خاتمته من يده وأخذ حياصته بيده ، وفعل به ما تقتضيه [شأته]^(٥) المُتَشَفّي ، ثم إنه اختفى هو ولاجين في

(١) زاد في الوافي : « ولا طلبت هذه الوظيفة إلّا حتى أكون أهين ذلك الرجل » .

(٢) زيادة في (ق) ، (ط) ، والوافي : « نحن مانأكله » .

(٣) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٤) في الأصل : « نزع » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٥) زيادة من (ط) ، (ق) ، والوافي .

بيت كتبغا ، وكان ينادي عليها ويتطلبُها وهما عنده . ولما تسلطن كتبغا أخرجهما^(١) وأمرها ، وعظّم شأنها .

ثم إن قرا سنقر نابّ للاجين لما تسلطن نيابةً عامة ، وأوردَ الأمور وأصدرها برأيه ، فعزّ^(٢) على منكوتر ، ولم يزل به حتى أمسكه واعتقله في نصف ذي القعدة سنة ست وتسعين وست مئة ، ومعه جماعة من الأمراء . وعمل منكوتر النيابة عوض قراسنقر ، وتحدث القاضي شرف الدين بن فضل الله معه في أمره ، فقال له : يا شرف الدين ، أنا أمسكه^(٣) ، والله ما يؤذيه ، فقال له : يا خوند ، أروح إليه وأعرّفه [هذا ، فقال : روح إليه]^(٤) ، فلمّا عرف قراسنقر ذلك بكى وقال : والله ما كنتُ أموتُ وأعيش إلا عليه ، فعاد إلى لاجين وعرفه ذلك ، فقال : يا شرف الدين هات المصحف ، فحلف عليه أنه ما يؤذيه ، ولا يُمكنُ أحداً من أذيتّه ، فعاد إليه وعرفه ذلك ، فقال : يا شرف الدين ، الآن طاب^(٥) الحبس .

ولما قُتل لاجين ، وجلس السلطان الملك الناصر في المرة الثانية أطلقه وأعطاه الصُّبيّة ، فبقي فيها مديدة ، ونقل إلى نيابة حماة بعد العادل .

ولما مات الطّباخي في حلب نقل قراسنقر إلى نيابة حلب ، وأعطيت حماة لقبجق .

ولم يزل قراسنقر في حماة نائباً إلى أن حضر السلطان الملك الناصر محمد من الكرك إلى دمشق في شهر رمضان سنة تسع وسبع مئة ، فحضر إليه ، وركب السلطان وتلقاه

(١) في الأصل و (ط) : « أخرها » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .

(٢) في (ط) والوافي : « فعز ذلك ... » .

(٣) في الأصل : « ما أمسكه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، وعليه سياق كلامه في الوافي .

(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٥) في الأصل : « طال » ، وأثبتنا ما في (ط) و (ق) والوافي .

وترجّل له وعانقه وقَبْلَ صَدْرِهِ ، والتقيا بالميدان الكبير ، وبه استتم أمرُهُ واستَبَبَ له الملك ^(١) .

وكان ابنه ناصر الدين محمد هو الذي استمال أباه قراسنقر ، فشعر بذلك المظفر ، فيقال : إنه سمّه . وأخذ قراسنقر في تدبير الملك والسلطان ^(٢) تبع فيما يراه ، ووعدّه بكفالة الممالك والنيابة العامة بمصر . ولما وصل إلى مصر وجلس على تخت الملك قال له : الشام بعيد عني وما يضبطه غيرك ، فأخرجته لنيابة دمشق وقال له : هذا الجاشنكير خارج إلى صهيون ، فأُسيكه واحضر به لنتفق على المصلحة ، فاجتهد على إمساكه ، ولما وصل به إلى الصّاحية أتاه أسندمر كُرْجي ، فأخذه منه وأعاده إلى الشام ، ووصل إلى دمشق ودخلها يوم الاثنين خامس عَشْرِي القعدة سنة تسع وسبع مئة ، ونزل بالقصر الأبلق وقد نفّض يده من طاعة السلطان ، غير أنّه حمَل ^(٣) الأمر على ظاهره ولم يفسد ^(٤) السلطان بكشَفِ باطنه ، وأقام بدمشق [على] ^(٥) أوفاز ^(٦) ، فما حَلَّ بها أحمالاً ، ولا خزن غلة ، ولا تقيّد فيها بشيء ، وأخذ أمره فيها بالَحْزَم ، فجعل له ممالك بطفس ، وممالك بالصنّين ، وعيناً ببيسان ، وإذا وصل من مصر [أحد] ^(٧) بَطَّقُوا إليه من بيسان ، وإذا وصل الواصل إلى طفس تلقاه نواب قراسنقر وممالكه ، وقدموا له ما يأكل وما يشرب ، وإذا أتى إلى الصنّين فعلوا به كذلك ، ويشغلونه بالأكل والشرب والتكبيس إلى أن يبلغ الخبر قراسنقر وخيّلَه وهجنه كلّها محصّلة لما يريد يفعله ، وإذا ركب من الصنّين ركب معه من ممالك قراسنقر من

(١) في الأصل : « الأمر الملك » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٢) في (ط) ، (ق) : « والسلطان له تبع » .

(٣) في الأصل : « حصّل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٤) في الأصل : « ينفذ » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٥) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٦) جمع « وَفَز » ، وهي العجلة .

(٧) زيادة من (ق) والوافي .

يوصله إلى قراسنقر بجميع^(١) من معه من ممالك وأتباع وسوّاقين حتى لا ينفرد أحد ، ويكون معه ملطّفات أو كتب أو مشافهات ، فيتوجه بها ، ثم إن قراسنقر ينزل الذي حضر من مصر هو وكلّ من معه عنده ، ولا يدعه يحدّ محيصاً . فلما أتاه الأمير سيف الدين أرغون الدوادار وأنزله عنده ولم يمكنه من الخروج خطوة^(٢) واحدة ، وأنزل ماليكه عند ماليكه ، وكان عنده كأنه تحت الترسيم ، وفتح أجربتهم ، وفتح نمازنيات سروجهم ، فوجد فيها الملطّفات بامساكه ، فأعادها إلى مكانها ، وطاوله إلى [أن]^(٣) نجزّ حاله ، وهو لا يظهر^(٤) شيئاً ممّا فهم منه ، وغالطه بالبسط والانشراح .

قال صاحب عز الدين بن القلانسي : أتيت إلى قراسنقر ، وهو يأنس^(٥) بي ، وقلت له : ما هذا الذي أسمعه ؟ فقال : اصبر حتى أفركك^(٦) ، ثم قال لأرغون : بأي شيء غويمت أنتم ؟ فإن نحن كنا في بيت المنصور غاوين بالعلاج والصراع ، وحدثه في مثل هذا ، فقال أرغون : ونحن هكذا ، فقال : أيش^(٧) تعمل ؟ قال : أصارع ، فأحضر قراسنقر مصارعين تصارعوا قدامه ، ولم يزل به حتى قام أرغون وصارع قدامه ، فبقي قراسنقر يتطلّع إليّ ويقول : يامولانا ، أبصر من جاء يسكني . انتهى .

وفهم تيّبرس العلائي الحال من غير أن يقال له ، فركب على سبيل الاحتياط على أنه يمسكه ، فبعث يقول له : إن كان جاءك مرسوم خلّني ، وإلا أنا أركب وأقاتل ، إما أنتصر ، أو أقتل ، أو أهرب ويكون عذري قائماً عند أستاذي ، وأبعث أقول له : أنت الذي هربتني ، فتخيّل بيبرس العلائي وراح إلى بيته .

(١) في الأصل و (ط) : « يجمع » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وفي (ق) : « يجمع » وهي أشبه .

(٢) في الأصل : « خطوة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٣) في (ط) ، (ق) ، والوافي : « لا يظهر له ... » .

(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٥) في (ط) ، (ق) ، والوافي : « وكان يأنس » .

(٦) في الوافي : « أمزجك » !

(٧) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « أنت أيش » .

وكانت^(١) نياية حَلَب قد خلت ، وقد بعث السُّلطان مع أرغون تقليداً وفيه اسم النائب خالياً ، وقال له : تصرّف في هذه النياية ، وعينها لمن تختاره ، فهي لك إن اشتيتها تأخذها^(٢) ، وإن أردتها لغيرك فهي له . وكان في تلك المدة كلها يبعث قراسنقر إلى السُّلطان ويقول : يا خوند ، أنا قد ثقل جناحي ، في حَلَب بكثرة علائقي بها وعلائق مَماليكي ، ولو تصدّق السُّلطان بها عليّ رحت إليها .

فلما كان من بيبرس العلائي ما كان قال لأرغون : أنا قد استخرتُ الله - تعالى - ، وأنا رائح إلى حلب ، ثم قام وركبَ ملبساً تحت الثياب من وقته ، وركبَ مَماليكهُ معه ، وخرج في يوم الأحد ثالث المحرم سنة إحدى عشرة وسبع مئة إلى حلب ، وأرغون معه إلى جانبه ما يفارقه ، والمَماليك حَوْلها لا يَكُنون الأمراء من الدخول إليه ولا التّسليم عليه ، وخرج - كما يقال - على حِمّة إلى حلب في يوم الأحد ثالث المحرم سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وأقام بحَلَب وهو على خوف شديد . ثم إنه طلبَ دستوراً لِلحج .

فلَمّا كان بزيراء^(٣) أتته رسل السُّلطان تأمره بأن يأتي الكرك ليأخذ منها ما أعدّه السُّلطان له هناك من الإقامات ، فزادَ تخيُّله ، وكثر تردّد الرُّسل عليه في هذا ، فعظم توهّمه ، وركب لوقته وقال : أنا ما بقيت أحج ، ورمى هو وجاعته ما لا يحصى من الزاد ، وأخذ مشرقاً يقطعُ عرض السّماوة حتى أتى مهناً بن عيسى ونزل عليه واستجار به . وأتى حلبَ فوقف بظاهرها حتى أخرجت مَماليكه ما كان لهم في حلب ، ممّا أمكنهم حمّله بعدما مانّقه الأمير شهاب الدين قَرطاي من ذلك ، فإنه ركبَ في الجيش ، ولكنه لم يقدر على مدافعة مهنا .

ولم يزل يكتاب الأفرم والزرده كاش ، ومهنّا يستعطف لهم خاطر السُّلطان على أن

(١) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٢) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « تأخذها خذها » .

(٣) من قرى البلقاء يطأها الحاج ويقام لهم بها سوق . (معجم البلدان) .

يُعطي الأفرم الرحبة ، والزردكاش بهسنى ، وقراسنقر البيرة ، والسلطان يقول : بل الصبيبة ، وعجلون ، والصلت . فهموا بالمقام مع العرب ، وعملوا على هذا ، وتهيؤوا لإزاحة العذر فيه ، فلما طالت المدة ضاقت أعطانهم وأعطان ماليكهم [أكثر]^(١) ؛ لأنه ما يلائم العرب صحبة الأتراك وقَشَفُ البادية وخشونة عيشها ، وشرعوا في الهرب ، فخاف قراسنقر من الوحدة ، فقال لمنهنا في هذا ، فقال : أنا كنت أريد الحديث معك في هذا ، ولكن خشيت أن تظنَّ بي أنني استقلتُ بكم ، لا والله ، ولكن أنتم ما تضمكم إلا الحاضرة والمدن ، وهذا قد تحبَّث لكم ، وأنتم قد تحبَّثتم له ، وما بقي^(٢) إلا ملك الشرق - يعني خربندا - وهو كما أسمع ملك كريم محسن إلى من يجيئه ويقصده ، فدعوني أكتب إليه بسببكم . فوافقوه على هذا ، فكتب لهم ، فعاد جواب خربندا بأن يُجهَّزهم إليه ويَعدهم بالإحسان ، فتوجَّهوا إليه ، فوجدوا منه ما أنساهم مصيبتهم ، وسلاهم عن بلادهم ، وكان وصولهم إلى ماردين في أواخر شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، فتلقاهم صاحبها ، وحمل إليهم بأمر خربندا ستين ألف درهم وفي كل يوم مئة مكوك شعيراً وخمسين رأساً من الغنم ، وأقاموا عنده في بستان مدة تسعة أيام ، وتوجَّهوا إلى خربندا .

قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله : حكى لي شيخنا شمس الدين محمود الأصفهاني قال : لما جاؤوا أمر^(٣) السلطان خربندا للوزير أن يبصر كم كان لكل واحد منهم من مبلغ الإقطاع ليُعطيهم نظيره ، فأعطاهم على هذا الحكم ، فأعطى قراسنقر مراغة ، وأعطى الأفرم همدان ، وأعطى الزردكاش نهاوند ، وتفقدتم بالإنعامات حتى غمرهم .

وقال : لقد كنت حاضراً يوم وصولهم ، واختبرهم في الحديث ، وقال عن قراسنقر : هذا أرجحهم عقلاً ؛ لأنه قال لكل واحد منهم : أيش تريد ، فقال شيئاً ،

(١) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٢) في الوافي : « وما بقي لك » .

(٣) في الأصل : « أمراء » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي .

فقال قرا سنقر : ما أريد إلا امرأة كبيرة القدر أتزوجها ، فقال : هذا كلام من يُعرِّفنا أنه ما جاء إلا مستوطناً عندنا ، وأنه ما بقي له عودة إلى بلاده ، فعظمَ عنده بهذا ، وأجلسه فوق الأفرم ، وسنى له العطايا أكثر^(١) منه ، وزوجه ابنة قطلوشاه ، وسمّاه أقسنقر ؛ لأنّ المغل يكرهون السّواد ، ويتشاءمون به .

قال القاضي شهاب الدين : وكان خربندا وابنه بوسعيد يحضران قرا سنقر في الألطاع^(٢) والأرغو معهما دون الأفرم ، وهما من مواضع المَشوَرَة والحكم . وامتد عمر قرا سنقر بعد الأفرم ، ووقع الفداويّة عليه مرّات ولم يقدر الله - تعالى - أنهم ينالون منه شيئاً ، وما قدروا عليه إلا مرّة وهو بيباب الكرباس^(٣) منزل القان ، فإنهم وثبوا عليه وهو بين أمراء المغل ، فخذش في ساقه خدشاً ، وتكاثر مماليكه والمغل على الواقع ، فقطّعوه ، ولم يتأثر قرا سنقر لذلك . انتهى .

قلت : يقال : إن الذي هلك بسببه من الفداويّة ثمانون رجلاً . حكى لي مجد الدين السّلامي^(٤) الخواجا قال : كنا يوم عيد بالأردو ، وجوبان وولده دِمَشَق خواجا إلى جانبه ، وقرا سنقر جالس إلى جانبه وهو قاعدٌ فوق أطراف قاش دِمَشَق خواجا ، فوق الفداوي عليه ، فرأى دِمَشَق خواجا السكين في الهواء وهي نازلة ، فقام هارباً ، فبسبب قيامه لمّا قام مسرعاً تعلق بقماشه تحت قرا سنقر ، فدفع قرا سنقر ليخلص ، فخرج قرا سنقر من موضعه ، وراحت الضربة في الهواء ضائعة ، ووقع ممالك قرا سنقر على الفداوي فقطعوه قطعاً ، والتفت إليّ قرا سنقر وقال : هذا كلّهُ منك ، وما كان هذا الفداوي إلا عندك مخبوءاً ؛ وأخذ في هذا وأمثاله ، ونهض إلى القان بوسعيد وشكا إليه ، ودخلت أنا وجوبان خلفه ، فقال للسّليطان بوسعيد : يا خوند ،

(١) في الأصل و (ط) : « وأكثر » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .

(٢) في (ق) والوافي : « الألطاع » .

(٣) في الوافي : « الكرباش » .

(٤) إسماعيل بن محمد ، سلفت ترجمته في موضعها .

إلى متى هذا ؟ بالله اقتلني حتى أستريح ، والله زاد الأمر وطال ، وأنا فقد التَّجَّأت إليكم ، ورميت نفسي عليكم [واستجرت بكم] ^(١) ، والعصفور يَسْتَنِدُ إلى غصن شوك يقيه الحَرَّ والبرَد . فانزعج بوسعيد لهذا الكلام ، وقال لي بغيظ : إلى متى هذا وأنت عندنا والفداويَّة تحبُّوهم عندك لهذا ؟ فقلت : وحيَاة رأس القان ما كانَ عندي ، وإنما حضر أُمس مع فلان ، لكن هذا أخوك السُّلطان الملك الناصر قد قال غير مرة : إن هذا مملوكي ومملوك أخي ومملوك أبي ، وقد قتل أخي ، وما أرجع عن ثأر أخي ولو أنفقتُ خزائن مصر على قتل هذا [وهذا] ^(٢) دخل إليكم قبل الصُّلح بيننا ، وهو مستثنى من الصُّلح ، فعند ذلك قال جُوبَان : هذا حقه ، نحن ما ندخل بينه وبين مملوكه قاتل أخيه ، وخرج فانفصلتِ القضيَّة .

وحكى لي علاء الدِّين بن العُدَيل القاصد قال : توجَّهنا مرَّةً ومَعنا أربعة من الفداويَّة لِقراسنقر ، فلما قاربنا مراغة وبقي بيننا وبينها يوم أو يومان ونحن في قفل تجَّارٍ والفداويَّة مستورون أحدهم جَمَال والآخَر عَكَّام ^(٣) والآخَر مشاعلي والآخَر رفيق ، فما شعر إلَّا والألجيَّة قد وَرَدوا علينا ، فتقدَّموا إلى أولئك الأربعة وأمسكوهم واحداً واحداً من غير أن يتعرَّضوا إلى أحد غيرهم من القفل ، وتوجهوا بهم إلى قراسنقر فقتلهم ، وكذلك فعلَ بغيرهم .

قلت : والظاهر أنه كانت له عيون تطالعه بالأخبار ، وتعرَّفُه المتجددات من دمشق ومن مصر ، فإنه كان في هذه البلاد نائباً ، وقد جهز جماعة من الفداويَّة ، ويعرف قواعد هذه البلاد وما هي عليه ، وما كان يغفل ^(٤) عن أمر الفداويَّة ، وإنه ما كان يؤثِّق عليه إلا منهم .

(١) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) ، والوافي .

(٣) العكَّام : مهنة يعرفها أهل الشام لمن يقود الجمل أو يرافقه في السفر .

(٤) في (ط) ، (ق) ، والوافي : « من يغفل » .

قال القاضي شهاب الدين : ومات في عزه وجاهه معظماً بين المغل كأنه ما رَبِّيَ إلاّ فيهم ، ويقالُ : إنه ملك ثمانى مئة مَمْلُوك ، وعندي أنه لم يبلُغ هذه العُدّة ، وإنما كان عنده ممالك كثيرة^(١) ، وحَصَلَ أموالاً جَمّة ، وكان يُعطي للمالِكه الأموال الكثيرة ، وجماعته من الخيول المُسَوّمة والسُروج الزُرْخونا^(٢) والحوائص الذهب والكَلاوت والطرز الزركش والأطلس والسمور والقماقم وغير ذلك من كل شيءٍ فاخِر . وتأمّر في حياته بنوه الأمير ناصر الدين محمد تقدمة ألف ، والأمير علاء الدين على إمرة أربعين ، وفَرَج بعشرة . وتأمّر له عدة ممالك مثل بيخان ومغلطاي وبلبان جركس^(٣) بطبلخاناه ، وبهادر وعبدون بعشرات .

قال شهاب الدين بن الصنيعة النقيب : لما جاءت العساكر الحلبية مع قرا سنقر إلى دمشق سنة تسع وسبع مئة كان ثلث الجيش يحمل رَنك قرا سنقر ؛ لأنهم أولاده وأتباعه وممالكهم وأتباعهم . وكان في حلب ، والأمراء الحُكّام في مصر مثل سَلار والجاشنكير وغيرهما يخافونه ويُدَارونه ولا يخالفون أمره ، وكان مع^(٤) العَظَمة الكبيرة يداري بباله ويصانع حواشي السُلطان حتى الكتاب والغلمان ، فيقال له في ذلك ، فيقول : ما يعرف الإنسان كيف تدور الدوائر ، وواحد من هؤلاء يجيء له وَقْتُ يلقح^(٥) كلمةً تعمّر ألف بيتٍ وتخرب ألف بيت .

وكان يرى أخذ الأموال ولا يرى إهراق الدماء ، فحقن الله دمّه وأذهب ماله .

قال القاضي شهاب الدين : حكى^(٦) الشيخ أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري

(١) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « كثيرة جداً » .

(٢) ضرب من الدروع ، وهي لفظة فارسية .

(٣) في الوافي : « جهاركس » .

(٤) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « مع هذه العظمة .. » .

(٥) في الوافي : « تلفح منه » !

(٦) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « حكى لي .. » .

الصوفي قال : كان ابن عبود إذا عمل المولد الشريف النبوي حضر إليه الأمراء وسائر المماليك والناس ، فعمل المولد مرة في سنة من السنين ، فحضره قرا سنقر ، وكان في المولد رجل شريف صالح مغربي يُعرف بالمراكشي ، فلما مدت الأسمطة قام قرا سنقر وخلع^(١) سيفه وشمّر ومدّ السباط المختصّ بالفقراء وقدم بيده الطعام ، وشرع يقطع المشوي لهم ، ولا يدع أحداً يتولّى خدمتهم [سواء]^(٢) ، فقال المراكشي : من هذا ؟ فقالوا له : هذا الأمير شمس الدين قرا سنقر ، أمير كبير صفته^(٣) نعتة ، ومكانته في الدولة كبيرة ، فقال : لا إله إلا الله ! يعيش [سعيداً]^(٤) وينزل به في آخر عمره كائنة ، ويخلص منها ويخلص بسببه غيره ، ويسلم وما يموت إلا على فراشه .

وكان لا يأخذ من أحد شيئاً إلا ويقضي شغله ويفيده قدر ما أخذ منه مرّات مضاعفة ، وأين مثله أو من يقارب فعله ؟!

حكى أن شخصاً من أبناء الأمراء الكبار بحلب كان يحبّ صبيّاً اشتهر به وعُرف بحبّه ، فاتفق أن ذلك الصبي غاب ، فاتّهمه أهله بدمه وشكوة إلى الوالي ، فأحضره وقرّره بالضرب والتعليق ، فلم يصبر وقال : قتلته ، فألزم به وأودع الحبس على دمه ، وكان بريئاً ، فتحيّل في إرسال شيء . خدم به قرا سنقر ، فأمر أن يُنظر ولا يعجل عليه ، فما مضت مدة حتى جاء كتاب نائب البيرة يخبر بأنه قد أنكر على صبي من أبناء النعمة مع جماعة من الفقراء قصدوا الدّخول إلى مارددين ، وأنه رده إلى حلب ليحقق أمره ، فلما جاء إذا به ذلك الصبي بعينه ، وظهرت براءة المتهم وخلي سبيله ، وغفل عنه قرا سنقر مدة لا يذكره إلى أن مات أمير بحلب وخلف نعمة طائلة ولا وارث له ، فلما أتاه وكيل بيت المال والديوان يستأذنونونه في الحوطة عليه ، فقال : هذا مال

(١) في الوافي : « وقلع » !

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٣) في الأصل : « طبقته » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي .

(٤) زيادة من (ط) ، (ق) ، والوافي .

كثير ، أريد واحداً من جهتي يكون معكم ، وطلب ذلك الرجل وأمره أن يكون معهم ، فحصل من تلك التركة محصولاً جيداً ، وعمل به ذهباً أضعاف ما أعطي قراستقر أولاً ، وأتى بالذهب إلى قراستقر وقال : يا خوند ، هذا الذي تحصل ، فقال : بارك الله لك فيه ، نحن أخذنا نصيبنا منك أولاً سلفاً ؛ ولم يأخذ^(١) [منه] شيئاً ، رحمه الله وسامحه .

وكان ورد إلى بغداد في أول شهر رَمَضان سنة خمس عشرة وسبع مئة ، ومعه زوجته الخاتون بنت أبغا ، وأقام ببغداد ثلاثة أشهر ونصفاً ، ثم عاد إلى خدمة خربندا ، وكان عزمه الإغارة على أطراف الشام ، فلم يؤذن له ، ووثب عليه فداوي في ذي القعدة فلم يصل إليه وقتل الفداوي .

١٣٦٨ - قَرَا طَرْنُطَاي *

الأمير حُسَام الدين . كان أميراً بحلب ، وتُقل إلى دمشق على إقطاع الأمير سيف الدين ملكتمر المعروف بالدم الأسود^(٢) ، فوصل إلى دمشق مريضاً ، ومات - رحمه الله ، تعالى - بعد أيام قلائل في مستهل شهر رمضان سنة أربع عشرة وسبع مئة ، ووصى إلى الأمير سيف الدين بلاط .

١٣٦٩ - قراقوش **

الأمير بهاء الدين .

كان يقال : إنه ظاهريٌّ ، أتى إلى صفد أميراً على طبلخاناه ، وكان عنده مَمَالِيك^(٣)

(١) ما بينهما زيادة من (ط) ، (ق) .

* لم تقف على ترجمته .

(٢) توفي سنة (٧١٤ هـ) . النجوم الزاهرة : ٢٢٨/٩ .

** لم تقف على ترجمته .

(٣) (ط) : « ممالك ملاح » .

وَحْدَام طَواشِيَّة^(١) وأولاد ناس أَتباعَ له ملاح . وأقام في صفد مدة مديدة . وقيل : إن القاضي فخر الدين ناظر الجيش كان يكرهه وَيَحْطُّ عليه ؛ لأنه كان في وقت قد عمل شَدَّ الدواوين بالقاهرة ، وكان فيه معرفة ، وعنده مجلدات ، ويستنسخ الكتب الأدبيَّة وغيرها .

وحكي لي أنه كان بالوجه البحريِّ مباشراً شيئاً من أمور الدولة ، فلما وَزَرَ^(٢) ابن السَّلْعوس كتبَ إليه كتاباً ، فأغلظ قراقوش في الجواب ، ثم إن الوزير أحضره بعد ذلك وضربَه بالمقارع .

[اللقب]^(٣)

☆ القرامزي : عبد الرحمن بن أبي مُحَمَّد .

☆ القرافي : صفى الدين محمود بن مُحَمَّد .

١٣٧٠ - قَرطاي*

الأمير شهابُ الدين الأشرفي الجوكندار الحاجب ، نائب طرابلس .

كان معدوداً في الأبطال ، ومسروداً في عداد أبي مُحَمَّد البَطال^(٤) ، قد مارس الحروب ، وعرف الأماكن والدروب ، وتمَرَّن في الحصارات ، وتدرَّن جسمه بعد التَّنعيم في الإغارات .

(١) في (ق) : « طواشية ملاح » .

(٢) (ط) : « ورد » .

(٣) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

* الوافي : ٢٢٦/٢٤ ، والدرر : ٢٤٨/٣ ، وذبول العبر : ١٨١ .

(٤) عبد الله البطال ، قائد شجاع من أمراء الحرب الشاميين في زمن بني أمية . الأعلام : ٧٤/٤ .

وكان كثير الاحتشام ، عزيز المكارم التي تُنتَجَعُ بروقها وتُشام ، معروفاً في الشام ومصر بالكفاءة ، مشهوراً بالحلم والأناة :

تَشَفُّ على جسم الزَّلال صفائهُ وتَلَطَّفُ عن رَوْح النَّسيم شائِلُهُ

أقام بطرابلس في المرة الأولى نائباً إلى أن عَزِلَ ، وقُطِعَ أمره فيها وخُزِلَ ، وحَضَرَ إلى دمشق وكان فيها أميراً كبيراً ، نازلاً في حِماها محلاً كثيراً ، يعظُّه تِنَكِزٌ ويرعى جانبه ، ويَجْمَلُ به مواكبهُ ، إلى أن أعاده إلى طرابلسَ ثانياً نائباً كما كان ، ووطد له عند السُّلطان القواعد والأركان .

ولم يزل إلى أن توفِّي - رحمه الله ، تعالى - في سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وكان - فيما أظُنُّ - مجلب حاجباً في واقعة قراستقر لما توجه إلى الحجاز وعاد من بركة زِيَّاء إلى حلب وأحاط ، فوقف الأمير شهاب الدين قرطاي في وجهه ومنعهُ من الدخول إليها ، فقال : أنا ما جئتُ إلا لأجل مملوكي جركس ، فقال : خذه ، وما عسى أن تفعله أنت وهو ؟!

وكان قد عزل عن طرابلس في المرة الأولى في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وسبع مئة ، وحَضَرَ إلى طرابلس عوضهُ الأمير سيف الدين طينال^(٤) المُقَدَّم ذكره . وأقام الأمير شهاب الدين بدمشق على إقطاع الأمير بدر الدين بكتوت القرماني ، ولم يزل بها مقيماً إلى أن أُعيد إلى نيابة طرابلس في العشر الأواخر من سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة عوضاً عن الأمير سيف الدين طينال ، وجَهَّز طينال إلى غَزَّة نائباً ، ونقل السَّنْجَرِي من غَزَّة إلى نيابة حمص .

(٤) انظر ذيول العبر : ١٤٣ .

١٣٧١ - قُرْدُم*

الأمير الكبير سيف الدين أمير آخور

كان في أيام الصّالح صّالح ، وهو في محلّ كبير ، فعَمَلَ عليه وأخرج إلى دمشق على إقطاع الأمير سيف الدين منكلي بغا السّلاح دار الصّالحي ، فوصل إلى دمشق في سادس عشري شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ، وطلّب تلك الشحنة إلى مصر ، فأقام الأمير سيف الدين قُرْدُم إلى أن أمسكه الأمير سيف الدين أرغون الكاملي بين العشاءين ليلة الأربعاء سابع عشر شهر رَجَب سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، واعتقله بقلعة دمشق ، وبقي في الاعتقال إلى أن حضر السُّلطان الملك الصّالح إلى دمشق ، في واقعة بيبغاروس ، ولما توجه إلى مصر أخذ^(١) معه صحبة من أمسك في تلك الواقعة إلى مصر ، ثم إنه أفرج عنه وحضر إلى دمشق نائباً في عاشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، ورَتَّبَ له على الديوان في كل يومِ خُسُون درهماً ، فلمّا مات الأمير سيف الدين الجبيغا العادلي أنعم عليه بإقطاعه وتقدمته على الألف .

واستمرّ على حاله بدمشق في جملة مقدمي الألوفا إلى أن مرض ، وتوفّي - رحمه الله ، تعالى - في يوم الأحد تاسع عشر رمضان سنة ست وخمسين وسبع مئة^(٢) .

اللقب والنسب

☆ ابن قُرْصَة : أحمد بن محمّد . عز الدين أحمد بن موسى .

☆ ابن قِرطاس : عبد الرحمن بن محمود .

☆ القَرَماني : الأمير بدر الدين بكتوت .

* الوافي : ٢٢٤/٢٤ ، والدرر : ٢٤٨/٣ ، والذيل التام : ١٤٩ ، وفيه : « قردمر » ، والنجوم : ١٠/٢٢٢ .

(١) في الوافي : « أخذه » .

(٢) لم تذكر سنة وفاته في الوافي .

☆ القرمي : قاضي طرابلس الحسن بن رمضان .

١٣٧٢ - قرمشي بن أقطوان*

الأمير سيف الدين ابن الأمير علاء الدين الحاجب بمصر والشام .

كان رجلاً داهية ، وذا همّة لم تكن بغير المعالي لاهية ، خاطر في أمر لو انعكس عليه لم يكن لحمة التركاني^(١) غيره ثانياً ، ولم يصبح الهلال الوخي^(٢) لعنان الموت عنه ثانياً ، ولكنه حصنة الأجل ، واستعمل القدر فيه التأني لا العجل^(٣) ، على أنه ما نشق له زهر السلامة عن الكيام ، ولا سقي روض نجاته بحب الغمام ، حتى وقع في أحبولة القدر وكان كمن سلم من الحمام إلى الحمام .

ومن تعلّق به حمة الأفاعي يعيش ، إن فاتته أجلّ ، قليلاً

وكان في صباه قد تنسك ، وبجبال الآخرة تمسك ، وامتنع من دخول الحمام ، وأعرض عن لذات هذه الدنيا ورفض ما فيها من الخطام ، وأخذ في مطالعة الأحاديث النبوية ، والافتقاء بسيرة السلف المرضية ، وتلمذ^(٤) للشيخ العلامة تقي الدين بن تيمية ، وكانت كتبه ترد عليه بالنهي عن التمسك^(٥) بالأمور الدنيوية ، هذا وأبوه أمير كبير حاجب بصدد ، والدنيا مقبلة عليه بالعطاء والمنح والصّفد ، وهو عنها بمعزل ، وإذا ضربت له سرادق الدولة لا يعرج إليها ولا ينزل . ثم إنه انسلخ من ذاك ، وأثر

* الدرر : ٢٤٨/٣ ، والسلوك : ٤٩٧/٢/٢ ، وفيه : « قرمجي » .

(١) قتله تنكز لكلام سوء بلغه عنه ، وقد سلفت ترجمته .

(٢) الوخي : القاصد .

(٣) في الأصل : « الأجل » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) .

(٤) في الأصل : « وتلمذ » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « ترد عليه بالحث على النهي بالتمسك » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) . وفي (ق) :

« ترد عليه بالحث على التمسك بالأمور » .

الفكاك ، ونسب أن سلامة العقبى كانت له خيراً ، وتلك ^(١) الطريقة الأولى كانت أحمد سيرا .

وتنقلت به الأحوال فتقدم في دمشق فكان بها من جملة الحجاب ، وأولي التقدم عند تنكز والاقتراب ، ثم توجه إلى مصر فكان فيها حاجباً ، ونال من الخطوة عند السلطان ما كان له واجباً ، ثم إنه حضر إلى صفد وولي بها نيابة القلعة ، ومنها كانت القلعة ، وطلب إلى دمشق واعتقل ، وحل به من نوائب الزمان ما لا عرف ولا عقل .

وكان موته - رحمه الله ، تعالى - في شهر شعبان سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، ودفن بمقابر الصوفية ظاهر باب النصر بدمشق .

كان قد [نشأ] ^(٢) بصفد على خير وديانة وتعبّد ، ولم نعلم له صبوة ، وكان يحب الفقراء والصلحاء ، ويميل إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية وأصحابه ، واختص بالأمير سيف الدين أرقطاي نائب صفد ، وكان يسمر عنده ويلازمه ليلاً ونهاراً .

ولما كان في سنة ست وثلاثين اختص بالأمير سيف الدين تنكز ، وأقام عنده ليلاً ونهاراً بدمشق ، وأقبل [عليه] ^(٣) إقبالاً كثيراً ، وصار من أحظى الناس عنده ، ثم إنه أعطاه عشرة أرماع بدمشق ، وعلت مكانته عنده ، وتردد في البريد مرات عديدة . ثم إنه توجه مع الأمير سيف الدين تنكز - رحمه الله ، تعالى - لما توجه إلى مصر ، وهي آخر مرة توجه فيها إلى مصر ، فغير إقطاعه هناك بالإمرة ثلاث مرات ، وولاه الحجوية بدمشق .

ولما أمسك هو ^(٤) طلب سيف الدين قرمشی إلى مصر ، فتوجه إليه ، وأقام بها

(١) (خ) : « وأن تلك » .

(٢) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .

(٣) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٤) عبارة الوافي : « ولما أمسك الأمير سيف الدين تنكز » .

حاجباً في باب السلطان ، وكان الناس يرون أنه كان له باطن في واقعة تنكز ، وشنع الناس بأنه نَمَّ على تنكز ورماه بما غير خاطر السلطان عليه ، والله أعلم ، فنفرت قلوب ممالك السلطان منه ، وأبغضه الأمراء .

ثم إنه في [أول]^(١) دولة الصالح إسماعيل طلب الخروج إلى دمشق ، فحضر إليها أميراً ، ثم رَسِمَ له بالتوجه إلى صفد أميراً ، ثم إنه بقي بها حاجباً . ثم إنه رَسِمَ له بنبابة قلعة صفد ، فباشرها على أحسن ما يكون ، وبالع في عمارتها ، ورَمَّ ما تشعث منها ، فاجتهد في ذلك . ثم إن الأمير سيف الدين الملك نائب صفد لَمَّا أُمِسِكَ في أيام الكامل شعبان شَنَعَ الناس أن الأمير قُرْمُشي هو الذي نَمَّ عليه ، وكتب إلى مصر في السر يقول : إنه قد عزم على أنه يهرب ، فجددت هذه المرة عليه ما كان كامناً في نفوس الأمراء .

ولَمَّا برز الأمير سيف الدين يلبغا^(٢) من دمشق إلى الجسورة ، واجتمع عليه العساكر طلبه ليحضر إليه ، فوعده بذلك ولم يحضر ، واتفق أن وردت كتب الكامل^(٣) إلى قرمشي في الباطن ، فجهزها هو من جهته إلى أمراء الشام وغيرهم ، وأمسك قصاده بالكتب ، فحرَّك ذلك [عليه]^(٤) ساكناً عظيماً .

ولَمَّا استقرَّ الملك للمظفر^(٥) حاجي جهَّز يلبغا حاجي إلى قرمشي ، وأحضره على البريد ، وأودعه معتقلاً في قلعة دمشق هو وأولاده وجماعة من أهله ، فأقام بها قريباً من شهر أو أكثر ، ثم أفرج عن أولاده وجماعته ، وخنق وأخرج في الليل في صندوق ، ودُفن في مقابر الصوفيَّة ؛ رحمه الله تعالى وعفا عنه .

(١) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٢) (خ) : « يلبغا الحيوي » .

(٣) (خ) : « الكامي » ، وفي الوافي : « الملك الكامل » .

(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٥) (خ) : « المظفر » .

ولما كنت بالديار المصرية سنة خمس وأربعين وسبع مئة كتبت له مرسوماً بنيابة قلعة صفد ارتجالاً من رأس القلم ، وهو :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَصَرَ هَذَا الدِّينَ بِسَيْفِهِ الْمَاضِي الشُّبَا ، وَأَيَّدَهُ بِخَيْرِ وَلِي تَقْصُرُ عَنْ بَاسِهِ سَمَرُ الْقَنَا وَبِيضُ الطُّبَى ، وَحَصَّنَ مَعَاقِلَهُ بِكَفِّ تَأَرَّجَ عَنْهُ الثَّنَاءُ وَطَابَ النَّبَأُ ^(١) ، وَحَمَى سُرْحَهُ بِفَارِسٍ إِذَا أَظْلَمَ الْعَجَاجُ أَطْلَعَ فِي دُجَاهٍ مِنْ سِنَانِهِ اللَّامِعِ ^(٢) كَوْكَبًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا يَدَانِي جُودُهَا غَمَامٌ ، وَلَا يَقَارِبُ حُسْنَ مَوَاقِعِهَا ^(٣) تَبَسُّمُ زَهْرٍ مِنْ ثَغْرِ كَامٍ ، وَلَا يُجَارِي سَرَاهَا بَرْقُ تَسَرُّعِ جَوَادِهِ فِي مِيدَانِ ظِلَامٍ ^(٤) ، وَلَا يُحَاكِيُ تَوَاحِيَهَا ^(٥) [فِي نَوَاحِيهَا] اِزْدِوَاجَ لَأَلَى تَأَلَّفَتْ حَبَّاتِهِ فِي النِّظَامِ .

وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، شَهَادَةً رَقَمَ الْإِيمَانُ بَرُودَهَا ، وَخَتَمَ ^(٦) الْبُرْهَانُ وَجُودَهَا ، وَحَسَمَ الْإِدْمَانُ عَنُودَهَا ^(٧) ، وَنَظَّمَ الْإِيقَانُ ^(٨) عَقُودَهَا .

وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي تَثْنَى الْخَطَّارُ ^(٩) مِنْ بَاسِهِ طَرَبًا ، وَضَحَكَ الْبَتَّارُ [فِي يَمِينِهِ] ^(١٠) الشَّرِيفَةَ عَجَبًا ، وَوَلَّى الْأَدْبَارَ عَدُوَّ الدِّينِ مَعْنًا ^(١١)

(١) فِي الْوَاقِفِ : « الْبِنَا » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « أَطْلَعَ مِنْ سِنَانِ اللَّامِعِ » ، وَفِي (ط) : « أَطْلَعَ مِنْ سِنَانِهِ اللَّامِعِ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (خ) ، وَالْوَاقِفِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « مَوَاقِعُهَا » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، (ط) ، (خ) ، وَالْوَاقِفِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « غَمَامٌ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، (ط) ، (خ) ، وَالْوَاقِفِ .

(٥) زِيَادَةٌ مِنْ (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٦) الْأَصْلُ : « خَتَمَ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، (ط) ، (خ) ، وَالْوَاقِفِ .

(٧) سَحَابَةُ عَنُودٍ : كَثِيرَةُ الْمَطَرِ ، وَالْعَنَدُ : الْمِيلُ .

(٨) فِي الْوَاقِفِ : « الْإِيمَانُ » .

(٩) فِي الْأَصْلِ : « الْخَطُّ » ، وَفِي (ق) ، (ط) : « الْخَطُّ » ، وَفِي (خ) : « الْخَطِّيُّ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي الْوَاقِفِ . وَالْخَطَّارُ : مَا اهْتَرَمَ الرِّمَاحُ .

(١٠) زِيَادَةٌ مِنْ (ق) ، (ط) ، (خ) ، وَالْوَاقِفِ .

(١١) (خ) : « مَعْنًا مِنْهُ » .

هَرَبَا ، وباد الكفار من حزبه لما ذاقوا وَيْلًا وَحَرَبًا^(١) . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ سَادُوا الْأَنَامَ ، وَجَادُوا بِمَا فَاقَ الْغِيَامَ ، وَعَادُوا بِفَضْلِهِمْ عَلَى أُولَى الْفَاقَةِ وَالْإِعْدَامِ ، وَحَادُوا عَنْ طَرَقِ الضَّلَالِ وَالظُّلَامِ ، صَلَاةَ دَائِمَةِ السَّنَا ، قَائِمَةً بَنِيْلَ الْمَرَادِ وَالْمُنَى ، مَا ابْتَسَمَ فِي الرُّوْضِ ثَغْرَ أَقْحَاحٍ ، وَفَتَقَ غَمْدَ^(٢) الظُّلَامِ شَفْرَةَ صَبَاحٍ . وَسَلَّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَبَعْدَ فَإِنْ ثَغْرَ صَفْدِ الْمَحْرُوسَةِ مِنَ الْحُصُونِ الْمَشِيدَةِ ، وَالْمَعَاقِلِ الْفَرِيدَةِ ، قَدْ طَاوَلَتْ النُّجُومُ شَرْفَاتِهِ ، وَعَلَتْ عَلَى الْغِيُومِ^(٣) غَرْفَاتُهُ ، وَتَلَهَّيْتُ ذِبَالَةَ الشَّمْسِ فِي سَرَاجِهِ ، وَنَفَضَ الْأَصِيلُ زَعْفَرَانَهُ عَلَى بَيَاضِ أَبْرَاجِهِ . كَمْ لَانَتْ الْغَمَائِمُ عَلَى هَامَتِهِ عَمَائِمَ ، وَكَمْ لَبَسَتْ أَنْامِلُ بَرُوجِهِ مِنَ الْأَهْلَةِ خَوَاتِمَ . وَالنِّيَابَةِ فِيهِ مَنْصَبٌ شَرِيفٌ ، وَفَضْلٌ عَلَى الْكَوَاكِبِ يَنِيفُ .

وَكَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قَرْمَشِي مِمَّنْ جَمَّلَ الدُّوْلَ ، وَفَازَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْمُلُوكِ الْأَوَّلِ ، وَنَصَحَ وَالدَّنَا الشَّهِيدَ فَأَدَّى مِنْ حَقِّهِ وَاجِبَا ، وَاجْتَهَدَ فِي رِضَاةِ فَكَانَ لَهُ عَيْنًا وَحَاجِبَا ، وَأَثَرُ عَوْدِهِ إِلَى وَطَنِهِ فَنُوْلُنَاءَ مَرَامِهِ ، وَأَجَبْنَا^(٤) قَصْدَهُ الَّذِي أَحْكَمَ نِظَامَهُ ، رَغْبَةً فِي الْعَزْلَةِ وَالْانْجِمَاعِ عَنِ النَّاسِ ، وَطَلَبًا لِلانْفِرَادِ وَالْخُلُوةِ وَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ بَاسٍ ، فَلِذَلِكَ رَسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْعَالِي ، وَالْمَوْلُوي ، السُّلْطَانِي ، الْمَلِكِي ، الصَّالِحِي الْعِمَادِي - أَعْلَاهُ اللَّهُ ، تَعَالَى - وَشَرَفَهُ - أَنْ يَسْتَقَرَّ^(٥) فِي النِّيَابَةِ بِقَلْعَةِ صَفْدِ الْمَنْصُورَةِ عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ [وَأَكْمَلِ الْقَوَاعِدِ]^(٦) ، فَلْيَجْهَدْ فِي مُرَاعَاةِ أَحْوَالِهَا ، وَتَفَقُّدِ مَبَاشَرِهَا وَرِجَالِهَا ، وَرَمِّ مَا تَشَعَّثَ مِنْ بَنَائِهَا ، وَإِصْلَاحِ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي

(١) فِي الْأَصْلِ : « مِنْ بَأْسِهِ لَمَّا يَلْقَاوَا حَرْبًا » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ط) ، (خ) ، وَالْوَاقِي .

(٢) فِي الْوَاقِي : « غَمَّة » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « النُّجُوم » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، (ط) ، (خ) ، وَالْوَاقِي .

(٤) فِي الْوَاقِي : « وَاجْتَنَبْنَا » .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « يَسْمُر » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، (ط) ، (خ) ، وَالْوَاقِي .

(٦) زِيَادَةٌ مِنْ (ق) ، (ط) ، (خ) ، وَالْوَاقِي .

رَبْعُهَا^(١) وفنائها ، فإن لها منه أيام والده المرحوم إشارا ، وله في عمارتها أثارا ، فليُجرها على ماعهدت ، وليزكّها فيما له شهدت ، ويبذل الجهد في تشييدها ، ودوام تحصينها بالرجال وتخليدها ، وتثير حواصلها بالسلاح والعُدَد والغلال ، وعرض رجالها النفاة^(٢) فما الحُصُونُ إلا بالرجال ، ومثله لا يُذكر بوصية ، ولا يُنبّه على مصلحة دانية أو قصية^(٣) ، ولكن التقوى هي العمدة ، والكنز الذي لا يفنى في الرّخاء ولا في الشّدّه ، وهي به أليق ، وبشدّ غراء أوثق ؛ والخطّ الشريف - أعلاه الله تعالى أعلاه - حجّة في ثبوت العمل بما اقتضاه ، إن شاء الله ، تعالى .

١٣٧٣ - قشتمر *

الأمير سيف الدين قشتمر زفر - بفتح الزاي والفاء وبعدها^(٤) راء ..

أول ما علمته من أمره أنه حضر في سنة ستين وسبع مئة من الديار المصيرية إلى [نيابة]^(٥) الرّحبة ، فأقام بها إلى أن حضر إلى دمشق ، وتوجّه بدله الأمير سيف الدين قطلو بن صاروجا . وأقام قشتمر زفر بدمشق إلى أن خرج الأمير بيّدمر ، فجهزه الأمير سيف الدين تمان تمر^(٦) نائب طرابلس ، فأحضره^(٧) إلى دمشق ، فنقم عليه ذلك .

ولما حضر السلطان الملك المنصور محمد بن حاجي^(٨) إلى دمشق أمر بإمساك سيف الدين قشتمر زفر فأمسك ، واعتقل بقلعة دمشق .

(١) في الأصل : « من ريعها » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٢) النفاع : كثير النفع .

(٣) في الوافي : « على مصلحة أو قضية » .

* الوافي : ٢٤٥/٢٤ ، والدُرر : ٢٤٩/٣ .

(٤) في الأصل : « وبعد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٥) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٦) كذا في الأصول ، وفي الوافي : « ثمان عشرة » ! وفي ذيول العبر : ٣٣٩ ، ٣٤٠ : « تومان تمر » .

(٧) في الأصل : « فأحضر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٨) (ت ٧٦٤) ، وفي (خ) : « الملك المظفر حاجي » ، وهذا بعيد لأنه توفي سنة (٧٤٨ هـ) .

وتوفي في محبسه في يوم الجمعة سادس عشر شوال سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، رحمه الله ، تعالى .

الأنساب والألقاب

☆ ابن قريشة : الشيخ تقي الدين محمد بن بركات . أخوه محي الدين عبد القادر . أخوها الشيخ إبراهيم .

☆ ابن قريش : علي بن إسماعيل .

☆ ابن قُرْناص : علاء الدين علي بن إبراهيم ، وهبة الله محمود ^(١) .

☆ القَرْنُدَلِيّ الكاتب : حمّهُ بن بكتوت .

☆ ابن القَزَّاز : محمد بن أحمد .

☆ ابن القسطلاني : محمد بن محمد بن أحمد . وجبال الدين محمد بن محمد بن الحسن .

☆ ابن قطرال : محمد بن علي بن محمد .

☆ قطب الدين السُّنْباطي : محمد بن [عبد] ^(٢) الصّد .

١٣٧٤ - قُطُنْ *

الأمير سيف الدين أمير آخور .

لَمَّا أُخْرِجَ ^(٣) الأمير حسام الدين لاجين أمير آخور الكبير إلى دمشق من الديار

(١) (ط) : « ابن محمود » .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) .

* الوافي : ٢٥٣/٢٤ ، والنجوم : ٢٤١/١٠ ، والدُرر : ٢٥٠/٣ ، والذيل التام : ١٠٧ .

(٣) في الوافي : « خرج » .

المصريّة - على ماسيأتي - جعل هذا الأمير سيف الدين مكانه ، وذلك في شهر رجب سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، فبقي في الوظيفة إلى أن خلع المظفر حاجي في شهر رمضان من السنة المذكورة ، وتولّى الملك الناصر حسن ، فأخرج الأمير سيف الدين قطز إلى نيابة صفد عند موت الأمير سيف الدين أوجا نائبها ، فأقام بصفد نائباً إلى ثاني شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وسبع مئة . فوصل الأمير شهاب الدين أحمد السّاقّي إلى صفد نائباً ، ورسم للأمير سيف الدين قطز بالحضور إلى دمشق ليكون بها مقبياً من جملة أمرائها ما عاش ، إلى أن جاءه منشوره .

بل توفي - رحمه الله ، تعالى - سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق .

١٣٧٥ - قطلقتر قُلي *

الأمير سيف الدين النّاصري ، أحد الأمراء بدمشق أصحاب الطبلخاناه . كتبَ في حقّه أرغون شاه إلى باب السلطان وشكاه ، وسأل نقلته إلى ^(١) حلب ، فأجيبَ إلى ذلك . وكان قد جرد من دمشق صحبة العسكر إلى سيس سنة خمسين وسبع مئة ، فكتبَ أرغون شاه إلى نائب حلب أنه إذا عاد العسكر الدمشقي يتقدم إليه بالإقامة في حلب حسباً رُسم به ، فأقام بها تقدير خمسة أشهر أو أقل .

وتوفي إلى رحمة الله - تعالى - في جمادى الآخرة سنة خمسين وسبع مئة .

١٣٧٦ - قطلقتر **

الأمير سيف الدين . كان يُعرفُ بصهر الجالق .

وكان أحد الأمراء بدمشق ، ثم إنه ولي نيابة غزة .

* : الوافي : ٢٥١/٢٤ ، والدُرر : ٢٥٠/٣ .

(١) ليست في الوافي .

** : الدُرر : ٢٥٠/٣ .

وأَمَسَكَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَسَبْعَ مِئَةٍ ، وَجَاءَ عَوَضُهُ الْأَمِيرَ
عَلَمُ الدِّينِ الْجَوَلِي .

١٣٧٧ - قَطْلُوبْغَا*

الأمير الكبير الداهية الشجاع المقدم سيف الدين السَّاقِي الناصري المعروف
بالفخري .

رَجُلٌ لَا يَهَابُ الْمَوْتَ ، وَلَا يَعْأُ بِالْفَوْتِ ، أَسَدٌ يَصُولُ بِمَخْلَبٍ مِنْ صَارِمِهِ ،
وَيَرِيضُ فِي غَابٍ مِنْ ذَوَابِلِهِ الَّتِي يَنْصَلِّهَا مِنْ عَزَائِمِهِ^(١) ، دَبَّرَ الْأُحْرُوبَ ، وَثَبَّتَ فِي
مَوْقِفٍ تَهَرَّبُ مِنْهُ الْخُطُوبُ ، كَحُلِّ عَيُونِ النُّجُومِ بِمَرَاوِدِ الرِّمَاحِ ، وَضَوَّ الدُّجَى الْحَالِكِ
بَصْبَاحِ الصَّفَاحِ ، وَنَوَّرَ الْعَجَاجَ فَكَانَ كَالْإِثْمَدِ وَالنُّجُومِ فِيهِ مِثْلُ الْعَيُونِ الرُّمْدِ ، وَمَزَّقَهُ
بِالْبَيْضِ الْمَرْهَفَاتِ لَمَّا نَسَجَتْ مَلَأَتَهُ الْمُطَهَّمَةُ الْجُرْدُ :

يَمُّ عَلَى فَتَكَاتِهِ زَهْرَ الْقَنَا كَذَاكَ حَدِيثُ الزَّهْرِ يَحْلُو إِذَا نَمَّا
وَيَحْلُو مَعَ الْخَطِيئِ مِنْ كَلْفٍ بِهِ وَيَخْسِبُهُ قَدْأً فَيُوسِعُهُ ضَمًّا

وَكَانَ النَّاسُ يَظُنُّونَ بِهِ أَنَّهُ فَارِسٌ صَيِّدٌ ، لَا فَارِسَ حَرْبٍ وَكَئِدٌ ، وَأَنَّهُ حَامِلُ رَايَةِ
كَاسٍ^(٢) ، لَا حَامِلَ رَايَةِ الْقَنَا الدَّعَّاسِ ، إِلَى أَنْ قَامَ فِي نَاصِرٍ^(٣) أَحْمَدُ النَّاصِرِ ، وَشَهِدَتْ لَهُ
بِالْفُرُوسِيَّةِ وَالثَّبَاتِ الْأَوَاصِرِ ، وَظَهَرَ عَنْ تَدْيِيرٍ سَاعَدَتْهُ عَلَيْهِ الْمَقَادِيرُ ، وَثَبَّتَ فِي وَقْتِ
الَلِّقَاءِ ثَبَاتَ الْأَنْجَادِ الْمَغَاوِيرِ ، وَثَبَّتَ لِلْقَاءِ جَيْشَ الشَّامِ بِمَجْمُوعِهِ ، وَرَزَقَهُ اللَّهُ النَّصْرَ مِنْ
أَوَّلِ طُلُوعِهِ ، وَكَانَ هُوَ [فِي]^(٤) دُونَ الْأَلْفِي فَارِسَ ، وَخَصَّمَهُ فِي أَكْثَرِ مِنْ عَشْرِينَ أَلْفًا ،

* الوافي : ٢٥٥/٢٤ ، وتحفة ذوي الألباب : ٢٥١/٢ ، والنجوم : ١٠٣/١٠ ، والدُّرَرُ : ٢٥٠/٣ ، وإعلام
الورى : ١٦ .

(١) (ق) ، (خ) : « بمزائه » .

(٢) في الأصل : « راس » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٣) (خ) : « في دولة » .

(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .

إلا أنهم في عداد الأطلال الدّوَّارس ، وكان يوماً عظيماً في النصر ، ومشهداً تفوت عجائبه العدّ والحُصْر ، وسار الطنبغا في بيداء سَمَلَق^(١) ، وسار الفخري ونزل القصر الأبلق .

ولكن قَلِبَت هذه السعادة إلى تعاسه ، فَصَلَّت عن جَسَدِه راسه ، وقطعت من الحياة أَمَراسه ، وقُتِل صَبْراً ، وأُلْقِيَ على الأرض شِلْواً لا يُودَع قبرا ، فسُبْحان مَنْ بيده تصارييف الأمور ، وبأمره ينقلبُ الحُبور إلى الثُّبور .

وكانت قتلته بظاهر الكرك في [أوّل]^(٢) المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

كان من أكبر مَماليك السُّلطان الملك الناصر مُحَمَّد بن قلاون من رفعة^(٣) الأمير سيف الدين أرغون الدوادار ، ولم يكن لأحد من الخاصكيّة ولا من غيرهم إدلاله على السُّلطان ، ولا فيهم من يكلمه [بكلامه]^(٤) ويرد^(٥) عليه الأجوبة الحادّة المَرّة وهو يحتمله .

وقد تقدم شيء [من ذكره]^(٦) في ترجمة أخيه الأمير سيف الدين طشتر حص أخضر .

لم يزل عند السُّلطان أثيراً عاليّ المكانة إلى أن أمسكه في نوبة إخراج أرغون النائب إلى حلب في سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

وكان الفخري مِمَّن يكره الأمير سيف الدين تنكيز ويحطُّ عليه ، وهو الذي ساعد الأمير حُسَيْن بن جندر عليه ، يقال : إنه توجّه مرّة إلى بابه ، وأقام - فيما قيل - من

(١) السَّمَلَق : القاع الصّفص .

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٣) في الأصل : « رفعة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) . وفي الوافي : « رفعة » .

(٤) الزيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) . والوافي .

(٥) (خ) : « ولا من يرّد » .

(٦) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

بكرة إلى الظهر حتى أذن له في الدُخُول ، ولما أخرجه السلطان معه إلى الشام في شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وسبع مئة شدَّ الشَّلُو في وسطه ، وكان يَرْكَب في خدمته ويترجَّل قبلَ نزوله ويمشي في ركابه بالخفِّ من غير سَرْمُوزة ، ويحصل الصَّيْد بين يديه ، ويطعم طيوره ، ولم يزل يدخل إلى قلبه بالخدمة إلى أن أحبه ومالَ إليه . قال تنكِرَ مرّة : والله أَشْتهِي^(١) أن أركبَ مرّة ، وما أخرج ألتقي الفخري واقفاً ينتظرني .

قيل : إنه كَانَ [له]^(٢) واحد واقفاً دائماً بدار السَّعادة متى قُدِّمت فرس تنكِرَ للركوب توجهَ إليه وأعلمه ، ويكون هُوَ قاعداً متأهباً للركوب ، فيركبُ ويقف ينتظره ، فأحبهَ محبةً شديدة حتى لم يبق عنده بدمشق أعزَّ منه .

وقال تنكِرَ عن الفخري : والله لو خدم أستاذَه عُشْرَ^(٣) هذه الخدمة ما كان أحدٌ منّا نال مرتبته .

كان يوماً في ضيافة الأمير صلاح الدين بن الأَوْحَد^(٤) ، وقد شربوا القَمِز ، فدخل عليهم الأمير سيف الدين أوران الحاجب وهو عند تنكِرَ بمحلّ كبير ، فأخذ الفخريَّ الهَيَابَ^(٥) وقام وقال : عندك يا أمير ، فلم يقبله ، فألجَّ عليه ، فلم يوافقَه ، فقالَ تنكِرَ : عندي يا أمير ، أنا أحقُّ بك ، والله يا أمراء ما عند أستاذنا أكبر منه ولا أعز ، ولو وطأ نفسه قليلاً ما كان عند أستاذنا^(٦) فينا أحد يصل إلى ركابه ، وأخذ في الثناء عليه والشكر منه ، ومنها ، وكان^(٧) الواقع ، وانتَحَسَ أوران بها إلى أن مات ، وكان إذا

(١) في الأصل : « ما أَشْتهِي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٣) (خ) : « ربع » .

(٤) هو يوسف بن شاذي بن داود ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٥) أي : الخوف . وفي (ق) ، (خ) ، والوافي : « الهناب » .

(٦) قوله : « عند أستاذنا » ، ليس في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٧) في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي : « كان » بلا واو .

شفع عنده ما يرده . ولم يزل إلى ترضى له السلطان . وكان بعد ذلك يحضر إليه الخيل والجوارح وغيرها من السلطان .

ولم يزل في دمشق على هذا الحال إلى أن كتب السلطان إلى الفخري في الباطن^(١) في إمساك تنكيز ، وقال له : يا ولدي ، ما خبأتك إلا لهذا اليوم ، أبصر كيف تكون ، و [هذا]^(٢) من راح معه راح بلا دنيا ولا آخرة ، فاجتمع هو والأمراء بدمشق ، وخرجوا إلى الأمير سيف الدين طشتر ، وأمسكوا تنكيز ، على ما تقدم في ترجمته ، فنظر إليه تنكيز والتركاش في وسطه ، فقال له : يا فخري ، لا إله إلا الله ، وأنت الآخر بالتركاش ؟! فقال : ماشدّ إلا في يومه . ثم إنه أقام [بعده]^(٣) بدمشق إلى أن حضر الأمير سيف الدين بشتاك وأخذ حواصل تنكيز وخزائنه ، وتوجّه بها .

ثم توجّه الفخري إلى مصر بطلبه ، وعظّمه السلطان زائداً ، ولم يزل في أعز مكانة إلى أن توفي السلطان الملك الناصر ، فأظهر الميثل إلى قوصون ، وكان معه على بشتاك ، وحضر إلى الشام ، وحلّف العساكر الشاميّة للمنصور أبي بكر ، وذلك أيام الأمير علاء الدين ألتنبغا ، ونزل في القصر ، وخرج الناس للقتاه ، ودعوا له ، وخصصوه بالدعاء دون ألتنبغا ، وقدّم له الأمراء^(٤) بدمشق ، وعاد إلى القاهرة .

ولما جرى للمنصور ما جرى وخلعوه وملّكوا الأشرف علاء الدين كجك^(٥) وجعلوا الأمير سيف الدين قوصون ، مال الفخري إلى قوصون ميلاً عظيماً [وقام بنصره]^(٦) ، وطلب قوصون من يتوجّه إلى الكرك ليحاصر أحمد ، فلم يجسر أحد غير

(١) قوله : « في الباطن » ليس في (خ) .

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٣) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٤) في الأصل : « الأمير » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٥) عبارة الوافي : « علاء الدين كجك أخاه » .

(٦) زيادة من (ق) ، (خ) ، والوافي .

الفخري ، فخرج هو والأمير سيف الدين قباري في ألفي فارس إلى الكرك ، وحضر أحمد^(١) ، ووسط جماعة من أهل الكرك ، وبالع وربيًا أفحش في خطاب الناصر أحمد ، فحقدها عليه ، ثم لما بلغ الفخري أن الطنبغا نائب دمشق توجه إلى حلب لإمساك طشتر نائبها ، وخلت دمشق من العسكر ، حضر الفخري إلى دمشق وترك الكرك ، وخرج أهل دمشق إليه وتلقوه ودعوا له ، فدخلها ونزل على خان لاجين ، واقترض من مال الأيتام مبلغ أربع مئة ألف درهم ونفق^(٢) فين معه من العسكر ، ولحق الأمير بهاء الدين أصلم - وهو على قارا - بعسكر صفد ليلحق الأمير علاء الدين الطنبغا إلى حلب ، فبعث إليه الفخري ورده ، وطلب الأمراء الذين تخلفوا في برّ دمشق ، فحضروا إليه ، وأقام بخان لاجين ، وكتب إلى الأمير سيف الدين طقزقرم نائب حماة ، فحضر إليه وتلاحق الناس به ، ولما حضر طقزقرم إليه قوي جأشه وجأش من معه .

وكان لما دخل إلى دمشق أحضر الناس وحلفهم للناصر أحمد ، ودعا الناس إلى بيعته ، ومال الخلق إليه ، واستخدم الجند البطالة ورتب أناساً في وظائف ، ووعد الناس كثيراً ، وحضر إليه الأمير شمس الدين آقسنقر السلاري لما كان في غزاة نائباً وأمسك الطرقات وربطها من صرخد إلى بيروت على من يحضر من مصر إلى حلب أو يحضر^(٣) من حلب إلى مصر ، وأمسك البريدية وأخذ ما معهم ، وعمى الأخبار على قوصون وعلى الطنبغا ، وظهر بعزم كبير وحزم كثير ، وساعده القدر وخدمته السعود زائداً ، حتى لقد كنت أعجب منه .

وصار أمره كلما جاء قوي ، وأمر الطنبغا كلما جاء انحل وضعف ، وترددت الرسل بينه وبين الطنبغا ، وطال الأمر بينهما ، ولم يزالا كذلك إلى أن وصل الطنبغا من

(١) عبارة الوافي : « وحضر الناصر أحمد » .

(٢) (خ) : « وأنفق » .

(٣) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « أو من يحضر » .

حَلَبَ ونَزَلَ القُطَيْفَةَ ، وأقام بها ثلاثة أيام ، وجبنَ عن لقاء الفخري ومعه عسكر دمشق وعسكر حلب^(١) وعسكر طرابلس في عِدَّةِ تِسْعَةِ عَشَرَ ألفَ فارس أو أكثر ، وضعفت نفوسُ الذين مع الفخري ؛ لأنهم دون الثلاثة آلاف بمن معهم من رجالة^(٢) الجبَلِيَّةِ من أهل البقاع وبعليكَ ، وتردَّدت القضاة بينها ، ومال الفخري إلى الصُّلح وقال : أرجع عنك بشرط أن توفي عني مال الأيتام ؛ لأنني أنفقت على مَنْ معي من العسكر ، ولا تقطع مَنْ رتبته في وظيفة^(٣) . فتوقَّفَ أطنبغا ، وطال التُّردُّدُ بينهما ، والعسكران في المصاف ، وهلك مَنْ مَعَ أطنبغا مِنَ الْجُوعِ ؛ لأن عسكر الفخري حالَ بينهم^(٤) وبين دمشق ، وسيَّبَ المياه على المَرَج ، فحالَ بينه وبين حريمه ، وبين العسكر وبين دمشق ، ولو نزل أطنبغا ولم يقف بالقطيفة داس الفخري ومَنْ مَعَهُ دَوْسًا ، ولو وافق الفخري على ما أراد ودخل إلى دمشق دخلها ومَلَكها وبقي على حاله نائبًا ، وكان الفخري يَكُونُ ضيفًا عنده تحت أوامره ونواهيهِ ، ولكن إذا أراد الله أمرًا بَلَّغَهُ ، فلم يَكُنْ ذلك النهار إلا بمقدار الثالثة من النهار حتى مَالَ العسكر الشامي بمجموعه إلى الفخري ، وحركوا طبلخاناتهم وتحَيَّروا إلى الفخري ، وتركوا أطنبغا وحده على مامرٍّ في ترجمته ، فهربَ فَيَنْ هرب معه من الأمراء ، ودخل الفخري بعساكره إلى دمشق ، ومَلَكها ونزل القصرَ الأَبْلَق ، وأخذ في تحليف العساكر للسلطان الملك الناصر أحمد ، وجَهَّزَ^(٥) إليه لِيَحْضُرَ إلى دمشق ، فقال : جَهَّزْ لي الأمراء الكبارَ الذين عندك . فتوجَّهَ إليه الأمير سيفُ الدِّين طقزقرم ، والأمير بهاء الدِّين أصلَم ، والأمير سيف الدِّين قماري ، وعلم الدِّين سليمان بن مهنا ، فتوجَّهوا إلى الكرك ، وعادوا ولم يحضِرْ مَعَهُمْ ووعدَهُ بأنه إذا حَضَرَ طشتمر نائب حَلَبَ حَضَرَتْ ، فأخذ الفخري في العمل^(٦) على

(١) في الأصل و (ط) : « الشام » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، والوافي .

(٢) (ق) ، (ط) ، (خ) : « رجال » .

(٣) في الأصل و (ط) : « قطيفة » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٤) في الوافي : « بينه » .

(٥) (ط) : « وجَهَّزه » .

(٦) في الأصل و (ط) : « فأخذ الفخري للعمل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، والوافي .

حُضُور طَشْتَمَر مِن بِلَاد الرُّوم ، وَلَمْ يَزَلْ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَعْمَلُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ حَضَرَ ، وَوَصَلَ إِلَى دِمَشْقَ ، فَخَرَجَ وَتَلَقَّاهُ ، وَأَنْزَلَهُ بِالنَّجِييَّةِ عَلَى الْمِيدَانِ ، وَحَمَلَ إِلَيْهِ مَالاً عَظِيماً .

وَوَرَدَتْ كُتُبُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ أَحْمَدَ إِلَى الْأُمَرَاءِ الْكِبَارِ^(١) بِالشَّامِ تَتَضَمَّنُ أَنَّ الْأَمِيرَ سَيْفَ الدِّينِ قُطْلُوبْغَا الْفَخْرِي هُوَ كَافِلُ الشَّامِ يُولِّي النِّيَابَاتِ الْكِبَارَ لِمَنْ يَخْتَارُ ، فَوَجَّهَ الْأَمِيرَ عَلَاءَ الدِّينِ طَيْبُغَا حَاجِي إِلَى حَلَبَ نَائِباً ، وَوَجَّهَ الْأَمِيرَ حَسَامَ الدِّينِ طَرْنَطَايَ الْبَشْمَقْدَارَ إِلَى حِمصَ نَائِباً ، وَوَجَّهَ الْأَمِيرَ سَيْفَ الدِّينِ طِينَالَ إِلَى طَرَابُلُسَ نَائِباً ، وَشَرَعَ فِي عَمَلِ آلَاتِ السُّلْطَنَةِ وَشَعَارِ الْمَلِكِ^(٢) ، وَيَسْأَلُ مِنَ النَّاصِرِ أَحْمَدَ الْحُضُورَ وَهُوَ يَسُوفُ بِهِ وَبِالْأَمِيرِ سَيْفَ الدِّينِ طَشْتَمَرَ إِلَى أَنْ عَزَمَ الْفَخْرِي وَطَشْتَمَرُ عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَيْهِ بِالْعَسَاكِرِ ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ دِمَشْقَ وَسَمِعَ بِهِمْ تَوَجُّهُهُ هُوَ وَحَدَهُ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَتَوَجَّهَهَا بِالْعَسَاكِرِ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، فَلَمَّا قَارَبَا الْقَاهِرَةَ بَعَثَ إِلَى الْفَخْرِي وَإِلَى طَشْتَمَرَ مَنْ يَتَلَقَّاهُمَا ، وَأَكْرَمَ نَزْلَهُمَا ، وَاسْتَتَبَ الْأَمْرَ لِلنَّاصِرِ أَحْمَدَ ، وَخَلَفَ لِلصَّرِيونَ وَالشَّامِيُونِ لَهُ ، وَكَانَ يَوْمَ الْبُيُوعَةِ الْفَخْرِيُّ وَأَقْفًا مَشْدُودَ الْوَسْطِ ، وَبِيَدِهِ عَصَاٌ مُحْتَفِلًا بِذَلِكَ الْأَمْرَ احْتِفَالاً كَبِيراً .

وَخَرَجَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ آقْسَنْقَرُ النَّاصِرِي إِلَى غَزَّةَ نَائِباً ، وَخَرَجَ الْأَمِيرُ رُكْنَ الدِّينِ بَيْبُرسُ الْأَحْمَدِي إِلَى صَفَدَ نَائِباً ، وَخَرَجَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ الْمَلِكُ إِلَى حِمَاةَ نَائِباً ، وَخَرَجَ الْأَمِيرُ عَلَاءُ الدِّينِ أَيْدِغْمَشُ أَمِيرُ آخُورَ إِلَى حَلَبَ نَائِباً ، وَخَرَجَ^(٣) الْفَخْرِيُّ بَعْدَ الْجَمِيعِ إِلَى دِمَشْقَ نَائِباً ، فَلَمَّا كَانَ قَرِيباً مِنَ الْعَرِيشِ لِحَقِّهِ الْأَمِيرَ عَلَاءَ الدِّينِ الطَّنْبِغَا الْمَادَرَانِي فِي أَلْفِي فَارِسٍ لِإِمْسَاكِهِ وَالْقَبْضِ عَلَيْهِ ، فَأَحْسَنَ بِذَلِكَ^(٤) ، فَفَرَّقَ

(١) (خ) وَالْوَافِي : « الْأَكْبَر » .

(٢) فِي الْأَصْلَ : « وَشَعَارُ السُّلْطَنَةِ الْمَلِكِ » ، سَهُوً ، وَأَثْبِتْنَا مَا فِي (ق) (ط) ، (خ) وَالْوَافِي .

(٣) مَا بَيْنَ « خَرَجَ » وَ« خَرَجَ » ، سَقَطَ مِنْ (خ) .

(٤) فِي (ق) وَالْوَافِي : « بِالْقَضِيَّةِ » .

مامعه من الأموال وهربَ في نفر قليل من مَالِيكِهِ ، ولحق بالأمير علاء الدِّين أيدغمش وهو على عين جالوت ، واستجار به . فأكرمَ نَزْلَهُ أَوَّلَ قَدُومِهِ ، ثُمَّ بَدَأَ له فيما بعد ، فَأَمْسَكَه وَقَيْدَهُ وَجَهَّزَهُ مع ولده أمير علي إلى القاهرة ، فَلَمَّا بَلَغَ الناصِرُ أَحْمَدُ إِمْسَاكُهُ خَرَجَ إلى الكرك ، وأخذ معه طَشْتَمُرَ - وكان قد أَمْسَكَه أَوَّلًا على ما تَقَلَّصَ في ترجمته - وَسَيَّرَ إلى ^(١) أمير علي مَن تَسَلَّمَ الْفَخْرِيَّ مِنْهُ ، وَسَارَ به إلى الكرك ، ودخل الناصرُ أَحْمَدُ الكرك ، واعتقل الفخريَّ وطشتر بالكرك مدة يسيرة ، فيقال : إِنَّهُمَا في ليلة كَسَرَا بَابَ حَبْسِهِمَا وَخَرَجَا ، ولو كان معها سيف أو سلاح ملكا قلعة الكرك تلك الليلة ، وكان الناصرُ أَحْمَدُ في تلك الليلة قد بات خارج القلعة ، ولما أصبح أحضرهما وقتلَهُمَا صَبْرًا قَتَامَةً .

يحكى أن طشتر خَارَ من القتل وضعف وانحنى ، وأما الفخري فلم يهب الموت ، وقال للموكلين بهما : والكم قَدُمُونِي ^(٢) قبل أخِي هذا ، فَإِنْ هَذَا مَالَهُ ذَنْبٌ ، لَعَلَّهُ يَحْصُلُ لَهُ بَعْدِي شَفَاعَةٌ . وكان قتلُهُمَا في التاريخ المذكور .

وكان الفخري شجاعاً مقداماً أريباً داهيةً حليماً جواداً أميناً لا يُحَسِّنُ ^(٣) يَكْتُبُ شيئاً ^(٤) ، وإنما يَكْتُبُ على التواقيع وعلى الكتب دَوَادِرَهُ طَغَايَ .

قال لي القاضي شهابُ الدين أحمد بن فضل الله : ما رأيت أكرم منه ، لا يستكثر ^(٥) على أحد شيئاً يَطْلُبُهُ ^(٦) . انتهى .

قلتُ : ولما جاء ونزل في القصرِ الأبلق بعد هروب الطُنْبُغا كتب كتباً على لسانه

(١) في الأصل و (ط) : « وسَلِّمَ على » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) والوافي .

(٢) في (ق) ، (خ) والوافي : « بالله قنموني » . وقوله من بعد : « أخي » . ليس في (خ) .

(٣) (خ) : « لا يحسن أن » .

(٤) (ط) ، (خ) والوافي : « يكتب اسمه » .

(٥) في الأصل : « لا يستكثر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) والوافي .

(٦) (خ) : « يطلبه منه » .

إلى الأمراء المصريين ، ورمى بينهم ، فاختلفوا على قوصون وأمسكوه ، هذا وهم في قصر دمشق فعل هذه الفعلة ، فكنت أعجب من دهائه مع عُتَيْتِه وأُمَيْتِه وَمَا دَبَّرَه وما اعتمده حتى خبط الشام ومصر . على أنه لما أدبرت سعادته كان حتفه فيما دَبَّرَه :

إِنَّ الْمُقَادِيرَ إِذَا أُبْرِمَتْ أَلْحَقَتِ الْحَازِمَ بِالْعَاجِزِ
ولقد أقولُ إذا فُكِّرْتُ فيه :

أَضَاعُوهُ وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيَةٍ وَسَدَادِ ثَغْرِ^(١)
وقلتُ أنا فيه لَمَّا قُتِلَ - رحمه الله ، تعالى - :

سَمَتْ هِمَّةُ الْفَخْرِيِّ حَتَّى تَرَفَّعَتْ عَلَى هَامَةِ الْجُوزَاءِ وَالنَّشْرِ بِالنَّشْرِ
وَكَانَ بِهِ لِلْمُلُوكِ فَخْرٌ فَخَانَهُ الزَّ زَمَانٌ فَأَضْحَى مَلِكٌ مِصْرَ بِلَا فَخْرِ

ولمّا كان بعد واقعته جَلَسْنَا يوماً بحِجَاةٍ فِي خِدْمَةِ الْقَاضِي شَهَابِ الدِّينِ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ ، فأخذ في نظم شيءٍ مِنَ المَجُونِ مع شخصٍ يَبْسُطُ مَعَهُ ، ونَظَمَ هُوَ وَغَيْرُهُ أَشْيَاءَ مَا بَيْنَ هَجْوٍ وَمَا بَيْنَ مَجُونٍ ، وَأَلْزَمَنِي ، فَاسْتَعْفَيْتُ ، فَقَالَ : لَا بَدَ ، وَأَقْسَمَ عَلَيَّ ، فَقُلْتُ :

هَلْ لَكَ فِي أَيْرِ غَدَا رَأْسُهُ تَعَجَّبُ مِنْهُ قُبَّةُ النَّسْرِ
لَوْ أَنَّهُ فِي جَيْشِ الطُّنْبُغَا خَرِي لَهُ قُطْلُوبُغَا الْفَخْرِي

فأعجبه زهرة لهما كثيراً ، وقال : مَا بَقِيَ بَعْدَ هَذَا شَيْءٌ ، وَتَرَكَ مَا كَانَ فِيهِ .

١٣٧٨ - قُطْلُوبُغَا*

الأمير سيف الدين الناصري المعروف بالمغربي .

(١) أصل البيت : « أضعوني .. » . والبيت للمرجي في ديوانه : ٣٤ - ٣٥ ، (ط . بغداد - ١٩٥٦) .

وانظر الشعر والشعراء : ٥٧٨/٢ .

* الدرر : ٢٥٢/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٦٩/١ .

كان [قد جاء] في بُشْرَى بعافية السُّلطان إلى دمشق لما كان قد مَرِضَ السُّلطان وعُوفي ، وحصل لَهُ شيء كثير من تنكز ومن أمراء الشَّام .

وكان أمير مئة مقدَّم ألف ، وكان قد حضر مع رسول القان بوسعيد من القاهرة ، فوصلَ إلى الفرات ^(١) ، وعادَ إلى القاهرة ، فمات عند وُصوله إليها في ثامن شهر رمضان سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

وكان فيه دينٌ وخيرٌ . حجَّ في وقت بالركب المصري ، رحمه الله ، تعالى .

١٣٧٩ - قُطْلُوبِكْ*

الأمير سيف الدين المنصوري المعروف بقُطْلُوبِكْ الكبير .

كان أميراً إذا قيل : أمير ، لابل ملكاً على تحقيق قدره الكبير ، لم ير الناس مثله رَحْتِه ، ولا مثل جلوسه في سعادة تحته ، أموال تفوق الأمواج ، وخيول حصونها أعظم من الأبراج ، ومماليك كأنهم الكواكب ، وحفدة تتجمل بهم للواكب ، وآلات ، تفتخر بها البدور في الهالات ، حتى كان الناس يعجبون من بذخه ، وعُنفوان سَعده الزائد وشرخه .

وكان ذا خبرة ودهاء ، ومعرفة بالأصناف واعتناء في الاقتناء ، وتوجّه إلى السُّلطان الملك الناصر وأحضره من الكرك ، والتزم له بأنّه لاهمّ يناله ولا دَرَكَ ، وهو الذي أتى به ، وأخذ في توكيد ملكه وأسبابه ، ويقال : إنّهُ هو الَّذي قام له بشعار الملك من عنده ، وكلّما احتاج إليه في ذلك المَهْم عَجَّلَه في تقده ، حتى إنّ الحوائص الفضة والذهب أحضرها في أطباق الغسيل ، وزاد في هذه الأشياء وأمثالها ^(٢) حتى عجب منه

(١) عبارة الدُّرر : « سفر رسولاً إلى بوسعيد ملك التتار ، فوصل إلى الفرات » .

* الوافي : ٢٦٠/٢٤ ، والدُّرر : ٢٥٢/٣ .

(٢) في الأصل : « أمثالها » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

الفرات والنَّيل ، فعظَّمه السُّلطان ، ووعدَه بأن يكونَ في دمشق نائباً ، وأن يكونَ هُوَ حاضرَ الملك إذا كان هُوَ غائباً . ثم إنه [من] ^(١) مِصْرَ أخرجَه إلى صَقد نائبها ، وألزمَه أن يكفِيها مَهامَّها ويكفِ نوائبها ، ثم إنَّه أمسكَه فيها بعد قليل ، وأذاقَه فيها الخُطبَ الجليل . وقبض عليه في رابع عَشْرِي جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسبع مئة بصَقد ، وحُمِلَ منها إلى الكرك .

وفي شهر رجب سنة إحدى عشرة حمل بكتر الجُوكندار إلى الكرك ، واعتقل مع كراي وقطلقتر صهر الجالِق وأَسندمر نائب طرابلس وبتخاص .

كان الأمير قَطلوبك ^(٢) الكبير - رحمه الله ، تعالى - مؤاخياً لسلَّار ، وولِيَ الحُجُوبِيَّة في مصر ؛ لأنَّه كان قد وليَ الشَّدَ بدمشق عوضاً عن جاغان لما قتل حَسام الدِّين لاجين مُدَّة سيرة إلى أن وصل السلطان من الكرك إلى مصر ، فأعرض عن الشَّدَ ، وتوجَّه إلى مصر في يوم الأحد سادس عَشْرِي جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وست مئة ، فولَّاه السُّلطان الحُجُوبِيَّة عوضاً عن الأمير سيف الدِّين كرت ^(٣) لَمَّا قُتِلَ ، فعملها عملاً صَغُرَت النِّياية معه فيها ، وقلَّ قَدْرُها ؛ لجمع الأمراء عليه والأويراتِيَّة والوافدين ، ومَدَّ السَّماط لهم وإفاضة الخلع عليهم ، فأهمَّ البَرْجِيَّة أمره خوفاً من قوة شوكة سلَّار ، فأخرج إلى الشام وولِيَ نِيايَةَ طرابلس ، فكرِهها ، واستعان بالأفرم في الإقالة منها ، فأقيل . ثم كانت بينه وبين أسندمر الكُرْجِي نائِبها بعده مُصاهرة ، كان معين الدِّين بن حُشيش هو السَّاعي فيها .

واستقرَّ قَطلوبك الكبير في دمشق من مَقَدَّمي الألوْف ، ولم يَمْشِ إلَّا مَشْيَ عَظَماء الملوك من فرط البَذخ والتَّجَمُّل وعظم الخدم والحشم والأتباع [و] ^(٤) وفور الحاشية

(١) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٢) (ط) : « سيف الدِّين قَطلوبك » .

(٣) في الأصل : « شرف الدِّين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ط) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٤) زيادة من (ط) .

وكثرة الغاشية ممّا لا يقوم مغلّ إقطاعه بثلث الكلفة له ، وكلّما طال الزّمان ومرّ عليه ازداد في ذلك أمره ، وكان لا يدري من أين مدّده ، ولا كيف تنفق يده ، وظهر من الأفرم كراهية له ؛ لأنّه بان له تكبره علّيه ، فوقع بينهما ، ودخل الحاج بهادر وبكتر الحاجب وغيرهما من الأمراء [بينها]^(١) ، فاصطلحا ، وأوجبوا على قطلوبك الشكران^(٢) ، فعمل ذلك في المرج .

قال القاضي شهاب الدّين بن فضل الله : أنفق فيه ما يقارب الثلاثين ألف دينار ما بين طعام وشراب وخلع^(٣) وتقادم للأفرم وحاشيته ، وكانت الضيافة ثلاثة أيام لم ينقطع مدّها . قال : وكنت ممن حضرها ونظرها ، وهي تزيد على الوصف .

قال : والتزم مرّة بدرك الرحبة سنة حملاً عن الأمراء ، وجرّ نحو مئة جنيب من الخيل غير الهجن مجلّلات بالحرير ملبسات حلّيّ الذهب والفضّة ، جميعها باسمه ورنكه ، وأقام بالرحبة عشرة أشهر غير مسافات طرّقه ، وكان يقيم بأكثر الجند المضافين إليه ، فأما جنّده [فلا يتكلّف أحد منهم شيئاً في مدّة ييكاره]^(٤) قال : فحكى لي صاحبنا الشريف ناصر الدّين محمّد الحسيني - رحمه الله ، تعالى ، وكان من مضافيه^(٥) - من هذا ما تعجّب منه ، وقال لي : كان راتب شرايجاته في شهر رمضان في كل يوم وزن خمسة وعشرين رطلاً بالدمشقي من السكر ، وبنى بالرحبة جامعاً وقصراً وميدان كُرة ومنازل للجند .

قال : ولما أتى السلطان من الكرك إلى دمشق كان [لا]^(٦) ينفق في مدّة مقامه

(١) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٢) في الوافي : « الشكرانة » .

(٣) في الأصل : « في خلع » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٤) زيادة من الوافي .

(٥) في الوافي : « مضافيه » ، ولعلها أشبه .

(٦) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

بدمشق تلك الأيام إلا من خزائنه ، وسَفَرِه^(١) ، إلى أن دخل إلى مصر ، وهو من دمشق على وظيفة الأستاذ داريّة ، ثم أخرجهُ إلى صفد نائباً ، فأقام بها إلى أن أمسكه .

وكان قطلوبك بَعَا يعاني زِيَّ المغل في لبس الكنبك والطرز بين كتفيه ، وركوب الأكاديش غالباً ، وكان أَسْمَر شديداً السُمرَة بطيناً حسن الصورة ، يكتبُ خطّاً جيّداً قوياً ، وله إلمامٌ ببعض عربيّة وفقهٍ وحديث ، وعنده تندير وولع^(٢) على سبيل اللعب ، وله شعر منه ما عمله في مجلس الأفرم في ساقٍ يسقيهم القمير ، فقال :

أَمِيرُ الْحَسَنِ سَاقِينَا يُحَيِّنَا فَيَحْيِينَا
فَيَا لَلَّهِ مَا أَحْلَى إِشَارَاتِ الْمُحْيِينَا

فأمر الأفرم الشيخ صدر الدّين بن الوكيل - رحمه الله ، تعالى - بأن يزيد عليها ، فذَيَّلَهَا بأبيات ، ثمَّ إِنَّهُ أَمَرَ بِهَا فَلَحَّنت ، وَغُنِّيَ بِهَا عَامَّةُ يَوْمِهِ .

قلت : إلا أنه كان يأخذ أموال الناس ، وما يعطيهم شيئاً ، وإذا اشترى من أحد شيئاً ما يعوّضه بثمنه ، فأخذ مرّةً من تاجرٍ شيئاً ، وحال ما بينه وبين ثمنه ، ولم يجد التاجر من يخلص حقّه ، فشكا حاله إلى الشيخ تقيّ الدّين بن تيمية - رحمه الله ، تعالى - فتوجّه معه إليه ، فلما دخل إليه قام له وأجلّسه ، وقال : شيخ ، إذا رأيت الأمير بيباب الفقير فنعم الأمير ونعم الفقير ، وإذا رأيت الفقير بيباب الأمير فبئس الأمير وبئس الفقير . فقال له الشيخ تقيّ الدّين : اسمع قطلوبك ، لا تعمل دركوانات العجم ، موسى كان خيراً مني ، وفرعون كان أغحس منك^(٣) ، وكان موسى يأتي إلى بابه كل يوم ويأمره بالإيمان ، أعط^(٤) هذا التاجر ماله . فقال : نعم ، ووزن له الذي له .

(١) مراده : في مدّة مقامه وسفره . وعبارة الوافي أوضح ممّا هنا .

(٢) في الوافي : « ودلع » .

(٣) في الأصل : « معك » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٤) في الأصل و (ط) : « أعطي » .

وعمل عيد النحر في صفد ، فنحر من الضحايا بقرأً وغنماً ما يزيد على الوصف ، وبعث بذلك إلى الزوايا والفقراء ، وجافت^(١) بذلك صفد ، وأتنتت بأسقاط الأبقار والأغنام ، ولم يجد ذلك من يأكله .

١٣٨٠ - قطلوبك بن قراسنقر*

الأمير سيف الدين ابن الأمير شمس الدين الجاشنكير ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق .

كان ظريفاً في عباراته ، لطيفاً في إشاراته ، عليه خفر أولاد الناس ، وفيه مباينة غيـره من غرائب الأجناس ، يتأنق في مأكله الشهية ، ويتخرق في ملابسه البهية ، يترامى على ود أصحابه ، ويخالط كل أحد بما هو أولى به ، وله ندماء وعشراء ، وأصحاب وخلطاء .

ولم يزل على حاله إلى أن ذابت شحمتا عينيه ، ووجد ما قدّم من الأعمال بين يديه .

وتوفي - رحمه الله ، تعالى - في سابع شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

كان قد باشر الحجوية بدمشق عوضاً عن الأمير شهاب الدين قرطاي في سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وعزل منها في ...^(٢) وبقي على إمرته ، ونـدبه الأمير سيف الدين تنكز إلى عمارة القناة التي ساقها من عين عروب إلى القدس ، ولما فرغ من ذلك طلبه السلطان الملك الناصر محمد ، وطلب الصنّاع الذين كانوا معه في العمل ، فتوجهوا في البريد ، ولما وصلوا قال لهم السلطان : أريد أن أسوق خليجاً من

(١) أي كثرت فيها الجيف .

* الدرر : ٢٥٤/٣ .

(٢) كذا بياض في الأصل و (ط) و (ق) .

النيل إلى سوق الخيل تحت القلعة ، وأرميه على القاهرة . فتوجه الأمير قطلوبك^(١) بالصناع إلى خلوان ، ووزنوا مجرى الماء وعادوا ، وقالوا للسلطان : هذا يصير بسعادتك . قال : كم يريد ؟ قالوا : ثمانين ألف دينار ، قال^(٢) : ما هو كثير ؟ قال : وكم يريد من المدة ؟ قالوا : عشر سنين ، فقال : هذا كثير . وبطل ذلك العزم ، وأعادهم إلى دمشق .

ولما جاء الأمير شرف الدين حسين بن جندربك إلى دمشق ليتوجه منها إلى القاهرة لما طلبه السلطان في سنة سبع وعشرين وسبع مئة اجتمعوا وتحادثوا ، وانشرحا لما بينهما من الرومية التي تجمعهما ، وذكرنا قديم صحبتها ، وأحضر أمير حسين وصية كنت كتبته له بصفد ، وقرأتها عليهما . ومما وصى به فيها يقول : فإن مات بدمشق فيدفن في تربتهم بجبل قاسيون المعروفة بهم ، وإن مات بالقاهرة يدفن في بيت الخطابة بجامعه الذي أنشأه ظاهر القاهرة بحجر جوهر النوبي ، وإن مات في الغزاة يترك في مكانه في الفلاة ليعثه الله - تعالى - من حواصل النُور ويطون السباع . فقال قطلوبك بن الجاشنكير : والله يا أمير شرف الدين لقد اخترت ميتة عجيبة ، والله أنا ما أشتهي أن أموت إلا على فراشي ، ونطوعي ومخاذي المزرکشة في باشخاناتي ، ويخرج نعشي وعليه الرِّيحان والياسمين ، وجواري من خلفي يكيّن عليّ ويندبنني . فعجبت من تفاوت قصديهما ، رحمهما الله ، تعالى .

١٣٨١ - قطلوبك *

الأمير سيف الدين الشخي ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق .

توفي - رحمه الله ، تعالى - بدمشق في خامس شهر ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة

وسبع مئة .

(١) (ط) : « سيف الدين قطلوبك » .

(٢) في الأصل : « وقال » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

* الدرر : ٢٥٤/٣ .

١٣٨٢ - قَطْلُوتْمَرْ*

الأمير سيف الدين الخليلي الناصري .

كان من جملة الأمراء بدمشق ، وولاهُ الأمير سيف الدين طقزتمر نائب دمشق الحجة . وكان حاجباً صغيراً ، وعمر الدار التي في العُقَيَّة قبالة سوق الخيل والمئذنة والمسجد ، وله الدارُ التي في القصَّاعين ، وبقيَ على ذلك إلى أن حضر الأمير حسام الدين طرنطاي البشمقدار من القاهرة متوجَّهاً إلى حمص نائباً في أول دولة الكامل شعبان ، ولَمَّا وصل القسطل حضر البريد من مصر بردهُ وأن يتوجَّه الخليلي مكانه إلى حمص^(١) نائباً ، فتوجَّه الأمير سيف الدين قطلوتمر ، وأقام بمحص قريباً من شهر .

وتوفي - رحمه الله ، تعالى - في أواخر جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وسبع مئة .

١٣٨٣ - قَطْلِيُجَا**

الأمير سيف الدين الحُمويُّ الناصري الجمدار .

كان حسنَ الصورة بهيّا ، لطيف الحركات شهياً ، أبيض تعلوه حمرة قانيه ، نقي الثغر كأنه أقحوانة في الروض زاهية ، معتدل القوام ، مبتسماً على الدوام ، إلا أنه في حياة أساء السيره ، ولم يجعل التقوى ظهيره ، ونقل منها إلى حلب فما تمتع بها ، ولا لحق أمره يتمسك بسببها ، إلى أن دَوَّت زهرته اليانعة ، وقامت به الناعية الرائعة .

* الوافي : ٢٦١/٢٤ ، والدُرر : ٢٥٤/٣ ، وأشار إليه صاحب البداية : ٢١٣/١٤ بلفظ : « تقطم الخليلي » ، وورد اسمه في الذيل التام : ٨٢ ، بلفظ : « طقتمر الخليلي » .

(١) صريح كلام الدُرر لأنه ولي نيابة صفد وبها توفي .

** الوافي : ٢٦٢/٢٤ ، والدُرر : ٢٥٥/٣ ، والذيل التام : ١١٣ .

وتوفّي بحلب - رحمه الله ، تعالى - في آخر نهار الخميس خامس جمادى الآخرة سنة خمسين وسبع مئة .

لما توفّي الملك الناصر أستاذه عهدي به وهو أمير عشرة بالديار المصرية ، ثم إنّه تأمّر طبلخاناه ، وحضر إلى دمشق ، وأقام بها أميراً مدّة في أيام الكامل شعبان ، ولما تولّى ^(١) المظفر حاجي ونقل أسندمّر العمري من [نيابة] ^(٢) حاة إلى نيابة طرابلس طلب قطليجا ^(٣) المذكور إلى مصر ، ورسم له نيابة حاة ، فحضر إليها ، وأقام بها . وهو الذي أمسك الأمير يلبغا ^(٤) الحيوي لما خرج على المظفر ، على ماسيأتي في ترجمته .

ولم يزل قطليجا في حاة نائباً إلى أن قتل أرغون شاه نائب دمشق ، ورسم للأمير سيف الدين أرقطاي نيابة دمشق ، وأن يكون قطليجا بدله في نيابة حلب ، فتوجّه إليها ، ودخلها في العشر الأوسط من جمادى الأولى سنة خمسين وسبع مئة ، فأقام بها أياماً قلائل .

وتوفّي - رحمه الله ، تعالى - في التاريخ المذكور .

١٣٨٤ - قطليجا *

الأمير علاء الدّين بن الأمير سيف الدّين بلبان الجوكندار ، وأحد ^(٥) أمراء الطبلخانات بدمشق .

كان أبيض أزهر اللون ، حسن الشّكل تامّ الكون ، ظريف الحركات ، لطيف

(١) (ط) ، (خ) والوافي : « ولي » .

(٢) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .

(٣) (ط) ، (خ) : « سيف الدّين قطليجا » .

(٤) (ط) ، (خ) : « سيف الدّين يلبغا » .

* الدرر : ٢٥٥/٣ .

(٥) في (ط) ، (ق) : « أحد » بلا واو .

السَّكَنَات ، على وجهه مسحةٌ جبال ، وفيه من البدر حُسْنُهُ ليلةَ الكمال . لم يرَ أَرْق العَيْنَ أَحْسَنَ منه مقله ، ولا أَفْتُكَ مِنْ جَفُونِهِ فِي كُلِّ حَمَلِهِ .

وكان الأفرم يعضُّ على حَبِّهِ بالنَّوَاجِذ ، وله في حسنه إدراكاتٌ وما عليه فيها مآخذ ، وكان هو ليسَ في دمشق من يلعبُ مثله بالكُرِّه ، وله في المِيدَانِ صولةٌ بها ومقدِّره ، إلى خصائصٍ أخر من فروسيَّته ، ومحاسن تذهل العقولَ إذا فكرت في انفرادِهِ وجمعيَّته .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح شخصه مع قربه أبعد من أمسه ، وتخيل الناس أن النجمَ دفن في رمسه .

وتوفِّي - رحمه الله ، تعالى - يومَ الجُمُعَةِ تاسعَ عشرَ جمادى الأولى سنةَ عشرين وِسبعِ مئة ، وكان في عشرِ الأربعين .

لَمَّا جاء السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مِنَ الْكَرْكِ إِلَى دِمَشْقٍ جعله في عدادِ السِّلَاحِ دَارِيَّةً ، وكان - على ما قيل - يَسُوقُ الْفَرَسَ ، ويأخذ نصفَ السَّفَرَجَلَةِ مِنْ غَضَنِهَا ، وَيَدْعُ النِّصْفَ مَكَانَهُ وَهُوَ فِي أَقْوَى مَشْوَارِ الْفَرَسِ ، وَهُوَ أَمْرٌ مُعْجَزٌ لغيره .

وَأَمَّا اللَّعِبُ بِالْكُرَةِ فَكَانَ فِيهِ غَايَةٌ ، يَقَالُ : إِنْ بَرَدِيَّتِهِ كَانَتْ زَنَةً مِثْلِي دَرَاهِمَ وَخَمْسِينَ دَرَاهِمًا ، وَلَقَدْ جَاءَ إِلَى صَفْدِ مَرَاتٍ وَالْجُوكَنْدَارِ الْكَبِيرِ فِي صَفْدِ نَائِبٍ ، وَكَانَ يَلْعَبُ هُوَ وَالْأَمِيرُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْجُوكَنْدَارِ ، وَكُنَّا نَتَفَرَّجُ عَلَيْهَا ، وَيَقُولُ النَّاسُ : هَذَا طَبْجِي مِصْرَ [وَهَذَا طَبْجِي دِمَشْقَ] ^(١) . وَكَانَ الْأَمِيرُ نَاصِرُ الدِّينِ أَرْشَقَ عَلَى ظَهْرِ الْفَرَسِ وَأَسْرَعَ حَرَكَةً ، وَالْأَمِيرُ علاءُ الدِّينِ قَطْلِيجَا إِذَا تَنَاولَ الْكُرَةَ بِصَوْلْجَانِهِ مَا يَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَّا ضَرْبَةً وَاحِدَةً وَقَدْ بَلَغَهَا الْمَدَى .

ورأيتَه - رحمه الله ، تعالى - كثيراً ما يتقيأ ، ثم بعد ذلك يتغرغر بالخلِّ والماءِ ،

(٦) زيادة من (ط) ، (ق) .

هذا دائماً ، وكان يَحْسُو من دهن اللوز المرَبَّى شيئاً كثيراً قَنِينَةً قَنِينَةً ، وكان للأمير سيف الدين قطلوبك الكبير إليه ميل ، ولَمَّا جاء إلى صفد نائباً أحضره من دمشق إلى صفد أميراً ، ولَمَّا أَمَسَكَ قطلوبك عاد قطليجا إلى دمشق على مكانه .

اللقب والنسب

☆ القفصي : محمد بن سليمان .

☆ ابن قطينة : شهاب الدين التاجر أحمد بن محمد ، وزين الدين عمر بن أحمد .

☆ قُطُنْبَة : شرف الدين حسن بن محمد .

☆ ابن قَلِيلَة : عُمَر بن عوض .

١٣٨٥ - قلاوُز *

الأمير سيف الدين الجمدار الناصري .

كان من جملة أمراء الطبَّليخانات بدمشق ، ثمَّ إِنَّه أعطي إمرة مئة وتقدمَة ألف .

ولاه الأمير سيف الدين طقزتمُر نيابة حص ، فأقام بها مدّة . ثمَّ إِنَّه عَزَلَ منها ، وكانت ولايته لخمص بعد الأمير سيف الدين بكتمر العلائي ، ولَمَّا عَزَلَ من حص [حضر إلى دمشق و] ^(١) أقام بها ، وتقدّم عند الأمير سيف الدين يلبغا . ولما برز إلى الجُسورة في أيام الكامل عاضده ووازره ، ولَمَّا انتصر رعى ذلك له ، وصار حظيّاً عنده يلازمه وينادمه . ولَمَّا كانت المرة الثانية برز معه إلى الجُسورة في الأيام المظفريّة ، ولما هرب يلبغا لم يتوجّه معه أحدٌ من الأمراء غيره وغير محمد بن جُمق ،

* الوافي : ٢٦٦/٢٤ ، والدرر : ٢٥٨/٣ ، وذيول العبر : ٢٦٢ ، وفيها : « قلاوون » .

(١) زيادة من (خ) ، والوافي .

على^(١) أنه كان قد أودع خزائنه في داريتا ، وأراد أن ينهزم ، فما أمكنه . ولم يزل معه في البرية إلى أن دخلا إلى حماة ، والأمير سيف قلاوز ضعيف ، وقد عمل قدامه مخدّة على الفرس^(٢) ، وأقام بها مدة جمعة ، وورم وازرق ؛ لأنها كانت أياماً شديدة الحر ، وكان هو في نفسه سميناً بديناً .

فات - رحمه الله ، تعالى - في العشر الأخير من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وسبع مئة قبل أن يخرج يلبغا من حماة ، رحمهما الله ، تعالى .

١٣٨٦ - قاري *

الأمير سيف الدين الناصري أمير شكار .

كان من الأمراء الخاصكية الكبار في أيام الملك الناصر محمد . كان عند أستاذه مكيّنا ، ثابت الأساس ركيّنا ، زوّجه إحدى بناته ، وجعل غصنه في روض ملكه من أحسن نباته ، ثم قدّمه على الألف ، وجعله أمير مئة يكون إماماً والناس من خلف ، وكان عقله وافرا ، ووجهه كأنه البدر سافرا .

ولم يزل في مراقبي صعوده ، ومعارج صعوده ، إلى أن قر الموت قاري ، وناحت عليه الحمام والقاري .

وتوفي - رحمه الله ، تعالى - في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة بالقاهرة^(٣) .

جاء إلى دمشق في مهم لأستاذه إلى تنكيز في سنة خمس وثلاثين - أو ست وثلاثين - وسبع مئة ، وحضر إلى الجامع الأموي بدمشق ، وتفرّج فيه وفي

(١) في الوافي : « ملي » ! .

(٢) في الأصل : « الفرش » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، والوافي .

* الوافي : ٢٧٤/٢٤ ، والدُرر : ٢٥٦/٣ ، والنجوم الزاهرة : ١٠١/١٠ .

(٣) وفي الدُرر أن وفاته في أواخر سنة (٧٤٥) أو أوائل سنة (٧٤٦) .

الفؤارة بجيرون^(١) ، وفي غيرها ، وكان مجيئه في الظاهر بطيور جوارح على العادة ، وفي الباطن بسبب إمساك الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك .

حكى لي القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : لمّا عاد من الشام أرسل إليّ وإلى الدودار وإلى أمير جاندار ، وقال : ما أدخل إلى مولانا السلطان إلّا بكم ، فقلنا له : ياخوند ، أنت ما أنت غريب ، أنت من كبار الخاصكيّة ، وزوج ابنة مولانا السلطان ، فقال : أنا الآن في حكم الغرباء الأجانب ، فلما قيل ذلك للسلطان أعجبه هذا التّأني ، وقال : جيّداً عمل^(٢) .

ولمّا تولّى الملك الصّالح إسماعيل أخذ قاري هذا وجعله أمير آخور ، فأقام قليلاً ، وجاء الخبر إلى دمشق بوفاته في أوائل جمادى الأولى من السنة المذكورة .

١٣٨٧ - قَمَارِي *

الأمير سيف الدين الناصري أخو الأمير سيف الدين بكتر السّاقى الناصري .

كان شكله مليحاً ، ووجهه يلوح به الجّمال صريحاً ، عمل أستاذ داريّة الملك الصّالح إسماعيل ، وكان يشارك في الكثير والقليل ، أحد من يُشار^(٣) إليه ، وتقوم أركان الدولة به وعليه . ورأى في أيام الصّالح دهرأ صالِحاً ، وعيشاً لوشره بالنفس كان رابِحاً ، إلى أن أخرجته الكامل إلى طرابلس نائباً ، وأتاها فكان أمّله في الحَيَاة خائباً ، وقوض الخيام للرحلة الكُبرى ، وجعل العيون على فقده عبّرى . وأمّسك بطرابلس في أواخر ذي الحجّة سنة ستّ وأربعين وسبع مئة .

كان الأمير سيف الدين قاري في أيام أخيه أميراً صغيراً لا يُدرى به ولا يُحسّ ،

(١) عبارة الوافي : « وتقرّج نهاراً ورأى فؤارة جيرون » .

(٢) في الأصل : « عمل جيّداً عمل » ، وأثبتنا ما في الوافي .

* الوافي : ٢٧٥/٢٤ ، والدُّرر : ٢٥٦/٣ ، والدّيل التّام : ٨٨ ، والنّجوم الزّاهرة : ١٧٧/١٠ .

(٣) في الأصل : « يَسَار » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) .

ولما مات أخوه بكتمر السّاقى في طريق الحجاز أعطاه السُّلطان إمرة مئة وتقدمّة ألف ، ولم يزل إلى أن خرج مع الفخريّ إلى الكرك لحصار أحد ، وحضر معه إلى دمشق ثمّ توجه إلى مصر وأقام بها أميراً كبيراً ، ولما تولّى الملك الصّالح كان أستاذ داره ، وكان أحد المشاركين إليهم في تلك الدولة ، فلما وليّ الكامل شعبان أخرجه إلى طرابلس نائباً ، فرض في أول قدومه إليها مدّة أشفى معها على التلف ، ثمّ إنه انتعش منها واستقلّ . ولم يزل بها إلى أن حضر الأمير سيف الدّين طقتمر الصّلاجيّ في البريد ، فأقام بدمشق أياماً قلائل ، وتوجه إلى طرابلس في العشر الأواخر من ذي الحجة ، وقبض عليه وأحضره مقيّداً إلى دمشق ، ثمّ إنّه جهّز منها على البريد إلى مصر مقيّداً في ذي الحجة سنة ست وأربعين ، وكان الناس قد أرجفوا بأنّه قد عزم على أن يقفّز باتفاق مع الأمير سيف الدّين الملك نائب صفد^(١) .

١٣٨٨ - قاري*

الأمير سيف الدّين ، كان أخا الأمير علاء الدّين أمير علي المارداني نائب السّلطنة بدمشق .

ورد مع أخيه من الديار المصريّة في خامس ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وكان يعتقد على عصاً إذا مشى ؛ لأنّه كان عرج يسير ، وكان بطّالاً ، فرسم له بعد مدة بخمسين درهماً في كل يوم مرتباً على الأموال الديوانيّة إلى أن ينحلّ إقطاع إمرة ، فأخذ ذلك مدة ، ولما توفيّ الأمير ججكتو^(٢) التركاني بدمشق أعطي إقطاعه بالإمرة ، وأقام على ذلك إلى أن مرض مرضة طول فيها ، وأصابه فيها فالج .

(١) وفي الدُّرر أنّه نُقِلَ بعد ذلك إلى سجن الإسكندريّة ، فقتل في سنة (٧٤٧) .

* الدُّرر : ٢٥٦/٣ .

(٢) (ط) : « سيف الدّين ججكتو » ، وسلفت ترجمته .

ثم إنه ابتلي بالصَّرع ، فكان يُصرَّع في النهار عشر مرات وأكثر وأقل ، وبقي على ذلك قريباً من خمسين يوماً حتى تعجَّبَ الناس من ذلك ، ولم يَسْمَعْ بمثل أمره ، وأُغِي عليه مرات ، وجزموا بموته ، ثم إنه يفيق بعد ذلك إلى أن توفي - رحمه الله ، تعالى - في بكرة الأحد ثالث شهر ربيع الأول سنة سَبْع وخمسين وسَبْع مئة ، ودفن بمقابر الصُّوفيَّة بَرًّا باب النصر ، ومشى أخوه ملك الأمراء في الجنازة والأمراء والحُجَّاب والقضاة وغيرهم . وكانت جنازة حافلة . وبعد دفنه مدَّ أخوه سباطاً على قبره أكل منه من كان حاضراً من مَاليكه وغيرهم ، ولم يأكل هو شيئاً ، وبات على قبره ، وجاء الناس إليه على طبقاتهم ثاني يوم بكرة .

وكتبت أنا فيه مَرثِيَّة قرأها ملك الأمراء أخوه ، وهي :

عَلَّمَ الْوُرُقَ شَجْوَهَا الْقَارِي	إِنَّ حُزَنِي عَلَى الْأَمِيرِ قَارِي
لَا أُوَارِي بَيْنَ الضُّلُوعِ أُوَارِي	بَاحَ سِرِّي فِيهِ بِمَضْمُونِ وَجْدِي
وَدُمُوعُ الْوَرَى عَلَيْهِ جَوَارِي	سَارَ فَوْقَ الْأَعْنَاقِ لِلتُّرْبِ عِزًّا
وَأَرْتَنَّا تَهْتُّكَ الْأَسْتَارِ	وَنُجُومُ الدُّجَى لِبَسْنِ حِدَادًا
وَتَبَلُّ الثَّرَى بِدَمْعِ الْقَطَارِ	وَعِشْرُونَ الْغَمَامِ تَبْكِي بِجَفْنِ
فَتَرَاهُ مُشَقَّقَ الْأَطْمَارِ	وَلَكُمْ لَطَمَ الرُّعُودِ سَحَابًا
شَفَقَ الصُّبْحِ زَائِدَ الْإِحْمَارِ	وَجَبِينُ الصَّبَاحِ شَقَّ فَأُضْحَى
بِقُتُورٍ فِي سَاعَةِ الْأَسْحَارِ	وَنَسِيمُ الصَّبَا يَهْبُ عَلِيلًا
بِنَفُوسٍ جَادَتْ بِغَيْرِ اعْتِذَارِ	لَوْ أَفَادَ الْفِدَاءَ مَيِّتًا سَمَحْنَا
لَا تَوَانٍ يَعْوقُهَا فِي تَوَارِ	وَتَرَامَتْ مِنْ دُونِهِ لِلْمَنَايَا
بَا بِسْمِ الْقَنَا وَيُضِ الشُّفَارِ	غَيْرَ أَنَّ الْمَنُونَ فِي الْفَتْلِ لَا تَعُدُ
مَعَ فِي الْخَدِّ كَالِدَمِّ الْمَوَارِ ^(١)	كَادَ لَوْلَا أَخُوهُ [حَيٍّ] يَسِيلُ الدَّمُّ

جَرَحَ الدَّمَعَ ثُمَّ آسَى بِبَقِيصَا
 مَلِكٌ قَدْ حَمَى دِمَشْقَ بَعْزِمِ
 وَبِهَا الْعَدْلُ قَدْ أَقَامَ وَ [حَكَمَ] الشَّ
 لَا تَحُلُ الْخُطُوبُ مِنْهَا بَرِّعِ
 وَنَدَى كَفَّهُ إِذَا جَادَ يُلْقَى
 صَبَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ فِي مُصَابِ
 تَرَكَ الْمَالَ وَالْبَنِينَ وَوَلَّى
 هُوَ ضَيْفٌ قَدْ بَاتَ عِنْدَ كَرِيمِ
 يَأْسِيَّ الْوَلِيَّ لَا ذَقَتْ يَوْمًا
 وَحَمَى اللَّهُ مَنْزِلًا أَنْتَ فِيهِ
 وَفَدَّتْكَ النُّفُوسُ مِنْ كُلِّ سَوْءِ

كَافِلِ الْمَلِكِ ذِي الزِّنَادِ الْوَارِي^(١)
 أَمِنَ فِي مَدَى الرَّدَى مِنْ عِثَارِ
 رَعِ فِي رَبْعِهَا رَفِيعِ الْمَنَارِ^(٢)
 فَهِيَ مَحْرُوسَةٌ بِعَيْنِ الدَّرَارِي^(٣)
 لَا تُسْكَابُ الْغَمَامُ فِيهَا يُيَارِي^(٤)
 زَادَ مِنْهُ الْأَمْوَاتُ أَكْرَمَ جَارِ^(٥)
 عَنْ دِيَارِ الْبَلَى لِسِدَارِ الْقَرَارِ
 بِإِذِلِّ الْعَفْوِ سَاتِرِ عَقَّارِ
 بَعْدَهَا حَادِثًا مِنَ الْأَقْدَارِ
 وَوَقَاهُ مِنْ دَهْرِنَا الْغَدَارِ
 مَا أَزَاحَ الدُّجَى بَيَاضَ النَّهَارِ

اللقب والنسب

- ☆ ابن القماح : القاضي^(٦) جمال الدين أبو بكر بن إبراهيم .
- ☆ ابن القماح : القاضي شمس الدين محمد بن أحمد .
- ☆ القمولي : القاضي نجم الدين أحمد بن محمد . ونجم الدين محمد بن إدريس .
- ☆ القميني : محمد بن الحسن .

(١) في (ط) ، (ق) : « جرح الدهر » .

(٢) الزيادة من (ط) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « منه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « فيه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٥) في (ط) ، (ق) : « زار منه » .

(٦) (ط) : « الفاضل » .

☆ القمي الشريف : مُحَمَّد بن محمد بن أحمد .

☆ القنائي : جماعة منهم : مُحيي الدين أحمد بن مُحَمَّد ، والشريف تقي الدين محمد بن جعفر .

☆ القواس : المسند أحمد بن عبد الرحمن .

☆ القواس البعلبكي : صالح بن أحمد .

☆ القواس الوتار : علي بن إسماعيل .

☆ ابن القواس : ناصر الدين عمر بن عبد المنعم . وناصر الدين محمد بن إسماعيل .

☆ ابن قوام : الشيخ نجم الدين أبو بكر .

☆ ابن قوام : الشيخ مُحَمَّد بن عمر .

☆ والقوام الكرمانى : مسعود بن مُحَمَّد .

☆ ابن القوبع : ركن الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن .

☆ القونوي : الشيخ علاء الدين علي بن إسماعيل .

☆ والقونوي : الشيخ علاء الدين علي بن محمود .

١٣٨٩ - قوصون*

الأمير الكبير النائب سيف الدين السّاقى الناصري .

كان أميراً وهو في عداد الملوك الكبار ، وهو المشار إليه في أواخر الدولة الناصرية

* الوافي : ٢٧٧/٢٤ ، والدُّرر : ٢٥٧/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤/١٠ وما بعدها ، و ٧٥ ، وذيول العبر : ٢٣٠ .

وما بسِواه اعتبار ، ليس فيه شر ، ولا عنده ظلم ولا ضرر ، لطيف النفس ، قليل البأس ، ولما هيجوه هاج منه ذو لبدة ضراً^(١) ، وسلّوا منه حساماً مالقي الضريبة إلاّ فرى .

نهض بخلع أبي بكر المنصور ، وأعاد ذاك الشمل وهو مبتوت^(٢) ومبتور ، ونثر من الدولة عقداً نظيماً ، وفرّق بعزمه جمعاً عظيماً ، وفرّق أموالاً تكاثر البحار الزخاره ، والكواكب السيّاره ، إلاّ أن الزمان أخنى عليه أخيراً ، وردّ جبره كسيراً ، وطرف سعادته حسيراً ، ولو دام على ما كان عليه أيام أستاذه لما رُمي بالدهيّه ، ولا كانت شدّته متناهيّه :

تَوَقَّى الْبُدُورُ النَّقْصَ وَهِيَ أَهْلَةٌ وَيُدْرِكُهَا النَّقْصَانُ وَهِيَ كَوَامِلُ
فَإِنْ رُمَتْ أَهْنًا الْعَيْشَ فَائِغٍ تَوَسُّطًا فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ الْمُتَطَاوِلُ

ولمّا خانه أصفياؤه وتمادوا ، وتعاونوا على خذلانه وتغادوا ، قبض عليه ونهبت أمواله ، وفرّق رجاله ، وخربت عمارته وأوقافه ، وانهارت كتبه^(٣) وأحقافه ، وأصبح لعدوّه رحمة ، وصار بينه وبين الفرج زحمة ، واعتقل بشجر الإسكندريّة إلى أن خنق ، واشتفى منه كل قلب^(٤) خنق .

وكانت واقعته التي عدم فيها في شوال سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

كان أولاً من أكبر خواص الملك الناصر ، لم يكن بعد بكثر السّاقى أكبر منه ، وزوّجه السلطان ابنته - وهي ثانية ابنة زوّجها من مماليكه - ودخل بها في سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وكان عرساً خفلاً احتفل به السلطان ، وحمل الأمراء التّقدم

(١) ضرا ضرّوا : إذا بدا منه الدّم .

(٢) (خ) : « مستور » ، تحريف .

(٣) في الأصل و (خ) : « كتبه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٤) في (ط) ، (خ) ، (ق) : « ذي قلب » .

إليه ، وكانت جملتها خمسين ألف دينار ، وكنتُ بالقاهرة في تلك المدة ، وصنع في ليلة عرسه ^(١) الأمير سيف الدين قجليس برج بارود ونفط يقال : إنه غرم عليه مقدار ^(٢) ثمانين ألف درهم .

وكان من قوصون قد حضر أولاً إلى الديار المصرية مع الجماعة الذين حضروا صحبة ابنة القان أربك زوج السلطان ^(٣) ، وهو ابن ناس ولم يكن مملوكاً ، ولكنه طلع يوماً مع تجار للمال يك ليرى السلطان قريباً ، ف وقعت عين السلطان عليه ، فقال : لأي شيء [ما] ^(٤) تبيعونني هنا ؟ فقالوا : هنا ما هو مملوك ، فقال : لا بد أن أشتريه ، فوزن فيه مبلغ ثمانية آلاف درهم و جهزت إلى أخيه صوصون إلى البلاد ، ثم إنه أنشأه وقدمه وأمره ورشحه لكل شيء ، وأعطاه أميرية مئة وتقدمه ألف ، وصار في طبقة بكتر الساقى ، وكان يتنفس عليه ويفتخر ، ويقول : أنا السلطان اشتراي بماله ، وكنت من خواصه وأمرني وقلمني وزوجني ابنته ، ما أنا مثل غيري ^(٥) تنقلت من التجار إلى الاصطبلات إلى الطباق .

وكان السلطان يتنوع في الإنعام عليه . قيل : إن السلطان دفع إليه [مفتاح] ^(٦) الزردخاناه التي لبكتر الساقى وقيمتها ست مئة ألف دينار .

وعمر جامعاً حسناً على بركة الفيل ، وعمر الخانقاه المليحة العظيمة بالقرافة .

ولمّا مات السلطان الملك الناصر قام هو في صف المنصور أبي بكر ، وقام في صف الناصر أحمد الأمير سيف الدين بشتاك ، واختلفا ، وفي الآخر كان الأمر على ما أراده

(١) في (ط) ، (خ) ، (ق) : « عرسه بالقلعة ... » .

(٢) (ط) ، (خ) : « مبلغ » .

(٣) في (ط) ، (خ) ، (ق) : « السلطان الملك الناصر » .

(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٥) زاد في الأصل : « ما أنا من التجار » ، ولا معنى لها ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٦) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

قوصون حسبما تقدم ذكره في ترجمة بشتاك ، وجلس الملك المنصور أبو بكر على التخت ، واستقرت قواعده . ثم إن خلطاءه حسنوا له القبض على قوصون وعلى غيره من الأمراء ، فبلغ ذلك قوصون ، فعمل^(١) عليه وخلعه من الملك وجهزه إلى قوص ، وأجلس أخاه الأشرف كجك على كرسي الملك ، وحلف الناس له ، وصار هونائباً ، وجهز الفخري إلى الكرك يحاصر أحمد ، فجري ما جرى في ترجمة الفخري .

وكان طشتر نائب حلب قد تنفس أولاً على قوصون ، فاستعان عليه بالطنبغا نائب دمشق ، ولما خرج من دمشق خامر الفخري على قوصون ، وحضر إلى دمشق ، وملكها ، وجرى ما تقدم ، وأغرى الفخري الناس بقوصون ، وصار يقول : هذا الغريب يخلع ابن أستاذنا ويقتله ؟! هذا مانصر عليه . وظهر الشناع على قوصون لما قتل أبو بكر في قوص ، وكان قد قتل جماعة من الخرافيش ، وقطع أيدي جماعة وسرهم ، وسمر جماعة من الخدام ، وسمر ولي الدولة الكاتب الذي تقدم ذكره ، وغيره ، فنفرت القلوب منه ، وأخذ الفخري يكاتب أمراء مصر عليه ، فتكرر أيدغش أمير أخور عليه ، وعامل الخاصكية عليه ، فاجتمعوا عنده ، وأقاموا ليلتهم عنده صورة في الظاهر معه ، وهم في الباطن عليه عيون ، ونادى أيدغش في الناس بنهب إصطبل قوصون ، فثار القوام والخرافيش ، وخربوا الإصطبل والخانقاه ونهبوها ، ونهبوا بيوت جماعته والزامه وحاشيته ، وهو يرى ذلك من الشباك ويقول : يا مسلمين ، ماتحفظون^(٢) هذا المال ، إمّا أن يكون لي أو للسُلطان ، فيقول أيدغش : هذا شكران للناس ، والذي عندك فوق من الجواهر^(٣) يكفي السُلطان ، وكلّما هم قوصون بالركوب في ممالكه الذين لبسوا السلاح كسر الخاصكية عليه وقالوا له : يا خوند ، نحن غداً نركب ، ونرمي هؤلاء بالشباب وقد تفرّقوا . ولم يزالوا به إلى أن أمسكوه وقيدوه

(١) في الأصل و (ط) : « فخلع » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) ، والوافي .

(٢) في الوافي : « ماتحفظوني » .

(٣) في الوافي : « من الجوهر » .

وجَهَّزوه مع الطنبغا نائب دمشق وغيرها ، واعتقلوهم في ثغر الإسكندريَّة - على ما تقدم في ترجمة الطنبغا ..

ولم يزل بها معتقلاً إلى أن حَضَرَ الناصر أحمد من الكرك ، وجلسَ على كرسي الملك بقلعة الجبل ، ثم إنه اتفق آراء الدولة على أن جهزوا الأمير شهاب الدين أحمد بن صبح إلى الإسكندريَّة ، فدخل إلى السجن ، وخنق الطنبغا وقوصون وغيرها في شوال أو في أواخر^(١) ذي القعدة من السَّنة المذكورة .

ولَمَّا مات - رحمه الله ، تعالى - خلفَ عدَّة بنين وبنات .

وكان خيراً كريماً يعطي [العشرة]^(٢) آلاف درهم والألف إردبَ قحاً .

وكان إذا انفرد عن السُّلطان وهو في الصَّيد وتوجَّه هو لنفسه يروح معه ثلث العسكر ، وكان الناسُ يهرعون إلى بابه ، ويركبُ قَدَّامَه في القاهرة مئة تقيب أو دُونَ ذلك .

وكان أخوه قوصون أميراً ، وابن أخته^(٣) الأمير سيف الدين بلجك أميراً .

وكان قد وقع بينه أخيراً وبين تنكز ، ولما أمسك تنكز وحمل إلى باب السُّلطان ما عامله قوصون إلّا بالجَميل ، وخلصه من القتل وأشار بحبسه . وعمل النيابة جيداً ، وأنعم على الأمراء والخاصكيَّة ، وفرَّق فيهم وفي عسكر مصر - على ما قيل - ست مئة ألف دينار ، ولم يتم أمره مستقيماً في النيابة شهرين حتَّى خرج عليه طشتمر من حلب والفخري من الكرك ، وكثرت البشوق^(٤) عليه ، وأعياء سدَّها ، ونهب الناس والحرافيش

(١) ليست في (خ) والوافي .

(٢) زيادة من (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٣) (خ) : « أخيه » .

(٤) في الأصل : « السوق » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) . والبشوق : الثغرات والكسور التي تنفتح في أيِّ سد .

شيئاً كثيراً إلى الغاية ، حتى إنَّ الدينار أُبيع بعشرة دراهم كل مثقال وبأقلّ لكثرة ما نهب .

وعلى الجُملة فكان أمره في أول حاله وفي وسطه وفي آخره من أعاجيب الزمان وغرائب المقدورات .

وقلت أنا في واقعته مع أيدهم :

قوصون قد كانت له رتبة تسمو على بدر السما الزاهر
فخطه في القييد أيدهم من شاهق عال على الطائر
ولم يجد من ذله حاجباً فأين عين الملك الناصر
صار عجيباً أمره كله في أول الأمر وفي الآخر

الألقاب والأنساب

☆ القلانسي جماعة ، منهم : مفيد بغداد جمال الدين أحمد بن علي . ومنهم : جمال الدين وكيل بيت المال أحمد بن محمد . ومؤيد الدين أسعد ابن الصاحب عز الدين حمزة . وجلال الدين إبراهيم بن محمد . وأمين الدين بن الجلال حسن بن علي . وعلاء الدين وكيل بيت المال علي بن محمد . والصاحب عز الدين حمزة بن أسعد . عز الدين المحتسب محمد بن أحمد . وشرف الدين محمد بن علي . وشرف الدين محمد بن محمد . ومحيي الدين محمود بن محمد . ونجم الدين محمد بن أسعد . وأمين الدين كاتم السر محمد بن أحمد .

١٣٩٠ - قيران *

الأمير شرف^(١) الدين المنصوري .

* الدرر : ٢٥٩/٣ .

(١) في الأصل : « الأمير الأشرف شرف » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

كان في القاهرة أمير عشرة ، يسكن بالحُسَيْنِيَّة ، وينوب في الأستاذداريَّة ، وصحب^(١) ابن معضاد ، ويحفظ شيئاً من كلامه .

ثم إنه نقل إلى شدّ الدّيوَان بدمشق ، وأقام بها مدة . ثم إنه نكب مدةً ، ثم نقل إلى حلب ، ثم إنه قُطع خبره .

وقدم دمشق وكانت نيّته أن يتوجّه إلى مصر ، فتوفّي - رحمه الله ، تعالى - بداره في درب تلید بدمشق^(٢) في شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبع مئة .

☆ القيراطي : شرف الدّين عبد الله بن محمد .

الألقابُ والأنسابُ

☆ بنو القيسراني جماعة : عماد الدّين القيسراني إسماعيل بن مُحَمَّد . وولده القاضي شهاب الدّين يحيى . وشمس الدّين إبراهيم بن عبد الرّحيم . والصّاحب فتح الدّين عبد الله بن مُحَمَّد . وعزّ الدّين عبد العزيز بن مُحَمَّد بن عبد الله . وشرف الدّين محمد بن عبد الله .

١٣٩١ - قيصر*

الخلّويّ بالقاهرة . كان مشهوراً بجودة الحلوى يُضربُ به المثلُ في ذلك ، مع المواظبة على الخير والصلوات في أوقاتها .

توفّي - رحمه الله ، تعالى - في تاسع شهر ربيع الأول سنة ستّ وعشرين وسبع مئة .

☆ ابن قيّم الجوزيّة : شمس الدّين محمد بن أبي بكر . وولده عبد الله بن مُحَمَّد .

☆ ابن القيم : علي بن عيسى .

(١) (ط) : « ويصح » .

(٢) أشار إليه في النارس : ٢٥٤/٢ .

* لم تقف على ترجمة له .

حرفُ الكافِ

[الألقاب والأَنساب] ^(١)

☆ الكامل : شعبان بن مُحَمَّد .

☆ والملك الكامل : مُحَمَّد بن عبد الملك .

☆ الكازروني : علي بن مُحَمَّد .

☆ الكاساني : مُحَمَّد بن إبراهيم .

١٣٩٢ - كاوَزُكا*

الأمير سيف الدين المنصوري .

كان من أكابر أمراء دمشق ، ومن أكبر ممالك السلطان الملك المنصور .

ورثه السلطان الملك الناصر مُحَمَّد بالولاء لما توفي في ذي القعدة سنة ست وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون .

ومِمَّا يَحْكِي عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ [إِذَا] اسْتَعْمَلَ الشَّرَابَ وَطَابَ وَثَلَ وَانْتَشَى أَمْرَ مَمَالِكِهِ أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى مَهتَارٍ ^(٢) الطَّبْلَخَانَاهُ وَيَأْمُرُوهُ بِقَهْهَا ، وَاسْتَهْزَأُوا بِهِ عَنْهُ وَاسْتَفَاضَ ، وَإِلَى الْآنَ بَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ إِذَا سَمِعَ طَبْلَخَانَاهُ فِي غَيْرِ وَقْتِهَا : سَكِرَ كَاوَزُكَ .

(١) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

* الدُّرر : ٢٦١/٣ .

(٢) لفظ فارسي ، وهو لقب يطلق على كبير كل طائفة من غلمان البيوت .

١٣٩٢ م - كُبَيْسُ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ جَمَّازٍ*

الشریف أمير المدينة الحُسَيْنِي .

تولّى إمارة المدينة لما قتل والده مَنْصُورُ في رابع عشر شهر رمضان سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

[ولم يزل بها إلى أن قُتِلَ أيضاً في شهر رَجَب سنة ثمان وعشرين وسبع مئة]^(١) .

☆ ابن الكِتَّانِي : الشيخ زين الدّين عَمَرُ بْنُ [أَبِي]^(٢) الحرم .

١٣٩٣ - كُتُبُغَا**

الملك العادل زين الدّين المنصوري المغلي .

كان فيه دينٌ وتعبُدٌ ، وخير ومزايا له بها تفرد . عديمُ الشرِّ لا ينافي مَنْ نأواهُ ، ولا يقاوي من قأواه ، مُنْقَاداً لأحداث دَهْرِهِ ، مرتاداً لما يريد من خيرِهِ وشرِّهِ ، ولذلك سَلِمَتْ له العاقِبَةُ ، وأفادته الإنابة إلى الله والمُراقِبَةُ . ولكن جاء الغلاء المفرط في أيامِهِ ، ونقصُ النبلِ زائداً عمّا عهد في قديمِ أعوامِهِ ، فتشاءم الناسُ بطلعته ، ولم يُنْفَقِ القدرُ له رديءٍ سلعته ، وكان إذا رأى ذلك زادَ بُكاؤُهُ ، وعظُمَ ابتكاؤُهُ ، وقال : هذا بحظي وخطيئتي ، وهذا جاء في قسي وقدّر في عطيتي :

وغيّابتي أنْ أَلُومَ حَظِّي وَحَظِّي الحائِطَ القصيرُ

* الدُّرَر : ٢٦٢/٣ .

(١) زيادة من (ط) ، (ق) .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) .

** الوافي : ٣١٨/٢٤ ، وتحفة ذوي الألباب : ١٩٢/٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٣١ ، وفوات الوفيات :

٢١٨/٣ ، والبداية والنهاية : ٢٧/١٤ ، والدُّرَر : ٢٦٢/٣ ، والشُّذرات : ٥/٦ .

ثم إن أخصاءه خانوه ، وشانوه بعدما زانوه ، ولما قطن لما بطن ، وعلم أن الشَّرَق قد خيم عنده بعدما قطن^(١) ، فعل كما فعل الحارث بن هشام ، ونجا برأس طِمْرَةٍ ولجام^(٢) ، وتحصن بقلعة دمشق فما أفاده ، ثم إنه رجع بعد ذاك إلى الموادة ، ونزل على حكم اليد الغالبة ، ورَضِيَ بعد المُوجبة بالسَّالِبِ ، فأَمَسَى في حالة بعين الرَّحمة مَرْموقه ، وأصبح بعد أن كان ملكاً وهو في عداد السُّوقه ، عبرة لِمَن تذكَّر ، وتبصرة لِمَن تفكَّر .

واضطر إلى قلعة صرَّخَدَ بعد ملك مصر والشَّام ، وقعد على مقالي النار بعد ذلك المقام ، ثم بعد لأي لوى الزَّمان إليه عنانه ، ورفع قليلاً مكانه ، وتوجَّه إلى حمّاه ، وأرشفه نغز الزَّمان لماه ، فأقام بها إلى أن زار الموت حمّاه ، وأصابه بسهمه لَمَّا رماه .

وتوفِّي - رحمه الله ، تعالى - في يوم النحرِ نهار الجمعة سنة اثنتين وسبع مئة ، ونقل تابوته إلى دمشق ، ودفن بترتبه بسفح قاسيون .

وكان - رحمه الله ، تعالى - أسمر قصيراً دقيق الصوت ، لحيتَه صغيرة في حنكه ، أَسِرَ حَدَثاً من عَسْكَر هُولاكو نوبة حمص الأولى في آخر سنة ثمان وخمسين وست مئة .

وأمره أستاذَه الملك المَنصور ، وكان من أمراء الألفوف ، ثم إنه عَظُم في دولة الأشرف ، التفَّ الخاصكيَّة عليه ، وحَمَلَ بهم على يثدرا وقتلوه . ولما حضر السُّلطان الملك الناصر من الكرك عقيب ذلك جعله نائبه ، واستمر الحال سنة ، ثم تحوَّل الناصر إلى الكرك ، وتسلطن كتبغا ولقبَ العادل ، ونهَضَ بأمره لاجين وقراسنقر وطائفَة كان قد اصطنعهم في نوبة الأشرف ، وتمكن .

وكان جلوسُه على الكرسي في يوم الأربعاء حادي عشر المحرم سنة أربع وتسعين وست مئة .

(١) (ق) ، (ط) : « خيم عنده وقطن » .

(٢) كذا الأصل ، وقد سبق أن استخدم هذا التعبير من قبل ، وهو الحارث بن هام راوي مقامات الحريري .

وقدم إلى دمشق يوم السبت منتصف ذي القعدة سنة خمس وتسعين ، وصلى
بجامعها الأموي غير مرة .

وسافر في الجيش إلى حمص ، ثم رَدَّ وعاد إلى مصر ، فلما كان بأرض بيسان وثبَ
عليه حسام الدين لاجين وشدَّ على مملوكيه بتخاص وبكتوت الأزرق ، فقتلها في
الحال ، وكانا غَضْدِي كُتْبغا ، واختبَطَ الجيش ، وفرَّ كتبغا على فرس النوبة . يقال :
إن لاجين لحقه وضربه بطومار^(١) رماه به ، وقال : انجُ بنفسك ، وتبعه أربعة من
مَاليكه لا غير ، وذلك في صفر سنة ست وتسعين وست مئة .

وكانت دولته سنتين وبعض شهر .

وساق كتبغا إلى دمشق ، فتلَّقه مملوكه نائبها في الأمراء وقدم القلعة ، ففتح له
نائبها أرجواش الباب ، ودقَّت له البشائر ، ولم يجتمع له أمر ، واجتمع كجكن والأمراء ،
وحلفوا لصاحب مصر ، وصَرَّحوا لكتبغا بالحال ، فقال : أنا مأمني خلاف ، وخرج
من قصر السلطنة إلى قاعة صغيرة ، وبذل الطاعة للاجين ، وقال : هو خُوشداشي ،
فرسم له أن يقيم بقلعة صرَّخد ، وأتاه بعض نسائه وغلماه . وانطوى ذِكْرُه إلى بعد نوبة
غازان ، فأعطاه السلطان الملك الناصر حِماة ، فأقام بها إلى أن مات في التاريخ
المذكور .

وكان السلطان الملك الناصر يكرِّهه وما يذكره بصالحه ، ويقول : ما أنسى وقد
أخرجني إلى الكرك ، وفكَّ حلقة من أذني فيها لؤلؤة ، وأخذها وحطَّها في جيبه ،
وقلَّ أن كان يرى له توقيعاً فيضيه ، وفيه يقول علاء الدين الوداعي لما خلَّع على أهل
دمشق - ومن خطه نقلت - :

أَيُّهَا الْعَادِلُ سُلْطَانُ الْوَرَى عِنْدَمَا جَادَ بِتَشْرِيفِ الْجَمِيعِ^(٢)
مِثْلَ قَطْرِ صَابٍ قَطْراً مَاحِلاً فَكَسَا أَعْطَافِهِ زَهْرَ الرَّبِيعِ

(١) في الأصل : « بطور » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٢) في الوافي : « إنما العادل » .

١٣٩٤ - كُتِبَا*

الأمير زين الدين أمير حاجب الشام . أظنه تولّى نيابة شيزر في وقت .

كان الأمير سيف الدين تنكز يعظّمه ، ويجلسه قدامه ويكرّمه ، ويرمل هو على يده ، ويتوشّح بما غلا من قلائده .

وكان في نفسه رئيسا ، وقدر المال عنده خسينسا ، وكان يحضر السّماعات ، ويرقص في الجماعات ، ويعمل في كلّ سنة مولداً للنبي - عليه الصّلاة والسّلام - ، ويجمع فيه الخاص والعام ، ويقف ويخدم بنفسه الفقراء ، ويبالغ في ذلك ويعرض عن الأمراء . إلاّ أنه كانت فيه استحالة ، وإعراض عما يثق به في حاله .

ولم يزل على حاله إلى أن انتهت مدّته ، وفرغت عدّته .

وتوفّي - رحمه الله ، تعالى - في آخر نهار الجمعة ثامن عشرين سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، ودفن بترتبه في القبيبات .

وكان تنكز يعظّمه ويحترمه ، ويحبّ حديثه ويصغي إليه ، ويقبل شفاعاته ، ويزوره في بيته .

وأظنه في وقت مشى بالفقيري ، ولبس زيّ الفقراء ، وكان إذا دخل إليه ^(١) إنسان في بيته في أمر قال : السّمع والطاعة ، مَنْ أحقُّ منك بهذا الذي تطلبه ؟! قف غداً لمولانا ملك الأمراء ، وأنا أساعدك ، وتبصر ما أقول ، فإذا وقف ذلك المسكين قال : يامولانا ، أيّ [حائك] ^(٢) قام ، وأي بيطار قام ، قال يريد يبقّى ^(٣) جندياً . فإذا سمع

* الوافي : ٢٢٠/٢٤ ، والتالي : ١٨٨ ، والدّرر : ٢٦٤/٣ .

(١) (ط) : « عليه » .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) ، والوافي .

(٣) في الوافي : « يريد يصير » .

ذلك الأمير سيف الدين تنكز قال : نَحَّه ، ففتناول المسكين العصي من كل جانب ، ولكن هذا في بعض الأحيان . ولكنه ^(١) كثيراً ما يشكر الناس عند تنكز ، ويثني على من يعرفه ومن لا يعرفه حتى تحقق منه ذلك . ورتَّبوا يوماً قصة بعلم تنكز باسم إنسان يطلب إقطاعاً ، وقرئت يوم الخدمة ^(٢) وهو حاضر ، فقال : نعم يا خوند ، أعرفه وأعرف أباه ، وهو مسكين بطال ، وفي هذه الجمعة حضر من حلب ، فقال تنكز : أبصر جيداً ، فقال : سبحان الله ، وجَهَّز تقييماً إلى ذلك الشخص ، وأحضره ، وكان الأمر كما قال ، فتعجَّب تنكز من ذلك ، وأعطى ذلك إقطاعاً ، وكانت هذه من الغرائب .

وحجَّ - رحمة الله ، تعالى - غير مرة ، وفرَّق في الحرمين مالاً وافراً .

وكان قد ولي شَدَّ الدواوين بدمشق والأستاذ داريّة عوضاً عن الأمير سيف الدين أقجبا في ثالث عَشْرِي شَوَّال سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعٍ مِئَةٍ . وولي الحجوئيّة بالشام عوضاً في شهر رمضان سَنَةِ إِحْدَى عَشْرَةٍ وَسَبْعٍ مِئَةٍ .

١٣٩٥ - كَجْكَ بن مُحَمَّد بن قِلاوَن *

السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ عَلَاءُ الدِّينِ ابْنُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ابْنِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ .

لَمَّا خَلَعَ قَوْصُونَ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ أَبَا بَكْرٍ وَلَّى هَذَا كَجْكَ الْمَلِكَ ، وَأَجْلَسَهُ عَلَى التَّخْتِ ، وَحَلَفَ لَهُ ، وَحَلَفَ لَهُ الْعَسَاكِرُ بِمِصْرَ وَالشَّامِ ، وَكَانَ عَمْرُهُ يَوْمَئِذٍ خَمْسَ سِنِينَ تَقْدِيرًا ، وَذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ صَفَرِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعٍ مِئَةٍ . وَاسْتَقْلَّ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قَوْصُونَ بِكَفَالَةِ الْمَمَالِكِ ، وَصَارَ نَائِبَهُ ، وَإِذَا حَضَرَتِ الْعَلَامَةُ أُعْطِيَ قَلَمًا

(١) في (ط) ، (ق) : « ولكنه كان » .

(٢) (ط) ، (ق) : « ثاني يوم في الخدمة » .

* الوافي : ٣٢٠/٢٤ ، والدُّرَر : ٢٦٥/٣ ، والذَّيْلُ التَّام : ٨١ ، وبدائع الزهور : ٤٩٠/١/١ ، والشُّذَرَات :

في يده ، وجاء فقيهه المغربي الذي يقرئ أولاد السلطان ، ويكتبُ العلامة ، والقلم في يد السلطان علاء الدين كجك .

ثم إن الفخري خرج لمحاصرة الكرك ، وكان ما كان ، وجرى ماجرى - على ماتقدم في ترجمة أطنبغا والفخري - ولما توجه الناصر أحمد من الكرك إلى مصر في شهر رمضان جلس على كرسي الملك ، وخلع الأشرف كجك ، وانفصل من الملك . ثم تولّى أخوه الصّالح إسماعيل بعد خلع الناصر ، ولما توفي الصّالح تولّى الكامل شعبان .

وجاء الخبر إلى الشام بوفاة كجك - رحمه الله ، تعالى - في سنة ست وأربعين وسبع مئة .

١٣٩٦ - كجكن *

الأمير سيف الدين المنصوري .

كان من أكابر مقدّمي الألف بدمشق ، قديم الهجرة في الإمره ، كثير المعرفة بالصيد والخبره ، كثير الخدم ، غزير الحشم ، عمر دهرأ صالحا ، وقطع عيشاً ناجحا ، وهو وافر الحرمة ، ظاهر النعمه ، معظم عند النّوّاب ، مفخّم على مرّ السنين والأحقاب .

ولم يزل على حاله أن ابتلعه في القبر ، وتعذر فيه على ذويه الصبر .

وتوفي - رحمه الله ، تعالى - سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

وسمى أولاده الثلاثة الذكور كلاً منهم محمداً ، وأظنه كان قد نزل عن إقطاعه قبل وفاته بقليل ، وكان السلطان الملك الناصر ينتظر موته ، ويسأل عنه كل من يصل من دمشق .

* الوافي : ٢٤/٣٣٠ ، والدُرر : ٣/٢٦٥ ، وذبول العبر : ٧٠٢ ، والنجوم الزاهرة : ٩/٢٨٤ ، وفيه وفاته سنة (٧٣٠ هـ) .

أخبرني الأمير شرف الدين حسين بن جندر بك قال : لما حضرت قدام السلطان عند حضوري من دمشق قال لي أشياء سأل مني عنها ، ومنها^(١) قال لي : أيش حسن كجكن ، فقلت : طيب .

وكان قد أمسك في دولة الناصر محمد في يوم الجمعة حادي عشري شهر رجب سنة ثمان وتسعين وست مئة .

١٣٩٧ - كراي *

الأمير الكبير سيف الدين المنصوري نائب صفد ودمشق .

كان شديد المهابة ، بطيء الرجوع إذا غضب والإنابة ، أطيش من حبابه^(٢) ، وأطير من ذبابه ، إذا غضب لا يقوم شيء لغضبه ، ولا تهجم^(٣) الأسود على سلبه ، ولا تقدم^(٤) الملوك على غلبه ؛

يقوم مقام الجيش تقطيب وجهه ويستغرق الألفاظ من لفظه حرف

إلا أنه كان شديد الديانة ، مديد الصيانة ، عفيف الفرج مع القدره ، عزوف النفس لا يتناول من مال غيره ذره ، لا يقبل لأحد هديته ، ولا يدع ما فيه شبهة يدخل نديته .

وكان مغرّ بالنكاح لا يكاد يفارقه ، ولا يشغله شغل عنه ولا يسارقه ، ومع ذلك فكفه أندی من الغم ، وأجود من النسيم بالطيب إذا مرّ بالزهر وشق عنه الكمام ،

(١) عبارة الوافي : « سألني عن أشياء ومنها » .

* الوافي : ٣٣١/٢٤ ، وتحفة ذوي الألباب : ٢٢٣/٢ ، والنجوم : ٢٤٥/٩ ، والدُرر : ٢٦٦/٣ ، وإعلام الوری : ١١ .

(٢) الحباية : دويبة سوداء مائية .

(٣) في الأصل : « ولا تهجم » سهو ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « ولا تقوم » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

يَحِبُّ الطَّرْبَ الدائم ، وسماع النعم الملائم . وكان منهوماً في المآكل والمشارب ، ملهوفاً في تفرقة طعامه لكل مستخف وسارب ، وما رزق في نيابة دمشق سعادة ، ولا وافقته المقادير على ما أرادته ، وأبغضه أهلها ، ونقر منه حزنها وسهلها ، فأمسك فيها بعد قليل ، وخرج منها بعدما رشف كأس الذل ورسف في القيد الثقيل ، وذلك في يوم الخميس ثاني عشرين جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

أنشدني لنفسه الشيخ علاء الدين بن غانم :

أنا راضٍ بجألي لا مزيد وبأن لا أزال عند الحميد
إن في أمر كافل الملك بالشا م عِظَاتٍ للحازم المُستفيد
جاء بالتقليد أرغون بالأم س وولّى وعاد بالتقييد

كان أولاً نائباً في صفد بعد الأمير فارس الدين ألبكي ، وأقام بها إلى أن توجه في واقعة غازان ، وحصلت الكسرة ، فحضر هو إلى صفد ، وقصد القلعة لإيداع حريمها ، وانجفل^(١) الناس ، فلم يفتح له الباب ، وسبه جماعة من مستخدمي القلعة ، وآلوه بالكلام ، فقال : أنا ما أدخل ، ولكن افتحوا للحريم ، فلم يستمعوا له ، وبقيت هذه النكايه في خاطره .

ولما توجه إلى مصر ، طلب العود إلى نيابة صفد ، فعاد إليها ، وقتل أولئك الذين جاهره بالأذى ومنعوا حريمه بالمقارع ، ونفاهم منها . ثم إنه توجه إلى مصر ، وحضر بدله الأمير سيف الدين بتخاص ، وأقام بمصر مدة ، ثم إنه رمى إقطاعه [وأقام]^(٢) بالقدس مدة يأكل من ريع أملاكه وهو بطال . ولم يزل إلى أن حضر السلطان من الكرك إلى دمشق ، فحضر إليه وقال له : أي من ملك غزة ملك مصر ، فقال له السلطان : أنت لها . وجهزه إلى غزة ، فملكها ، وأقام بها ، وكان الأمر كما قال .

(١) (ق) ، (ط) : « وقد انجفل » .

(٢) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .

وقلتُ أنا في ذلك :

كرائي الذي أهدى الكرى لجفوننا وجمّع شملَ للملك بعد تنائي
أشار على السلطان يحفظ غزّة فلم أر في عمري كَرَّاي كرائي

ودخل معه إلى القاهرة ثم إنَّ السلطان جهّزه في عسكر مصر^(١) إلى حمص ، فأقام بها قليلاً ، وساق في ليلة العيد بالعساكر من حمص إلى حلب ، ولم ينفجر الصّبح إلّا وقد أحاط بالعساكر على دار النّياحة بحلب ، وأمّسك أسندمر ، وحضر إلى دمشق نائباً في يوم الخميس حادي عشر المحرم سنة إحدى عشرة وسبع مئة . ووصل تقليده إلى دمشق على يد الأمير سيف الدين أرغون الدّوادار في خامس عشرين المحرم من السّنة المذكورة .

وحلف بالطلاق من زوجاته أنّه ما يطّلع على أحد سرق النّصاب الشرعي إلّا ويقطع يده ، فضاقت النّاس منه ، وبعث أحضر المباشرين والكتّاب من حمص إلى غزّة لعمل الحساب في الزّناجير ، وضيق على النّاس ، وشدّد وأتكل في العلامة على الشيخ نجم الدين الصّفدي لأنّه كان يعرفه من صفد ، وجعل دَرَكها عليه ، فكانت العلامة تحمل إليه ، ويعتبرها شيئاً فشيئاً ، فما رآه سائعاً وضعه في فوطة العلامة ، ودخل به وما ارتاب فيه عزله عنها .

ولما كان في جمادى^(٢) الأولى من السّنة المذكورة ، قرّر على دمشق ألف وخمس مئة فارس ، يقومون بها ، لكل فارس خمس مئة درهم ، وطلب الأكابر بالتّرسيم إلى دار الوالي ، وتجمّعوا لتقرير ذلك ، وندب من يحضر ، ويقف على الأملاك والأوقاف ، وغلّظ على النّاس ، وحلفوهم على مقدار الأجر ، فضاقت النّاس ، وتوجّه الأعيان إلى الخطيب جلال الدّين ، فقام في ذلك ، واجتمع بالحكام وقرّر دفع^(٣) القضيّة معهم

(١) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « مصري » .

(٢) في (ط) ، (ق) : « أول جمادى » .

(٣) في (ط) : « رفع » .

ليكون الكلام في يوم الاثنين مع الأمير سيف الدين كراي . وخرج الناس بكرة النهار ، ومعهم المصحف الكريم والأثر النبوي والصّناجق التي على المنبر ، فلما كان النائب واقفاً في سوق الخيل ، ورأى ^(١) ذلك السّواد الأعظم من بعد والأطفال وغيرهم ، فقال : ما هذا ؟! ، فقالوا له : لأرباب الأوقاف والأملاك وأرباب الرّواتب على الجامع جاؤوا بسبب هذا المقرّر عليهم ، فقال : ردّوهم ، وقل لهم : الشّغل انقضى ، فجاء الأمير سيف الدين قطلوبك بن الجاشنكير الحاجب ، وهو يعرف خلق النائب ، فقال ^(٢) [لهم] : بسم الله ، ارجعوا ، فقد انقضى شغلهم ، فقالوا له : المصحف ما يرّد ، فقال : ارجعوا وإلاّ ما هو جيّد لكم ، فأبّوا ، فشال العصا بيده ، يشير إلى أنّه يضرب بها ، وكان المصحف الكريم - فيما أظنّ - على رأس الخطيب ، فهرول به ، فوقع المصحف الكريم إلى الأرض ، فلما رآه النّاس قد وقع تناولوه بالحجارة ، فردّه ^(٣) الحاجب إلى النائب والحجارة في قفاه ، ووقع بعضها قدام كراي ، فاشتدّ غضبه وردّ إلى القصر ، وأخرق بقاضي القضاة ابن صّصرى ، وقال : كل هذا عملك ، فأنكر ذلك ، وحلف له ، فسبّه ، وأخرق به وبالخطيب ، فقال له الشيخ نجم الدّين التّونسي : اسكت ، كفرت . فرماه إلى الأرض ، وضربه ضرباً مؤلماً كثيراً ، ورسم عليهم ، ثمّ أطلقهم بضمان وكفلاء .

ولم يكن بعد ذلك إلاّ دون العشرة أيّام حتّى حضر الأمير سيف الدين أرغون الدّوادار من مصر يوم الأربعاء ، وأحضر له تشريفاً عظيماً ، فلبسه ثاني يوم بكرة ، وعمل الموكب ، وحضر دار العدل ، ومدّ السّماط ، فأخرج أرغون كتاباً عظيماً مطلقاً إلى الأمراء بدمشق يأمساك كراي ، فأمسك في التّاريخ المذكور ، وقبّد في الحال ، وجهّز إلى الكرك صحبة الأمير سيف الدين أغرلو العادلي والأمير ركن الدين بيبرس المنجون ، وكان قد أمسك الصّاحب عزّ الدين بن القلانسي ، ورسم عليه .

(١) في الأصل : « وذلك » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) .

(٣) في (ق) : « فردّه للحاجب » .

ولما كان في مستهل جمادى الأولى حكم القاضي نجم الدين الدمشقي نائب ابن صصرى ببطلان البيع الذي اشتراه ابن القلانسي من تركة السلطان الملك المنصور في الرمثا والسبوخة والفضالية لكونه بدون قيمة المثل ، وبغزل الوكيل الذي صدر منه البيع قبل عقد البيع ، ولوجود ما يوفى منه الدين غير القفار ، ونفذ الحكم ذلك . ثم إن القاضي ^(١) تقي الدين الحنبلي ^(٢) نقض ذلك في تاسع شعبان من السنة المذكورة ، وادّعى قبل هذا على الصّاحب عزّ الدين واعتقل ، فلما كان في يوم إمساك كراي خرج الصّاحب عزّ الدين بن القلانسي من الاعتقال من دار السّعادة ، وفرح الناس بخلّصه ، ويامساك كراي .

ثم إن السلطان بعث إلى كراي وهو معتقل في الكرك من يخدمه ، وجهّز إليه جارية من حظاياه ، وأقام كذلك إلى أن مات - رحمه الله تعالى - وكان له أربع زوجات وثلاثون سرّية ، وكان إذا سافر إلى الصّيد استصحب نساءه معه ، لأنّه لا يقدر على الصّبر عن النّكاح ، وتزوّج بابتنة الأمير سيف الدين قبجق وهو بدمشق .

قال لي الشيخ : نجم الدين الصّفدي - رحمه الله تعالى - : لما دخل على بستان ابنة قبجق غريم عليها حتى صارت عنده أربع مئة ألف درهم ، وبعث إلى الأمير سيف الدين بهادر آص يقول : يامسلمين يكون هذا ، يكون هذا خوشداشي أنا وإياه ممالك بيت واحد وهو في مدينة أنا فيها ، وهو نائب سلطان ، ويدخل على زوجته ، وما أقدم له شيئاً ، والله ما أعرف قبول هذه البقج إلا منك ، قال : فدخلت عليه ، وقلت له : ياخوند أنا رجل غريب في هذه المدينة ، وهذا الأمير سيف الدين بهادر آص أكبر من فيها وما بعدك أكبر منه ، وقد قال : كذا وكذا ، فقال : أين هذا الذي ^(٣) أحضره ؟ فأحضرت ، فقلّبه جميعه قطعة قطعة ، ثم قال : قل له : أنت تعلم أخلاقه ومحبّته لنسائه

(١) (ط) ، (ق) : « قاضي القضاة » ، وهو الصحيح .

(٢) سليمان بن حمزة ، سلف ترجمته .

(٣) (ط) : « فقال : هات النّبي » ، وفي (ق) : « فقال : هات هذا الذي » .

وجواريه ، وهو قد حلف بالطلاق منهنّ وبعتهنّ أنّه ما يقبل في هذه النياية لأحد من خلق الله تعالى شيئاً قلّ ولا جلّ ، فأنت رأيت يا خوشدش طلاق زوجاته وعتق جواريه فالأمر أمرك . قال : فأعدت ما قاله عليه ، فقبل الغدر في ذلك .

وكان يحبّ الطرب ، فأحضر ابن غرة العوّاد ، وآخر يلعب بالكنجا ، وآخر دُفياً ، ورتّب لهم معالم على ديوانه ، وقال لهم : أقسم بالله ما يتكلّم أحد منكم في فضول ، أو يحضر قصّة ، أو غير ذلك إلّا كانت يده قبالة ذلك أو لسانه ، وقد أكفيتكم ، وهذا الطعام أنتم فيه وفي الفاكهة وفي الحلوى وفي المشروب ليلاً ونهاراً ، فكلوا واشربوا وغنّوا ، ليس إلّا .

وكانت له قصعة تسع ثمانية أرؤس غنماً يحملها أربعة عتّالين يملؤها يوماً حلوى سكرية ، ويوماً طعام أرز مقلّلاً ، ولا يزال ليله ونهاره في مشروب وأطعمة وفاكهة وحلوى ، واعتذر للسّلطان عن إمساكه ، فقال : ماله عندي ذنبٌ إلّا أنّه خوشدش بكثر الجوكندار ، ولما أمسكت هذا ؛ خفت من ذاك لئلا يتغيّر فإنّ نفسه قويّة .

وراح في وقت إلى إقطاع الصّعيد ، واستغلّ من قرية ست مئة ألف درهم ، فخطر له أن يدخل إلى بلاد السّودان ، ويفتحها ، وقال لي - وأنا في الكرك - : أنا أقيم لك ست مئة جندي .

١٣٩٨ - كُرت*

الأمير سيف الدين المنصوري نائب طرابلس .

كان من الفرسان المذكورة والأبطال المشهورة . له دِئْن متين ، وسلطان في التقوى^(١) مبين ، وفيه برٌّ ومعروف ، وجوده على الفقراء والصّالحين معروف .

* الواقي : ٣٣٢/٢٤ ، ووقع في بعض أصوله : « كرد » .

(١) (ط) : « وسلطان في الفتوى » .

حمل على التتار في الوقعه ، وبيّن الفروسيّة ذلك اليوم لما ضاقت الرّقه ، وأبلى بلاءً حسناً وقتل منهم جماعه ، وخاض فيهم ، فلأ الموت بالمصاع^(١) صاعه ، وذلك في سنة تسع وتسعين وست مئة .

كان هذا الأمير سيف الدين من مماليك الأمير ضياء الدين بن الخطير ، وجعله السلطان الملك المنصور حسام الدّين لاجين حاجباً في أيامه ، ثمّ إنّه تولّى نيابة طرابلس ، وأبلى في واقعة غازان ، وقتل من التتار جماعة ، ثمّ إنّه خاض فيهم فاستشهد ، رحمه الله تعالى .

وكان فيه اعتناء بأهل الخير وأهل الحرمين ، وله بالقدس رباط وعليه وقوف ، وكان كثير الصدقة ، متين الدّيانة .

١٣٩٩ - كُرت *

الأمير سيف الدين النّاصري ، أخو الأمير سيف الدين طغاي الكبير المقدّم ذكره . حضر إلى صفد بتبع^(٢) واحد ، وأقام بها مدّة ، ثمّ إنّه نقل في أواخر أيام الأمير سيف الدّين تنكز إلى دمشق ، وبقي كذلك إلى أيام الفخري ، فجّهزه إلى البلاد الرّوميّة لإحضار سيف الدّين^(٣) طشتر ، وأنعم عليه . ثمّ إنّ النّاصر أحمد أمّره^(٤) طبلخاناه ، وأقام بدمشق مديدة ، ثمّ إنّه جّهزه إلى جعبر نائباً ، فأقام بها قليلاً . وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

(١) للباصعة : للقاتلة والمجادة بالسيوف ، يريد : إنّ الموت أهلكه .

* الوافي : ٣٣٤/٢٤ ، والدرر : ٢٢٦/٣ .

(٢) في الأصل و (ط) : « بقبع » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) والوافي .

(٣) (ق) ، (ط) ، (خ) : « الأمير سيف الدين » .

(٤) في الأصل و (ط) : « أجّهزه » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) والوافي .

١٤٠٠ - كُرْجِي *

الأمير سيف الدين .

كان جريئاً شجاعاً كثير التهور ، شديد الإقدام ظالم النفس ، هو الذي قتل السلطان حسام الدين لاجين - على ماسيائي - .

ثم إنه قُتِلَ لما ^(١) قُتِلَ طنجي ، وطيف برأسه في القاهرة سنة ثمان وتسعين وست ومئة ، قتله كردي من الحسينية برا القاهرة بين الكيمان .

اللقب والنسب

☆ ابن الكركري : الأمير سيف الدين بهادر .

١٤٠١ - كُرْمَاس **

الأمير سيف الدين ، أحد أمراء الطبليخانات بدمشق .

توفي - رحمه الله تعالى - في ثامن عَشْرِي المحرم سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

اللقب والنسب ^(٢)

☆ كريم الدين الكبير : عبد الكريم بن هبة الله .

☆ وكريم الدين الصغير : أكرم .

* الزوافي : ٢٣٤/٢٤ ، والنجوم الزاهرة : ١٨٣/٨ .

(١) في (ق) ، (ط) : « يوم » .

** لم تقف على ترجمة له .

(٢) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

١٤٠٢ - كُستاي *

بضمّ الكاف وسكون السين المهملة وبعدها تاء ثالثة الحروف^(١) وألف ممدودة وياء ،
الأمير سيف الدين الناصري .

كان من أحسن الأشكال وأتمّها ، وأجمعها للمحاسن وأعّمّها ، يميل إلى الأفاضل ،
وذيله بالإحسان إليهم فاضل ، وله دين ، وفيه خير وإحسان وبرّ ، يسقط على حَبّه
الطّير ، وكان خطّه كحظّه زائد الحسن والقوّه ، فائق الرّونق ، كأنّه في العلامة عروساً
على البصائر مجلّوه .

تولّى نيابة طرابلس ، فأحسن فيها الولايه ، وأظهر الاحتفال بعدله والعنايه .
ولم يزل بها على حاله إلى أن كَسَتْ كُستاي أكفأنه ، وجرى عليه من الدّمع
غُدرانه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في جمادى الآخرة سنة ست عشرة وسبع مئة .
كان في رفعة طغاي الكبير ، وهو ثانيه في المنزلة ، ثمّ إنّ السّلطان الملك النّاصر
أخرجه إلى نيابة طرابلس في جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبع مئة عوضاً عن تمر
السّاقى .

١٤٠٣ - كُشتغُذي **

الأمير الكبير المعمر علاء الدين أبو أحمد الخطائي .

* الوافي : ٣٣٩/٢٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٢٢ والنجوم الزاهرة : ٢٢٧/٩ ، والدرر : ٢٦٨/٣ ، وذبول
العبر : ٨٧ ، وفيه « كشته » .

(١) في الأصل : « آخر الحروف » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

** الدرر : ٢٦٨/٣ .

كان شيخاً معمرًا ، جاوز التسعين . وسمع من النجيب الحرّاني ومن بعض أصحاب البوصيري والخشوعي .

توفي - رحمه الله تعالى - ثاني^(١) عشر جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وسبع مئة .

اللقب والنسب

☆ الكفري : الشيخ شهاب الدين الحسين بن سليمان .

☆ ابن كُسيّرات : تاج الدين علي بن إسماعيل .

☆ ابن الكلاس : علاء الدين علي بن محمد .

١٤٠٤ - كاليه *

بفتح الكاف وبعدها ميم وألف ولام وياء مشددة وهاء .

أخبرني من لفظه العلامة أثير الدين ، قال : كانت المذكورة أدبية شاعرة ، ذكرها لي ناصر الدين شافع وقال : إنها كاتبت شعراء عصرها من أهل مصر . قال : وأخبرني فتح الدين البكري ، وأنشدني قال : كتبت كاليه إلى :

سَمِعْتُ مِنْ شِعْرِكَ سَحْرًا غَدَا يَخْامِرُ الْأَبْوابَ إِذْ تَنْفُثُ
أَصْبَحَ كَالْحَمْرَةِ فِي فِعْلهَا فَهُوَ بِالْأَبْوابِ الْوَرَى يَعْبَثُ

الكالي : الأمير شمس الدين ستقر الحاجب .

(١) في الدرر : « ثالث » .

* الوافي : ٣٦٦/٢٤ .

١٤٠٥ - كُنْجَشْكَب*

بالكاف المضومة والنون الساكنة والجيم والشين المعجمة الساكنة وبعدها كاف أخرى وباء ثانية الحروف ، ابنة [أبغا]^(١) .

كانت من الخواتين الكبار ، وكان الأمير سيف الدين [تنكز]^(٢) يبالغ في تعظيمها ، ويكرم قصّادها ومن يحضر من عندها أو يأتي بكتاب منها ، وكانت تُعلّمه بأخبار القوم ومتجدّاتهم ، وما يدور بينهم ، وكانت تجهّز إليه في كل سنة من عندها كامليّة طلسمو^(٣) إمّا لون فاختي أو لون بنفسجي ، أو غير ذلك من الألوان بطراز زركش ، عمل الموصل ، ودائر باولي من أفخر ما يكون ، وأصنعه^(٤) بأزرار مرجان ملبّسة ذهباً على قرو قاقم له دابر سنجاب في عرض أصبع أزرق طري غض كشن من خيار ما يكون . وكان تنكز تعجبه هذه الكامليات ، ويُديم لبسها ، لما فيها من الطرافة وحسن الصياغة ، وكان هو يهدي إليها أضعاف ذلك .

وعهدي بها في حياة تنكز في سنة أربعين وسبع مئة .

الألقاب والأنساب

☆ الكنجي : نائب مصياف ، اسمه : آقوش .

☆ والكنجي : محمّد بن محمّد بن أبي بكر . ومحمّد بن أبي بكر بن عبد الرّحمن .

ومحمّد بن أبي بكر بن عبد الرّحمن .

* الوافي : ٣٧٢/٢٤ .

(١) زيادة من تمام نسبها في الوافي .

(٢) زيادة من (خ) والوافي .

(٣) كسنا في الأصل ، واختلف في رسمها في النسخ الأخرى ، ففي (ق) ، (ط) : « طلمو » ، وفي

(خ) : « طلمو » ، وفي الوافي : « طلمو » .

(٤) في الوافي : « واضحة » .

١٤٠٦ - كُنْدُغْدِي *

الأمير سيف الدين العمري .

أعرفه وهو والي باب القلعة بالديار المصرية ، أقام على ذلك مدة .

وكان حسن الصوت والوجه ، نقي الشيب ، أحمر الوجنة .

ثم إن السلطان الملك الناصر محمد بعثه إلى البيرة^(١) نائباً ، فتوجه إليها في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة - فيما أظن - ، وأقام بها إلى أن حضرت مطالعة الأمير سيف الدين يلغا يحيوي نائب [حلب]^(٢) تتضمن الشكوى منه ، ويذكر أنه وقعت فيه قصص كثيرة ومحاضر ، فرسم السلطان الملك الصالح إسماعيل بإحضاره إلى حلب ، ومحاققته على ذلك في محفة ، وكان مريضاً ، فوصل إليها ، وأقام ساعة واحدة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

١٤٠٧ - كُهْرْدَاس **

الأمير سيف الدين الرزاق^(٣) أحد الأمراء بدمشق .

كان ذكياً فطناً حذقاً ، له اعتناء بالمجلدات النفيسة والخطوط المنسوبة وغير ذلك من الأصناف الغريبة ، وأنفق على ذلك أموالاً جمّة ، عمل له قدمة بالبندق غرم عليها ثلاثة آلاف درهم ، وهي مليحة ، رأيته وهي ناقصة الغالقة .

* الوافي : ٣٧٢/٢٤ ، والدرر : ٢٦٩/٣ ، والنجوم الزاهرة : ١١٥/١٠ ، ووقع في الأصل و (ط) : « كيد غدي » .

(١) البيرة : من نواحي حلب .

(٢) زيادة من (ق) والوافي .

** الدرر : ٢٦٩/٣ .

(٣) في (خ) : « الرزاق » .

توفي - رحمه الله تعالى - بداره ، وهي دار القَيْمري خلف المدرسة القيرية بدمشق في سلخ شعبان سنة أربع عشرة وسبع مئة .

١٤٠٨ - كُوجَبَا*

الأمير سعد^(١) الدين الناصري .

كان نائباً بشعر الإسكندرية .

روى للشيخ^(٢) شمس الدين الذهبي أحاديث عن النجيب عبد اللطيف ، وكان ختنَ ابن الظاهري^(٣) .

توفي - رحمه الله تعالى - بمصر سنة سبع وتسعين وست مئة ، وهو من أبناء السبعين .

١٤٠٩ - كوكاي**

الأمير سيف الدين أحد الأمراء المشايخ بالقاهرة .

تزوج ابنته ستيته - المقدم ذكُرها - في حرف السين - الأمير سيف الدين تنكز - رحمهما الله تعالى .

ولم يزل أميراً كبيراً مقدّم ألف من الأيام الناصرية إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

* الوافي : ٣٧٥/٢٤ .

(١) في الوافي : « سيف الدين » .

(٢) في الوافي : « الشيخ » .

(٣) عبارة الوافي : « وكان ختن ابن الظاهري على ابنته » .

** الوافي : ٣٧٦/٢٤ ، والدرر : ٢٧٠/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤١/١٠ .

وخلف من الأموال على ما قيل ألف ألف ومئتي ألف درهم^(١) وسبعة وعشرين ألف دينار عيناً غير الخيل والبرك والعدة والبيوتات والقماش وغير الأملاك الكثيرة .

١٤١٠ - كوكنجار *

الأمير سيف الدين الحمدي ، أحد الأمراء الطبلخاناه بدمشق .
كان يسكن إلى جوار الأمير صارم الدين صاروجا ، قريباً من الشامية البرانية .
توجه إلى الحج سنة أربع وعشرين وسبع مئة .
وتوفي - رحمه الله تعالى - في يوم الجمعة منتصف القعدة سنة ثلاثين وسبع مئة .

اللقب والنسب^(٢)

☆ الكولي : عز الدين عبد العزيز بن منصور .
☆ ابن الكويك : سراج الدين عبد اللطيف بن أحمد . وشمس الدين محمد بن محمود .

١٤١١ - كيتمر **

الأمير سيف الدين ، بفتح الكاف وسكون الياء آخر الحروف وبعدها تاء ثالثة الحروف وميم بعدها راء .
كان من خوشداشيه الحاج أرقطاي والأمير حسام الدين البشقدار^(٣) ، أظنه أمّر

(١) ليست في (خ) والوافي . وفي النجوم : « خلف أكثر من أربع مئة ألف دينار عيناً » .

* الدرر : ٢٧٠/٣ ، وفيه : « كوكي » .

(٢) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

** الوافي : ٣٧٨/٢٤ ، والدرر : ٢٧٠/٣ ، وفيه : « كيم » .

(٣) في الوافي : « طرنطاي البشقدار » .

طبلخاناه في أيام نيابة^(١) الأمير سيف الدين أرقطاي بمصر ، والظاهر أنه كان أميراً قبل ذلك ، عيّنه الأمير سيف الدين أرغون شاه أمير الحج .

فمات بالطّاعون في شعبان سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ومات أيضاً جماعة من أولاده ومماليكه . وكان له ولدان هما^(٢) في سماء الحسن فرقدان ، ومات وصية الأمير سيف الدين حاجي ، الجميع في جمعة واحدة ، وتأسف الناس على ولديه .

☆ الكيزاني : سديد الدين عبد الرحمن بن عبد الرحيم .

(١) ليست في الوافي .

(٢) (ط) ، (خ) : « كأنها في » .

حرف اللام

١٤١٢ - لاجين*

السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ حَسَامُ الدِّينِ الْمَنْصُورُ^(١) ، مَمْلُوكُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ .

كَانَ مِنْ خِيَارِ الْمَمْلُوكِ فِي الْإِسْلَامِ ، وَأَفْضَلُ مَنْ خَفَقَتْ عَلَى رَأْسِهِ الْبُنُودُ وَالْأَعْلَامُ ، شُجَاعاً مَعْدُوداً فِي الْفُرْسَانِ ، بَطْلاً فِي وَقْتِ تَمَرُّحِ جِيَادِهِ فِي الْأُرْسَانِ ، جَوَاداً يَنْجَلُ الْغَمَامَ إِذَا هَتَنَ أَوْ هَمَى ، كَرِيماً أُنْسَى جُودُهُ كَرَمَ حَاتِمِ الَّذِي سَمَا ، لَهُ ذَبٌّ عَنِ الْإِسْلَامِ وَيُضَيِّتُهُ ، وَحَيَاةٌ فِي جُلُوسِهِ وَنَهَضَتِهِ ، أَحَقُّ النَّاسِ بِقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

فَأَنْتَ حَسَامُ الْمُلْكِ وَاللَّهُ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لَوَاءُ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدُ^(٢)

وَكَانَ صَحِيحَ الْوُدَادِ لِمَنْ يَصْحَبُهُ ، مَلِيحَ الْإِعْتِقَادِ فِيمَنْ^(٣) يَأْلَفُ بِهِ وَيَعْجِبُهُ . تَعْجِبُهُ الْفَضَائِلُ وَيَعْظُمُ أَهْلُهَا ، وَيَذْكُرُ أَنْسَاهَا وَيَغْضُ^(٤) فَضْلَهَا ، وَيَجْمَعُ عَلَيْهَا شَمْلَهَا ، وَيَتَطَفَّلُ عَلَى طِفْلِهَا ، وَيُوقِرُ كَهْلَهَا . شَدِيدُ الْغَيْرَةِ عَلَى حَرِيمِهِ ، لَا يَدْعُ الْأُسْدَ تَقَارِبَ كُنَاسِ رِيَمِهِ .

سَنَّ لَمَّا مَلِكَ أَشْيَاءَ حَسَنَةً ، وَأَزَاحَ مِنْ جَفْنِ الْمُلْكِ بِهَا وَسَنَةً . أَحَبَّهُ أَهْلُ دِمَشْقَ لَمَّا

* الْوَاقِي : ٣٨٥/٢٤ ، وَتَحْفَةُ ذَوِي الْأَلْبَابِ : ١٨١/٢ ، وَتَالِي وَفِيَاتِ : الْأَعْيَانُ ١٣٢ ، وَانْظُرْ أَخْبَارَ سُلْطَنَتِهِ وَمَقْتَلَهُ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ : ٣٤٨/١٣ ، ٣/١٤ ، وَإِعْلَامُ الْوَرَى : ٨ ، وَالنَّجْمُ الزَّاهِرَةُ : ١٨٢/٨ .

(١) فِي الْوَاقِي : « الْمَنْصُورِي » .

(٢) دِيَوَانُهُ ٢٧٧/١ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « فِيمَا » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ط) ، (ق) .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « أَيُّهَا » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ط) ، (ق) . وَفِي (ط) أَيْضاً : « وَيَغْضُ » .

كان عندهم نائبا ، واستصحبوا ذلك لما كان عنهم غائبا ، ولكنْ خانَ الزَّمانُ مُلكَه ، وأوقَفَ في وسطِ بَحْرِهِ فُلكَه ، وجالَ الجُسامُ في الحُسامِ ، وفصلَ أوصالَه الجِسامِ ، وما راعى سميَّه ، ولا حفظَ وليَّه وسميَّه .

وكانت قتلته - رحمه الله تعالى - ليلة الجمعة ، وقد صام نهار الخميس عاشر شهر ربيع الآخر سنة ثمانٍ وتسعين وستَ مئة .

أمره الملك المنصور أستاذَه عندما مَلَكَ ، وبَعَثَه نائباً على قلعة دمشق ، فلما تَسَلَّطَن سنقر الأشقر ، ودخل القلعة قَبْضَ عليه ، ولما انكسر سنقر الأشقر أخرجه الأمير علم الدين سنجر الحلبي .

ثمَّ إِنَّه رَتَّبَ في نيابة السِّلْطَنَة بِمِراسِمِ السِّلْطانِ ، ودَخَلَ في خدمته إلى دار السَّعادة في أوائل شهر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وستَ مئة ، وعمل النِّيا بة إحدى ^(١) عشرة سنة ، وأحبَّ أهلَ دمشق وأحبَّوه ، وأحسنَ إليهم .

ثمَّ إِنَّ الأشرَفَ عَزَلَه من نيابة دمشق بالشَّجَاعِي لما أَمْسَكَه على عكا ، وأفرج ^(٢) عنه ، وحضر معه إلى قلعة الرُّومِ ، ولما كانوا بعدها بدمشق هرب يوم العيد مستهلاً شوال سنة إحدى وتسعين ، وركب الأشرَفَ والعسكر في طلبه ، وكان قد توجَّه إلى بعض عرب صرخد ، ليتوجَّه به إلى الحجاز ، فأَمْسَكَه وجاء به للأشرَفَ فقيَّده ، وجَهَّزَه إلى مصر هو وسنقر الأشقر ، ثمَّ إِنَّه أفرج عنه ، وأعطى إمرة مئة بالقاهرة .

وفي شوال سنة اثنتين وتسعين قَطَعَ الأشرَفَ خبز الأفرم الكبير ، وأعطاه للاجين المذكور ، وكان عظيماً ، وخُنِقَ بين يدي الأشرَفَ ثمَّ خَلَّى عنه ، فإذا فيه ^(٣) روحٌ ، فَرَقَّ له السِّلْطان ، وأطلقه ، وردَّه إلى رُبَّتْبه .

(١) في الأصل : « إحدى عشر » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، وهو الصحيح .

(٢) في الأصل : « وأخرج » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « هو » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والتحفة .

وقيل : إنّ السلطان الملك المنصور قال لولده الأشرف : هذا طرنطاي ، لا تؤذه ولا تتعرض له ^(١) أبداً ، فإنه ما يؤذك ، وهذا لاجين ، لا تمسكه ، وإن أمسكته لا تبقيه ، فإنه يحقد عليك ، ويعمل على قتلك . فخالف والدّه في الجهتين ، فأول ما تسلطن أمسك طرنطاي ، وقتله وأمسك لاجين وأطلقه فقتله . وقيل إنّهُ إنما قام على الأشرف لأنّه تعرض لزوجته بنت طقصور ^(٢) فعز ذلك عليه .

ولما قتل الأشرف ^(٣) هو ويئذرا ، كان بيدار الذي تقدّم إلى الأشرف وضربه وهو على الأرض يحصل طيراً صاده ، وكانت ضربة غير طائلة ، فجاء بعده لاجين ، وهو سائق قرسة ، فرأى ضربة يئذرا ، فقال : يا مابون ^(٤) ، هذه ضربة من يطلب الملك ، ثمّ إنّ ضربه ضربة حلّ منها كتفه ، ففضى عليه .

ولما قتله ^(٥) اختفى حسام الدين لاجين ، وقيل : إنّهُ هرب وقرا سنقر ، وعدّياً النّيل ، وجاء إلى جامع ابن طولون ، واختبأ في المئذنة ، وبقي فيها أكثر من يومين ، ونذر لاجين إن سلّم أنّه يعمر الجامع المذكور ، ووفى بنذره . وتنقل بعد ذلك في البيوت ، وقاسى أهوالاً وشدائد من الجوع والعطش والخوف .

ثمّ إنّ كتبغا أجاره وأجار قرا سنقر ، وأحسن إليه ، ودخل به إلى السلطان الملك الناصر وقرّر معه أن يخلع عليه ويحسن إليه ، ففعل به ذلك ، وأعطاه خبزاً كان مع الأمير بدر الدين بكتوت العلائي بالديار المصريّة وذلك في شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين وستّ مئة .

(١) (ق) ، (ط) : « إليه » .

(٢) في الأصل و (ط) : « لزوجته طقصور » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .

(٣) سنة (٦٩٣) ، انظر خبر مقتله في البداية والنهاية : ٣٢٤/١٣ .

(٤) المابون : من لحقه العيب .

(٥) (ق) ، (ط) : « قتلاه » .

ولما ملك كتبغا جعله نائبه في مصر ، فوثب عليه - كما تقدّم في ترجمة كتبغا - وقتل مملوكيه^(١) الأزرق وبتخاص ، وتغافل عنه لما عليّه من الأيادي ، وهرب كتبغا - كما تقدّم - وساق لاجين الخزائن والعساكر بين يديه من العُور ، وما دخل غزّة إلّا وهو سلطان ، وهو لم يختلف عليه اثنان .

ومتلك في أوّل صفر سنة ست وتسعين وست مئة ، وخُطب له بغزّة وبلد الخليل عليه السّلام والقدس .

ولما دخل القاهرة جلس على سرير الملك ، وبعث قبجق نائباً إلى دمشق : لأنه خوشدشه ، وجعل قراستقر نائبه بمصر إلى أن تمكّن ثم قبض عليه ، وأقام في النّياية مملوكه الأمير سيف الدّين منكوتر ، فحسّن له القبض على الأمراء ، فأمسك البيسريّ وقراستقر وأبيك الحموي ، وسقى جماعة السّم ، ولذلك هرب قبجق وأبكي وبكتر السّلاح دار وبزلار إلى التّار - كما تقدّم في تراجمهم - ولم يخرج إلى الشّام مدّة ملكه .

ولما كان يوم الخميس في التّاريخ المذكور ركب موكبه وهو صائم ، عمل عليه جماعة من الأشرفيّة ، ودخلوا عليه بعد العشاء الآخرة ، وهو مكبّ على الشّطرنج^(٢) وما عنده إلّا القاضي حسام الدّين الحنفي وعبد الله الأمير وبّريد^(٣) البدوي وإمامه محبّ الدّين بن العسال ، فأول من صرّبه بالسّيف كرجي - مقدّم البرجية - وتوجّه طغجي وكرجي إلى دار منكوتر ، ودقّا عليه الباب ، وقالوا : السّultan يطلبك ، فنكرهما ، وقال : قد قتلتاه ؟ ، فقال كرجي : نعم يامأبون ، وجئنا لنقتلك ، فاستجار بطنجي ، فأجاره ، وحلف له ، فخرج إليهما ، فذهبا به الجبّ ، وأنزلاه ، فاعتنم كرجي الغفلة ، وحضر إلى الجبّ ، وأخرجه من الجبّ ، وذبحه ، وقال : نحن ماقتلنا أستاذة إلّا من أجله فما في بقائه فائدة ، ونهبوا داره في الحال ، وأتفقوا على

(١) في الأصل و (ط) ، (ق) : « مملوكه » ، وفي الوافي والتحفة : « غلاميه » .

(٢) في الوافي و (ق) : « على اللب بالشطرنج » .

(٣) في البدائع م ٣٩٨/١/١ : « يزيد » .

إعادة الملك الناصر ثانياً إلى الملك ، واتفقوا على أن يكون طغجي نائباً ، وحلّفوا له على ذلك ، وأرسلوا سلار - وهو إذ ذاك أمير صغير - إلى الكرك ، لإحضار الناصر محمد ، وعمل طغجي النيابة أربعة أيام .

ولما حضر أمير سلاح من غزوة الشام ؛ وطلعوا للقياه ^(١) جرى ما جرى - على ما تقدّم في ترجمة طغجي وأمير سلاح - وقتل طغجي وكرجي ، وكان يعلم على الكتب إذ ذاك ثمانية أمراء : سلار والجاشنكير وبكتر أمير جاندار وأقوش الأفرم والحسام أستاذ الدار وكُرت ^(٢) وأبيك الخزندار والأمير عبد الله .

وقتل لاجين وهو في عشر الحسين :

قَدَرَّ عَدَتَ فِيهِ الْحَوَادِثُ طَوْرَهَا وَتَجَاوَزَتْ أَقْدَارَهَا الْإَيَّامُ

لأنّه كان سلطاناً جيداً ، عادلاً خبيراً ، ذريعاً كريماً ، جواداً شجاعاً ، كان يسلّ سيفه ، ويهزّه في يده ، ويقول : أشتهي أرى أبغاً وهذا في يدي .

ولما ملك أخرج الخلفاء من الاعتقال ، وأبطل تجهيز الثلج من بيروت وطرابلس ^(٣) ، وقال : لا حاجة لي به ، فيأتي كنت في دمشق ، وأدري ما يجري على الرعايا في وسق الثلج في المراكب ، وما يجدونه من التعب والمغارم والكلف .

وكان ذكياً يقظاً ؛ أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، قال : حكى لي والدي أنّه وصل إليه في بعض الأيام يريد من مصر على يده كتاب من طرنتاي ، ومّا فيه بخطّه أنّ الخروف نطح كبشه قلبه ^(٤) ، فقال لي : ما هذا يا محي الدين ؟ قلت : ما أعلم ، فقال : هذا الكلام معناه أنّ بيدراً قد وثب على عمّه الشجاعي ، وكذا كان ،

(١) (ق) ، (ط) : « لتلقيه » .

(٢) في الوافي : « كرد » .

(٣) في الوافي : « من الشام إلى مصر » .

(٤) في الوافي : « أكله » .

فإنَّ الشَّجَاعِي كَانَ زَوْجَ أُمِّ يَدْرَا ، فَعَمِلَ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَنْصُورِ ، وَأَمْسَكَهُ ، وَعَزَلَهُ ، وَصَادَرَهُ . وَهَذَا فِي غَايَةِ الْفَهْمِ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْإِشَارَةِ .

وَحَكَى لِي الْأَمِيرُ شَرْفُ الدِّينِ أَمِيرُ حُسَيْنِ بْنِ جَنْدَرِ بَكْ ، قَالَ : قَالَ لِي السَّلْطَانُ حَسَامُ الدِّينِ لَاجِينَ يَوْمًا : يَا حُسَيْنَ ، رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ أَخَاكَ مَظْفَرُ الدِّينِ فِي النَّوْمِ وَهُوَ يَقُولُ لِي : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ ^(١) ، فَمَا كَانَ بَعْدَ ^(٢) ثَلَاثِ لَيَالٍ حَتَّى قَتَلَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وَحَكَى ^(٣) عَنْهُ الشَّيْخُ عَلَاءُ الدِّينِ بْنِ غَانِمٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - مَكَارِمَ كَثِيرَةً وَلُطْفًا زَائِدًا وَإِحْسَانًا جَمًّا وَمُودَّةَ يَرَعَاهَا لِمَنْ يَعْرِفُهُ .

وَكَذَلِكَ حَكَى لِي عَنْهُ شَيْخُنَا فَتَحُ الدِّينِ بْنِ سَيِّدِ الدِّينِ لَمَّا دَخَلَ إِلَيْهِ لَمْ يَدْعِهِ يَبُوسُ الْأَرْضَ ، وَقَالَ : أَهْلُ الْعِلْمِ يُنْزَهُونَ عَنْ هَذَا وَأَجْلَسَهُ عِنْدَهُ - أَظَنَّهُ قَالَ لِي : عَلَى الْمَقْعَدِ - ، وَرَتَّبَهُ مَوْقِعًا ^(٤) فِي دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ ، فَبَاشَرَ ذَلِكَ أَيَّامًا ، ثُمَّ اسْتَعْفَى فَأَعْفَاهُ ، وَجَعَلَ الْمَعْلُومَ لَهُ رَاتِبًا ، فَأَقَامَ يَتَنَاوَلُهُ الشَّيْخُ إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِئَةٍ .

وَكَانَ شَيْخُنَا الْعَلَامَةُ شَهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ يَوْمًا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَهُوَ بِدَمَشَقَ [يَكْتُبُ] ^(٥) ، فَوَقَعَ شَيْءٌ مِنَ الْخَبَرِ عَلَى ثِيَابِهِ ، فَأَعْلَمَهُ لَاجِينَ بِذَلِكَ ، قَالَ لِي : فَنَظَّمْتُ فِي الْحَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ :

ثِيَابُ مَلُوكِكَ يَا سَيِّدِي قَدْ بَيَّضَتْ حَالِي بِتَسْوِيدِهَا

(١) الشعراء : ٢٢٧/٢٦ .

(٢) فِي (ق) ، (ط) وَالْوَافِي : « بَعْدَ ذَلِكَ ... » .

(٣) فِي (ق) ، (ط) وَالْوَافِي : « وَحَكَى لِي ... » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « مَوْضِعًا » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، (ط) وَالْوَافِي .

(٥) زِيَادَةٌ مِنْ (ط) ، (ق) وَالْوَافِي .

مَا وَقَعَ الْحَبْرُ عَلَيْهَا بَلَى وَقَعَ مِنْكَ بِتَجْدِيدِهَا

قال : فأمر لي بتفصيلتين ومبلغ خمس مئة درهم ، فقلت : يا خوند مماليكك الجماعة رفاقي يبقى ذلك في قلوبهم ، فأمر لكل منهم بمثل ذلك ، ثم صار ذلك راتباً لنا في كل سنة عليه .

ونَدب الأمير علم^(١) الدين الدواداراي ، وهو سلطان ، فعمّر جامع ابن طولون ، واشترى له وقوفاً كثيرة ، وجدّد فيه وظائف كثيرة من التفسير والحديث والفقہ والقراءات والطبّ وعمّر بدمشق الخان المنسوب إليه تحت ثنية العقاب .

وكان أشقر ، في لحيته طولٌ يسيرٌ ، وخفّه . وَجْههُ رقيقٌ مَعْرَقٌ وعليه هيبه ، وهو تام القامة ، في قدّه رشاقة وهَيْفٌ . وكان وهو سلطان يجهّز البريديّة ، ويحملهم السلام إلى الموقعين الذين كان يعرفهم .

وأنشدني شيخنا أبو الشّاء محمود إجازة قصيدة مدحة بها وهي :

أطاعك الدهرُ فأمرُ فهو مُمْتَثِلٌ	واحكمُ فأنتَ الَّذي تُزهِى به الدّولُ
واشرفُ فلو مُلِكتَ شمسُ النّهارِ علأ	ملكتُها لم يَزِدْ في سَعْدِهَا الحَمَلُ
وانهضُ بعزْمِكَ فهو الجيشُ يَقدِّمه	من بأسك المنذران الرّعب والوجل ^(٢)
وسِرْ به وَخَدّه لابالجيوش وإنْ	لم يَحْوِها الأرحبان السّهل والجبل
تلقى الفتوحَ وقد جاءتك وافدةٌ	يَحْثُها المُزعجان الشّوق والأمل
قد أرهفَ المَلِكُ المنصور منك على	جيش الأعاذي حُساماً حدّه الأجل
تهوى أسنّته بيضَ النّحورِ فَمِنْ	آثارها الحمر في أجيادها قبل ^(٣)
تُدْمِي سطاها وتندى كفه كرمأ	كالغيث يَهْمِي وفيه البرقُ يشتعل

(١) في الأصل : « علا » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) . وعلم الدين هذا هو سنجر .

(٢) في الأصل : « المنذرات » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والوافي .

(٣) في الأصل : « الجر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) والوافي .

ضاق الفضاء بهم واستدّت السُّبُلُ^(١)
 والموت يُقْبِلُ والأرواحُ تَنْتَقِلُ^(٢)
 وَتَنْثِي وَعَلَيْهَا مِنْهُمْ حُلُلُ
 بَدَتْ غَدَتْ وَهِيَ بِالْهَامَاتِ تَنْتَعِلُ
 به العدا أَنَّهُ لَيْثُ الشَّرِّ البطل
 غمارها واصطلاها وهي تشتعل
 بِنَاسِهِ وَحَمَى الْإِسْلَامَ إِذْ حَمَلُوا
 عَانِ أَسِيرٌ وَذَا فِي التُّرْبِ مُنْجِدٌ
 بَيْنَ الْمَنَايَا وَأَرْوَاحِ الْعِدَى رُسُلُ
 يَبْدُو لَدَيْهِ مِثَالٌ مِنْهُ أَوْ مِثْلُ
 أَغْفَى جَلَتْهُ عَلَيْهِ فِي الْكَرَى الْمَقْلُ
 وَالْمُعْلُ مَا بَيْنَ أَيْدِي خَيْلِهِ خَوْلُ^(٣)
 فِي غَيْرِهِ فَهُوَ دُونَ النَّاسِ مُكْتَمِلُ
 الْيَمِّ ثُمَّ وَعَمَّ الْعَارِضُ الْمَهْطِلُ
 مِنْ بَرِّهِ وَهُوَ طَوِيلُ الدَّهْرِ مُتَّصِلُ
 عَنِ النَّدَى سَاءً يَوْمًا وَلَا مَلِلُ^(٤)
 فَيَا الْجُودَ لَا بَسْوَاهُ يَضْرِبُ الْمَثَلُ^(٥)
 كِرَامُ الْخَيْلِ مِمَّنْ جُودُهُ الْإِبِلُ^(٦)

سَلْ يَوْمَ حَمَصَ جِيوشَ الْمُعْلُ عَنْهُ وَقَدْ
 وَالْهَامُ تَسْجُدُ وَالْأَجْسَامُ رَاكِعَةٌ
 وَالْبَيْضُ تَغْمَدُ فِي الْأَبْطَالِ عَارِيَّةٌ
 وَالْخَيْلُ تَحْفَى وَتَحْفَى فِي الْعَجَاجِ فَإِنْ
 يَخْبُزُكَ جَمْعُهُمُ وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ
 وَأَنَّهُ خَاضَ فِي هِجَائِهَا وَجَلَا
 وَصَدَّعَهُمْ وَهُمْ كَالْبَحْرِ إِذْ صُدِمُوا
 فَزَقَتْهُمْ سَطَاحُ ذَا يَسِيرٍ وَذَا
 كَأَنَّ أَسْهَمَهُ وَالْمَوْتَ يَبْعَثُهَا
 كَأَنَّ هَارِبَهُمُ وَالْخَوْفُ يَطْلُبُهُ
 فَإِنْ تَنْبَهَ يَوْمًا رَاعَهُ وَإِذَا
 وَعَادَ وَالنَّصْرُ مَعْقُودٌ بِرَايَتِهِ
 قَدْ جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ كُلَّ مَفْتَرَقٍ
 فَعَنْ نَدَى يَدِهِ حَدَّثَ وَلَا حَرْجٌ
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَيْنَ الْغَيْثُ مُنْفَصِلًا
 عَطَاءٌ مِنْ لَيْسَ يَتْنِي قَطَّ رَاحَتِهِ
 مَنْ حَاتِمٌ؟ عَدَّ عَنْهُ، وَاطَّرَحَ فِيهِ
 أَيْنَ الَّذِي بَرَّهَ الْآلَافُ يَتْبَعُهَا

(١) فِي الْأَصْلِ (و ط) : « وَاشْتَدَّتْ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) وَالْوَافِي .

(٢) فِي الْوَافِي : « تَرْتَحِلُ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « مَعْقُودًا » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ط) ، (ق) وَالْوَافِي .

(٤) فِي (ط) ، (ق) ، وَالْوَافِي : « فِضَ رَاحَتِهِ » .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « فِيهِ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ط) ، (ق) وَالْوَافِي .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « إِنَّ الَّذِي بَرَّهَ الْآلَاتِ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، (ط) وَالْوَافِي . وَفِي الْوَافِي : « مِمَّنْ »

- لومثل الجود سرحاً قال حاتمهم
أحاط بالناس سور من كفالتة
أضحوا به في مهاد الأرض يكلؤهم
يحنوا عليهم ويعفو عن مسيئهم
وأعدل الناس أياماً بلا شطط
أطاع خالقه فيما تقلّسه
إن رام صيداً فما الكندي مفتخراً
بكل طريف يفوت الطرف رؤيته
في فتية من كاة الترك ليس لهم
إن يقتلوا الصيد في أيدي الجوارح بل
عزاً وصوناً لمن دان الأنعام له
أو حاول اللعب المعهود بالكرة الـ
- « لاناقة لي في هذا ولا جمل »^(١)
ظلّ لهم وعلى أعدائهم ظلّ^(٢)
من رافة بهم يقظان إن غفلوا
حليماً ويصفح عنهم إن هم جهلوا^(٣)
في الحكم منه ولا حيف ولا ميل^(٤)
فما عن الدين بالدنيا له شغل
بالخيل في الصيد إلا مطرق خجل^(٥)
لا يأخذ الصيد إلا وهو منفتل^(٦)
إلا التعلّم من إقدامه أمل^(٧)
جوارح اللحظ إن يرموا بها قتلوا^(٨)
حتى السهام إلى أغراضه ذل
تي بها تستعين البيض والأسل

(١) في الوافي : « مسرحا » . والسرح : البهائم التي يملكها الإنسان ، وهي ترعى .

وعجز البيت للراعي ضنه شعره ، وصدره :

وما هجرتك حق قلت معلنة

وأصله مثل للمحارث بن عباد حين قتل جساس بن مرة كليباً ، وهاجت الحرب بين الفريقين ، وكان الحارث اعتزلها .

انظر : مجمع الأمثال للميداني : ٢٢٠/٢ .

(٢) في الوافي : « أعدائه » .

(٣) زيادة من (ق) والوافي .

(٤) في الوافي : « فلا شطط » .

(٥) في الأصل و (ط) : « مشغل بالخيل » ، وأثبتنا ما في الوافي . والكندي هو امرؤ القيس . يشير أليات الطرد في معلقته .

(٦) في الوافي : « الطرف منظره » . وفي (ق) ، (ط) : « منتقل » . والطريف : الخيل الكريمة .

(٧) في الوافي : « حماة الترك » .

(٨) في الوافي : « إن يقتلوا » .

حيث السوابق تجري في أعنتها
 كأنه وهو والبردي في يده
 طوعاً وتعطف أحياناً فتمثل
 على الجواد وكل نحوها عجل^(١)
 شمس على البرق حاز البدر يرفعه
 عن الهلال فيعلو ثم يستقل
 لا زال بالملك المنصور منتصراً
 ما قال بالدوح غصن البانة الثمل

ولما تولّى السلطنة جاء غيث عظيم ، بعدما كان تأخر ، فقال علاء الدين
 الوداعي ، ومن خطّه نقلت - :

يا أيّتها العالم يُشْرَاكُمْ
 فإلله بآرك فيها لكم
 بدؤلة المنصور ربّ الفخار
 فأمطر الليل وأضحى النهار^(٢)

ولما أبطل المنكرات في أيامه : قال ابن دانيال :

احذر نديمي أن تذوق المُسْكِرَا
 لا تشرب الصّهباء صرفاً قرقفا
 أو أن تحاولَ قطّ أمراً منكراً
 وتزور من تهواه إلّا في الكرى^(٣)
 أنا ناصح لك إن قيلت نصيحتي
 والرأي عندي ترك عقلك سالماً
 من أن تراه بالمدام تغيّرا
 قهر الملوك فكان سلطان الوري
 يا ذا الفقير يكون جنبك أحمرأ^(٤)
 واشرب من اللبن الخبيض مكرراً^(٥)
 فالوقت سيفٌ والمراقب قد درى
 فيه تنالون النّعيم الأكبرأ
 ذي دولة المنصور لاجين الذي
 إياك تأكل أخضراً في عصره
 والمزر يامسعود دعه جانباً
 وبني حرام احفظوا أيديكم
 توبوا وصلّوا داعيين للملكه

(١) في الوافي : « وهي » .

(٢) هنا تنتهي ترجمته في الوافي .

(٣) القرقف : الخمر يرعد عنها صاحبها .

(٤) (ط) : « في مصره » . وفي (ط) و (ق) : « يصير جنبك » .

(٥) المزر : ضرب من الأشربة المسكرة .

ولما كان بدمشق نائباً - رحمه الله تعالى -؛ أمسك نصراني في أوائل شهر رمضان سنة سبع وثمانين وست مئة عند امرأة مسلمة^(١) جميلة يشرب الخمر ، فأمر بإحراقه ففدى النصراني نفسه بال جزيل ، فلم يعبله ، وأمر بنار عظيمة ، فأضرمت ، وألقي النصراني فيها^(٢) ، فقال العلامة شهاب الدين محمود يمدحه ، أنشدنيه لنفسه إجازة :

يامن به وبرأيه وروائه أنت الذي لم يخشَ لَوْمَةً لائم
ما يومك للاضي لديك بضائع يا كافل الإسلام قبلك لم يقم
بالسيف قام ولا اختلاف بأنّه أقسمت لو آلى امرؤ لك أنّه
أرسلتها في العدل أحسن سيرة وغضبت للإسلام غضبة ثائر
وحيت سرح الدّين من متخلّس أخفى سرّاه إلى الحريم وما دَرى
جمع الخيانة والخنا في الأرض والإ فأمّرت أمراً جازماً بحريقه
أحرقت من أدنت عداوة كُفّره طهرت من دمه الثرى وقذفته
ورفعت قدّر السيف عنه وإنه أرعبت أهل الشرك منك وكلهم
وسلبتهم طيب الرقاد فن غفا بلغ المراد الدّين من أعدائه
في الله فابشر فزّت عند لقاءه والله والأملاك من شهدائه
هذا المقام سواك من كفلائه أنت الحسام وذاك من أسماؤه
أحد الفتوح لبرّ في آلائه بك يقّتي من كان في ألفائه
الله غير مشارك في رائه رجس يسرّ الغدر في استخفائه
أنّ الإله وأنت من رقبائه شراك بالرحمن فوق سمائه
ورأيت أنّ القتل دون جزائه يده من الإسلام في استعلائه
في النار إذ هي منتهى نظرائه ليجلّ عن تنجيسه بدمائه
يلقى خيالك واقفاً بإزائه ألفى ديب النار في أعضائه

(١) في الأصل : « مسلم » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٢) انظر : البداية والنهاية : ٣١٢/١٣ .

أُولُو تَحْيَلٍ فِي الْمَنَامِ بِجُرْمِهِ
 رَامُوا شَفِيعاً عِنْدَهُ فِي ذَنْبِهِمْ
 غَابُوا وَهَلْ فِي الْأَرْضِ مِنْ يَتْنِيهِ عَنْ
 مَاضٍ حَكِيمٍ ثَابِتٍ مُتَمَسِّكٍ
 وَكَأِ الْبُرْزَةِ أَمِنْ سَطْوَةٍ بِأَسِهِ
 كَالسَّيْفِ يَبْدُو فِي تَوَقُّدِ حَدِّهِ
 يَارَاعِي الْإِسْلَامَ صُنْتَ السَّرْبِ أَنْ
 عَامَلْتَ رَبَّكَ بِالَّذِي أَسْلَفْتَهُ
 مَا غَرَّتْ إِلَّا لِلْإِلَهِ وَخَلَقِهِ
 نَزَّهْتَ شِرْعَةً دِينَهُ فَابْشِرْهَا
 وَلَكَ الْهِنَاءُ إِذَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
 فَاسْتَشْهِدِ الشَّهْرَ الشَّرِيفَ فَإِنَّهُ
 أَحْيَيْتَهُ بِالْعَدْلِ فَارْقُدْ إِنْ تَشَاءُ
 عَظُمْتَ حُرْمَتُهُ وَأَهْلَكْتَ الَّذِي
 فَاسَلُمَ لِهَذَا الدِّينِ تَحْرُسُ سِرِّهِ
 وَاشْكُرْ إِلَهَكَ بِالَّذِي أَلْهَمَّتَهُ

خَشِيَ الْحَرِيقَ وَمَاتَ فِي إِغْفَائِهِ^(١)
 كِي يُسْخِطَ الرَّحْمَنَ فِي إِرْضَائِهِ
 تَنْفِيزَ حُكْمِ اللَّهِ فِي إِمْضَائِهِ^(٢)
 بِالْشَّرْعِ فِي أَحْكَامِهِ وَقَضَائِهِ
 فَكَذَا الْبَغَاةُ يُؤَسِّنُ مِنْ إِبْقَائِهِ
 فِي النَّاطِرِينَ إِلَيْهِ رَوْنَقَ مَائِهِ
 تَدْنُو كِلَابُ الشَّرْكِ مِنْ ضَعْفَائِهِ
 فِي دِينِهِ فَاْبْشِرْ بِحُسْنِ وَفَائِهِ
 مِنْ فَتْكَ شَرِّ عَبِيدِهِ بِإِمَائِهِ
 هِيَ خَيْرٌ مَا أَوْلَاكَ مِنْ آلَائِهِ
 وَافِيَّتِهِ بِالْحَوْضِ تَحْتَ لَوَائِهِ
 يُثْنِي بِمَا أَبَدَيْتَ فِي أَثْنَائِهِ
 فَلَقَدْ بَلَغْتَ الْقَصْدَ مِنْ إِحْيَائِهِ
 لَمْ يَرَعْ حَقَّ اللَّهِ فِي أَنْبَائِهِ
 وَيُغْضُ جَفْنَ الشَّرْكِ مِنْكَ بِدَائِهِ^(٣)
 فِيمَا فَعَلْتَ فَذَلِكَ مِنْ نَعَائِهِ

١٤١٣ - لاجين *

الأمير حسام الدين الأستاذ الدار الرومي .

كان من كبار الأمراء مقلمي الألف بالديار المصرية . وكان مقدّم الميسرة في يوم

(١) في الأصل و (ط) : « في الأنام » ، وما أثبتناه من (ق) .

(٢) (ق) ، (ط) : « أو إمضائه » .

(٣) في الأصل : « وبعض » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

* الدرر : ٢٧٠/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٠٦/٨ .

شَقَّحَب ، ثبت هو وَمَنْ معه مِنْ أصحابه وكان معه ثمانية أمراء مقدّمون أبلّوا جميعهم بلاءً حسناً ، ووثبتوا لحملات التتار ، فاستشهدوا جميعهم في الواقعة المذكورة - رحمهم الله تعالى - وذلك في شهر رمضان سنة اثنتين وسبع مئة .

وقبّره هو وحده هناك على جبلٍ عليه قبة يراها المسافرون على يمين المار من دمشق إلى الصّنين ^(١) .

وكانت قتلته في عصر السبت ثاني شهر رمضان - رحمه الله تعالى .

وَقَلْتُ من خطّ الشيخ شهاب الدّين أحمد بن يوسف الصّفي الطّبيب بالبيارستان المنصوري بالقاهرة من مريثة كتب بها إلى الأمير ركن الدّين عمر بن الأمير حسام الدّين لاجين الرّومي أولها :

كأس الحِمام على الأنام يدور	والعُمُر ماضٍ والزّمانُ يسير
أنفاسنا كرواحلٍ لنفوسنا	لمراحلٍ فيها الأنام تصير
يامنُ يسير على اليسير وحولهُ	عبرَ وخلق في القبور عبور
انظر إلى الدّنيا وما فعلت بمن	ترنو إليه بطرفها وتسير
كم خوّلت فتحولت ولئنُ حلت	قد أنحلت وأماها التّغير

منها :

يامرجُ صَفَرٌ أَصْفَرَتْ بك أَرْبَعُ	وجرت دموعُ نَظْمُها مَنثورٌ ^(٢)
جاء التّار تدفقاً تترى له	فترى والجبال تسير ^(٣)
ورَدّوا بمائة ألفٍ مغلاً بعدها	عشرون ألفاً بأسها مخذور

(١) الصّنين : من أعمال حوران ، جنوب دمشق بنحو خمسين كيلاً .

(٢) مرج صفر : في دمشق . (معجم البلدان) .

(٣) كنا بياض في الأصل و (ط) و (ق) .

لله مَنْ فادى الأنام بنفسه
 في محضر شرع الأسنة شاهداً
 فالسيف يكتب والمثقف ناقطاً
 حِضْنَ السيوف به وهن ذكور
 هذا حسام الدين والدنيا فما
 كم خاض أهوال المعارك عاركاً
 والخيّل تعثر بالنواصي والقنا
 فرماحه مثل الرجوم نصالها
 تبكي عليه محافل وجحافل
 لم يرهبــــــــــــــــــــــــاه منكراً ونكير
 إن الثناء لغيره محظــــــــــــــــور
 والسهم يشكّل والطّــــــــــــــــلا المسطور^(١)
 وقسّ دحّن ناراً والأكفّ بحور
 يلقي له بين الأنام نظير
 والحرب تقــــــــــــــــدح والشرار يطير
 والأرض راجفة تكاد تمور^(٢)
 شهب يراها في النحور تغور
 ومناصل وذوابل وقصور

وهي أربعة وستون بيتاً وهذا القدر منها كافٍ .

١٤١٤ - لاجين *

الأمير حسام الدين الحموي .

كان أولاً بحجة أستاذ دار الملك المؤيد صاحب حماة . ولما ولي الأمر الملك الأفضل
 وقع بينهما ، فنزح عن حماة ، وتوجّه إلى مصر ، وعاد إلى دمشق أميراً .

وكان الأمير سيف الدين تنكز يُكرمه ، ولم يزل بدمشق إلى أن أمسك تنكز ،
 وحضر بشتاك إلى دمشق ، فولّاه المهندارية بدمشق . فأقام يويّمات ثم ولي مدينة
 دمشق - فيما أظنّ - ، فأقام قليلاً وطلب الإقالة .

ولم يزل بدمشق على حاله إلى أن توفي بدمشق في مستهلّ صفر سنة ست وأربعين
 وسبع مئة .

(١) المثقف : الرمح .

(٢) في الأصل : « تعبر » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

* الدرر : ٢٧٠/٣ .

١٤١٥ - لاجين *

الأمير حسام الدين المنصوري المعروف بالصغير .

كان أحد الأمراء الطبلخانة بدمشق ، وولي البر في وقت في المحرم سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ثم إنه قيد واعتقل بقلعة دمشق بعد قتل حسام الدين لاجين السلطان في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ، وأفرج عنه في جادى الآخرة .

وعزل وجهز إلى ولاية الولاية بالقبلية عوضاً عن الحاج بهادر في شوال سنة إحدى عشرة ، وتوجه أمير الحج في سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، وولي غزة بعد الجاولي .

ثم إنه توجه لنيابة البيرة ، وأقام بها إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في ذي القعدة سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

وفي سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وصل ^(١) تابوته إلى دمشق في خامس صفر من السنة المذكورة وكان قد نقل أولاً إلى حلب ودفن بها ثم إن أستاذ داره نقله إلى دمشق ، وكان قد أسند وصيته إلى الأمير سيف الدين تنكز ، ولأجل ذلك لما اتفق ما اتفق لابنته أمر بخنقها ، وكانت واقعة عجيبة .

١٤١٦ - لاجين **

الشيخ الصالح حسام الدين الأزهري .

كان شيخاً كبيراً تجاوز المئة بثلاث سنين ، وجاور بالجامع الأزهر في القاهرة مدة سبعين سنة .

* البداية والنهاية : ١٤٧/١٤ ، والدرر : ٢٧٠/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٠/٩ .

(١) في الأصل و (ط) : « ووصل » .

** الدرر : ٢٧١/٣ .

وتوفي - رحمه الله تعالى - ثالث عشر شهر رمضان سنة أربع عشرة وسبع مئة ، وكانت جنازته ^(١) حافلة ، وصُلِّي عليه غائباً بالجامع الأموي بدمشق .

١٤١٧ - لاجين *

الأمير حسام الدين المنصوري المعروف بالزيرباج .

كان قد حبسه السلطان الملك الناصر محمد ، فأقام في الحبس مدة سبع عشرة سنة ، ثم إنه أفرج عنه وعن الأمير فرج بن قراسنقر ^(٢) وعن الأمير علم الدين ^(٣) وخلع عليهم في ليلة عرفة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ^(٤) .

١٤١٨ - لاجين **

الأمير حسام الدين الإبراهيمي أمير جاندار .

توفي - رحمه الله تعالى - في سابع عَشْرِي ذي الحجة سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، ودفن بالروضة تحت قلعة الجبل ظاهر القاهرة .
كان أمير خمسين ، وفيه دين ومروءة .

١٤١٩ - لاجين ***

الأمير حسام الدين الغُتبي نائب الرحبة .

(١) (ط) ، (ق) : « جنازة » .

* الدرر : ٢٧١/٣ .

(٢) سلفت ترجمته في موضعها .

(٣) سنجر ، وسلفت ترجمته .

(٤) وتوفي سنة (٧٣١ هـ) ، كما في الدرر .

** الدرر : ٢٧١/٣ .

*** الدرر : ٢٧١/٣ .

كان من ممالك الغُتي نائب الرّحبة^(١) ، ولم يكن هو في نفسه غُتيّاً . وانتشا بالرّحبة ، وعمل بها ولاية البرّمدّة . ثمّ إنّهُ أقام بدمشق وخدم القاضي محي الدين بن فضل الله ، فخلّص له ولاية البقاع ، فأظهر نهضة كافية وكفاية^(٢) تامّة ، فنقله إلى ولاية نابلس ، فأبان فيها عن سداد وشهامة ، فأحبّه الأمير تنكز ، فقال له : يا خوند إن وليّتي نيابة الرّحبة ، وفّرت العسكر الدّمشقي من التجريد إليها ، فكتب له إلى السلطان ، فأجابهُ إلى ذلك ، وأعطاه إمرة طبلخانة ، فتوجّه إليها ، ووفّى بما التزمه من عدم تجريد العسكر إلى الرّحبة . وفرح بذلك تنكز ، وأحبّه .

وحضر العربان والناس ورافعوه ، ولم يلتفت إليهم ، وأمّسك غرماء ورمّاهم في الحبس ، وتوجّه العربان الكبار من آل مهنا وغيرهم ، وشكوا منه إلى السلطان شكوى كبيرة^(٣) ، فطلبه السلطان إلى مصر ، فتوجّه إليها في سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، وكتب تنكز على يده ، فلم يسمع فيه كلاماً ، وخلع عليه ، وجّهزه إليها مكرّماً ، وتوجّهت أنا إليها موقعاً في آخر هذه السّنة المذكورة ، وكتبتُ إليه من قُبا^(٤) على جناح الحمام بطاقة بوضلي ، وفيها :

هذي بطاقة خادمٍ قد جاء يلهج بالمدح
حملتها قلبي الذي قد طار نحوك بالفرح

ولما قدمت إليها انجمع مني^(٥) وانزوى عني مدة تزيد على شهرين ، ثمّ إنّهُ أقبل عليّ إقبالاً عظيماً ، وأفضى إليّ بأسراره ، وأحسن إليّ غاية الإحسان ، وقال : يا مولانا ، خوّفوني منك ، وقالوا : هذا واحد قد سيّروه من مصر عيناً عليك ، وزال ذلك .

(١) هي رحبة مالك بن طوق م وسلفت الإشارة إليها .

(٢) في الأصل : « وكاية » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) .

(٣) في (ق) ، (ط) : « كثيرة » .

(٤) موضع قرب الفرات . (معجم البلدان) .

(٥) في الأصل : « عني » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

ولما انفصلت من الرحبة وعدت إلى دمشق زودني وأعطاني مبلغ ألف درهم وقاشاً وحجراً عربية ثمينة واستمر لي عليه راتب في دمشق من الشعير لخليي ومن التبن في كل سنة . وتوجهت إلى مصر ، وهو يخدمني ويحسن إليّ بأنواع ، ويطلب الناس مني الشفاعات إليه ، فلا يردّها ، إلا أنّه كان جباراً سفاكاً للدماء يعاقب عقاب المغل ، ويتنوع في ذلك بأنواع العذاب .

ولم يزل على حاله في الرحبة إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في شوال سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

١٤٢٠ - لاجين *

الأمير حسام .

كان قد تزوّج بأمّ المظفر حاجي ، وجعله أمير آخور على حاله وقدم في أيام المظفر إلى دمشق أمير مئة مقدّم ألف ، ووصل معه الأمير سيف الدين بتخاص في تاسع شهر رجب سنة ثمان وأربعين .

وكان أمير آخور في أيام الكامل أيضاً - فيما أظنّ - ، ووصل طلبه بَعْدَهُ ، ومعه الأمير ناصر الدّين محمد على إقطاعه في ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة . وطلب الأمير حسام الدّين لاجين وولده إلى مصر ، وأظنّه أخرج بعد ذلك ، ثمّ إلى مصر .

ولم يزل بها مقيماً على طبلخاناه إلى أن توفّي في شهر رجب الفرد سنة أربع وستين وسبع مئة بالقاهرة في طاعون مصر^(١) .

* الوافي : ٢٨٩/٢٤ ، والدرر : ٢٧٢/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٩/١٠ .

(١) وفي الدرر أنه توفي سنة (٧٥١ هـ) . وكذلك في النجوم الزاهرة .

(١) اللقب والنسب

☆ اللحياني : صاحب تونس : زكريا بن أحمد .

☆ ابن اللمطي : محب الدين عمر بن عيسى .

☆ ابن اللبان : محمد بن أحمد .

١٤٢١ - لولو*

الأمير بدر الدين الحلبي المعروف بعلام قندش ، بالفاء المفتوحة والنون الساكنة والدال المهملة المفتوحة والشين المعجمة .

كان المسكين جبّاراً خوّاناً أثمياً خوّاراً خداعاً غداراً مكاراً غزّاراً ، حقوداً حسوداً ، عنيداً^(٢) مريداً ، قصياً من الخير بعيداً . مبيراً مبيدا ، لو عاصر الحجاج لم يدعه يفرج يامرة الكوفة ، ولا اشتهر دونه من قبح سجايه الموصوفه ، ولم يكن قدّامه إلاّ جلوزا ، أو مازاً في طريقه مجتازا ، أو مشاء بنيم هّازا^(٣) :

مَسَاوِلُوقُسْمُنْ عَلَى الْغَوَايِ لَمَأْمُهْرَنْ إِلَّا بِالطَّلَاقِ

دخل إلى السلطان ورافع كُتّاب حَلَب ، وَحَلَبَ^(٤) إِلَيْهِمُ التَّوِيلَ وَالشُّومَ فَمَا جَلَبَ ، وَسَلَّمَهُمُ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ ، وَعَوَّلَ فِي اسْتِصْفَاءِ أَمْوَالِهِمْ عَلَيْهِ ، فَزَقَ جُلُودَهُمُ بِالسَّيَاطِ ، وَأَهْلَكَ الْبَرِيءَ وَالْمُتَّهَمَ عَمَلًا بِالْاِحْتِيَاطِ ، فَبَاعَ بَعْضُ النَّاسِ مَوْجُودَهُ ، وَبَعْضُهُمْ بَاعَ

(١) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

* الوافي : ٤١٠/٢٤ ، والدرر : ٢٧٢/٣ .

(٢) في (ط) ، (خ) « عتيدا » .

(٣) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ هَازِمْ مَشَاءَ بَنِيكُمْ ﴾ القلم : ١١/٦٨ .

(٤) في الأصل : « وحلب » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) . وكذا الكلمة في آخر الجملة .

مولوده . وكانت نوبة دون نوبة هولأكو [و] ^(١) شرّاً منها ، وواقعة تحدّث النَّاس في سائر الأقطار عنها .

ثمّ إنّه نُكِبَ فيها ، وطلّب إلى مصر وأخذ منحوسا ، وظنّ النَّاس أنّه ^(٢) يكون فيها مرموسا ، فنجأ وليته لانجأ ، ووجد بين الأسنة مخرجا .

ثمّ إنَّ السُّلْطَان نذبه لشدّ الجهات ، فسدّ الجهات على من تنفّس ، ووصل شرّه حتّى إلى الجوّاري الكُنُس ، وأساء إلى من اصطنعه من تلك الورطه ، وأخرجه من مصر بعد أيّ ضغطه ، فولاه السلطان بمصر شدّ الدّواوين بالقاهره ، وتولّى ذلك والنّاس أحياء ﴿ فإذا هم بالساهره ﴾ ^(٣) ونوع العذاب على المصادرين ، وابتدع من العقاب ما لا مرّ بذهن الواردين ولا الصّادرين ، ثمّ إنّه نُكِبَ [بالقاهرة] ^(٤) نكبة عظيمة ، وانفرطت منها حبّات سعادته النّظيّه .

إلى النّار يالولد الزّانية وهذا الهويّ إلى الهاوية
وقعت فيا بردها في القلو ب ، فياليتها كانت القاضية

ثمّ إنّه جهّز إلى حلب ، وقدّر الله أنّه منها انقلب ، فذاق فيها وبال أمره ، وأفاق من سكرة ^(٥) خمره ، وقَاء ما كان أكل واتخم ، وشكا وهو تحت العقوبة شكوى الجريح إلى العقبان والرّخم ، ومنها قضى ، وأسفر الوجود بموته من الظّلم وأضا .

وكان هلاكه في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

أول ما عرفت من أمره أنّي رأيته بحلب سنة أربع وعشرين وسبع مئة وهو ضامن

(١) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « أن » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

(٣) النازعات : ١٤/٧٩ .

(٤) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .

(٥) في (ط) ، (خ) ، (ق) : « وأفاق فيها من سكره .. » .

المدينة ، وكان ضامنها^(١) من قبل ذلك بمدة ، وطلع مرّات إلى مصر ورافع النَّاس ، والقاضي فخر الدّين ناظر الجيش يصده ويرده ويكذّبه قدام السّلطان ، ولم يبلغ مرامه مدّة^(٢) حياته ، فلما مات طلع إلى مصر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ودخل إلى السّلطان^(٣) ورمى بين يديه ديناراً ودرهماً وفلساً ، وقال : يا خوند الدّينار في حلب للمباشرين ، والدّرهم للنائب ، والفلس لك ، فتأذى السّلطان من ذلك واستشاط غضباً وطلب الجميع من حلب على البريد ، وسلّمهم إليه وكان يقعد في قاعة الوزارة ويستحضرهم ويقتلهم بالمقارع ، وكان النَّاس قد طال عهدهم بالمقارع لأنّ القاضي كريم الدّين - رحمه الله تعالى - كان قد أبطلها ، واستمرّ إبطالها بعده إلى أن جاء هذا لولو فأعادها وبالع في أذى أهل حلب ، فأنكر أهل مصر ذلك ، وساءت سمعته ذلك اليوم ورثى النَّاس لمباشري حلب ، ووقف النَّاس له ليرجموه إذا نزل ذاك النّهار من القلعة ، فأحسّ بذلك ، ودخل إلى السّلطان وعرفه ذلك ، فزاد غضب السّلطان ، ولم ينزل لولو من القلعة ، ورتباً جعل^(٤) معه أو شاقية يحفظونه من النَّاس .

ولم يزل يعاقبهم بمصر حتّى استصفى أموالهم وأخذهم معه ، وتوجّه بهم إلى حلب ، وقد أمره السّلطان وجعله مشدّ الدّواوين بحلب .

ولما وصل إليها صادر وعاقب وتنوّع في ذلك حتّى أباغ النَّاس أولادهم ، وزاد في الخيانة ، فبلغ الخبر إلى السّلطان ، فسير السّلطان للكشف عليه الأمير سيف الدّين الأكزّ فصانعه وداراه وقدم له ، فأخذه معه وطلع إلى مصر بما معه من التّقادم العظيمة فقبلها [السّلطان]^(٥) منه ، وجعله بين يدي الأكزّ مشدّ الجهات بمصرف القاهرة ، فزاد

(١) ليست في (خ) .

(٢) (خ) : « أيام » .

(٣) عبارة الوافي : « السّلطان الناصر محمد » .

(٤) في (ق) ، (ط) ، (خ) والوافي : « أنه جعل ... » .

(٥) زيادة من (ط) ، (خ) ، (ق) .

تسلّطه على النَّاس ، وكرهه الأكَزّ ، فأخذ العصا يوماً ، وضربه إلى أن خرّب عمامته ، وخرج إلى بَرٍّ وهو كذلك ، فتوجّه إلى القاضي شرف الدّين النّشوناظر الخاص ، ودخل عليه واتفق معه ، وعمّلاً على الأكَزّ ، وأخرجاه إلى الشام ، وولّاه السّلطان شدّ الدّواوين بالقاهرة ، فعمل ذلك بجبروت عظيم ، وزاد طغيانه وعتوّه .

ثمّ إنّ السّلطان غضب عليه ، فأمسك لولو ، وطلب الأمير علم الدّين سنجر المحصي من الشّام وولّاه شدّ الدّواوين بالقاهرة ، وسلّم لولو إليه ، فضربه بعض ضرب ، وأقام مدّة في الاعتقال ثمّ إنّّه خرج إلى حلب مشدّاً - والله أعلم - ، فأقام بها إلى أن حضر الأمير سيف الدين طشتمر حمّص أخضر نائب حلب ، ومعه الأمير سيف الدّين بهادر الكركري^(١) مشدّ الدّواوين ، فغضب على لولو ، وسلّمه إلى ابن الكركري فقتله بالمقارع إلى أن مات - رحمه الله تعالى - سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

حكى لي الشّيخ شمس الدّين بن الأكفاني قال : أعرف هذا لولو وهو عند فندش - أوقال : قبل وصوله إلى فندش - وهو يبيع أسقاط الغنم والأقصاب والتّعاشير وغير ذلك في لِقَيْنِ^(٢) بحماة على الطّريق ، وربّما حل ذلك على رأسه ودار به يبيعه .

أنشدني لنفسه إجازة القاضي زين الدّين عمر بن الوردی - رحمه الله تعالى :-

أشكو إلى الرّحمن لؤلؤ فندش أضحى يصادر سادة وصدورا^(٣)
نثر الجنوب بل القلوب بسوّطه فمتى أشاهد لؤلؤاً منشورا^(٤)

(١) (خ) : « الكركري » ، تحريف ، وسلفت ترجمته .

(٢) اللّقْنُ : الوعاء .

(٣) (ط) ، (خ) : « لؤلؤ الذي » .

(٤) في الأصل : « بوسطه » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) ، (ق) .

حرف الميم النسب والألقاب

☆ ابن الماسح : نجم الدين أحمد بن إبراهيم .

١٤٢٢ - مالك بن عبد الرحمن *

ابن علي بن عبد الرحمن ، أبو الحكم بن المرحّل الأديب الشاعر المغربي .

أخذ عن الشّلوّيين ^(١) ، وابن الدّجاج ^(٢) ، وعدّه .

وروى عنه أبو القاسم بن عمران ، ومحمد بن أحمد القيسي ، وغيرها .

واستوطن سبّنة .

له الشعر الرّائق ، والنّظم الفائق ، لطّف ألفاظه ورقّقها ، وزخّرف أبياته ونمّقها .

وكان من أفاضل شعراء المَغْرِب ^(٣) وأدبائهم الذين يأخذون [من كلامهم بـ] ^(٤) المَرْقِص والمُطَرِّب .

ولم يزل على حاله إلى أن رحل ابن المرحّل إلى الآخرة ، وأقام تحت الأرض إلى أن تُنَشَّرَ العِظام النّاخرة .

* بغية الوعاة : ٢٧١/٢ .

(١) عمر بن محمد الإشبيلي (ت ٦٤٥ هـ) ، البغية : ٢٢٤/٢ .

(٢) علي بن جابر بن علي (ت ٦٤٦ هـ) ، البغية : ١٥٣/٢ .

(٣) في الأصل : « الغرب » ، وأثبتنا ما في (ط) ، وهو أنسب للسّجعة .

(٤) زيادة من (ط) ، (ق) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة تسع وتسعين وست مئة بسبته . وقيل : سنة سبع مئة بفاس - والله أعلم ..

ومولده بمالقة سنة أربع وست مئة ، فات عن خمس وتسعين سنة .

وكان قد نظم (التيسير) في قصيدة تزيد على ألفي بيت وروئها يلزم ، وما أحسن قوله :

يا أيها الشيخ الذي عُمُرُه قد زاد عَشْرًا بعد سَبْعِينَا
سَكِرَتْ من أكْوَيسِ خمر الصَّبَا فَحَدَّكَ الدَّهْرُ ثَمَانِينَا
وليتَه زادك من بعدهَا لأجل تخليطك عشرينَا

ووقع بينه وبين ابن أبي الرِّبيع^(١) في مسألة « كان ماذا » ؟ فنظم مالك بن المرحّل :

عَاب قومٌ « كان ماذا » ليت شعري لِمَ هَذَا
وَإِذَا عَابُوهُ جَهْلًا دون علم كان مَآذَا
وجَهَلَه ابن أبي الرِّبيع ، وصَنَّف في المنع من المسألة مصنّفًا .

وأنشدني العلامة شيخنا أثير الدّين أبو حيّان ، قال : أنشدنا مالك بن المرحّل لنفسه :

مَذْهَبِي تقبيلُ خَدِّ مَذْهَبِ سيّدي ماذا ترى في مَذْهَبِي
لا تخالف مالكَأ في رأيهِ فَبِهِ يأخذُ أهلُ المَغربِ
ومن شعر ابن المرحّل :

(١) عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله القرشي (ت ٦٨٨ هـ) ، البغية : ١٢٥/٢ .

يا راحلين ولي في قُرْبِهِمْ أَمَلٌ
 سِرْتُمْ فَكَانَ اشْتِيَاقِي بَعْدَكُمْ مَثَلًا
 قَدْ دُقْتُ وَصَلَكُمْ ذَهْرًا فَلَا وَأَيُّ
 وَقَدْ هَرِمْتُ أَسَى فِي حُبِّكُمْ وَجَوَى
 غَدَرْتُمْ أَوْ مَلَكْتُمْ يَا ذَوِي ثَقِي
 عَطْفًا عَلَيْنَا وَلَا تَبْغُوا بِنَا بَدَلًا
 قَالُوا: كَبُرْتَ وَلَمْ تَبْرَحْ كَذَا غَزَلًا
 لَمْ أُنْسَ يَوْمَ تَدَانُوا لِلرَّحِيلِ ضَحَى
 وَأَشْرَقَتْ بِهَوَادِيهِمْ هَوَادِجُهُمْ
 كَمْ عَفَرُوا بَيْنَ أَيْدِي الْعَيْسِ مِنْ بَطْلٍ
 دَارَتْ عَلَيْهِمْ كَوْوَسُ الْحَبِّ مَرْتَعَةً
 وَآخَرُونَ اشْتَفَوْا مِنْهُمْ بَضْمَهُمْ

لو أَغْنَتْ الْحَالَتَانِ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ^(١)
 مِنْ دُونَ السَّائِرَانِ الشَّعْرَ وَالْمَثَلَ
 مَا طَابَ لِي الْأَسْمَرَانِ الْحُمْرَ وَالْعَسَلَ
 وَشَبَّ مِنِّي اثْنَتَانِ الْحِرْصَ وَالْأَمَلَ
 وَيُسْتِ الْحُلَّتَانِ الْغَدْرَ وَالْمَلَلَ
 فَمَا اسْتَوَى التَّابِعَانِ الْعُطْفَ وَالْبَدَلَ
 أَوْدَى بِكَ الْفَاضِحَانِ الشَّيْبَ وَالْغَزَلَ
 وَقُرَّبَ الْمَرْكَبَانِ الطَّرْفَ وَالْجَمَلَ^(٢)
 وَلَا حَتَّ الزَّيْنَتَانِ الْحَلِيَّ وَالْحَلَلَ
 أَذَابَهُ الْمُضْنِيَانِ الْغَنَجَ وَالْكَحَلَ
 وَإِنَّا الْمُسْكِرَانِ الرَّاحَ وَالْمَقْبَلَ
 يَا حَبْدَا الشَّافِيَانِ الضَّمَّ وَالْقَبَلَ^(٣)

وقال قبل^(٤) وفاته وأمر أن يُكْتَبَ ذَلِكَ عَلَى قَبْرِهِ :

نَازِحًا مَالَهُ وَلِي	زُرْ غَرِيبًا بِمَغْرَبِ
بَيْنَ تُرْبٍ وَجَنَدِلْ	تَرْكُوهُ مُوسَدًا
بِلِسَانِ التَّذَلِّ	وَلْتَقِلْ عِنْدَ قَبْرِهِ
مَالِكَ بْنِ الْمَرْحَلِ	رَحِمَ اللَّهُ عِبْدَهُ

(١) (ط) : « لو أَخْنَت » .

(٢) فِي الْأَصْلَ : « يَوْمًا » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، (ط) .

(٣) فِي (ط) : « بَضِيَّتُهُمْ » .

(٤) فِي الْأَصْلَ : « وَقَبِلَ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ط) ، (ق) .

[اللقب والنسب ^(١)]

☆ ابن مالك : شمس الدين محمد بن محمد . وجمال الدين بن محمد بن محمد .

☆ المارستاني : محيي الدين محمد بن علي .

☆ المأمون : ناظر الكرك زكي الدين عبد الله بن عبد الكافي .

١٤٢٣ - مبارك بن نصير*

الفقيه الشافعي المعيد بالمشهد الجيوسي ^(٢) .

كان من أهل قوص ومن الصالحين المتواضعين يخدم الطلبة بنفسه ، ويعالج المرضى ، ويطيخ لهم ، ويقوم بالوظائف من الإعادة والإمامة والأذان ، من غاب قام عنه بوظيفته .

ولم يزل على حاله إلى أن توجه إلى الحج فغرق في سنة إحدى وسبع مئة .

١٤٢٤ - مبارك**

الأمير زين الدين المنصوري .

كان أمير خمسين فارساً بدمشق . ثم إنه نقل إلى طرابلس ، فعمي هناك ، وقطع خبزه . ثم إنه قدح عينيه فأبصر ، ولم يعد إليه خبزه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شعبان سنة سبع عشرة وسبع مئة .

(١) زيادة يقتضيها منهج الكتاب .

* الطالع السعيد : ٤٧٤ ، والدرر : ٢٧٥/٣ ، وفيها : « مبارك بن نصر » .

(٢) في الطالع : « الجيوشي » .

** الدرر : ٢٧٥/٣ .

اللقب والنسب

☆ المجير الحَيَّاط : أحمد بن حسن .

☆ ابن المحسني : شهاب الدين أحمد بن بيليك .

☆ ابن المحدث الكاتب : الشيخ بدرالدين حسن بن علي .

☆ ابن المحبّ : الشيخ محبّ الدين عبد الله بن أحمد .

☆ المحار : سراج الدين عمر بن مسعود .

١٤٢٥ - محفوظ*

ابن رشيد الدين العراقي الشاعر .

قدم إلى دمشق بعد السبع مئة ، وكان شاعراً مطيقاً ، متكلاً^(١) منطيقاً ، يفوص على للعاني البعيدة ، ويبرزها في الألفاظ السديده ، له مقاطيع راقية ، وأبيات ساقية النفوس إلى الطرب وشاقت ، فكان شعره محفوظاً محفوظاً ، وشعر من سواه ملفوظاً . إلا أنه كان المهجو عليه غالباً ، ولسانه للأعراض ثالبا ، ومدحه للأموال سالبا .

عاد إلى البلاد وانقطع خبره ، وكان الموت جبره لما زاد دبره .

وكان لما دخل الشام ووصل حماة اتصل بابن قرناص [وطلب إيصاله إلى الملك المظفر صاحب حماة ، وكان ابن قرناص]^(٢) كاتب سره ، فأطال الشرح عليه ، فلما

* الدرر : ٢٧٧/٢ .

(١) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « ومتكلما » . في الأصل : « متكلاً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٢) زيادة من (ط) ، (خ) ، وابن قرناص هو علي بن إبراهيم ، سلفت ترجمته في موضعها .

يئس منه الرّشيد عدل إلى كشتغدي^(١) الأستاذ دار وأنشده :

ولقد ركبتُ هجينَ عَزْمٍ ساقه مَنِي الرّجاءِ إلى الأغرّ الأبلج
ملكٌ توَعَّرَه جَنودٌ حَوْلَهُ كالرّوضِ باتَ مُسَيِّجاً بالعُوسجِ

فأنشدها كشتغدي للمظفر ، فاستحضره^(٢) وابن قرناص حاضر ، فاستنشده البيتَين
فأنشدها ، وقال في الثاني :

ملك تزان به جنودٌ حوله كالرّوضِ باتَ مُسَيِّجاً بينفسج^(٣)

فقال له المظفر : ما هكذا قلت ، فقال : كان ذاك قبل أن أحضر لديك ، فأما
الآن ؛ فهو كما قلت ، فأسنى عطاءه .

ثم إن الرّشيد وصل إلى حصن الأكراد ، وعمل قصيدة في نائبها وأعطاهَا كاتبه
ابن الذّهي ، ليوصلها إليه ، فعاد إليه بعد مدّة وزعم أنها ضاعت من حِزْره فقال :

لا الذّهيُّ اشترى المديح ولا أَعْدَبَهُ مِنْهَلًا وَعَدَبَهُ
أهديتُ سرّاً مدّحي إليه فما ذَهَبَهُ بل عليّ أذهبَه
ومن شعره أيضاً :

ركبَ الله في فتـــــــــاءِ بني فعد لئلا معنى النيران والجنّات^(٤)
أوجّهُ القومَ بالمكاره تُحْفَى وفروج النّساء بالشّهوات^(٥)

(١) سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) (خ) : « ما سَخُضِر » .

(٣) في الدرر : « يزين » .

(٤) الفتاء : الشباب .

(٥) في الدرر : « في المكارم حفت » .

١٤٢٦ - محمد بن إبراهيم *

ابن علي فتح الدين القوصي ، ابن الفهاد .

كان فقيهاً حسناً مشكوراً السيرة ، اشتغل بفقهِ الشافعي على أبيه وغيره ، وتولّى الحكم بسمهود ، ثمّ إنّه استوطن القاهرة ، وجلس بجانوت الشهود ، يعقد الأنكحة ، وعُرف بذلك ، ومضى على جميل .

توفي - رحمه الله تعالى - سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

١٤٢٧ - محمد بن إبراهيم بن محمد **

ابن [أبي] نصر الشيخ الإمام العلامة حجّة العرب بهاء الدين أبو عبد الله بن النّحاس النّحويّ شيخ العربيّة بالديار المصريّة .

سمع من ابن اللّقي ، والموفق بن يعيش النّحوي ، وابن رواحة^(١) ، وابن خليل ، ووالده . قرأ القرآن على أبي عبد الله الفاسي^(٢) . وأخذ العربيّة عن الشيخ جمال الدين محمد بن عمرو^(٣) . ودخل مصر لما خربت حلب ، وقرأ القرآن على الكمال الضّير ، وأخذ عن بقايا شيوخها ، ثمّ جلس للإفادة .

كان حسن الأخلاق ، منبسطاً على الإطلاق ، متّسع النفس في حالتي الغنى والإملاق ، ذكيّ الفطره ، زكيّ الخالطة والعشره ، مطّرح التّكلف مع أصحابه ، عديم

* الوافي : ٦/٢ ، والطالع السعيد : ٤٨٠ ، والدرر : ٢٩١/٣ .

** الوافي : ١٠/٢ ، وترجمته فيه منقولة من بعض أصول الأعيان كما ذكر المحقق ثمة ، وتالي وفيات الأعيان : ١٤٣ ، وفوات الوفيات : ٢٩٤/٣ ، وغاية النهاية : ٤٦/٢ ، والبغية : ١٣/١ ، والشذرات : ٤٤٢/٥ ، وما بين حاصرتين زيادة من مصادر ترجمته .

(١) (ط) والوافي : « وأبي القاسم بن رواحة » .

(٢) في الأصل : « القاضي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ط) ، والوافي والفوات .

(٣) محمد بن محمد بن أبي علي (ت ٦٤٩ هـ) ، بغية الوعاة : ٢٣١/١ .

التخلف عن أشكاله وأضرابه ، ومع ذلك فلم يُرزق أحد سعادته ^(١) في صدور الصّدور ، ولا فرح أحد بسيادته التي أُرَبّت على تمام البدور .

وكان معروفاً بحلّ المشكلات ، موصوفاً بإيضاح المعضلات ، كثير ^(٢) التلاوة والأذكار ، كثير الصّلاة في نوافل الأسحار ، موثقاً بديانته ، مقطوعاً بأمانته .

وأما علمه بالعربيّة فإليه الرّحلة من الأقطار ، ومن فوائده تدرك الأماني ، وتُنال الأوطار ، قد أقرن النّحو وتصريفه ، وعِلِمَ حدّ ذلك ورسمه وتغريفه ، ما أظنّ ابن يعيش مات إلّا من حسّده ، ولا ابن عصفور لأجله طار ذكره إلّا في بلّده ، ولا المُرسبي ^(٣) رست له معه قواعد ، ولا لأبي البقاء العكبري ^(٤) معه ذكرّ خالد ، بذهنٍ نَحَى النّحاس القديم ^(٥) عن مكانه ، وجعل ابن برّي برياً من فصاحة لسانه ، وتحقيق ما هتدى ابن جنّي إلى إظهار خباياه ، ولا نُسبت إلى السّخاوي ^(٦) هباته ولا عطاياه .

تخرّج به الأفاضل ، وتخرّج منه كلّ مناظرٍ ومناضل ، وانتفع النّاس به وبتعليه ، وصاروا فضلاء من توقيفه ^(٧) وتفهيهِ ، وكتب خطأ أزرى بالوشي إذا حُبِكَ ، والذهب إذا سُبِكَ .

ولم يزل على حاله إلى أن بلغ من الحياة أمدّها ، وأهدى الزّمان إلى عينيه ^(٨) بفقده رَمَدّها .

(١) في الوافي : « وجاهته » .

(٢) في الأصل : « كبير » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي .

(٣) لعلّه يشير إلى ابن سيدة صاحب الحكم والخصص ، وهو من مُرسّية .

(٤) في الأصل « العسكري » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي .

(٥) (ط) : « القدير » ، والنحاس القديم هو أبو جعفر أحمد بن إسماعيل (ت ٣٢٨) ، بغية الوعاة : ٣٦٢/١ .

(٦) علم الدين علي بن محمد بن عبد الصمد (ت ٦٤٣) ، بغية الوعاة : ١٩٢/٢ .

(٧) (ط) : « توقيعه » .

(٨) في (ق) والوافي : « عينه » .

وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم الثلاثاء سابع جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وست مئة بالقاهرة .

ومولده بحلب في سلخ جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وست مئة^(١) .

وكان من العلماء الأذكياء الشعراء ، له خبرة بالمنطق ، وخط من إقليدس ، وكان على ما قيل يحفظ ثلث (صحاح) الجوهرى وثلث (سيبويه) ، وكان مطّرحاً صغير العامة ، يمشي في الليل بين القصرين بقميص وطاقيّة فقط ، وربّما ضجر من الاشتغال^(٢) فأخذ الطلبة ، ومشى بهم بين القصرين وألقى لهم الدروس .

وكان متين الديانة ، وله أبهة وجلالة في صدور الناس ، وكان بعض القضاة إذا انفرد بشهادة حكمه فيها وثوقاً بديانته ، واقتنى كتباً نفيسة .

أخبرني الشيخ نجم الدين الصفدي ، وكان ممن قرأ عليه ، قال : قال الشيخ بهاء الدين : ما يزال عندي كتب بألف دينار ، وأحضّر سوق الكتب دائماً ولا بُدّ أن يتجدّد لي عِلْمٌ باسم كتاب ما سمعت به انتهى .

ولم يتزوج قط ، وكانت له أوراد من العبادة . وكان يسعى في حوائج الناس ويقضيها .

وأخبرني القاضي الرئيس عماد الدين بن القيسراني أنّه لم يكن يأكل العنب ، قال لأنّه كان يحبّه ، فأثر أن يكون نصيبه في الجنة .

وأخبرني الحافظ بن سيّد الناس ، قال : زكّي بعض الفقهاء^(٣) تزكية عند بعض القضاة ما زكّاها أحد قط ، لأنّه أمسك بيد الذي زكّاه ، وقال للقاضي : يامولاي^(٤)

(١) في الأصل و (ط) : « وست مئة بالقاهرة » ، سهو .

(٢) في (ق) والوافي : « الإشغال » .

(٣) في الأصل : « القضاة » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والوافي .

(٤) (ق) ، (ط) : « يامولانا » .

النَّاس ما يقولون : ما يُؤمَّن على الذَّهَب والفضَّة إلَّا حِمَار ، قال : نعم ، وهذا حمار ، وانصرف فحكم القاضي بعدالة ذلك الفقيه .

وأخبرني أيضاً أنَّ الأمير علم الدِّين الشَّجاعي لما فرغت المدرسة المنصورية بين القصرين في أيَّام السَّلتان الملك المنصور قلاوون طلبه الأمير المذكور ، فتوجَّه إليه وعمامته صغيرة بكراثة ، على مصطلح أهل حلب ، فلما جلس عنده ، ولم يكن رآه ، أخذ الأمير يتحدَّث بالتركي مع بعض مماليكه ، فقال : يا أمير ، المملوك يعرف بالتركي ، فأعجب الأمير هذه الحركة منه ، وقال له : السَّلتان قد فوَّض إليك تدريس التفسير بالقبة المنصورية ، ونهاز غدي يحضر السَّلتان والأمراء والقضاة والنَّاس ، فغداً تحضر وتكبِّر عمامتك هذه قليلاً ، فانصرف ، ولما كان من الغد رآه الأمير علم الدِّين من بعيد ، وهو جائز إلى المدرسة بتلك العمامة ، فجهَّز إليه يقول له : ماقلت لك تكبِّر عمامتك قليلاً ؟ ، فقال : يا مولانا ، تعملوني مسخرة ، وأراد أن يرجع ، فقال الأمير علم الدِّين : دَعُوهُ يدخل ، فلما جلس مع النَّاس ؛ نظر الملك المنصور إلى الَّذِينَ هناك ، فقال : هذا ما هو الشَّيخ بهاء الدِّين بن النَّحَّاس ؟ ، قالوا : نعم ، فقال : هذا أعرفه ، لما كنت ساكن^(١) في المدينة والنَّاس يقرؤون عليه ، وشكر الشَّجاعي على إحضاره ، قال الشَّيخ فتح الدِّين : فلم يَعْرِف السَّلتان غيره ، ولا أثْنى إلَّا عليه .

وأخبرني عنه غير واحد أنَّه لم يزل عنده في بيته من أصحابه ومن الطَّلبة مَنْ يأكل على مائدته لا يدَّخر شيئاً ، ولا يخبئه عنهم ، وهُنَا أناس يلعبون الشَّطرنج ، وهُنَا أناس يطالعون ، وكلّ واحد في شأنه لا ينكر على أحد شيئاً . ولم تزل أخلاقه مرتاضة حتَّى يكون وقت الاشتغال يتنكَّر^(٢) ، وكان لا يتكلَّم في حلِّ النَّحو للطَّلبة إلَّا بلغة العوام لا يراعي الإعراب .

(١) كذا في الأصول .

(٢) في الأصل و (ط) : « يتبدَّل » ، وأثبتنا ما في (ق) والوافي .

وأخبرني الإمام أثير الدين ، وعليه قرأ بالديار المصرية ، قال : كان الشيخ بهاء الدين والشيخ محيي الدين محمد بن عبد العزيز المازوني للقيم^(١) بالإسكندرية شَيْخِي الدِّيارِ المصريَّة ، ولم ألقَ أحداً أكثر سماعاً منه لكتب الأدب ، وانفرد بسماع (صحاح) الجوهرى .

وكان كثير العبادة والمروءة والتَّرحُّم على مَنْ يعرفه مِنْ أصحابه ، لا يكاد يأكل وحده^(٢) ، ينهى عن الخوض في العقائد ، وله تردد^(٣) إلى من ينتهي إلى أهل الخير . ولي التدريس^(٤) بجامع ابن طولون وبالقبة المنصورية ، وله تصدير في الجامع الأقر ، وتصادير بمصر ، ولم يصنّف شيئاً إلا ما وجدناه من إملائه على الأمير سنان الدين الرُّومى شرحاً لكتاب (المقرَّب) لابن عصفور ، وذلك من أول الكتاب إلى باب الوقف^(٥) أو نحوه .

قال : وكنت وإياه نمشي بين القُصْرَيْن ، فعَبَّرَ علينا صبيٌّ يُدعى بجمال وكان مصارعاً ، فقال الشيخ بهاء الدين : لينظم كلُّ منا في هذا المصارع ، ونظم الشيخ بهاء الدين :

مُصارِعٌ تصرع الآسادَ شَرَّتْهُ تيهاً فكلُّ مليح دُونَهُ هَمَجٌ^(٦)
لَمَّا غدا راجحاً في الحُسن قُلْتُ لَهُمْ عَنْ حُسْنِهِ حَدَّثُوا عَنْهُ ولا حرج

قال أثير الدين : ونظمت أنا :

(١) في الأصل : « القيم » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والوافي ، والفوات .

(٢) في (ط) ، (ق) والوافي : « يأكل شيئاً وحده » .

(٣) في الفوات : « تودد » .

(٤) في الوافي : « التفسير » ، وعبارة البغية : « ولي تدريس التفسير » .

(٥) في الأصل : « الواقف » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) والوافي .

(٦) التثمير : الجدة ، وفي الوافي والفوات : « سمرته » .

سباني جمال من مليح مُصارِعِ عليه دليلٌ للملاحَةِ واضِحٌ
لئن عَزَّ مِنْهُ المِثْلُ فالكلُّ دَوْنَهُ وإن خَفَّ مِنْهُ الخَصْرُ فالرَّدْفُ راجِحُ

قال : وسمع الشيخ شهاب الدين العزازي نظمنا^(١) ، فنظم فيه ، وأنشدنيه :

هل حَكَمَ يُنصِفُني في هوى مُصارِعٍ يَصْرَعُ أُسْدَ الشَّرى^(٢)
مُذْ قَرَّ عَنِّي الصَّبْرُ في حَبِّهِ حكي عليه مَدْمَعِي ما جرى^(٣)
أباح قتلي في الهوى عامداً وقال : كم لي عاشقٍ في الورى^(٤)
رَمِيتُـهُ في أَسْرِ حُبِّي ومِنْ أَجفان عَينيه أَخَذْتُ الكرى

قلتُ : أمّا قول الشيخ بهاء الدين - رحمه الله تعالى - فإنّه منحطٌ وما أتى فيه من مصطلح القوم إلّا بلفظة « الرَّاجِح » لا غير . وأمّا قول شيخنا أثير الدين فإنّه غايةٌ لأنّه أتى فيه بلفظ « المثل » و « الدّون » و « الرَّاجِح » . وأمّا قول الشيخ شهاب الدين العزازي فبينَ بين ، لم ينحطَ ولم يرتفع ، لأنّه أتى فيه بلفظة « حكي عليه » و « الإباحة » و « الرمي » و « أخذ الكرى » في أربعة أبيات وفيها عيبٌ وهو التّضمن وهو تعلّق الثالث بالرابع ، وقوله « الكرى » خطأً فيه ، لأن الكرى بمعنى النّوم بفتح الكاف ، والكرى بمعنى الأجرة بكسر الكاف فتنافيا وقد أشبعت القول في هذا في كتابي (فضّ الحتام عن التّورية والاستخدام) .

وأنشدني شيخنا العلامة أثير الدين قال : أنشدني الشيخ بهاء الدين لنفسه يخاطب الشيخ رضي الدين الشّاطبيّ ، وقد كلّفه أن يشتري له قطراً :

أيُّها الأوحدُ الرّضِيُّ الَّذي طابَ لَ عِلاءٍ وطابَ في النّاسِ نَشْرا
أنتَ بحرٌ ، لا غرَوَ إنْ نحنَ وافِدَ ناك راجين مِنْ نَداك القطرا

(١) في الوافي : « نظمينا » .

(٢) في الفوات : « من هوى » .

(٣) في (ق) ، (ط) ، والوافي ، والفوات : « فرمّني » .

(٤) (ط) : « الورى » ، و (ط) والوافي : « وقال لي كم ... » ، وفي الفوات : « وقال كم من » .

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه يرثي الشيخ أحمد المصري النحوي :

عَزَاؤُكَ زَيْنَ الدِّينِ فِي الْفَاضِلِ الَّذِي بَكَتُهُ بَنُو الْآدَابِ مِثْنِي وَمَوْحِدًا
فَهُمْ فَقَدُوا مِنْهُ الْخَلِيلَ بْنَ أَحْمَدٍ وَأَنْتَ فَفَارَقْتَ الْخَلِيلَ وَأَحْمَدًا

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه مَّا يَكْتُبُ عَلَى مُنْدِيلٍ :

ضَاعَ مِنِّي خَصْرُ الْحَبِيبِ نَحْوَلًا فَلِهَذَا أَضْحِي عَلَيْهِ أَدُورُ
لَطَفْتُ خِرْقَتِي وَدَقْتُ فَجَلْتُ عَنْ نَظِيرِ لَمَّا حَكَّتْهَا الْخُصُورُ^(١)
أَكْتَمَ السَّرَّ عَنْ رَقِيبٍ لِهَذَا بِي يُخْفِي دُمُوعَهُ الْمَهْجُورُ

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه :

إِنِّي تَرَكْتُ لَذَا الْوَرَى دَنِيَاهُمْ وَظَلَلْتُ أَنْتَظِرَ الْمَاتَ وَأَرْقُبُ
وَقَطَعْتُ فِي الدُّنْيَا الْعِلَاقَ لَيْسَ لِي وَلَدٌ يَمُوتُ وَلَا عَقَارٌ يَجْرُبُ^(٢)

وأنشدني شيخنا نجم الدين الصفدي من لفظه قال : أنشدنا الشيخ بهاء الدين لنفسه :

قُلْتُ لَمَّا شَرَطُوهُ وَجَرَى دَمَةُ الْقَانِي عَلَى الْخَدِّ الْيَقَقِ^(٣)
لَيْسَ بِدَعَا مَا أَتَوْا فِي فِعْلِهِ سَتَرُوا الْبَدْرَ بِحُمْرِ الشَّفَقِ^(٤)

قُلْتُ : ذَكَرْتُ أَنَا هُنَا مَا نَظَّمْتَهُ فِي هَذَا :

قُلْتُ إِذْ شَرَطُوا الْحَبِيبَ وَقَدْ ضَا قِ عَلَى الْغَرَامِ فِي كُلِّ مَسْأَلِكُ
قَدْ مَلَكَتِ الْفُؤَادَ مِنْ غَيْرِ شَرَطٍ قَالَ : لَكِنِّي مَعَ الشَّرْطِ أُمْلِكُ

(١) في الفوات : « كما حكته » .

(٢) في الفوات : « علائق » .

(٣) اليقق : الناصع البياض .

(٤) رواية العجز في الوافي والفوات :

وقلتُ أنا فيه أيضاً :

تشرط من أحب فذبْتُ خوفاً وقال وقد رأى جزعي عليه
عقيق دم جرى فأصاب خدي وشبهه الشيء مُجَذَّبٌ إليه
وأخبرني شيخنا الذهبي قال : قرأتُ على الشيخ بهاء الدين - رحمه الله -
جزأين ^(١) .

قلت : وغالب روايات الشيخ أثر الدين كتب الأدب عنه - أعني الشيخ بهاء
الدين رحمه الله تعالى ..

١٤٢٨ - محمد بن إبراهيم بن علي *

ابن أحمد بن فضل الشيخ الموفق ابن الشيخ القدوة تقي الدين .

كان يصوم يوماً ويفطر يوماً . وكان كثير التلاوة ، قليل الاجتماع بالناس ،
لا يُعرَف له صاحب ولا عشير ، وسمع كثيراً من الحديث على المشايخ الذين أدركهم
بالصالحية .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في خامس شهر المحرم سنة سبع مئة ، ودُفِنَ عند
والده .

١٤٢٩ - محمد بن إبراهيم بن يحيى **

ابن علي الأنصاري المروي الأصل ، المصري المولد ^(٢) ، جمال الدين الكتبي المعروف
بالوطواط .

(١) في الوافي : « جزء شيء » .

* لم تقف على ترجمة له .

** الوافي : ١٦/٢ ، والدرر : ٢٩٨/٣ .

(٢) في الأصل : « الأصل » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) والوافي .

كان من كبار الأدباء ، وأعيان الألباء ، ألف وجمع ، وصنّف فأبرق ولمع . وكان نثره جيداً ، وطبعه عن النظم متحيداً ، لم يقدر ينظم البيت الواحد ، ولو لَحَدَه اللّاحِد ، وينثر جيّداً ما شاء ، ويَتقن في هذا الفن الإنشاء .

وكانت له معرفة بالكتب وقيمتها^(١) ، ودُرِيَّة بوجودها وعَدَمِها ، وله فَهْمٌ وذوق ومعرفة ، وفضلٌ يد له في مجاميعه^(٢) على ما يريد أن يورده أو يصرفه ، تدلّ تواليه على ذلك ، وتشهد له بحسن السّلوک في تلك المسالك ، وكان يرتزق بالوراقه ، ويجمع في أثنائها مراقه .

ولم يزل على ذلك إلى أن بلغت حياته غايتها ، وتناولت وفاته رايتها .

وتوفّي - رحمه الله تعالى -^(٣) وسبع مئة .

ومولده بمصر سنة اثنتين وثلاثين وست مئة .

أخبرني شيخنا العلامة أثير الدّين ، قال : كان له معرفة بالكتب وقيمتها^(٤) ، وله نثرٌ حسن ، ومجاميعٌ أدبيّة . وكان بينه وبين ابن الخوّيّ^(٥) قاضي القضاة مودة ، لما كان بالحلّة ، فلمّا تولّى قضاء الديار المصريّة ، توهم جمال الدّين أنّه يحسن إليه ، ويبرّه ، وسأله فلم يجبه إلى شيء من مقصوده ، فاستفتى عليه فضلاء الديار المصريّة ، فكتبوا له على فتياه بأجوبة مُخْتَلِفَة ، وصيّر ذلك كتاباً ، وقد راحت به نسخة إلى بلاد

(١) في (ق) ، (ط) : « وقيها » .

(٢) (ط) : « مجامعه » .

(٣) كذا بياض في الأصل و (ق) و (ط) والوافي . وفي الدرر : « في العشر الأخير من رمضان سنة ٧١٨ » .

(٤) في (ق) ، (ط) : « وقيها » .

(٥) في الأصل : « الخوّي » ، وأثبتنا ما في (ط) والوافي ، وهو محمّد بن أحمد بن الخليل (ت ٦٩٣ هـ) .
العبر : ٣٧٩/٥ .

المغرب . وكان قد سألني على [أن]^(١) أجيب على ذلك ، فامتنعت لأنّ الإجابة اقتضت ذمّ المُسْتَفْتَى عليه ، وكذلك أجاب جميع من كتب عليها . انتهى .

قلت : أمّا هذه الفتيا فقد رأيته ، ونقلتها بخطّي ، وهي في الجزء الثاني عشر من (التذكرة) التي لي ، وقد سمّاها (فتوى الفتوة ومراة المروّة) . وكتب له الشيخ بهاء الدّين بن النّحاس وناصر الدّين حسن بن النّقيب^(٢) ، وعجي الدّين بن عبد^(٣) الظّاهر كتب له جوابين أحدهما له والآخر عليه ، وشرف الدّين بن فضل الله^(٤) والسّراج الورّاق ، وناصر الدّين شافع ، وشرف الدّين القدسي ، وشرف الدّين بن قاضي إخم^(٥) ، ومكين الدّين الجزري كتب له جوابين ، والنّصير الحمّامي وكال الدّين بن القليوبي ، وعلم الدّين بن بنت العراقي ، وشمس الدّين الخطيب الجزري ، وعلم الدّين القمّني ، وبدر الدّين الحلبي الموقّع ، وعماد الدّين بن العفيف الكاتب^(٦) ، وشمس الدّين بن مهنا ، بدر الدّين المنبجي^(٧) ، وأمين الدّين بن الفارغ ، وشمس الدّين بن دانيال ، والفقيه شعيب ، وناصر الدّين بن الإسكاف ، ونور الدّين المكي ، وآخر لم يذكر اسمه لأنّه عاهده على ذلك .

ومن تصانيف جمال الدّين المذكور كتاب (مناهج الفكر ، ومناهج العبر)^(٨) أربع

(١) زيادة من (ق) ، (ط) والوافي .

(٢) الحسن بن شاور بن طرخان (ت ٦٨٧ هـ) ، والوافي : ٤٤/١٢ .

(٣) عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان ، سلفت الإشارة إليه .

(٤) عبد الوهاب بن فضل الله . سلفت الإشارة إليه .

(٥) لعنه شرف الدّين الإخميمي ، محمّد بن محمّد بن الحسن (ت ٦٨٤) ، العبر : ٣٥٠/٥ . وفي (ط)

والوافي : « شهاب الدّين بن قاضي ... » .

(٦) محمّد بن محمّد بن الحسن (ت ٧٣٦ هـ) ، الوافي : ٢٢٨/١ .

(٧) نصر بن سليمان ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٨) (ق) ، (ط) : « مباحث الفكرة » ، وكلتا التسميتين وردت في الكشف انظر : ١٥٧٩/٢ ، ١٨٤٦ ،

وموضوع الكتاب : الكيمياء والطبيعة والحيوانات والنبات . انظر : الأعلام : ٢٩٧/٥ .

مجلّدات ، تعب عليه ، وجوده ، وما قصر فيه ، وكتاب (الدرر والغرر والدّرر والعرر)^(١) .

وملكت بخطّه تاريخ (الكامل) لابن الأثير ، قد ناقش المصنّف في حواشيه ، وغلّطه ، وواخذّه .

وفي جمال الدّين هذا يقول شمس الدّين بن دانيال وقد حصل للوطواط زمّد :

ولم أقطع الوطواط بخلًا بكحله ولا أنا من يُعْيِيهِ يوماً ترّدّد
ولكنّه ينبو عن الشّمس طرفه وكيف به لي قُدرة وهو أرْقَد
وأُشدني إجازة له ناصر الدّين بن شافع :

كم على درهم يلوح حراماً يالئيم الطّباع سراً تواطى
دائماً في الظّلام تمشي مع النّاس ، وهذي عوائد الوطواط
وأُشدني له أيضاً :

قالوا: ترى الوطواط في شدّة من تعب الكسد وفي وئيل
فقلت: هذا دأبه دائماً يسعى من اللّيل إلى اللّيل

وكان المسكين^(٢) جمال الدّين لا يزال الواقع بينه وبين القاضي محي الدّين بن عبد الظاهر^(٣) ، فكتب تقليداً على سبيل المداعبة لشخص يعرف بابن غراب يعرض

(١) اسم الكتاب كما نصّ عليه المؤلّف بخطّه : « غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة » .
والكتاب مطبوع بهذا الاسم .

انظر : الأعلام : ٢٩٧/٥ ، وأشار إليه في الكشف ٧٤٨/١ بلفظ الدرر والغرر ، وذكر أنه في شعراء الأندلس .

(٢) في (ق) ، (ط) : « وكان هذا المسكين » .

(٣) عبارة الوافي : « لا يزال القاضي محي الدّين بن عبد الظاهر يكرهه ويفض منه » .

فيه بالوطواط^(١) ، وهو : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾^(٢) إِلَى كُلِّ ذِي جَنَاحٍ ، وَكُلِّ اجْتِرَاءٍ مِنَ الطَّيْرِ وَاجْتِرَاحٍ ، وَإِلَى كُلِّ ذِي صَيْالٍ مِنْهُمْ ، وَكُلِّ ذِي صِيَاخٍ ، وَإِلَى كُلِّ ذِي عَفَافٍ مِنْهُمْ ، وَكُلِّ ذِي جِيَاخٍ .

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّهُ لَمَّا عَلَّمَنَا مِنَ اللَّهِ كَلَامَ الطَّيْرِ وَفَهَمَنَاهُ مِنْ مَنْطِقِهِ ، وَالزَّمَنَاهُ مِنْ عَهْدِهِ وَمَوَاقِعِهِ ، فَقَالَ : ﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾^(٣) تَرَى أَنَّ مَنْ بَرَزَ لِعَجْزٍ مِنْ أُولَى الْمُخَالِبِ وَذَوِي الْمَنَاسِرِ ، صَارَ عَلَى ذِي مُسَالِهِ ، وَإِنْ غَدَا بَعْضُهَا لِبَعْضٍ طَعْمًا ، وَلَا يَتَجَاوَزُ أَحَدٌ مِنْهَا مَقَامَهُ الْمَحْمُودِ فِي الْمُكَارَمَةِ ، وَإِنْ اتَّفَقَتِ الْأَجْنَاسُ وَاخْتَلَفَتِ الْأَسْمَاءُ لِلْوَضِيعِ وَالْأَسْمَى ، وَأَنْ يَشْكُرَ لِلْوَرَقِ حُسْنَ سَجْعِهَا وَعَفَافَ طَبْعِهَا ، مُسَاعِدَتَهَا لِلخَلْقِ بِغَنَائِهَا فِي دَوْحِهَا ، وَلِلْحَزِينِ بِتَرْجِيعِ نَذْبِهَا وَنُوحِهَا ، وَلَأَنَّهَا مُتَجَمِّلَةٌ بِتَخْضِيبِ الْكُفِّ وَتَطْوِيقِ الْأَعْنَاقِ ، وَمُتَحَمِّلَةٌ^(٤) مِنَ الْقُدُودِ إِلَى الْغُصُونِ رَسَائِلُ^(٥) الْعِشَاقِ بِالْأَشْوَاقِ ، حَتَّى وَصِمَتْ بِأَنَّهَا عَلَى تَعَانُقِ الْقَضْبِ رُقْبًا ، وَصِمَتْ حَتَّى أَصْبَحَتْ عَلَى مَنَابِرِ الْأَشْجَارِ خُطْبًا . وَيُؤَثِّرُ أَنْ يَحْمِلَ لِدَوَاتِ الْأَصْطِيَادِ مِنَ الْجَوَارِحِ تَحْصِيلَ مَا تَقْتَاتُ بِهِ النَّفُوسُ ، وَتَقْتَارُ مِنْهُ الْجَوَارِحُ لِأَنَّهَا شَرَفَتْ بِنَفُوسِهَا حَتَّى^(٦) عُلَتْ عَلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ ، وَقِيلَ لِابْنِهَا : اللَّهُ أَبُوكَ ، وَأَنْ يَصِفَ بِحَسَنِ اعْتِزَالِهِ فِي جَيْئَتِهِ وَذَهَابِهِ ، وَأَنْ يَنْثِي عَلَى حَسَنِ خُطْبَتِهِ وَجَمِيلِ خُطَابِهِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ قُطَا لَوْ تَرَكْتُ لَهْدًا وَنَامَ^(٧) ، وَإِلَى بِلَابِلِهِ الْمُلُوكِ مِنْ

(١) عبارة الوافي : « والتقليد السلبي الذي أنشأه بالولاية لابن غراب على أجناس الطير » .

(٢) النمل ٣٠/٢٧ .

(٣) الإسراء : ١٣/١٧ .

(٤) في الأصل : « متجملة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٥) في الأصل : « إلى رسائل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٦) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٧) يشير إلى قول حذام :

أَلَا يَا قَوْمَنَا ارْتَحِلُوا وَسِيرُوا فَلَوْ تَرَكْتُ الْقُطَا لَيْلًا لَنَامَا

انظر : مجمع الأمثال للميداني ١٧٤/٢ ، وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادى ٣٣٠/٤ .

الحمام ، وإلى غرائق تهرب الثعابين من أصواتها ، وإلى سباطر^(١) ترتج الأرض بأكلها لحياتها ، وإلى لغالغ^(٢) تنطق ، وكأننا ألبست ملابس أهل الجنان من السندس والاستبرق ، وإلى ما ينجلي من طواويس كأننا استعار منها قوس قزح أثواباً دبجتها الشمس بشعاعها ، وأهلّتها الأهلّة لإيداع إبداعها ، وإلى ديكة مباركه ، يؤذن آذانها بمرور ملك من الملائكة ، وإلى نسر عظيم التأمر ، وإلى نعام كاد يطير .

وإنّا فكرنا في بعض ذوات الأجنحة خبيث حقير السمات ، أسود الوجه والقفا والصفات ، لا يألف إلا قبور الأموات ، ولا يسعى إلا في الظلم والظلمات ، ذو أذن نائثة^(٣) وما هذه الصفة من صفات الطيور ، وإنه يولد والطيّر لا يعرف منها إلا أنها تحضن بيضها في أعشاشها والوكور ، وإنه لا يقع في الشباك ولا في الفخوخ ، وإنه يمني كما يمني الرجل وليس من الأنس ، وإن كان شيطاناً فإنه شيطان ممسوخ ، ولا يسمع منه هديل ولا هدير ، ولا يصير مشروراً حيث يصير ، يغدو على الروضات متلصصاً ، ويغدو للثمار منقّصاً ، مشؤوم الطلعه ، مذموم النجعه ، مرجوم البقعه سيئ الجوار قبيح الآثار ، مؤذن بخراب الديار ، أسود من قار ، وأفسد من فار ، لا يحسن به الانبساط ، ولا يمكن معه الاحتياط ، أحسن مخلوقات الله تعالى ، وهو المسمى بالوطواط . كم ضريّ وكم ضرّ ، كم ساء وما سرّ ، وما أئبرأ قطّ ولا أبرّ ، ولا هو حيوان من بحر يُنتفع به ولا من برّ .

وهذا كتابنا إلى كلّ ذي بسط وقبض ، وإلى كلّ ذي انتهاز وانتهاش وعض ، وكلّ ربّ مقبرة مظلمه ، وكلّ ذي موحشة مُعتمّه ، وكلّ من إليه توغل الأعماق المُقتمّه ، يتضمّن إهلاك هذا الحيوان الخبيث وتطهير الأمكنة من رجسه ، وسدّ المنافس

(١) في الأصل (و) (ق) (ط) : « شباطر » ، ولم تقف عليها ، والسباطر : جمع سبطر ، وهو طائر طويل العنق .

(٢) جمع لغلغ ، وهو طائر ، غير القلق .

(٣) في الأصل : « نائية » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

على الكريهين من نفسه ونفسه، وأن لا تُرعى له حرمة، ولا يُزَقَّب فيه إلّا ولا ذمّه^(١)،
بحكم أنه ليس من الطير ولا من الوحش، ولا ذوقوّة ولا بطش، ولا فيما يَنْتَفِع به
صائل ولا صائد ولا أكل، ولا هو مُعِينُ ذِي فَرجٍ ولا شاكل، وإنّ ضرره للأحياء
والأموات فاش. ولأنّه إذا دُعِيَ بأحبّ الأسماء إليه قيل له: خَفّاش، لا يكرع في نهر
النهار، ولا يحوم مع ذوات الجناح في مطّار، وأكْرَهُ شيء إليه الأنواء والأنوار، ولا
يوصف بأنّه الشّهم، ولا [هو]^(٢) ذو ريش يَنْتَفِع به بإراشة السّهم، لا تُحدّ له
الصفائح، ولا يُعدّ في جملة الذّبائح، ولا ريح له في الشّواء، ولا ريح له في الشّرائح.
ورسّمنا^(٣) أن يفوّض أمره وحسبته الطّير للإمام شرف الدّين بن غراب، فليتق الله
في كلّ ذات طوقٍ وغير طوق، وليراقبه مراقبةً أبيه إذا قنع من إيمانه بما اقتنع^(٤) به ﷺ
من السّوداء بأنّ قال لها: أين الله؟، فقالت: في السّماء. وأبوه، فلا يزال يقول: الله
فوق، وليحتسب^(٥) على هذا الخبيث المشوّ، وهذا الخسيس المنوّ، فقد فوّضنا^(٦) ذلك
إليه إذ هو كأبيه مُنْطَقٌ مَقوّه، وليترك في أمره النّعيق والنّعيب، وليعلن بلغته إعلاناً
فصيحاً يستوي فيه البعيد والقريب، ويتجاوز فيه في ذلك كلّ^(٧) سمي بهذا الاسم
المشوّوم، إذ لكلّ امرئ^(٨) من نفعته نصيب، وليقرأ هذا المرسوم على رؤوس الأشهاد
وعند الآبار المعطّلة والبراني والخراب واليباب، ويزيل^(٩) من التّرب المظلمة والقباب
عند كلّ باب، والحاتم الشّريف السّليمانى أعلاه حجةً بمقتضاه إن شاء الله تعالى.

(١) اقتبس من قوله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةَ﴾، التوبة: ٨/٩. ووقع في الأصل:
«إلا» وأثبتنا ما في (ط).

(٢) زيادة من (ق)، (ط).

(٣) في (ط): «فرسّمنا».

(٤) (ط): «أقنع».

(٥) في (ق): «وليجنب».

(٦) في الأصل: «فرضنا»، وأثبتنا ما في (ق)، (ط).

(٧) في (ق)، (ط): «ويتجاوز في ذلك إلى كلّ».

(٨) في الأصل و(ق) و(ط): «أمر»، ولا يستقيم.

(٩) كذا.

١٤٣٠ - محمد بن إبراهيم بن سعد الله*

ابن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر ، الإمام العالم^(١) قاضي القضاة بدر الدين أبو عبد الله الكتاني الحموي الشافعي قاضي قضاة الديار المصرية .

سمع سنة خمسين من شيخ الشيوخ الأنصاري بجة وبصر من الرضي بن البرهان والرشيد العطار وإسماعيل بن عزون [وعدة]^(٢) . وبدمشق من ابن أبي اليسر ، وابن عبد ، وطائفة . وأجاز له عمر بن البراذعي ، والرشيد بن مسلمة وطائفة . وحدث (بالشاطبية) عن ابن عبد الوارث صاحب الشاطبي^(٣) . وله إجازة في سنة ست وأربعين أجازها فيها الرشيد بن مسلمة ، ومكي بن علان ، وإسماعيل العراقي ، واليلداني ، والصفى عمر بن عبد الوهاب البراذعي ، وخطيب مردا ، وغيرهم .

وسمع من والده ، وأحمد بن القاضي زين الدين الدمشقي^(٤) ، وابن علاّق ، وعثمان بن رشيّق ، والحافظ العطّار ، والنجيب عبد اللطيف الحرّاني ، والرّضي بن البرهان الواسطي ، وشمس الدين إسحاق بن بلكويه^(٥) الصوفي المعروف بالمشرف ، والشيخ شمس الدين بن أبي عمر^(٦) ، والقاضي شمس الدين بن عطا الحنفي^(٧) ، وكال الدين عبد العزيز بن عبد ، وشيخ الشيوخ شرف الدين ، والشيخ ناصح الدين

* الوافي : ١٨/٢ ، ونكت الهميان : ٢٣٥ ، وفوات الوفيات : ٢٩٧/٣ ، والبداية والنهاية : ١٦٣/١٤ ، والدرر : ٢٨٠/٣ ، والشذرات : ١٠٥/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٨/٩ .

- (١) (ط) : « العالم الفاضل » .
- (٢) زيادة من (ط) والوافي .
- (٣) في الأصل و (ق) و (ط) : « عبد الوهاب » سهو ، وأثبتنا ما في الوافي ، والفوات ، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الوارث (ت ٦٦٤) ، غاية النهاية : ٤٥٢/١ .
- (٤) أحمد بن علي بن يوسف بن عبد الله (ت ٦٧٠) ، العبر : ٢٩٢/٥ .
- (٥) (ت ٦٧٩) ، الإعلام للذهبي : ٢٧٩ .
- (٦) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي (ت ٦٨٢ هـ) ، العبر : ٢٣٨/٥ .
- (٧) عبد الله بن محمد (ت ٦٧٢) ، العبر : ٣٠١/٥ .

القسطلاني ، وأخيه قطب الدين^(١) ، والشيخ محب الدين بن دقيق العيد ، والشيخ جمال الدين بن مالك ، والشيخ جمال الدين الصيرفي^(٢) ، وجماعة غيرهم .
 وطلب الحديث بنفسه ، وقرأ على الشيوخ [وحدث]^(٣) ب (صحيح) البخاري بطريق البوصيري .

وحدث بالشَّام ومصر والحجاز ، وخرَّج له المحدثون عوالي ومشیخات بمصر وبدمشق ، وخرَّج هو لنفسه أربعين حديثاً [من]^(٤) الأحاديث التساعيَّات العوالي ، وسمعت عليه مع جماعة بمنزله بمصر المجاور للجامع النَّاصري ، وأجاز لي في سنة ثمانٍ وعشرين وسبع مئة . وحدث بالكثير ، وتفرَّد في وقته .

كان إمام زمانه ، وصدَّر أوانه ، وانتهت إليه رياسة الدِّين والدُّنيا ، رقى بسيادته في مراتب العُليا ، وجمَع له من المناصب ما لم يجمع في وقته لسواه ، وترك كلَّ عدوِّ له وحاسد ينطوي على نيران جَوَاه ، اشتغل بالعلم من صغره ، واستمرَّ على ذلك في مدَّة كبره . وصحب قاضي القضاة تقي الدِّين بن رزين ، وانتفع به وقرأ عليه كثيراً من كتبه ، ولازم طريق الخير وصُحْبَةَ الصَّالحين ، واتَّحد بالفقراء العاملين العالمين ، واشتهر بهذه الطَّرِيق ، وعرف بهذا الخير الَّذي هو نعم الرِّفيق في كلِّ فريق ، فترشَّح بذلك للوظائف الكبار ، والمناصب الَّتِي ما على حسنِها غُبار ، ومع هذا كلَّه^(٥) لازم طريقة واحدة ، وباشَر القضاء والحكم وقد جعل الله فَضْلَهُ شاهِدَهُ ورَزَق السَّعادة العظمى في كلِّ ما تولَّاه ، وزانه من محاسنه ما تحلَّاه ، وأنَّصف بصفات ، وما يقول النَّاس في البدر إذا محَا سواد الدَّجى وجلاه :

(١) محمد بن أحمد بن علي المصري (ت ٦٨٦) الإعلام للذهبي : ٢٨٦ .

(٢) يحيى بن أبي منصور (ت ٦٧٨ هـ) ، العبر : ٣٢١/٥ .

(٣) زيادة من (ق) ، (ط) .

(٤) زيادة من (ق) ، (ط) .

(٥) (ق) ، (ط) : « وهو مع ذلك كلَّه » .

وجلال لو كان للقمر البَدُّ رلما جاز فيه حكم المُحَاق^(١)

ثمَّ إِنَّه ضَعَفَ بصره واستعفى من المباشرة ، وترك الخلطة بالنَّاس والمعاشرة ، وانقطع في منزله قريباً من ستّ سنين يزوره النَّاس للبركه ، ويقصدونه للتَّعَلِّي بحاسنه ، والأخذ من فوائده المشتركة .

ولم يزل على حاله إلى أن كُسِفَ بَدْرُهُ ، وأُزِلَفَ قبره ، وتوَفِّي - رحمه الله تعالى - ليلة الإثنين بعد العشاء الآخرة الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ومولده ليلة السَّبْت عند مُضَيّ الثُّلث الأوّل من ليلة رابع شهر ربيع الأوّل سنة تسع وثلاثين وستّ مئة .

وصُلِّيَ عليه بجامع دمشق صلاة الغائب يوم الجمعة بعد الصَّلَاة عاشر جمادى الآخرة من السَّنَةِ المذكورة .

وكان قد درَّس أوّلاً بدمشق في المدرسة القميريّة مُضافاً إلى الخطابة في أوّل دولة لاجين . ثمَّ إِنَّه نقل إلى قضاء القدس مع الخطابة به في شَوّال سنة سبع وثمانين وستّ مئة عوضاً عن فخر الدِّين الزُّرْعِيّ . ثمَّ إِنَّه طُلِبَ لقضاء الدِّيار المصريّة ، فتوجّه إليها في شهر رمضان سنة تسعين^(٢) بدل ابن بنت الأعزّ ، وجمّع له بين قضاء البَلَدَيْن ، فأحسن السَّيْرَةَ هناك ، وأقام مُدَّة ، وتجمّعت له هناك مناصبٌ جليّة .

أقام بالقاهرة على حاله ، إلى أن قُتِلَ الأشرف ، وأمسك الصَّاحب بن السَّلْعوس ، فَصَرَفَ القاضي بدر الدِّين بن جماعة وأعيد قاضي القضاة تقيّ الدِّين بن بنت الأعزّ إلى ما كان عليه .

(١) (ط) : « حاز » .

(٢) (ط) : « وستّ مئة » .

واستقرَّ ابن جماعة هناك في تدريس وكفاية ؛ إلى أن توفي قاضي القضاة شهاب الدِّين مُحَمَّد بن الخوي ، فنقل إلى قضاء الشَّام ، ووصل إلى دمشق رابع عشر ذي الحِجَّة من السَّنة قاضي قضاة الشَّام ، وجمَّع له مع القضاء الخطابة - ولها بعد الشَّيخ شرف الدِّين المقدسي^(١) في شَوَّال سنة أربع وتسعين وست مئة - ومشیخة الشُّيوخ ، وأقام على ذلك مدَّة ، ولم يتفق هذا لغيره ، وازداد على ذلك التَّدريس الكبار ونظر الأوقاف وغير ذلك .

ولم يزل على ذلك إلى أن طلب ثانياً لقضاء الدِّيار المصريَّة في شعبان سنة اثنتين وسبع مئة عوضاً عن ابن دقيق العيد ، فأقام على ذلك إلى أن حضر السلطان من الكرك في سنة تسع وسبع مئة ، فعزله ، ووَلَّى مكانه قاضي القضاة جمال الدِّين الزُّرعي في شهر ربيع الأوَّل سنة عشر وسبع مئة مستهلَّ الشَّهر . وعزل أيضاً شمس الدِّين السُّروجي قاضي القضاة الحنفي ، وطلب ابن الحريري ، فَوَّلاه مكانه ، وتولَّى قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة في هذه العطلة تدريس المدرسة النَّاصريَّة في شهر ربيع الأوَّل سنة إحدى عشرة وسبع مئة . ثمَّ إنَّه أُعيد إلى منصبه قضاء القضاة بالدِّيار المصريَّة عوضاً عن القاضي جمال الدِّين الزُّرعي في الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة واستقرَّ له مع الحكم مشيخة الحديث بالكاملية وجامع ابن طولون ، وتدریس الصَّالحية والنَّاصريَّة .

ولم يزل على حاله إلى أن استعفى من القضاء في جمادى الآخرة - فيما أظنُّ - سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، فاستترَّت بيده الزَّاوية المنسوبة إلى الشَّافعي - رضي الله عنه - بجامع مصر ، وقرَّر له السُّلطان الملك الناصر راتباً في الشَّهر مبلغ ألف درهم وعشرة أَرادب قمحاً ، وكان قد ترك تناول المعلوم قبل انفصاله عن القضاء مدَّة .

وحجَّ ستَّ مرَّات ، أوَّلها سنة ستَّ وخمسين وست مئة ، وجاوز التَّسعين سنة ،

(١) أحمد بن أحمد بن نعمة (ت ٦٩٤ هـ) ، البداية والنهاية : ٣٤١/١٣ .

وكان قد رزق القبول عند الخاصة والعامة ، وصنف في التفسير والحديث والفقه والأصول والنحو وعلم الميقات وغير ذلك ، وقرئت عليه مصنفاته . وكان يخطب غالباً من إنشائه ، ويؤدّي الخطابة بفصاحة ، ويقرأ في النهار طيباً . واجتمع له من الواجهة والمناصب والعمر المديد في العزّ والعمل والتّقدّم ما لا اجتمع لغيره ، وانقطع نظراؤه ، وانقرضوا ، وسادّ هو عليهم في حياتهم .

ومن نظمه - رحمه الله تعالى - ما أنشدني له إجازة :

يا لَهْفَ نَفْسِي لَو تَدَوَّمْ خَطَابَتِي	بِالْجَامِعِ الْأَقْصَى وَجَامِعِ جُلُقِ
مَا كَانَ أَهْنَأُ عَيْشُنَا وَالذَّهْ	فِيهَا وَذَاكَ طِرَازُ عُمَرِي لَو بَقِي
الْدِّينُ فِيهِ سَالِمٌ مِنْ هَفْوَةٍ	وَالرُّزْقُ فَوْقَ كِفَايَةِ الْمُسْتَرْزَقِ
وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ صَدِيقٌ صَاحِبٌ	دَاعٍ وَطَالِبٌ دَعْوَةٍ بَرَقُوقِ

وأنشدني له أيضاً إجازة :

لَمَّا تَمَكَّنَ مِنْ فُؤَادِي حُبُّهُ	عَانَبْتُ قَلْبِي فِي هَوَاهُ وَلُمْتُهُ
فَرَرْتُ لَهُ طَرَفِي، وَقَالَ: أَنَا الَّذِي	قَدْ كُنْتُ فِي شَرِكِ الْهَوَى أَوْقَعْتُهُ
عَايَنْتُ حُسْنًا بَاهِرًا فَاغْتَادَنِي	سِرًّا إِلَيْهِ عِنْدَمَا أَبْصَرْتُهُ

وأنشدني لنفسه إجازة :

أَحِنُّ إِلَى زِيَارَةِ حَيِّ لَيْلَى	وَعَهْدِي مِنْ زِيَارَتِهَا قَرِيبُ
وَكُنْتُ أَظُنُّ قُرْبَ الْعَهْدِ يُطْفِئِي	لَهيبَ الشَّوْقِ فَازْدَادَ اللَّهيبُ

قلت : ما أحسن قول القائل :

وَكَلَّمَا زِدْتَنِي دُنُوًّا زِدْتُ إِلَى وَجْهِكَ اشْتِيَاقًا

وأنشدني لنفسه إجازة :

وإذا ما قَصَدْتُ طَيِّبَةَ شَوْقاً صار سهلاً لَدَيَّ كُلُّ عَسِيرٍ
وإذا ما ثَنَيْتُ عَزْمِي عنها فَعَسِيرٌ عَلَيَّ كُلُّ يَسِيرٍ
قلتُ : ما أحسن القائل :

يا ليلَ ما جئتكم زائراً إلا وَجَدْتُ الأرضَ تَطْوِي لي
ولا أَثْنِي عَزْمِي عَن بَابِكُمْ إلا تَعَثَّرْتُ بِأَذْيَالِي

١٤٣١ - مُحَمَّد بن إبراهيم بن محمد *

ابن طرخان ، الصّدر الشّيخ بدر الدّين بن الحكيم ، العالم رئيس الأطباء عزّ الدّين أبي إسحاق الأنصاري السّويدي - من سويداء حوران - من أولاد سعد بن معاذ .

سمع من جماعة فَوْقَ المئة منهم الرّشيدي مسلمة ، وابن علان ، وإبراهيم بن خليل ، والعراقي ، وعبد الله بن الخشوعي ، والصّدر البكري ، ومحمّد بن عبد الهادي ، وأخوه عبد الحميد ، واليلداني ، والكفرطايي ، ومحمّد بن سعد المقدسي ، وخطيب مردا . وأجاز له من بغداد بعض أصحاب ابن شاتيل ، وبعض أصحاب شهدة .

وكان مستوفي الأوقاف ، وخدم بديوان الجامع مدّة ، وسمع منه الطّلبة .

وتوفّي ^(١) - رحمه الله تعالى - ثامن عشر شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة خمس وثلاثين وستّ مئة :

* البداية والنهاية : ٦٣/١٤ ، والدّرر : ٢٩٤/٣ .

(١) بالشّلية ، كما في البداية والنهاية .

١٤٣٢ - محمد بن إبراهيم *

ابن معضاد ...^(١).

توفي - رحمه الله تعالى - سنة سبع وثلاثين وسبع مئة بمصر .

ولما توفي - رحمه الله تعالى - قام أخوه عمر .

قال لي شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين^(٢) - رحمه الله - : هؤلاء أهل

بيت^(٤) لا يتكلم فيهم أحد حتى يموت واحد قبله^(٥) .

١٤٣٣ - محمد بن إبراهيم بن غنایم **

الصالح الحنفي المحدث العدل ، شمس الدين بن المهندس الشروطي .

سمع من ابن أبي عمر^(٦) ، وابن شيان^(٧) ، والفخر^(٨) ، وطبقته . وكتب العالي

والنازل ، ورحل إلى مصر بابنه ، ونسخ الكثير ، وحصل الأصول ، وخرج ، وأفاد مع

التصون والتواضع وطيب الخلق وصحة النقل^(٩) . وخلف أولاداً ومولداً .

* الوافي : ٢٠/٢ ، والدُّرر : ٢٩٧/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٣١٣/٩ .

(١) بياض في الأصل و (ط) ، وفي الوافي : « ابن معضاد الشيخ ... من بيت » ، وعبارته مضطربة ،

وعبارة الدُّرر : « ابن معضاد بن شداد بن ماجد بن مالك الشيخ ناصر الدين الجعبري » ، وزاد في

الدُّرر أنه ولد بقلعة جعبر سنة ٦٥٠ هـ .

(٢) كذا بياض في الأصل و (ط) و (ق) ، وفي الدُّرر أنه توفي : في الرابع والعشرين المحرم سنة ...

(٣) السبكي ، كما في الوافي والدُّرر .

(٤) عبارة الوافي : « هم أهل بيت ، وفي الدُّرر : هم أهل بيت علم » .

(٥) عبارة الوافي والدُّرر : « حتى يموت قبله واحد منهم » .

** الوافي ٢١/٢ ، والدُّرر : ٢٩١/٣ ، والشذرات : ١٠٥/٦ ، وذيول العبر : ١٧٩ .

(٦) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي (ت ٦٨٢) ، سلفت الإشارة إليه .

(٧) في الأصل و (ط) : « ابن أبي شيان » ، وأثبتنا ما في الوافي ومصادر ترجمته ، وأحمد بن شيان بن

تغلب (ت ٦٨٥ هـ) سلفت الإشارة إليه .

(٨) ابن البخاري ، علي بن أحمد بن عبد الواحد السعدي (ت ٦٩٠) ، سلفت الإشارة إليه .

(٩) في الأصل : « العقل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .

وكان رأسه يضطرب دائماً لا يفتّر ، وصّى بوقفيّة أجزائه ، وكتب شيخنا الذهبي عنه ، وأجاز لي .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في الثالث والعشرين من شوال سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وخمسين وست مئة تقريباً .

١٤٣٤ - محمد بن إبراهيم بن محمد *

ابن أحمد الفقيه المفيد الرّحال أمين الدّين الوائى الدّمشقيّ الحنفيّ ، رئيس المؤدّنين بدمشق وابن رئيسهم برهان الدّين . وقد تقدّم ذكر والده شرف الدّين .

كتب أمين الدّين ، وتعب ، وحصل الأصول ، وحدّث بمصر ودمشق ومكّة عن أبي الفضل بن عساكر ، والتقيّ بن مؤمن ، وجماعة .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - بعد والده بشهر ، ودفن إلى جانبه ...^(١) سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، عاش إحدى وخمسين سنة .

قال شيخنا الذهبيّ : كان من خير الطّلبة ، وأجودهم نقلاً .

١٤٣٥ - محمد بن إبراهيم بن عبد الله **

الشيخ الجليل الفاضل القدوة أبو عبد الله بن الشيخ السيّد القدوة ابن الشيخ السيّد القدوة الأرموي .

روى (جزء ابن عرفة) عن ابن عبد الدّائم .

* البداية والنهاية : ١٧١/١٤ ، والدّرر : ٢٩٢/٣ .

(١) كذا بياض في الأصل و (ق) و (ط) . وفي الدّرر : « شهر ربيع الأول » .

** الدّرر : ٢٨٧/٣ ، والبداية والنهاية : ٦٤/١٤ ، وفيه : « الأموي » .

كان من كبار الأدباء ، وجلة العلماء ، وسادة العارفين ، وأئمة المصنفين ، ديانته متينه ، وصيانته مبينه ، له فضائل ، وفيه تَوَدُّدٌ ولطف شائل ، يُكْرَمُ من يزوره ، ويُقْبَلُ عنده لِكْرَمِ طباعه حَقُّه وزوره . له وجاهة عند الأمراء والأكابر ، وأرباب الطِّبَّالِس والمخابر ، وكلمته نافذة فيما يراه ، وقوله يُسمع فيما يأمر به ويراه . وشعره أرق من دموع العشاق وعتاب الأحباب إذا وصلوا^(١) بعد الصَّدِّ والفراق ، ونسيم الرِّياض إذا هبَّ في وقت الاغتباط بالاغتياق :

تَسْمَعُ مِنْ شِعْرِهِ يُوتَى أَلَذُّ مِنْ عَفْلَةِ الرَّقِيبِ
كَأَنَّهَا إِذَا صَفَّتْ وَرَقَّتْ شَكُوَى مُحِبٍّ إِلَى حَبِيبٍ^(٢)

لم أرَ مثلاً نظمه العذب ، وقريضه الذي هو في سلاسة الماء وصقال العَضْبِ^(٣) ، يهزأ بسجع الحمام ، ويهزُّ عِطْفِي بالطَّرب ؛ حتَّى كَأَنِّي ثَلْتُ من المدام . وقد أوردتُ منه^(٤) جملة في الجزء الثامن والثلاثين من (التذكرة) لي .

ولم يزل الشيخ على حاله إلى أن رمي الأرموي بسهم الحمام ، وبكى عليه يوم مات حتَّى جفون الغمام .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - في عاشر شهر رمضان سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، بزاويته بسفح قاسيون ، وصُلِّيَ عليه بالجامع المظفَّري ، ودفن عند والده ، وحضر جنازته خلق كثير من الأمراء والقضاة والفقهاء والصُّدُور وعامة النَّاس . وغُلِّقَ سوق الصَّالِحِيَّة بأسره ، وكان يوماً مطيراً كثيراً للوحل والطين .

وكان فيه خيرٌ وتودُّدٌ ومواظبة على المشيخة ، وإكرام من يزوره .

(١) (ق) ، (ط) : « واصلوا » .

(٢) (ق) ، (ط) : « كأنها » .

(٣) العَضْب : السيف .

(٤) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

ومولده في شهر رجب سنة خمس وأربعين وست مئة .
جمع جزءاً في السَّماع وجزءاً في أخبار جدّه .

ومن كلامه في السَّماع قال : افتقار السَّماع إلى الوجد افتقار الصَّلَاة إلى النِّيَّة ، فكما لا تصحُّ الصَّلَاة إلا بالنِّيَّة والقصد ؛ كذلك لا يُباح السَّماع إلا بالوجد ، فمن كانت حركته في السَّماع طبيعيّة ؛ كانت نشوته به حيوانيّه ، ألا ترى أنّ كثيراً من الحيوانات ينشأ له حالٌ غير^(١) المعتاد عند سماع المُطَرِّبات ، وقوّة حركة لسماع النغمات ، فمن كان هذا السَّماع الحيواني في ذلك أقصى أربه ؛ كان مقصوراً فيه على لهوه ولعبه ، وهو سماع الطَّبِيعَةِ لا سماع الأرواح ، فجدّ يرّ أن يُجتنب ، فإنّه يستعمل الطَّبِيعَةَ فيه غير مباح^(٢) ، والسَّماع الذي اختلفت فيه الأقوال ، إنّما هو سماع أهل المقامات والأحوال ، فمنهم من أباحه على حكم الاختصاص ، ومنهم من جعله زلّة الخواص ، ومنهم من توقّف ، ولم يجد إلى إقامة الدّليل على كلاً أمریه نشاطاً ، ورأى الاستغفار منه إذا قدّر له الحضور فيه احتياطاً ، فهو متردّد في أمریه ، فتركه لمثل ذلك أولى ، ولم يدر على من حضره من السّلف ، ولكن لم ير نفسه لحضوره أهلاً ، فهذه جملة إقناعيّة ممّا قيل فيه ، ونبذة لعلّ من تأملها تكفيه :

إذا حركَ الوجدَ السَّماعَ إليكم	يباحُ ، وإلا فالسَّماع حرامٌ
ومن هزّة طيبِ السَّماعِ حديثكم	ومال من الأشواقِ ليس يلام
ولا عجبٌ إن شئتَ الحبّ جمعه	فليس لأحوالِ المُحبّ نظام
غذّي بلبانِ الحبّ قدماً وماله	سواء إذا أن الفِطام فِطام
يسيرُ معَ الأشواقِ أنى توجّهت	وليس له في الكائناتِ مقام
ولا غرو إن ضلّت مذاهبُ عقله	فإنّ مقرّ العزّ ليس يُسام
حمى لا سبيل أن يُباح مصونه	وكلُّ الورى طافوا عليه وحاموا
وقاموا وقد جدّوا لأوّل منزل	فقاموا حيارى فيه حيث أقاموا

(١) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٢) كذا في الأصل و (ط) و (ق) ، ولعلّ المراد : « في غير مباح » .

ومن شعره أيضاً :

وافى الربيعُ فعادَ الرّوضُ مُبتَسِماً
والغُصْنُ من فَوْقه الشَّحُورُ تحسُّبه
وشاطئُ النَّهْرِ قد دَبَّتْ عوارِضُه
فصفَّقَ الدَّوْحُ لَمَّا أنْ رأى عَجَباً

ومنه :

لم أنسَ ليلةَ باتَ البدرُ يَخدمُنَا
والنَّهْرُ يجري لُجِيناً والدُّجى سَيَجُ

ومنه :

وافى النسيمُ أمامَ القطرِ فأنثتِ الدَّ
وأعْيَنَ الرّوضِ تجري وهو مُبْتَسِمٌ

ومنه :

أصبحتُ أسجَعُ من ورقاءَ فاقِدةِ
بعدَ الأحيّةِ لا تهوى المنامَ بلى

ومنه :

رأيتُ الصِّبَا لَمَّا استَعْنَتْ بلطفِها
وقُمتُ بحِفْظِ العهدِ للنَّجمِ في الدُّجى
وقلبُ الدُّجى ما زالَ للسَّرى كاتباً

ومنه :

سَكَرتُ كما تهبَّ صَباً صَباحاً
فلا تَعْجَبْ لَهُ إن مالَ عِطْفاً

وطالما انتَحَبْتُ فيه سَحائبُه
يتلو الزُّبورَ بأعلى الدَّيرِ راهِبُه
وأفترَّ مَبْسُمةً واخضرَّ شاربُه
من أَجلِ ذلكَ قد شابت ذوائِبُه

إلى الصَّباحِ ولم يَشْعُرْ بنا الرُّقبا
فَمَدَّ بدا الصُّبحُ ياقوتاً جَرى دَهْبا

أغصانُ تَرْقُصُ من تيسِهٍ ومن مَرَحِ
وقد تَفِيضُ دُمُوعُ العَيْنِ بالفرَحِ

تنوحُ في الدَّوْحِ طوولَ اللَّيْلِ لم تنمِ
إن سامحوها وزارَ الطَّيفُ في الحُلُمِ

على حَمَلٍ ما لا قِيَتُه تتعلَّلُ
فما باله في صُحْبَتِي يَتَنَقَّلُ
وها هو عَمَّا خِلْتَه يَتَحَوَّلُ

فَرَقْ لَأَنَّهُ بَرٌّ كَرِيمٌ
فإنَّ الغُصْنَ يَعْطِفُه النِّسيمُ

ومنه :

لَطَفْتُ شَمَائِلَهُ فَعُدْنَ شَمَائِلًا
لَوْ لَمْ يَنْمُ عَبِيرُهُ بَعُورُهُ

ومنه :

أَصَافِحُ الْأَغْصَانِ أَبْغِي الْحَيَا
وَكَيْفَ لَا يُدْرِكُنِي جُودُهَا

ومنه :

يَا مُعْرِضًا عَنِّي وَفِي إِعْرَاضِهِ
مِنْ دُونَ سَفْكَ دَمِي بِحَبْكَ عَامِدًا

ومنه :

كَأَنَّمَا النَّهْرُ فِي ظِلِّ الْغُصُونِ وَقَدْ
خَدَّ تَكْنَفَهُ فَرَطُ الْحَيَاءِ وَقَدْ

ومنه :

وَرُبُوعٌ يَكَادُ طَيْبُ شَذَاهَا
أَشْرَقَتْ شَمْسُ نَوْرِهَا فَرَأَيْنَا
وَأَتَى الْقَابِسُونَ نَحْوَ سَنَاهَا

ومنه :

أَنَا مُسْتَجِيرٌ بِالدُّجَى
مِنْ سَلِّ سَيْفٍ صَبَاحِهِ
فَعَسَاهُ يَكْلَأُ ذَا هَوَى
كَرْمًا بِظِلِّ جَنَاحِهِ

(١) الجريال : الحمر ، أولونها .

(٢) في الأصل : « يحبك » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

ومنه :

كَأَنَّ سَمَاءَنَا وَالْبَدْرَ فِيهَا وَأَنْجَمُهَا مُحَدَّقَةً إِلَيْهِ
حَدِيقَةُ نَرْجِسٍ مِنْ حُورِ عَيْنٍ تَدَقُّقُ مَاؤُهَا فَطْفًا عَلَيْهِ^(١)

ومنه :

تَبَسَّمَ نَغْرُ الرُّوضِ بَعْدَ قَطْوِيهِ سُرُورًا بِإِقْبَالِ الرِّيْعِ إِلَيْهِ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْغُصْنَ إِذَا رَقَّتِ الصَّبَا يُصَفِّقُ مَسْرُورًا لَهَا يَدَيْهِ
وَأَنَّ ثِيَابَ الْوَرْدِ وَهِيَ شَقِيقَةُ يُشَقِّقُهَا حَتَّى تَمَرَّ عَلَيْهِ

ومنه :

خِلْتُ أَنَّ الْغُصُونَ تَرْقُصُ لَمَّا أَنْ أَتَاهَا النَّسِيمُ بِالْأَمْطَارِ
فَلِهَذَا أَلْقَتْ لَهُ مَا عَلَيْهَا فَهِيَ مِنْ شِدَّةِ السُّرُورِ عَوَارِي
لَبَسَتْ فِي الثِّيَابِ ثُوبَ وَقَارٍ وَرَأَتْ فِي الْمَشِيبِ خُلْعَ عِزَارِي

١٤٣٦ - مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ*

شمس الدين المؤرخ الجزري^(٢) .

لهج بالتاريخ ، وجمعه^(٣) ، وسمع من إبراهيم بن أحمد^(٤) بن كامل ، والفخر

(١) (ق) ، (ط) : « حول » .

* الوافي : ٢٢/٢ ، والبداية والنهاية : ١٨٦/١٤ ، والدُّرر : ٣٠١/٣ ، والشذرات : ١٢٤/٦ .

(٢) في الأصل : « الخزرجي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي ، ومصادر ترجمته . ولكنه وقع في البداية والنهاية : « الجوزي » ، وهو تحريف .

(٣) واسم كتابه الذي جمعه في التاريخ : (حوادث الزمان وأنباؤه ووفيات الأعيان وأبناؤه) ، الكشف : ٦٩٣/١ ، وفي الأعلام : ٢٩٨/٥ : أنه مخطوط في مجلدين .

(٤) (ط) ، (ق) ، والوافي ، كابعض أصول الدُّرر : (حمد) .

علي^(١) ، وابن الواسطي^(٢) ، والأبرقوهي^(٣) ، وابن الشقاري^(٤) ، وغيرهم من الشعراء .
 وكان حسنَ المذاكرة ، سليم الباطن صادقاً ، وفي تاريخه عجائب وغرائب
 عامية^(٥) . أجاز لي بخطّه - رحمه الله تعالى - سنة ثلاثين وسبع مئة .
 وتوفي - رحمه الله تعالى - ...^(٥) سنة تسع وثلاثين وسبع مئة بدمشق ، ودفن في
 مقابر الباب الصّغير .

وروى عنه الشّيخ علم الدّين البرزالي هذه الأبيات :

إِلَهِي قَدْ أَعْطَيْتَنِي مَا أَحْبَبُهُ	وَأَطْلُبُهُ مِنْ أَمْرِ دُنْيَايَ وَالدِّينِ
وَأَغْنَيْتَنِي بِالْقَنْعِ عَنْ كُلِّ مَطْمَعٍ	وَالْبَسْتَنِي عِزّاً يَجْلُ عَنْ الْهُونِ
وَقَطَعْتَ عَنْ كُلِّ الْأَنَامِ مَطَامِعِي	فَنِعْمَاكَ تَكْفِينِي إِلَى يَوْمِ تَكْفِينِي
وَمَنْ دَقَّ بَاباً غَيْرَ بَابِكَ طَامِعاً	غَدَا رَاجِعاً عَنْهُ بِصَفْقَةٍ مَغْبُونِ

قلت : وأنا أستكثر هذه الأبيات عليه ، وإن لم تكن في الذّروة .

١٤٣٧ - مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ *

ابن داود بن حازم ، الشّيخ الإمام الصّدر الكامل قاضي القضاة الأذرعِي
 شمس الدّين الحنفي .

كان فاضلاً من أعيان مذهبه ، يعرف الفقه والأصول والنحو ، ودرّس بالمدرسة
 الشّلبية . وولّي القضاء بدمشق سنة كاملة ، وروى عن ابن عبد الدّائم .

(١) ابن البخاري ، وسلفت الإشارة إليه .

(٢) هو التقي الواسطي ، إبراهيم بن علي بن أحمد ، سلفت الإشارة إليه .

(٣) يوسف بن أبي نصر بن أبي فرج (ت ٦٩٩ هـ) ، العبر : ٤٠٧/٥ .

(٤) في الوافي : « وعامية » .

(٥) كذا بياض في الأصل و (ق) و (ط) ، وفي الدرر أنه توفي بواسط سنة ...

* البداية والنهاية : ٦٨/١٤ ، والدرر : ٢٧٨/٣ ، والدارس : ٤٢٩/١ .

قال شيخنا البرزالي : قرأت عليه بدمشق وبتبوك . توجه إلى القاهرة متمرّضاً ، ونزل بخاتقاه سعيد السعداء ، فأقام خمسة أيام .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في خامس شهر رجب سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .
ومولده سنة أربع وأربعين وست مئة .

وكان قد ولي القضاء بدمشق في ثاني عشر ذي القعدة سنة خمس وسبع مئة عوضاً عن القاضي شمس الدين بن الحريري^(١) ، ولما وصل توقيعه في شهر ربيع الآخر سنة ست وسبع مئة غلط البريدي ، وتوجه بالتوقيع إلى ابن الحريري ، ولما قرئ علم أنه قد غلط ، فعاد به [إلى]^(٢) الأذرعي .

١٤٣٨ - مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ*

العدل الرئيس الفاضل صلاح الدين أبو عبد الله الطيب المعروف بابن البرهان .
كان أبوه جرائحياً ، وفي أبيه يقول القائل ، وقد ظرّف :

كُلُّ مَنْ عَالَجَ الْجِرَاحَةَ قَدَمٌ وَأَقِيمَ الدَّلِيلَ بِالْبِرْهَانِ

ولما نشأ صلاح الدين المذكور لأبيه أقرأه أبوه القرآن ، فحفظ منه نحو النصف ، وقرأ طرفاً من العربية على الشيخ بهاء الدين بن النحاس ، وقرأ الطب على العماد النابلسي ، ثم على الشيخ علاء الدين بن النفيس .

وكان قد أجزأ أولاً بالكحل ، ثم بالتصريف في الطب ، وكان فاضلاً في فروع الطب ، مشاركاً في الحكمة ، مائلاً إلى علم النجوم والكلام على طبائع الكواكب وأسرارها ، وقرأ في آخر عمره على الشيخ شمس الدين الأصفهاني كثيراً من الحكمة ،

(١) البداية والنهاية : ٣٨/١٤ ، وعنه في الدارس : ٤٣٠/١ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق ، وهي ثابتة في (ق) ، والبداية والنهاية والدُرر .

* الوافي : ٢٣/٢ ، والدُرر : ٢٨٨/٣ .

وسمع بقراءة فخر الدين عبد الوهاب^(١) كاتب الدرج كتاب (الشفاء) لابن سينا على الشيخ شمس الدين ، وهو يشرحه لصالح الدين ميعاداً فيعيداً إلى أن أكمله .

قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله : وسألت الشيخ شمس الدين عنه ، فقال : اشتغاله أكثر من ذهنه ، وكان علمه بالطب أكثر من معالجته .

وقال لي شيخنا شمس الدين : إنه طلعت في أصبعه سلعة^(٢) ، فاستطب لها صلاح الدين ، فبهت ، ثم وصف أشياء لم تقده ، فقال له فخر الدين عبد الوهاب : لو علمت كذا وكذا كان أنفع له ، فعمله ، فنفعه ، وبرئ به .

وكان صلاح الدين المذكور ذا مالٍ ومُتَجَرٍّ^(٣) ، وأكثره في إخم ، وكان من أعيان أطباء السُلطان الذين يدخلون عليه ، ويعرف له السُلطان مكانته وفضله ، وكان خَصِيصاً بالنائب الأمير سيف الدين أرغون . ثم إنه اختصَّ بعده بالأمير سيف الدين طقزتر ، ويطلع معه في كل سنة إلى الصعيد ، فيكون في خدمته ، ويستعين بجاهه على استخراج أمواله وإنفاق^(٤) متاجره .

وصحب قاضي القضاة تاج الدين القزويني ، وكان يسُفَرُ عنده لقضاة الصعيد ، يقدم^(٥) كتبهم ، ويتنجز أجوبتهم . وكان لا يزال ضيق الذرع من تقدم القاضي جمال الدين بن المغربي رئيس الأطباء عليه ، وسأل من السُلطان الإعفاء من الطب ، وأن يكون من تجار الخاص ، فقال السُلطان : نحن نعرف أنه إننا قال هذا لكون ابن المغربي هو الرئيس ، وكونه هو أكبر وأفضل ، فلا يأخذ في خاطره من هذا ، فهو عندنا عزيز كريم ، ولكن إبراهيم صاحبنا ، ونعرف أنه ما يستحقُّ التَّقدُّم عليه .

(١) في الوافي : « عبد الوهاب بن الحكيم » .

(٢) السلعة : غدة أو زيادة في الجسم .

(٣) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « ومتجر بالصعيد » ، وفي الوافي : « في الصعيد » .

(٤) في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي : « ونفاق » .

(٥) في الوافي : « يقدم إليه » .

فطاب قلب صلاح الدّين بهذا الكلام ، وخطب بعد ذلك أخت ابن المغربي ، وتزوَّج بها ، واتّحدا بعد مباينة البواطن .

وكان صلاح الدّين يثبت علم الكيمياء ، ويقول إنّه صحب ابن أمير كان اسمه ابن سنقر الرّومي ، وقال : عملها بمحضوري غير مرّة .

وكان مغرّى بالروحانيّات ، واعتقاد ما يقال من مخاطبات الكواكب ، حدّثني بهذا جميعه القاضي شهاب الدّين بن فضل الله ، وكان كثير التّردّد إليه والاجتماع به ، وقد اجتمعت به أنا غير مرّة ، وسمعتُ كلامه ، وكان يستحضر كَلَيّات (القانون) ، وكان يلشّخ بالراء لثغة مصريّة ، وعلى^(١) ذهنه شيء من الحماسة والمقامات وشعر أبي الطّيب .

وكان في ذهنه جمود ، وكان يجتمع هو والشيخ ركن الدّين بن القوبع - رحمه الله تعالى - في دكان الشّهود التي على باب الصّالحية ، فيذكر صلاح الدّين شيئاً من كلام الرّئيس ابن سينا ، إمّا من (الإشارات) أو من غيرها ، ويشرح ذلك شرحاً غير مطابق ، فما يصبر له الشيخ ركن الدّين ، ويقول : سبحان الله ! من يكون ذهنه هكذا يشتغل فلسفة ، هذا الكلام معناه كيت وكيت ، فهو في وادٍ وأنت في وادٍ ، وهذا الَّذي يُفهم من كلام الشيخ هو المطابق للقواعد عند القوم . فيعود صلاح الدّين في خجل كبير من^(٢) الجلوس . وأظنّه فارق الزّوجة أخت ابن المغربي قبل وفاته .

ولمّا مرض النّائب أرغون بحلب أوّل مرّة طلبه من السّلطان ، فجّهزه إليه [فحضر]^(٣) وعالجه ، ثمّ توجّه إلى القاهرة ، ثمّ إنّه مرض الثّانية ، فطلبه ، فوصل إلى إربد ، وبلغته وفاته ، فعاد من إربد إلى القاهرة .

وتوفّي صلاح الدّين - رحمه الله تعالى - في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

(١) (خ) : « وكان على » .

(٢) في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي : « بين » .

(٣) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .

وكنّت أراه دائماً يحمل (شرح الإشارات) للتّصير الطّوسيّ ويتوجّه به إلى الشّيخ
شمس الدّين الأصفهاني ليقراه عليه .

١٣٣٩ - مُحَمَّد بن إبراهيم بن يحيى*

الشّيخ الإمام الفقيه العالم شمس الدّين الصّنهاجي المالكي ، إمام محراب المالكيّة
بالجامع الأموي .

كان فقيهاً فاضلاً من أهل العلم والصّلاح وملازمة الاشتغال^(١) .

توفّي - رحمه الله تعالى - في رابع عشر ذي الحجة سنة اثنتين وسبع مئة ، ودفن
برّا الباب الصّغير .

وتولّى الإمامة بعده الشّيخ أبو الوليد بن الحاج الإشبيلي^(٢) .

١٤٤٠ - مُحَمَّد بن إبراهيم بن ساعد**

الشّيخ الإمام الفريد المحقّق النّحرير الفاضل الحكيم شمس الدّين أبو عبد الله
الأنصاري ، السّنجاريّ الأصل والمولد ، المصري السّدار والوفاء ، المعروف بابن
الأكفاني .

كان فاضلاً قد برع في علوم الحكمة ، وجمع شتات العلوم من غيرها بماله من الهمة ،
لورآه الرّئيس لكانت إليه إشارات ، وبه صحّ شفاؤه ، وتمّت نجاته ، ولم يكن قانونه
يُطرب ، ولا حكمته المشرقيّة^(٣) مما يأتي بالفوائد فيغرب . ولو عاصره النّصير الطّوسيّ

* الدّرر : ٢٩٩/٣ .

(١) (ط) : « الأشغال » .

(٢) محمد بن أحمد بن قاضي الجماعة ، ستأتي ترجمته بعد قليل . وانظر : الدارس ٥/٢ .

** الوافي : ٢٥/٢ ، والدّرر : ٢٧٩/٣ ، والبدر الطالع : ٧٩/٢ .

(٣) في الأصل : « المشرقية » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي ، والمراد كتاب :

الحكمة المشرقية لابن سينا . وكذلك الأسماء السابقة فيها تورية بكتب ابن سينا .

لَمَّا بَنَى الرَّصْدَ^(١) ، وَكَفَّ مِنْ طَوْلِ بَاعِهِ فِي التَّصْنِيفِ وَاقْتَصَدَ^(٢) ، وَلَمْ يَعُدَّ النَّاسَ
مَتَوَسِّطَاتِهِ^(٣) فِي الْمَبَادِي ، وَعَلِمَ أَنَّهُ مَظْفَرٌ بَهِيْبَةٌ^(٤) مِنْ الْهَيْئَةِ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِي .
وَلَوْ عَايَنَهُ بَطْلِيمُوسُ لَمَّا وَضَعَ اسْطِرْلَابًا ، وَلَمْ يَدْرِ مَجْسَ الْمَجْسطِي ، وَلَمْ يَجِدْ لَهُ فِيهِ
طِلَابًا . وَلَوْ نَظَرَهُ الْخَوْنَجِي^(٥) لَمَّا أَجْلَسَهُ عَلَى خَوَانِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ مَنْطِقَهُ فِي (كَشَفِ
الْأَسْرَارِ)^(٦) هَذَرٌ عِنْدَ بَيَانِهِ . هَذَا إِلَى تَوْسُّعٍ فِي عِلْمِ^(٧) الْأَدَبِ عَلَى كَثْرَةِ فَنُونِهَا ، وَاتِّسَاعِ
بَحْرِهَا لِلْمَلَاعِبِ نَوْنِهَا ، وَفَهْمِ نَكْتِهِ وَدَقَائِقِهِ ، وَمَعْرِفَةِ مَجَازَاتِهِ وَحَقَائِقِهِ . وَاسْتِحْضَارِ كَثِيرٍ
مِنْ وَقَائِعِ الْعَرَبِ وَأَيَّامِهَا وَتَوَارِيخِ الْأَعْيَانِ وَأَحْكَامِهَا .

اجْتَمَعَتْ بِهِ فَكُنْتُ أَرَى الْعَجَائِبَ ، وَأَسِيرُ فِي فُضَاءِ غَرَائِبِهِ عَلَى مَتُونِ الصَّبَا
وَالْجَنَائِبِ ، أَخَذْتُ عَنْهُ فَوَائِدَ فِي الرِّيَاضِي ، وَمَلَأْتُ بِقَطْرِ عُلُومِهِ حِيَاضِي ، وَلَمْ أَرِ
مِثْلَ عِبَارَتِهِ ، وَلَا لَطْفَ إِشَارَتِهِ ، فَكُنْتُ أَحَقُّ بِقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ^(٨) .

مَنْ مُبْلِغُ الْأَعْرَابِ أَنِّي بَعْدَهَا . شَاهَدْتُ رَسْطَالِيْسَ وَالْإِسْكَندَرَا
وَلَقِيتُ كُلَّ الْعَالَمِينَ كَأَنَّمَا رَدَّ الْإِلَهُ نَفْسَهُمْ وَالْأَعْصَرَا

وَلَمْ يَزَلِ الشَّيْخُ عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ ائْتَدَجَ ابْنُ الْأَكْفَانِي فِي الْأَكْفَانِ ، وَتَحَقَّقَ مَعْنَى
قَوْلِهِ^(٩) : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾^(١٠) .

(١) فِي الْأَصْلِ : « لِلرَّصْدِ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، (ط) ، (خ) ، وَالْوَافِي .

(٢) (ق) ، (ط) ، (خ) : « وَاقْتَصَرَ وَاقْتَصَدَ » .

(٣) الْمَتَوَسِّطَاتُ : كُتُبُ تَتَوَسَّطُ فِي التَّرْتِيبِ التَّعْلِيمِيِّ بَيْنَ كِتَابِ الْأَصُولِ لِإِقْلِيدِسَ وَبَيْنَ كِتَابِ الْمَجْسطِي
لِبَطْلِيمُوسَ ، الْكَشْفُ : ١٥٨٥/٢ .

(٤) (ق) ، (خ) : « بَهِيْبَةٌ » .

(٥) مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرٍ (ت ٦٤٦) مِنْ عُلَمَاءِ الْحِكْمَةِ وَالْمَنْطِقِ . الشُّذْرَاتُ : ٢٣٦/٥ .

(٦) اسْمُ كِتَابِهِ كَشَفُ الْأَسْرَارِ عَنْ غَوَامِضِ الْأَفْكَارِ فِي الْحِكْمَةِ ، الْكَشْفُ : ١٤٨٦/٢ .

(٧) فِي (ق) ، (ط) : « عُلُومٌ » .

(٨) دِيَوَانُهُ : ١٧٠/٢ ، وَرَوَايَةُ الشُّطْرِ الْأَوَّلِ مِنَ الْبَيْتِ الثَّانِي فِيهِ : « وَلَقِيتُ كُلَّ الْفَاضِلِينَ ... » .

(٩) فِي (ق) ، (ط) ، (خ) ، « قَوْلُهُ تَعَالَى » .

(١٠) سُورَةُ الرَّحْمَنِ : ٢٦/٥٥ .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة تسع وأربعين وسبع مئة بالقاهرة ، في طاعون مصر ، تعجيزاً من الله تعالى لما يعرفه ، وينفقه من حواصل ^(١) علومه ويصرفه .

كان هذا الشيخ شمس الدين ، قد برع في علوم الحكمة ، وتفرد بإتقان الرياضي ، فإنه كان إماماً في الهندسة والحساب والهيئة ، وله في ذلك تصانيف وأوضاع مفيدة ، قرأت عليه قطعة جيدة من كتاب إقليدس ، وكان يحل لي ما قرأه عليه بلا كلفة ، كأنه ممثّل بين عينيه ، فإذا ابتدأت في الشكل شرع هو يسرّد باقي الكلام سرداً ، وأخذ الميل ، ووضّع الشكل ، وحروفه في الرّمل على التّخت ، وعبر عنه بعبارة جزلة فصيحة بيّنة واضحة ، كأنه ما يعرف شيئاً غير ذلك ^(٢) . وقرأت عليه مقدّمة في وضع الأوفاق ، فشرحها لي ^(٣) أحسن شرح ، وقرأت عليه أول (الإشارات) ، فكان ^(٤) يحلّ شرح نصير الدين الطوسي بأجلّ عبارة ، وأجلى إشارة ، وما سألته عن شيء في وقت من الأوقات عمّا يتعلّق بعلوم الحكمة من المنطق والطّبيعي والرياضي والإلهي [إلّا] ^(٥) وأجاب بأحسن جواب ، كأنه كان في بارحته يطالع في تلك المسألة طول الليل .

وقرأت عليه (رسالة الاستبصار فيما يدرك بالأبصار) ، وهو كتاب صغير في علم المناظر ، تصنيف الشيخ شهاب الدين القرافي الأصولي المالكي ^(٦) ، فحلّ كلامه ، وواخذه في أشياء .

وأما الطّب فإنّه كان فيه إمام عصره ، وغالب طبّه بخواصّ ومفردات يأتي بها إلى المريض ، وما يعرفها أحد ، لأنّه يغيّر كيفيّتها وصورتها ، حتّى لا تعلم ، وله إصابات غريبة في علاجه .

(١) (ق) ، (ط) ، (خ) : « حاصل » .

(٢) (ق) ، (خ) ، والوافي : « غير ذلك الشكل » .

(٣) (خ) : « في » .

(٤) في الأصل : « فكل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٥) زيادة من (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٦) أحمد بن إدريس القرافي (ت ٦٨٢) ، الوافي : ٢٣٣/٦ ، والكشف : ٧٧/١ .

وأما الأدب - وكان ^(١) فيه فريداً ، يفهم نُكَّتَه ، ويدوق غوامضه ، ويستحضر من الأخبار والوقائع والوفيات للناس قاطبةً جملةً كبيرة - فحفظ ^(٢) من الشعر شيئاً كثيراً إلى الغاية للعرب والمولدين والمحدثين والمتأخرين والعصريين . وله في الأدب تصانيف ، وكان يَعْرِفُ العروض والبديع جيداً ، ولم أَر ^(٣) مثل ذهنه يتوقد ذكاءً بسرعة [ما] ^(٤) لها روية ، وما رأيت فمين رأيت أصحّ ذهناً منه ، ولا أذكرى .

وأما عبارته الفصيحة الموجزة الخالية من الفضول فما رأيت مثلها . قال لي شيخنا الحافظ فتح ^(٥) : ما رأيت من يعبر عما في ضميره بعبارة موجزة مثله . انتهى .

ولم أَر أمتع منه ، ولا أفكه من محاضراته ، ولا أكثر اطلاعاً منه على أحوال الناس وتراجهم ووقائعهم ، ممن تقدّم ، وممن عاصره .

وأما أحوال الشرق ومتجددات التتار في بلادهم في أوقاتها فكأنما كانت القصائد تجيء إليه ، والملطّفات تتلى عليه ، بحيث إنني كنت أسمع منه ما لم أطلع عليه في ديوان الإنشاء عند كاتب السر .

وأما الرُقى والغزائم فيحفظ منها جملاً كثيرة ، يسردها سرداً . وله اليد الطولى في الروحانيات والطلّاسم وإخراج الخبايا ، وما يدخل في هذا الباب ، وله اليد الطولى والباع المديد في معرفة الأصناف من ^(٦) الجواهر والقماش والآلات وأنواع العقاقير والحيوانات ، وما يحتاج إليه البيارستان المنصوري لا يشتري شيء ، ولا يدخل البيارستان إلا بعد عرضه عليه ، فإن أجازته اشتراه الناظر ، وإن لم يجزه ؛ لم يشتَر

(١) في (ط) ، (خ) : « فكلان » .

(٢) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « يحفظ » .

(٣) (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي : « وما رأيت » .

(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

(٥) (خ) : « فتح الدين » ، وهو ابن سيّد الناس ، سلفت الإشارة إليه .

(٦) (خ) : « ومن » .

البِتَّة ، وهذا اَطْلَاعٌ كثير ومعرفة تامَّة ، فإنَّ البهارستان يريد كلَّ ما في الوجود ، بما يدخل في الطَّبِّ والكحل والجراح والتَّرايق ، وغير ذلك .

وأما معرفة الرِّقيق من المالك والجواري فإليه المآل في ذلك ، ورأيت المولعين بالصَّنعة يحضرون إليه ويذكرون ما وقع لهم من الخلل في أثناء ذلك العمل ، فيرشدونهم إلى الصَّواب ، ويدلُّهم على إصلاح ذلك الفساد ، ولم أر شيئاً يعوزهم من كمال أدواته ، إلاَّ أنَّ عربيَّته كانت ضعيفة ، وخطُّه أضعف من مَرَضٍ مارستانه ، ومع ذلك فله كلام حسن ، ومعرفة جيِّدة بأصول الخطِّ المنسوب ، والكلام على ذلك وأنشدني من لفظه لنفسه :

وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِمَا كَسِيَ لِلْكِيَمَا فِي طَبِّهِ قَدْ جَاءَ بِالشَّعَاءِ ^(١)
يَلْقَى عَلَى الْعَيْنِ النَّحَّاسَ يَحِيلُهَا فِي لَمَحَةٍ كَالْفِضَّةِ الْبِضَاءِ
وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ مِنْ تَصَانِيفِهِ (إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد) ^(٢) عوداً على بدءٍ ،
وَمِنْ هَذَا الْمُصَنَّفِ يُعْرِفُ قَدْرَهُ ، وَكَتَبْتُ عَلَيْهِ :

لَقَدْ وَضَعَ الشَّيْخُ تَصْنِيفَهُ وَلَكِنْ عَلَى زَهْرَاتِ النَّجْمِ
جَلَا كُلُّ فَضْلٍ بِمِرَاتِهِ فَفِيهَا تُطَالَعُ كُلُّ الْعُلُومِ
وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ (اللَّبَابُ فِي الْحِسَابِ) ^(٣) ، وَكِتَابُ (نَجْمُ الذَّخَائِرِ فِي مَعْرِفَةِ
الْجَوَاهِرِ) ^(٤) ، وَكِتَابُ (غُنْيَةُ اللَّيْبِ عِنْدَ غِيَةِ الطَّبِيبِ) ^(٥) ، وَقَدْ جَوَّدَهُ . وَمَا لَمْ أَقْرَأْهُ

(١) (خ) : « فِي ظَنِّهِ » .

(٢) « ذَكَرَ فِيهِ أَنْوَاعُ الْعُلُومِ وَأَصْنَافُهَا ، وَهُوَ مَأْخُذُ مِفْتَاحِ السَّعَادَةِ ... وَجُمْلَةُ مَا فِيهِ سِتُونَ عِلْماً » ، كَشَفُ الظُّنُونِ : ٥٧/١ ، وَالْكِتَابُ مَطْبُوعٌ . الْأَعْلَامُ : ٢٩٩/٥ .

(٣) (خ) : « فِي عِلْمِ الْحِسَابِ » ، وَانْظُرْ : الْكَشْفُ : ١٥٤٢/٢ .

(٤) فِي الْكَشْفِ : ١٩٣٥/٢ : « فِي أَحْوَالِ الْجَوَاهِرِ » ، وَهُوَ مَطْبُوعٌ ، كَمَا فِي الْأَعْلَامِ .

(٥) الْكَشْفُ : ١٢١١/٢ ، وَهُوَ مَخْطُوطٌ كَمَا فِي الْأَعْلَامِ .

عليه من تصانيفه ، بل أجازته لي كتاب (كشف الرّين في أمراض العين)^(١) ، وتألّمتُ لفقده لمّا بلغتني وفاته - رحمه الله تعالى - .

وكان له تجمّل زائد في بيته وفي ملبوسه ومركوبه من الخيول المنسوبة والبزة الفاخرة ، ثمّ إنّهُ اقتصر على الخيل ، وآلى على نفسه أن لا يطبّ أحداً إلّا إن جاءه إلى بيته أو في الطّريق أو البيارستان^(٢) ، وامتنع من التّوجّه إلى بيت أحد .

وكان مرّصداً لتركيب التّرياق في كلّ سنة بالبيارستان المنصوري ، وله في كلّ سنة^(٣) مبلغ ستّ مئة درهم ، ولمّا باشر الأمير جمال الدّين نائب الكرك نظر البيارستان أعجبه كثيراً ، وأضعف معلومه - لأنّه كان ستّين درهماً - فجعله مئة وعشرين درهماً ، وكان يعطيه الذهب من عنده خارجاً عن الجامكيّة المقرّرة له ، وكان من أطباء البيارستان ، ومن نصيبه فيه مداواة الممرورين ، ولمّا بلغتني وفاته - رحمه الله تعالى - ؛ قلت أنا فيه :

مِنَ الطّاعونِ قلبي في انْقِلابٍ فَإِنَّ لِكُلِّ مَنْ تَلَقَّاهُ فَنَانِي
وَلَمَّا مَاتَ شَمْسُ الدِّينِ نَادَى كَفَانِي فَقَدْ الْكَفَانِي كَفَانِي

وكننت قد كتبتُ أنا إليه من الرّحبة :

أَمْوَلَايَ شَمْسُ الدِّينِ قَدْ كُنْتُ أَوَّلًا تَحُلُّ مَحَلَّ النُّورِ فِي الْعَيْنِ بِالْأَمْسِ
فَلَا بَدَعَ أَنْ يَسْوَدَ يَوْمِي وَلَيْلَتِي وَقَدْ حَجَبَتْ عَيْنَايَ عَنْ طَلْعَةِ الشَّمْسِ

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك :

طَبِيبُكَ فِي مِصْرَ مَرِيضٌ مِنَ الْجَوَى وَقَدْ قُصَّ مِنْهُ بِالْبَعَادِ جَنَاحُهُ
فِيَا مَنْ لِيذِي سَقَمٍ تَمَكَّنَ دَاوُهُ وَأَفْسَدَهُ مُذْ غَابَ عَنْهُ صَلاَحُهُ

(١) الكشف : ١٤٩٠/٢ ، وهو مخطوط كما في الأعلام .

(٢) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « أو في البيارستان » .

(٣) في (ط) ، (خ) : « كل تركيبة » .

وكتبتُ أنا إليه أيضاً من الرحبة :

وَفَتْقَ زَهْرُهُ مِنْهُ كَامَا	سَلَامَ قَضٍ مِنْ مِسْكِ خِتَامَا
وَشَوْقَ سَلٍّ فِي كَيْدِي حُسَامَا	وَوَصْفَ مَحَبَّةٍ وَحِفَاطٍ عَهْدَا
أَضْمَتْهَا اشْتِيَاقِي وَالْغَرَامَا	وَكَمْ لِي فِي النَّسِيمِ إِلَيْكَ شَكْوَا
حَكَّتْ أَنْفَاسُهَا رِيحَ الْخُزَامَا	وَكَمْ فِيهَا تَحِيَّاتٌ لَطَافَا
فَتَلَكْ هَمَّتْ ، وَهَذَا فِيكَ هَامَا	تَجَانَسَ فَعْلٌ أَجْفَانِي وَقَلْبِي
وَدَمَعُ الْعَيْنِ قَدْ فَاقَ الْغَمَامَا	فَنَارُ الْقَلْبِ لَيْسَ لَهَا خَمُودَا
شُرُوحاً مَلَّ سَامِعُهَا الْكَلَامَا	وَأَمَّا الْحَالُ لَسْتُ أَطِيلُ فِيهَا
وَحِظٌّ عِنْدَهُ تَنْسَى الظَّلَامَا ^(١)	بُلَيْتُ يَعْكُسُ أَمَالِي وَظَنِّي
وَكَانَ فِرَاقُ مَوْلَانَا تَمَامَا	وَعَيْشٌ ضَاقَ فَاتَّسَعَتْ هُمُومِي

يقبّل الأرض ، وينهي بعد سلام اتّسم برقه ، وارتسم برقه^(٢) ، وشوقٍ منع طرفه
 القريح لذة المجوع ، ووحشة علمت جفنه كيف تجري^(٣) الدُموع ، وأسفٍ خيم بين
 المنحنى من الضلوع ، ووجدٍ يشبُّ له جمر الفؤاد ، كلّما أضاء له البرق اللُموع ، وورود
 المثال العالي فقبّل كلّ حرف منه ألفا ، وصاغ لجيده ورأسه وأذنه عقداً وتاجاً وشنفاً ،
 ياله من أفق فضل كلّما غاب بدرٌ أطلّع شمساً ، وبجر أدبٍ إن أعطى سائله لؤلؤاً رطباً
 قذف بعده دُرّاً نفيساً ، وغادة فضح الغزالة نورها ، وتحية فضح قلائد العقيان
 منشورها .

غريبةٌ تُؤنِسُ الآدابَ وَحَشَتْهَا فَمَا تَمَرُّ عَلَى سَمْعٍ فَتَرْتَجِلُ

(١) في الأصل و (ط) : « بكيت » ، وأثبتنا ما . (ق) ، (خ) .

(٢) رق الأولى من الرقة ، والثانية ما يكتب عليه .

(٣) (خ) : « تُدْرى » .

١٤٤١ - مُحَمَّد بن إبراهيم بن يوسف*

ابن حامد الشَّيْخ الإمام تاج الدِّين المراكشي الشَّافعي .

كان فقيهاً ، نبياً نبيلاً ، نحوياً فاضلاً ، أصولياً مناظراً مناضلاً ، عنده غرائب ونكت ، وفوائد لوسمعتها الرازي^(١) ما وسعه إلا أن سكت . جيّد الذَّهن والفهم ، سريعاً إلى إدراك المعاني يكاد يسبق السَّهم ، قويُّ النَّفس ، لا يخضع لأحد ، ولا يكون له دون السُّمو والرَّفعة مُلتحد ، ضيقُ العِطن ، لا يصبر على أذى ، ولا يغضي جفونه من السُّلطان على قذى . أساء الأدب مرّات على قاضي القضاة جلال الدِّين القزويني ، واحتلمه ، ونشر له رداء الحلم واشتمله ، ولَمّا زاد عليه رصع التَّاج بالدَّرّه ، وكَسَر دالها ، فكانت في أيّامه بلا نقطة غُرّه . ثمَّ إنّه زاد في^(٢) تسلَّط لسانه عليه ، فشكاه إلى السُّلطان ، فبقاه مصحَّفاً ، وأخرج إلى الشَّام ، فنشرف فيه من فضائله بُرداً مُفَوْفاً .

ولم يزل بدمشق إلى أن ارتدى بالتَّرب ، وأصبح بعيداً عن العيان ، وهو في غاية القُرب .

وتوفي - رحمه الله تعالى - فجأة بعد العصر من يوم الأحد ثالث عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .
ومولده بالقاهرة بعد السَّبع مئة .

تفقّه بالديار المصريّة على الشَّيْخ علاء الدِّين القونوي - رحمه الله تعالى - ، ولازم الشَّيْخ ركن الدِّين بن القوبع كثيراً ، وأخذ عنه فوائد وإيرادات وما أخذ ، وما يعظّم أحداً مثله . وأعاد في القاهرة بقبة الشَّافعي ، وتولّى بدمشق تدريس السروريّة ،

* وفيات ابن رافع : ٣٠٣/١ ، والدُّرر : ٣٠٠/٣ ، والشُّذرات : ١٧٢/٦ ، والدَّارس : ٣٤٩/١ .

(١) في الأصل : « الراوي » ، وأثبتنا ما في (ط) ، « ق » ، (خ) .

(٢) ليست في (خ) .

وأقام على ذلك مدة ، ثمَّ إنَّه قبل موته بسنة نزل عنها ، وقال : شرط المدرِّس أن يعرف الخلاف ، وما أعرف أحقَّ بهذا الشرط من قاضي القضاة تقيِّ القضاة تقيِّ الدِّين السَّبكي ، وانقطع بدار الحديث بالأشرفية معتكفاً على طلب العلم ، ولم أرَ أحرص منه على ذلك ليلاً ونهاراً ، يدع^(١) طعامه وشرابه لأجل القراءة والاشتغال . وكان ضريباً^(٢) ، ليس له إلا^(٣) بعض نظر من عين واحدة ، وكان لا يفتر عن الطَّلَب إلا إذا لم يجد من يقرأ له ما يريد .

١٤٤٢ - مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الله*

الإمام العالم الثَّقة الصَّالح عزَّ الدِّين أبو عبد الله ابن الإمام عزَّ الدِّين ابن شيخ الإسلام أبي عمر المقدسيِّ الصَّالحيِّ الحنبليِّ .

حدَّث بـ (صحيح) مسلم عن ابن عبد الدائم . ودرَّس بأماكن . وخطَّب بالجامع المظفري .

وكان [على]^(٤) سمت السَّلف ، مواظباً على الجماعات ، وتشجيع الجنائز ، وتلقين الموتى . طلق الوجه ، حسن البشر .

خرَّج له ابن الحبِّ (مشيخة) في أربعة أجزاء ، حدَّث بها غير مرَّة .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - في شهر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبع مئة عن خمسٍ وثمانين سنة .

(١) في الأصل : « ويدع » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٢) (خ) : « ضريب النظر » .

(٣) (ق) ، (ط) ، (خ) : « غير » .

* الدرر : ٢٨٧/٣ ، والشُّذرات : ١٥٧/٦ .

(٤) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .

١٤٤٣ - مُحَمَّد بن إبراهيم*

الشيخ شمس الدين الكردي ، إمام مشهد علي بالجامع الأموي .

حدث عن ابن الواسطي وغيره ، وكان يحفظ (التنبية) ، ويفتي . وكان إماماً في صناعة الحساب .

توفي - رحمه الله تعالى - في سنة تسع وخمسين وسبع مئة .

وكان [عسراً]^(١) في مباشرة الوظائف التي يليها .

١٤٤٤ - مُحَمَّد بن أحمد**

ابن عثمان بن سياوش ، الشيخ الإمام المقرئ الفقيه الصالح ، بقية السلف ، شمس الدين أبو عبد الله الحلاطي الدمشقي الشافعي الصوفي ، إمام الكلاسة وابن إمامها .

كان ديناً خيراً وقوراً ، حسن الشكل ، طيب الصوت إلى الغاية ، جيد المشاركة في القراءات ، والفقه مليح الكتابة .

خطب بالجامع الأموي بدمشق بعد الشيخ شرف الدين .

وتوفي - رحمه الله تعالى - فجأة بعد^(٢) سنة من ولايته في بكرة يوم الأربعاء ثامن شوال سنة ست وسبع مئة ، وحضر الأفرم والأعيان جنازته .

عاش اثنتين وستين سنة . وولي الخطابة بعده جلال الدين القزويني . وكان الناس يقبلون يده ، ويتباركون به ، وما تصل أيديهم إليه من الزحام .

* الدُّرر : ٢٧٩/٣ ، والدَّارِس : ٣٠٦/٢ ، وفيها : « مُحَمَّد بن إبراهيم بن داود بن نصر الكردي » .
(١) زيادة من (ق) .

** الوافي : ١١٩/٢ ، وترجم له مرة أخرى : ١٦٩/٢ ، والإعلام للذهبي : ٢٩٦ ، والدُّرر : ٣٣٥/٣ .

(٢) (ق) ، (ط) : « بعد مدة » .

وهو ممّن كان كاملاً في الإمامة والخطابة لورعه ودينه وصلفه وتواضعه وفضيلته وطيب نعمته وحسن أدائه^(١) ومعرفة الأنعام وفقهه ، وكل ما كان فيه غاية .

١٤٤٥ - مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ *

الشيخ سعد الدين الكاساني^(٢) ، شيخ خاتقاه الطّاحون بدمشق^(٣) .

كان فاضلاً في فنّه على رأي الصّوفيّة ، بصيراً بأقوالهم . قرأ هو والشيخ شمس الدين الأيكي على الشيخ صدر الدين القونوي .

وهو قرأ على الشيخ محيي الدين بن عربي ، وقد شرح قصيدة ابن الفارض التّائية في مجلدين .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في سابع عشر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وستّ مئة .

١٤٤٦ - مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ **

ابن عبد الله بن علي بن عبد الباقي ، العدل الخطيب معين الدين أبو المعالي بن الصّوّاف الإسكندري المالكي الشّروطي .

سمع (أربعين) السّلفي من جدّه . قال شيخنا الذهبي : قرأتها عليه ، وهو أخو شيخنا شرف الدين يحيى . وكان شيخاً صالحاً جليلاً حسن البزّة ، ينوب في خطابة الثّغر ، ويَعْقِدُ^(٤) الوثائق .

(١) في الأصل : « آدابه » ، وأثبتنا ما في (ط) .

* الوافي : ١٤٠/٢ ، والعبر : ٣٩٨/٥ ، وفيه : « سعيد الكاساني » .

(٢) نسبة إلى كاسان ، مدينة كبيرة في أوّل بلاد تركستان وراء نهر سيحون . (معجم البلدان) .

(٣) الدّارس : ١٢٩/٢ .

** الوافي : ١٤١/٢ .

(٤) في الأصل : « ويعتقد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .

توفي - رحمه الله تعالى - في سنة ست وتسعين وست مئة .
ومولده في سنة اثنتين وعشرين وست مئة .

١٤٤٧ - مُحَمَّد بن أحمد بن نوح*

ابن أحمد بن زيد بن مُحَمَّد بن عصفور ، الأديب الفاضل أبو عبد الله الإشبيلي ابن أخت الإمام ابن عصفور [صاحب] ^(١) (المرقب) .
كان شيخاً مطبوعاً حلو المجالسة ، دمث الأخلاق ، متفنناً في الآداب واللغة ، وله نصيب من علوم القرآن والأثر والبلاغة والحساب ، وله اليد الطولى في الشعر .
وكانت فيه ديانة وعفاف ، أخذ عن علماء المغرب ^(٢) ، قال شيخنا الذهبي :
جالسته مرّات .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة تسع وتسعين وست مئة .
ومولده ، بإشبيلية سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

١٤٤٨ - مُحَمَّد بن أحمد بن صلاح**

شمس الدين السرواني ^(٣) الصوفي ، شيخ الخانقاه الشهابية بدمشق ^(٤) .
كان عارفاً بالنجوم والأرصاد والأحكام ، ويُقرئ الفلسفة ، وله مشاركات جيدة في المعقولات .

توفي - رحمه الله تعالى - سنة تسع وتسعين وست مئة .

* الوافي : ١٤٢/٢ .

(١) زيادة من (ق) ، والوافي .

(٢) في الأصل و (ق) و (ط) : « العرب » ، وأثبتنا ما في الوافي .

** الوافي : ١٤٢/٢ .

(٣) في (ط) والوافي : « السرواني » .

(٤) داخل باب الفرج ، بناها علاء الدين الشهابي أيدكين بن عبد الله سنة (٦٧٧ هـ) . الدارس :

١٤٤٩ - مُحَمَّد بن أحمد بن محمد*

ابن أبي بكر بن مُحَمَّد ، الشَّيْخ المقرئ العابد المسند أبو عبد الله الحرَّاني القزَّاز
أبوه ، الحنبلي ابن أخت المحدث سراج الدِّين بن شحانة^(١) .

سمع (صحيح) البخاري من ابن روزبة أو بعضه ، وسمع من إبراهيم بن الخير ،
والمؤتمن بن قيرة ، وأبي الوقت الرِّكبدار ، ومُحَمَّد بن أبي البدر بن المنِّي^(٢) ، وعلي بن
بكرس^(٣) ، ومُحَمَّد بن إسماعيل بن الطَّبَّال ، وتفرَّد بأشياء .

وسمع بمصر من ابن الجَمَيزي ، وسمع (الصَّحيح) من صالح المدلجي^(٤) صاحب
المأموني^(٥) . وسمع من الضِّياء بن النُّعَال ، والشَّرَف المرسِي ، وابن بَنِين^(٦) ، ومُحَمَّد بن
إبراهيم^(٧) الخزومي ، وبحلب من ابن خليل .

وكان زاهداً تالياً لكتاب الله تعالى ، صاحب نوادر ودعابة .

قال شيخنا الذهبي : حدَّثني أَنَّهُ تلا بمَكَّةَ أزيد من ألف ختمة ، وَأَنَّهُ أَتَكَأَ في ميزاب
الرَّحمة ، فتلا فيه ختمة ، فلعله قرأ سورة الإخلاص ثلاثاً . حدَّث بدمشق والحجاز .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة خمس وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان عشرة بجرَّان - فيما زعم - .

* الوافي : ١٤٣/٢ ، والدُّرَر : ٣٥٤/٣ .

(١) عبد الرحمن بن عمر بن بركات (ت ٦٤٣) ، السير : ٢١٤/٢٣ .

(٢) مُحَمَّد بن مقبل بن فتيان (ت ٦٤٩ هـ) ، السير : ٢٥٢/٢٣ .

(٣) علي بن إبراهيم بن علي التميمي الدينوري (ت ٦٤٥ هـ) ، الشذرات : ٢٣٢/٥ .

(٤) صالح بن شجاع بن مُحَمَّد المدلجي (ت ٦٥١ هـ) ، السير : ٢٩٠/٢٣ .

(٥) سعيد بن الحسين بن سعيد العباسي (ت ٥٧٦) ، العبر : ٢٢٩/٤ .

(٦) عبد الغني بن سليمان بن بنين المصري . (ت ٦٦١ هـ) . العبر : ٢٦٥/٥ .

(٧) (ق) ، (ط) ، والوافي : « مُحَمَّد بن عبد الله بن إبراهيم » .

١٤٥٠ - مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ *

ابن قاضي الجماعة ، أبو الوليد بن أبي عمر [مُحَمَّدٌ]^(١) بن عبد الله بن القاضي أبي جعفر بن الحاجّ التّجيبّي الأندلسي القرطبيّ الإشبيليّ المالكي نزيل دمشق ، إمام محراب المالكيّة بالجامع الأموي .

كان وقوراً ، ونصيبه من الدّيانة قد جعله موفوراً ، لم يزل عن النّاس في انقباض ، وبعارفه في رياض ، مُنَوَّر الشّيبه ، موَقَّر الهيبه . كتب بخطّه المليح الصّحيح المغربيّ عدّة كتب ، وأتى بها وهي أضوأ من الشّهب . وذَكَرَ لنيابة القضاة فما وافق ، بل واقف في الإباء وحاقيق .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح أبو الوليد ، وهو تحت الصّعيد .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في يوم الجمعة وقت الآذان ثامن عشر رجب سنة ثمان مئة وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وثلاثين وستّ مئة .

ومات أبوه وجدّه كلاهما في عام إحدى وأربعين وستّ مئة ، وورث مالا جزيلاً ، فتمحّق بمصادرة السّلطان ابن الأحمر له ، أخذ منه^(٢) في وقت عشرين ألف دينار^(٣) ، وعُدّت له كتبٌ جليّة .

ونشأ يتيماً في حجر أمّه ، وتحوّلوا إلى شُرَيْش ثمّ إلى غرناطة . ثمّ إنّه شبّ ، وقدم تونس ، وسكنها خمس سنين . ثمّ إنّه رحل بولديه إماميّ المالكيّة إلى دمشق ، وسكنوها ، وسمعوا من الفخر بن البخاري ، وكانت له جنازة حافلة مشهودة .

* الوافي : ١٤٤/٢ ، والبداية والنهاية : ٩١/١٤ ، والدُرر : ٣٥٠/٣ ، وذيول العبر : ٩٧ .

(١) زيادة من (ق) والوافي والبداية .

(٢) (ط) والوافي : « له » .

(٣) عبارة ابن كثير : « وصار ابن الأحمر جدّه القاضي بعشرين ألف دينار » .

قال شيخنا الذهبي : سمعتُ عليه [حديثاً ^(١) واحداً ، وملكت أنا بخطّه الطّريف (الأذكار) للشيخ محي الدين ، و (رياض الصّالحين) له ، وكتاب (المفصل) للزّحشري . ورأيت بخطّه (شرح مسلم) و (شرح الموطأ) في عدّة مجلّدات ، وكتاب (جامع الأصول) في عشرة وغير ذلك ، ويكتب بخطّه نحو المئة مجلد . وكان منجماً عن النّاس ، وله عدّة كاملة من السّلاح والخيل ، يعدّها للغزاة من ماله .

وكان له ورد من اللّيل ، ورؤيت له المنامات الصّالحة .

١٤٥١ - مُحَمَّد بن أحمد بن أبي نصر*

القدوة الزّاهد شمس الدّين بن الدّباهي ^(٢) البغدادي الحنبليّ .

كان من أكابر التجّار كأيّيه ، ثمّ إنّهُ تزهد ، وقوى نفسه على الوجود ، فتفهد ، ولبس العباءه ، ورفض الملاءه ، واللّذة برفيع الملاءه . وجاور بكّة مدّه ، وتصفّو ، ولقيّ من المشايخ عدّة ، وكان ذا صدق وإنابه ، وخضوع وكّابه ، وله مواعظ نفع بها ، وجرّ الخير بسببها .

وكان بالحقّ قوّالا ، وعلى أُولي اللّعب صوّالا ، وصفاته حميده ، وحركاته سديده .

ولم يزل على حاله إلى أن حلّت أمّ الدّواهي بابن الدّباهي .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

وكان قد قدّم دمشق وصحب الشيخ تقيّ الدّين بن تيمية .

(١) زيادة من (ط) والوافي .

* الوافي : ١٤٣/٢ ، والدّرر : ٣٧٥/٣ ، والشّدرات : ٢٧/٦ ، وذيول العبر : ٦٠ .

(٢) نسبة إلى (دباها) قرية من نواحي بغداد . (معجم البلدان) .

١٤٥٢ - مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ *

القاضي عز الدين الأميوطي .

تفقّه على ضياء الدين عبد^(١) الرّحيم ، والنّصير بن الطّبّاخ . وأخذ أيضاً مذهب مالك عن ابن الأبياري قاضي الثّغر ، وبحث عليه (مختصر ابن الحاجب) ، وقرأ بالسّبع على النّور الكفّتي ، والمكين الأسمر ، وجماعة .

وتصدّر للإقراء ، وتخرّج به جماعة من الفقهاء ، وكان فيه ورع .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في ليلة الخميس سادس شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وقد أكمل خمسة وسبعين عاماً .

وكان حاكماً بالكرك ثلاثين سنة ، وكان يروي كتاب (التّنبيه) بالسّند عن القسطلاني^(٢) عن شيخ ابن سكينه ، عن ابن عبد السّلام ، عن المؤلّف . ويروي (مختصر ابن الحاجب في أصول الفقه) عن شيخ له عن المصنّف ، كذا نقلته من خطّ شيخنا علم الدّين البرزالي . وقال : اجتمعت به في سنة ثلاث وسبع مئة بالكرك ، وأراني (التّنبيه) و (المختصر) وعليهما طبقة السّماع .

١٤٥٣ - مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ **

ابن أسد بن سلامة بن سلمان بن فتيان الشّيباني القاضي الصّدر الرّئيس بدر الدّين بن العطار ، تقدّم ذكر والده القاضي كمال الدّين في الأحدين مكانه .

حضر على الشّيخ تقي الدّين بن أبي اليُسّر في السّنة الثّالثة ، وروى عنه . وسمع

* الوافي : ١٤٤/٢ ، والدّرر : ٣٠٨/٣ ، وذيول العبر : ١٤١ .

(١) في الوافي والدّرر : « ابن عبد الرّحيم » .

(٢) علي بن أحمد بن علي (ت ٦٦٥) ، الشذرات : ٣٢٠/٦ .

** الوافي : ١٤٤/٢ ، والدّرر : ٣٦٧/٢ .

من ابن الصِّيرفي ، والقاضي ابن عطاء ، وابن علان ، وابن الصَّابوني ، والمقداد ، والشيخ شمس الدِّين بن أبي عمر ، وابن البخاري ، وغيرهم .

قال شيخنا : علم الدِّين البرزالي ، ورافقي في سماع (مسند أحمد) و (صحيح) البخاري وغير ذلك ، كتب المنسوب ، وأتى به أنق من تخاريج العذار في خدِّ المحبوب ، ونظم القريض ، وباهى به زهر الرِّوض الأريض ، وباشر نظر الجيش في أيَّام الأفرم ، فحظي عنده ، وصار عَصْدَه في ذلك الوقت وزُنْدَه ، وسم عنده ونادمه ، وصدَّ عنه الأذى وصادمه ، واختصَّ به كثيرا ، وأحلَّه من العزِّ محلاً أثرا ، وما أحمد عَقْبِي ذلك لَمَّا عاد النَّاصر من الكرك ، ووقع من الرِّدى في خبائل موبقة الشَّرِك ، فغودر ، وقد صودر ، ثم انتاشه الله من تلك الورطة ، وأجاب الخلاصُ شَرْطَه .

ولم يزل بعد ذلك على حاله إلى أن لحق أباه ، وسلب الموتُ قلبه ، وسباه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ليلة السَّبْت رابع عَشْرِي ذي القعدة سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، ودُفِنَ بتربة والده بسفح قاسيون .

ومولده في ليلة الجمعة سادس جمادى الأولى سنة سبعين وست مئة .

وكان في أيَّام الأفرم زائد الخطوة لديه ، نادمه ، وعاشره ، وطلع يوماً إلى بستانه ، فوجد الفعول يعملون في طين السَّطوح ، فأخذ الأفرم الحبل بيده ، وفتح^(١) به أسطال طين ، ولمَّا جاء الأمير سيف الدِّين تنكز في الرِّسليَّة إلى الأفرم من عند أستاذه النَّاصر إلى الكرك قام إليه ، وفتَّش حتَّى تكَّه لباسه ، لئلا يكون فيها كتب إلى الأمراء بدمشق . ولمَّا توجَّه مع النَّاس صحبه السُّلطان إلى أن عَوَّقه في مصر ، وصادره ، وأخذ منه مالاً ، وعاد بعد النَّاس بمدة إلى دمشق ، وكان قد وليَ نظر الأشراف وكتابة الإنشاء بدمشق وغير ذلك . وكان حسن المباشرة ، شديد التَّصرُّف ، وشكَّرة النَّاس عند موته^(٢) ، وتألَّموا له ، وتأسَّفوا عليه .

(١) في الأصل و (ق) و (ط) : « مدح » ، ولا تستقيم ، والمتح : انتزاع الماء وغيره بالحبل .

(٢) في الأصل : « عند التصرف صوته » ، سهو .

١٤٥٤ - مُحَمَّد بن أحمد بن شبل *

الفييه الإمام المفتي شمس الدين أبو عبد الله الحريري المعروف بالبغدادى المالكي .
أسره التتار ، وعمره اثنتا عشرة سنة ، ونشأ ببغداد وغيرها ، وتفقه لمالك
- رضي الله عنه - ، وكان كثير الاشتغال والمطالعة ، وأقام بدمشق مدة ^(١) ، وعرض عليه
نيابة الحكم ، فامتنع ، وقال : الشهادة أسلم ، وكان رجلاً مباركاً .
وتوفي - رحمه الله تعالى - ثاني عشرين شعبان سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .
ومولده سنة سبع وأربعين وست مئة .

١٤٥٥ - مُحَمَّد بن أحمد **

الشيخ الصدر الرئيس الفاضل المسند تاج الدين أبو المكارم ابن الشيخ الجليل
المسند الزاهد بقاء المشايخ كال الدين بن زين الدين محمد بن عبد القاهر بن
هبة الله بن النصيب الحلي .
حضر ^(٢) على ابن قيرة ، وسمع من يوسف بن خليل جملة من الأجزاء والكتب ،
وسمع من أبي طالب عبد الرحمن بن العجمي وجماعة .
وولي وكالة بيت المال بجلب مع تدريس العرونية . وولي نظر الأوقاف
وكتابة الدرج .
وجرت له نكبة ^(٣) في أيام طرنتاي في الأيام المنصورية ، وقيد ، وسجن
بالقاهرة مدة . وكان من رؤساء حلب المعروفين .

* الدرر : ٣١٩/٣ .

(١) في (ق) زيادة : « واشتهر بالإفتاء ، وجلس تحت الساعات مع الشهود » .

** الدرر : ٣٥٥/٣ ، وذيل العبر : ٨٥ .

(٢) (ق) والدرر : « أحضر » .

(٣) في الأصل : « نكته » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

وتوفي في ذي القعدة سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده في شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وست مئة .

١٤٥٦ - مُحَمَّد بن أحمد بن عيسى *

ابن رضوان القليوبي^(١) المَحْتَد ، القاضي الفاضل الأديب فتح الدين .

اشتغل بالفقه على مذهب الشافعي على أبيه وعلى^(٢) غيره ، وتأدب . له الشعر الجيد ، والنظم الذي به السمع متقيّد ، يلهمي الندامى عن الأوتار ، ويغنيهم عن معاطاة كؤوس العقار .

وكانت فطرته ذكيّة ، ونفسه فيها بقايا^(٣) من لودعيّه ، واسع الكرم والجود ، لا يُبقي على موجود ، كثير التبذير ، غزير التّنديب والتّندير ، واسع الخيال ، زائد التّوهّم والاحتيال ، إلّا أنّه تعب بخياله ، وحصل له أنكاد منعتة من طيف خياله .

ولم يزل بذلك في نكد ، وما يهبّ نسيم سُعوده ، حتّى يراه وقد ركد .

ولم يزل على حاله إلى أن انقلب القليوبي في حفرته ، وأورث^(٤) أصحابه دوام حسرته .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ليلة ثالث عشر جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده في العشر الأوسط من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وست مئة .

* الوافي : ١٤٥/٢ ، والذّرر : ٣٤٦/٣ .

(١) في الوافي : « العسقلاني » .

(٢) ليست في (ق) .

(٣) (ق) : « بقيّة » .

(٤) في الأصل : « ووارث » ، وأثبتنا ما في (ق) .

حضر هذا فتح الدّين إلى صفد قاضي القضاة ، بعدما عُزل عنها القاضي شرف الدّين مُحَمَّدُ النَّهْاوَنْدي ، وأقام بها قليلاً ، وعاد إلى الدّيار المصريّة . وكان كثير التّخيل والتّوهّم ، فتَوَهَّم شيئاً في قاضي القضاة بدر الدّين بن جماعة ، فحصلت الوحشة بينها ، فأعرض عنه بعد الإقبال عليه ، وجَفَاة ، وأبعده ، وألجأته الضّرورة والحاجة إلى قيام الصّورة ، حتّى ناب القاضي عزّ الدّين عبد العزيز بن أحمد الأشمومي بمدينة المحلّة . ثمّ إنّ حصلت بينهما نفرة من خياله ، فعاد إلى القاهرة ، وأقام بها مدّة لطيفة ، وتوفّي - رحمه الله تعالى - في التّاريخ المذكور .

وله نوادر طريفة ، منها : قال كمال الدّين الأذقويّ - رحمه الله تعالى - : حكى لي فتح الدّين قال : كنت أجلس دائماً فوق الصّدر سليمان المالكي^(١) ، فجاء مرّةً لمجلس قاضي القضاة ابن مخلوف المالكي^(٢) ، فجلس فوق ، فقلتُ لقاضي القضاة : قال ابن شاس^(٣) : إنّ مالكا - رضي الله عنه - كره طول اللّحية جدّاً ، - قوله « جدّاً » وصفاً للكرهية أوّل اللّحية - وكان الصدر طويل اللّحية ، فقام من المجلس . وقلتُ له مرة : من أيّ بلد أنت ؟ فقال : من شبرا مريق ، فقلتُ له : بلدّة مليحة هي ! فقال : ما فيها أكثر من الشّعير ، فقلتُ له : لأجل ذلك^(٤) أخذت في وجهك مخلاة .

وطلبوه مرّةً ليُرْسِلوه إلى العراق ، فجلس معي ، يشكو إليّ ، فقلتُ : يا صدر الدّين ! ما أوقعك في هذه الحرية إلّا هذه الذّقن^(٥) ، فتوجّه الصّدر رسولاً ، ثمّ حضر ، فقال له فتح الدّين : أيّ شيء غمتَ في هذه السّفرة ؟ قال^(٦) : كبرت لحيّتي ، قال : هذه الغنية الباردة .

(١) سليمان بن إبراهيم بن سليمان ، سلفت ترجمته .

(٢) مُحَمَّد بن علي بن مخلوف ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) عبد الله بن مُحَمَّد بن نجم بن شأس الجذامي السعدي شيخ المالكية في عصره (ت ٦١٦ هـ) ، الشذرات : ٦٩/٥ .

(٤) (ق) : « هذا » .

(٥) في الأصل : « الدمن » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٦) (ق) : « فقال له » .

وجع فتح الدّين من هذه الأشياء كَرّاسة ، وسمّاها (تُتَفّ الفَضيلة في اللّحية الطّويلة) .

قلتُ : لوقال : « تُتَفّ الفضيلة في تُتَفّ اللّحية الطّويلة » ؛ لكان ذلك حَسَنًا ، وقد ذكرت هنا ما اتَّفَق للشيخ تاج الدّين الكندي ^(١) والحافظ ابن دحيّة ^(٢) ، وكان الشيخ تاج الدّين جالساً إلى جانب الوزير - أظنّه ابن شكر ^(٣) - ، فجاء ابن دحيّة ، فجلس من الجانب الآخر ، فأورد ابن دحيّة حديث الشّفاعَة ، فلمّا وصل إلى قول إبراهيم عليه السّلام : « إنّما كنت خليلاً من وراء وراء » ^(٤) ، وفتح ابن دحيّة الهمزتين ؛ فقال الكندي : وراء وراء بضمّ الهمزتين ، فعزّ ذلك على ابن دحية ، وقال للوزير : مَنْ ذا الشيخ ؟! فقال : هذا الشيخ تاج الدّين الكندي ، فتسمّع ابن دحية في حقّه بكلمات ، فلم يسمع من الكندي إلّا قوله : هو من كلب قبيح . وصنّف ابن دحية في ذلك مصنفاً ، وسمّاه (الصّارم الهندي في الرّدّ على الكندي) ^(٥) ، وبلغ ذلك تاج الدّين الكندي ، فعمل مصنفاً ، وسمّاه (تُتَفّ اللّحية من ابن دحية) ^(٦) .

قلتُ : قال الشيخ شهاب الدّين أبو شامة ^(٧) : رأيت في (أمالي) أحمد بن يحيى ثعلب جواز الأمرين . انتهى .

قلتُ : قال الأخفش : يُقال : لقيتُه من وراء ، فترفعه على الغاية ، إذا كان غير مضاف تجعله اسماً وهو غير متمكن . كقولك : من قبل ومن بعد ، وأنشد :

-
- (١) زيد بن الحسن بن زيد (ت ٦١٣ هـ) ، السير : ٣٤/٢٢ .
 - (٢) عمر بن حسن بن علي الكلي (ت ٦٢٣ هـ) ، السير : ٣٨٩/٢٢ .
 - (٣) عبد الله بن الحسين (ت ٦٢٢ هـ) ، الشّذرات : ١٠٠/٥ .
 - (٤) انظر : النهاية في غريب الحديث : ٣٣٠/٤ .
 - (٥) الكشف : ١٠٧٠/٢ .
 - (٦) الكشف : ١٩٢٥/٢ .
 - (٧) عبد الرّحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي (ت ٦٦٥ هـ) ، المعبر : ٢٨٠/٥ .

إذا أنا لم أؤمن عليك ولم يكن لقساؤك إلا من وراء وراء^(١)
هكذا أثبتته بالرفع .

رجع ما انقطع من بقية ترجمة القاضي فتح الدين القليوبي : وقال له يوماً
فخر الدين الأحذب المعروف بابن القابلة : كان والدي يدعو الله تعالى أن يرزقه ولداً
نجيباً ، فقال فتح الدين : لا جرم أنك جئت بختياً^(٢) ، قال فتح^(٣) الدين : كان بيني
وبين الجلالهوري صبة ورفقة ، فولي قضاء منية بني خصيب ، فأهدى إليّ بساً ،
فوجدت نواه كثيراً ، فكتبتُ إليه :

أرسلت لي بساً حقيقته نوى عارِ فليس لجسبه جلباب
ولئن تباعدت الجسوم فودّنا باقي ، ونحن على النوى أحباب^(٤)

قلتُ : سبقه إلى هذا التضمن سراج الدين الوراق - رحمه الله تعالى - ، ونقلته من
خطّه ، قال : أهدى إليّ الرّشيد الماورديّ قدور تمر كُرّس ، فكتبتُ إليه من أبيات :

يامن غدا لي واضعاً بقدره قدراً له فوق السماء قباب
جاءت بأنواع النوى ، فجلّبتْ أذماً ، وعارِ ماله جلباب
وعلى التقير لتمرها أثر عفى فهدي إليه الحائرين ذباب
أرجيع مالاك الحجاز بعثته والرّزق سدّ فالديه باب^(٥)
أم خلت زجاجاً أخاك ومصر من شؤم النوى قفر الرّحاب يباب
وإذا تباعدت الجسوم فودّنا باقي ، ونحن على النوى أحباب

(١) من أبيات لمتي بن مالك العقيلي ، أنشدها صاحب اللسان (وري) ، ونقل كلام الأخفش المذكور
عن الجوهرى .

(٢) البخت : ضرب من الإبل الخراسانية .

(٣) في الأصل و (ط) : « جلال » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٤) في الوافي : « وإذا تباعدت » .

(٥) عجز البيت فيه خلل في وزنه .

وأنشدني شيخنا العلامة أبو حيان ، قال : أنشدني فتح الدين المذكور لنفسه :

تظافر الموت والغلاء هذا لعمرى هو البلاء
والناس في غفلة وجهل لوفطين الناس ما أسأؤوا

وأنشدني أيضاً ، قال : أنشدني لنفسه :

إنني لأؤثر أن أرا لك ، ولست أؤثر أن ترائي^(١)
علماً بأنني في السما ع أجل مني في العيان

قلت : من قول الأول :

أنا المعيدي ، فاسد ماع بي ، ولا ترائي

والأصل في هذا المثل المشهور : « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه »^(٢) .

وأنشدني الشيخ أثير الدين ، قال : أنشدني لنفسه :

علقتنه محدثاً شرد من عيني الوسن
حديثه ووجهه كلاهما عندي حسن

قلت : ذكرت هنا ما قلته أنا في محدث :

محدث ذو قوام قوامه في العوالي
وطرفه ليس يغرى إلا ببحر الرجال

وقلت فيه أيضاً :

قال حبيبي لا تحدث بأو صافي من لا عنده معرفه
فإنه لين قدي وإن حدثه عن ناظري ضعفه

(١) (ق) : « ولست تؤثر » .

(٢) انظر : جمع الأمثال : ١٢٩/١ .

وأنشدني الشيخ أثير الدين ، قال : أنشدني في فتح الدين لنفسه :

يا أيها المولى الوزير الذي إفضاله أوجب تفضيله
أحسنت إجمالاً ولم ترضَ بالـ إجمال إذ أرسلت تفصيله
[قلتُ : وذكرتُ أنا هنا قولي :

وقفَ القَضيبُ لِقَدِّهِ لَمَّا مَشَى وَجَرَتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ فِي تَحْصِيلِهِ
رَشَأُ كَسَاهُ الْحَسَنُ مِنْهُ حُلَّةً جَاءَتْ بِجُمْلَتِهَا عَلَى تَفْصِيلِهِ ^(١)

قلتُ : ولفتح الدين المذكور موشحة مليحة أولها :

قَدْ حَدَّثْتُ أَلْسَنَ التَّجَارِبِ بَكُلِّ مَا فِيهِ مَعْتَبَرُ
وَأَنْتَ يَا حَاضِرًا كَفَائِبُ فَلَسْتَ تَصْغِي إِلَى الْخَبَرِ
تَعَايِشَ النَّاسِ مِنْذُ كَانُوا بِالْمَكْرِ وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ ^(٢)
وَخَلَفُوا ذِكْرَهُمْ وَبَانُوا لَمْ يُصْلِحُوا مِنْهُ مَا فَسَدُ
إِلَّا الْقَلِيلَ الَّذِينَ دَانُوا بِالْحَقِّ فِي الْمَسْلَكِ الْأَسَدِ
وَالْكَلَّ لِلتَّرَبِّ فِي سَبَابِ قَدْ أُوْدِعُوا ضِيقَ الْحُفَرِ ^(٣)
قَدْ عَوَمِلُوا بِالَّذِي يُنَاسِبُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَكُلِّ شَرِّ

وقد ذكرتها كاملة في الجزء السابع والثلاثين من (التذكرة) التي لي ، وهي موشحة ^(٤) جيّدة صنعة .

(١) زيادة من (ق) ، (ط) .

(٢) في الأصل و (ط) : « والحقد » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٣) (ق) : « أضيّق » .

(٤) في (ق) ، (ط) : « موشحة مليحة جيدة » .

١٤٥٧ - مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ*

ابن علي ، الشيخ الصالح المقرئ أبو عبد الله البجلي - بالبلاء الموحدة والجيم
المشددة والدال المهملة - الصالح الحنبلي .

سمع من المرسى ، وخطيب مرزا ، وإبراهيم بن خليل . وأجاز له ^(١) الكثير ، منهم
عبد اللطيف بن القبيطي ، وعلي بن أبي الفخار ، وكريمة القرشية . وطال عمره ،
وروى الكثير ، وسمعوا منه قديماً في صباه ابن عبد الدائم (ثلاثيات) البخاري عن
ابن الزبيدي ، ثم إنهم ترددوا فيه ^(٢) .

قال شيخنا الذهبي - رحمه الله - : سألته سنة ثلاث وسبع مئة بكفر بطنا ^(٣) عن
جليّة الأمر ، فذكر ما يقتضي أنّ مولده سنة ست وثلاثين وست مئة ، وأنه من أقران
عبد الله بن الشيخ ^(٤) . وقال : كان لي أخ اسمه اسمي ، ذاك من أقران القاضي
تقي الدين سليمان ، ذاك [مات] صبيّاً ^(٥) .

وكان البجلي ذا نصيب من صلاة وتآله وتواضع وقناعة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - ... سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

وبجد : قرية قريبة من الزبداني .

-
- * الوافي : ١٤٦/٢ ، والدُرر : ٣٢٤/٣ ، والشذرات : ٥٧/٦ ، وفيه : « النجدي » . وذيل العبر : ١٢٤ .
- (١) في الأصل : « لي » سهو ، وأثبتنا ما في (ط) والوافي .
- (٢) في ذيل العبر أن صاحب الترجمة قال : « لم ألحق ابن الزبيدي » .
- (٣) كفر بطنا : من ضواحي دمشق الشرقية .
- (٤) هو عبد الله بن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبي بكر عمر المقدسي (ت ٧٠٨) ، الدُرر : ٣٦٩/٢ .
- (٥) زيادة من (ق) والوافي .
- (٦) كذا بياض في الأصل و (ق) ، وفي الدُرر وذيل العبر أنه توفي في صفر .

١٤٥٨ - مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ **

ابن علي بن سالم بن مكّي شيخ القراء ومسندهم تقيّ الدّين أبو عبد الله المصري الشافعي ، المشهور بالصّائغ .

تلا بعدة كتب على الكمال [الضرير والكمال] ^(١) بن فارس ، والتقي الناشري ^(٢) ، وسمع من الرّشيد العطار وجماعة . وأعاد بالطبرسيّة وغيرها .

وكان شاهداً عاقداً خيراً صالحاً متواضعاً صاحب فنون ، صحب ^(٣) الرّضي الشّاطبي مدّة ، وتضلع من اللّغة ، وسمع (مسلم) عن ^(٤) ابن البرهان . وكان يدري القراءات وعللها ، وتفصيل إعرابها وجملها ، يبحث ، وينظر فيها ، ويعرف غوامض تواجيها وخوافيها .

صنّف خطباً للجّمع ، وأظهر فيه أنّه تعب وجمّع ، وقرأ عليه الأئمّة ، وفضلاء الأئمّة ، وقصّد من أطراف الأرض ، وقام بنقل ^(٥) الإقتان والفرّض .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الصّائغ في الأحياء ضائعاً ، وأمسى نشر الثناء عليه ضائعاً ^(٦) .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في ليلة الأحد ثامن عشر صفر سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

** الوافي : ١٤٦/٢ ، والدّرر : ٣٢٠/٣ ، وغاية النهاية : ٦٥/٢ ، وذيول العبر : ١٣٩ ، والنجوم الزاهرة : ٢٦٦/٩ .

- (١) زيادة من (ق) . وفي ذيول العبر : « تلا بالسبع على الكالين الضرير وابن فارس » .
- (٢) في الأصل و (ط) و (ق) : « الياسري » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهو : عبد الرحمن بن مرهف بن يحيى بن ناشرة ، تقي الدّين ، (ت ٦٦١ هـ) ، غاية النهاية : ٣٧٩/١ .
- (٣) في الأصل : « سمع » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .
- (٤) (ق) ، (ط) ، والوافي : « من » .
- (٥) (ط) : « بنقل » .
- (٦) ضاع المسك : تحرك فانتشرت رائحته .

ومولده سنة ست وثلاثين وست مئة بمصر .

وتلا عليه أئمة مثل إبراهيم الحِكرِي^(١) ، وإسماعيل العجمي^(٢) ، وابن غدِير^(٣) ، وبرهان الدِّين الرُّشِيدِي^(٤) ، وجمال الدِّين بن عوسجة ، وتاج الدِّين بن مكتوم ، وعليّ الحلبيّ الضَّرِير ، وعوض السَّعْدِي ، ومُحَمَّد بن الزَّمردي ، وأبي العباس العكبري النَّحْوِي ، والقاضي بهاء الدِّين بن عقيل^(٥) ، والشَّمس العزب ، وخلق سواهم .
وكتب الخُتمة في سبعة وعشرين يوماً ، وصنَّف خطباً جُمُعيَّة ، وابتدأ كلَّ خطبة بعلامةٍ قاضي .

وتقدَّم للصَّلَاة عليه قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة بعد الظُّهر بجامع مصر ، وحضره خلقٌ كثير ، وحَمِلَ على الأيدي ، ودَفِنَ بالقرافة ، وكان آخرَ مَنْ بقيَ مِنْ مشايخ الإقراء .

١٤٥٩ - مُحَمَّد بن أحمد بن أبي الهيجاء *

الشَّيخ المسند الرَّحلة الصَّدوق شمس الدِّين أبو عبد الله الصَّالحي بن الزَّراد الحريري .

سمع بعد الخمسين من البُلُخي ، ومُحَمَّد بن عبد الهادي وأخيه ، والعماد^(٦) بن النَّحَّاس ، والبلداني ، والصَّدر البكري ، وخطيب مَرُدا ، وابن خليل^(٧) ، والفقيه اليونيني ، وعدَّة .

(١) إبراهيم بن عبد الله ، أبو إسحاق الحكري (ت ٧٤٩) ، غاية النهاية : ١٧/١ .

(٢) إسماعيل بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد (ت ٧٣٧ هـ) ، وفیات ابن رافع : ٢٨/١ .

(٣) مُحَمَّد بن أحمد بن أحمد بن غدِير (ت ٧٣٩) ، غاية النهاية : ٥١/٢ .

(٤) إبراهيم بن لاجين بن عبد الله الرُّشِيدِي ، سلفت ترجمته .

(٥) عبد الله بن عبد الرَّحْمَنِ (ت ٧٦٩) . البغية : ٤٧/٢ .

* الوافي : ١٤٧/٢ ، والدُّرر : ٣٧٦/٣ ، والشُّذرات : ٧٢/٦ ، وذيل العبر : ١٤٨ .

(٦) في الأصل و (ق) و (ط) : « العماد » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٧) (ق) ، (ط) : « وإبراهيم بن خليل » .

وسمع من الكتب ^(١) الكبار ، وتفرّد ، وروى الكثير . وخرّج له شيخنا الذهبي مشيخة .

وكان ديناً متواضعاً ، يتّجر ، ويرتفق ، ثمّ ضعف حاله ، وافتقر ، وساء ذهنه قبل موته ، وتبلغم . وكان له نظم .

وتوفي - رحمه الله تعالى - ثالث عشر شوال سنة ستّ وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة ستّ وأربعين وستّ مئة .

١٤٦٠ - مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ *

الشيخ أبو عبد الله بن الشيخ المحدث كمال الدين بن عبد الرحيم بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن منصور المقدسي الحنبلي ، المعروف بالضيّاء السالك طريق الفقر .

كان شيخاً يخالط الفقراء طول عمره ، وحضر غزوات الظاهر مع [المشايخ ، وسمع من] ^(٢) المزيّ حضوراً ، ومن خطيب مرّداً ، والبكري ، وابن سعد ، ومحمّد بن عبد الدائم ، وجماعة . وله إجازة بعض أصحاب السلفي ، وشهدة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سادس شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وأربعين وستّ مئة .

(١) في (ق) ، (ط) : « وسمع الكتب ... » .

* الدرر : ٣٢٥/٣ .

(٢) زيادة من (ق) ، (ط) .

١٤٦١ - مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ هَبَةَ اللَّهِ*

ابن قُدس تاج الدِّين الأرمَنتي .

كان مَقَرّاً فاضلاً ، وكان يَومُ بالمدرسة الظَّاهريّة بالقاهرة .

توفي - رحمه الله تعالى - بالقاهرة في حدود السَّبع مئة .

ومن شعره :

قَد قُلْتُ إِذْ لَجَّ فِي مُعَاتَبَتِي وَظَنَّ أَنَّ الْمَلَالَ مِنْ قَبْلِي^(١)
 خَسِدُكَ ذَا الْأَشْعَرِيِّ حَنَفِي وَكَانَ مِنْ أَحْمَدِ الْمَذَاهِبِ لِي
 حُسْنُكَ مَا زَالَ شَافِعِي أَبَدًا يَا مَالِكِي كَيْفَ صِرْتَ مُعْتَزِلِي

قُلْتُ : سبقه إلى هذا الأوَّل ، فقال :

وَعُطِّلْتُ مِنْ وَجْهِهِ تِلْكَ الْخُدُودُ الصَّقْلَاءُ
 يَا أَشْعَرِيَّ خَسِدُهُ إِنِّي مِنَ الْمُعْتَزِلَاءِ

والآخر أيضاً فقال :

وَابْنُ عَجُوزٍ قَالَ لِي مَرَّةً يَا هَاجِرِي ظِلْمًا وَلَمْ أَهْجُرْ
 مُعْتَزِلِي صِرْتَ ، فَقُلْتُ أَتَيْدُ وَاعْتَبَ عَلَى مَبْعَرِكَ الْأَشْعَرِي

ولكن قول الشيخ تاج الدِّين الأرمَنتي أجمع ، وألطف ، وأحسن^(٢) من هذا كله

قول القائل - وقد نُسِبَ إلى الشيخ صدر الدِّين بن الوكيل :

هَوَيْتُ شِيعِي وَمِنْ حَظِّي أَنَا سُنِّي لَوْلَا الذَّهَبُ شَافِعِي كَانَ انْتَفَى مِنِّي
 ظَهَرُ وَسَرِيحِي وَكُنْتُ أَحْسِنُ بِهِ ظَنِّي صَارَ مَالِكِي أَشْعَرِي قُلْتُ اعْتَزَلَ عَنِّي

* الوافي : ١٤٧/٢ .

(١) في الأصل : « معاتبي » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي .

(٢) (ق) : « ألطف وأحسن ، وأحسن ... » .

ومن شعر تاج الدين الأرميني :

احفظُ لِسَانَكَ لَا أَقُولُ فَإِنْ أَقْلُ فَنَصِيحَةً تَخْفَى عَلَى الْجُلَاسِ
وَأُعِذْ نَفْسِي مِنْ هِجَائِكَ فَالَّذِي يُهْجَى يَكُونُ مُعْظَمًا فِي النَّاسِ

١٤٦٢ - مُحَمَّدٌ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ فَتُوحَ*

الحديث العالم أبو الفضل المصغوني - بالميم المفتوحة والصاد المهملة الساكنة والغين المعجمة وبعدها واو ونون - الإسكندراني .

قَدِمَ دمشق ، وطلب الحديث سنة ثلاث عشرة وسبع مئة ، وقرأ الحديث ، وسمع من القاضي تقي الدين ، وطائفة ، وقرأ (الصحيح) على بنت المنجأ .

قال شيخنا الذهبي : وعلقت^(١) عنه شيئاً . وكان ديناً عاقلاً فاضلاً ، وحدث عن التاج الغرافي .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ذي الحجة سنة أربعين وسبع مئة .

ومولده قبل الثمانين وست مئة .

١٤٦٣ - مُحَمَّدٌ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَنَعَةَ**

بالنون بعد الميم والعين المهملة - ابن مطرّف بن طريف ، شمس الدين أبو يوسف القنوي الصالح ، الشيخ الصالح المعمر .

سمع من عبد الحق^(٢) بن خلف (جزء ابن عرفة) حضوراً ، وسمع من ابن قيرة

* الوافي : ١٤٨/٢ ، والدُرر : ٣٤٨/٣ .

(١) عبارة الوافي : « ذاكرته وعلقت » .

** الوافي : ١٤٩/٢ ، والدُرر : ٣٦٩/٣ ، والشذرات : ٧٧/٦ ، وذيول العبر : ١٥١ .

(٢) في الأصل و (ط) : « عبد الخالق » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي وذيول العبر .

- إن شاء الله - والمرسي ، واليلداني ، وأجاز له ابن يعيش النحوي والحافظ الضياء ، وإبراهيم بن الخشوعي . وحدث بالكثير .

قال شيخنا الذهبي : كان خيراً أميناً .

توفي - رحمه الله تعالى - في سابع المحرم سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وله اثنتان وتسعون سنة .

وكان يعرف مضيّه للسمع من ابن قيرة بدرب السوسي ، وإنما لم يجزم لأن له أخوين باسمه .

قال شيخنا البرزالي : كان الأخوة الثلاثة يسمعون ، ولكن يترجح هذا لأنه الأكبر .

١٤٦٤ - مُحَمَّد بن أحمد بن محمد*

ابن أحمد بن محمود ، الصدر الرئيس القاضي عز الدين بن القلانسي العقيلي ، ناظر الخزانة بقلعة دمشق ، ومحتسب البلد .

سمع من ابن البخاري (مشيخته) . وحدث ، وسمع منه بعض الطلبة .

وكانت له ديانه ، وفيه مسكة وصيانه ، وعنده للخير محبة وإيثار ، وعنه في حسن المباشرات أحاديث مروية وآثار .

وكان كافياً فيما يتولاه من الوظائف ، وله على العوام سائق^(١) من مهابته وظائف ، شكرت سيرته ، وطهرت لما ظهرت بالأمانة سريره ، لم يعهد الناس منه إلا عفافاً ، ولم يباشر الحسبة إلا ودخل الناس منها جنات ألفافاً .

* الوافي : ١٤٩/٢ ، والدُرر : ٣٦٤/٣ . وفي البداية والنهاية : ١٧٧/١٤ ، وذيل العبر : ١٩١ ترجمة له باسم : « أحمد بن محمد ... » .

(١) في الأصل : « سابق » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

وما زال إلى أن لبّى داعيه ، وسمع الناس ناعيه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بكرة الاثنين تاسع شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة .

وكان شكلاً ضخماً ، عليه مهابة ووقار ، يتحدث وهو مطرق ، ولم يضرب أحداً من السوقة إلا دون العشرة ضرباً خفيفاً ، وله في قلوبهم المهابة العظمى . باشر الحسبة مدة سنين ، ووصل من مصر إلى دمشق في أوائل صفر مباشرةً نظر الخزانة عوضاً عن نجم الدين البصري بحكم ولايته^(١) الوزارة .

ولما شهد جماعة من رؤساء دمشق بأن الصاحب شمس الدين غبريال ، إنما عمر أملاكه من بيت المال ، لأنه كان فقيراً طُلب عزّ الدين المذكور ليشهد بذلك ، فقال . كيف أشهد وهو في كل شهر يُصرف له جامكية من بيت المال بمبلغ عشرة آلاف درهم ؟ وله هذه المدّة الطويلة يتناول ذلك ، ومن كان كذلك لا^(٢) يكون فقيراً ، ولم يشهد . فقالوا له : تُعزل من وظائفك ، فلم يوافق . وعزل من الحسبة ، وبقي بيده نظر الخزانة . وأعجب ذلك الأمير سيف الدين تنكز ، وأثنى عليه ، ولما بلغ السلطان أعجبه دينه ، ولم يحلّ أملاك الصاحب شمس الدين .

١٤٦٥ - مُحَمَّد بن أحمد بن محمد*

القاضي الرئيس الأصيل ، بقية الرؤساء ، عماد الدين بن الصاحب تاج الدين بن الشيرازي ، ناظر الجامع الأموي ، ومحتسب دمشق .

(١) في الأصل : « ولاته » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٢) (ق) ، (ط) ، والوافي : « ما » .

* الدُرر : ٣٦٥/٣ ، وذيول العبر : ٢٧٤ ، والبداية والنهاية : ٢٢٨/١٤ .

كان من الرؤساء بالشَّام ، ومن أولي الحشمة الَّذِينَ [لهم فيها] ^(١) الوجوه الوسام ^(٢) والأيادي الجسام ، عريق في الرِّئاسه ، غريق في السِّيادة والمباشرة والسياسة ، يخدم الناس ، ويتقرب إلى القلوب بسائر أنواع المكارم والأجناس . بزته فاخره ، ووجاهته من شكله ظاهره . بقيّة أولئك الرؤساء الأول ، والأكابر الَّذِينَ تجملت بهم الأيام والدُّول ، باشر الجامع مرّات ، وأثّر فيه من العارة ما يجلب للنفس المسرّات . وباشر الحسبة مرّات عدّه ، فما رأى الناس إلّا كلّ خير أعدّه واستجدّه ^(٣) .

ولم يزل على حاله متنقلاً فيما يتولّاه ، ويباشر أمره ^(٤) ، فيملؤه ماجلاً وحلاًه ، إلى أن دارت عليه طاحون الطّاعون ، وراح مع أولئك القوم الَّذِينَ هم إلى السّاعة ساعون . وتوفّي - رحمه الله تعالى - في شعبان سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق .

وكان قد [تولّى] ^(٥) نظر الجامع الأموي بعد تقّي الدّين بن مراجل ^(٦) في سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة يوم الخميس ثامن شهر ربيع الأوّل . وفي هذا اليوم دخلت أنا في ^(٧) ديوان الإنشاء بدمشق . وأقام فيه مدّة سنين . ثمّ إنّهُ نُقل إلى نظر الحسبة ، وأقام بها مدّة . ثمّ إنّهُ جاء المرسوم في أيّام الصّالح بعزله ، فأقام في المدرسة الطّرخانيّة جوار داره تقدير شهرين ، ووزن بعض شيء ، ثمّ أعيد إلى الحسبة .

وكتبت أنا له عدّة توقيعات منها ما هو بنظر الحسبة ، ومنها ما هو بنظر الجامع

(١) زيادة من (ق) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « الحسام » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، (ط) .

(٣) (ق) : « أو استجدّه » .

(٤) في الأصل : « مرّة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٥) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٦) علي بن عبد الرحيم ، سلفت ترجمته .

(٧) (ط) ، (خ) : « إلى » .

الأموي ، فن ذلك توقيع كتبت له بالحسبة مضافاً إلى نظر الجامع الأموي في جمادى الأولى سنة ست وأربعين وسبع مئة ارتجالاً من رأس القلم ، وهو :

الحمد لله الذي جعل وليّ هذه الدّولة القاهرة عماداً ، ومَلَكه من الرّئاسة التي امتاز بها من ^(١) غيره قياداً ، وثنى الجوزاء تحت يده لَمّا سادَ وسادا ، وبلغَ همتَه ^(٢) العليّة من المفاخر السّامية مراماً ومُراداً .

نحمده على نعمه التي حَسُنَتْ ^(٣) مواقعها عند من ألفها معاجاً ومَعاداً ، ومننّه التي فاقت جواهرها ازدواجاً ^(٤) وازدياداً ، وعوارفه التي تجد النفوس لعرفها ارتياحاً وارتياذاً ، وأياديه التي تتخيّر الاقتراح ^(٥) محاسنها انتقاءً وانتقاداً .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تزعم معاطس من أنكرها عناداً ، وتُخجل من تلفظ بها تقيّة وأضر الباطل اعتقاداً ، وتدحض حجج من أصرّ على البهتان ، وتمالأ ^(٦) ضلالاً وتماذى ، وتنير وجوه قائلها بياضاً يوم تذهل وجوه جاحديها سواداً .

ونشهد أن سيّدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله الذي ارتقى سَبْعاً شِداداً ، وأبلى في أعداء الدّين القيم لله جهاداً ، وجلّى غياهب العجاج والأسنة تحكي النّجوم اتّقاداً ، وحى سرح الحقّ فاضره من عاد إلى الباطل وكاذ وعادى .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الَّذِينَ تسابقوا في حلبة الهُدَى جياداً ، واتّحدوا في سبيل الله حَبّة ووداداً ، وتقلّدوا لِنَصْرِ دينه بياضاً صِفاحاً ، واعتقلوا سُوراً صِعاداً ،

(١) (ق) ، (خ) : « عن » .

(٢) (خ) ، (ق) : « هِمَمَه » .

(٣) (خ) : « أحسنت » .

(٤) في الأصل : « أزواجاً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٥) (ق) : « الأفرح » .

(٦) مخففة من « تمالاً » .

وَنُظِمَتْ جَوَاهِرُ مَعَالِيهِمْ عَلَى جَيِّدِ الزَّمَانِ تَوْأَمًا وَفَرَادَى صَلَاةٍ لَا يَلُ طَرَفُ السَّهَى مِنْ
مِرَاقِبَتِهَا سَهَادًا ، وَلَا يَعْرِفُ الْأَبَدَ لِأَمْدِهَا وَلَا مَدَدَهَا نَفَادًا ، مَا نَزَعَتْ يَدُ الصَّبَاحِ عَنْ
مَنْكَبِ الظُّلُمَاءِ حَدَادًا ، وَنَفَتْ نَسَمَاتِ الصَّبَا عَنْ عَيُونِ الْأَزْهَارِ رُقَادًا ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا
كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وبعد :

فَإِنَّ نَظَرَ الْحَسَنَةِ الشَّرِيفَةِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ مَنْصَبَ جَلِيلِ الْقَدْرِ ، وَمَحَلَّ سَامِي
الْأَقْفِ ، لَا يَطْلُعُ فِي أَوْجِهِ إِلَّا مَنْ تَمَّ تَمَامُ الْبَدْرِ ، وَمَكَانٌ لَا يَسْتَكْنُ فِي دُرَاهِ إِلَّا مَنْ رَفَضَ
عُشَّ الْغَشِّ ، وَلَمْ يَخْضُ فِي غَدِيرِ الْغَدْرِ ، مِنْ وَلِيٍّ أَمْرَهُ عُذِقَتْ بِهِ الْأُمُورُ ، وَعَلِقَتْ بِهِ
مَصَالِحُ الْجُمْهُورِ ، وَسَاسَ الرِّعْيَةِ سِيَاسَةً مَحَبَّتُهَا فِي الْقُلُوبِ وَمَحَلَّتُهَا فِي الصُّدُورِ ، لِأَنَّهُ
يَنْظُرُ فِيمَا ^(١) دَقَّ وَجَلٌّ ، وَكَثُرَ وَقَلٌّ ، وَانْخَصَرَ بِمَقْدَارٍ ، وَضُبُطٌ بِمَثْقَالٍ وَرَطْلٌ وَقِنْطَارٍ ،
وَكُلُّ مَا ابْتَلَعَتْهُ ثُمَّ كِيلَ وَامْتَدَّ لَهُ بَاعُ ذِرَاعٍ ، أَوْ تَحَدَّثَ فِيهِ لِسَانُ مِيزَانٍ تَمَّا يَجْلِبُ مِنْ
تَحْفِ الْبِلَادِ وَنَفَائِسِ الْبَقَاعِ ، وَكُلُّ مَا يَعْمَلُ مِنْ أَنْوَاعِ الْمَعَاشِ ، وَكُلُّ مَا أَمْرُهُ مُحَرَّرٌ
أَوْ سَهْمُ تَقْدِيرِهِ ^(٢) طَائِشٌ ، وَلَهُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَالْحَدِيثُ فِيمَا شَأْنُهُ
أَنْ يُشْكَى أَوْ يُشْكُرَ ، فَهُوَ الْأَمْرُ فِي كُلِّ ذَلِكَ أَجْمَعُ ، وَشَايِبُ تَأْدِيبِهِ تَهْمَعُ ، وَبِرُوقِ
تَهْدِيدِهِ تَلْعُ .

وَكَانَ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ الْعَالِي الْمَوْلُوي الْقَضَائِي الْعِمَادِي مُحَمَّدُ بْنُ الشِّيرَازِيِّ مِنْ قَتْلِ
هَذَا الْمَنْصَبِ خُبْرًا ، وَقَلْبَتُهُ مَعْرِفَتُهُ بَطْنًا وَظَهْرًا ، بَاشَرَهُ مَدَّةَ أَمْدِهَا اللَّهُ بِالْحَاسَنِ
الْبَاهِرِ ، وَجَعَلَ رِيَاضَهَا بِالْعَدْلِ زَاهِرَةً ، وَأَتَى بِيُوتِ الرِّئَاسَةِ مِنْ أَبْوَابِهَا ، وَجَنَى ثَمَرَ
السَّعَادَةِ مِنْ حَدَائِقِ الْإِقْبَالِ مَتَشَاهِبًا ، وَجَاذَبَتْهُ السِّيَادَةُ أَهْدَابَ هُدَاهَا ، وَمَدَّتْ لَهُ الْمَعَالِي
مِنَ الْحَجَرَةِ طَوِيلَ أَطْنَابِهَا ، وَدَرَبَ هَذِهِ الْوُظُفَةَ فَعَرَفَهَا جَيِّدًا ، كَمَا أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ أَخْبَرُوا

(١) (خ) : « مَا » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « تَقْدِير » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ط) ، (ق) ، (خ) .

بشعابها^(١) ، وتشوّقت عوّده إليها تشوّق الرّوض إذا ذوى إلى صوّب الغمام ، وتشوّقت إلى رُجوعه تشوّف المشتاق إلى نوح الحمام .

فلذلك رُسم بالأمر العالي المولوي السُّلْطاني الملكي الكاملِي السَّيْفِيّ - أعلاه الله تعالى - أن يفوّض إليه نظر الحسبة الشّريفة بالشّام المحروس ، لأنّه أفضل من سكتته^(٢) التّجارب ذهبا ، وأولى من درّبته المعارف ، فأظهرته حُساماً ماضي الشّبا .

فليباشر ما فوّض إليه مباشرة ألفها النّاس من سياسته ، وعرفها الأنام من حميد رئاسته ، وعهدها الرّعيّة لمّا أنامهم الأمن في مهّد حراسته ، وشهدها البريّة من جميل أصله ونفاسته ، لأنّ آثار اعتماده في الجامع المعمور للعيون مشاهدته ، وحسنات صنيعه في صحائف الأيّام والليالي خالده ، ومحاسن ما زخرفه في جدرانها على كلّ عامود حالة وعلى كلّ قاعدة قاعده . هذا إلى ما أنماه من أجوره ، وأسماه من إدرار ما عليه من الرّواتب ، حتّى شارك بها الواقف في أجوره ، وأتعب من يأتي بعده حتّى يسدّ مسدّه ، أو يلبث مدّة ما يمدّد قلمه من الدّواة مدّه .

ووصايا هذه الحسبة الشّريفة كثيرة إلى الغايه ، عزيزة لا يقف القلم في سردها عند نهايه ، شهيرة عند معارفه الّتي أصبح فيها آيه ، ولكن القلم يطرق عند مثله لائذاً بالصّمت ، ويحفّ ريق المداد في لهّوات الدّواة هيبه لما يراه فيه من عظمة الوقار وحسن السّمت . فاجر فيها على عادتك الحسنى ، وأوّل النّاس فيها أمناً ومناً ، واستعمل البأس^(٣) في موضعه الّذي يليق به وضعاً ، والرّفق ولكن عزّ مكانه ، فإنّ الغدر والخيانة يكونان في أكثر النّاس طبعاً ، وأمر نوابك - أعزّك الله - أن يحذوا في العفّة^(٤) والأمانة حذوك ، وأن يتلوا في حسن السياسة^(٥) تلوّك ، وأن يصبروا على مرّ طريقتك في

(١) مثّل معروف .

(٢) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « سبكته » .

(٣) (خ) : « النّاس » .

(٤) في الأصل و (ط) : « والعزّ » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « التلاوة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

المباشرة ، إن أرادوا أن تُسوَّغَهم حُلُوك ، ولا شيء يزيِّن الإنسان مثل تقوى الله فإنَّها واسطة العقود في الصِّفات المحمودة ، وزينة الوجود في السَّمات المشهودة ، تَصْدُق يوم القيامة ، إذا كذبت الظُّنون ، وتنفع ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴾^(١) ، وأنت بحمد الله لا ينوب فيها أحدٌ منك ، ولا يَزُرُّ عليها سواك ثيابك ، وإنَّ الخطاب لك ظاهراً ، وأردنا بباطنه نوابك ، فلتكن خُطُوتهم كلَّ خُطْوَةٍ^(٢) ، وجلوتهم [في] كلَّ جَلْوَةٍ^(٣) ، والله يتولَّى إعانتك على ما ولَّاك ويزيدك ممَّا أولَّاك ، والخطَّ الكريم أعلاه ، حِجَّةً بمقتضاه ، إن شاء الله تعالى .

١٤٦٦ - مُحَمَّدٌ بْنُ أَحْمَدَ *

الإمام الفاضل الرئيس الأصيل الشَّيخ عزَّ الدِّين ابن الشَّيخ شمس الدِّين بن المنجنا التنوخي الحنبلي ، ناظر الجامع الأموي ، ومحتسب دمشق أخيراً .

كان حسن الشَّكل والعَمَّة ، مليح الوجه ، يحكي البَدَر وَتَمَّه ، فيه مكارم وإحسان ، ومحاسن قلماً تجتمع^(٤) في إنسان ، غزير المروءة ، كثير الفتوة . حنبلي كثير الاختلاط بالشَّافعيَّة ، ظاهر الذَّكاء فيما يباشره والألمعيَّة ، أثر في الجامع أثاراً حسنة ، وجدَّد فيه التَّرخيم^(٥) والزَّخرفة ، ما أسهر له العيون الوسَّنة .

وكان جماعة للكتب النُّظيفة ، والمجلِّدات الطَّريفة^(٦) ، خَلَّف منها أشياء نفائس ،

(١) سورة الشعراء : ٨٨/٢٦ .

(٢) في الأصل و (ط) : « حظوتهم ... حظوة » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، والأقرب : « في كلَّ خطوة » ، بدليل ما سيأتي .

(٣) في الأصل : « كل جلوم » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، (خ) . والزيادة منها .

* الوافي : ١٥٣/٢ ، وذيول العبر : ٢٥٠ ، والدُّرر : ٣٥٧/٣ ، وفيه : « مُحَمَّدٌ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَثَّانَ بْنِ أَسْعَدَ بْنِ الْمُنْجَا التَّنُوخِيِّ » .

(٤) في الأصل و (ط) : « تجمع » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

(٥) في (ق) ، (ط) ، (خ) : « من الترخيم » .

(٦) (ق) ، (ط) ، (خ) : « الطريفة » .

وكتباً عدّة كالنُجوم الزّاهرة أو الكواكب^(١) العرائس ، وبَهْضَة ما تحمّل من الدُّيون ، وكانت جملةً لوصّورت خارت لها القوى ، وحارت العيون^(٢) ، ولكن لنيّته الجميله ، قام ولده بحملتها الثّقيله .

ولم يزل على حاله في الحسبة إلى أن جاء^(٣) ما لا احتسب ، وقَدِم على ما قدّم واكتسب .

وتوقّي - رحمه الله تعالى - في العشرين من جمادى الأولى سنة ستّ وأربعين وسبع مئة .

ومولده ...^(٤) .

وحَدَّث عن زينب بنت مكي ، وكان قد ولي نظر الجامع الأموي عوضاً عن عماد الدّين بن الشّيرازيّ في يوم عرفة سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وانتقل ابن الشّيرازيّ إلى الحسبة .

١٤٦٧ - مُحَمَّد بن أحمد بن محمد*

الإسكندرانيّ الصّوفي ، شمس الدّين المعروف بابن الفوّيّة - بضمّ الفاء وتشديد الواو والياء آخر الحروف - .

كان ظريفاً لطيفاً شاعراً ، حسن المحاضرة ، جميل المذاكرة ، اجتمعت به غير مرّة بالقاهرة ، وأنشدني من شعره كثيراً .

(١) في الأصل : « الكواكب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، (ط) .

(٢) (خ) : « خارت منها ... وحارت لها العيون » .

(٣) (ق) ، (ط) ، (خ) : « جاء » .

(٤) كذا بياض في الأصول ، وفي الدُّرر : أنه ولد أوّل سنة (٦٨٨ هـ) .

* الوافي : ١٥٣/٢ ، الدُّرر : ٣٦٥/٣ .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر ،
وكان قد نكح آخر عمره ، واقتصر .

ومما أنشدني له قوله :

لي أم من أصلح الناس تدعو	لي رب السماء سراً وجهراً
جعل الله كل يابسة يانو	رعي بين كفيك خضراً
فاستجيب الدعاء في وما رد	ت يذاها من المواهب صفراً
فلذا لا أفوق ظهراً وعصراً	سكرة لا ولا عشاء وفجراً

وأنشدني له أيضاً :

أعجائنا قد أصبحت قلوبهم	وجدأ بحب الخاتاه خافقه
لا تعجبوا فكل كلب نابح	ولا يحب الكلب إلا خاتقه ^(١)

وأنشدني له أيضاً :

وقالوا الشيخ مجد الدين	شيخ الجهالة والبلادة
فقلت وأوحى في الـ	لياط وفي القيادة
[وزيروا إن أردتم	وشيخ النجس زاده] ^(٢)

وأنشدني من لفظه لنفسه أيضاً في نجم الدين وكيل الفخر ، وكان أعور :

ياربنا لي صاحب	بالذنب مدحوشقي
غطيت [منه] عورة	ياخير رب مشفقي ^(٣)
وسترت منه ماضي	يارب فاستر ما بقي

(١) في الأصل : « نائح » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (ق) ، والوافي .

(٢) زيادة من (ط) ، (ق) ، والوافي .

(٣) في (ق) : « ياخير بر » . والزيادة من (ق) والوافي .

ذكرت بهذا التَّهْكُمُ في الدُّعَاء ما نقلته من خطِّ السَّراجِ الورَّاقِ :

طالَتْ مسافَةٌ بيني بينَ الصَّفِيِّ وبينِي
فلا أَمْسُوتُ إلى أن أرى الصَّفِيَّ بعيني

قلت : هذه تورية ، خدمت معه من ثلاثة وجوه :

أحدها : وهو الظَّاهر في بادئ الرَّأي ، من أنه يراه ^(١) بعينه .

والثَّاني : أن يراه ضعيفاً ، « فعيلاً » بمعنى « مفعول » .

الثَّالث : أن يراه بفرد عين أي أعور ، وهكذا يكون النِّظم الَّذِي يُسمع .

وكتب الشَّيخ جمال الدِّين بن نباتة إلى ابن الفَوَّيه :

واحرِبا مِن سَوالِفِ الخَشْفِ والنَّواعِسِ الوُطْفِ

كَمْ لَكَ يا خَشْفُ من قَتَى وامِقْ

لِنونِ صُدْعَيْكَ يعبدُ الخالِقُ

يا لكما من رشا ومن عاشِقْ

مِن ذا وَمِنْ نُونِ صُدْعِ ذا قُلْ في عابِدٍ على حَرْفِ

سكنتَ عِندي بيتاً هو القلبُ

وغيَّبْتَ عن ناظِرِي فلا عتبُ

يفديكَ ^(٢) يا بدرُ هائمِ صَبْ

بمَنْزِلِ القلبِ مِنْهُ تَسْتَكْفِي لا بِمَنْزِلِ الطَّرْفِ

جاءَتْ جَفُونِي ^(٣) بالأدمعِ الحُمَرِ

(١) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « أنه طلب أن يراه ... » .

(٢) في الأصل : « يكفيك » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٣) في الأصل و (ط) : « دموعي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي .

جُودَ ابْنِ فَضْلِ الإِلَهِ بِالتَّبَرِّ
 لِلَّهِ مِنْهُ جَوَادَ ذَا الدَّهْرِ
 يُمْسِكُ جُودَ الْحَيَا عَنِ الْوَكْفِ وَهُوَ جَائِدٌ ^(١) الْكَفِّ
 انْظُرْ لَأَثَارِ مَجْدِهِ الْعَالِي
 وَصُنْعِهِ بِالْعِدَا وَبِالْمَالِ
 صَنْعَةً ^(٢) نَحْوَ بَدِيعَةِ الْحَالِ
 فَالْمَالُ نَحْوُ الْعَفَاةِ لِلصَّرْفِ وَالْعِدَاةُ لِلْحَذْفِ
 خَتَامُ ذِكْرِ الْعِلَافِ بِمِسْكَ
 وَأَنَّ لَفْظِي لِفَضْلِهِ سِلْكُ
 وَصْفِي وَجَدْوَاهُ لَيْسَ يَنْفَكُ
 فَلَيْسَ يَخْلِي يَدَيَّ ^(٣) مِنْ عُرْفِ أَوْ ^(٤) عِلَافٍ مِنْ وَصْفِ
 وَأَعْيَدْ زَارَهُ مُخَالَفَهُ
 وَعَادَ بَعْدَ الْجَفَا يُسَاعِفُهُ
 وَقَالَ لَمَّا مَشَى يُكَاتِفُهُ
 أَصْبَحَ بَعْدَ الْجَفَاءِ وَالْخَلْفِ كَالطَّرَازِ عَلَى كَتِفِي
 فَكُتِبَ شَمْسُ الدِّينِ بْنِ الْفَوَّيَّةِ الْجَوَابُ :

زَهْرَ أَمِ الزَّهْرِ يَانَعِ الْقَطْفِ مِنْ كَأَمِ السَّجْفِ
 رِيَاضُ حُسْنٍ قَدْ رَاضَهَا الدَّلُّ
 مِنْ وَرْدٍ خَدَّ فِيهِ الْحَيَا طُلُّ
 وَأَسْ صُدُغٌ فِيهِ الْحَيَا ظِلُّ

(١) فِي الْأَصْلِ وَ (ط) : « جَامِد » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، وَالْوَاقِي .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « صَيْغَةٌ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، (ط) ، وَالْوَاقِي .

(٣) فِي الْوَاقِي : « تَخْلِي يَدَايَ » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « آه » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ط) ، (ق) ، وَالْوَاقِي .

كَفَفْتُ عَنْ هَصْرِ كَفِّي^(١) إِذْ رَعَيْتُ بِالطَّرْفِ
 مَنْ لِي بِيَدِي حُشَاشَتِي أَفْقَهُ
 يَزِيدُهُ حَسَنَ وَجْهِهِ طَلْقَهُ
 لَوْ جَالَ فِي سَمْعِ عَاذِلِي نُطْقَهُ
 لَقَالَ فِيهِ بِالصَّوْتِ وَالْحَرْفِ
 عَاذِلِي بِلَا خُلْفِ
 قُلْتُ وَصُدْعٌ فِي الْخَدِّ قَدْ عَقَرْتُ
 وَنَمَلُ ذَاكَ الْعِذَارِ فِيهِ دَبُّ
 وَحُسْنُهُ فِي طِرَازِهِ الْمُنْذَهَبُ
 يَا وَاصِدُغٍ مِنْ لَيْنِ الْعِطْفِ
 هَلْ أَتَيْتَ لِلْعِطْفِ
 قَالَ وَأَبْدَى ابْتِسَامَةً دُرًّا
 أُعْطِيتَ نَظْمَ الْجَمَالِ وَالنَّثْرَا
 وَنُطْقَهُ فَاتَّخَذْتَهُمُ ثَغْرَا
 وَصُنْتَهُمْ فِي مَوَاضِعِ الرَّشْفِ
 لَامَوَاضِعِ الشَّنْفِ
 أَشْرَفَ يَا بَنِي نُبَاتَةِ الْأَدَبِ
 وَقَدْ نَشَا فِي الْقَرِيضِ وَالْخَطْبِ
 فَهَمُّ وَلَوْ لَمْ يَضْمَهُمْ نَسَبُ
 بَيْنَهُمْ نِسْبَةً مِنَ الظَّرْفِ
 وَالْبَيَانِ وَاللُّطْفِ
 وَغَادَةً دُونَ حُسْنِهَا الْوَصْفِ
 يُثْقِلُهَا عِنْدَ خُطُوبِهَا الرَّدْفُ
 قَالَتْ وَأَمْوَاجُ رِدْفِهَا تَطْفُو
 هَذَا الثَّقِيلُ رِدْفِي يَعْتَمِدُ خَلْفِي
 أَمْشِي يَنْقَطِعُ خَلْفِي
 قُلْتُ: مَا أَبْدَعَ هَذِهِ الْخُرْجَةَ الدَّاخِلَةَ وَالْأَلْفَاظَ الْجَادَةَ، وَهِيَ هَازِلَةٌ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) في الأصل: «كف»، وأثبتنا ما في (ق)، (ط)، والوافي.

(٢) في الأصل: «إذا»، وأثبتنا ما في (ق)، (ط)، والوافي.

١٤٦٨ - مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ*

ابن حَيْدَرَةَ بن علي القاضي الإمام الفاضل شمس الدِّين أبو عبد الله المعروف بابن القَمَاح المصري الشَّافعيّ .

سمع من أبي إسحاق إبراهيم بن عمر بن مَضَرَ^(١) (صحيح) مسلم إلا قليلاً ، ومن النّجيب عبد اللّطيف والعزّ عبد العزيز ابني^(٢) عبد المنعم بن علي بن الصيّقل الحرّاني ، وعبد الرّحيم بن يوسف بن خطيب المَزّة ، وقاضي القضاة تقيّ الدِّين مُحَمَّدُ بن الحسين بن رزين الشَّافعي^(٣) في آخرين .

وحدّث ، وتفقّه ، وبرع ، وأجاد^(٤) ، وأفقّ ، وأفاد ، وجاد بالعلم ، فأجاد ، وناب في الحكم بالقاهرة ، وشكّرت سيرته الزّاهره ، وكانت فتاويه مُسدّده ، ولياليه وأيامه بالعدل مُجدّده ، وهو آية في الحفظ الَّذي لا يحكيه فيه نظير ، ولا يضبطه فيه حوزة ولا حظير .

ولم يزل إلى أن بان وباد ، وسكن الأرض إلى يوم المعاد .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - سنة إحدى وأربعين وسبع مئة . [ومولده سنة ست وخمسين وست مئة .

وقد أجاز لي بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة]^(٥) .

* الوافي : ١٥٠/٢ ، والدُّرر : ٣٠٢/٣ ، والشَّدرات : ١٣١/٦ ، وذبول العبر : ٢٢١ .

(١) (ت ٦٦٤ هـ) ، العبر : ٢٧٦/٥ ، ويعرف بالرضي بن البرهان .

(٢) في الأصل : « ابن » ، وأثبتنا ماقي (ط) ، (ق) ، (خ) ، والوافي ، وتوفّي عبد العزيز سنة

(٦٨٦ هـ) ، النجوم : ٣٧٣/٧ ، وتوفّي عبد اللطيف سنة (٦٧٢) ، العبر : ٢٩٨/٥ .

(٣) (ت ٦٨٠ هـ) ، العبر : ٣٣١/٥ .

(٤) في (ق) ، (خ) ، (ط) : « وأعاد » .

(٥) زيادة من (ق) ، (ط) ، (خ) ، والوافي .

وكان متى سئل عن آية ، ذكر ما قبلها ، وكذلك يفعل في (التنبيه) ، وهذه غاية لم يصل إليها أحد إلا من من الله عليه بها ، ولعل الإنسان ما يقدر يفعل هذا في الفاتحة . ويحكى أن الحجاج بن يوسف ما كان يمتحن القراء إلا بذلك ما يسأل أحداً منهم إلا يقول له : إيش قبل الآية الفلانية ، فبيّته ذلك المسكين .

وكان ينوب في الحكم على باب الجامع الصالحى بظاهر القاهرة ، ودرّس بالمدرسة المجاورة لقبر الإمام الشافعي بالقرافة - رضي الله عنه - ، وناب عن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة في تدريس الكاملية مدة غيبته في الحجاز ، وجمع مجاميع مفيدة ، وكان على ذهنه تواريخ ووفيات وحكايات وفوائد^(١) ، واختصر كتباً في الفقه ، ولكن كان يتسامح في الأحكام حتى إن قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة كان يمنعه من إثبات كتب الأوقاف .

ولما تولّى ولده قاضي القضاة عز الدين بن جماعة لم يؤله القضاء ، فانتقطع للاشتغال ، وقراءة القرآن .

١٤٦٩ - مُحَمَّدٌ بن أحمد بن عبد الرحمن *

ابن مُحَمَّد تاج الدين بن الشيخ جلال الدين ، الدشناوي محتداً ، القوصي مولداً وداراً ووفاةً .

قرأ^(٢) القراءات على الشيخ نجم الدين عبد السلام بن حفاظ^(٣) ، وسمع على المنذري^(٤) ، والرّشيد العطّار ، وتقيّ الدين بن دقيق العيد ، وشرف الدين الدميّاطي ، وغيرهم .

(١) (ق) ، (خ) : « ونوادر » .

* الوافي : ١٥٠/٢ ، والطالع السعيد : ٤٨٨ ، والدُرر : ٣٥٢/٣ .

(٢) في الأصل : « وقرأ » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٣) عبد السلام بن عبد الرحمن (ت ٦٨٥ هـ) ، الطالع السعيد : ٣٢٠ .

(٤) عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، (ت ٦٥٦ هـ) . العبر : ٣٢٢/٥ .

وحدث بقوص ومصر والقاهرة والإسكندرية . وسمع منه شيخنا أبو الفتح ^(١) ،
والشيخ عبد الكريم بن عبد النور ^(٢) ، وفخر الدين التويري ، وسراج الدين بن
الكويك ^(٣) ، وغيرهم .

وأخذ الفقه عن الشيخ محمد الدين بن دقيق العيد ، وعن والده جلال الدين ،
والشيخ بهاء الدين هبة الله القفطي .

ودرس بالفاضلية بالقاهرة نيابة عن الشيخ محمد الدين بن دقيق العيد ، ودرس
بالعزمية بظاهر قوص ، والمدرسة النجمية والمدرسة السراجية . وأفقي ، وحدث ،
واستبق الخيرات وما تلبث .

وكان قويّ الجنان ، فصيح اللسان ، طيب الأخلاق ، كريم المعاشرة ، جميل
الأوصاف فيما تولاه أو باشره ، مقرئاً محدثاً أديباً ، شاعراً لبيباً أريباً .

لم يزل على حاله إلى أن فارق العيش واستوى عنده الحلم والطيش .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بقوص سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وأربعين وست مئة .

قال كمال الدين الأدفوي : أنشد ^(٤) شيخنا تاج الدين ، قال : أنشدنا الشيخ
شمس الدين التونسي :

أصبر على حادثة أقبلت فهي ساء واء والقي ولت
وأرهف العزم فليس الطبي تفري وتبري كالتى كلت ^(٥)

(١) محمد بن سيّد الناس .

(٢) توفي سنة (٧٣٥ هـ) . ذيول العبر : ١٨٦ .

(٣) عبد اللطيف بن الكويك . (حاشية الطالع السعيد) .

(٤) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « أنشدنا » . وفي الطالع السعيد : « وأنشدني » .

(٥) في الطالع : « تبري وتفري » .

قال : فنظمت هذه الأبيات ، وأنشدتها للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد
فاستحسنها ، وهي :

لَيْتَ يَدَا صَدَّتْ حَبِيْبًا أَتَى لِلْوَضَلِ يَشْفِي غُلَّتِي غُلَّتْ
قَضِيْتُ قَدَمًا مَعَهُ عِيْشَةً يَا لَيْتَ فِيهَا مُدَّتِي مُدَّتْ
لَوْلَمْ أَرْضُ نَفْسِي بِصَبْرٍ غَدَا سَاعَةً صَدَّ جُنَّتِي جُنَّتْ^(١)

قلت : كذا رأيت البيتين الأولين قد ساقهما الفاضل كال الدين جعفر الأدفوي ،
ولو أن فيها حكماً ، لقلت : « اصبر إذا ما حالة حلت » ، فإنها أنسب من قوله :
« حادثة أقبلت » ، وأما بيتا الشيخ تاج الدين الدشناوي الأولان فإنهما في الحسن
غاية ، ولكن البيت الثالث في تركيبه قلق ، وليس بأخ لما تقدمه ، ولو كان لي فيه
حكم ؛ لقلت :

أُفْبِحُ بِصَدِّ جَاءَ لَوْلَمْ يَكُنْ صَبْرِي لِنَفْسِي جُنَّتِي جُنَّتْ
عَلَى أَنَّ الْأَوَّلَ أَيْضاً فِيهِ قَلَقٌ ، وَأَمَّا الْأَوْسَطُ فَإِنَّهُ فِي الذَّرْوَةِ .

وقد كنت نظمت قديماً ، لما وقفت على البيتين الأولين ، وهما مشهوران أبياتاً
من جملتها :

هَـذِي الَّتِي نِلْتُ بِهَا ذُلِّي وَخَلَّتِي فِي الصَّبْرِ قَدْ حُلَّتْ
وَأُدْمَعِي فِي وَجْنَتِي أَطْلَقْتُ وَفِي فُؤَادِي غُلَّتِي غُلَّتْ
خَلَائِقِي وَفَوْقَ غَرَامِي بِهَا فَاسْتَخْبِرْوَهَا مَا أَلَّتِي مَلَّتْ
وقلت^(٢) في جارية لي توفيت :

دَفَنْتُهَا كَالْبَدْرِ تَحْتَ الثَّرَى وَمِنْ شَقَائِي مُدَّتِي مُدَّتْ

(١) الطالع السعيد : ٤٩٤ .

(٢) في الأصل : « وقال » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

كانت إذا ما سيف أجفانها الـ
ما سَجَعْتُ في الأيكِ وَرَقُ الحِمَى
مُرْهَفٌ يَدْعُو لَبَّتِي لَبَّتْ
لكنَّها في عِزِّي عَزَّتْ

قال كمال الدين الأذفوي : وأنشدني لنفسه :

الشَّيْنُ في الشَّيْخِ من شَرِبِ غدا كَدْرًا
فلم تَعَفْهُ نَفوسُ الغانِياتِ سُدًى
والياءُ من يَأْسٍ أن تَصْبِرَ إليه وقد
بَدَتْ لها لَحْمَةٌ من شِيبِهِ وسَدَى
والخاءُ من خَوْفٍ أن تُقْضِيَ لَهُ فَتْرَى
ما ابْيَضَّ من شَعْرِهِ في جِيدِها مَسَدًا^(١)

قال كمال الدين : ومِمَّا نظَّمته أنا في ذلك :

الشَّيْنُ في الشَّيْخِ من شَيْنٍ أَلَمَ بِهِ
والياءُ يَأْسٌ مِنَ اللَّذاتِ والهِمَمِ
والخاءُ من خَاَمَرَ العَقْلَ الصَّحِيحَ أَذَى
يَقْصِي قِوَاهُ وَيُدْنِيهِ مِنَ العَدَمِ^(٢)

قلت : شعر كمال الدين أخصر وأحسن وأفصح وأمتن . وقد نظمت أنا في هذا المعنى في أقصر وأخصر فقلت :

الشَّيْنُ في الشَّيْخِ شَيْنٌ
والياءُ يَأْسٌ تَبَيَّنُ
والخاءُ خِسرانٌ عُمِرُ
وَالْحَيْنُ مِنْ ذَا تَعَيَّنُ

ومن شعر تاج الدين الدِّشَاوِي :

ولولا رَجائي أَن شَمَلِي بَعْدَما
تَشَتَّتَ بِالْبَيْنِ المُشْتِ سَيُجْمَعُ
لَمَّا بَقِيَتْ مِنِّي بَقايا حُشاشَةٍ
تُحالُ على طَيفِ الخيالِ فَتَقْنَعُ^(٣)

(١) الطالع السعيد : ٤٩٥ .

(٢) (ق) : « خامر الجِسم » . وفي الطالع السعيد : « .. الجسم .. يفصي .. » . وأفصى : بالفاء والصاد

المهمله : خرج واتقضى .

(٣) الطالع السعيد : ٤٩٥ .

قلت : لولا الزيادة التي ألحقها في آخر البيت الثاني ؛ لكان معنى بيتيه في بيت واحد من قول الأول :

ولولا رجاء القلب أن تعطف النوى لما حملته بينهن الأضالع
ومن شعرتاج الدين - وقد جوّده - :

عَجَزْتُ عن قصّة الطيب وعن قصّة أخذ الشراب إن وصّفه
والحال أبَدْتُ لِمَنْ يميّزها تعجباً ساء مصدرأ وصّفه^(١)

قلت : جمع في هذا البيت الثاني الحال والتّمييز والتّعجب والمصدر والصفة بتركيب سهل عذب .

١٤٧٠ - مُحَمَّد بن أحمد بن تمام*

ابن كيسان أبو عبد الله الصّالحي الحياط ، الشّيع البركة ، أخو الشّيع تقيّ الدّين بن تمام^(٢) - وقد تقدّم ذكره . -

سمع من عمر بن عوّة التّاجر^(٣) ، وتمام السّروري ومن ابن عبد السّدام ، وعبد الوهاب بن مُحَمَّد ، ومن والده عن القزويني .

كان رجلاً صالحاً ، منجماً عن يراه طالحاً^(٤) ، له أُبْهة في الصّدور ، وعلى وجهه لُحّة^(٥) من جمال البدور ، هشاً بشاً بسّاماً ، ليّن الكلمة بالمعروف ، قوّالاً قوّاماً . صَحِبَ

(١) الطالع السعيد : ٤٩٥ .

* الوافي : ١٥٢/٢ ، وفوات الوفيات : ٣١٤/٣ ، والدّرر : ٣١١/٣ ، والشّدرات : ١٣١/٦ ، وذيول العبر : ٢٢٠ ، وسلفت ترجمة أخيه عبد الله بن تمام بن حسان ، كذا ، بدل (كيسان) .

(٢) في (ق) ، (ط) ، والوافي : « عبد الله بن تمام » .

(٣) هو عمر بن أبي نصر الجزري السّفار . (ت ٦٥٦ هـ) . العرب : ٢٣٤/٥ .

(٤) في الأصل : « طالحاً » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٥) (ق) : « مسحة » .

الأخيار ، وأسمع الأحاديث والأخبار . يرتزق من الخياطة ، ومِمَّا يُفْتَحُ عليه مِمَّنْ يأتي رباطه . يُؤَثِّرُ من جمع ما يملك ويؤَثِّرُ ، وَيَصْبُرُ ولا يَمُنُّ بذاك ولا يَسْتَكْثِرُ^(١) . وكان قد تفقّه قليلاً ، واعتزل طويلاً .

ولم يزل على حاله إلى أن التحق بالرَّحْمَن ، وأُدرِجَ في الأكفان .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، وشيَّعه خلق كثير ، وموته في ثالث عشر شهر ربيع الأول من السَّنة المذكورة .

ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .

خَرَجَ له شيخنا الذهبي (مشيخةً) في جزء ضخم .

وسَمِعَ منه خَلْقٌ كثير ، وطال عَمْرُه ، وَحَدَّثَ أَكْثَرَ من أربعين سنة ، وصَحِبَ الأخيار ، ورافق الإمام شمس الدِّين بن مُسَلِّم^(٢) ، والشيخ علي بن نفيس^(٣) .

وكان الأمير سَيْف الدِّين يُكْرِمه ويزوره ، ويذهب هو إليه ، ويشفع عنده .

ومَتَّعَ بحواسِّه ، وأبطأ شَيْبُه ، وروى عن الْمُؤْتَمِن بن قُميرة .

وأجاز لي بخطه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة بدمشق .

١٤٧١ - مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الهادي*

ابن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن مُحَمَّد بن قدامة ، الشيخ الإمام الفاضل الملقَّب بالذَّكي النِّحْرير شمس الدِّين الحنبلي .

(١) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمُنُّ بِتَسْكَثُرٍ ﴾ ، [المدثر : ٦٧٤] .

(٢) للسم بن مُحَمَّد بن للسم (ت ٦٨٠) ، العبر : ٣٣٢/٥ .

(٣) علي بن مسعود بن نفيس ، سلفت ترجمته في موضعها ، ووقع في الأصل و (ق) و (ط) : « يعيش » ، سهو .

* الوافي : ١٦١/٢ ، ووفيات ابن رافع : ١٩٠/١ ، والبداية والنهاية : ٢١٠/١٤ .

سمع القاضي تقي الدين سُلَيْمان بن حمزة ، وأبا بكر بن عبد الدائم ، وعيسى المطمَع^(١) ، وأحمد الحجَّار . وأكثر عن محمد بن الزرَّاد وسعد الدين بن سعد^(٢) ، وعدة . وتفقه بالقاضي شمس الدين بن مُسلم ، وتردَّد كثيراً إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية . وأخذ العربية عن أبي العباس الأندرشي^(٣) ، وعلّق على (التَّسهيل) ، مجلدين تأدَّى بذلك منه^(٤) أبو العباس الأندرشي ، وأخذ بعض القراءات تفقهاً عن ابن بَصَّحان .

وحفظ كتباً منها (أرجوزة) الخُوَويّ في علم الحديث و (الشَّاطِبيّة) و (الرائية) و (المقنع) و (مختصر ابن الحاجب) . وعلّق على أحاديثه وعمل تراجم^(٥) الحَقَّاط ، وعمل (كتاب الأحكام) ولم يكمل . قيل لي بأنّه^(٦) مجلّدات . وله غير ذلك .

كان ذهنه صافياً . وفكره بالمعضلات وافياً ، جيّد المباحث ، أطرب في ثقله من المثاني والمثالث . صحيح الانتقاد ، مليح الأخذ والإيراد ، قد أتقن العربيّه ، وغاص في لجّتها على فوائدها ونكتها الأديبة ، وتبحّر في معرفة أسماء الرجال ، وضيقَ على المزيّ فيها المجال .

نزل أخيراً عمّا يبيده من المدارس ، وعدّها من الأطلال الدّوّارس ليكون مُقرَّعاً للإشغال^(٧) ، ويترك ما هو دون ويأخذ ما هو غال ، ولو عمّر لكان عجباً في علومه ، ونقطة البدر طرباً منه بنجومه ، ولكن اجتثَّ يانعا ، ولم يجد له من الحِمام مانعا .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في العشر الأوّل من جمادى الأولى سنة أربع وأربعين

وسبع مئة .

(١) في الأصل : « المعظم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، (خ) .

(٢) يحيى بن مُحمَّد بن سعد ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل و (ط) : « الأنلسي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، والوافي ، وهو أحمد بن سعد . سلفت ترجمته .

(٤) في الأصل : « أنّه » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٥) في الأصل : « على تراجم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، والوافي .

(٦) (ق) ، (ط) ، (خ) : « إنّه » .

(٧) (ق) ، (خ) : « للاشغال » .

ومولده سنة خمس وسبع مئة .

كان من أفراد الزمان ، رأيته يوافق شيخنا جمال الدين المزي ، ويرد عليه في أسماء الرجال ، واجتمعت به غير مرة ، وكنت أسأله أسئلة أدبية وأسئلة عريية ، فأجده فيها سيلاً يتحدر ، ولو^(١) عاش كان عجياً .

١٤٧٢ - محمد بن أحمد بن بدر بن تبّع *

الشيخ المقرئ صلاح الدين أبو الحسن البعلبكي القصير .

روى عن ابن عبد الدائم . قال شيخنا البرزالي : وذكر لنا أنه حدث ببغداد لمّا سافر إليها لاستنقاذ ولده .

وكان رجلاً جيّداً فيه خيرٌ ودينٌ ومعروف ، وعنده مروءة ، مواظبٌ على قراءة القرآن .

توفي - رحمه الله تعالى - بالدرسة الرواحية سابع عشر جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وأربعين وست مئة . وشيّع جاعة .

١٤٧٣ - محمد بن أحمد بن سليمان الدلاصي **

الشيخ المعمّر صدر الدين .

حدث عن ابن خطيب المزّة ، وتجاوز الثمانين .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بالقاهرة سنة ست وخمسين وسبع مئة .

(١) (ق) ، (ط) ، (خ) : « لو » .

* الدرر : ٣١١/٣ .

** الدرر : ٣١٨/٣ ، وذيول العبر : ٣٠٨ .

١٤٧٤ - محمد بن أحمد بن يعقوب *

كال الدين أبو عبد الله^(١) الدمشقي الكاتب .

بأش كتابه الإنشاء ، وتنقل بها في حنايا بلاد وأحشاء ، وكان يكتب سريعاً ، ويجعل الطرس بقلمه روضاً مريعاً ، إلا أنه لا ينشئ شيئاً ، ولكنه يجعل له في التقييد ظلاً^(٢) وفيئاً .

وكان في خلقه حدة ، وفي ممارسته شدة . لا يزال طالباً ما لا يمكنه ، جالباً لنفسه من الشر والنكد ما يوهي جلده ويوهنه ، يتخيل حتى من حبيبه ، ويتحيل على من يكون من أنصاره ليجعله بمنزلة رقيه ، فضى عمره في أنكد ، وقضى وفي القلوب منه أحقاد .

ولم يزل على حاله إلى أن نقص كآله ، وذهب في طلب المالح روجه وماله . وتوفي - رحمه الله تعالى - في أوائل شهر ربيع الأول سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

ومولده في نيف وسبع مئة .

طلب الحديث في وقت ، ودار على الشيوخ ، وكتب الطباقي ، وسمع من الحجار ، والنفيف الأمدي .

وكان قد توجه لتوقيع الرحبة ، ووكالة بيت المال عوضاً عني في سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وأقام بها مدة ثم حضر إلى دمشق .

* الوافي : ١٤٨/٢ ، والدُرر : ٣٧١/٢ ، والنجوم الزاهرة : ١١/١١ ، وذيل العبر : ٣٤٦ .

(١) زاد في الوافي : « الهاشمي الجعفري » .

(٢) في الأصل و (ط) : « ظلاً » ، وأثبتنا ما في (ق) .

وتوجّه لتوقيع جَعْبَر ، وأقام بها مُديدة ، وحضر إلى دمشق ، وبأشَر ديوان^(١) الأمير سيف الدّين تنكز - رحمه الله تعالى - . ثم توجّه إلى مصر ، وبأشَر في ديوان الأسرى بدمشق ، ويّده فقاهات في المدارس .

ولَمّا كان في أواخر أيام الأمير سيف الدّين يلغيا نائب دمشق نزل له ابن البيّاعة^(٢) عَمّا باسمه على كتابة الإنشاء بدمشق ، فدخل ديوان الإنشاء^(٣) ، ثم إنّه توجّه إلى الحجاز في سنة ثمان وخمسين وسبع مئة ، وعاد مع الركب المصريّ . فاتفق أنّه مات في تلك الأيام شرف الدّين موقع غزة ، فاستخدمه القاضي علاء الدّين بن فضل الله في توقيع غزة ، فحضر إليها ، وباشرها مدة بنفس قويّة حتى على النّوّاب . فنفرت القلوب منه ، وكثرت الشكاوى عليه بباب السّلطان ، فرسِم بعزله ، ومع عناية القاضي علاء الدّين معه خرّج منها ، وقد كاد يعطب . وكان قد نزل عن بعض جهاته لقاضي غزة من^(٤) مباشرة الأسرى ، وقام باسم أولاده على كتابة الإنشاء بدمشق ، وأخذ من القاضي الخطابة بجامع الجاولي ، والتدريس .

حكى لي^(٥) القاضي شرف الدّين قاضي غزة أنه صعد المنبر ، فقال : الحمد لله . وسكت ساعة ، ثم قال : الحمد لله ، وسكت ساعة^(٦) ، فعَل ذلك مراراً ! حتى إنّه قال لي النّائب : قُم أنت اخطب ، فخطبت عنه ذلك النهار ، ولَمّا حضر إلى دمشق رسم السّلطان الملك الناصر حسن بإبطال من استجد بديوان الإنشاء بعد الشهيد ، فبطل هو لأنّه كان قد قايس قاضي غزة بماله على كتابة الإنشاء من الأيام الشهيدية ، وأبقى له على ذلك ما استجِدّ ، فجرت بينه وبين^(٧) القاضي مخاصمات ومحاورات ومحامكات كادت

(١) في (ق) ، (خ) : « في ديوان » .

(٢) مُحَمَّد بن سليمان ، ستأني ترجمته .

(٣) هنا تنتهي ترجمته في الوافي .

(٤) (ق) : « عن » .

(٥) (ق) ، (خ) : « لنا » .

(٦) ليست في (ق) ، (خ) .

(٧) (ق) ، (خ) : « منه ومن » .

تفضي إلى ملائكة ، ولم يثبت له شيء ، فتوجّه إلى مصر ، فرض مرضةً طويلة بالبيمارستان المنصوري ، ثم إنّه خرج في محارة مع العرب ، فلمّا كان بين سرياقوس والقاهرة ، أو بعد سرياقوس ، توفّي - رحمه الله تعالى - فحمله العرب إلى بلّيس ، ودُفن بها عفا الله عنه وسامحه .

وكان أولاً يعرف بالزّينبي ، ثم إنّه أخيراً كتب عن نفسه الجعفري . وكان إذا خاصم أحداً يقول : أنا ابن بنت رسول الله ﷺ ، فقلت له : يا مولانا السيّد كنّ ، أعرف ما تقول إن كنت جعفرياً فهذه نسبة إلى جعفر الطيّار أخي علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وجعفر ما تزوّج بينت رسول الله ﷺ ، والذي تزوّج بها أخوه علي بن أبي طالب ، فإن أردت النسبة إلى بنت رسول الله ﷺ فقل أنا علويّ ، لأنك تكون من أولاد الحسن أو الحسين رضي الله عنهم . فأخجله هذا ، ولم يرجع عن هذه الدعوى ، سامحه الله وعفا عنه .

وكان مُبغضاً إلى كل ^(١) من يرافقه من فقهاء المدارس ، وكُتّاب الجامع الأمويّ وكُتّاب الإنشاء حتى أنشدني فيه بعض الناس :

يَا حَبِّ لِي فِيكَ وَاشْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يُوقِعْ
وَمَالَاهُ مِنْ مُحَبٍّ مِثْلَ الشَّرِيفِ الْمُوقِعْ

وأنشدني من لفظه لنفسه القاضي شمس الدّين محمد بن شرف الدّين عيسى بن قاضي شعبة في ذلك :

وَلَرُبَّ خِلٍّ قَالَ لِي يَهْنِيكَ قَدْ
وَكَسْتُكَ أَيْدِي الدَّهْرِ ثَوْبَ شَيْبَةٍ
وَأَنَا لَكَ الدَّهْرُ الْخَوْنُ قِيَادَهُ
وَصَفَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَوَسَّعَ رِزْقُهَا
فَأَجَبْتُ قَدْ أَفْرَحْتُ لَكِنْ لَمْ تَقُلْ
عَطَفَ الْحَبِيبُ وَزَارَ بَعْدَ تَجَنُّبِ
مَاعِشَتَ عَنْكَ جَدِيدُهُ لَمْ يَذْهَبِ
وَأَمِنْتَ مِنْ صَرْفِ الرَّدَى الْمُتَغَلَّبِ
فَمَلَّ بِالْحُبُوبِ وَاشْرَبَ وَاطْرَبَ
وَكَذَاكَ قَدْ مَاتَ الْكَمَالُ الزَّيْنَبِي

(١) ليست في (ق) ، (خ) .

وأُشْدِنِي من لفظه لنفسه غير ذلك في هذا المعنى ، والجميع مُثَبَّتٌ في الجزء الثالث والثلاثين من (التذكرة) التي لي .

١٤٧٥ - محمد بن أحمد بن علي بن عبد الكافي*

الشيخ تقي الدِّين أبو حاتم ابن الشيخ الإمام العلامة بهاء الدِّين أبي حامد ابن شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدِّين السبكي الشافعي .

تَقَدَّمَ ذِكْرُ جَدِّهِ وَذِكْرُ عَمِّهِ فِي مَكَانَيْهِمَا مِنْ حَرْفِ الْعَيْنِ وَالْحَاءِ .

شَابُّ شَبٍّ عَلَى الْمَهْدَى ، وَدَبُّ إِلَى النَّدَى ، وَحَثُّ^(١) فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَدَبُّ فِي حِمَى^(٢) الْكَرَمِ وَالْحِلْمِ ، فَخُطِبَ وَدُرِّسَ ، وَسُرِيَ إِلَى الْمَعَالِي وَمَا عَرَّسَ ، مَا وَصَلَ هَلَالَهُ إِلَى الْإِبْدَارِ ، وَلَا انْفَصَلَ زَلَالَهُ عَنِ الْإِكْدَارِ حَتَّى قُصِفَ غُصْنُهُ الْمَائِلَ ، وَخُسِفَ بَدْرُهُ الْكَامِلَ ، وَقُجِعَ بِهِ أَبُوهُ وَعَمُّهُ ، وَدَفِعَ إِلَى كُلِّ مِنْهَا فِيهِ هَمُّهُ وَعَمُّهُ ، فَعَطَلَتْ غُصُونُ الْمُنَابِرِ مِنْ وَرَقَائِهِ ، وَخَمَلَتْ فَنُونُ الْمَدَارِسِ مِنْ إِلْقَائِهِ .

وَتَوَفَّيَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي ...^(٣) مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْفَرْدِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ وَسَبْعِ مِئَةٍ .

وَمَوْلَدُهُ فِي غَالِبِ الظَّنِّ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْفَرْدِ سَنَةِ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِ مِئَةٍ .

كَانَ هَذَا تَقِي الدِّينِ أَبُو حَاتِمٍ قَدْ نَشَأَ أَحْسَنَ نَشْأَةً ، وَرَبِّي خَيْرَ مَرْبِيٍّ ، اجْتَهَدَ جَدُّهُ قَاضِي الْقِضَاةِ تَقِي الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَمَّا كَانَ عِنْدَهُ بِدْمَشَقَ ، وَحَفَظَ الْقُرْآنَ ، وَ (التَّنْبِيْهِ) ، وَ (الْعُمْدَةُ) فِي الْأَحْكَامِ . وَحَفَظَ هُوَ بِالْإِدْيَارِ الْمَصْرِِّيَّةِ كِتَابَ (جَمْعُ

* الْبَلَايَةُ وَالنَّهَايَةُ : ٣٠١/١٤ ، وَالذَّيْلُ النَّامُ : ١٩٧ .

(١) فِي (ق) ، (ط) : « وَخَب » .

(٢) (ق) : « وَدَبُّ عَنْ حِمَى » ، وَهِيَ أَشْبَهُ .

(٣) كُنَّا بَيَاضَ فِي الْأَصُولِ ، وَعِبَارَةٌ ابْنُ كَثِيرٍ : « فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ رَجَبِ » .

الجوامع) لعمه قاضي القضاة تاج الدين . وولاه السلطان مدارس والده وخطابة جامع ابن طولون ، فقام بجميع ذلك أتم قيام ، وسدّ وظائفه كلها على أحسن نظام ، ولبسَ تشریفاً في دمشق وألقى به الدرس في العادلية في حياة جدّه سنة ست وخمسين وسبع مئة ، وعمره يومئذ دون الاثنتي عشرة سنة .

وعلى الجملة ، فكان من نجباء الأبناء ، ولكن جاءه أجله مبكراً .

ولما مات توجه والده إلى الحجاز ولحق بالركب الرحبي ، ولم يلق بعده قراراً ، وضاعت رحاب القاهرة به^(١) ، وهو معذور في هذا الولد إذا ضاقت به الأرض فضلاً عن البلد .

وكتبت إلى عمه قاضي القضاة تاج الدين أعزّيه بقصيدة هي :

وغير مُسْتَشَى بَنَى	وَأَبَا حَاتِمٍ
لَا نَفْسُ مَخْدُومٍ وَلَا خَادِمٍ	وَلَيْسَ تَنْجُو مِنْ وَرُودِ الرَّدَى
وَلَا بُدَّ أَنْ تُفْضِيَ إِلَى فَاصِمٍ ^(٢)	وَكُلَّ عُمْرٍ فَلَهُ عُرْوَةٌ
وَكُنَّا فِي غَفْلَةِ النَّائِمِ	وَالْمَوْتُ يَقْظَانُ لِهَذَا الْوَرَى
عَنْ مُلْتَقَى جَزَارِهِ الْغَاشِمِ ^(٣)	كَالذَّوْدِ فِي الرَّعْيِ بِهِ غَفْلَةٌ
لَا بُدَّ مِنْ إِدْرَاكِهَا الْإِلَازِمِ	وَكُنَّا يَسْعَى إِلَى غَايَةٍ
مَنْ كَفَّ سَاقٍ لِلْمُنَى حَاسِمِ ^(٤)	وَنَشْرَبُ الْكَأْسَ الَّتِي ذَقْتَهَا
تَأْتِي عَلَى الْمُحْسِنِ وَالْجَارِمِ ^(٥)	وَقَدْ تَسَاوَى النَّاسُ فِي شُرْبِهَا
وَلَيْلٍ شَعْرِ لِلصَّبَا فَاحِمِ	لَهْفِي عَلَى نَجْمِكَ لَمَّا هَوَى

(١) (ق) : « به بعده » .

(٢) في الأصل : « قاصم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٣) في الأصل : « كالبود » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) ، وفيها أيضاً : « المرعى » .

(٤) في الأصل : « وتشرب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٥) في الأصل : « والجازم » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

قد كُنتَ فِيهِ نَدْرَةَ الْعَالَمِ^(١)
 هِ النَّاسِ مَا دَارَ عَلَى الدَّارِمِ
 جَدُّكَ يُمْلِيهِ عَلَى الرَّاقِمِ^(٢)
 حَيَّانَ حَيٍّ أَوْ أَبُو حَاتِمٍ
 بِلَاغَةٍ مَا حَازَهَا الْغَنَائِمِ
 كَالدَّرِّ يُزْهِى فِي يَدِ النَّاطِمِ
 جَاحِظٌ وَالرَّاعِبُ وَالْحَاتِمِ
 وَذَاكَ مِثْلُ الْفُصْنِ النَّبَاعِمِ
 وَلَا دُرُوسَ الْعِلْمِ مِنْ رَاحِمِ
 كَالذَّوْدِ إِذْ أَمْسَى بِلَا سَائِمِ
 تَرَكْتَهُ بَعْدَكَ كَالْمَهِائِمِ
 بَلْ كَانَ فِي إِغْفَاءَةِ الْحَالِمِ
 أَمَلُهُ فِي ظَنِّهِ الزَّاعِمِ^(٣)
 لَدُ اللَّهِ فِي أَمْرَائِهِ سَالِمِ
 رَاحَ بِأَنْفٍ فِي الْوَرَى رَاغِمِ^(٤)
 يَعْصُ كَفَّ النَّادِمِ السَّادِمِ
 فِي الضَّرِّ بِالصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمِ
 غَيْرَ مُسِيءٍ لَا وَلَا أَثِمِ

[لَهْفِي عَلَى عِلْمِكَ ذَاكَ الَّذِي
 وَدَرْسِكَ الْفِقْهَ الَّذِي قَالَ فِيهِ
 كَأَنَّ مِنْ جَدِّكَ فِيهِ غَدَا
 كَذَلِكَ التَّفْسِيرُ قَالُوا أَبُو
 كَمْ مِنْبَرٍ تَحْتِكَ يَهْتَزُّ مِنْ
 تُمْلِي عَلَيْهِ خُطْبَاءً سَجَّعُهَا
 فَصَاحَةٌ يَعْجَبُ مِنْ لَفْظِهَا الـ
 وَأَنْتَ فِي أَعْلَاهُ قَرِيْبَةٌ
 فَالآنَا الْيَوْمَ وَلَا لِلْعَلَا
 وَكَلْنَا بَعْدَكَ فِي ضَيْعَةٍ
 لَهْفِي عَلَى الشَّيْخِ أَبِيكَ الَّذِي
 قَدْ كَانَ عَنْ بُلُوَاهُ فِي غَفْلَةٍ
 فَاَعْتَاقَهُ صَرْفُ الرَّدَى دُونَ مَا
 قَدْ كُنْتَ مِنْهُ مِثْلَ مَا قَالَ عَبْدُ
 جَلْدَةٍ بَيْنَ الْعَيْنِ لَكِنَّهُ
 هَجَّ إِلَى مَكَّةَ مِنْ حُزْنِهِ
 وَأَمَّ بَيْتَ اللَّهِ مُسْتَضْرِحًا
 رُحْتَ إِلَى اللَّهِ خَفِيفَ الْمَطْصَا

(١) زيادة من (ق) ، (ط) .

(٢) في الأصل : « قالوه ألبو » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٣) اعتناقه أي : منعه .

(٤) يشير إلى قول عبد الله بن عمر في عمر في ابنه سالم :

يدبروني عن سالم وأريفه

وجلدة بين العين والأنف سالم

انظر : اللسان (سلم) .

جَنَاتٍ عَذْنٍ بِرِضَى دَائِمٍ
أَغْنَى عَلَيْهَا الْمَوْتُ بِالْجَازِمِ^(١)
رُكْنًا مَحْتَهُ صَدْمَةُ الْمَادِمِ
وَلَمْ أَخْلُ أَنْ الرَّدَى فِاطِمِي
قَضَى إِلَى مَنَهْلِهِ حَائِمٍ
دَخَانَ هَذَا الضَّرْمِ الْجَاحِمِ
يَسْرُنِي مِنْ خَبَرِ الْقَسَامِ
بِنَظْمِهِ الزَّاهِي عَلَى النَّاجِمِ
بَارِقُهُ رَاقٍ لَدَى السَّائِمِ
وَلَيْسَ مِنْ بَحْرِ الْبُكَاءِ عَاصِمِي
مَضَى بِهِ سَيْلُ رَدَى عَارِمِ
ثَالِ الذَّرَارِي فِي الدُّجَى الْعَاتِمِ
فَرَاخَ ذَا ثَغْرِ بِيهِمْ بِسَامِ
تَقَفَّرَ بِأَجْرِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ
صَوَّبَ الْحَيَا مِنْ جُودِهِ السَّاجِمِ^(٢)

تَصَافِحُ الْوُلْدَانِ وَالْحُورَ فِي
فَأَيْنَ تِلْكَ الْحَرَكَاتُ الَّتِي
لَهْفَنِي عَلَى نَفْسِي فَقَدْ كُنْتُ لِي
أَرَاكَ فِي الْأَنْصَارِ لِي عُدَّةٌ
وَكُنْتُ مِنْ شَوْقٍ كَطِيرٍ قَدْ اذْ
وَكَانَ ذَاكَ الْبَعْدُ مِنْ قَبْلِ ذَا
كَمْ قُلْتُ لَمَّا أَنْ سَمِعْتُ الَّذِي
تَرَى أَرَى النَّاشِي وَقَدْ خَصَّنِي
وَهَلْ أَرَى ذَاكَ الْمُحَيَّا الَّذِي
وَالآنَ لَا الصَّبْرُ غَدَا نَافِعِي
تَعَزَّ يَا مَوْلَايَ عَنْ ذَاهِبِ
وَأَنْتَ مِنْ بَيْتِ دَرَارِيهِ أُمِّ
قَدْ زَيْنُوا الدَّهْرَ الَّذِي ضَمَّهُمْ
وَاصْبِرْ لِخَطْبٍ قَدْ عَرَا وَاحْتَسِبْ
وَاللَّهِ يَسْقِي تُرْبَ مَنْ قَسَدَ مَضَى

١٤٧٦ - محمد بن أحمد بن بصُخَّان*

بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد المهملة ، وبعدها خاء معجمة وألف ونون ،
ابن عين الدولة ، شيخ القراء بدمشق ، الشيخ الإمام بدر الدين أبو عبد الله بن السراج
الدمشقي ، المقرئ النحوي .

(١) في الأصل : « فَإِنَّ » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ط) .

(٢) هنا ينتهي الجزء الثامن من نسخة (ط) ، والجزء الثامن أيضاً من (ق) .

* الوافي : ١٥٩/٢ ، ونكت الحميان : ٢٣٩ ، ووفيات ابن رافع : ١٧٨/١ ، والدُّرر : ٣٠٩/٣ ، وغاية
النهاية : ٥٧/٢ ، وبغية الوعاة : ٢٠/١ .

سمع الكثير بعد الثمانين من أبي إسحاق المتوفي ، والعزّ بن الفراء ، والإمام عزّ الدين الفاروئي ، وطائفة . وعُني بالقراءات سنة تسعين وبعدها ، فقرأ لِلْحَرَمِيِّينَ^(١) وأبي عمرو على رضيّ الدين بن دُبُوقا ، ولابن عامر على جمال الدين الفاضلي^(٢) ، ولم يكمل عليه ختمه الجمع ، ثم كَمَل على الدِّمِيَّاطِي وبرهان الدين الإسكندري ، وتلا لعاصم ختمه على الخطيب شرف الدين الفزاري ، ولازمه مُدَّةً ، وقرأ عليه القصيدة لأبي شامة .

قال شيخنا شمس الدين الذهبي : وتردّدنا^(٣) جميعاً إلى الشيخ المجد^(٤) نَبَحْتُ عليه في القصيد ، ثم إنّه حجّ غير مرّة ، وانجفل عام سبع مئة إلى مصر ، وجلس في حانوت تاجر^(٥) ، وأقبل على العربية فأحكّم كثيراً منها ، وقدم^(٦) دمشق بعد ستة أعوام ، وتصدّى لإقراء القراءات والنحو ، وقصده الطلبة ، وظهرت فضائله ، وبهرت معارفه ، وبعُد صيته ، ثم إنه أقرأ لأبي عمرو بإدغام ﴿الْحَمِير لَتَرْكَبُوهَا﴾^(٧) ، وبابه^(٨) ورأه سائغاً في العربية ، والتزم إخراجَه من القصيد ، وصمّ على ذلك ، مع اعترافه بأنّه لم يَقُلْ به أحد ، وقال : أنا قد أذن لي في الإقراء بما في القصيد ، وهذا يخرج منها .

-
- (١) ها : نافع وابن كثير .
 (٢) أشار إليه صاحب غاية النهاية : ٢٧٠/٢ .
 (٣) في الأصل : « وردنا » ، وأثبتنا ما في (خ) ، والوافي .
 (٤) هو المجد التونسي ، سلفت الإشارة إليه .
 (٥) في (خ) والوافي : « تاجراً » .
 (٦) في الأصل : « وقد » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .
 (٧) سورة النحل : ٨/١٦ . وانظر : الكشف عن وجوه القراءات لمكي : ١٥٧/١ ، والنشر في القراءات العشر : ١٢/٢ .
 (٨) في الأصل : « وبانه » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي . ويريد بقوله : « بابه » أي : باب إدغام الراء باللام .

فقام عليه شيخنا المجد وابن الزملاكي وغيرهما ، فطلبه قاضي القضاة ابن صصري بحضورهم ، وراجعوه وباحثوه فلم ينته ، فنعمه الحاكم من الإقراء بذلك ، وأمره بموافقة الجمهور ، وذلك في عشرين شهر^(١) ربيع الأول سنة أربع عشرة وسبع مئة ، فتألم وامتنع من الإقراء جملة . ثم إنه استخار الله تعالى في الإقراء بالجامع ، وجلس للإفادة ، وازدحم عليه المقرئون وأخذوا عنه ، وأقرأ العريية .

قال : وذهنه متوسط لا بأس به ، ثم ولي بلا طلب مشيخة التربة الصالحية بعد مجد الدين التونسي بحكم أنه أقرأ من بدمشق في زمانه ، انتهى .

قلت : وكان بهيئ المحيّا ، يطوي السكون طياً ، ظاهر الوقار ، بادي التكبر على الناس والاحتقار ، نظيف اللباس ، طيب الرائحة في الانطلاق والاحتباس^(٢) ، ظريف العمامة ، كأنه من بياض ثيابه حمامه ، له قعد في جلوسه ، وتسد^(٣) في ناموسه ، وكذا إذا مشى لا يلتفت ولو زحمة الليث والرشا . وإذا كان في حالة تصدّره للقراءة يتلبس بالتوفّر على التوفّر والأناسة ، لا يتنحّم ولا يتلفّ لا يعير بصره [وسمعه] غير من يقرأ عليه^(٤) إن عطس أو شمّت ، مشغولاً بمن قد أمّه قدّامه ، مجموع الحواس على القارئ الذي جعله [إمامه]^(٥) أمامه :

ويبقى على مرّ الحوادث صبره ويبدو كما يبدو الفِرْنْدُ على الصّقل ولم يزل على حاله إلى أن مات به شاطبي عصره ، وأنزل إلى قعر لحد من علو مجده في قصره .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في خامس ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

(١) في الوافي : « في العاشر من شهر » .

(٢) (خ) : « والاحتباء والاحتباس » .

(٣) (خ) : « تشدّد » .

(٤) في الأصل : « يعير بصره غير من يقرأ عليه » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٥) زيادة من (خ) .

ومولده سنة ثمان وستين وست مئة .

واشتهر^(١) عنه أنه كان لا يأكل اللحم إلا مصلوقاً والحلاوة السكرية لا غير . وقيل إنه لم يأكل المشمش في عمره ؛ ومن شعره في المشمش :

قَدْ كَسَرَ الْمَشْمَشُ قَلْبِي وَلَمْ أَكْسِرْ لَهُ لَمَّا أَتَى قَلْبِي^(٢)
لِسِيرِهِ الْغَالِي وَعُشْرِي مَعَا وَأُسْتَحْيِي أَنْ أَلْقِطَ الْحَبَّاءَ

وكان له ملك يرتفق بمصالحه ، ولم يتناول من الجهات درهماً ولا طلب جهةً كمال أهليته .

وكان يدخل الحَمَّامَ وعلى رأسه قبع لبّاد غليظ إذا تغسّل رفعةً وإذا أبطل قلبَ الماء أعاده ، فأفادته ذلك ضعفاً في بصره ، وكان طيب النعمة .

دخل يوماً هو والشيخ نجم الدين القحفازي في دَرْبِ العَجَمِ وفيه ظروف زيت ، فعثر في أحدها ، فقال نجم الدين : تَعَسْنَا فِي ظَرْفِ الْمَكَانِ . فقال له الشيخ بدر الدين : لا بل تمشي بلا تمييز ، فقال : إِنَّ ذَا حَالِ نَحْسِ .

وقد أجاز لي رحمه الله تعالى جميع ما صَنَّفَه ونظمه بخطه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وأنشدني شمسُ الدين مُحَمَّدُ الْخِياطُ الشاعر ، قال : أنشدني من لفظه لنفسه^(٣) :

كَلَّمَا اخْتَرْتَ أَنْ تَرَى يَوْسُفَ الْحُسْبِ مِنْ فَخْذٍ فِي يَمِينِكَ الْمِرَاةَ
وَانظُرْنِي فِي صَفَائِهَا تُبَصِّرَنِي وَأَعْذِرْنِي مِنْ لَأْجَلِ ذَا الْحَسَنِ بَاتَا
لَا يَذُوقُ الرُّقَادَ شَوْقاً إِلَيْهِ قَلْبُ الْقَلْبِ لَا يُطِيقُ تَبَاتَا

(١) في الأصل : « وأشهر » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٢) (خ) والوافي : « منذ أتى » .

(٣) الأبيات في البغية .

قُلْتُ : كان الشيخ بدر الدين رحمه الله تعالى لما سمع كلام الناس في كلام هذه
المادة مثل قول القائل :

مَا أَخَذَ الْمَرَأَةَ فِي كَفِّهِ يَنْظُرُ فِيهَا لِلْجَمَالِ الْمَصُونِ
إِلَّا رَأَى الشَّمْسَ وَبَذَرَ الدُّجَى وَوَجْهَهُ فِي فَلَكَ يَسْبَحُونَ^(١)

وقول أبي الحسن بن يونس بن عبد الأعلى^(٢) :

يَجْرِي النَّسِيمُ عَلَى غَلَالَةِ خَدِّهِ وَأَرْقُ مِنْهُ مَا يَمُرُّ عَلَيْهِ
نَاوَلْتُهُ الْمَرَأَةَ يَنْظُرُ وَجْهَهُ فَعَكَسَتْ فِتْنَةً نَاطِرِيهِ إِلَيْهِ

وقول الآخر :

وَأَهْيَفُ ظِلٍّ بِالْمَرَأَةِ مَغْرَى يُوَاطِبُ رُؤْيَا الْوَجْهِ الْمَلِيحِ
يَقُولُ طَلَبْتُ مَعْشُوقاً مَلِيحاً فَلَمَّا لَمْ أَجِدْهُ عَشِقْتُ رُوحِي

وقول الآخر :

أَخَذَ الْمَرَأَةَ بِكَفِّهِ كَمَا يَرَى فِيهَا مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فَتَحَيَّرَا
مَا كَانَ يَدْرِي مَا جَنَّتْ عَيْنِي عَلَى قَلْبِي فَحِينَ رَأَى مَحَاسِنَهُ دَرَى

وقول الآخر :

عَجِبْتُ لِبَذْرِ التَّمِّ أَصْبَحَ عَاشِقاً هَلَالاً وَأُمْسَى مُغْرَماً فِيهِ قَلْبُهُ
وَلَوْ أَخَذَ الْمَرَأَةَ يَنْظُرُ وَجْهَهُ لَأَبْصَرَ مَا يُسْلِيهِ عَمَّنْ يُحِبُّهُ

وقول ابن الساعاتي :

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ، [سورة يس : ٤٠/٣٦] .

(٢) هو أحمد بن يونس (ت ٣٠٢ هـ) ، وفيات الأعيان : ٢٥٣/٧ .

يَقُولُ مَاذَا تَرَى فِي يَدِهِ مِرَاتُهُ وَهُوَ نَاطِرٌ فِيهَا
قُلْتُ أَرَى الْبَدْرَ فِي السَّمَاءِ وَقَدْ أَفَاضَ نُوراً عَلَى نَوَاحِيهَا
وقلت أنا في هذه المادة :

لَوَأْخَذْتَ الْمِرَاةَ يَا مَنْ سَبَانِي لَتَرَى طَلْعَةً سَمَتْ كُلَّ بَدْرٍ
وَتَحَقَّقْتَ أَنَّ عُنْذِرِي بَادٍ فِي غَرَامِي وَفِي تَهْتُّكَ سِتْرِي
وللناس في هذا كثير ، وهذا القدر كافٍ .

وأراد الشيخ بدر الدين أن ينظم مثل ذلك في رِقَّةه وطلاوة تراكيبه فأتى بما أتى وزاد علوًّا في الثقالة وعتًا .

وأنشدني شمس الدين الخياط أيضاً ، قال : أنشدني لنفسه في مليح دخل الْحَمَامَ مَعَ عَمَّه ، فَلَمَّا جَعَلَ السِّدْرَ عَلَى وَجْهِهِ قَلْبَ الْمَاءِ عَلَيْهِ عَبْدٌ أَسْوَدَ كَانَ هُنَاكَ :

وَبِرُوحِي ظَلَمْتُ عَلَى وَجْهِهِ السِّدْرَ رَوْقَدَ أَغْمَضَ الْجُفُونَ لِذَلِكَ^(١)
قَائِلاً عِنْدَ ذَاكَ حِينَ أَتَاةَ يَسْكُبُ الْمَاءَ عَلَيْهِ أَسْوَدَ حَالِكُ
مَنْ تَرَى ذَا الَّذِي يَصُبُّ أَعْمَى قُلْتُ بَلْ ذَا الَّذِي يَصُبُّ كَخَالِكُ^(٢)

قلتُ : قد حَقَّقَ الشيخ بدر الدين رحمه الله تعالى ما قيل عن شعر النُّحَاةِ مِنَ الثَّقَالَةِ ، عَلَى أَنِّي مَا أَعْتَقِدُ أَنَّ أَحَدًا رَضِيَ لِنَفْسِهِ أَنْ يَنْظِمَ هَكَذَا ، وَالَّذِي أَظْنَهُ أَنَّهُ تَعَمَّدَ هَذِهِ التَّرَاكِيِبَ الْقَلْقَلَةَ^(٣) وَإِلَّا فَمَا فِي طَبَاعِ أَحَدٍ يَعْانِي النِّظْمَ هَذَا التَّعَاضُلَ ، وَلَا هَكَذَا^(٤) التَّعَسُّفَ وَلَا هَذِهِ الرِّكَّةَ ، وَلَكِنِّي الْمَعَانِي جَيِّدَةٌ ، فَهِيَ عُرُوسٌ تَجَلَّى فِي ثِيَابِ حِدَادٍ .

(١) فِي الْأَصْلَ : « وَبِرُوحِي ظَلَمْتُ عَلَى السِّدْرِ وَجْهَهُ » ، كَذَا ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (خ) وَالْوَاقِي .

(٢) فِي الْأَصْلَ : « قَابِلُ ذَا » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (خ) وَالْوَاقِي .

(٣) فِي الْأَصْلَ : « الْقَلْقَلَةُ » ، تَحْرِيفٌ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (خ) .

(٤) (خ) : « وَلَا هَذَا » .

١٤٧٧ - مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ قَايِمَازْ*

الشيخ الإمام الحافظ^(١) شمسُ الدِّينِ أبو عبد الله الذهبي ، شيخنا الإمام حافظ الشام^(٢) .

كان في حفظه لا يجارى ، وفي لفظه لا يبارى ، أتقن الحديث ورجاله ، ونظر عِلَّله وأحواله ، عَرَفَ تراجم الناس ، وأزال الإيهام في تواريخهم والإلباس ، مع ذِهْنٍ يتوقّد ذكَاؤه ، ويصحُّ إلى الذهب نَسَبُهُ^(٣) وانتماؤه .

جَمَعَ الكثير ، ونفع الجَمَّ الغفير ، وأكثر من التصنيف ، ووفّر بالاختصار مُوَنَةَ التطويل في التّأليف ، وكتب بخطّه ما لا يُحصى ، ولا يوقف له على حدٍّ يُستَقصر ولا يستقصى^(٤) .

ومنذ انتشا لم يُضَع له زمان ، ولا ظفر الفراغ منه بأمان ، أخذنا من فوائده الجليلة وفرائده الجميلة ، وأضحت دمشق بعده من فنّه دِمْنَةٌ والعيونُ كليله :

أُطِّلَ على الأخبارِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَشَارِفَهَا مِنْ كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرَبٍ

وأضرَّ قبل موته بسنوات^(٥) ، وحصل للناس بذلك في تلك الحال هَفَوَات .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبحَ الذَّهَبِيُّ وقد ذَهَبَ ، ونهبَ الأَجَلُ من عُمَرِهِ ما وَهَبَ .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ،

ودفن في مقابر باب النصر .

* الوافي : ١٦٢/٢ ، وفوات الوفيات : ٣١٥/٣ ، البداية والنهاية : ٢٥٥/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٤٩/١ ، والدُّرَر : ٣٣٦/٣ ، وغاية النهاية : ٧١/٢ .

(١) (خ) : « العلامة الحافظ » .

(٢) (خ) : « وأحد حُفَاطِ الشام » .

(٣) (خ) والوافي : « نسبته » .

(٤) (خ) : « يُستَقصر لَمَّا يُستَقصى » .

(٥) عبارة الوافي : « بأربع سنين » .

ومولده سألته عنه فقال : في ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وست مئة .

وقلت أنا^(١) أرثيه :

لَمَّا قَضَى شَيْخُنَا وَعَالِمُنَا وَمَاتَ فَنُ التَّارِيخِ وَالنَّسَبِ
قُلْتُ عَجِيبٌ وَحَقٌّ ذَا عَجَبٍ كَيْفَ تَخْطِي الْبَلَى إِلَى الذَّهَبِ^(٢)
وقلت فيه أيضاً :

أَشْمَسَ الدِّينَ غَيْتَ كُلِّ شَمْسٍ تَغِيبُ وَزَالَ عَنَّا ظِلُّ فَضْلِكَ
وَكَمْ وَرَّخْتَ أَنْتَ وَفَاةَ شَخْصٍ وَمَا وَرَّخْتَ قَطُّ وَفَاةَ مِثْلِكَ

وارتحل وسمع بدمشق وبعلبك وحمص وحماة وطرابلس ونابلس والرَّملة وبُلبس والقاهرة والإسكندرية والحجاز والقدس وغيرها .

سمع بدمشق من عمر بن القواس وغيره ، وبعلبك من عبد الخالق بن علوان^(٣) وغيره . وبالقاهرة من الحافظين ابن الظاهري والشيخ شرف الدين الدِّمياطي ، ومن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، ومن أبي المعالي الأبرقوهي . وسمع بالإسكندرية من الغرافي وغيره .

وسمع بمكة من التوزري^(٤) وغيره ، وسمع بنابلس من العماد بن بدران^(٥) ، وبأشَر تدریس الحديث بالتربة الصالحية بدمشق عوضاً عن الشيخ كال الدين بن الشريشي .

(١) (خ) : « أنا فيه » .

(٢) (خ) والوافي : « عجباً » .

(٣) (خ) : « ابن علوان القاضي » ، وعبد الخالق بن علوان هو تاج الدين البعلبكي (ت ٦٩٦ هـ) ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

(٤) في الأصل : « التوزري » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وهو عثمان بن مُحَمَّد بن عثمان (ت ٧١٣ هـ) ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

(٥) عبد الحافظ بن بدران بن شبل المقدسي النابلسي (ت ٦٩٨ هـ) ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

أخبرني شيخنا العلامة تقي الدين قاضي القضاة قال : عُدَّتْهُ لَيْلَةٌ مَاتَ ، فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ تَجِدُكَ ؟ فَقَالَ : فِي السِّيَاقِ .

وكان قد أضرَّ قبل موته بأربع سنين أو أكثر بماء^(١) نزلَ في عَيْنَيْهِ ، وكان يتأذى وَيَغْضَبُ إِذَا قِيلَ لَهُ : لَوْ قَدْ حَتَّ هَذَا لَرَجَعَ إِلَيْكَ بَصْرُكَ ، ويقول : ليس هذا بماءٍ ، وَأَنَا أَعْرِفُ بِنَفْسِي ، لِأَنَّ بَصْرِي لَا زَالَ يَنْقُصُ قَلِيلاً قَلِيلاً إِلَى أَنْ تَكْمُلَ عُذْمُهُ .

اجتمعتُ به غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ كَثِيراً مِنْ تَصَانِيفِهِ . وَلَمْ أَجِدْ عِنْدَهُ جُمُودَ الْحَدِيثِ وَلَا كُودَنَةَ^(٢) الثَّقَلَةِ ، بَلْ هُوَ فَقِيهٌ النَّظَرُ ، لَهُ دُرْبَةٌ بِأَقْوَالِ النَّاسِ ، وَمَذَاهِبِ الْأُمَّةِ وَالسَّلَفِ وَأَرْبَابِ الْمَقَالَاتِ .

وَأَعْجَبَنِي مَا يَعْانِيهِ فِي تَصَانِيفِهِ مِنْ أَنَّهُ لَا يَتَعَدَّى حَدِيثاً يُورده حَتَّى يُبَيِّنَ مَا فِيهِ مِنْ ضَعْفٍ مَتْنٍ أَوْ ظَلَامٍ إِسْنَادٍ أَوْ طَعْنٍ فِي رِوَايَةٍ^(٣) وَهَذَا لَمْ أَرِ غَيْرَهُ يِرَاعِي [هَذِهِ]^(٤) الْفَائِدَةَ فِيمَا يورده .

وَمِنْ تَصَانِيفِهِ (تَارِيخُ الْإِسْلَامِ)^(٥) ، وَقَدْ قَرَأْتُ عَلَيْهِ [مِنْهُ]^(٦) الْمَغَازِي وَالسِّيَرَةَ النَّبَوِيَّةَ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ الْحَسَنِ ، وَجَمِيعَ الْحَوَادِثِ إِلَى آخِرِ سَنَةِ سَبْعِ مِئَةٍ . وَكَانَتْ الْقِرَاءَةُ^(٧) فِي أَصْلِهِ بِخَطِّهِ ، وَ (تَارِيخُ النَّبَلَاءِ) ، وَنَقَلَ عَنِّي فِيهِ أَشْيَاءَ ، وَ (الدُّوَلُ الْإِسْلَامِيَّةُ) وَ (طَبَقَاتُ الْقُرَّاءِ) سَمَّاهُ : (مَعْرِفَةُ الْقُرَّاءِ الْكِبَارِ عَلَى الطَّبَقَاتِ وَالْأَعْصَارِ) ، تَنَاوَلَتْهُ مِنْهُ ، وَأَجَازَنِي رِوَايَتَهُ عَنْهُ ، وَكُتِبَتْ أَنَا عَلَيْهِ :

(١) فِي الْأَصْلِ وَ (خ) : « بَا » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي الْوَافِي ، وَبِرَجْهِه مَاسِيَاتِي .

(٢) الْكُودُنُ : الْفَرَسُ الْمُهْجِنُ .

(٣) فِي الْوَافِي : « رَوَاتِهِ » .

(٤) زِيَادَةٌ مِنْ (خ) وَالْوَافِي .

(٥) هُوَ سِيرَةُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ ، وَقَدْ طُبِعَ مُحَقَّقاً فِي مُؤَسَّسَةِ الرِّسَالَةِ .

(٦) زِيَادَةٌ مِنْ (خ) وَالْوَافِي .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « الْمَهْرَةُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (خ) وَالْوَافِي .

عليك بهذه الطبقات فاصعد
تجدها سبعة من بعد عشر
تجلي عنك ظلمة كل جهل
فنور الشمس أحسن ما تراه
إليها بالثنا إن كنت راقياً^(١)
كنظم الدر في حسن اتساق^(٢)
به أضحى مقالك في وثاق
إذا مالاخ في السبع الطباق

و (طبقات الحفاظ) مجلدان ، (ميزان الاعتدال في الرجال) في ثلاثة أسفار ،
كتاب (المشتبه في الأسماء والأنساب) ، (نبأ الدجال) مجلد ، (تذهيب التذهيب) ،
(اختصار تذهيب الكمال) للحافظ شيخنا المزني ، اختصار كتاب (الأطراف) أيضاً
للمزني ، (الكاشف) ، (اختصار التذهيب) ، (اختصار السنن الكبير) للبيهقي ،
تنقيح أحاديث (التعليق) لابن الجوزي ، (المستحلى في اختصار المحلى) ، (المقتنى
في الكنى) ، (المغني في الضعفاء) ، (العبر في خبر من غير) ، مجلدان ، (اختصار
المستدرک) للحاكم ، (اختصار ابن عساكر)^(٣) في عشرة أسفار ، (اختصار تاريخ
الخطيب) مجلدان ، وملكتهما بخطه ، (اختصار تاريخ نيسابور)^(٤) مجلد ،
(الكبائر) جزءان ، (تحريم الإديار) جزءان ، (أخبار السد) ، (أحاديث مختصر
ابن الحاجب) ملكته بخطه ، (توقيف أهل التوفيق على مناقب الصديق) ، (نعم
السمر في سيرة عمر) ، (التبيان في مناقب عثمان) ، (فتح للطالب في أخبار علي بن
أبي طالب) ، قرأته عليه كاملاً ، (معجم أشياخه) ، وهم ألف وثلاث مئة شيخ ،
وملكته بخطه ، (اختصار كتاب الجهاد) لبهاء الدين بن عساكر ، (ما بعد الموت)
[مجلد]^(٥) ، (اختصار كتاب القدر) للبيهقي ثلاث مجلدات ، (هالة البدر في عدد)^(٦)

(١) كنا ، وله شاهد من قول الخطيئة :

لأبدا لي منكم عيب أنفسكم ولم أجهد لجراحي فيكم آسي

(٢) في الأصل : « من عشر كنا » ، كنا ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٣) (خ) والوافي : « تاريخ ابن عساكر » .

(٤) لمحمد بن علي الكمي ، انظر : كشف الظنون : ٣٠٨/١ .

(٥) زيادة من (خ) والوافي .

(٦) في الأصل : « عذر » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

أهل بدر) ، (اختصار تقويم البلدان) لصاحب حماة ، (نفص الجعبة في أخبار شعبة)^(١) ، (قصّ نهارك في أخبار ابن المبارك)^(٢) ، (أخبار أبي مسلم الخراساني) ، وله في تراجم الأعيان في كل^(٣) واحد مصنف قائم الذات مثل الأئمة الأربعة ، ومن جرى مجراهم ، ولكنه أدخل الكل في (النبلاء) ، ومن تكلم فيه ، وهو موثق ، كتبت من خطّه ، وقرأته عليه ، و (الثلاثين البلدية) كتبتها من خطّه^(٤) ، وقرأتها عليه .

وكتب بخطّه من الأجزاء شيئاً كثيراً ، وملكت منها جملة .

أنشدني من لفظه لنفسه ، وجوّد ما شاء :

إذا قرأ الحديث علي شخص وأخلى موضعاً لوفاة مثلي
فما جازى بإحسانٍ لأنّي «أريدُ حياته ويُرِيدُ قَتلي»^(٥)

فنظمت أنا وأنشدته :

خَلِيلُكَ مَالَهُ فِي ذَا مُرَادٍّ فَدُمُ كَالشَّمْسِ فِي عَلِيَا مُحَلٍّ
وَحَظِّي أَنْ تَعِيشَ مَدَى اللَّيَالِي وَأَنْتُكَ لَا تَمَلُّ وَأَنْتَ تَمَلِّي

^(٦) وأنشدني من لفظه لنفسه :

تَوَلَّى شَبَابِي كَأَنْ لَمْ يَكُنْ وَأَقْبَلَ شَيْبَ عَلَيْنَا تَوَلَّى
وَمَنْ عَايَنَ الْمُنْحَى وَالنَّقَا فَمَا بَعْدَ هَذَيْنِ إِلَّا الْمُصَلَّى

(١) شعبة بن الحجاج بن الورد ، أمير المؤمنين في الحديث (ت ١٦٠ هـ) ، سير أعلام النبلاء : ٢٠٢/٧ .

(٢) عبد الله بن المبارك الحنظلي (ت ١٨١ هـ) ، السير : ٣٣٦/٨ .

(٣) في الوافي : « لكل » .

(٤) في الأصل : « كتبتها من عليه من خطّه » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٥) عجز البيت تمثّل به غير واحد ، انظر : أمالي القاضي : ١٤/١ ، واللسان ، والتاج (غدر) .

(٦) زاد في (خ) :

« فأعجبه قولي : (خليلك ماله في ذا مراد) كثيراً ، لأنه بقية البيت الذي ضمنه هو ، وهو :

أريدُ حياته ويُرِيدُ قَتلي عَذِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادٍّ

قلتُ : الشيخ رحمه الله تعالى أخذ هذا من قول الأول :

أَلَا يَاسَارِيَا فِي بَطْنِ قَفْرِ لِيَقْطَعَ فِي الْفَلَا وَغَرًّا وَسَهْلًا
قَطَعْتَ نَقَا الْمَشِيبِ وَبِنْتَ عَنْهُ وَمَا بَعْدَ النَّقَا إِلَّا الْمَصْلَى ^(١)

قلتُ : ولكن شيخنا العلامة رحمه الله تعالى زاد عليه (المنحى) ، وهي زيادة مليحة ، زيادة من له ذوقٌ ، ولو كان لي في قوله حكمٌ لقلت : « ومن وصل المنحى والنقا » وهو أحسن ، وكذا في قول الأول لكان في حكم لقلت : « ليقطع في المدى » .

وكتب شيخنا الذهبي رحمه الله تعالى إلى شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، ولعله آخر شعر نظمته :

تَقَى الدِّينَ يَا قَاضِيَ الْمَمَالِكِ وَمَنْ نَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ مَالِكُ
بَلَغْتَ الْجَدَّ فِي دِينٍ وَدُنْيَا وَنَلْتَ مِنَ الْعُلُومِ دَى كَالِكِ
فَفِي الْأَحْكَامِ أَقْضَانَا عَلِيٌّ وَفِي الْخُدَامِ مَعَ أَنْسِ بْنِ مَالِكِ
وَكَابِنَ مَعِينٍ فِي حِفْظٍ وَتَقْدِ وَفِي الْفَتَوَى كَسْفِيَانِ وَمَالِكِ
وَفَخْرَ الدِّينِ فِي جَدَلٍ وَبَحْثِ وَفِي النُّحُورِ الْمُبَرَّدِ وَابْنِ مَالِكِ
تَشَفَّعَ بِي أَنْسَاسٌ فِي فِرَاءِ لِيَتَكَسَّوْهُمْ وَلَوْ مِنْ رَأْسِ مَالِكِ
لِتُعْطَى فِي الْيَمِينِ كِتَابَ خَيْرِ وَلَا تُعْطَى كِتَابَكَ فِي شِمَالِكِ

ثم إنه استطرد إلى مديح ولده قاضي القضاة تاج الدين ، فقال بعد ذلك :

وَلِلذَّهْبِيِّ إِدْلَالُ الْمَوَالِي عَلَى الْمَوْلَى لِحِلْمِكَ وَاحْتَالِكِ
وَأُنْشِدْنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ :

لَوْ أَنَّ سُفْيَانًا عَلَى حِفْظِهِ فِي بَعْضِ هَمِّي نَسِيَ الْمَاضِي
نَفْسِي وَعَرَسِي ثُمَّ ضَرَسِي سَعَوْا فِي غَرْبِي وَالشَّيْخُ وَالْقَاضِي

(١) (خ) : « وبننت عليها » .

وأنشدني من لفظه لنفسه :

العِلْمُ : قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ إنَّ صَحَّ والإجماع فاجهد فيه
وحذارٍ من نصب الخلاف جهالة بين الرسول وبين رأي فقيهه

وأنشدني من لفظه لنفسه :

أَفِقْ يَا مَعْنَى بَجَمْعِ الحُطَامِ ودرَسَ الكلام وميَّنْ يُصَاعُ^(١)
ولا زِمَ تِلَاوَةَ خَيْرِ الكلام وجَانِبَ أناساً عن الحقِّ زَاغُوا^(٢)
ولا تُخَدِّعَنَّ عن صحيحِ الحديِّ ثِ فَا في مُحِقِّ لرأي مَسَاغُ^(٣)
ومِمَّا لِلتَّقِيِّ وَلِلْبَحْثِ في علومِ الأوائلِ يوماً قَرَاغُ
بِلاغاً من الله فَاسْتَمِعْ وَعِشْ قَنوعاً فَا العِيشُ إِلَّا بِبَلَاغُ

ولَمَّا توفي شيخنا علم الدِّين البرزالي - رحمه الله تعالى - تولى الشيخ شمس الدِّين - رحمه الله تعالى - تدريسَ المدرسةِ النِّفيسِيَّةِ وإمامتها عوضاً عنه ، فكتبتُ له توقيعاً بذلك ، وهو :

« رُسِمَ بالأمرِ العاليي لازالت أوامره المطاعة تطلع في أفق^(٤) المدارس شمسا ، وتذيل بمن توليه عن المشكلات لبسا ، أن يَرْتَبَ المجلس السَّامي الشَّيخي الشمسي في كذا وكذا ، علماً بأنَّه علَّامة ، وحافظ متى أطلقَ هذا الوصف كان علماً [عليه]^(٥) وعَلَّامة ، ومُتَبَحَّرٌ أشبه البحر اطلاعَه والدَّرَ كلامه ، ومترجمٌ رفعَ لِمَنْ ذكره في تاريخ الإسلام أعلامه . فالبخاري طاب أرَجُ ثنائه عليه ، ومُسْلِمٌ أولُ مؤمنٍ بأنَّ هذا الفنَّ

(١) في الأصل : « ومنن » ، وأثبتنا ما في (خ) . والمين : الكذب .

(٢) (خ) : « راغوا » .

(٣) في الأصل : « ولا تحد عن » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) في الوافي : « آفاق » .

(٥) زيادة من (خ) والوافي .

انتهى إليه . وأبو داود يحمّد آثاره في سلوك سنن السنن ، والترمذي يخال أنّه فداه بنور ناظره من آفات دار الفتن ، والنسائي لونسأ الله في أجله لرأى منه عجباً . وابن ماجه لوعاين ما جاء به ماج له طرباً .

فليباشر ما فؤوض إليه مباشرة تليق بحاسنه وتدل طالبي السواد^(١) على مظانّه وأماكنه ، ويبيّن لهم طرق الرواية . فالفقه حلة وعلم الحديث علمها وطرازها ، والرواية حقيقة ، ومعرفة الرجال مجازها ، ويتكلم على الأسانيد ، ففي بعض الطرق ظلم وظلام ، ويورد ما عنده كامن الجرح والتعديل « إن بعض الكلام فيه كلام » ، ويوضح أحوال الرواة الذين سلفوا فليس ذاك يعيب . وما لجرح بميت إيلام^(٢) ، ويتم بما أطلع عليه من تدليسهم فما أحسن روضة هو فيها تمام ، ويسرد تراجم من مضى من القرون التي انقضت « فكأنها وكأنهم أحلام »^(٣) ، ويحرص على اتصال السند بالسمع ليكون له من الورق والمداد « رصدان ضوء الصبح والإظلام » . ولا يدع لفظة يوم إشكالها ، « فالشمس تمحو حندس الأوهام » .

حتى يقول الناس إن شعبة منك شعبه ، وأبا زرعة^(٤) لم يترك عنده من الفضل حبه ، وابن حزم ترك الحزم وما تنبّه ، وابن عساكر توجّس^(٥) منك رغبه ، وابن الجوزي عدم لبّه وأكل الحسد قلبه . ولا تغفل عن إلزام الطلبة بالترار على المتون الصحيحة دون السقية فما يستوي الطيب والخبيث^(٦) . وذكرهم بقوله عليه الصلاة والسلام :

(١) في الوافي : « الصواب » .

(٢) يشير إلى قول المتنبي :

من يهن يسهل الهوان عليه

ديوانه ٩٤/٤ .

(٣) يشير إلى بيت أبي تمام :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها

(٤) عبد الرحمن بن عمرو ، من أئمة زمانه في الحديث ورجاله (ت ٢٨٢ هـ) ، السير : ٢١١/١٢ .

(٥) في الأصل : « توحش » ، وأثبتنا ما في (خ) ، والوافي .

(٦) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ ، [سورة المائدة : ١٠٠/٥] .

« من حفظ على أمتي أربعين حديثاً »^(١) ، وإن كان الحفظ بمعنى الجمع فالعمل بظاهر الحديث ، فأنت ذو الصفات التي اشتهرت ، والفضائل التي بَهَرَتْ ، والدُّرْبَةُ التي اقتدرت على هذا الفنِّ ومَهَرَتْ ، والفوائد التي ملأت الأمصار وظهرت ، والحجج التي غلبت الخصوم وقهرت .

لم تُضَع وقتاً من زمانك إِمَّا أَنْ تُسَمِّعَ أَوْ تُلْقِيَ أَوْ تُنْتَقِي ، وإِما أَنْ تُجْتَهَدَ فِي [نُصْرَةِ]^(٢) مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ حَتَّى كَأَنَّكَ الْبَيْهَقِيُّ ، وإِما أَنْ يُصَنَّفَ مَا يُوَدِّعُ بَقِيَّ بَنِ مَخْلَدٍ^(٣) لَوْعَاشَ لَهُ وَبَقِي .

وَأَنْتَ أَدْرَى بِشُرُوطِ الْوَاقِفِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَارْعَهَا وَاتَّبِعْ أَصْلَهَا وَفَرَعَهَا ، وَأَهْدِ الدُّعَاءَ لَهُ عَقِيبَ الْمِيعَادِ^(٤) ، وَأَشْرِكْهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ فَأَثَارُ^(٥) الرَّحْمَةِ تَلَمَّعَ عَلَى هَذَا السَّوَادِ ، وَادْكُرْ مِنْ تَقَدُّمِكَ فِيهَا بِخَيْرِ فَفَضْلُهُ الْبَاهِرُ كَانَ مَشْهُورًا ، وَاسْأَلْ لَهُ مِنْ اللَّهِ الْجَنَّةَ لِيَسْرَّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ عِلْمًا^(٦) مَنْشُورًا .

وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ ، وَمِثْلُكَ لَا يَنْبَغُ ، وَلَا يُقَاسُ بِغَيْرِهِ وَلَا يَشَبَّهُ ، وَمَلَكَ الْأُمُورَ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَقَدْ سَلَكَتَ مِنْهَا الْحَجَّهَ ، وَمَلَكَتَ بِهَا الْحَجَّهَ ، فَلَا تَعْطِلْ مِنْهَا جِيدَكَ الْحَالِي ، وَارْوَ^(٧) مَا عِنْدَكَ فِيهَا فَسَنَدُكَ فِيهَا عَالِي ، وَاللَّهُ يَمْدُكَ بِالْإِعَانَةِ ، وَيُوقِّقُكَ لِلْإِنَابَةِ وَالْإِبَانَةِ بِمَنْهٍ وَكِرْمِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) وقام الحديث : « مِنْ سَنَتِي أَدْخَلْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي شَفَاعَتِي » ، انظر : الجامع الصغير للسيوطي : ١٧٠/٢ .

(٢) زيادة من (خ) والوافي .

(٣) (ت ٢٧٦ هـ) ، السير : ٢٨٥/١٣ .

(٤) في الوافي : « كُلِّ مِيعَادٍ » .

(٥) في الوافي : « فَأَنْوَارٌ » .

(٦) عبارة الوافي : « يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا أَصْبَحَ عِلْمًا » .

(٧) في الأصل : « وَار » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

١٤٧٨ - مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَثْمَانَ*

ابن إبراهيم بن عدلان بن محمود بن لاحق بن داود ، الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله الكناني المصري الشافعي ، المعروف بابن عدلان .

سَمِعَ مِنَ الْعَزْزِ بْنِ الصِّقْلِ الْحَرَّانِيِّ ، وَمِنْ النَّظَّامِ مُحَمَّدَ بْنَ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَلِيلِيِّ ، (مشيخة) عُمَرُ بْنُ طَبْرَزْدَ تَخْرِيجُ ابْنِ الدُّبَيْثِيِّ بِإِجَازَتِهَا مِنْهُ ، وَمِنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ تَرْجَمٍ ^(١) ، وَمِنْ الدَّمِيَّاطِيِّ أَخِيراً . وَأَجَازَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَاحِدِ بْنِ عَلَاقٍ ، وَعَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ خَطِيبِ الْمَزَّةِ ، وَأَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْقَسْطَلَانِيِّ ، وَغَيْرِهِمْ .

وَتَفَقَّهَ عَلَى الشَّيْخِ وَجِيهِ الدِّينِ الْبَهْزِيِّ . وَقَرَأَ فِي الْأَصُولِ عَلَى الشَّيْخِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَصْبَهَانِيِّ شَارِحِ (الْحَصُولِ) . وَقَرَأَ (الْمُفَصَّلَ) عَلَى الشَّيْخِ بَهَاءِ الدِّينِ بْنِ النَّحَّاسِ ، وَكَانَ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى الصَّفِيِّ خَلِيلِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْمُرَاغِيِّ ^(٢) .

وَكَانَ فِي الْفَقْهِ بَارِعاً ، وَإِلَى اسْتِحْضَارِ الْفُرُوعِ [وَتَقْلُهَا] مُسَارِعاً ^(٣) . لَوْعَاصِرِهِ الْمَزْنِيَّ غَرَقَ ^(٤) قَطْرَهُ فِي بَحْرِهِ ، أَوْ الْمَوَارِدِيَّ لاسْتِطَابَ نَفْحَةَ ذِكْرِهِ ، أَوْ الْغَزَالِيَّ لَسَدَى تَحْتَ طَاقِهِ ، أَوْ الْقَاضِيَّ أَبُو الطَّيِّبِ ^(٥) لَقَضَى أَنْ الْمَرَارَةَ سَاعَةٌ فِرَاقِهِ .

شرح (مختصر المزني) وما أظنه كَمَلَّهُ ^(٦) ، وَلَوْ أَنَّه طَرَّرَ بِهِ الْمَذْهَبَ وَجَمَّلَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ مَعَ عِظَمِ قَدْرِهِ ، وَسَمُوِّ بَدْرِهِ ، كَانَ الْمَلِكُ النَّاصِرُ ^(٧) يَكْرَهُهُ ، وَيَصْدَهُ بِالْكَلامِ الْمَوْلُومِ

* الوافي : ١٦٨/٢ ، والذَّيْرُ : ٣٢٣/٣ ، والشُّذْرَاتُ : ١٦٤/٦ ، وذَيُولُ الْعَبْرِ : ٢٧٠ .

(١) (ت ٦٩٢ هـ) ، الشُّذْرَاتُ : ٤٢٣/٥ .

(٢) (ت ٦٨٥ هـ) ، الْعَبْرِ : ٣٥٢/٥ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَإِلَى قَلِّ اسْتِحْضَارِ الْفُرُوعِ مُسَارِعاً » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (خ) .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « عَرَفَ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (خ) .

(٥) طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرِ الطَّبْرِيِّ ، لَهُ شَرْحُ مُخْتَصَرِ الْمَزْنِيِّ (ت ٤٥٠ هـ) ، السَّيَرُ : ٦٦٨/١٧ .

(٦) انْظُرْ : كَشَفُ الظُّنُونِ : ١٦٣٥/٢ .

(٧) (خ) : « النَّاصِرُ مُحَمَّدٌ » .

وَيَجِبُهُ^(١) ، لَأَنَّهُ أَفْقَى الْجَاشَنكِيرِ فِي تِلْكَ الْمَرَّةِ بِمَا أَفْتَاهُ مِنْ خَلْعِهِ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا إِلَى صَرْمِ ثَمَرِهِ ، وَشَرْطِ طَلْعِهِ .

وَلَمْ يَزَلْ إِلَى أَنْ تَسْجَى ، وَعَدًّا فِيهَا لَا يُرْجَى .

وَتَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - بَيْنَ الْعِيدَيْنِ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ فِي طَاعُونِ الْقَاهِرَةِ .

وَمَوْلَدُهُ سَنَةَ نَيْفٍ وَسِتِينَ وَسِتْ مِئَةٍ .

قَالَ الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ بْنِ قَاضِي^(٢) الْقُضَاةِ تَقِي الدِّينِ السَّبْكِ : أَفْقَى ابْنِ عَدْلَانَ فِي وَاقِفٍ وَقَفَ مَدْرَسَةً عَلَى الْفُقَهَاءِ وَمُدْرَسَ وَمَعِيدَ وَجَمَاعَةَ عَيْنِهِمْ ، قَالَ : وَمِنْ شُرُوطِ الْمَذْكُورِينَ أَنْ لَا يَشْتَغَلُوا بِمَدْرَسَةٍ أُخْرَى غَيْرَ^(٣) هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ وَلَا يَكُونُ لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ تَعْلُقٌ بِمَدْرَسَةٍ أُخْرَى وَلَا مَبَاشَرَةٌ تِجَارَةً وَلَا بَزَاةٌ يَعْرِفُ بِهَا غَيْرَ تِجَارَةٍ [الْكُتُبِ]^(٤) ، وَلَا وِلَايَةٌ بِأَنَّهُ يَجُوزُ لِلْمَقَرَّرِ فِي هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْجَمْعَ بَيْنِهَا وَبَيْنَ إِمَامَةِ مَسْجِدٍ قَرِيبٍ مِنْهَا ، وَوَافَقَهُ شَيْخُ الْحَنْفِيَّةِ فِي زَمَانِهِ قَاضِي الْقُضَاةِ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِِّيَّةِ علاء الدِّينِ عَلِيٍّ بْنِ عَثْمَانَ الْمَارْدِينِيِّ^(٥) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَهَذَا فِيهِ نَظَرٌ : لِنَصِّ الشَّافِعِيِّ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَةَ وَِلَايَةٌ حَيْثُ يَقُولُ^(٦) وَلَا أَكْرَهُ الْإِمَامَةَ إِلَّا مِنْ جِهَةٍ أُنْهَا وَِلَايَةٌ ، وَأَنَا أَكْرَهُ سَائِرَ الْوِلَايَاتِ .

قَالَ : وَمِنْ مُحَاسِنِ ابْنِ عَدْلَانَ أَنَّهُ سُئِلَ أَيُّهَا أَفْضَلُ أَبُو بَكْرٍ أَوْ عَلِيٌّ فِي مَكَانٍ لَا يُمْكِنُهُ التَّصْرِيحُ بِمَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ ، فَقَالَ : عَلِيٌّ أَفْضَلُ الْقَرَابَةِ وَأَبُو بَكْرٍ أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَجِبَاحُهُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (خ) .

(٢) (خ) : « قَالَ قَاضِي الْقُضَاةِ بِنِ شَيْخِنَا قَاضِي » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَلَا غَيْرَ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (خ) .

(٤) زِيَادَةٌ مِنْ (خ) .

(٥) (خ) : « لِلْمَارْدِينِيِّ الْحَنْفِي » .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « أَقُولُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (خ) .

قلت أنا^(١) : جَوَابَ حسن ، لكنه لا يرضي السائل من كل وجه ، لأنَّ علياً رضي الله عنه من الصحابة^(٢) ، وأحسن مأمراً بي في ذلك قول ابن الجوزي وقد سئل من أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ وهو على المنبر وممالك الخليفة واقفون فرقتين ، فقال : مَن كانت ابنته تحته . فقالت كل فرقة قال بتفضيل من ذهبنا إليه ، وتركهم في الخصام ، ونزل عن المنبر حتى لا يستفسروه في الضمير إلى من يعود ، وهذا في غاية الحسن ، لأنها عبارة أوهمت كل فرقة نصرة مذهبها .

قلت : وتوجَّه الشيخ شمس الدِّين رسولاً إلى اليَمَن في أيام سَلَّار والجاشنكير ، وباشَر الوكالة لأُمير موسى بن الصالح علي بن الملك المنصور^(٣) ، وهذه أيضاً من أسباب الجاشنكير ، فنقم السُّلطان عليه هذا الأمر ، وبقي إلى آخر أيامه ، وهو عنده ممقوت . قرأ له في وقت القضاء شهاب الدِّين بن فضل الله قصَّةً على السلطان ، فقال : قل له : الذين كانوا يعرفونك ماتوا ، ثم إنَّه - رحمه الله تعالى - وَلِي قضاء العسكر في أيام الناصر أحمد لما حضر من الكرك إلى أن مات ودرَّس بعدة مدارس ، وأُفتي وَلِي نيابة القضاء للشيخ تقي الدِّين بن دقيق العيد .

١٤٧٩ - مُحَمَّد بن أحمد بن عبد المؤمن الإسعدي*

الشيخ الإمام أبو عبد الله شمس الدِّين المعروف بابن اللِّبَّان الدَّمشقي .

سمع بدمشق من أبي حفص عمر بن عبد المنعم بن القواس ، وانجفل إلى مصر ، وسمع بها من الدِّمياطي ، ومن عبد الرحمن بن عبد القوي بن عبد الحكيم الخثعمي

(١) في الأصل : « قلت قلنا » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) في الأصل : « لأنَّ علياً رضي الله عنه كُنا » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وهي أوضح .

(٣) ستأتي ترجمته في موضعها .

* الوافي : ١٦٨/٢ ، ووفيات ابن رافع : ٢٧٨/١ ، والدُّرر : ٣٣٠/٣ ، والشُّذرات : ١٦٣/٦ ، وذيول

العبر : ٢٧١ .

بطهرمس^(١) من الجيزية ، وحدث بالديار المصرية ، وسمع منه الطلبة ، وخرج له شهاب الدين أحمد بن أيك الدميّاطي جزءاً من حديثه ، وتفقّه وبرّع وأخذ في الإشغال وشرع ، ولم يترك ابن اللبان لغيره في الفقه زبدة .

وروى الحديث ، وكان لحلاوة روايته كأنما أسند عن شهدة ، ودرّس بزواوية الشافعي في جامع عمرو بن العاص ، وعقد مجالس الوعظ ، فاشتمل عليه العام والخاص ، واشتهر ولا شهرة ابن الجوزي في بغداد ، وطارت سمعته كأنه ابن سمعون الأستاذ^(٢) .

ولم يزل على حاله إلى أن تقلّ ابن اللبان إلى الجبّانه ، وراح بفقره إلى الغني سبحانه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

ومولده في حدود سنة خمس وثمانين وست مئة .

وكان قد قام عليه في وقت قاضي القضاة القزويني بالديار المصرية ، وربما أنه كفره في سنة ست ثلاثين وسبع مئة وقام في أمره القاضي شهاب الدين بن فضل الله وناصر الدين خزندار الأمير سيف الدين تنكرز وغيرها من أصحابه فسكت عنه وعمل في ذلك كمال الدين الأدفوي مقامة .

١٤٨٠ - مُحَمَّد بن أحمد بن علي*

الإمام المفتي شيخ القراء شمس الدين أبو عبد الله الرقي .

(١) انظر معجم البلدان .

(٢) مُحَمَّد بن أحمد بن إسماعيل (ت ٣٨٧ هـ) ، السير : ٥٠٥/١٦ .

* الوافي : ١٧٠/٢ ، وفيات ابن رافع : ١٥٢/١ ، والذّرر : ٣٤١/٣ ، وغاية النهاية : ٧٥/٢ .

سمع الحديث ورافق الطَّلَبَة ، ودار على المشايخ ، وتميَّز في الفقه والقراءات وغير ذلك . وتلا بالسَّبع على الفاروئي وابن مُزهر^(١) وغيرهما .

وأقرأ ودرَّس وأفق ، وروى الكثير عن [ابن]^(٢) البخاري وطبقته .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - في غرة شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة سبع وستين وست مئة .

١٤٨١ - مُحَمَّد بن أحمد*

الإمام المفتي الشيخ بدر الدِّين بن الحَبَّال الحنبلي ، فاضل الحَنَابِلَة في عصره .

سألت عنه شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدِّين السبكي ، فقال لي : فقيه فاضل ، كان ينوب للقاضي تقي الدِّين الحنبلي .

توفِّي - رحمه الله تعالى - في سلخ ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

١٤٨٢ - محمد بن أحمد بن شويش**

الفقيه نجم الدِّين محتسب قلعة الجبل بالقاهرة الحنفي .

كان كثير التَّلَاوة ، وفيه مروءة وخير .

توفِّي - رحمه الله تعالى - في ثامن شوال سنة ثلاثين وسبع مئة .

(١) مُحَمَّد بن عبد الخالق بن مزهر (ت ٦٩٠ هـ) ، غاية النهاية : ١٥٩/٢ .

(٢) زيادة من الوافي ومصادر ترجمته الأخرى .

* الوافي : ١٧٠/٢ ، والدُّرر : ٣٢٩/٣ ، وفيه : « مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الله » .

** الدُّرر : ٣١٩/٣ .

١٤٨٣ - مُحَمَّد بن أحمد بن عبد الرَّحِيم*

الإمام شمس الدّين أبو عبد الله المِزّي الموقّت بالجامع الأمويّ بدمشق .

كان قد حفظ (الشّاطبيّه) ، وينقل القراءات ، وعلى ذهنه عربيّه ، برّع في وضع الإسطرلابات والأرباع ، وتأنّق فيها ودقّق من حُسن الرسوم والأوضاع ، لم يلحقه أحد في زمانه في ذلك ، ولم يسلك طريقه فيه سالك ، وكان على ذهنه شيء من حيل بني موسى^(١) ، ولديه صنائع لو يعيش بها لم يلق بؤسا ، قلّ أن رأيت مثله في ذكائه أو وصل أحدّ فيما يعانيه إلى مدى اعتناؤه .

لم يزل على حاله إلى أن ذاق المِزّي طعم الموت خلا ، وترك أقرانه على إثره وولّى .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في أوائل سنة خمسين وسبع مئة ، وكان من أبناء الستين فما فوقها .

قرأ أولاً على الشيخ شمس الدّين الأكفاني ، وكان يشكر ذهنه وإتقانه لما يعمل به بيده ، ثم انتقل عائداً إلى الشام ، وسكن دمشق ، وكان أولاً يوقّت بالرّبوّة ، ثم انتقل إلى الجامع ، وكان قد برع في وضع الاسطرلابات^(٢) والرّبع ، ولم أر أحسن من أوضاعه ، ولا أظرف ولا أتقن ولا أكثر تحريراً ، كان يباع اسطرلابه في حياته بمئتي درهم ، ورُبّعهُ بخمسين درهماً وأكثر ، ولعلّه إذا تقادم زمانه غلا أكثر من ذلك . وبرع في دهن القسيّ ، ومن ملازمته للشمس^(٣) نزل في عينيه ماء ، ثم إنّه قدّحه فأبصر بالواحدة ، وله

* الوافي : ١٧٠/٢ ، ونكت الهميان : ٢٤٤ ، والدُّرر : ٢٢٥/٣ .

(١) هم ثلاثة إخوة ، اشتهروا بعلم الحيل ، « الفيزياء » ، وكانوا يشرفون على بيت الحكمة ببغداد ، في العصر العباسي .

(٢) (خ) : « الإسطرلاب » .

(٣) في الأصل : « في الشمس » ، وأثبتنا ما في (خ) .

رسائل في الإسطرلاب ورسالة سماها (كشف الرّيب في العمل بالجيب)^(١) ، وله نظم أيضاً .

١٤٨٤ - مُحَمَّد بن أحمد بن يمين *

قاضي القضاة [شمس الدّين]^(٢) الحنفي الحاكم بطرابلس .

هو أول من ولي قضاء الحنفية بطرابلس بعد السّلطان الملك الناصر محمد . ولم يكن فيها في أيامه إلّا حاكم واحد شافعي ، وصل إليها في غالب ظنّي إمّا في أوائل سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، أو في أواخر^(٣) سنة ثلاث وأربعين .

ولم يزل على حاله إلى أن وُجِدَ في بيته مذبوحاً بطرابلس ، وقد أخذ ما في بيته من المال ، وذلك في جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وسبع مئة رحمه الله تعالى .

١٤٨٥ - مُحَمَّد بن أحمد بن عَمَر بن إلياس **

الصّدْر عز الدّين ابن العدل شهاب الدّين الرّهاوي .

شاب^(٤) بلغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً ، وكان كاتباً جيّداً ، باشر استيفاء الأوقاف وغير ذلك ، وكانت له خصوصيّة بالصّاحب أمين الدّين ، فلمّا أمسك الصّاحب بمصر ، اعتقل عز الدّين بالمدرسة العذراوية^(٥) .

وتوفّي بها في تاسع عُشري جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

(١) انظر : كشف الظنون : ١٤٩٠/٢ .

* الدُّرر : ٣٧٢/٣ .

(٢) زيادة من (خ) .

(٣) في الأصل : « أوائل » ، وأثبتنا ما في (خ) .

** الدُّرر : ٣٤٤/٣ .

(٤) في الأصل : « شاباً » .

(٥) بعمشق ، مدرسة للشافعية والحنفية بجارة الغرباء داخل باب النصر ، أنشأها السّت عذراء بنت أخي

صلاح الدّين سنة (٥٨٠ هـ) ، الدّارس : ٢٨٣/١ .

١٤٨٦ - مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُفَضَّلٍ*

ابن فضل الله المصري القاضي الرئيس علم الدين بن قطب الدين . تقدّم ذكر والده في الأحدين .

وكان هذا علم الدين أخيراً ناظر الجيوش المنصورة بدمشق ، وكان في نفسه رئيساً ، قضى عُمُرَه في نُعمَى عجيبة ، إلا أنها ما خَلَّت من بُوسى ، يتأنق في المأكَل والملابس . ويتخرق بالتَّجْمُل في المحافل والمَجَالِس ، بنفسٍ يَتَدَفَّق بِحُرِّها ، وَيَتَأَلَّق وَفُرِّها ، يباليغ في إكرام من يعاشره ، ويهشُّ لوفادته عليه ويكاشره . قد اشتهر بالتوسع في الأُطعمة والمشارب ، والتنقل في النَّزَه والمَسارب ، قلَّ من رُئي^(١) في دمشق [مَنْ] يدانيه في سِمَاطه ، أو تَنخَرَطُ لآلئِ حِشْمَتِهِ في أَسَاطِه .

مَنْ تَعَاطَى تَشَبُّهًا بِكَ أَغْيَا هَ وَمَنْ دَلَّ فِي طَرِيقِكَ ضَلَاً

وكانت مساعيه دقيقه ، ومجازاته في المناصب الكبار حقيقه ، وثب^(٢) من الثرى إلى الثريا ، وطوى شُقَّةَ المشقَّة طَيًّا ، وتنقَّل في الوظائف الكبار ، وتوقَّل^(٤) هُضباتِ الجِدِّ من غير اعتناء ولا اعتبار ، كَأَنَّ لَهُ غُصْنَ الرِّياسَةِ يُجْنَى وَيُهْتَصَرُ ، أو كَأَنَّ لَهُ طريقاً إلى العلياء تُختَصَرُ .

ولم يزل في سَعَاداته ، وما أَلَفه في اللَّذات من عاداته ، إلى أن دُكَّ عِلْمُه ، وفُكَّ من التَّصَرَّفات^(٥) قَلْمُه .

* البداية والنهاية : ٢١٢/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٣٥٤/١ ، والدُّرَر : ٣٦٨/٣ ، وذيل العبر : ٣٢٩ .

(١) في الأصل : « رأى » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) زيادة من (خ) .

(٣) في الأصل : « وثبت » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) توقَّل : صَعَدَ .

(٥) (خ) : « التصريف » .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بكرة نهار الاثنين ثاني جمادى الأولى سنة ستين وسبع مئة . ودفن في تربة بني هلال [بالصالحية]^(١) .

كان هذا القاضي علم الدين من بقايا رؤساء دمشق ، رأى الناس وصحبهم وعاشهم وخالطهم .

وكان جميل الصورة ، أنيق الشكل ، مديد القامة ، حسن البرّة ، نظيف اللباس ، عاطر الرائحة ، يتجمل في الملابس ، ويتأنق في المآكل ، ويتوسّع في المطاعم والمشارب ، يمدّ في كل يوم من الطعام ألوانا ، ويُنْفِق على مخالطيه^(٢) المال مجّانا .

أول ما علمته من أمره أنه كان في خدمة عمه القاضي محيي الدين كاتب قبجق ، وسيأتي ذكره في مكانه ، وكان يميل إليه ويركن إلى تربيته له دون والده قطب الدين ، وكان يتوجّه معه إلى قسم النواحي ، وينوبه في ديوان الأمير سيف الدين تنكز . ولما توفي قطب^(٣) الدين رُتّب هو مكان والده في عمالة خانتقاه الشميساطي .

ثم إنّه بعد ذلك بمدة رتّبهُ الأمير سيف الدين تنكز في استيفاء ديوانه ، وأضاف إليه عمالة الأشراف ، وفي ديوان الأمير سيف الدين أرغون الدوادار ، وكان مُدْاخلاً سؤوساً ، خبيراً بالمساعي عارفاً بالتوصل [دَرِباً بالتَّوَسُّل]^(٤) ، فداخل حمزة التركاني ، وقد انفرد بالأمير سيف تنكز ، وقد احتوى عليه ، وكان يشكره للأمير سيف الدين تنكز ويرشحه عنده لكل وظيفة ، ويستكتبه عنه في مكاتبات خاصة ما يرى أن كاتب السر يطّلع عليها فيأتي^(٥) فيها بالمراد فيعجبه ذلك . ولم يزل به إلى أن حسن له أن

(١) زيادة من (خ) .

(٢) (خ) : « مخالطته » .

(٣) (خ) : « والده قطب ... » .

(٤) زيادة من (خ) .

(٥) في الأصل : « فسيأتي » ، وأثبتنا ما في (خ) .

يولييه كتابة سرّ دمشق ، فكتب فيه إلى السلطان وشكره وبالح في أمره ، فأجابه الملك الناصر محمد إلى ذلك ، وجّهز توقيعه بكتابة السرّ بدمشق في سنة ست وثلاثين وسبع مئة ثاني شعبان المكرّم^(١) ، وكان قد باشرها^(٢) في هذا اليوم قبل [وصول]^(٣) توقيعه الشريف ، ووصل التوقيع والتشريف من مصر في حادي عشري الشهر المذكور . وتولاها عوضاً عن القاضي جمال الدّين عبد الله بن الأثير^(٤) ، فولّيتها وعملها على القالب الجائر . وخضع الناس له ، وتمكّن من قلب الأمير سيف تنكز ، وكان يعجبه شكله وكتابته وتأنّيه . إلى أن لم يكن عنده في دمشق غيره ، وسلّم قيادة إليه ، وتوجّه معه إلى مصر ، وشكره للسلطان ، وبالح في وصفه ، فعظّمه السلطان وألبسه تشريفاً بطرحة ولم يكن ذلك لغيره ، وحضر بريد من الشام ، فدخل به القاضي شهاب الدّين بن فضل الله ليقراه ، فطلب السلطان علم الدّين هذا^(٥) ، وقرأه عليه ، فما حمل القاضي شهاب الدّين ذلك ، وجرى له مع السلطان ماجرى ، وقدم الدواة الأمير سيف الدّين تنكز لعلم الدّين هذا بين يدي السلطان ، فزادت عظمته [عند]^(٦) الناس .

ولم يزل كذلك وهو في أوج سعده إلى أن تغيّر عليه في سنة [ثمان]^(٧) وثلاثين وسبع مئة ، فقُبض عليه وضربه بالعصي ضرباً مبرحاً ، واحتاط على موجوده ، واعتقله مدّة ، ثم أفرج عنه وأمر أنّه لا يخرج من داره ، ولا يجتمع بأحد ، فسكن عند حمام السّلاري ، وكان ليّله ونهاره في تربة الكامليّة المجاورة للجامع الأموي ، وأقام على ذلك

(١) البداية والنهاية : ١٧٤/١٤ .

(٢) (خ) : « باشر » .

(٣) زيادة من (خ) .

(٤) عبد الله بن محمد بن إسماعيل (ت ٧٧٨ هـ) ، الشّذرات : ٢٥٧/٦ ، وانظر : الدّارس : ١٢٥/٢ .

(٥) في الأصل : « لهذا » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٦) زيادة من (خ) .

(٧) زيادة من (خ) . وانظر البداية والنهاية : ١٨٠/١٤ .

مدة إلى أن أمسك الأمير سيف الدين تنكز . فقال السلطان للأمير بشتاك ^(١) : إذا وصلت إلى دمشق ، اطلب العلم بن القطب الذي كان مستوفي تنكز ، فهو يدلّك على جميع ماله .

ولما وصل بشتاك إلى دمشق ، ونزل بالقصر الأبلق ، طلب القاضي علم الدين واستعان به على تطلّب أموال تنكز ، وتَحَكَّم علم الدين في تركة تنكز ، وأخذ منها غالب ما وجده فيها من الأصناف التي أُخِذَتْ منه ، ودخل في الأمير بشتاك وخدمه ، ودخل معه إلى مصر ، فعينه السلطان لاستيفاء الصّحبة بالديار المصريّة ، وأراد السلطان أن يَمَكِّنَه ويتسلّط على الكتّاب ، فأذاه عقله إلى مصاحبة جمال الكفاة ، ومَن كان في ذلك الزمان ، وداخلهم واتحدّ بهم ، وصافوه .

ويؤس السلطان منه فتركه ولم يزل في استيفاء الصّحبة إلى أن توفي السلطان ، ودخل الفخري وطشتر إلى القاهرة ، فسعى معها في أن يكون ناظر النظار بدمشق عوضاً عن الصّاحب علاء الدين بن الحرّاني ، فوصل إلى دمشق وباشر بها الوزارة ، ولكنّه تعب فيها تعباً كثيراً ، فاستوخم مرعاها ، وطلب النقلة من الأمير طقزتمر إلى نظر الجيوش بدمشق ، فكتب له ، فأجيب إلى ذلك ، وحضر توقيعه ، فباشر ذلك عوضاً عن القاضي فخر الدين بن العفيف ^(٢) ، فَحَمِدَ مَسْرَاهُ عند صَبَاح هذه المباشرة ، ورأى فيها ما لا رآه غيره ، ودانت له الأيام ، وطال عمره فيها ^(٣) ، وطابَ عَرْفُهُ .

وكان كثير الهدية للمصريين والخدمة لهم ^(٤) ، وما جاءت دَوْلَة إلا وهو فيها عزيز مُكْرَم لا يبالي بن ناواه ، ولا يعبأ بن جاره ، يَقْهَرُ خُصُومَه ولا يدرون سِرَّهُ ولا مكتومه ، وباشر هذه الوظائف الثلاث التي هي أكبر مناصب دمشق .

(١) (خ) : « سيف الدين بشتاك » .

(٢) محمد بن محمد بن الحسن (ت ٧٢٦ هـ) ، الوافي : ٢٣٨/١ .

(٣) في (خ) : « وطال عزه ... » .

(٤) (خ) : « كثير الخدمة للمصريين وللهداة لهم » .

ولم يزل على حاله إلى أن مَرَضَ بَعْلَةُ الرَّبِّو ، فأقام على ذلك قريباً من خمسين يوماً ، وتوفي - رحمه الله تعالى - في التاريخ المذكور ، وكان يعتريه وَجَعُ الْمَفَاصِلِ في كُلِّ سنة فأنهكه ذلك ، وهَرَمَ به وانحنت قامته وضعف .

وَكُنْتُ قد كَتَبْتُ له توقيعاً بعمالة ديوان الأشراف بدمشق في شهر رجب سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة وهو :

« رسم بالأمر العالي ، لا زال يُتَلَقَّى برفع عِلْمِهِ ، وَيُكَسِّبُ المناصب فخراً بمن يُولِّيه لكفاية هِمَمِهِ أن يَرْتَبَ المجلس السَّامِي القضائي ^(١) علم الدِّين في كذا ، ثقة بكفايته التي شهدت بها مخائله ، ودَلَّتْ عليها حركاته السعيدة وشأئله ، وتكفلت حركاته ^(٢) المباركة أن تُبَلِّغَهُ من العليا ما يُحاوِلُهُ ، إذ هو الكاتب الذي أضحت نظراؤه في المَعْدوم مَعْدوده ، والبارِعُ الذي مخزومة ^(٣) فضله لا تبیت إلا وهي بالحاسن مسدوده ، والماجد الذي خرَّجَ سيادته عن سلفه ، فكانت أبوابُ النقص فيها مردودة . أقلامه في كَفِّه أنابيب يضمُّها منه خير عامل ، وأَعْنَى يُصَرِّفُها في السَّيادة بأطراف الأنامل . فليباشر ما فَوَّضَ إليه مباشرةً يَطْلُبُ بها من الله رضاه ، ويدخِّرْ عمله فيها عنده ، فيا حبَّذا ما يعتمده ويتوخَّاه ، ويحمل لواء الشرف لهذا الدِّيان ، تولَّى خدمته وتوالاه ، وينفق في الفضل ^(٤) من سَعَةِ مجده فقد كفاه ما نالته منه كَفَّاه ، ويشق بالسَّعادة التي أظفرتة حتى ببركة آل البيت ، ويشكر الله على هذه النُّعْمة التي أدخلته في حساب حَسْبِهِم الذي هو شَرَفُ الحَيِّ والمَيِّتِ ، مجتهداً على رضا السَّادة الأشراف بإيصال كل منهم ما يخصُّه ، على اختلاف القسمه ، محققاً معرفة بيوتهم الشريفة التي بقاؤها ما بين هذه الأُمَّة نِعْمَهُ ، وتقوى الله تعالى مَعْقِلَ حَصِين ، فلا يلتجئ إلى غيره ،

(١) (خ) : « القاضي » .

(٢) في (خ) : « مساعيه » .

(٣) في الأصل : « محرومة » ، وأثبتنا ما في (خ) ، والخزم : الثقب .

(٤) في الأصل : « المجد » ، وأثبتنا ما في (خ) .

وَجَبَلٌ^(١) مَتِينٌ فَلَا يَتَمَسَّكَ بِغَيْرِ عُرْوَتِهِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ خَيْرِهِ ، وَلِيَقَابِلَ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِشُكْرِ يَوْصِلُهُ إِلَى مَا تَسْتَحِقُّهُ أَهْلِيَّتُهُ فِي ذِمَّتِهَا ، وَتَبْلُغُهُ الرِّتَبُ^(٢) الْعَلِيَّةُ الَّتِي لَا تَنَالُهَا النُّفُوسُ إِلَّا بِشُرفِ هِمَّتِهَا ، وَاللَّهُ يَتَوَلَّى عَوْنَهُ فِيمَا وَلَاهُ ، وَيَزِيدُهُ فَضْلاً إِلَى فَضْلِهِ الَّذِي أَوْلَاهُ ، وَالْإِعْتَادُ فِيمَا رُسِمَ بِهِ عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وَكُتِبَتْ أَنَا إِلَيْهِ مِنَ الْقَاهِرَةِ وَهُوَ بِدِمَشْقَ :

مِنْ جُودِ كَفِّكَ تَجَجَّلُ الدَّيْمُ	وَمِنْ مُحَيَّاكَ تَنْجَلِي الظُّلْمُ
يَا مَنْ سَمَا وَارْتَقَى وَطَالَ عُلَا	حَتَّى غَدَا وَهُوَ فِي الْوَرَى عَلَمٌ
وَمَنْ صَفَتْ لِلْوَرَى مَكَارِمُهُ	وَسَاعَدَتْهَا الْأَخْلَاقُ وَالشِّيمُ
وَمَنْ إِذَا خَطَّ طَرَسَهُ خَجَلَتْ	مِنْهُ رِيَاضٌ بِالزَّهْرِ تَبْتَسِمُ
وَمَنْ إِذَا فَاهَ بِالْكَلَامِ فَمَا	تَرَاهُ إِلَّا الْعَقْدُودُ تَنْتَظِمُ
لَسْتُ أَطِيلُ الْكَلَامَ فِي صِفَةِ	تَرْضَى بِهَا فِي عُلُوكِ الْكَلِمُ
مِثْلِكَ وَاللَّهُ مَا رَأَيْتُ وَلَا	يَصْلُحُ إِلَّا لِمِثْلِكَ الْكَرَمُ
عِنْدِي مِنَ الشُّوقِ وَالتَّطَلُّعِ مَا	يَعْجِزُ عَنْ بَعْضِ وَصْفِهِ الْقَلَمُ
أَوْجَشَنِي وَجْهَكَ الْجَمِيلَ فَلَمْ	يَلِذْ مِنْ بَعْدِهِ لِي الْحُلْمُ
فَالْقَلْبُ مِنْ لَوْعَةٍ وَمِنْ حُرْقٍ	مُضْطَرِبٌ دَائِماً وَمُضْطَرِمٌ ^(٣)
وَالْعَيْنُ أَفْنَى الْبَكَاءِ مَدَامِعُهَا	فَسَالَ مِنْهَا بَعْدَ الدُّمُوعِ دَمٌ
وَاللَّهُ مَا سَارَ فِي الطَّرِيقِ مَعِي	بَعْدَكَ إِلَّا الْبُكَاءُ وَالنَّدَمُ
فَلَيْتَنِي لَا أَطَعْتُ فِيكَ نَوَى	وَلَا سَعَتَ لِي لِفَرْقَةٍ قَدَمٌ ^(٤)

وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ مِنْ مِصْرَ أَهْنُهُ بِكِتَابَةِ السَّرِّ بِدِمَشْقَ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَجَبَل » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (خ) .

(٢) (خ) : « مِنَ الرِّتَبِ » .

(٣) (خ) : « مِنْ رَوْعَةٍ » .

(٤) فِي (خ) : « وَلَا سَعَتَ لِي » .

قد عَمَّنَا هَذَا الْمَنْهَاءَ الَّذِي حَدِيثُهُ عِنْدَ الْعُلَا مُسْنَدٌ
وَهُوَ مِنَ الْأَقْلَامِ وَالنَّفْسِ قَدْ حَقَّقَهُ الْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ^(١)
يَاسِيداً كَمْ لِمَسَاعِيهِ مِنْ فَضْلِ بِإِبْلَاغِ الْعُلَا يَشْهَدُ
نُودِيَتَ مَرْفُوعاً إِلَى رَبِّبَةِ إِذْ أَنْتَ فِيهِمَا عِلْمٌ مُفْرَدٌ

١٤٨٧ - مُحَمَّدٌ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ *

القاضي الرئيس أمين الدين بن القلانسي التيمي ، كاتب السر الشريف بدمشق .

تقدم نسبه في ترجمة والده القاضي جمال الدين في الأحدين .

بأشر وكالة بيت المال ، ثم انتقل إلى كتابة السر في آخر الحال ، وما لبث في ذلك إلا دون الثلاث سنين أو ما يزيد ، وعُزل منها عزلاً غير حميد .

وله الأملاك التي تكاثر الأفلاك وتفاجر الدر المنظم في الأسلاك من البساتين الموتقة ، والأراضي التي تسمى^(٢) النواظر إلى حدائقها محدقة ، والقاعات التي تبتهت العيون في زخرفها ، وتحتلي محاسن مارأتها صواحب المكر من يوسفها ، وحوانيتها لكل أجرّة منها أجره ، وفي كل ذرة منها لولا الغلو لقلت ذرة ، ومن ذلك ما جرّه الإرث إليه ، ومن ذلك ما أنشأه بما لديه ولكنه ﴿ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ ﴾^(٣) ولا كثرة مملكه ولا ما نظمه من الجوهر في سلكه ، وخان الدهر أمين الدين في حياته ، وكشف الموت باطن الأرض لمواراته .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في يوم الأحد سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثلاث

وستين وسبع مئة .

(١) (خ) : « والنقش » .

* البداية والنهاية : ٢٩٢/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٣٧٥/١ ، والدرر : ٣٦٢/٣ ، والذارس : ٢٣٢/١ ،

٢٦٦ ، وفي (خ) ومصادر ترجمته زيادة في نسبه « محمد » .

(٢) في الأصل : « والبساتين التي غشي » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) سورة السد : ٢/١١١ .

ومولده فيما أظنُّ في سنة إحدى وسبع مئة .

وله إجازة من الحافظ شرف الدِّين الدميّاطي وجماعة . وحدّث عن ابن مكتوم ، وعن عيسى المطعم وغيرهم .

وكان قد [دخل] ^(١) إلى الديوان في حياة والده ، واختصَّ بالقاضي شرف الدِّين بن الشهاب محمود لما كان كاتب السّرّ بدمشق ^(٢) ، ولما مات والده أُعطي من وظائفه نظر الظاهرية ^(٣) وتدرّيس العرونية ، ووقّع في الدّست في أواخر أيام تنكز . ولم يزل يَسُدّ الغيبة عن كتابة السّرّ في غيبة من يغيب . وتولّى بيت المال مدّة . وأخذها منه القاضي علاء الدِّين الزُّرعي ، فمالث فيها شهرين فما دونها ، حتى أُعيدت إليه . ولما أخذ الزُّرعي منه الوكالة عوضوه عن ذلك بقضاء العسكر ، ولما أُعيد إلى الوكالة لم يزل فيها إلى أن رُسِم له بكتابة السّرّ في دمشق عوضاً عن القاضي ناصر الدِّين ، وذلك في أوائل صفر سنة ستين وسبع مئة . وتوجّه القاضي ناصر الدِّين إلى كتابة سرّ حلب عوضاً عنّي ، وحضرتُ أنا إلى دمشق عوضاً عن القاضي أمين الدِّين على وظيفته وكالة بيت المال ، وتوقيع الدّست .

ولم يزل في كتابة السّرّ إلى أن حضر السلطان الملك المنصور صلاح الدِّين محمد بن حاجي في واقعة الأمير سيف الدِّين بيدمر ، فعزّل منها بالقاضي ناصر الدِّين ، ورُسِم عليه ، وأخذ منه مبلغ مئة وخمسين ألف درهم وأكثر ، فوزنها ، وأباع ما بيده من الوظائف وغيرها ، وطرح الرّياسة ، وصار يمشي بلا كلفة في ملبوس ولا غيره . ولم يبقَ على ذلك إلاّ دون السبعة أشهر حتى انقطع يومين .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في التاريخ المذكور . ولم تبقَ معه مدرسة ولا تصدير في الجامع الأموي ، غير أنطار يسيرة نزل عنها لولده ، ودُفِن في تربتهم عند حمام النّحاس .

(١) زيادة من (خ) .

(٢) ليست في (خ) .

(٣) في الأصل : « القاهرة » ، وأثبتنا ما في (خ) والدارس : ٢٦٦/١ .

وبلغني أنه كان له أربعة جُباةٍ لأَمْلاكه . ومن الغريب أنه هو وأبوه وعمّاه وجدّهم كلّ منهم ماتعدى الاثنتين وستين سنة ، وكان دائماً يقول : أنا ما أعدّي أعمار أهلي ، فكان الأمر كما قال .

وكان - رحمه الله تعالى - خاتمة رؤساء بيته .

وكان قد قرأ على شيخنا العلامة شهاب الدّين أبي الشّناء محمود كتابه (حُسن التّوسّل) وكتابته (مَنَح المَدَح)^(١) وغير ذلك .

١٤٨٨ - مُحَمَّد بن أحمد ...*

الشيخ الإمام ناصر الدّين الحنفي المعروف بالرُّبُوعَة ، بضم الرّاء وسكون الباء الموحّدة وبعد الواو المفتوحة هاء .

كان من فضلاء الحنفيّة . وكان بيده تدريس المقدميّة داخل باب الفراديس بدمشق^(٢) ، ونزل عنها لولده ، واشتغل هو بخطابة جامع الأمير سيف الدّين يلبغا^(٣) - رحمه الله تعالى - بعد منازعات ومحاصمات .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - يوم الثلاثاء العشرين من جمادى الأولى سنة أربع وستين وسبع مئة .

وتولّى مكانه في الخطابة قاضي القضاة جمال الدّين الكفري^(٤) الحنفي .

وكان الشيخ ناصر الدّين المذكور يعرف بالقونوي .

(١) وهما مطبوعان .

* كذا بياض في الأصل ، وكذا وقع نسبه في البداية والنهاية : ٣٠٠/١٤ ، وفي وفيات ابن رافع : ٢٨٠/١ ، والدُّرَر : ٣٢٧/٣ : « مُحَمَّد بن أحمد بن عبد العزيز » ، وفي الدّارس ، ٤٥٩/١ : « محمد بن أحمد بن عطية بن عبد العزيز » . وفي ذيل العبر : ٣٦٩ ، « الشهير بابن الرُّبُوعَة » .

(٢) وهي للقدميّة الجوائية . الدّارس : ٤٥٦/١ .

(٣) على شطّ بردي تحت قلعة دمشق اليوم . انظر الدّارس : ٣٢٦/٢ .

(٤) في الأصل : « الكفوي » ، تحريف ، وهو يوسف بن أحمد بن الحسين (ت ٧٦٦ هـ) ، وفيات

ابن رافع : ٤٠٣/١ ، والدُّرَر : ٤٤٦/٤ ، والدّارس : ٤٨٠/١ .

١٤٨٩ - مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ بْنِ مُحَمَّدٍ*

الشيخ الإمام الفاضل نجم الدين القموي^(١) ، بفتح القاف وضم الميم وسكون الواو وبعدها لام .

كان من الفقهاء النبلاء والأعيان الفضلاء ، يكاد يستحضر (الروضة) ، ويترع من سردها حوضه ، وينقل من شرح مسلم^(٢) كثيراً ، ويكرّر على شرحه مغيراً ، ويفعل كذلك في (وجيز) الواحدي في التفسير^(٣) ، ويأتي على ما فيه من تقرير فوائده بأحسن تقريب وتقريب ، ويده في العريضة والأصول طولى ، وإذا تكلم في الفرائض والجهير والمقابلة بلغ المطالب مراماً وسؤلاً .

ولم يزل على حاله إلى أن التهم القموي قبره ، وطاب خبره ، وعُدِمَ خبره .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بقوص في جمادى الأولى سنة سبع^(٤) وسبع مئة .

قال الفاضل كمال الدين الأدفوي : كان لا يستغيب أصلاً^(٥) ، ولا يُستغاب بحضرته ، قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وملازماً للعبادة والإشغال ، متقللاً^(٦) من الدنيا ، قليل النظر . وأظنه لو عاش ملاً الأرض علماً .

حجّ وزار وعاد ، فتوفي في قوص رحمه الله تعالى .

* الوافي : ١٨٤/٢ ، والطالع السعيد : ٥٠٠ ، والدُرر : ٣٧٧/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٧٩/٨ .

(١) نسبة إلى « قُمُولَة » ، بليدة بأعلى الصعيد من غربي النيل . (معجم البلدان) .

(٢) شرح مسلم للتووي ، كما في الطالع السعيد .

(٣) والواحدي هو : علي بن أحمد (ت ٤٦٨ هـ) ، كشف الظنون : ٢٠٠٢/٢ .

(٤) في الطالع السعيد ، والنجوم : « تسع وسبع مئة » .

(٥) في الطالع : « أحداً » .

(٦) في الوافي والطالع : « والاشتغال » . وفي الأصل : « متقللاً » ، وأثبتنا ما في الطالع والوافي .

١٤٩٠ - مُحَمَّدُ بْنُ أَرْغُونِ بْنِ أَبِغَا*

ابن هولاكو بن تولي بن جَنْكَز خان المغلي ، القان غياث الدّين خدايندا ، معناه بالعربيّ عبد الله وإنما الناس غيروه فقالوا خربنداً^(١) ، صاحب العراق وأذربيجان وخراسان .

ملك بعد أخيه غازان ، وتقدم ذكره ، وكانت دولته ثلاث عشرة سنة .

كان شاباً مليحاً ، حَسَنَ الوجه صبيحاً ، لكن شأنه العور قليلاً ، وما شأن ذاك من حاز وجهاً جميلاً .

وكان جَوَاداً لا يلحقه في حلبة الكرم جواد ، سمحاً تَمْحُو أياديهِ البيض ما في الدّياجي من السّواد ، مُحِبّاً للعمار ، مُعْرِضاً عما يتعلّق بالملكة والإماره ، قد استغرق في اللعب ، وأعرض عما يَجِدُهُ الجادّ التّعَب ، لَعِبَ بعقله الروافض فرَفَضوه ، وأجابهم إلى ذلك لَمَّا دعوه إلى الضلالة وفاوَضوه .

فَيَالَهُ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ يَرْفَعُهُ اللَّهُ إِلَى أَسْفَلٍ

ولم يزل في عيشه الذي لا يردُّ فيُضِضه ، إلى أن فارق الحياة بهيْضَه .

وتوفي في شهر رمضان سنة ست عشرة وسبع مئة ، ودُفِنَ بِسُلْطَانِيَّةٍ . وسُلْطَانِيَّةٌ بلدة أنشأها ورسم بعمارتها ، وتوفي بقوص من أبناء الأربعين^(٢) .

وكان قد حضر إلى الرحبة ، وحاصرها في شهر رمضان سنة اثنتي عشرة وسبع مئة^(٣) ، وأخذها بالأمان ، وعفا عن أهلها ، ولم يَسْفِك فيها دمأً وبات بها ،

* الوافي : ١٨٥/٢ ، والدُرر : ٣٧٨/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٣٨/٩ ، وذيول العبر : ٨٨ .

(١) انظر ما جاء في النجوم الزاهرة عن اسمه .

(٢) كنا العبارة في الأصل . وفي الوافي : « وهو في عشر الأربعين » . والسلطانية : في أرض قنغزلان

بالقرب من قزوين . (النجوم الزاهرة) .

(٣) انظر ، البداية والنهاية : ٦٦/١٤ .

فما أصبح ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من شهر رمضان المذكور ، وترك لأهل الرحبة أشياء كثيرة من أثقال مجانيق وغيرها . وكان معه يومئذ قراسنقر والأفرم وسليمان بن مهنا ، وذكرت في ترجمة جوبان ما اعتمده في أهل الرحبة من الخير في هذه الوقعة ، وكان أهل الرحبة ، قد حلقوا لخريندا ، فلما ارتحل عنها ، واستقر الأمر ، التمس قاضيها ، ونائبها^(١) وطائفة حلفت له من السلطان عزلهم فعزلهم لمكان اليمين من خريندا .

وكان مسلماً فما زال به الإمامية حتى رقصوه وغير شعار الخطبة ، وأسقط منها ذكر الخلفاء سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وصمم أهل باب الأنج^(٢) عليه وخالفوه ، فما أعجبه ذلك ، وتبر ، ورسم بإباحة دمائهم وأموالهم ، فعوجل بعد يومين بهيضة مزرعة ، داواه فيها الرشيد بسهل منطف فخارت قواه .

وكان قبل موته قد رجع عن التشيع ، وقال بقول أهل السنة .

وفي رحيله عن الرحبة يقول علاء الدين الوداعي ، ومن خطه نقلت :

ما قرَّ خريندا عن الرحبة الـ عظمى إلى أوطانِه شوقا
بل خاف من مالِكها أنه يلبسُه من سيفِه طوقا^(٣)

ولما تشيع السلطان خريندا قال جمال الدين إبراهيم بن الحسام المقدم ذكره

يمدحه :

أهدي إلى ملك الملوك دعائي وأخصه بمَدائحي وثَنائي
وإذا الورى والوا ملوكاً غيره جهلاً ففيه عقيدي وولائي
هذا خدائدا محمد الذي ساد الملوك بدولة غراء

(١) الأمير بدر الدين موسى بن أبي بكر الأزكشي ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) حلة كبيرة في شرقي بغداد . (معجم البلدان) .

(٣) يشير إلى مالك بن طوق ، باني الرحبة ، وسلفت الإشارة إلى ذلك .

أَكْنَفُهَا طَوْعاً بِغَيْرِ عَنَاءٍ
عَنْ صَارِمٍ أَوْ صَعْدَةِ سِرَاءٍ
تَغْنِيكَ عَنْ جَيْشٍ وَرَفْعَ لِوَاءٍ
فَالنَّاسُ بَيْنَ مَخَافَةٍ وَرَجَاءٍ ^(١)
لَا يَرْهَبُونَ الْمَوْتَ يَوْمَ لِقَاءِ
رُغْبٍ يُقْلِقِلُ أَنْفُسَ الْأَعْدَاءِ
قَدْ عَمَّ فِي الْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ
وَطَبِيبُهُ الدَّارِي بِحَسْمِ الدَّاءِ
تَعْلُو بِهَمَّتِهِ عَلَى الْجَوَازِ
فَوْقَ الْمَتَابِرِ أَلْسَنَ الْخُطَبَاءِ
بِاسْمِ النَّبِيِّ وَسَيِّدِ الْخُلَفَاءِ
أَحْسِنُ بِذَلِكَ النَّقْشِ وَالْأَسْمَاءِ ^(٢)
وَرَفَعْتَ قُرْبَاهُ عَلَى الْغُرَبَاءِ ^(٣)
يُجْزِيكُمَا الرَّحْمَنُ خَيْرَ جَزَاءٍ
وَوَرِثَ مُلْكَهُمْ كُلَّ عَسَلَاءٍ

مَلِكِ الْبَسِيطَةِ وَالَّذِي دَانَتْ لَهُ
أَغْنَتْكَ هَيْبَتُكَ الَّتِي أُعْطِيَتْهَا
وَلَقَدْ لَبِسْتَ مِنَ الشَّجَاعَةِ حُلَّةً
مَلَأَ الْبَسِيطَةَ رَحْبَةً وَمَهَابَةً
مِنْ حَوْلِهِ عَصَبٌ كَأَسَادِ الشَّرَى
وَإِذَا رَكِبْتَ سَرَى أَمَامَكَ لِلْعَدَى
وَلَقَدْ نَشَرْتَ الْعَدْلَ حَتَّى إِنَّهُ
فَلِيهِنَ دِيناً، أَنْتَ تَنْصُرُ مَلِكُهُ
نَبَّهْتَهُ بَعْدَ الْخُمُولِ فَأَصْبَحْتَ
وَبَسَطْتَ فِيهِ بِذِكْرِ آلِ مُحَمَّدٍ
وَعَدْتَ ذُرَاهِمَكَ الشَّرِيفَةَ تَقْشُهَا
وَنَقَشْتَ أَسْمَاءَ الْأَنْمَةِ بَعْدَهُ
وَلَقَدْ حَفِظْتَ عَنِ النَّبِيِّ وَصِيَّةً
فَابْشِرْ بِهَا يَوْمَ الْمَعَادِ ذَخِيرَةً
يَا بَنِي الْأَكَاكِيرَةِ الْمُلُوكِ تَقْدَمُوا

وَلَمَّا رَجَعَ عَنِ التَّرْفُضِ وَتَسَنَّ ، وَكُتِبَ عَلَى الدَّرَاهِمِ وَالِدَنَانِيرِ الشَّهَادَتَيْنِ وَأَسْمَاءِ
الصَّحَابَةِ ، قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ فِي ذَلِكَ :

يُشَابِهُهَا فِي خِفَةِ الْوِزْنِ عَقْلُهُ
لَقَدْ رَأَيْتُ رَأْيِي هَذَا التَّسَنُّنُ كُلَّهُ

رَأَيْتُ لِخَرَبِنَا الدَّالِّينَ دَرَاهِمًا
عَلَيْهَا اسْمُ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ وَصَحْبُهُ

(١) في الوافي : « رغبة ومهابة » .

(٢) في الأصل : « أسماء الصحابة » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهي المرادة .

(٣) في الوافي : « القرباء » .

١٤٩١ - مُحَمَّدُ بْنُ أَرْغُون*

ابن الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير سيف الدين أرغون .

كان والده نائب الديار المصرية ، وكافل الممالك ، وتوجّه مع والده لَمَّا توجّه إلى حلب نائباً ، وكان السلطان الملك الناصر مُحَمَّدٌ قد أمّره بالديار المصرية طبلخاناه وأمر معه جماعة منهم الأمير سيف الدين أيتُمِش نائب الشام والأمير سيف الدين بيدمر البدري نائب حلب وغيرهما ، وكان السلطان يحبّه ويعظّمه ويقربّه .

وكان حسن الصُّورة ، بديع الجمال ، محاسنُه للواصف غير محصوره ، أخلاقه لطيفة ، وحركاته ظريفة ، أظنُّ الشيخ أثير الدين أقرأه العريّيه ، ودربّه في النكت الأدبيّه ، وله فيها أبيات نظمها غزلا ، وجوّدُها عملا ، وكان يشكره ويوقّره ، وللمكارم يوقّره :

أفعالٌ من تَلِدُ الكِرَامَ كَرِيْمَةً وَفِعَالٌ مِّنْ تَلِدِ الأعَاجِمُ أَعْجَمُ

كان يتأتى بأخلاق والده ، ويتكسّب من طارفه وتالده ، وزاد عليها فبلغت بالإجادة ، وأتى عليها والفرع فيه ما في الأصل وزيادة .

ولم يزل بحلب على حاله إلى أن كسف الموتُ شمسَه ، وأطبق على درّه المكنون رُمُسه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم الجمعة ثاني عشر شعبان سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، ودُفن يوم السبت في تربة سودي خارج باب المقام .

١٤٩٢ - مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ**

ابن نصر بن صقر ، شمس الدين الحلبي الحلبي ناظر أوقاف حلب .

* الدرر : ٣٧٩/٣ .

** الوافي : ٢٠٠/٢ ، والدرر : ٣٨١/٣ .

كان قد باشر نظر الأوقاف ويبيده جهات ، يلبس لبس الفقراء ، وهمة همة
الأمراء . يمدحه الشعراء ويحيزهم ، وينفلهم^(١) عن غيرهم في العطاء ويميزهم ، وفيه
كرم وسماحه ، وعلى مَحْيَاه قبول وصباحه ، وهو مقيم بالخانقاه ، والعز والجاه ، قد
أقاما معه وما فارقاه . وحضر إلى دمشق صحبة قراسنقر فما لاق بها ولا لاقت به ، لمن
بها من الكتبة ، وكان إذا ضاق عطنه بها قال : ما يحملني إلا تلك الخرية .

وعاد إلى حلب وأحمد فيها المنقلب ، وأقام بها إلى أن حَلَّت على ابن صقر من
الموت عقابُه الكاسر ، ووقع بسياقه منها بين الخالب والمناسر .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شعبان سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده بحلب ثالث عَشْرِي جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

كان يذكر أنه سمع من قرابته الضياء^(٢) ، ومن الحافظ يوسف بن خليل

قال شيخنا البرزالي : وما وجدنا شيئاً من ذلك ، وإنما روى عن النجيب
عبد اللطيف ، سمع منه بالقاهرة (مشيخة) بن كليب^(٣) ، انتهى .

قلت : وقد رأيته بحلب غير مرة في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة . وهو شيخ
أبيض ، أحمر الوجه ، تقي الشَّيب ، نظيف الثياب ، ورأيت الحلبيين يشكون في
شهاداته ، وإنما كان [فيه]^(٤) كرم وقيام بحقوق الواردين إلى حلب .

ومن امتدحه الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة ، وأنشدني من لفظه لنفسه :

(١) في الأصل : « ويقلمهم » ، ولعل ما أثبتناه أشبه .

(٢) في الدُّرر : « الضياء صقر » .

(٣) في الأصل : « كلب » ، وأثبتنا ما في الدُّرر ، وهو ابن كليب الحراني ، عبد المنعم بن عبد الوهاب

(ت ٥٩٦) ، السير : ٢٥٨/٢١ .

(٤) زيادة يقتضها السياق .

والله لولا شمسها المَجْتَبَى (١)

ولم يُصَادِفْ لَبَنًا طَيِّبًا (٢)

لم يَلِقَ راجي حَلَبٍ زُبْدَةً

وَأُنْشِدُنِي :

ولا نَظَرْتُ عَيْنَايَ يَوْمَ مَغِيْبِهِ (٣)

بَقِيَّةَ صَافِي الْمُزْنِ غَيْرَ مَشُوبَةٍ (٤)

حَبَابُ حَمَيَّاهَا بَيَاضٌ مَشِيْبِهِ (٥)

حَمَى اللهُ شَمْسُ الْمَكْرَمَاتِ مِنَ الْأَذَى

لَقَدْ أَبَقَتْ الْأَيَّامُ مِنْهُ لِأَهْلِهَا

كَأَنَّ سَجَايَاهُ اللَّطِيفَةَ قَهْوَةً

وبلغني أنه كان يأخذ القصيدة من شاعرها ، ويكتب في قفاها تاريخ إيصالها إليه ، ويذكر الجائزة ماهي ، ويدعها عنده . فإذا تقدم ذلك الشاعر في الزمان أو صارت له صورة في الدولة ، أحضر للناس تلك القصيدة ، وقال : هذه أتى بها إليّ في الوقت الفلاني ، وأجزته عليها بكذا ، فعل ذلك بجماعة كبار ، وحكي أنه كان تاج الدين بن النصيري له حُجْرَةٌ (٦) شقراء يركبها دائماً . فاتفق أن ركب غيرها في بعض الأيام فرآه شمس الدين بن صقر فقال له : ياتاج الدين أين الشقراء ؛ فقال ابن النصيري : في اسْتِي . فضحك هو ومن سمعه .

(١) صدره كما في الدرر :

يَا لَيْلِي عَنْ حَلَبٍ لَا تُطِيلِ

ولم نقف عليه في الديوان .

(٢) ديوان ابن نباتة : ٥٧ .

(٣) في الدرر : « عيناك » .

(٤) في الدرر : « فيه لأهلها » .

(٥) في الدرر : « ينجي مشيبيه » .

(٦) هي أنثى الخيل ، وفي القاموس أنها بغير هاء .

١٤٩٣ - مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ لَوْلُو*

الأمير جلال الدين بن الملك المجاهد سيف الدين بن السلطان بدر الدين الأتابكي ، صاحب الموصل .

سمع من النجيب عبد اللطيف (جزء ابن عرفة) ، والحديث المسلسل ، و (الثمانيات) و (المصافحات) المخرجة له ، وسمع (الجمعة) للنسائي .
توفي - رحمه الله تعالى - في شهر رجب سنة عشرين وسبع مئة .

١٤٩٤ - محمد بن أسعد بن عبد الكريم**

ابن سليمان بن طحا القاياني ، الشيخ الإمام كال الدين أبو بكر المنصوري .
سمع من النجيب عبد اللطيف وأخيه العز عبد العزيز ، وابن الحامض^(١) ، وغيرهم .
وتوفي - رحمه الله تعالى - ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبع مئة ، ودُفن بالقرافة .

وقد أجاز لي رحمه الله تعالى .

وكان معيداً بزاوية الشافعي وبالزاوية المجدية .

١٤٩٥ - محمد بن أسد***

الشيخ شمس الدين ، الكاتب المجود ، المعروف بابن النجار .

* الدُرر : ٣٨٢/٣ .

** الوافي : ٢٠٢/٢ ، والدُرر : ٣٨٢/٣ .

(١) محفوظ بن عمر بن أبي بكر (ت ٦٩٣ هـ) ، الشذرات : ٤٢٧/٥ .

*** الدُرر : ٣٨٢/٣ .

كتب عليه جماعة بمدرسة القليجية بدمشق وبداره ، وانقطع في آخر عمره مدة .
وتوفي - رحمه الله تعالى - تاسع عشر ربيع الآخر سنة ست وعشرين وسبع مئة .

١٤٩٦ - مُحَمَّد بن أسعد بن حمزة*

القاضي نجم الدين بن القاضي مؤيد الدين بن الصاحب عز الدين بن القلانسي التميمي ، تقدم ذكر والده وجدّه .

كان نجم الدين رحمه الله تعالى كثير الأدب ، وافر الحشمة ، قد تمسك فيها بأقوى سبب ، زائد التواضع في الرغب والرهب ، متبياً عشاقاً ، يشرب كأس الحب دهاقاً^(١) ، لا يزال يهيم من المحبة في كلّ واد ، ولا يصدّه عن يألفه يدّ عواد .

وكان في ديوان الإنشاء أولاً ، ثم جعل له إلى ديوان الجيش متحوّلاً ، وبيده أوقاف وأنظار ، وماله في سعادته أشباه ولا أنظار . وكان يؤدّي الأمانة فيما يباشره من الوقوف ، ولم يكن له تربص عن الخروج من الحق ولا وقوف ، وكان يرجع إلى ديانه وتمسك بعصم الأمانة^(٢) . إلى أن انكدر نجمه ، وانضمّ عليه لما نزل رجمه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم الخميس خامس شوال سنة ثمان وخمسين وسبع مئة ، ودُفن بعد الظهر في تربة والدته ، ولم يُدفن عند أبيه وجده .

وكان لا يأكل إلّا ممّا يدخّله من وقف والدته دون أوقاف أبيه وجدّه .

وكان في ديوان الإنشاء أولاً ، ولم يُسمع له نظم ولا نثر ، ويقول : أنا لا أدع الناس يضحكون عليّ .

ولمّا جاء الفخري وملك دمشق خرج من ديوان الإنشاء وباشر صحابة ديوان

* الدرر : ٣٨٢/٣ .

(١) أي : ممتلئة . وفيه اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وَكُلُّاً دِهَاقاً ﴾ [سورة النبأ : ٣٤/٧٨] .

(٢) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ ، [سورة الممتحنة : ١٠/٦٠] .

الجيش بدمشق ، وكانت بيده أنظار وأوقاف^(١) وغيرها يؤدي فيها الأمانة ، ويتحرى في مصروفها ، وكان قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى يثني عليه في ذلك ، ويقول : ما رأيت في دمشق مثله .

وكان يدخله من ملكه ووقفه في [كل]^(٢) سنة ما يقارب الأربعين ألف درهم ، إلا أنه كان مُبَخَّلًا ، وفي يده مُسَكَّة . ويكتب كتابة ضعيفة مرجوفة .

وقف يوم الخميس لملك الأمراء ، وسأله الإعفاء من^(٣) الجامكية إلا الكسوة لا غير ، فتعجب ملك الأمراء منه ، وخرج من عنده ، فرض يوم السبت وما جاء الخميس الآخر إلا وهو تحت التراب .

١٤٩٧ - مُحَمَّد بن إسماعيل *

السُّلْطَان الْمَلِك الْأَفْضَل نَاصِر الدِّين ابْن السُّلْطَان الْمَلِك الْعَالِم الْفَاضِل عِمَاد الدِّين الْمُؤَيَّد بن الْأَفْضَل عَلِي ابْن الْمَلِك الْمُظْفَر ابْن الْمَلِك الْمَنصُور ابْن صَاحِب حِمَاة تَقَى الدِّين عَمْر بن شَاهَنْشَاه بن أَيُوب بن شَاذِي . مَلِك ابْن مَلِك ، وَذُو نَسَب فِي الْبَيْت الْأَيُوبِي يَضِيءُ بِهِ اللَّيْل الْحَالِك^(٤) ، يَعْطِي عَطَاء الْمُلُوك ، وَيَجُود بِمَا تَحْجُل مِنْ نَفَاسَتِهِ الشَّمْسُ فِي الدُّلُوك^(٥) ، وَيَغْنَم مِنَ الثَّنَاء عَلَيْهِ بِالْجَوَاهِر الَّتِي تَنْتَظِم فِي السَّلُوك ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُحْظُوظًا فِي جُودِهِ ، وَلَوْ سَمَحَ بِمَا فِي مَوْجُودِهِ .

كَانَ وَالِدُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ أَسْعَدَ ، وَأَرْقَى فِي دَرَجِ الثَّنَاءِ وَأَصْعَدَ .

(١) (خ) : « وقوف » .

(٢) زيادة من (خ) .

(٣) في الأصل : « عن » ، وأثبتنا ما في (خ) .

* الوافي : ٢٢٤/٢ ، وتاريخ أبي الفداء : ١٣٦/٤ ، والذُّرر : ٢٨٨/٣ .

(٤) في (خ) : « الحلك » .

(٥) الملوك : الغروب .

وكان الملك الأفضل سليم الباطن عديم الشرّ للنازح والقاطن ، تنسك في وقت وجلس على لبّاد ، ورفض سماع الشعر حتى تقاض الفرزدق وجريير .

وما كان يخلو من ذوق ، وعنده فضيلة تزين ربّ التاج والطوق ، كثير التأدب مع من يخاطبه ، غزير التّعتب على من يقاطعه أو يجانبه ، كبير التألب على من يستدعيه لجوده ولا يجاوبه :

وَرِثَ السَّيِّدَةَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ كَالرَّمْحِ أَنْبُوبًا عَلَى أَنْبُوبٍ^(١)

ونقل أخيراً إلى دمشق من حماه ، وترك ملكة فيها وحمّاه ، فأكدّه على ذلك الحزن ، وطوّل الغمّ له الرّسن ، وحصل له قولنج أعقب بصرع ، وألحق بالأصل الفرع . وجفّ من حياته الضرع ، وضاق من أهله وخدمه الذرع ، وأفضى الأفضل إلى ماقدّم من عمل^(٢) ، وخاب بمن كان يقصده ويرجوه الأمل ، ووُضع في تابوت ونقل إلى حماه ، ورشف العدو من السرور لَمّاه ، فعاد من وطنه إلى غير سكّن ، وناح عليه حتى ناعورة أم الحسن .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بدمشق ليلة الثلاثاء حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .
ومولده ...^(٣) .

كان والده رحمه الله تعالى ، قد سمّاه في حياته بالمنصور ، فلمّا توفي والده في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة رسم له السلطان الملك الناصر محمّد بمكان أبيه في حماه ، وسمّاه بالأفضل باسم جدّه ، ورسم السلطان للأمير سيف الدّين تنكز ولسائر نواب الشام أن يجروه على عادة والده في جميع أحواله من المكاتبه وقبول الهدية وسماع الشفاعة وغير ذلك .

(١) أنبوب الرمح : كعبه .

(٢) في الأصل : « عمل العمل » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) كنّا بياض في الأصل و (خ) .

وطلبه إلى مصر وأقبل عليه ، وكتب تقليده بحجة^(١) على عادة والده ، وأفاض عليه التشاريف الفاخرة ، وكان يعطي الناس ويجود عليهم^(٢) ، ويخدم الأكابر وهو مذموم . وما زال في حَياة مَرُوعاً مُدَّةَ حياته تارة من جهة السلطان ، وتارة من جهة تنكز ، وتارة من جهة العربان ، يأخذون إقطاعاته ، وتارة من جهة أقاربه يَشْكُون عليه .

وكان وهو في حماة قد ولّاني نظر المدرسة التقوية بدمشق نيابة عنه ، وزاد معلوم النظر . ولَمَّا حضر إلى دمشق توجَّهت إلى خدمته ، فتصدَّق وأحسن وأجل ، وتردَّدتُ إليه ، وسَمِعْتُ كلامه غَيْرَ مَرَّةٍ ، وما كان يخلو من استشهادٍ على ما يقوله بشعر مطبوع ، أو مثل مشهور .

ولم يزل على حاله في حماة إلى أن تولى الأشرف^(٣) كجك ، فرسم له بحضوره إلى دمشق ، وولِّيَ الأمير سيف الدِّين طقزقر نيابة حماة ، وأن يكون الأفضل بدمشق أمير مئة رأس الميسرة ، وأن يُطَلَّقَ له من دخل حماة ألف ألف درهم ومئتا ألف في كل سنة ، فوصل إليها في أوائل شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، فلم يركب بها سوى مركبين^(٤) ، وحصل له قولنج أعقب بَصْرُع ، فتوفِّي في التاريخ المذكور .

ومن الغريب أن زوجته كانت قد مرضت وأشرفت على الموت ، فعمل لها تابوتاً ليضعها فيه إذا توفيت ، ويحملها إلى حماة ، فتوفي هو قبلها ، فوضعت والدته هو^(٥) فيه بعينه ونقلته إلى حماة . ثم إن الزوجة المذكورة توفيت عشية ذلك النهار ، وتوجَّه ابنه

(١) في الأصل : « إلى حماة » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) في الأصل : « عليه » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) في الأصل : « الأشرف » ، سهو ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) في (خ) : « موكين » .

(٥) ليست في (خ) .

إلى مصر صحبة جدتها ، فأكرم نزلها إكراماً لِقَوْمِها ، وأعطى ابنه الأكبر سبعين فارساً ،
فمات في مصر قبل خروجهم^(١) . فسبحان مَنْ يُقَرِّبُ الآجال ، ويقطع الآمال .

وَتَرَكَ الْمَلِكُ الْأَفْضَلَ - رحمه الله تعالى - عليه من الدين على ما بلغني مِّنْ لَهُ اِطْلَاع
على حاله فوق^(٢) الألفي ألف درهم .

وكان الأمير سيف الدِّين تنكز قد حنا عليه آخراً حُنُوءاً كثيراً ، وأراد السُّلْطَانُ أَنْ
يَعْزِلَهُ عَنْ حِمَاةِ فَتَوَجَّهَ تَنَكَّزٌ إِلَى مِصْرَ ، وَشَفَعَ فِيهِ ، وَلَمَّا أُمْسِكَ تَنَكَّزَ تَعَبَ بَعْدَهُ ،
وَلَزِمَتْهُ مِغَارِمُ كَثِيرَةٌ ، وَكَثُرَتِ الشَّكَوَى عَلَيْهِ ، وَقَلَّ نَاصِرُهُ فَتَضَعُضَتْ أَحْوَالُهُ ،
وَاخْتَلَّتْ أُمُورُهُ ، وَكَانَ الْمَوْتُ فَجَاءَهُ آخِرَ خَمُولِهِ - نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخَمُولِ ..

وقال شاعره وشاعر أبيه جمال الدِّين مُحَمَّدُ بْنُ نَبَاتَةِ يَرِثِيهِ وَأَنشَدْنِيهَا مِنْ لَفْظِهِ :

تَغَرَّبَ عَنْ مَغْنَى حَيَاةِ مَلِيكُهَا وَأَوْدَى بِهَا مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَمَاتُهُ
وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ بَعْضُ نِسَائِهِ بِهِمْ وَكَادَتْ أَنْ تَمُوتَ حِمَاتُهُ^(٣)
وقال فيه أيضاً قصيدة منها^(٤) :

بَكَى الشَّعْرُ أَيَّامَ الْمَنَى وَالنَّائِحِ فِي كُلِّ بَيْتٍ لِلنَّشَا صَوْتُ نَائِحِ
وَلَمَّا ادْلَهَمَّتْ صَفْحَةُ الْأَفْقِ بِالْأَسَى عَلِمْنَا بِأَنَّ الشُّهْبَ تَحْتَ الصَّفَائِحِ
حَيَا الْمُرْنِ أَسْعِدْنِي عَلَى فَقْدِ سَادَتِي بِدَمْعٍ كَجَدْوَاهُمْ عَلَى الْخَلْقِ سَافِحِ^(٥)

(١) (خ) : « خروجهم منها » .

(٢) (خ) : « جملة فوق » .

(٣) في الديوان : ٨١ بيتان يشبهان هذين ، رثى فيها الأفضل ، هما :

مَضَى الْأَفْضَلَ لِلرَّجْوِ لِلْبَاسِ وَالنَّدَى وَصَحَّتْ عَلَى رِغْرِ الْمُدَاةِ وَفَاتَهُ
وَمَا مَاتَ أَوْ مَاتَ بِحُزْنِ نِسَاؤِهِ وَمَاتَتْ بِأَحْزَانِ الْبِلَادِ حِمَاتُهُ

(٤) ديوانه : ٩٩ .

(٥) في الديوان :

« ... على فَقْدِ سَادَةٍ . بدمع كجدواهم على الناس طافح »

قَرِيضٌ لِشَادٍ أَوْ سُورٍ لِفَارِحٍ
تَشَبُّ الْعُلَا نَارَ الْقِرَى وَالْقَرَائِحِ
لَقَدْ أَوْحَشُوا مِنَّا يَبُوتَ الْمَدَائِحِ^(١)

أَبْعَدَ بَنِي شَادٍ وَقَدْ سَكَنُوا الثَّرَى
أَبْعَدَ مَلُوكِ الْعِلْمِ وَالْبَاسِ وَالنَّدَى
لَنْ أَوْحَشُوا مِنْهُمْ يَبُوتَ مَقَامِهِمْ
منها :

فِيَا لِأَسَى مِنْ فَادِحٍ بَعْدَ فَادِحٍ^(٢)
بُكَاءٌ وَلَا إِنْسَانٌ عَيْنِي بِكَادِحٍ^(٣)
فَمَنْ جَذَعَ بَذَّ الْجِيَادَ وَقَارِحٍ^(٤)
سَنَا شَيْمَ مَا فِيهِ قَوْلٌ لِقَادِحٍ

تَلَا فَقَدْ إِسْمَاعِيلُ فَقَدْ مُحَمَّدٌ
وَزَالَا فَا إِنْسَانٌ عَيْنِي بِمُمْسِكٍ
كَأَنَّ لَمْ يَجِدْ بَعْدَ الْمُؤَيَّدِ أَفْضَلَ
كَأَنَّ زِنَادَ الْفَضْلِ لَمْ يَوْرِ مِنْهَا
منها :

إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا عَلَيْهِ بِصَالِحٍ^(٥)
سَلَامٌ لِنَارِ الْحَزَنِ بَيْنَ الْجَوَانِحِ

وَوَاللَّهِ كَانُوا فِي صِفَاتٍ مُحَمَّدٌ
سَلَامٌ عَلَى جَنَاتٍ أَجْدَاثِهِمْ وَلَا

وَأُنشِدُنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ الْأَدِيبِ عِلَاءِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ مِقَاتِلِ الْحَمَوِيِّ بِحِمَاةٍ يَرِثِي
صَاحِبَهَا لِلْمَلِكِ الْأَفْضَلِ وَيَعْرِضُ بِمَجِيءِ طَقْرِ تَمْرِ لِحِمَاةٍ نَائِبًا بَدَلَهُ ، وَهُوَ مَمْلُوكٌ أَبِيهِ :

يَيْدِقُ تَغْرِزْنَ عَقْدُ بَنْدُو عَلَى الْهَامَاتِ
لِعِبِّ بِنَفْسُو عَلَى خَيْلٍ رَكْبَهَا مَاتَ^(٦)

صَاحِبُ حِمَاةٍ مَا عَطِي فِي الدَّسْتِ الْهَامَاتِ
دَارَتْ عَلَيْهِ رِخَاخُ أَفْيَالٍ وَهَامَامَاتِ

وَأُنشِدُنِي أَيْضًا :

(١) فِي الدِّيَوَانِ : « لَقَدْ أَوْحَشَتْ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « قَادِحٌ بَعْدَ قَادِحٍ » ، وَأَبْتَنَّا مَا فِي (خ) وَالْوَاقِي وَالْدِّيَوَانِ .

(٣) فِي الدِّيَوَانِ : « بَكَاءٌ ... وَلَا إِنْسَانٌ قَوْلٌ .. » .

(٤) لَيْسَ فِي دِيَوَانِهِ .

(٥) فِي الدِّيَوَانِ : « وَاللَّهِ مَا نَقَضِي حَقُوقَ مُحَمَّدٍ » .

(٦) فِي الْأَصْلِ وَ (خ) : « وَهَامَاتِ » ، وَأَبْتَنَّا مَا فِي الْوَاقِي .

يَا أَوْلَادَ الْأَفْضَلِ كُسِرْتُوا كَسْرَ مَا لَوْ جَبَّرَ فَقَدْتُمْ ابْنَ الْمُؤَيَّدِ نَجَلَ ذَاكَ الْعَبْرَ^(١)
تَصَبَّرُوا وَأَنْدَبُوا مَنْ قَدْ حَوَاهُ الْقَبْرَ فَالَ أَيُوبَ هُمْ أَهْلُ الْبَلَاءِ وَالصَّبْرِ
وَأُنْشِدُنِي لَهُ أَيْضاً :

بِالْأَمْسِ يَا أَوْلَادَ الْأَفْضَلِ صَاحَ صَاحِبِكُمْ عَلَى الْمَلَايِينِ غَادِيَكُمْ وَرَايِحَكُمْ
وَالْيَوْمَ صَارَتْ مَغَانِيكُمْ نَوَاحِيكُمْ وَابْتَدَلَتْ بِمَرَاتِيكُمْ مَسَدَايِحَكُمْ
وَأُنْشِدُنِي لَهُ أَيْضاً :

مُحَمَّدُ الْمُصْطَفَى الْخِتَارِ مِنْ مَنَشَاءِ مَنْ شَرَّفَ الْكَوْنَ فِي سَابِعِ سَمَاءِ مَمْشَاءِ^(٢)
أَذَاقَهُ الْمَوْتَ مَنْ كُلُّ الْوَرَى تَخْشَاءِ مَنْ هُوَ مَلِكُ مِصْرَ أَوْ مِنْ هَوَابِنِ شَاهَنْشَاءِ^(٣)
وَلَمَّا مَاتَ وَالِدُهُ الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - حَضَرَ مِنْهُ كِتَابٌ إِلَى الْأَمِيرِ
سَيْفِ الدِّينِ تَنْكَزُ يَعْلَمُهُ بِذَلِكَ فَكَتَبَتْ أَنَا الْجَوَابَ^(٤) إِلَيْهِ :

« جَعَلَهُ اللَّهُ خَيْرَ خَلْفٍ ، وَهَنَّا الْبَيْتَ الْأَيُّوبِيَّ بِمَا وَرَثَهُ مِنَ الْمَجْدِ^(٥) الْمُؤْتِلَ وَالشَّرَفِ ،
وَسَقَى صُوبَ الرَّحْمَةِ أَصْلَهُ الَّذِي فَرَّعَ ذَوْلَتَهُ^(٦) الطَّاهِرَةَ وَسَلَفَ ، تَقْبِيلَ مِنْ صَدْعِ الْهِنَاءِ
جَبَّرَ قَلْبَهُ ، وَمَسَحَ كَفَّ السُّرُورِ غَمَامَ دَمْعِهِ الَّذِي [كَادَ هَيْدَبُهُ]^(٧) يَذْهَبُ يَهْدُبُهُ ،
وَيُنْهِي بَعْدَ الدَّعَاءِ الَّذِي أُجِيبَ بِالْقَبُولِ لِإِخْلَاصِهِ رَفْعَهُ ، وَالْوَلَاءِ الَّذِي لَمْ يَضُقْ
بِالْعُبُودِيَّةِ رُبْعَهُ وَلَا ذَرْعَهُ ، وَالثَّنَاءِ الَّذِي أَخْجَلَ تَغْرِيدَ الْحَمَامِ فِي الْخَمَائِلِ سَجْعَهُ ، أَنَّ
مِثَالَهُ الْكَرِيمِ وَرَدَّ عَلَى يَدِ فُلَانٍ يَتَضَمَّنُ مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ وَفَاةِ الْمَقَامِ الشَّرِيفِ

(١) فِي الْوَاقِفِ : « كُسِرْتُمْ كَسْرَ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ وَ (خ) : « مَنَشَاءِ » ، وَأَبْتَنَّا مَا فِي الْوَاقِفِ .

(٣) هُنَا تَنْتَهِي تَرْجُمَتُهُ فِي الْوَاقِفِ .

(٤) فِي (خ) : « أَنَا عَنْهُ الْجَوَابُ » .

(٥) (خ) : « وَهْنًا الْأَنَامُ بِمَا وَرَثَهُ عَنْ سَعَادَةِ بَيْتِهِ التَّقْوِيَّ مِنَ الْمَجْدِ ... » .

(٦) فِي (خ) : « دَوْحَتِهِ » .

(٧) زِيَادَةٌ مِنْ (خ) .

العبادي والد مولانا قدّس الله روحه الكريمه ، وسقى تربة ضمته صوب كل ديمه . فوقف للملوك على الخبر الذي روع العباد ، وغدا كل قلب كأنها يجربه على شوك القتاد ، ونظر إلى النجوم كأنها خرائد سافرات في حداد ، فأرسل للملوك ذمعة الصب على الحبيب الناهب ، وأخذ من قسمة الأحزان بين الأنعام نصيبه الواجب ، وكيف لا يعم الوجود هذا المصاب ، وتبين الدُموع بسحها شخ^(١) السحاب ، وقد كُورت الشمس ، ولا تقول انقضّ الشهاب ، وغيض البحر ، ولا تقول انقشع^(٢) الرّباب ووهى عماد الملك ، ولا تقول انقصمت^(٣) الأطناب ، وفجع بمن أثقلت أياديه الأعناق قبل أن حُمِلَ على الرّقاب :

رَدّت صنائعه عليه حياته فكأنه من نشرها منشور

وللوقت طالع الملوك العلوم الشريفة بذلك ، ووَرَدَ الجواب الشريف يتضمن شمول مولانا بالصدقات الشريفة ، وإقامته مقام والده قدّس الله روحه ، فهنا الله مولانا بهذه البشرى التي صدقت الرّجا ، والمسرة التي رُقت سطورها على كافور النهار بعنبر الدّجى^(٤) . وما أحقّ هذه البشرى أن تهتز لها أعطاف المنابر ، وأن تنطق بمجدها السنة الأقلام من أفواه المحابر ، وأن تعدّ نعمها أنامل الرايات إذا خفقت ، وأن تتورد صفحات السيوف من دم الأعادي إذا امتشقت ، والله يجمّل الأيام بدولته الزاهرة^(٥) ، ويجعل الأقدار على مراده ومرامه متظافره ، بمنه وكرمه - إن شاء الله تعالى - .

فعاد جوابه يتضمن أنه واصل إلى دمشق ليتوجّه منها إلى الديار المصريّة ، فكتبت أنا الجواب إليه :

(١) (خ) : « سح » .

(٢) (خ) : « نقشع » .

(٣) في الأصل : « انصمت » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) في (خ) زيادة : « والهناء الذي خلق الأصيل أفق السماء بزغفرانه ، والفرح الذي قلّد الليالي بدر أنجمه وجمانه » .

(٥) (خ) : « القاهرة » .

« أَعَزَّ اللَّهُ أَنْصَارَ الْمَقَامِ الشَّرِيفِ الْعَالِي الْمَوْلَوِيِّ السُّلْطَانِي الْمَلِكِي الْأَفْضَلِي ، وَلَا زَالَ مَقَامُهُ الشَّرِيفُ بِالتَّحْفِ مُلْتَحِفًا ، وَمَجْدُهُ الْمُؤْتَلَّ بِأَزَاهِرِ الْمَحَامِدِ رَوْضُهُ أَنْفًا ، وَرَكَابُهُ الْعَالِي إِذَا سَارَ أَخَذَتْ الْأَرْضُ زِينَتَهَا ، وَلَبَسَتْ زَخْرَفًا^(١) تَقْبِيلًا يَكْسِبُ بِهِ ثَغَرَ الثَّرَيَا شَرَفًا ، وَيَغْدُو عَلَى^(٢) شَفَةِ الْهَلَالِ شِفَا ، بَعْدَ أَنْ كَانَ مِنَ السُّقْمِ عَلَى شِفَا . وَيُنْهِي بَعْدَ ادْعِيَةِ رُقَّتْ عَلَى سِرَادِقِ الْإِجَابَةِ أَحْرَفًا ، وَعِبُودِيَّةٍ لَمْ يَجِدِ الْوَلَاءَ عَنْ إِخْلَاصِهَا مَضْرَفًا ، وَأَثْنِيَّةٍ تَنْشُرُ عَلَى الرُّوضِ بَرُودًا وَتَقْرَأُ الْحَمَائِمَ مِنْ سَجْعِهَا صَحْفًا . وَرَدَ^(٣) الْمَثَالُ الْعَالِي يَتَضَمَّنُ حَرَكَةَ الرِّكَابِ الْكَرِيمِ إِلَى الْأَبْوَابِ الشَّرِيفَةِ ، فَكَادَ قَلْبَ الْمَمْلُوكِ لِتَلْقِيهِ يَطِيرُ فَرَحًا ، وَيُمِيدُ عَطْفَ الزَّمَانِ وَمَنْ فِيهِ مَرَحًا ، وَيَكُونُ يَوْمَ قُدُومِهِ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ ضَحَى . فَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهَا حَرَكَةً مَقْرُونَةً بِالسُّعُودِ ، مُوصُولَةً بِالْمَيَامِينِ الَّتِي [بِهَا]^(٤) جَمَالَ الْأَيَّامِ وَالْأَنَامِ وَالْوُجُودِ » .

وكتبت أنا إليه عن السلطان الملك الناصر مُحَمَّدٌ كتاباً ببشارة النيل عقيب وروده من الحجاز سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة :

« أَعَزَّ اللَّهُ أَنْصَارَ الْمَقَامِ الشَّرِيفِ ، وَجَعَلَ رُسُلَ الْهِنَا تَتَوَارَدُ عَلَى مَقَامِهِ تَتَرَى ، وَأَهْجَهُ بِكُلِّ نَبَأٍ^(٥) مِنَ الْخَصْبِ يَتَحَرَّقُ لَهُ الْبَرْقُ حَسَدًا فِي قَلْبِ السَّحَابِ وَيَتَحَرَّى ، وَسَرَّهُ بِكُلِّ خَبَرٍ يَتَفَرَّقُ بِهِ مَحَلُّ الْمَحَلِّ وَيَتَفَرَّى ، وَيَعْمَهُ بِكُلِّ وَارِدٍ يَقْصُ عَلَيْهِ حَدِيثًا جَعَلَ الْبَرَّ بَحْرًا وَمَلَأَ الْبَحْرَ بَرًّا . أَصْدَرْنَاهَا إِلَى مَقَامِهِ الْكَرِيمِ تَجِدَ^(٦) رَعِي عَهُودِهِ ،

(١) فِيهِ اقْتِبَاسٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ ﴾ [سورة يونس : ٢٤/١٠] .

(٢) (خ) : « وَرُود » .

(٣) (خ) : « فِي » .

(٤) زِيَادَةٌ مِنْ (خ) .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « ثَنَاء » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (خ) .

(٦) فِي (خ) : « تَجِدُ » .

وَتَفَضَّ سَلاماً يتردد إليه تردّد أمواج^(١) البحر في انحداره وصعوده ، وتبثّ ثناء لا يزال بين خفق ألوّيته وينوده ، وتُبْدي إلى العلم الكريم أنه وَرَدَ رُكابنا الشريف إلى محل^(٢) ملكه ، ومجرّة فلّكه ، ومجرى فلّكه ، فوجدنا النيل المبارك قد جعل الأرض لجّه ، وأرّخى نقاب تيّاره على وجه كل مَحَجّه ، وارتفع إلى أن جعل على هَضَبات السّحاب مَقَرّه ، وزاد إلى أن كاد يمازج نهر المجرّه ، وبعث سرايا مقدّماته ، فتحصّنت في كلّ فجّ وفجّوه ، وانعطف حول أضرار الأهرام كالعرّوه ، وشرب دم المَحَل فهو من تحت حباب القلوع كالقهوه ، واتّصف بصفات الأولياء ، فبينما هو في أقصى الجنوب إذا هو في أقصى الشمال ، والأرض للرجل الصّالح خُطّوه ، وأصبح في طلب تخلّيقه مُجِداً ، وأعدّ للجذب من تياره سابعه وعداء علنّدى^(٣) ، ومَرَق كالسّهم في خليجه من قسيّ قناطره ، وخنق المَحَل بعبّراته في محاجره ، وبشّر أن آلاف الأموال أضعاف ما فيه من الأمواج ، وخبرت رقاعه^(٤) أنّه لم يبق فيها مُحْتالٌ ولا محتاج ، فأكل السّنة عشرة ذراعاً .

وكتبت إليه أجوبة كثيرة عن الأمير سيف الدّين تنكز ، منها ما هو جوابٌ على^(٥) شمش كافوري أهداه في باكورة السّنة ، ومنها ما هو عن رُخام مُلَوّن أهداه وغير ذلك ، وهي في الجزء الثامن عشر من (التذكرة) التي لي .

١٤٩٨ - مُحَمَّد بن إسماعيل بن أسعد*

وقيل : ابن أحمد بن علي بن منصور بن مُحَمَّد بن الحسين الشّيباني ، الأمير

(١) في الأصل : « انحدار » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) (خ) : « مستقرّ » .

(٣) يشير إلى بيت عمرو بن معد يكرب :

أَعَدَدْتُ لِلْعَدَثَانِ سَابِقَةً وَعَدَاءَ عَلْنَدَى

شعره : ٨٠ . والعنّدى من كل شيء : الغليظ .

(٤) في الأصل : « رقاعه » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٥) (خ) : « عن » .

* الوافي : ٢٢٧/٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٥٥ ، والدُرر : ٣٨٦/٣ ، والشذرات : ١١/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢١٧/٨ .

شمس الدّين بن الصّاحب شرف الدّين الآمدي ، المعروف بابن التّيقي ، بناءً ثالثة الحروف مكسورة ، وبعدها ياء آخر الحروف ، وتاء ثانية وياء النسب .

كان وزيراً بماردين ، وحضر أخيراً في الرّسليّة من الملك أحمد^(١) صحبة الشيخ عبد الرّحمن الكواشي ، ومات من أرسلكه وحبس رُسُله ، ومات الشيخ عبد الرّحمن ، على ما ذكرته في ترجمته في (تاريخي الكبير)^(٢) ، وطُلبَ شمس الدّين هذا إلى مصر ، وأُعطي إقطاعات الحلقة ، وترقّى إلى أن صار نائب دار العدل في أيام السّلطان حسام الدّين لاجين .

وحَفَلَ به فَرَسٌ فَوَقَعَ ، فمات - رحمه الله تعالى - في ثامن جمادى الآخرة سنة أربع وسبع مئة بمصر .

روى عن الشيخ بهاء الدّين بن بنت الجُمَيْزي ، وأبي الحَسَن بن المقير ، وجَمَاعَة . وكانت له مشاركة في نحو ولغة . وروى عنه شيخنا الحافظ أبو الفتح ، والشيخ قطب الدّين عبد الكريم ، وغيرهما .

ومن شعره :

وَإِذَا مَا الدَّهْرُ مَالَ عَلَيْكَ يَوْمًا	وَصَالَ بِصَرْفِهِ وَسَطًا وَجَارًا
فَثِقَ بِاللَّهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِ	يَكُنْ لَكَ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ جَارًا ^(٣)
وَإِنْ دَارَتْ دَوَائِرُهُ يَبْغِي	عَلَيْكَ وَعَنْكَ بِالْإِقْبَالِ دَارًا
وَشَطَّ بِكَ الْمَزَارُ فَلَا مَزَارَ	وَبَاعَدَ عَنْكَ أَحْبَابًا وَدَارًا
فَلَا تَجْزَعُ وَدَارٍ وَكُنْ صَبُورًا	فَمَنْ يَرْجُو نَجَاةً مِنْهُ دَارِي

(١) سنة (٦٨٢ هـ) كما في التالي .

(٢) الوافي : ٢٦٠/١٨ .

(٣) في الأصل : « صرف الدهر » ، ولا يستقيم بها الوزن .

وَلَا تَرَكَنَّ إِلَى الدُّنْيَا وَبَادِرْ فِعْلِ الْخَيْرِ وَاعْتَنِمِ الْبَادِرَا
فَإِنَّ أَخَا الْجَهَالَةِ مَنْ تَوَلَّى وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى الدُّنْيَا اعْتَبَارَا

أنشدني من لفظه شيخنا الحافظ فتح الدين ؛ قال : قال الأمير شمس الدين ابن التّيّي :

أنشدت الزّين خالد :

قُلْتُ لِلزَّيْنِ : كَيْفَ لَا تُثَبِّتُ الْبَعْدَ ثَ وَتَنْفِي إِنْكَارَهُمُ لِلْحَشْرِ
قَالَ : أُثْبِتُ . قُلْتُ : ذَقْنِكَ فِي اسْتِي قَالَ : أَنْفٍ . قُلْتُ : فِي وَسْطِ حَجْرِي
قُلْتُ : أَخِذْ هَذَا الْمَأْخِذَ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

جَاءَ سَدُّ يَدِ الدِّينِ فِي وَجْهِهِ أَنْفٌ لَهُ كَأَذِ يُوَارِيهِ
قُلْتُ لَهُ : مَاذَا الْقَضَا؟ قَالَ لِي : ذَا مِنْخَرِي ، قُلْتُ : أَنَا فِيهِ

١٤٩٩ - مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُوسَى*

الشريف تقي الدين الحُسَيْنِي الْأَشْقَرُ .

كان يتوكّل للناس من الأمراء ، وغيرهم وتوكّل لأمر حسين بن جندر بك ، وتوجّه له إلى مصر ، وعاد إلى دمشق .

ثم إنه شَنَقَ روحه في بيته بحجارة بلاطَة^(١) ، وكتب ورقة وعلّقها في عنقه ، يقول فيها : مَا أَذَانِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمَا فَعَلْتُ هَذَا بِنَفْسِي إِلَّا بِسَبَبِ الدِّيُونِ الَّتِي عَلَيَّ ، وَخَشِيتُ أَنْ أَضْرِبَ بِمِقَارِعِ الْأَمِيرِ عِلْمَ الدِّينِ الطَّرْقَجِي . وَمَا كَانَ قَدْ اسْتَدَانَ مِنْ جَامِعِ السَّلَامِيِّ ، وَمِنْ غَيْرِهِ عَشْرَةُ آلَافِ دَرَاهِمٍ وَأَكَلَهَا ، فَرَأَى ابْنَ جَامِعٍ^(٢) وَشَكَاهُ إِلَى

* الدُّرَرُ : ٣٩٢/٣ .

(١) أشار إليها صاحب الدارس غير مرّة ، انظر : ٢٨٤/١ ، ٣٦٨ ...

(٢) هو عمر بن جامع بن يوسف السَّلَامِيُّ (ت ٧٥٧) . وفيات ابن رافع : ٣٣٥/١ .

أوران الحاجب ، فرسم عليه وتهده بالطرقجي ، ففعل بنفسه ذلك في سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

١٥٠٠ - مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ*

القاضي الرئيس الكاتب كمال الدين بن الأثير ، موقع الدست بالديار المصرية .

كان فاضلاً في صناعته ، كاملاً في براعته ، فصيحاً في عبارته ، مليحاً في إشارته وشارته . يكتب خطأً آتق من الحقائق ، وأرشق من الأغيد الذي لطفت منه الخلائق ، كتب المناشير الكبار والتواقيع ، وأتى فيها بمقاصد الكتاب المطاييع ، فكان كما قال الغزي :

تَصِيخُ لَه الْأَسَاعُ مَا دَامَ قَائِلًا وَتَغْنُولُهُ الْأَبْصَارُ مَا دَامَ كَاتِبًا

ولم يزل على حاله في توقيع الدست بمصر إلى أن أصبح مسجى .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ذي الحجة النصف منه سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته حافلة بأرباب الدولة والعلماء والصوفية ، وصلى عليه بالجامع الأموي بدمشق ، يوم الجمعة سادس عشر ذي الحجة .

ورثاه شيخنا العلامة شهاب الدين محمود - رحمه الله تعالى - بقصيدة طنانة وهي ... (١) .

ومن إنشاء القاضي كمال الدين بن الأثير - رحمه الله تعالى - نسخة تقليد للأمير شمس الدين قراستقر المنصوري بنيابة دمشق عقيب قدوم الملك الناصر من الكرك وهو :

* الدرر : ٢٨٦/٣ .

(١) كذا بياض .

« الحمد لله الذي أنجز من الألفة للإسلام ما وعد ، وأطفأ لهب الخلف ، وقد وثد ، وأحسن عاقبة المسلمين فيما صدر من أمرهم وما ورد ، جاعل المليك من هذا البيت الشريف منتقلاً في عقبه ، آيلاً إلى من أصبح ومغناه أهل به لما حل في رتبته ، وأضحى وهو مفروض الطاعة على الأولياء في تغير الدهر ومثقله . نحمده حمداً من يعلم أنه يؤتي المليك من يشاء من عبادته ^(١) ، وأن الأقدار جارية على مراده ، غير معترض على مشيئته معرض نفسه لعناده .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من رضي بقسمه ^(٢) ، وفوض الأمر إلى حكمه ، ووقف في زمرة قوم يعلمون أن الله ﴿ يعلّم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه ﴾ ^(٣) .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي وطأ للإسلام مهاده ، وأزال عن جفن الإيمان غمض الشرك وسهاده ، واستنقذ من يد الضلالة رباً الحق ووهاده .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أصحاب الحل والعقد وذوي ^(٤) الاجتهاد والجد ، وأهل السعي المقترن بالسعد ، صلاة مستمرة الإيراد ، متصلة الأوراد ، مؤفية بالمراد مؤذنة للرائد بخصب المراد ، وسلم تسلياً .

وبعد :

فإن الممالك أولى من قام بنصرها ، وقعد بالمصلحة في أمرها ، وأقيمت به دعوتها وعزت بعزمه ذروتها ، وفوض تديرها إلى نظره ، وحسنت فيها مواقع أثره ، واستقامت هضبة أسها على رايه ، واستقلت بمهامها كفالة ولائه ، من حمى سرحها

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِي مَلِكًا مَنْ يَشَاءُ ﴾ [سورة البقرة : ٢٤٧/٢] .

(٢) أي : بعبثائه .

(٣) سورة البقرة : ٢٥٥/٢ .

(٤) في الأصل : « وذوي » .

وبني صَرَحَها ، وسدَّدَ أمورَها ، وسدَّ ثَغَرَهَا وثغورها ، وحَمَّأها من الأيدي المتخطفة ، وصانَها من الأغراض المتحيِّفة ، واستقلَّ بأعبائها التي أدت ، ونَهَضَ بحفظها ، وقد كانت العزائم هَمَّتْ بأنْ تُفَلَّ أو كادت ، ووقفَ المواقف التي تهول ، وثَبَّتْ بحيث الأقدام تَزَلُّ والأحلام ^(١) تَزول ، واصطلى في مضائق الحروب جَمَرُها ، وكان فيها بمحمد الله في الرأي قَيْسَها ، وفي الإقدام عَمَرُها ^(٢) ، وهو الجنابُ العالي الأميري الشمسي قراسنقر ، ذو الصفات الكاملة ، والسيرة العادلة ، والأنا الجميلة والهمم الجلييلة ، والمحاسن الجزيلة ، والطريقة المتَّبعة ، والأفعال التي لا تخشى منها تَبِعَهُ ، والآراء الصائبة ، والمساعي التي لم تشبُها في نصره الإسلام شائبة .

طالما خاض الغمرات ، واصطلى الجمرات ، وأقدمَ إقدامَ اللَّيْث ، وحرس الممالك من العَيْث ^(٣) ، وأقام الأدِلَّةَ على فَضْلِهِ ، وأجْلَبَ إلى الأعداء بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ . إليه تُشَدُّ الرِّحالُ في صَوْنِ الأمور وصَلاخِ الجمهور ، واستطلاعِ خبايا المقاصد ، وأخذِ الأعداء بِالْمُرَاصِدِ ، وإقامةِ شعائر الدين ، ونُصْرَةِ حِزْبِ الْمُوحِدِينَ .

وقد اقتضى رأينا الشريفُ أن نفوِّضَ إليه نيابةَ السِّلْطَنَةِ الشريفة بالشام المحروس من حدود العرائش إلى ساميِّه ، وجعلنا كلمته في النفاذ باقيه ، وعزَّمَتَهُ في رتبة المَضاء راقيه ، واقتضينا في المهمَّات عقدة عزمه وحلَّه ، وأمضينا في مصلحة المملِكة تصرُّفه كلَّه ، واستندنا من تدييره إلى ركن شديد ، وعَطَفْنَا إلى مضافرته كلَّ جيد ، إذ كان المُلْكُ بمثله يُصان ، وبمحاسنه يُزَان ، وبتدييره يُسَدَّدُ ثُلْمُهُ ، وبتفويقه ^(٤) يُسَدَّدُ سَهْمُهُ . وقد قَلَّدْنَاهُ مِنَّا سَيْفَ اعتناءٍ مُطْلَقِ الحَدِّ ، ومضافرة غير متناهية إلى حدٍّ ، ومنحناه

(١) في الأصل : « والأحلال » .

(٢) يشير إلى قيس بن الأخنف ، الذي يضرب به المثل في الحلم ، وإلى عمرو بن معديكرب ، ويضرب به المثل في الشجاعة .

(٣) العيث : الإفساد .

(٤) فَوْقَ السَّهْمِ : جعل له فوقاً ، أي موضع الوتر من السهم .

اهتماماً يكفيه ما أهمّ ، ومُعاضدةً لرأيه الذي يُشرق في ليل الخطب إذ ادلَّهُمْ ، وقبولاً يبلِّغه من رفعة القَدْر ما يريد ، واتّحاداً أقرب إلى الداعي من حبل الوريد .

فلذلك رُسِم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصريّ ، لازالت دَوْلته مباركةً على الإسلام وأيامه عائدةً بصِلات الجميل التي لا تحصرها الأقلام ، أنْ تَفَوِّضَ إليه نيابة السُلْطنة الشريفة بالشام المحروس ، وأعمالها وعساكرها وممالكها وقلاعها وبلادها ورعاياها وذخائرها وأموالها ، وثغورها ورجالها ، وكبيرها وصغيرها ، وأمورها وأميرها ، وكلّ ما يتعلّق بها ويُنسَب إليها ، على عادة من تقدمه في ذلك كلّهُ ، علماً منّا بأنّه أولى مَنْ فَرَعَ ذروتها ، وقرع مرّوتها ، وحلّت له حباها ، وحُمي به حماها ، واتّسقت به عقودها ، وحُفِظت به عهودها .

فليض على رسله فيما رتّبناه فيها وقرّرنا ، ويتحقّق حسن النّيّة فيما أعلنّا من أمره وأسرّرنا ، ويذأب في بسط المَعْدلة والسيرة المُجْملة ، والعمل بالعدل فإنّه الطريق المسلوك ، وليشمل الرعايا بنظره فإنّهم عند الملوك هذه وصيّتنا له ، وأما عداها من مصالح المسلمين ، واعتماد كل ما يقضي بنصرة المؤمنين ، وجُنْدٍ تُعَرِّض ، وأرزاق تفرض ، وأموال تُثَر ، وبلاد تعمّر ، وثغور تُسدّ ، وعقود تُشدّ ، وسُطوة تكفّ الأيدي عن الجور ، ومهابة تزعزع كلّ جبار متعديّ الطور ، ونظير في المصلحة الخاصّة والعامّة ، وقصد يدلّ على الخبرة التامة ، وشرع يتّبع حكمه ، وأمر بالمعروف يُجَدِّد رُسمه ، وقلوب تُؤلّف على الطاعة ، وخدم يبذل فيها جُهدُ الاستطاعة ، فهو أدرى بما يُعاد منها وما يُبْدا ، ولم يزل في طرق الخيرات والله الحمد أهْدَى أن يُهدى . وهو غنيّ عن شَرْح فيها يطوّل ، والعُمدة في ذلك على الله تعالى ثم على تدبيره المُعَوَّل .

وسبيل كلّ من يقف على هذا التقليد الشريف من أمراء الدولة ونوابها ووزرائها ومتحفّظي حصونها وولاة أمورها كافّة أن ياتَمروا بأمره ، ويعرفوا له جلاله قَدْرهُ ، وينتهوا إلى إشارته في سرّ كل عمل وجَهْرهُ .

والله يشدُّ به قواعد الممالك ومبانيها ، ويؤهل بجميل تدبيره معاهدها ومغانيتها ،
بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

١٥٠١ - مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم *

الشيخ المسند المعمر أبو عبد الله ابن المحدث نجم الدين .
كان خاتمة أصحاب ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر وابن عبد وغيرهم . وكان قد بقي
مسند الوقف .

توفي رحمه الله تعالى في سنة ست وخمسين وسبع^(١) مئة عن تسعين سنة .

١٥٠٢ - مُحَمَّد بن إسماعيل بن عبد المؤمن **

ابن عيسى بن أبي بكر بن أيوب الشيخ المسند المعمر الصوفي ، المعروف بابن
ملوك .

حدث عن العزّ الحارثي وابن الأنماطي ، وابن خطيب المزة ، وطائفة ، وتفرد .

وتوفي بالقاهرة^(٢) في سنة ست وخمسين [وسبع مئة]^(٣) وقد تجاوز الثمانين .

١٥٠٣ - مُحَمَّد بن إسماعيل بن عمر ***

ابن المسلم بن حسن بن نصر بن أبي الدم ، القاضي الرئيس المعمر المسند عز الدين

* وفيات ابن رافع : ٣٣٢/١ ، والدُّرر : ٢٨٤/٣ ، والشُّذرات : ١٨١/٦ .

(١) في ثالث شهر رمضان . وولادته في رجب سنة (٦٦٧) ، أو (٦٦٩) .

** وفيات ابن رافع : ٣٣١/١ ، وفيه : « ناصر الدين مُحَمَّد بن إسماعيل بن أبي بكر بن أيوب » ، وفي

الدُّرر : ٢٨٧/٣ ، وذيول العبر : ٣٠٨ : « مُحَمَّد بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عيسى ... » .

(٢) في سابع عشر جمادى الأولى .

(٣) زيادة من (خ) .

*** البداية والنهاية : ٢٥٥/١٤ ، وفيات ابن رافع : ٣٣٦/١ ، وذيول العبر : ٣١٢ .

ابن القاضي الرئيس ضياء الدين ابن القاضي عز الدين أبي حفص الدمشقي ، المعروف بابن الحموي .

حفظ في صغره (التنبيه) و (الفضول) لابن معط^(١) . وسمع الحديث الكثير من الشيوخ^(٢) . وأجاز له جماعة من شيوخ مكة والمدينة ومصر وحلب وبلبك وغيرها . وروى عن والده ، وتفرد في آخر عمره برواية (السنن الكبير)^(٣) للبيهقي . ومن مروياته (الموطأ) ، و (مسند) الإمام أحمد بن حنبل ، و (صحيح) البخاري ، و (صحيح) مسلم ، و (سنن أبي داود) ، و (جامع) الترمذي ، و (سنن) النسائي وابن ماجه ، و (مسند عبدي) ، و (مسند الدارمي) ، و (مسند ابن الزبير) ، و (مسند الطيالسي) ، وكتاب (المغازي) للزهري^(٤) ، و (عمل يوم وليلة) لأبي بكر أحمد بن السنن^(٥) ، و (مكارم الأخلاق) للخرائطي^(٦) ، و (خطب ابن نباتة) ، و (فوائد) الرازي^(٧) ، و (شرح السنة) للبغوي ، و (معالم التنزيل) له ، و (الحجّة على تارك المَحَجّة) لأبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي^(٨) ، و (الجعديات)^(٩) و (الفيلانيات) [والخلعيات]^(١٠) ، و (مشيخة) ابن البخاري مع ماذيله الحافظ المزّي عليها .

(١) وتعرف بالفصول الحسنين في النحو ، ليحيى بن عبد المعطي النحوي (ت ٦٢٨) . انظر كشف الظنون : ١٢٦٩/٢ .

(٢) في (خ) « من عليّة الشيوخ » .

(٣) في (خ) : « كتاب السنن » .

(٤) مُحمّد بن مسلم (ت ١٢٤) ، كشف الظنون : ١٧٤٧/٢ ، وانظر السيرة : ٣٢٦/٥ .

(٥) (ت ٣٦٤) ، كشف الظنون : ١٧٣/٢ . والكتاب مطبوع .

(٦) أبو بكر محمد بن جعفر السامري (ت ٣١٧) ، كشف الظنون : ١٨١١/٢ . والكتاب مطبوع .

(٧) تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر البجلي (ت ٤١٤) ، كشف الظنون : ١٢٩٦/٢ .

(٨) (ت ٤٩٠) ، السير : ١٣٦/١٩ .

(٩) لأبي الحسن علي بن الجعد بن عبيد الجوهري ، وهي اثنا عشر جزءاً ، كشف الظنون : ٥٨٦/١ .

(١٠) زيادة من (خ) .

وحدث ، وروى كثيراً .

وترك ما بيده من الأوقاف ، وأقبل على الرواية ، وألقى الصغار بالكبار .

ولم يزل على حاله وملازمة الجامع الأموي إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في أواخر جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

ومولده في شهر ربيع الأول سنة ثمانين وست مئة .

١٥٠٤ - مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ... *

الأمير ناصر الدين أخو الأمير صارم الدين حاجب صفد . تقدم ذكر أخيه مكانه .

كان أحد أمراء العشرات بدمشق ، وكان الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله يثق بعقله ودينه ومعرفته ، فولاه نظراً الأوقاف بدمشق في جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة ، عوضاً عن بدر الدين بن معيد^(١) ، وولاه نظراً الحرّمين بالقدس ، فتوجّه إليها ، وعُزل ، وعاد إليه . وكانت الولاية الأولى في المحرم سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ولم يزل إلى أن توفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

١٥٠٥ - مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ نَاجِحٍ **

الشيخ الفقيه الإمام الزاهد الخطيب ناصر الدين أبو عبد الله الحموي ، المعروف بابن القوّاس وابن النقيري .

* كذا بياض في الأصل ، وترجمته في الدرر : ٣٩٣/٣ ، وعبارته : « مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الصَفْدِي » .

(١) مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، ستأتي ترجمته .

** الدرر : ٣٨٥/٣ ، وفيه : « ابن ناصح » .

نشأ في خير واشتغال وتصوَّف بدمشق ، ثم إنَّه انتقل إلى حلب ، وتزوَّج بها ،
وَوَلِيَ خطابة جامع أَلطِنغا نائب حلب ، والنظر عليه وعلى أوقافه ، وتقدَّم عنده
وأحبَّه .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - في ثامن عَشْرِي ذِي القعدة سنة خمس وعشرين
وسبع مئة .

١٥٠٦ - مُحَمَّد بن أسندمر*

الأمير ناصر الدِّين بن الأمير سَيْف الدِّين الجوكندار^(١) .

كان والده من أمراء الطبلخاناه ، ثم إنَّه تُقل من مصر إلى صفد ، ومن صفد إلى
دمشق ، ومات بها . وولَدَه^(٢) هذا ناصر الدِّين كان أمير عشرة بدمشق .
وتوفِّي - رحمه الله تعالى - في أوائل شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وسبع
مئة .

١٥٠٧ - مُحَمَّد بن آقوش**

الأمير ناصر الدِّين ابن الأمير جمال الدِّين المطروحي .

كان رجلاً جيِّداً ، وعنده دِرَاية .

قال شيخنا علم الدِّين : وسمع من شيخنا ابن النجَّار^(٣) ، وحدث .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - ليلة الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين
وسبع مئة .

* الدُّرر : ٣٩٢/٣ .

(١) في الأصل : « المحوي » ، وأثبتنا ما في (خ) والدُّرر .

(٢) في الأصل و (خ) : « وولد » ، وأثبتنا ما يقتضيه السياق .

** الدُّرر : ٣٩٢/٣ .

(٣) محمد بن محمود بن حسن (ت ٦٤٣) ، السير : ١٣١/٢٣ .

١٥٠٨ - مُحَمَّدُ بْنُ الْأَقْوَشِ *

الأمير ناصر الدين ، أحد أخوتِه ، وهم الأمير سيف الدين كجكن ، والأمير زين الدين أمير حاج ، وغرس الدين خليل ، أولاد الأقوش .

كان أبوهام أميراً بطرابلس ، ولهم وَصْلَةٌ بالأمير سيف الدين قرطاي نائب طرابلس ، كان وكانوا آخر الحال مقيمين في حلب ، ولَمَّا حضر يلغا لنيابة دمشق حضر معه ناصر الدين مُحَمَّدٌ هذا ، وَحَصَلَ له إمرة عشرة ، ثم انتقل إلى إمرة الطبلخانا . ثم إنه تولَّى نيابة بعلبك فتوجه إليها ، وأقام بها قليلاً ، ثم إنه عاد إليها نائباً مرَّةً ثانية ، ثم أُعطي نيابة حمص ، فتوجَّه إليها وأقام بها ، فلما أمسك الأمير صرغتمش رسم السلطان للملك الناصر حسن بمصادرتِه ، ومصادرة إخوته وعزلهم من وظائفهم ، فأخذ منهم تقدير ثلاث مئة [ألف] ^(١) درهم ، وأقاموا بدمشق بطالين .

ثم رسم بتوجَّهه إلى حلب وتوجه أخيه سيف الدين كجكن إلى طرابلس ، وتوجَّه أخيه زين الدين أمير حاج إلى صفد ، وأقاموا كذلك إلى أن خَلَعَ الناصر حسن ، فرُسِم بإحضارهم إلى دمشق . ولَمَّا حضر السلطان الملك المنصور إلى دمشق في واقعة بيدمر أعطى الأمير ناصر الدين إمرة طبلخانا .

وَحَصَلَ له مرض توفيَّ منه في بكرة الاثنين عَشْرِي شَوَّال سنة اثنتين وستين وسبع مئة .

١٥٠٩ - مُحَمَّدُ بْنُ أَبِيكَ **

الأمير صلاح الدين المعروف بابن أبيك الطويل .

تَنَقَّلَ في المباشرات في أيام الأمير سيف الدين تنكز ، فباشر شَدَّ السَّاحِلَ وولاية

* الدُّرَر : ٣٩٣/٣ .

(١) زيادة من (خ) .

** الوافي : ٢٣٣/٢ ، والدُّرَر : ٣٩٣/٣ .

الولاية بالصفقة القبليّة ، ثم تنقل في نيابة الرحبة وجعبر مرّات ، وكاد في واقعة الأمير سيف الدّين تنكز ينعطب ، لأنّه كان في جعبر نائباً ، وكان قد أودع عنده زردخاناه^(١) ، وطلب إلى مصر عقيب الواقعة ، فأصلح أمره ، ونجّاه الله تعالى ، وعاد .

ولمّا كان في آخر الأمر جَهَّز إلى صفد صحبة الأمراء الذين جَهَّزوا إلى محلّ إقطاعاتهم ، فأقام بها قريباً من نصف سنة .

وتوفّي في العشر الأواخر من شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون صفد .

وهو أخو الأمير علاء الدّين علي بن أيبك الطويل .

١٥١٠ - مُحَمَّد بن أيوب بن علي*

ابن حازم الدمشقي الشافعي ، المعروف بابن الطّحان ، نقيب السّبع والشّاميّة بدمشق .

تَفَقَّه وقرأ بروايات ، وأذّن مدّة بترية أم الصّالح .

وكان فاضلاً مناظراً حسن الخلق ، وفيه وسوسة في أمر المياه .

سمع مع زوج خالته النّجم بن الشّاطبي^(٢) ، ومن عثمان خطيب القرافة^(٣) جزءاً ، ومن الزّين خالد والكّرمانيّ ويوسف بن يعقوب الإرييلي ، وعجز وانقطع بالشّاميّة ، وسمع منه جماعة الطلبة .

قال شيخنا الذهبي : ورويت عنه (المعجم) .

(١) في الأصل : « زردخاه » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

* الوافي : ٢٣٩/٢ ، والدّرر : ٢٩٤/٣ ، والشّدرات : ١١٦/٦ .

(٢) يوسف بن أحمد ، ستأني ترجمته .

(٣) عثمان بن علي بن عبد الواحد (ت ٦٥٦) ، السير : ٢٤٧/٢٣ ، وسلفت الإشارة إليه .

قلتُ أنا : سمعت عليه بقراءة ابن طغريل الجزء الثاني من الأول من (فرائد)^(١)
القاضي أبي الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق^(٢) الحافظ بالمدرسة الرواحية .
وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .
ومولده سنة اثنتين وخمسين وست مئة في شهر ربيع الأول .

١٥١١ - مُحَمَّد بن أيوب *

الفقيه العالم شمس الدين أبو عبد الله الأشقر الزرعي .
سمع الكثير ، ودار على الأشياخ في أيام ابن البخاري ، ونظم الشعر وحدّث .
وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة إحدى عشرة وسبع مئة .
ومولده قبل الستين وست مئة .

١٥١٢ - مُحَمَّد بن أيوب بن عبد القاهر *

الإمام بدر الدين التّادفي شيخ القراء بحجة ، الحنفي الحلبي .
تلا على الفاسي ، وسمع من ابن علاّق ، وابن العديم ، وجماعة . وقرأ بنفسه ، وتميّز
وصنّف .

قال شيخنا الذهبي : أخذت عنه مباحث ، وسمعنا منه .
وتوفي - رحمه الله تعالى - بحجة في شهر رمضان سنة خمس وسبع مئة^(٣) .

(١) في الوافي : « فوائد » ، ولعلّ كتابه هذا هو ما اشتهر به معجم الصحابة .

(٢) (ت ٢٥١) ، السير : ٥٢٦/١٥ .

* الوافي : ٢٢٩/٢ ، والدُّرر : ٣٩٤/٣ .

** الوافي : ٢٢٩/٢ ، والدُّرر : ٣٩٤/٣ ، وغاية النهاية : ١٠٢/٢ .

(٣) وفي غاية النهاية أنّه توفي (سنة ٦٩٥ هـ) .

ومولده سنة ثمان وعشرين وست مئة .

قال شيخنا البرزالي : روى لنا عن ابن علاّق (جزء) القُدوري^(١) ، وأقرأ الناس زماناً بدمشق ، وكان معيداً في المدارس الحنفيّة ، وكان عارفاً بالعربية والقراءات و (شرح قصيدة الصّرصري) الطويلة في مجلدين ، ونسخ كثيراً . وكان يكتب للمصاحف على الرسم ، وأقام إمامَ الرّبوّة مدّةً بعدَ الثّانين ، وكان يقرئ نائب السّلطنة عز الدّين الحمويّ ، ثمّ إنّهُ سكن حماة .

١٥١٣ - مُحَمَّد بن بادي بن أبي بكر*

ابن عثمان بن بادي ، شمس الدّين الطّبي^(٢) نسبة إلى الطّيب ، لأنّه كان يصنع فتائل العنبر ، وكان يُهدي إليّ منها كلّ قليل .

وكان يتطور أطواراً ، مرّة^(٣) يكون معلّم كتاب بدمشق ، وتارة يسافر إلى طرابلس ويقيم بها ، ثمّ ينتقل إلى حلب وغيرها .

وفي آخر أمره ، أقام في بيروت واتّخذها سكناً ، ثمّ إنّهُ كان يقرأ فيها الحديث بالجامع ، ويحضر إلى دمشق في كلّ سنة ، لِمَا كان يباشره في فرع الحرير ، ويعود إلى بيروت .

وكان محلّ التقويم ، وعلى ذهنه أشعارٌ وحكايات ، وما تَمَلّ محاضرتَه .

ولم يزل على حاله إلى أن بلغتني وفاته في ثغر بيروت في العشر الأوسط من شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبع مئة .

(١) أحمد بن محمد بن أحمد البغنادي (ت ٤٢٨ هـ) ، السير : ٥٧٤/١٧ .

* الدُّرر : ٣٩٥/٣ .

(٢) (خ) : « المعروف بالطّبي » .

(٣) (خ) : « تارة » .

وسألته عن مولده فذكر لي : أنه في سنة ثمان وثمانين وست مئة في شهر رمضان بالقاهرة .

وأنشدني من لفظه لنفسه في العيون الزجاج التي يعانيتها من ضعف بصره لرؤية الخط الدقيق ، ويضعها على أنفه :

لَهْفِي عَلَى دَوْلَةِ التَّصَايِي وَحَقٌّ لِي أَنْ يَزِيدَ لَهْفِي
كَأَنْتَ عَيُونِي مِنْ فَوْقِ خَدِّي فَالْيَوْمَ أُمْسَتْ مِنْ فَوْقِ أَنْفِي^(١)
وأنشدني من لفظه لنفسه :

قَالُوا: أَتَبْكِي وَالِدِيَّارَ قَرِيبَةً وَالْكَأْسُ تُجَلِّي وَالشَّبَابُ تَجْمَعُهَا؟
فَأَجَبْتُهُمْ نِيرَانُ قَلْبِي صَعَّدَتْ كَاسِي فَيَقْطُرُ مِنْ دَمْعِي أَدْمَعُهَا

١٥١٤ - مُحَمَّدُ بْنُ بَتُّخَاصٍ *

الأمير ناصر الدين بن الأمير الكبير سيف الدين بتخاص المنصوري العادلي .

كان قدم إلى الشام في خدمة الأمير سيف الدين سلار ، ثم رجع معه وشوش ووصل إلى القاهرة مريضاً ، وأقام عشرة أيام وتوفي إلى رحمة الله تعالى في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده في عاشوراء سنة سبع وسبعين وست مئة .

وكان شاباً حسناً فصيح العبارة ، كثير الحياء ، حسن الهيئة محباً للعلوم ، واشتغل وحصل وسمع الحديث .

(١) في الأصل : « كان » ، وأثبتنا ما في (خ) .

* لم نقف على ترجمته .

١٥١٥ - محمد بن بركات*

ابن أبي الفضل بن أبي عليّ الشيخ تقي الدين أبو عبد الله ابن الشيخ الصّالح البعلبكيّ .

سمع من الفقيه محمد اليونيني ، وحدث عنه . وسمع بدمشق من ابن [أبي]^(١) اليسر ، والنجم بن النّسبي ، وشيخ الشيوخ ، وهو سبط الشيخ إبراهيم بن محمود البطائحي البعلبكي ، وكان شيخ الخاتقاء الشبلية بظاهر دمشق .

قال شيخنا علم الدين : قرأت عليه (جزء ابن عرفة) و (جزء ابن جَوْصا)^(٢) .
وتوفي رحمه الله تعالى بحصن الأكراد في ثالث عشري شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وأربعين ببعلبك .

وقد تقدم ذكر أخيه إبراهيم وذكر أخيه الشيخ محي الدين عبد القادر أيضاً .

١٥١٦ - محمد بن بكتاش**

الأمير ناصر الدين متولّي دمشق .

كنتُ أعرفه أولاً مُشَدَّ غَزَّةَ والسّاحل في أواخر أيام الأمير سيف الدين تنكز ، وسُرِقت له عُمْلَةٌ من بيته بدمشق ، ولم يقع لها على خبر إلى آخر وقت ، وقيل : إنها كانت بخمسين ألف درهم .

* الدرر : ٣٩٨/٣ ، وفيه : « محمد بن أبي البركات » .

(١) زيادة يقتضيها السياق ، وهي ثابتة في الدرر .

(٢) في الأصل : « حوصا » ، تصحيف ، وهو أحمد بن عمير بن يوسف بن موسى بن جَوْصا الكلبي

الدمشقي (ت ٣٢٠) ، السير : ١٥/١٥ ، وكشف الظنون : ٥٨٤/١ .

** الوافي : ٢٥٥/٢ ، والدرر : ٣٩٥/٣ ، وأشار إليه في البداية والنهاية : ١٦٤/١٤ .

ثم إنه بعد ذلك تولّى مدينة دمشق ، فعمل الولاية على أتم ما يكون من الصّلف الزائد والعفة والأمانة ، ثم إنّه وقع في أيامه حريقُ دمشق الذي أَمَسَّكَ بسببه النصارى وجرى لهم ماجرى^(١) ، وورد كتاب الملك الناصر محمد إلى تنكز يقول فيه : هذا فعلُ أهل دمشق كراهةً في ابن بكتاش : فلما أَمَسَّكَ تنكز رسم بعزله ، فبقي بطالاً مدة .

واحتيج إليه لأجل دُرْبته ومهابته في الولاية ، فأعيد إليها بلا إقطاع ، ثم عزل عنها وبقي مُدَّةً بطالاً . ثم إنّه جَهَّزَ إلى حماة مشدّ الدواوين بها ، فأقام هناك سنة ونصفاً تقريباً ، ثم إنّه طُلب هو وناظرها القاضي شرف الدين حسين بن ريان إلى مصر ، فتوجّها ، وعاد القاضي شرف الدين وهو على حاله إلى حماة ، وحضر الأمير ناصر الدين بن بكتاش نائب المرقب وأعطى طبلخاناه وخرّجت عنه^(٢) ، وبقي في طرابلس أميراً ، فلما كان طاعون طرابلس توفي ابنه الأصغر وجماعة من أهل بيته ، فنزع عن طرابلس ، فماتت ابنته في الطريق ، فجاء إلى بعلبك ليدفنها ، ونزل على رأس العين ، فحضر إليه نائب بعلبك بطعام ، وأقسم عليه أن يأكل ، فأكل بعض شيء .

وتوفي إلى رحمة الله تعالى عقيب ذلك في أواخر شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وسبع مئة ودفن رحمه الله تعالى إلى جانب ابنته .

وكان قد وليّ شدّ خاص دارياً ودومة في أيام تنكز ، وكان يهز رأسه دائماً ، وكان مع هذه المعرفة والمهابة والدُّرْبَة إذا أنشد الشعر لا يقيم وزنه ، قال لي صلاح الدين محمد الكبكي الدمشقي^(٣) وكان صاحبه كثيراً : كان ينشد :

قد أقبل المنشور يا سيدي وأمير الناس كلهم ومنْ يشناك مثل اسمه

(١) انظر : البداية والنهاية أحداث سنة (٧٤٠ هـ) ، ١٨٦/١٤ .

(٢) (خ) : « وخرّجت عنه الطبلخاناه » وكذا في الوافي .

(٣) هو ابن شاكر الكتبي المتوفى سنة (٧٦٤ هـ) .

١٥١٧ - محمد بن بكتاش *

الأمير ناصر الدين ابن الأمير بدر الدين أمير سلاح .

توفي في ثامن عشرين جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبع مئة ودفن بتربة والده بَرَا باب النصر بالقاهرة .

١٥١٨ - محمد بن بكتاش **

الأمير ناصر الدين بن الأمير الكبير سيف الدين الجوكندار ، كافل المملكة بالديار المصرية .

كان من رشاقتة كأنه غُضُنْ بَانْ ، ومن هيفه يكاد يعقده النسيم الوان ^(١) .

ولم يكن في مصر والشام من يلعبُ بالكرة مثله ، وكلّ طبعي في الإقليمين يعرف في ذلك فضله . ويقول ما عندي منه إلا فُضْلَة ، كأنه على ظهر جواده عقرباً أو برق يتسرع والكرة أمامه كوكب . رأيتُه بصفد وهو يلعب مرّات ، وللكرات قدامه غدوات وكرّات .

وكان قد رُبِّي هو والسلطان الملك الناصر محمد ، وما يدعوه إلا بأخي ، ولا يرى إلاّ وهو ينتخبُ له كل وقتٍ وينتخي .

ولمّا كان في الكرك كانت كتبه لا تنقطع عنه البتة ، إمّا أن تجيء إلى ميعاد وإمّا أن تجيء بغته . ولمّا توجهوا إلى مصر بقيت له المكانة العُليا ، وضّقت بسعاداته الدنيا ، إلا أن المدة ما طالّت ، ومّا زارت حتى زالت ، وكان كأنه كوكبُ السّحر في قصر عمره ، أو الزهر الذي أُنِعَ فاجتني لطيب نشره .

* الدرر : ٢٩٥/٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٦٢/٩ .

** الدرر : ٣٩٥/٣ .

(١) يريد : الوافي .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، ودفن بالقرافة ،
وتجزع أبوه غصته . ومأمكنه أن يشرح قصته .

كان الأمير علاء الدين بن الجوكندار^(١) طبعي الشام يجيء إلى صفد كل قليل
ويلعب هو وناصر الدين فيرى الناس منها أمراً عجيباً .

١٥١٩ - محمد بن بكتوت *

ناصر الدين بن بدر الدين ، الكاتب المجود ، المعروف بالقرندلي^(٢) ، لأنه لبس
زيهم في حلب .

كان قادراً على الكتابة . وله فيها رأي ، لاتفارقه الإصابة . كتب الأقلام السبعة ،
وكاد فيها يسمو على الثريا رفعة . يدعي أنه كتب على ابن الوحيد^(٣) ، وماقوله في
ذلك بسديد ، وإنما كتب في بعلبك على خطيبها^(٤) ، وفاز من طريقة ابن الوحيد
بلذاتها وطيبها ، ونسخ من المصاحف الكريمة والمجلدات كثيرا . وعلى الجملة فكان على
الكتابة قديرا .

ولم يزل يكتب إلى أن محي اسمه من المَحيا ، ونزل إلى قرار اللحد بعد العليا .

وتوفي رحمه الله تعالى بطرابلس سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، في يوم الاثنين
خامس عشر شهر ربيع الأول .

حكى له أنه لبس زي القرندلية بحلب ودخل بينهم وهو ينسخ فقالوا : ما هذا ؟

(١) هو قطليجا بن بلبان الجوكندار ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

* الوافي : ٢٥٦/٢ ، والدور : ٣٩٦/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٣٠٧/٩ .

(٢) في النجوم : « القلندري » ، والقلندرية : طائفة من المتصوفة تعرف باللامتية أيضاً .

(٣) هو محمد بن شريف بن يوسف الزرعي المعروف بابن وحيد ، توفي (٧١١ هـ) . النجوم الزاهرة :
٢٢٠/٩ .

(٤) بهاء الدين محمود بن محمد بن عبد الرحيم ، ستأتي ترجمته في موضعها .

ما هو طريقنا^(١) . قال : فقلت لهم : أنتم تعملون هذه القلائد الصوف ، فقال له من بينهم واحد : أريد أن أنزل أنا وأنت في هذه البركة بالبلاس ، فقال : فنزلت معه في يوم بارد في مثل حلب ، فبقينا نغطس إلى أن عجز هو وطلع ، فلما أعياهم قالوا له : فينا واحد يكثر في أكل الحشيش ، فقلت : أحضروه قال : فأحضروه وجعلوا يلقموننا وأنا وهو نأكل إلى أن نزل الدم من منخريه ، وأظنه قال : مات ، فعند ذلك أخرجوه من بينهم .

وكان الذي أغواه في الكتابة القاضي جمال الدين بن ريان^(٢) - رحمه الله تعالى - فإنه رأى خطّ يده القابلة فلزمه ، وجعل ينسخ له المجلدات ، فنسخ له (الكشاف) وغيره ، ورتب له الدراهم والطعام ، وألزمه بالكتابة فأجاد ، وكتب أولاده وغيرهم في حلب .

وحكى لي جماعة عنه أنه كان يضع المحبرة في يده الشمال والمجلد من الكشاف على زنده ويكتب منه وهو يغني ما شاء الله ولا يغلط^(٣) ، وكان قليل اللحن فيما يكتبه ، وأما أنا فرأيت غير مرة يكتب ويغني ولا يغلط .

وكان قد أقام أولاً بحجة عند الملك المؤيد صاحبها ينسخ له ، فأحب امرأة تعرف ببنت النصرانية ، فكان كل ما يحصله ينقله عليها ، ويشغل بها عن الكتابة ، فشق أمره على الملك المؤيد ، فنفاها إلى شيزر ، فحكى لي أنه كان يكتب في حمة إلى المغرب ، ويجري من حمة إلى شيزر ، ويبست^(٤) عندها ، ويقوم من أذان الفجر ويجري إلى حمة ويكتب ، وأقام على ذلك سنة وكانت قد تعنتت عليه يوماً وقالت له : إن كنت تحبني فاكولي^(٥) في رأسك صليياً . ورأيت أنا كي الصليب في يافوخه ، وكتبت

(١) عبارة الوافي : « ما هو طريقنا أن تتكتب » .

(٢) سليمان بن أبي الحسن بن ريان ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٣) ذكره في النجوم الزاهرة .

(٤) في الأصل : « ويكتب » ، وأثبتنا ما في الوافي والدرر .

(٥) ليست في الوافي .

أنا عليه أربعة عشر سطراً قلم الرقاع^(١) ، ثم إنه امتنع من توقيفي ، ولم أكتب بعده على غيره .

وكان كاتباً مطيقاً كتب من الربعات والختم بقلم الفصاح^(٢) والمحقق الكبير في قطع البغدادى كاملاً ومن الهياكل المدورة والمجلدات شيئاً كثيراً .

١٥٢٠ - محمد بن أبي بكر بن محمد*

الشيخ الإمام ، العالم شمس الدين الأيكي ، همزة بعدها ياء آخر الحروف ساكنة وبعدها كاف ، كان قاضي القضاة جلال الدين القزويني يقول : هو بكسر الهمزة .

وكان فاضلاً في المقولات ، كاملاً في المنقولات ، وكان يكشف أسرار (الكشف) وهو لما فيه من أمراض الاعتزال كالشاف ، يدري دقائقه ، ويمرّ حقايقه ، ويقرئه الطلبة ويقرّيه ، ويفرّق بذهنه ما فيه من الغمود في الغموض ويفريه .

وكان في علم التصوف إماماً ، وفي فن التعريف لمن تقدم ختاماً ، لو عاصر المعري لأملّى في وصف الأيكي أيكه وغصونه ، أو سنان الراشدي^(٣) لأنزلة معاقله وحصونه .

ولم يزل على حاله في الإفاده ، والتفرد في فنونه بالإجاده ، إلى أن خرست تلك الفصاحه ، وكّرر الحمام في الأيك عليه النياحه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم الجمعة قبل العصر ثالث شهر رمضان سنة سبع وتسعين وست مئة ، بالمزة في دمشق .

(١) في الأصل : « أربعة مثلاً من الرقاع » ، ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في مطبوعة الوافي : « الفصاح » ، وأشار المحقق إلى أنها في الأصل بالضاد .

* البناية والنهاية ٣٥٣/١٣ ، والشذرات ٤٣٨/٥ ، والدارس : ٣٢٠/١ .

(٣) سنان بن سلمان بن محمد ، قال في الوافي ، ٤٦٣/١٥ : « كبير الإسماعيلية وصاحب الدعوة النزارية ، كان عارفاً بالفلسفة وشيء من الكلام والشعر والأخبار » (ت ٥٨٨) .

وله شرح على أول (مختصر) ابن الحاجب ، تكلم على منطقه . ودرّس بالغزالية ، وولي مشيخة الشيساطية ، وولي مشيخة الصلاحية بالقاهرة ، وتكلم فيه الصوفية ، وحضر قاضي القضاة تقي الدين وقال : ياشيخ شهد عليك جماعة من الصوفية بكذا وكذا ، فقال : أنت تنكّل بي في هذا الجمع نكّل الله بك . فقال قيّموه ، فأقيم وهو يقرأ : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ ^(١) ولما قال : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ ^(٢) ما قال : ادفع بحيلك وقوّتك ، وتوجه إلى الشام وأقرأ الجماعة (الكشاف) .

وقيل إنه وصّف للشيخ بدر الدين بن مالك ومعرفته (الكشاف) ، فحضر ليلة درسه وسَمِعَهُ وهو يتكلم ، فلما فرغ قال له : ياشيخ بدر الدين ما سمعتك تتكلم . قال : كيف أتكلّم ومن وقت تكلمت إلى أن سكت ، عدّدت عليك ثلاثين لحنة .

وفيه يقول شيخنا العلامة شهاب الدين محمود :

بِنتِ فِباتِ الطَّيِّفِ لِي مُؤَنِسًا	يُبَيِّخُنِي جَنَّةَ خَدَّيْكَ
وَطَالَمَا أَمَلْتُهَا يَقْظَةً	فَصَدَّ عَنْهَا سَيْفُ جَفْنَيْكَ
وَلَمْ أَخْلُ أَنْ حَمَامَ اللُّوَى	فِي الْأَيْكَ يُغْنِي عَنْ رَقِيْبَيْكَ
نَفَرِ نَوْمًا كَانَ مِثْلَ الصَّبَا	يُعْطِفُ لِي إِنْ مِلْتُ عَطْفِيكَ
فَلَارَعَى اللَّهُ حَمَامَ اللُّوَى	وَلَعَنَتُهُ اللَّهُ عَلَى الْأَيْكَ

وكان سبب نظمها أن الأيكي تكلم في حق الإمام أحمد رضي الله عنه ، وثار الحنابلة عليه ، ولما بلغه قال : والله لقد تلطّف في الهجو ، وكان شيخنا أبو الثناء بعد موته لا ينشدها إلا ويقول : ورحمة الله على الأيكي .

وبعض الناس قال فيه : اسمه أحمد بن أبي بكر .

(١) الحجر : ٩٧/١٥ .

(٢) الحجر : ٩٨/١٥ .

قلت : واشتهرت هذه الأبيات كثيراً ، وسلك هذه الطريقة جماعة ممن عاصره .
فقال النصير الحمّامي :

مذ أحضرتني زوجتي حاكماً أنكرت مآقند كان من حقي
فأخرجت رقّ صدّاق لها ردّ كسّلام الكلّ في حلقي
وكان ذاك الرقّ أصل البلا فلعنّة الله على الرّقّ
وقال النّور الإسعدي :

وربّ خلّ قلت إذ قدّم لي خلاً وقبّاراً على سِماط
لا أكل القبّار من بُغضي له ولعنّة الله على الخِلاط

١٥٢١ - محمد بن أبي بكر*

ابن عبد الرحمن بن عبد الله ، الشيخ الصالح أبو عبد الله الكنجي .
جاور بالجامع الأموي مدّة طويلة أكثر من ستين سنة ، وسمع كثيراً بعد الخمسين
وستّ مئة على الزين خالد ، والخطيب عماد الدين بن الحرستاني وغيرهم .
وتوفي - رحمه الله تعالى - في ربيع الآخر سنة سبع مئة ، وحضر جنازته القضاة
والعلماء والصلحاء ، وكان قد بلغ التسعين سنة .
وسياقي ذكره ولده محمد بن محمد بن أبي بكر .

١٥٢٢ - محمد بن أبي بكر بن خليل**

ابن إبراهيم بن يحيى بن فارس ، الإمام رضيّ الدين المعروف بابن خليل المكي
الشافعي ^(١) .

* لم تقف على ترجمة له .

** الوافي : ٢٦٤/٢ ، والشذرات : ٤٣٧/٥ .

(١) شيخ الحرم ، كما في الوافي .

كان فقيهاً عالماً ، مُفَنِّناً ، ذا فضائل ومعارف وعبادة وصلاح وحُسن أخلاق ، سمع منه شيخنا البرزالي وابن العطار ، وأجاز لشيخنا الذهبي مروياته .
وتوفي - رحمه الله تعالى - في الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة ست وتسعين وست مئة بمكة .

وولد في أيام التشريق بمضى سنة ثلاث وثلثين وست مئة .
وكان يعرف (التنبيه) جيداً ، وحفظ (المفصل) في النحو للزمخشري .

١٥٢٣ - محمد بن أبي بكر بن عبد السلام*

ابن إبراهيم الصّالحي المقرئ الحفّار ، يعرف بابن الطّبيب .
كان شيخاً معمرّاً ذا جلادة وهمة [وملازمة ^(١)] للجماعة .
سمع (الصحيح) من ابن الزبيدي . وحدث عنه ابن الخباز في (مُعْجَمَه) في حياة ابن عبد الدائم ، وسمع منه ابن البرزالي ، وأخذ شيخنا الذهبي عنه ثلاثيات البخاري ، وغير ذلك .

وتوفي في سنة إحدى وسبع مئة ^(٢) - رحمه الله تعالى - .

١٥٢٤ - محمد بن أبي بكر بن إبراهيم**

ابن هبة الله بن طارق الأسديّ الحلبي الصّفّار ، الشيخ الصالح المعمر المُسند أمين الدين ، نزيل دمشق ، المعروف بابن النحاس .

* الوافي : ٢٦٥/٢ ، والدرر : ٤٠٤/٣ .

(١) زيادة من الوافي والدرر .

(٢) من شهر ربيع الأول ، كما في الدرر .

** الوافي : ٢٦٥/٢ ، و ٣٩٩/٣ ، والشذرات : ٥٣/٦ .

سمع لما حجّ مع إخوته من صفية القرشية ، ومن شعيب الزعفراني بمكة ، ومن يوسف السّاوي^(١) وابن الجُمَزي بمصر ، ومن ابن خليل بجلب ، وأجاز له أبو إسحاق الكاشغري وطائفة . وأَصَرَ ، وتفرّد ، وعجز وانحطّم ، وأبطل الحانوت .

وكان ساكناً خيراً عامياً ، وله دُنْيَا ، وفيه بَرٌّ ، وماتزوج قطّاً ولا احتلم ، ثم إنه قُدح بعدما أَصَرَ فأبصر .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة عشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وعشرين وست مئة .

١٥٢٥ - محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم*

شيخ الإمامية وعالمهم شمسُ الدين الهمداني الدمشقي السكاكيني الشيعي .

قال شيخنا الذهبي ، رحمه الله تعالى : حفظ القرآن بالسبع ، وتفقه وتآدّب ، وسمع في حديثه من الرشيد بن مسلمة ، والرشيد العراقي ، ومكي بن علان وجماعة ، وخرّج له ابن الفخر عنهم .

وربي يتياً فأقعد في صناعة السكاكين عند شيخين رافضيين ، فأفسداه ، وأخذ عن أبي صالح الحلبي^(٢) ، وصاحب الشريف محي الدين بن عدنان^(٣) .

وله نظم وفضائل ، وردّ على التلمساني^(٤) في الاتحاد . وأمّ بقرية جسرين مدّة ، ثم

(١) في الأصل : « الشاوي » ، تصحيف .

* الوافي : ٢٦٥/٢ ، والبداية والنهاية : ١٠٠/١٤ ، والدرر : ٤١٠/٣ ، والشذرات : ٥٥/٦ ، والبدر الطالع : ١٥١/٢ .

(٢) في البداية والنهاية : « الحلبي » .

(٣) محمد بن عدنان بن الحسن الحسيني (ت ٧٢٢ هـ) ، والدرر : ٤٧/٤ .

(٤) العفيف التلمساني ، كما في الدرر ، وسلفت الإشارة إليه .

أخرج منها . وأمّ بالسَّامريّة ، ثم إنه أخذه منصور بن جَمَّاز الحُسَيْنِي (١) معه إلى المدينة ، لأنه صاحبها ، واحترمه . وأقام بالحجاز سبعة أعوام ، ثم رجع .

وهو شيعي عاقل ، لم يُحفظ عنه سبّ ، بل نظم في فضائل الصحابة .

وكان حلو المجالسة ، ذكياً عالماً فيه اعتزال ، وينطوي (٢) على دين وإسلام ، وتعبّد ، على بدعته ، وترفّض به ناس من أهل القرى .

قال الشيخ تقي الدين بن تيّبة ، رحمه الله تعالى : هو من يتشيع به السُّني ، ويتسنن به الرافضي . وكان يجتمع به كثيراً وقيل : إنه رجع آخر عمره عن أشياء .

نسخ (صحيح) البخاري ، وكان ينكر الجبر وينظر على القدر .

وتوفي في سادس عشري صفر سنة إحدى وعشرين وسبع مئة (٣) .

ومولده سنة خمس وثلاثين وست مئة .

قلت : لما كان يوم الاثنين حادي عشري ذي الحجة سنة خمسين وسبع مئة ، أحضر صلاح الدين محمد بن شاكر الكبتي بدمشق إلى شيخنا قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى كتاباً في عشرين كُراساً قطع البلدي في ورق جيد ، وخطّ مليح سمّاه مصنفه (الطرائف في معرفة الطوائف) افتتحه بالحمد لله وشهادة أن لا إله إلا الله فقط . وقال بعد ذلك : « أمّا بعد فإنني رجل من أهل الذمّة ولي على الإسلام حرمة ، فلا تُعجلوا بسفك دمي قبل سماع ما عندي ، ثم أخذ في تقض عُرَا الدين عروة بعد عروة ، وأورد أحاديث وتكلم على متونها ، وتكلم في جرح الرجال (٤) وطعن عليهم ،

(١) ستأتي ترجمته في موضعها ، وفي البداية والنهاية : « حمّاد » ، تحريف .

(٢) في الأصل : « ومنطوي » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) في البدر الطالع أنه توفي سنة (٨٢١ هـ) ، وهو سهو .

(٤) في الأصل : « الدجال » ، وأثبتنا ما في الوافي .

كلام محدث عارف بما يقول ، وذكر أموراً دلّت على زندقته وتشيعه ، وختم ذلك بأن قال : والله القائل

فإن كنت أرضى مِلَّةً غير ملتي فإنا إلا مُسْلِمٌ أتشیع

وشهد صلاح الدين المذكور وآخر من أهل الحديث المعروفين بأن هذا خط شمس الدين السكاكيني ، فظهر من ذلك أنه تصنيفه ، لأنه قال في فهرست الكتاب المذكور : تصنيف عبد الحمود بن داود المصري^(١) ، وقال الشيخ عماد الدين بن كثير : الأبيات التي كُتبت للشيخ تقي الدين ، أولها :

أيامعشر الإسلام ذمي دينكم

وقد ذكرتها أنا في ترجمة الشيخ علاء الدين علي بن إسماعيل القونوي كاملة لهذا السكاكيني^(٢) . فقطع شيخنا قاضي القضاة هذا الكتاب الملعون وغسله وحرقه^(٣) ، قال - رحمه الله تعالى : أخذته معي إلى البستان لأنظر فيه ونويت تقطيعه وغسله ، ثم إنني انتهيت في الليل وقلت لنفسي : لعلك يا علي لا تصبح غداً ، فقمْتُ في الليل وقطعته وغسلته ، قلت : والله أعلم لحقيقة حال هذا الرجل .

ولكن الذي ظهر لنا أنه كان مُتَزَنِّدًا ، غير مسلم .

وقالوا : إن قاضي القضاة شمس الدين بن مُسْلَمَ رجع من جنازته .

ونقلت من خط شيخنا علم الدين البرزالي ، قال أنشدني لنفسه :

أجزت لهم مايسألون بشرطه أثابهم ربّي ثواب أولي العلم

(١) زاد في الوافي : « ولم يُعرف هذا الرجل » ، ومثله في الدرر .

(٢) كنا عبارة المؤلف ههنا ، وفي الوافي : « وأولها ... وهي لهذا السكاكيني » ، وهي أصح مما ههنا ، إذ لم تتقدم نسبتها إلى السكاكيني عند المؤلف ، وعليه فعبارة : « لهذا السكاكيني » هي لابن كثير ، ولم تقف على هذا الكلام في البداية والنهاية .

(٣) في الوافي : « وخرقه » .

ووقفهم أن يعملوا بالذي رَوَوْا فعال أولي الإخلاص والجِدِّ والعزم
وكتبها العبد الفقير محمد هو ابن أبي بكر بن قاسم العجم
ومولده في عام خمسٍ وبعدها ثلاثون والستُّ المئُون لدى النَجْم^(١)
ونقلت منه أيضاً ما^(٢) خاطب به صاحب المدينة منصور ورُمَيْثَة صاحب مكة :

ألا يا ذوي الأبواب أصغوا لناطِقٍ بحقٍّ وبإغاي الحق مَنْ ذا يُدافِعُه
إذا لم يكن نَسْلُ النبيِّ محمد تتابعه في الدين مَنْ ذا نتابعه
فإن كان مسبوقاً وذو البعد سابقاً إلى المصطفى والدين مَنْ ذا يَمانعه^(٣)
فكم من بعيْدٍ للشريف مُعَلِّم طرائق آباءٍ له وهو سامِعُه
وهذا بديعٌ في الزمان وأهله وما زال هذا الدهر جَمَّ بدائعُه

ونقلت من خط الشيخ شهاب الدين بن غانم^(٤) ، قال أنشدني الشيخ شمس الدين السكاكيني لنفسه :

هي النفس بيّن العقل والطبع والهوى وما العقلُ إلا كالْعَقَالِ يَصُونُهَا
فداعي الهوى يدعو إلى ما يشينها وداعي النهى يدعو إلى ما يزينها^(٥)
فإن أطلقت مِنْ غَيْرِ قَيْدٍ تَوَثَّبَتْ على حَظِّهَا الأدنى وزاد جنونها^(٦)
وإن نظرت بالعقل ينبوعُ نُوره أضاءت لها الظلمات طابَ معيْنُهَا
وحنّت إلى الذكر الحكيم تَدَبَّرْأ رياض معانيه وذاك يعيْنُهَا

(١) في الوافي : « المثين » .

(٢) في الوافي : « ممّا » .

(٣) في الوافي : « سابق » .

(٤) أحمد ، كما في الوافي ، وسلفت ترجمته .

(٥) في الأصل : « وراعي النهى » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٦) في الأصل : « خطّها » ، وأثبتنا ما في الوافي .

وفزئت به منه إليه محققاً
فأكرم بها نفساً زكت مطمئنة
فياذا الذي ضيعت نفسك في الهوى
أجب إذا دعاك الحق طوعاً لأمره
ولا تبخلن بالنفس إذ هي ملكه
وعدت إلى الأكوان تزكو فنونها^(١)
بمحبوبها قرت لديه عيونها
تروم لها عزاً وأنت تهينها
بطيب رضا نفس قوي يقينها
إليه بها فارجع فأنت أمينها^(٢)

قال شيخنا علم الدين البرزالي : حدثني قاضي القضاة شمس الدين محمد بن مسلم الحنبلي ، قال : كنت بالجامع بعد الجمعة وقد أحضرت جنازته ، فقممت وصليت عليه ومشيت مع الجنازة إلى قريب المدرسة الركنية ، فأخبرت أنها جنازته ، فرجعت من هناك ، ولم أشهد دفنه ، وذلك لأنه كان رافضياً داعية إلى الرفض ، أقام بعدة قرى فرفض أهلها وأخرج من الصالحة لهذا السبب .

١٥٢٦ - محمد بن أبي بكر بن عمر*

ابن محمد ، قاضي الممالك القانية ، برهان الدين ، أبو عبد الله السمرقندي النوجابادي^(٣) الحنفي البخاري ، قاضي المغل .

كان صدرأ معظماً ، وعالمأ مفتحاً ، كثير الكيس^(٤) واللطافة ، عزيز النفس التي تحف أخلاقه وأعطافه ، حسن المذاكره ، جميل المحاولة والمحاورة ، يلازم الملوك والوزراء ، ووجوه الدول والأمراء .

(١) في الوافي : « تحقّقاً » .

(٢) في الوافي : « ولا تبخلن بالنفس » ، ولا تستقيم .

* الوافي : ٢٦٨/٢ ، والدرر : ٤٠٥/٣ .

(٣) نسبة إلى نوجاباذ ، من قرى بخارى ، (معجم البلدان) .

(٤) في الأصل : « اللبس » ، تحريف ، عبارة الوافي : « فيه كيس ولطف » .

ولم يزل على حاله في وجاهته وعظم قدره ونباهته إلى أن سلب روحه ، وعَمَّر بجسده ضريحه .

وتوفي - رحمه الله تعالى ...^(١) - سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وأربعين وست مئة .

قدم بغداد مراراً ، وروى بالإجازة عن سيف الدين الباخرزي^(٢) ، يقال إنه سمع منه . قال شيخنا الذهبي : ولم يصح .

ولما كمل من عمره ثمانين سنة عمل ولية عظيمة ، واتفق موته بعدها بجمعة ، وكانت وفاته قريباً من تبريز .

وأخذ عنه السراج القزويني ومحمد بن يوسف الزرندي^(٣) وأجاز لأولاد شيخنا الذهبي .

١٥٢٧ - محمد بن أبي بكر بن عيسى *

ابن بَذْران بن رحمة ، الإمام قاضي القضاة ، علم الدين الأحنائي ، بهمة وخاء معجزة ونون وألف ممدودة ، السعدي المصري الشافعي ، قاضي قضاة الشام .

حدَّث عن أبي بكر الأنطاقي ، والأبرقوهي ، وابن دقيق العيد ، وتفقه ، وشارك ، وكان منْ عدول الخزانة بالديار المصرية . ثم إنه نُدبَ لقضاء الإسكندرية .

ولما توفي شيخ الشيوخ علاء الدين القونوي بدمشق رسم له السلطان بقضاء

(١) بياض في الأصل ، وفي الدرر أنَّ وفاته في رمضان .

(٢) سعيد بن المطهر (ت ٦٥٩) ، الوافي : ٢٦٢/١٥ ، والسير : ٣٦٢/٢٣ .

(٣) (ت ٧٤٧ أو ٧٤٨) ، الدرر : ٢٩٥/٤ .

* الوافي : ٢٦٩/٢ ، والبداية والنهاية : ١٦٠/١٤ ، والدرر : ٤٠٧/٣ ، والشذرات : ١٠٢/٦ .

الشام ، وحضر صحبة الأمير سيف الدين تنكز من القاهرة ، وكانت ولايته في الإصطبل السلطاني يوم السبت بعد العصر رابع المحرم سنة ثلاثين وسبع مئة ، ووصل إلى دمشق يوم الجمعة رابع عشرين المحرم .

كان عالماً ، ديناً ، ساكناً صيّناً ، وافر الجلاله ، سافر ^(١) البسالة ، متوسطاً في العلم ، متبسطاً في الحلم ، محمود السيرة ، مجهود السريرة ، سلفي الطريقة ، سلفي الحقيقة ^(٢) ، يحب الروايه ، ويعتني بها أتمّ عنايه .

ولم يزل على حاله إلى أن أخفى على الأخنائي دهره ، وضعه بعد علو منصبه قبره .
وتوفي - رحمه الله تعالى - في ثالث عشر ذي القعدة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

ومولده عاشر شهر رجب سنة أربع وستين وست مئة .

وتولّى بعده قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن جملة . وكان القاضي علم الدين قد لازم الدمياطي مدة .

ومن أمداح الشيخ جمال الدين محمد ابن نباته فيه ، قوله :

قاضي القضاة يُمْنِي كَفَّهِ الْقَلَمُ	ياساري القصد هذا البان والعلم ^(٣)
هذا اليراع الذي تجني الفخار به	يد الإمام الذي معروقه أمم
معي الأمائل في علم وفيض يد	فالسحب باكية والبحر ملتطم ^(٤)
وفي الشام وما خِلنا الغمام إذا	بالشام ينشأ من مصر وينسجم

(١) أي : ظاهرها .

(٢) السلف : العمل الصالح .

(٣) ديوان ابن نباته : ٤٣٥ ، وفيه : « بينى حكه .. هنا الباب » .

(٤) في الديوان والوافي : « وفيض ندى » ، وفي الوافي : « يلتطم » .

- أهأ لمصر وقد شابت لفرقتَه
فليس ينكر إذ يعزى لها الهرم^(١)
وأوحش الثغر من رؤيا محاسنه
فأ يكاد بوجه الدهر يبتسم^(٢)
يُنشِي ويُشد فيه الثغر من أسف
بيتاً تكاد به الأحشاء تضطرم
« يامن يعزّ علينا أن نفارقهم^(٣)
يزهى الشام بن فارقت طلعتَه
« وحرّ قلباه من قلبه شيم^(٤) »

١٥٢٨ - محمد [بن] أبي بكر بن عيسى *

قاضي القضاة تقي الدين الأحنائي المالكي الحاكم بالديار المصرية .

أجاز لي بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة في شهر رمضان^(٥) .

تولى الحكم بالديار المصرية في ...^(٦) وأقام على حاله إلى أن طلع القلعة ليحضر دار العدل ، فرأى السلطان للملك الناصر من نظرة حاله فهم منها أنه يعمى ، قال شيخنا قاضي القضاة تقي الدين السبكي : فأرسل إليه السلطان من قال له : انزل إليه فما تجده قد وصل إلى بيته إلا وهو أعمى ، فلما وصل إليه الرسول وجده قد عمي بماء نزل في عينيه ، فلما أخبره بذلك قال له : أشتي من صدقات السلطان أنه كما فهم عني هذا

(١) في الأصل : « أهأ لعصرٍ وقد شافت » ، وأثبتنا ما في الديوان والوافي ، وفي الديوان : « أن يعزى لها هرم » .

(٢) في الديوان : « من مرأى » .

(٣) هذا البيت وعجز البيت الذي يليه مضمّن من قصيدة للمتنبّي ، انظر ديوانه : ٣٦٢/٣ ، البيت (١) ، (٢٤) .

(٤) تمامه :

ومن مجسمي وحالي عنده سقم

* الوافي : ٢٧٢/٢ ، ووفيات ابن رافع : ٢٨٨/١ ، والدرر : ٤٠٧/٣ .

(٥) هنا تنتهي ترجمته في الوافي .

(٦) كذا بياض في الأصل ، ويفهم من كلام ابن رافع أنه تولى ذلك في حدود سنة (٧٢٠) .

الحال يَكْتُمُهَا عَلَيَّ ويدع منصب عليّ إلى أن أعالج نفسي ، فقبل السلطان ذلك ، وترك منصبه عليه مُدَّة ستة أشهر إلى أن قدح عينيه وأبصر وطلع القلعة ونزل ، أو كما قال .
واستمر على حاله إلى أن توفّي - رحمه الله تعالى - في طاعون مصر سنة تسع وأربعين وسبع^(١) مئة .

وكان السلطان يعظّمه ويرجع إلى أقواله في أشياء ، ولما عزل القضاة بمصر عزل قاضي القضاة جلال الدين القزويني وقاضي القضاة برهان الدين بن عبد الحق الحنفي^(٢) ، وعزل قاضي القضاة تقي الدين الحنبلي^(٣) ، وأما قاضي القضاة تقي الدين بن الأخنائي فلم يغيّر عليه شيئاً من حاله ، وكان السلطان الملك الناصر محمد قد قال في وقت يوم دار عدل للقضاة : أريد تبصرون لي رجلاً فاضلاً شافعيّاً يَعْرِفُ عربية ، ويكون ساكناً ، لا يدخل في شيء غير التعليم ، فأجمعوا كلّهم على الشيخ برهان الدين الرشيدي خطيب جامع أمير حسين ، وانفصل الحال على ذلك ولم يجر شيء غير ما جرى ، ولا^(٤) طُلب الشيخ برهان الدين ، وسكن الحال حتى نَقَب^(٥) قاضي القضاة جلال الدين القزويني عن السبب ، فوجد أن القاضي تقي الدين الأخنائي قال للسلطان : مالك به حاجة ، فإنه من أصحاب ابن تيمية ، فسكت السلطان ولم يَجْرِ بعد ذلك شيء . وكان في نفس قاضي القضاة تقي الدين منه من أيام واقعة شهاب الدين بن مري لما كان يتكلم عنده في الجامع ، وجرى ما ذكرته في ترجمة شهاب الدين بن مري .

(١) وفي وفيات ابن رافع والدرر أن وفاته في أوائل سنة (٧٥٠ هـ) .

(٢) إبراهيم بن علي بن أحمد ، سلفت ترجمته .

(٣) سليمان بن حمزة ، سلفت ترجمته .

(٤) في الأصل : « ولما » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٥) في الأصل : « وتمب » ، وأثبتنا ما في (خ) .

١٥٢٩ - محمد بن أبي بكر بن ظافر *

ابن عبد الوهاب ، قاضي القضاة ، شرف الدين الهمداني ، بسكون الميم وبعدها دالّ مهملة ، المالكي ، ابن قاضي القضاة معين الدين أبي بكر ابن الشيخ ركن الدين ^(١) أبي المنصور .

حضر من الديار المصرية إلى دمشق في خامس جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبع مئة .

كان ساكناً ، كثير الوقار ، سعيد الحركات في المحافل الكبار ، كثير التّجمل في ملابسه ، غزير الإطراق والصمت عند مجالسته ، لا يرى مَنْ حاضره في دسسته المكمل ، غير أنه « كَبِيرٌ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مَزْمَلٍ » ^(٢) . إلّا أنه وادع السر ليس عنده ^(٣) أذى ولا يُطَبَّقُ أَحَدٌ جَفَنَهُ مِنْهُ عَلَى قَدَى ^(٤) .

وكان الأمير سيف الدين تنكز بحلّه ويضعه فوق النجوم ويحلّه .

ولم يزل على حاله إلى أن قضى قاضي القضاة نَحْبَهُ ، وفارق أعزّاءه وصحبه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بكرة الأحد ثالث المحرم سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وصلى عليه الأمير سيف الدين يلبغا اليحيوي نائب دمشق والأمراء والقضاة والحجّاب

* الوافي : ٢٧٠/٢ ، والبداية والنهاية : ٢٢١/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٤١/١ ، والدرر : ٤٠٤/٣ ،

(١) في الوافي : « زكي الدين » .

(٢) عجز بيت لامرئ القيس من معلقته .

(٣) في الأصل : « ليس عندي » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) في الأصل : « ولا يطبق أحد منه جفنه على ... » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وقد أفاد المؤلف من معنى قول معن بن أوس :

فإن أعف عنه أغض عيناً على قذى
وليس له بالصفح عن ذنبه علم
انظر : أمالي القاضي : ٩٩/٢ .

والأعيان بسوق الخيل ، ودُفِنَ في تربته التي أنشأها بميدان الحصى ، وفي يوم موته حرّرت قبلة الجامع الذي عمره يلغوا .

وكان شكلاً طويلاً مهيباً يعظمه النواب كلهم ويحترمونه ، وكان يعاني الآلات الكبار في جميع ماعنده من دواة وقنديل ومغرز وطاسة ، وما يرى أحد مثل القماش الذي يكون عليه ولا أغرب ، ولا يرى أطف من شاشه وقاشه ، ولا أطيّب من ريحه .

١٥٣٠ - محمد بن أبي بكر بن محمد*

ابن طَرُخان بن أبي الحسن ، العالم الفاضل الأديب شمس الدين .

سمع حضوراً من إبراهيم بن خليل ، والنجيب عبد اللطيف ، وسمع الكثير من ابن عبد الدائم ، وكتب المنسوب ، وله نظم ونثر .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في خامس عشري ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وسبع

مئة .

وأجاز لي بخطه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وله حضور في شهر رمضان سنة سبع وخمسين وست مئة ، وهو في الثانية من عمره . وحضر على إبراهيم بن خليل ، والنجيب عبد اللطيف الحاراني ، وأبي طالب بن السروري ، وسمع من ابن عبد الدائم ، وابن أبي اليسر ، وعبد الوهاب بن الناصح وجماعة وطلب بنفسه وكتب الطباق ، وسمع من جماعة من أصحاب ابن طبرزد ومن بعده ، وخرّج له ابن خاله شمس الدين بن سعد^(١) (مشيخة) في مجلدين وحدث بها غير مرة .

وكان كاتباً مجيداً ، وكان يصحب الأكابر ويخدمهم وله مراتب جيدة بالشام على الديوان السلطاني .

* الوافي : ٢٧٠/٢ ، والدرر : ٤٠٨/٣ .

(١) محمد بن يحيى محمد بن سعد للقدسي (ت ٧٥٩) ، وفیات ابن رافع : ٣٥١/٠ ، والدرر : ٢٨٣/٤ .

١٥٣١ - محمد بن أبي بكر بن أيوب**

ابن سعد بن حريز الزُرعي ، الشيخ الإمام الفاضل المفتن شمس الدين الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية .

سمع على الشهاب العابر وجماعة كبيرة^(١) منهم سليمان بن حمزة الحاكم ، وأبو بكر بن عبد الدائم ، وعيسى المطعم ، وأبو نصر محمد بن عماد الدين الشيرازي ، وابن مكتوم^(٢) ، والبهاء بن عساكر ، وعلاء الدين الكندي الوداعي ، ومحمد بن أبي الفتح البعلبكي^(٣) ، وأيوب بن نعمة الكحال ، والقاضي بدر الدين بن جماعة ، وجماعة سواهم .

وقرأ العربية على ابن^(٤) أبي الفتح البعلي ، قرأ عليه (الملخص) لأبي البقاء^(٥) ، ثم قرأ (الجرجانية) ، ثم قرأ (ألفية ابن مالك) ، وأكثر (الكافية الشافية) وبعض (التسهيل) ، ثم قرأ على مجد الدين التونسي قطعة من (المقرب) .

وأما الفقه فأخذه عن جماعة منهم الشيخ مجد الدين إسماعيل بن محمد^(٦) الحراني ، قرأ عليه (مختصر) أبي القاسم الخرقى و (المنع) لابن قدامة ، ومنهم ابن أبي الفتح البعلي^(٧) ، ومنهم الشيخ تقي الدين بن تيمية ، قرأ عليه قطعة من (المحرر)^(٨) تأليف جدّه ، وأخوه الشيخ شرف الدين .

** الوافي : ٢٧٠/٢ ، والبداية والنهاية : ٢٣٤/١٤ ، والدرر : ٤٠٠/٣ ، والبغية : ٦٢/١ ، والشذرات : ١٦٨/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٩/١٠ ، وذيول العبر : ٢٨٢ .

- (١) في (خ) : « كثيرة » .
- (٢) إسماعيل بن يوسف القيسي ، سلفت ترجمته .
- (٣) ستأتي ترجمته .
- (٤) ليست في الوافي .
- (٥) لعلّه كتاب التلخيص لأبي البقاء العكبري ، عبد الله بن الحسين . البغية : ٣٩/٢ .
- (٦) في الأصل و (خ) : « محمد بن إسماعيل » ، سهو ، وأثبتنا ما في الوافي ، وقد سلفت ترجمته .
- (٧) في الأصل : « ومنهم أبو الفتح » ، سهو ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .
- (٨) في الأصل : « المحرمات » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي . وانظر : كشف الظنون : ١٦١٢/٢ .

وأخذ الفرائض أولاً عن والده وكان له فيها يد ، ثم اشتغل على إسماعيل بن محمد ، قرأ عليه أكثر (الروضة) لابن قدامة ، ومنهم الشيخ تقي الدين بن تيمية ، قرأ عليه قطعة من (المحصول) ومن كتاب (الأحكام) للآمدي^(١) .

وقرأ في أصول الدين على الهندي^(٢) أكثر (الأربعين) و (المحصل) ، وقرأ على الشيخ تقي الدين بن تيمية قطعة من الكتابين ، وكثيراً من تصانيفه .

وكان ذا ذهن سيّال ، وفكر إلى حل الغوامض ميّال ، قد أكبّ على الاشتغال ، وطلب من العلوم كلّ ما هو نفيسٌ غالٍ ، وناظر وجادل وجالد الخصوم وعادل ، قد تبخّر في العربية وأتقنها ، وحرّر قواعدها ومكّنها ، واستطال بالأصول ، وأرهف منها الأسنة والنصّول ، وقام بالحديث وروى منه ، وعرف الرجال وكلّ من أخذ عنه .

وأما التفسير فكان يستحضر من بحاره الزخّارة كلّ فائدة مهمّة ، ومن كواكبه السيارة كل نيرٍ يجلو حنّاس الظلمه .

وأما الخلاف ومذاهب السلف فذاك عّشه الذي منه درج^(٣) ، وغايه الذي ألفه ليّثه الخادر ودخل وخرج .

وكان جريء الجنان ثابت الجأش لا يقفّع له بالشنان^(٤) ، وله إقدام وتمكن

(١) هو السيف الآمدي ، علي بن محمد (ت ٦٣١) ، واسم كتابه : إحكام الأحكام في أصول الأحكام ، كشف الظنون : ١٧/١ .

(٢) الصّفي الهندي ، سلفت الإشارة إليه .

(٣) يشير إلى المثل : ليس هنا بعشك فادرجي ، يضرب لمن يتعرض إلى شيء ليس منه ، وللمطمئن في غير وقته فيؤمر بالجدّ والحركة . اللسان (درج) ، وجمع الأمثال : ١٨١/٢ .

(٤) الشنّ : الخلق البالي من كل آنية صُنعت من جلد . والقعقعة : صوت الأُمّ اليابسة . وفي المثل : لا يقفّع لي بالشنان .

اللسان : (شنن) ، (قعقع) .

أقدام^(١) ، وحظّه موفور ، وقبوله كلُّ ذنب معه مغفور ، وكان يسلك طريق العلامة تقي الدين بن تيمية في جميع أحواله ، ومقالاته التي تفرد بها والوقوف عند نص أقواله .

وتوجه إلى الحجاز مرات ، وحازَ ما هناك من المبرات .

ولم يزل على حاله إلى أن دخل تحت رِزّة^(٢) الرزيّه ، وعدم الناس منه لذة الحلوى السكرية وإن كانت نسبته إلى الجوزيه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - ثالث عشر شهر رجب الفرد سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى تسعين^(٣) وستّ مئة .

وكان محظوظاً عند المصريين من الأمراء ، يعطونه الذهب والدرهم ، وَهبة الأمير بدر الدين بن البابا مبلغ اثني عشر ألف درهم ، والأمير سيف الدين بشتاك أعطاه في الحجاز مئتي دينار .

وكان قد اعتقل مع الشيخ تقي الدين بن تيمية في قلعة دمشق بسبب « مسألة الزيارة » ، ولم يزل إلى أن توفي الشيخ تقي الدين ، فأفرج عنه في ثالث عشرين الحجة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وما جمع أحد من الكتب ما جمع ، لأن عمره أنفقه في تحصيل ذلك . ولما مات شيخنا فتح الدين اشترى من كتبه أمهات وأصولاً كباراً جيّدة ، وكان عنده من كل شيء في غير ما فن ولا مذهب ، بكل كتاب نسخٌ عديدة ، منها ما هو جيد نظيف ، وغالبها من الكرندات^(٤) . وأقام أولاده شهوراً يبيعون منها غير ما اصطفوه لأنفسهم .

(١) في الأصل : « وتكن وأقدام » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) رِزّة الباب : الحديدة التي يدخل فيها القفل .

(٣) في الأصل : « وسبعين » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي ومصادر ترجمته .

(٤) كذا .

واجتمعت به غير مرة ، وأخذت من فوائده ، خصوصاً في العربية والأصول .
وأشددني من لفظه لنفسه :

بُنِيُّ أَبِي بَكْرٍ كَثِيرُ ذُنُوبِهِ فليس على من نال من عرضه إثم
بُنِيُّ أَبِي بَكْرٍ جَهْلٌ بِنَفْسِهِ جهول بأمر الله أنى له العلم
بُنِيُّ أَبِي بَكْرٍ غَدَا مُتَصَدِّراً يُعَلِّمُ عِلْماً وهو ليس له علم
بُنِيُّ أَبِي بَكْرٍ غَدَا مُتَمَنِّياً وصال المعالي والذنوب له هم
بُنِيُّ أَبِي بَكْرٍ يَرُومُ تَرْقِيّاً إلى جنة المأوى وليس له عزم
بُنِيُّ أَبِي بَكْرٍ يَرى الْغَنَمَ فِي الَّذِي يزول ويفنى والذي تركه غم^(١)
بُنِيُّ أَبِي بَكْرٍ لَقَدْ خَابَ سَعْيُهُ إذا لم يكن في الصالحات له سهم
بُنِيُّ أَبِي بَكْرٍ كَمَا قَالَ رَبُّهُ هلوع كئود وصفة الجهل والظلم
بُنِيُّ أَبِي بَكْرٍ وَأَمْثَالُهُ غَدَا بفتوَاهم هذي الخليفة تأتم^(٢)
وليس لهم في العلم باع ولا التقى ولا الزهد والدنيا لديهم هي الهَم
فوالله لو أن الصحابة شاهدوا أفاضلهم قالوا هم الصَّم والبكم

ومن تصانيفه^(٣) : (زاد المعاد في هدي خير العباد)^(٤) أربعة أسفار ، (مفتاح دار السعادة) ، مجلد كبير ، (تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته) ، نحو ثلاثة أسفار ، (سفر المهجرتين وطريق السعادتين) سفر كبير ، كتاب (رفع اليدين في الصلاة) ، سفر متوسط (معالم الموقعين عن رب العالمين) ، سفر كبير ، كتاب (الكافية الشافية لانتصار الفرقة الناجية) ، وهو نظم [نحو]^(٥) ستة آلاف بيت ، وهذا الكتاب لما وقف عليه شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي أنكره

(١) في الوافي : « يرى الغنم ، تركه الغنم » .

(٢) في الأصل و (خ) : « هذا الخليفة ... » ، وأثبتنا ما في الوافي والدرر .

(٣) انظر : الأعلام ٥٦٦ .

(٤) (خ) : « زين العباد » وفي الوافي : « في هدى دين » .

(٥) زيادة من (خ) والوافي .

وتطلبه أياماً ، (الرسالة الحلبية في الطريقة الحمديدية) ، (بيان الاستدلال على بطلان مَحَلِّ السباق والنضال) ، (التحبير بما يحل ويحرم لبسه من الحرير) ، (الفروسية الحمديدية) ، (جَلِّي الأفهام في أحكام الصلاة ^(١) والسلام على خير الأنام) ، (تفسير أسماء القرآن) ، (تفسير الفاتحة) ، مجلد كبير ، (اقتضاء الذكر بمحصول الخير ودفع الشر) ، (كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء) ، (الرسالة الشافية في أسرار المعوذتين) ، (معاني الأنوات والحروف) ، (بدائع الفوائد) مجلد .

١٥٣٢ - محمد بن أبي بكر بن إبراهيم *

ابن عبد الرحمن الدمشقي ، الشيخ الإمام قاضي القضاة شمس الدين بن النقيب الشافعي ، قاضي حمص ، وقاضي قضاة طرابلس ، وقاضي قضاة حلب ، ومدرس الشاميّة الكبرى بدمشق أخيراً .

كان عالماً حبراً ، وحاكماً بَرّاً ، من قضاة العدل وأئمة الهدى ، وحكام الحق الذين تساوى عندهم في القضاء الأَحَبَّةُ والعِدَا ، مع لطف خلق كأنه نسيم ، وتواضع يراه محادثه أَلَدُّ من كأس تسنيم ^(٢) ، سالكاً طريق السلف والأخيار ، ناهجاً سبيل السنّة والآثار ، لم يُحَكِّ عنه ميلٌ مَدُّ حُكْمِهِ ^(٣) ولا حَيْفٌ ، ولا جَنَفٌ تزول به عن المظلوم لَذَّةٌ من قدوم ضيف الطيف ^(٤) ، وكان من بقايا الأئمة ، وخبايا هذه الأئمة .

ولم يزل على حاله بدمشق إلى أن طَرَق الموت لابن النقيب طريقه ، وترك العيون بالدموع غريقه ، والقلوب بالأحزان حريقه .

(١) في الكشف ، ٥٩٢/١ : « جلاء .. في فضل الصلاة » ، وكذا هي : « جلاء » في الدرر ، وفي الوافي : « حَلَّى الأفهام » .

* الدرر : ٣٩٨/٣ ، والشذرات : ١٤٤/٦ ، وذبول العبر : ٢٤٨ .

(٢) التسنيم : ماء بالجنة .

(٣) كنا ، والأشبه : مدة حكمه .

(٤) في الأصل : « اللطيف » ، والطيّف : الغضب .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شوال سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، ومات عن بضع
وثمانين سنة .

وحدث عن ابن النحاس وطائفة .

وكان قد تفقه على الشيخ محي الدين النواوي - قدس الله روحه - وقال له يوماً :
أهلاً بقاضي القضاة ومدرس الشامية ، فما مات رحمه الله تعالى حتى نال ذلك أجمع
ببشرى الشيخ له .

وسمع من ابن البخاري وغيره ، وكان عنده خاتر في الفقه من الشيخ محي الدين ،
ويعرف (شرح العمدة) للأحكام الذي لابن دقيق العيد معرفة جيدة ويُقرئها لما كان
بدمشق للطلبة .

ولما عزل القاضي فخر الدين ابن البارزي من حص رسم الأمير سيف الدين تنكز
للشيخ شمس الدين بالتوجه إلى قضاء حص ، فامتنع من ذلك ، فتهدده ، فما أمكنه إلا
الرواح إليها ، وتوجه إليها في يوم الاثنين حادي عشر شهر رمضان سنة ثمان مئة
وسبع مئة ، وخرج الناس لوداعه واستناب في وظائفه .

١٥٣٣ - محمد بن أبي بكر بن أحمد *

ابن عبد الدائم المقدسي .

سمع الكثير من جدّه^(١) ، ومن محمد بن إسماعيل خطيب مردا ، وأجاز لي بخطه
سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في رابع ربيع الأول سنة ست وثلاثين وسبع مئة^(٢) .

* الوافي : ٢٧٣/٢ ، ووفيات ابن رافع : ١٧٢/١ ، والدرر : ٤٠٠/٣ .

(١) انظر في مسوغاته الدرر .

(٢) وفي وفيات ابن رافع والدرر أنّ وفاته في رجب سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة . ومولده سنة ثمان أو
تسع وأربعين وست مئة ، كذا مولده في الدرر .

١٥٣٤ - محمد بن بلبان *

الأمير ناصر الدين ابن الأمير الكبير سيف الدين البدري .

كان أحد أمراء الطبليخانات بدمشق ، وكان قد زوّج ابنته بركن الدين عمر بن الأمير ناصر الدين دودار تنكز ، ودخل بها في ليلة الجمعة عاشر شوال سنة ثلاثين وسبع مئة ، وكان عرس عظيم وزفة عظيمة ، ثم إن تنكز ولّاه الحجة .

١٥٣٥ - محمد بن تميم **

شرف الدين أبو عبد الله الإسكندري ، نزيل الين ، أحد كُتّاب الدرج للملك المؤيد هزبر الدين صاحب الين^(١) .

نقلت من خطّ الشيخ تاج الدين عبد الباقي اليني^(٢) . قال : نشأ المذكور في بلاد المغرب من بلاد الهند ، وكان كاتب درج الملك الرحيم تقي الدين عبد الرحمن بن محمد السوامي الطيبي ، ثم لما مات مخدومه وفد إلى الملك المؤيد فاستكتبه .

وكان ذا لفظ صنيع ، ونظم بديع وله إنشاء حسن ، وكان يُعرف بالمقاماتي وحاولته على أن أرى تلك المقامات ، وكان يجيب ما هي مقامات بل قامات . اجتمعت به في عدن سنة ثلاث وسبع مئة وأنشدني قصيدة مدح بها عز الدين عبد العزيز بن منصور الحلبي عرف بالكويكي^(٣) وقد جاء إلى عدن بمال عظيم لم ير مثله ، وأول القصيدة :

* الدرر : ٣٩٧/٣ .

** الوافي : ٢٧٩/٢ ، والدرر : ٤١٢/٣ .

(١) وهو داود بن يوسف بن عمر بن رسول ، سلفت ترجمته .

(٢) هو عبد الباقي بن عبد المجيد الخزومي ، سلفت ترجمته .

(٣) كذا في الأصل والوافي . وفي الدرر ٢٨٢/٢ : « الكريمي » ، وسلف في ترجمته أنه الكولي .

أتذكر ليلى عهدنا المتقدما أم البين أنساها عهداً على الحمى^(١)
وأيامنا اللائي على الخيف قد مضت بمجلس أنس بالمسرة تمما

وكننت أنا وإياه يوماً على باب البحر بشفر عدن فرّ خادم هندي بديع الصورة
فقال لي : أنظم في هذا بيتين فنظمت بديها :

بأبي ظبي من الهند حكي لحظه الهندي في أفعاله
جوهري الثغر يدعى جوهرا وأراه الفرد في أمثاله

فعجب من سرعة البديهة ، قال : لكنني أحكي لك حكاية اتفقت لي في بلاد الهند ،
اقترح عليّ بعضُ التجار الرُّعْن^(٢) اقتراحاً فيه قبح ، وذلك أنه كان له خادم هندي يسمى
جوهراً وكان مغرمّاً به ، فقال لي تستطيع أن تنظم أبياتاً مضمونها أنّ فعلي لذلك الحال
موجب لنفاسة هذا العلق عندي^(٣) ومتى فعلت هذا أعطيك عشرين عينا ، فأنشدته
أبياتاً من غير رويّة ، وهي :

أقول للخلّ عذاك الردى إني أنا الماسُ فلا تعجب
في أصلي الحدة أسطوبها على أصمّ الجوهر المنتسب
والجوهر الشفاف ما لم يكن يثقبه الثاقبُ لم ينتسب
فلي على الجوهر فضلٌ إذا صيرتُه بين السورى منتسب

قال الشيخ تاج الدين : وكان مولعاً بأكل البرشعنا أكثر أوقاته ، غائب الذهن
منها ، وكرهه السلطان لذلك .

مات - رحمه الله تعالى - سنة خمس عشرة وسبع مئة وله موشحات بديعة .

(١) في الأصل : « أنساها » ، وأثبتنا ما في الوافي والدرر .

(٢) في الوافي : « الرعنى » .

(٣) ليست في الوافي .

١٥٣٦ - محمد بن تمر*

الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير سيف الدين الساقى نائب طرابلس .

كان شاباً حسن الصورة ، كريماً ، شجاعاً ، فيه خير ودين ، قرئ في داره .
(صحيح) البخاري ، وسمعه معه جماعة ، وكان عمره يوم مات خمسةً وثلاثين^(١) سنة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بدمشق تاسع صفر سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وتقدّم ذكر والده في حرف التاء مكانه .

١٥٣٧ - محمد بن ثابت**

الفقيه شمس الدين الحبي^(٢) الحنبلي الصّاحي رفيق ابن سعد^(٣) .

قال شيخنا الذهبي : عاقل ، سمع ودار على الشيوخ ، وتنبّه قليلاً ، ثم أمّ بقرية بالمرج ، سمع مني .

وتوفي شاباً - رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

١٥٣٨ - محمد بن جابر***

العالم المقرئ المحدث ، الجليل ، أبو عبد الله الأندلسي ، الوادي أشي ، ثم التونسي المالكي .

* الدرر : ٤١٢/٣ .

(١) في الدرر : « وثمانين » ، سهو .

** الوافي : ٢٨١/٢ ، والدرر : ٤١٢/٣ .

(٢) في الأصل : « الجيبي » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والظاهر أن نسبته إلى خبب ، وهي بليدة قرب دمشق على طريق حوران ، وفي الدرر : « الحبشي » .

(٣) يحيى بن محمد بن سعد المقدسي ، ستأني ترجمته .

*** الوافي : ٢٨٢/٢ ، والدرر : ٤١٣/٣ ، وغاية النهاية : ١٠٦/٢ ، وقام نسبه فيها : « محمد بن جابر بن محمد بن قاسم » .

قرأ على والده ، وبالسبع^(١) على طائفة ، وسمع من ابن هارون الطائي^(٢) ، وأبي العباس بن الغمّار^(٣) ، وطائفة بتونس .

قال شيخنا الذهبي : وقرأ عندنا (صحيح) البخاري ، وسمع من البهاء بن عساكر ، وبمكة من الرضي الإمام ، انتقى العلائي عليه جزءاً ، وكان حسن المشاركة في الفضائل ، خرّج (الأربعين البلدانية) ، كتبها عنه شيخنا علم الدين البرزالي ...^(٤) ومولده سنة ثلاث^(٥) وسبعين وستّ مئة .

١٥٣٩ - محمد بن جعفر بن ضوء البعلبي *

الفقيه شمس الدين الشافعي .

كان من فقهاء المدرسة القيرية بدمشق ، وكان له تردد إلى الناس واجتماع بهم ، وله عليهم خدمة ومعرفة بقضاء حوائجهم وأشغالهم ، على ما في نفوسهم ، وهو مطبوع داخل . وكانت بينه وبين النجم هاشم البعلبي^(٦) مودة وصحبة واتحاد ، وكان حسن الشكالة والصورة .

توفي - رحمه الله تعالى - ثاني عشري شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، ودفن بمقبرة باب الفراديس وأثنى الناس عليه وتأسفوا عليه .

(١) في الأصل : « بالسبع » ، وأثبتنا ما في (خ) ، والوافي .

(٢) عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي ، مسند تونس (ت ٧٠٢) ، الدرر : ٣٠٣/٢ .

(٣) أحمد بن محمد بن الحسن ، قاضي تونس (ت ٦٩٣) ، غاية النهاية : ١١٠/١ ، ووقع في الأصل : « الغمار » ، تصحيف .

(٤) كذا يبايض في الأصل . وهو موضع ذِكْر وفاته . وفي الغاية أنه توفي في ربيع الأول سنة (٧٤٩) .

(٥) في الغاية : « ثمان » .

* الدرر : ٤١٥/٣ .

(٦) هاشم بن عبد الله بن علي التنوخي البعلبي (ت ٧٣١) ، الدرر : ٣٩٩/٤ .

١٥٤٠ - محمد بن جعفر بن محمد *

ابن عبد الرحيم بن أحمد بن حجّون الشيخ الإمام الشريف تقي الدين ابن الشيخ ضياء الدين القنائي ، بالقاف والنون .

كان فقيهاً ، شاعراً ، صالحاً ، سَمِعَ من أبي محمد عبد الغني بن سليمان ^(١) ، وأبي إسحاق إبراهيم بن عمر بن نصر بن فارس .

وحدّث بالقاهرة ، وسمع منه الشيخ عبد الكريم بن عبد النور ^(٢) وجماعة ، ودرس بالمدرسة المسرورية ^(٣) وتولى مشيخة خانقاه أرسلان الدوادر ، وانقطع بها وتزوج بعلماء أخت الشيخ تقي الدين ^(٤) ، ورزق منها ابنين فقيهين ، قال كمال الدين الأدفوي : كان خفيفاً ، لطيفاً ، وله شعر . أنشدني بعض أصحابنا بقوص مِمَّا نظمهُ سنة اثنتين وسبع مئة ، عندما حَصَلَت الزلزلة :

مَجَازُ حَقِيقَتِهَا فَاعْبُرُوا وَلَا تَعْمُرُوا هَوْنُوهَا تَهَنُّ ^(٥)
وَمَاحَسَنُ بَيْتٍ لَهُ زَخْرَفٌ تَرَاهُ إِذَا زَلَزَلَتْ لَمْ يَكُنْ
وَمِنْ شَعْرِهِ أَيْضاً :

مِنْ بَعْدِ فِرَاقِكُمْ جَرَتْ لِي أَشْيَا لَا يُمْكِنُ شَرْحُهَا لِيَوْمِ اللَّقْيَا
كَمْ قُلْتُ لِقَلْبِي بَدَلًا قَالِ بِنِ وَاللَّهِ وَلَا بِكُلِّ مَنْ فِي الدُّنْيَا

* الوافي : ٢٠٧/٢ ، والطالع السعيد : ٥٠٥ ، والدرر : ٤١٥/٣ .

(١) (ت ٦٦١ هـ) ، العبر : ٢٦٥/٥ .

(٢) توفي سنة (٧٣٥ هـ) .

(٣) في القاهرة ، وكانت دار مسرور أحد خدام القصر ، وكان مسرور من اختص بالسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

(٤) ابن دقيق العيد .

(٥) في الأصل : « فاعتبروا » . وأثبتنا ما في الطالع وبه يستقيم الوزن .

قال^(١) : ووفاته بالقاهرة في جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده بقوص ظناً سنة خمس وأربعين وست مئة .

قلت : أخبرني من لفظه القاضي الرئيس الكاتب تاج الدين محمد بن محمد البارنباري^(٢) . قال : قال لي الشيخ تقي الدين المذكور لما نظمت : « مجاز حقيقتها فاعبروا » البيتين بقي في نفسي شيء من كوني ذكرت في الشعر أسماء سور القرآن العظيم ، فأتيت الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد - رحمه الله تعالى - وأنشدتها له ، فقال : لو قلت : « وما حَسُنَ كَهْفُ له زُخْرُفٌ » لكنت قد زدت سورة رابعة . قال : فقلت له ياسيدي : قد أفدتني وأقنتني^(٣) ، أو كما قال .

وأنشدني قال : أنشدني المذكور لغزاً في العين الباصرة :

ومحبوبة عند المنام صَمَمَتْهَا أَحْسُهَا لَكِنِّي مَا نَظَرْتُهَا
لَذِيذَةٌ ضَمَّ لَا أَطِيقُ فِرَاقَهَا وَكَمْ مِنْ لِيَالٍ فِي هَوَاهَا سَهَرْتُهَا^(٤)

قلت : وما أحسن قوله « في هواها سهرتها » .

وقد ذكرت هنا لغزاً في العين للجهرمي وهو حسن :

إِنَّ الَّتِي أَوَدَّتْ فـ____وَادِي تَلْتِ حَزْناً عَلَيْهِ وَهُوَ مَلْسُوعُهَا
جَمَلَتْهَا وَاحِداً أَجْزَائُهَا طَبِيعَةً يَعْجَبُ مَطْبُوعُهَا
فَالْكَلَّ إِذْ يَقْرَأُ بَعْضُهَا وَالبَعْضُ إِذْ يَذْكُرُ مَجْمُوعُهَا
عَمِيَّتْهَا فِي لَحْنِ قَوْلِي فَمَنْ يُخْرِجُهَا إِذْ كَانَ يَسْطِيعُهَا

(١) أي الأدفوي في الطالع السعيد .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل : « وأقنتني » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) في الوافي : « وَرُبَّ لِيَالٍ » .

وقد رأيت لبعضهم ستة أسماء من سور القرآن العظيم في بيت واحد وهو قوله :

أقول وقد هبت لنا نسمة الصَّبَا ترى دارت بنا كأس قرقف^(١)
وفاطر قلبي هل أتى نبأ الوري ينل عذارٍ جاء في صفِّ يوسف

وما أحسن ما نقلته من خط السراج الوراق :

سامح بفضلِكَ من أتى ذنباً ولقنهُ المعاذر
وبزخرف من قوله كن أنت للزلات غافر
وأنشدني قال : أنشدني لنفسه أيضاً :

حياة المنازل سكَّانها همُّ رُوحها وهي جُثانها
أضاءت بمن حلَّها بهجةً كما حلَّ بالعين إنسانها
وللظاعنين تحنَّ الديا رُكَّانُ الأحبة أوطانها

قلت : ذكرتُ بهذا قول أبي الحسين الجزار ، وهو :

طرف الحب فمَّ يذاع به الجوى والدمع إن صمت اللسان لسانُ
ياسائلي عما تكابدُ مهجتي إعراب طرفي بالدموع بيانُ
تبكي الجفون على الكرى فاعجب لمن تبكي عليه إذا نأى الأوطان

وأنشدني قال أنشدني المذكور لنفسه في باذهنج^(٢) :

كأنما الباذهنج قلَع علا على الفلَك حين تَسري
لكنَّ ذاك الرياح أجرت وذا غداً للرياح يجري

(١) كذا في الأصل ، وفي عجز البيت خلل .

(٢) فارسية ، مؤلفة من « باذ » بمعنى « صاحب » ، و « آهنج » بمعنى هواء ، والمراد نافذة أو طاقة للتهوية .

وذكرت هنا قول شهاب الدين مسعود بن محمد بن مسعود السبكي المالكي :

وباذهنج إذا حرَّ المصيف أتي أهدى النسيم وقد رقت حواشيه
مصغ إلى الجوّ ماناجاه نافحةً إلّا ونمّ عليه فهوَ واشيه
قلت : وبما قلته أنا في باذهنج :

بَيْنَنَا لِلتَّسَمِ بَازْهَنْجَا غَلَا فَعَلَى إِلَى جَوِّ السَّمَاءِ^(١)
وَرَاقَ بِهِ الْهَوَاءَ وَرَقَّ لَطْفَا فَسَمِينَاهُ رَاوُوقَ الْهَوَاءِ
وَأُنْشَدَنِي ، قَالَ : أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ فِي شَيْخٍ مَنَحْنِ مَطِيلِسَ^(٢) :

كَالْعَيْنِ شَيْخٍ مَنَحْنِ مُطِيلِسَ أَعْرَفَهُ
تَقْوِيْسَهَا كَظْهَرِهِ وَرَأْسَهَا رَفَرُقَهُ

قلت : هذا تشبيه عجيب ، وتخيّل غريب إلى الغاية .

وَأُنْشَدَنِي قَالَ أَنْشَدَنِي فِيمَنْ جَهَّزَ إِلَيْهِ بَوْرِيَهَ فَايْتَهَ :

دَعِ الْاضْطِرَابَ عَنِ الْحَيَا وَخَلِّ نَفْسَكَ ثَابِتَهَ
وَاذْرَعْ فَجَبَاتِ الْقُلُوبِ بِهَا الْمَحَبَّةُ نَابِتَهَ
وَذَكَرْتَ فَايْتَهَ فَمَقَمِ لِلْفُورِ وَقَضِ الْفَايْتَهَ

١٥٤١ - محمد بن جنكلي*

الأمير ناصر الدين ابن الأمير^(٣) بدر الدين جنكلي ابن البابا الحنبلي .

(١) في الأصل : « بيننا للتسم » ، ولا تستقيم .

(٢) صفة للرجل إذا رمي بقبیح ، وتعني أيضاً الإنسان الأعجمي .

* الوافي : ٣١٠/٢ ، وفيات ابن رافع ١٣٧١ ، الدرر ٤١٦/٣ .

(٣) في (خ) : « الأمير الكبير » .

تقدم ذكر والده في حرف الجيم مكانه .

كان جمال المواكب ، وجمال الكواكب ، أحسن خلق الله وجهاً وقواماً ، كأنه غصن بان ركب الله في أعلاه قرأ تماماً ، مع أخلاقٍ ما للنسيم لطفها ، ولا لأزاهر الرياض اليانعة عرفها^(١) ، ولا للغصون الناعمة لينها ولا عطفها ، وسماح يتعلم السحاب سحّه ، ويظهر من البحر شحّه ، وكتابة إن وصفتها بالخائل أخلتها ، وإن قلت : هي كالعقود ، فقد نقصت من قدرها وأهملتها ، تصبح بها السطور^(٢) وقد توشّت ، والعيون وقد تردّت بالمحاسن وتغشّت ، وفقه ما لابن حزم حزمه ، ولا لابن عبد البر ثقله ولا جزمه ، وحديث ماترقى الخطيب درجه ، ولا ألم به ابن عساكر ولا خرجه ، وأسماء رجال يغرق فيها ابن نقطه ، ويتحقّق سامعه أنه ما عند السمعاني بعدها غبطه ، وأدب ما وصل الحصري^(٣) إلى أنماطه ، ولا صاحب (الذخيرة)^(٤) إلى التقاطه ، ولا صاحب (القلائد)^(٥) إلى تيجانه وأقراطه ، وشعر راق نسجه ، ولاق نهجه :

شخص الأنام إلى جمالك فاستعذ من شر أعينهم بعيب واحد^(٦)

ولم يزل على حاله إلى أن حل بجاه الحمام ، وأبكى عليه حتّى الحمام .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وتسعين وست مئة .

كان أولاً قد اشتغل بمذهب أبي حنيفة ، ثم إنه تمذهب للإمام أحمد بن حنبل^(٧)

(١) (خ) : « قطفها » .

(٢) في (خ) : « الطروس » .

(٣) إبراهيم بن علي الحصري صاحب زهر الآداب (ت ٤٥٣ هـ) .

(٤) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لملي بن بتمام البسامي (ت ٤٠٣ هـ) .

(٥) هو قلائد العقيان في محاسن الأعيان ، لأبي النصر الفتح بن عيس بن خاقان (ت ٥٣٥ هـ) .

(٦) (خ) : « إلى كالك » .

(٧) في الوافي : « وفي آخر الأمر مال إلى الظاهر ، ورأى رأي ابن حزم » .

وأنشدني من لفظه لنفسه غير مرة :

بك استجار الحنبلي مُحَمَّدُ بْنُ جَنْكَلِي
فاغفر له ذنوبه فأنت ذو الفضل

وكتب طبقة واشتغل في غير مافن ، ولم يزل مواظباً على سماع الحديث ، واختلط بشيخنا الحافظ فتح الدين بن سيّد الناس وبه تخرّج ، وعنه أخذ معرفة الناس وأيامهم وطبقاتهم وأسماء الرجال .

وكان آية في معرفة فقه السلف ونقل مذاهبهم وأقوال الصحابة والتابعين ، وهذا أجود ما عرفه ، مع مشاركة جيدة في العربية والطبّ والموسيقا .

وكان في النظم متوسط الطبقة وربما تعذّر عليه حيناً ، لكن له ذوق في الأدب ، يفهم لطائف المعاني ويُدركها ويهتّز للفظ السهل ، ويطرب لنكت الشعراء المتأخرين كآبي الحسين الجزّار والوراق وابن النقيب وابن دانيال وابن العفيف ومن جرى مجراهم ، ويستحضر من مجون ابن حجاج جملة .

وكان يلعب الشطرنج والنرد ، وقل أن رأيت مجموعته في أحد .

رأيته غير مرّة واجتمعت به كثيراً ، وقد شاركته في بعض سماعاته ، وسمع بقراءتي على شيخنا الحافظ أبي الفتح كثيراً ، ورّد عليّ يوماً بعض الأسماء صحّفته أنا دُهولاً مني ، ولمّا فرغنا أنشدته :

يردّ علينا ما تقول أميرنا لئلا يرانا في النهى دون حدسه
ويختار منا أن نكون كمثلـه «ويطلب عند الناس ما عند نفسه»

فأعجبه هذا التضمين وطرب له .

وكان فيه برّ وإيثار لأهل العلم والفقراء ، ويُخَيّر مجالسة أهل العلم على مجالسة الأمراء والأثراك ، وكان كثير الميل إلى مَنْ يهوّاه ، لا يزال متياً ، هائماً ، يذوب صباة

ويفنى وجداً ، ويستحضر في هذه الحالة ما يناسبها من شعر الشريف الرضي^(١) ومهيار^(٢) وابن المعلم^(٣) ، ومتيمي العرب جملة يترنم بها ويراسل بذلك ، ويعاتب .

وخرّج له شهاب الدين أحمد الدميّاطي أربعين حديثاً ، وحدّث بها قبل موته ، وأثنى عليه الفاضل كمال الدين الأذقوي في تاريخه : (البدر السافر) ثناء كثيراً .

ولما بلغتني وفاته - رحمه الله تعالى - وأنا بدمشق قلته أرثيه ، وضمنت القصيدة أعجاز أبيات قصيدة أبي الطيب^(٤) :

هي الأيام ليس لها ذمام	وليس لها على عهد دوام
نُصَبْنَا للردي غرضاً فأصمتُ	حشانا من رزاياه السّهام ^(٥)
وما بعد الرضاع وذاك حق	تبين عندنا إلا الفطام
نسير على مطايا للمنايا	وفي كفّ الزمان لها زمام
إذا متّنا تنبّهنا لهوّل	نرى أن الحياة هي المنام
ألم تر كيف عاث الدهر فينا	وأودى ناصر الدين الهمام
فشق الرّعدُ جيبَ السّحب لما	تلّهب برقهها وبكى الغمام
فيا أسفاً لوجه كان يبدو	فيستحي لـه القمر التام
ويالشّائل كم هام فيها	فؤاد ما يسّليه المدام ^(٦)
ويالخلائق كالرّوض لما	تفتّح عن أزاهره الكمام
ويالفضائل قلنا لـديها	أفدنا أيها الحبر الإمام

(١) محمد بن الحسين بن موسى (ت ٤٠٦ هـ) ، وفيات الأعيان : ٤١٤/٤ .

(٢) مهيار بن مرزوية (ت ٤٢٨) ، وفيات الأعيان : ٣٥٩/٥ .

(٣) محمد بن علي بن فارس الهروي الواسطي ، شاعر غزل (ت ٥٩٢ هـ) ، وفيات الأعيان : ٥/٥ .

(٤) في مدح المغيث بن علي العجلي ، ديوانه : ٦٩/٤ ، وما بعدها .

(٥) في الأصل : « عرضاً » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٦) في الأصل : « ماتسلته » ، وأثبتنا ما في (خ) .

يؤلفه على النحر انتظام^(١)
 «وأما في الجدال فإيرام»
 «وإن كثر التجميل والكلام»
 «هي الأطواق والناس الحمام»
 وصار بها على الدنيا ظلام
 «كأنك في فم الدنيا ابتسام»^(٢)
 ويكيكك المثقف والحسام
 «تعالى الجيش وانحط القسام»
 لأنّ حلال بقياننا حرام
 وكان وقودها جثث وهام
 هم في الروح أمجاد كرام
 إذا ما كان للحرب اصطلام
 وجالت في محاسنك الهوام
 «ولكن معدن الذهب الرغام»^(٣)
 «لأعطوك الذي صلوا وصاموا»^(٤)
 مواهبه لنا أبداً جسام
 بمن بالعلم كان له اعتصام
 غمائه إذا انهلت سجام
 لأنّ بصحبة يجب الذمام
 «ومن يعشق يلذ له الغرام»

ويالكتابة كالدرما
 وكان يرّام في بذل العطايا
 ولم نر في الزمان له شبيهاً
 أيا من في الرقاب له أيا
 لكن عمت مصيبتك البرايا
 فكم حسنت بك الأوقات حتى
 ستندبك المواقب كل يوم
 لأنك ما شهدت الحرب إلا
 فلو تقدى بذلنا كل نفس
 ولورد الردى حرباً لشبت
 وكف الخطب عنك كفاة أهل
 أب وأخ هما ليثا عرين
 يعزّز عليهما أن بت فرداً
 وما تركاك رهن الترب عمداً
 فم فلو افتقرت لفعّل بر
 وما تحتاج عند الله قربى
 فللرحمن لطف واعتناء
 فكم أذريت خوف الله دمعاً
 قضيتك بالوفا حقاً أكيداً
 سأجعل طيب ذكرك لي سميّاً

(١) (خ) : « يؤلفها على » .

(٢) في ديوان المتنبي « فم الدهر » .

(٣) الرغام : التراب .

(٤) في الأصل : « قم لو » ، وأثبتنا ما في (خ) .

وأرجو الله أن يولييك رحمى «ومن إحدى عطاياها الدوام»
فلا تبعد فنحن عليك وقد وغايتنا لهذا والسلام

وأورد الكمال الأدفوي في آخر ترجمة الأمير ناصر الدين ، وأظن ذلك في نظم كمال الدين المذكور فيه :

أبكي عليك بدمعة كتبت على صفحات خدٍ للكئيب سطوراً^(١)
تجري من العين التي أنشأتها مازال من إحسانه سروراً^(٢)
سالت عقيقاً فاستحالت عندما شابت فصارت لأولاً منشوراً

قلت : العين وإنسانها لا يوصفان بسرور البتة ، وإنما السرور من صفات القلب .
وأنشدني من لفظه لنفسه - رحمه الله تعالى - لما أخرج السلطان الملك الناصر محمد خليل بن بلغدار^(٣) إلى الشام بسببه ، وكان له إليه ميل عظيم :

ومن حيثما غيّبت عني ظاهراً وسرت على رغي وفارقتني قسراً
أقتُ ولكني وعيشك آيس من الروح بعد الخل أن تسكن الصدر
فكم عبرة للعين أجريتها دماً وكم حرق في القلب أذكيتهما جمرأ^(٤)
لعل الذي أضحى له الأمر كله على طول ما ألقاه يُحدث لي أمراً^(٥)

وأنشدني من لفظه لنفسه في المذكور ، اهتم قول :

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة وحوالي ... إذخر وجليل^(٦)
وهل أردد يوماً مناهل جلق ويبدو لعيني شامة وخليل

(٢) (خ) : « أبكي عليه » .

(٢) في الأصل : « العين الذي » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) كذا في الأصل و (خ) والوافي . وأكبر الظن أنها « بلغدار » ، وقد ترجم له صاحب الدرر : ٨٨/٢ ، ووقع فيه اللفظ بالدال : إلا أنه قطع ترجمته ، ولم يذكر وفاته .

(٤) (خ) والوافي : « في الصدر » .

(٥) هنا ينتهي مضمون الترجمة في الوافي .

(٦) كذا ، والإذخر : الحشيش .

وقال كمال الدين الأدفويّ نقلت من خطه له :

وإذا اعتبرت سنيّ عمرك في الهوى ومرورها في أعصر الخسران ^(١)
وعلمت أن المرء منها راحلٌ سقراً به للسخط أو رضوان
أيقنت أن الفوز فيها للتقى ولمن يقــــــــــــــــوم بمحكم القرآن
فاجهد لنفسك يا أخي خلاصاً فلقد نصحتك في جيل يبان

وكتبت له وأنا بالقاهرة منشوراً يامرة أحد وأربعين ربحاً في أيام السلطان الملك الناصر محمد سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة وهو :

« الحمد لله الذي نصر هذا الدين بحمده ، وجعل مفارق العدا من أغماد مهنده ، وأطفأ بوبل نبلة حرّ الوغى إذا زاد في توقده وجمع له بين فضل السيف والقلم ، فكان هذا الجمع من مزايا تفرّده .

نحمده على نعيمه التي منحت دولتنا القاهرة ولياً تعقد عليه الخناصر ، وخصت أيامنا الزاهرة بماجد طابت ^(٢) منه الأصول ، كما طابت العناصر ، وزانت مواكبا الوافرة بفارس يصبح النجم عن مداه وهو قاصٍ والبرق قاصر ، واعتزت ^(٣) جيوشنا الباهرة منه ببطل من لم يكن له اسمه واسمه ﴿ فآله من قوّة ولا ناصر ﴾ ^(٤) .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة ترغم معاطس الكفر والضلال ونعلي بها كلمة الإيمان بصدور البيض البئر وكعوب السمر الطوال ، ونطلع بها في ليل العجاج المظلم أسنة الذوايل تتقد كالذبال ، وننال بإخلاصها النصر إذا تبّت ^(٥) يد الكافر يوم الفتح في القتال .

(١) (خ) : « في الوري » .

(٢) (خ) : « طابت » .

(٣) في الأصل : « واعترت » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) الطارق : ١٠/٨٦ .

(٥) في الأصل : « نبّت » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وهو معنى قرآني .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جاهد في الله حقّ جهاده ونصر الدين الحنيف بأنواع أعوانه وأجياذ جياده وأتعب السيوف في راحته حتى لقي الشرك وألوفه بالتوحيد وآحاده صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين دعاهم إلى هدام فثَنُوا إليه الأعنة ورأوا أفعاله فَرَوُوا عنه السُّنة وجالدوا عداه ، فرووا منهم الأسنة واستبشروا ببيعهم الذي بايعهم بأن لهم الجنة^(١) ، صلاة تتبلج بها نجوم الظلم ، وتتأرجح بها نسائم الضال والسلم ما خَفَقَتْ عذبات عَلم وثَلَّ الإيمان عُرْشَ البهتان وثلم ، وسَلَمَ تسليماً كبيراً إلى يوم الدين .

وبعد :

فإنَّ أحقَّ الأولياء بموالاته النعم ومغالاة القيم ومضاعفة الآلاء عليه حتى تخجل الدِّيم ، مَنْ تزاخم النجوم علياه بالنكائب ، ويغدو بَدْرُ الجيوش في هالة المواكب ، ويمتشق الصوارم بيناه ويركب^(٢) من شوق إلى كل راكب ، ويعتقل الذوابل فتلجّ في غَلْو « كأنما تحاول ثأراً عند بعض الكواكب »^(٣) .

وكان المجلس السامي الأميري وألقابه الناصري ونعوته محمد بن الجناب العالي الأميري البدري محمد بن جنكلي بن البابا الناصري من قوم ندعوهم فيلَبُّون إلى طاعتنا مسرعين ، ونرجو لفتّاهم كمال المئة ، فإنه قد تجاوز حد^(٤) الأربعين ، فهم أبطال تفرق^(٥) الأسود الغُلب من وثباتها وثباتها ، وفرسان قوائم خيلهم صوالج تلعب من رؤوس

(١) اقتباس من قوله جلّ وعزّ : ﴿ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ﴾ [التوبة : ١١١/٨] .

(٢) في الأصل : « ومركب » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) عجز بيت سلف للمؤلف أن مثل به .

(٤) في (خ) : « بهذا حد » .. وهو يشير إلى بيت سحيم بن وثيل الرياحي :

وماذا يذري الشعراء منّي وقد جاوزت حدَّ الأربعين

وهو من قصيدة اختارها الأصمعي ، انظر : الأصمعيات : ٦ .

(٥) الفَرَق : الخوف والفرع .

العدى بكراتها في كراتها ، وشجعان ألفوا^(١) مقاعد الخيل فكانهم ولدوا على صهواتها ، وأمرأ زانوا مواكبنا السعيدة التي لا تخرج الأقار عن هالاتها ، قد احتكم إلى يمينه السيف والقلم ، وانطوى على نشر العلم والعلم ، وتقص عند أقوامه زيد الخيل ، وشاب من شجاعته عامر بن الطفيل ، وعجز ابن عساكر عن حفظه ، وغرق ابن نقطة في بحر لفظه ، فهو من المناضلة إلى المفاصلة ، ومن تدبير العوالي إلى تسطير الأمالي ، ومن جلال الفوارس إلى جدال المدارس ، ومن ظهور السابقة العراب ، إلى بطون الناطقة بالصواب علماً بقول القائل :

أعز مكان في الدنيا سرج سابع وخير جليس في الزمان كتاب^(٢)

لأنه نجل والده الذي مارفعنا راية رأيه في أمر ففسد ، وفرغ أصله الذي نشأ في خدمتنا الشريفة ، والشبل في الخبر مثل الأسد ، كم لوالده من يوم حرب أذكر الناس بيوم بدر ، وكم له من ليلة علا فيها قدرة ﴿ وما أدراك ما ليلة القدر ﴾^(٣) .

وقد اقتضت آراؤنا الشريفة تغيير إقطاعه ليقوى حزبه على الحرب وينتقي من يكون أمامه من أبناء الطعن والضرب ، وترح به كمت الجياد في الأرسان وتُشاهد في مقامات حربه مقاتل الفرسان وينظم في صفاته (صحاح) الجوهري إذا نثر من الدماء (قلائد العقيان) ، فالفتوح تيسر للدين القيم بالحتوف ، والجنة كما قال ﷺ تحت ظلال السيوف^(٤) :

وليس لله بستنكر أن يجمع العالم في واحد

(١) في الأصل : « ألفوا » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) المتنبي ، ديوانه : ١٩٣/١ .

(٣) القدر : ٢/٩٧ .

(٤) فيه إشارة إلى الحديث : (الجنة تحت ظلال السيوف) ، ذكره السيوطي في الجامع الصغير : ١٤٥/١ ، وضّقه .

يفوق الألوف فلذلك خرج الأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري
أعلاه الله تعالى وشرفه أن يُجَرَى في إقطاعه .

فلما جُهِز المنشور إليه كتب هو إليّ قرين تشريف جهّزه والده رحمه الله تعالى
إليّ :

« يا مولانا ما هذا منشور إن هذا إلا لؤلؤ منشور ، كل سطر منه جنة قد حفت
بالبثار ، وكل سطر^(١) من سطره لو يباع اشتري بألف دينار ، تلعب فيه قلم مولانا
بالعقول ، وأدار بكلامه على الأسماع كأس الشمول ، فعلم كل بليغ ما يقول ، وتصدّق
على المملوك بأوصاف استعارها له ببيانّه ، ورصّع جواهرها بنائنه ، وقد وقف عليه محبكم
الوالد وقال : بمثل هذا الفضل يحى الذكر الخالد^(٢) ، وقد سير إليكم شيئاً من تمام
الإحسان قبوله ، وهو يعتذر بما إذا حضر المملوك يذكره ويقول ، والله تعالى يعلي
لمولانا المكانة ، ويدم لهذه الدولة الشريفة بيانه بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

وكنتم قد كتبت أنا إليه وأنا بالقاهرة في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة :

لي في الجوانح من حزني حرارات	كما لبرد اللّمي فيها حرارات ^(٣)
وللبوارق إن لاحت أو اعترضت	في الضوء من ثغرك الضاحي إشارات ^(٤)
وللغصون إذا ورق الحمام تلت	آيات عطفك في الأسحار سجدات
أشكو ظلام ذوابات دجت فعدت	ومالها غير نور الفرق مشكاة
خيالك البدر في جو السماء إذا	نظرت فيها لأن الأفق مرآة
ومن يسق نفسه للوجد فيك ففي	لعب الغرام على خديك شامات

(١) في الأصل : « سطر » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) في الأصل : « الخالد » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) في (خ) : « حزازات » .

(٤) في الأصل : « وللبواق » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وفيها : « في الجو » .

يابدر حسنٍ له دُونُ البريّةِ في
دينار خدكٍ وافٍ في الجمال فلمْ
لولا تجنّيك لم يَغْدُبْ جنّاك ولا
لم لا سمعتِ دعاوى الصبّ فيك على
وأنت يامن أداجيه على شغفي
لا تقبلنّ شهادات الدموع ومن
حلبت شطري زماني وارتضيت بها
فكم مجالس لهوٍ خمرها غزلي
وليس لي طرب إلا إذا تليّت
فتى إذا فكرتي صاغت له مدحاً
وسابق اللفظ في نظمي مدائحه
حوى الفضائل من سيف ومن قلم
له محاريب حرب كلّما ركعت
فالأرض طرس وغىّ والحيل أسطوره
وكم أدار كؤوس الموت حين شدّ الـ
ليث فرائسه الفرسان يوم وغى
إن أظلم الجو من جَوْنِ العجاج فين
وإن دجا البحث في تحقيق مسألة
وأوضح الحق بالبرهان وازدحت
وإن أتاك بنقلٍ فالبحور طمت

أهّلة اللثم لا في السحب هالات
زيدت به من سواد القلب حبات
طابت عليك لذات الصبّ لذات
هواك إن دعاويه صحيحات
به وهيهات أن تخفى الصبايات
تعديل عطفيه في جفني جراحت
لي وحشة عن أنيس فيه إعنات^(١)
وشمعي فكرةً فيها شرارات
عن ناصر الدين أخبار وآيات
شنت على الوصف في علياه غارات
الدرّ والزهر والزهر المنيرات
فليس عند الوري إلا فضالات
سيوفه سجدت إذ ذاك هامات
والسمهري ألف واللام لامات
حسام وارتقصت للسرقات
ومما البرائن إلا المشرفيات
خرصان ذبله فيه ذبالات^(٢)
جلت حناده منه الدلالات
فيما يرى نصره منه العبارات
ويعضد الرأي ما تهدي الروايات

(١) في الأصل : « حكيت ... إغنات » ، وفي (خ) : « خلبت .. إعنات » ، تحريف ، يقال : حلب

فلان الدّهر أسطوره ، أي : خبر ضروبه .

(٢) الحرصان هي الأسته ، وتطلق أيضاً على الرّماح .

تخضع له الشُّبُهَاتُ الفلسفياتُ
فهو الخطيبُ ومِنَّا نحنُ إنصَاتُ
فباطنُ الطُّرسِ أنهارُ وجنَّاتُ
فقلُّ غصونُ بأعلاها حماماتُ
تبدو لها من حمامِ الهمزِ رنَّاتُ
فاللفظُ كَأْسٍ له المعنى سلافاتُ^(١)
به فللدهرِ من نُعاه رذاتُ
وتنجلي ظلماتُ أو ظلماتُ
بدع إذا انكشفت عنك الغياباتُ
ولم تزل تَفْضُلُ الأرضَ السماواتُ
مرّت بأزهارها ليلاً نسيّاتُ
تُهمي على عطشٍ منه غماماتُ
عليه من مجدِّهم تُرخي الذَّوَابَاتُ
في كلِّ نادٍ لها بالنَّدِ نفحاتُ

وإن تمسك في قولٍ بظاهره
نقولُ إلّا إذا ما كان حاضرنَا
وإن أدار على قرطاسه قلمًا
عن كلِّ همزٍ ما في سطره ألفًا
يكاد معنى عباراتٍ يسطرها
نظم يروق ومعناه يرقُّ لنا
يا شاكِي الزمنِ الجاني استجر كرمًا
وسوف يغفرُ لآيام زلتها
فما سَمِيَّ النبي الماشمي له
لقد سما والورى مِنْ دُون رتبته
خلائقٌ مِثْلُ أنفاسِ الرياضِ إذا
وجُود كَفَّ كَأَنَّ الفقرَ قَفَرُ فلا
مِنْ مَعشَرٍ قد سها طَرْفُ السَّهَى لَهُمْ
لا زال في نِعمِ أنفاسٍ لذتها

فكتب هو الجواب إليّ عن ذلك :

فيها لغير المعاني منك زهراتُ
كانت بروجاً فأضحت وهي أيباتُ
له فاما منه للدنيا كالاتُ
منك خوفاً كأنَّ القوم أمواتُ
وليس يقوى لعصف الريح نسماتُ
علت لهم منك في ذاك الإجازاتُ
عما حويت من العليا فقلُّ هاتوا

أوراق نظمك للأبصار روضاتُ
ياناظماً نزلت زُهر السماء له
وفاضلاً لا يَفُضُّ الله خالقنا
ترجّلت لك فرسان القريض وولّوا
كلَّ بفضلِكَ أَمسى وهو معترفُ
يروى الأنامُ حديثَ الفضلِ عنك وقدُ
ومن يعاند فيما رُحِتْ أذكُرُه

(١) (خ) : « يروق لنا » .

وكتبتُ أنا إليه أنه بقدومه من الحجاز في شهر الله المحرم سنة ثلاث وثلاثين
وسبع مئة :

قدمت قدوم البدر والليل قد دجا
وكانت ربا مصر رياضاً تصوحت
إذا النوق أعيائها المسير فإنها
أيا من سرى والأنجم الزهر في الدجى
وأسمى هلال الأفق كورا لنجبه
قطعت القيافي نحو مكة محرما
وجرّدت من ثوب مخيط ولم تزل
ولبّيت لباك الإله لأنه
وطفت بيت لم تر الباب مرتجا
ترى الحجر المسود أحسن موقعا
فتوسّع له ثأ بأبيض واضح
وفي عرفات كان عرفك ذائعا
وحلقت حتى لا تكون مقصرا
وسقت مطايا الهدى تنحر كومها
فبخلت حتى السحب في جود وبلها
وجئت إلى قبر حوى خير مرسل
تجادل عنه أو تجاليد من غدا
إذا أنت رفعت الرماح مراودا

فأشرقت الآفاق من سائر الأرجا
فجئت إليها كالغمام إذا تجا
بطيب الثنا والذكر عنك غدت تزجي
ليهدى بها في القفر قد علقت سرجا
وإلا على ظهر الجياد له سرجا
ولم تتخذ إلا التقى والفلا منجا^(١)
برود الندى والبأس تحكيمها نسجا
رأى خير من لبي بركبك أو عجا
مقي جئته تدعو ولا الركن مرتجا
بقلبك من خال على وجنة بلجا^(٢)
إذا قال قلنا السحر من لفظه مجا
تضوع عرفاً نشره ملأ الفجا
وذلك أنجى في العبادات بل أرجى
وقد نضجت أكبادها بالسرى نضجا
وزدت إلى أن كدت أن تفرق اللجا
ومن حبه الذخر المؤمل والملجا
يعالج منه المسلمون فقي علجا
تشق بها من تقع مقلّة دعجا^(٣)

(١) (خ) : « نهجا » .

(٢) (خ) : « ثلجا » .

(٣) المردود : أداة الكحل .

وإن ظَمِئَتْ يوم الوغى أنفُسُ العدا سلَّت لها في الروع بيض الظبا خَلَجَا
أيا مَنْ غَدَتْ أعلامُه وعُلوْمُه تُنِيرُ لنا مِثْلَ الشَّهابِ إذا أَجَا
قطعت الورى بَحْثاً وطُفَّتْ بِمَكَّة فأصْبَحَتْ في الحالين أَفْضَلُ مَنْ حَجَا
بقيت مليكاً في الفضائل والعلا متى هاج خَطْبٌ والتفتْ له هَجَا
ولا زلت محروس الجناب من العدا يسْلُ لها غمْدُ الدجا فجره نَمْجَا^(١)

وكتب هو إليّ من القاهرة بعد خروجي منها إلى صفد في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة^(٢) : إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد :

يا راحلاً وجميل الصبر يتبعه هل من سبيل إلى لقياك يتَفَق
ما أنصفتك دموعي وهي دامية ولا وفي لك قلبي وهو يحترق^(٣)

يا مولانا تذكر قوله ﷺ : ما قضى الله لامرئ مؤمن من قضاء إلا وكان الخير له فيما قضى من ذلك ، إن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له^(٤) وإن أصابته سراء فشكر كان خيراً له ، وليس ذلك إلا للمؤمن . وفي الأثر : المؤمن ملقى^(٥) ، وفي حديث سويد الأزدي^(٦) وقومه حين قدومهم على سيد البشر أنه فسّر إيمانهم بخمس عشرة خصلة وعدّها منها الصبر^(٧) عند البلاء ، والرضا بمواقع القضاء . وبالجملة الحمد والشكر لله أولاً وآخراً ، والله معك حيث كنت ، والسلام :

-
- (١) في الأصل : « له » ، وأثبتنا ما في (خ) . والنج : سيف رقيق يوضع إلى جانب السلطان أو النائب .
(٢) في الأصل : « هكذا في سنة ٧٢٢ » ، وأثبتنا ما جاء في (خ) .
(٣) في الأصل : « وهي آية » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) في الأصل : « كان له خيراً » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٥) ملقى : أي : مَوْفَق لها .
(٦) في (خ) : « سويد بن الحارث الأزدي » .
(٧) في (خ) : « خصلة وفيها الصبر » .

أَوْحَشْتَ مِصْرًا فَادْلَهُمْ رَبْعَهَا شَوْقًا إِلَى ذَلِكَ الْحَيَا الزَاهِرِ
أَفْضَتْ مِنْ فُضَائِهَا فُضَائِلًا مِنْ بَحْرِ عِلْمٍ قَدْ حَوَيْتِ زَاخِرِ
نَثَرًا إِذَا نَظَرْتَهُ كَأَنَّهُ الْمُنْثَوْرُ لَاحِ وَسَطِ رَوْضٍ نَاضِرِ
وَنَظَمَ شَعْرَ رَاقٍ فِي تَأْلِيفِهِ فَأَخْجَلَ الْعُقُودَ فِي الْجَوَاهِرِ
وَحَسَنَ خَطَّ قَدْ جَعَلْتَ طِرْسَهُ مَدْبَجًا كَالرَّوْضِ بِالْأَزَاهِرِ
يَا فَاخِرَ دَهْرٍ أَنْتَ مِنْ كِتَابِهِ تُخْجِلُ كُلَّ نَاطِمٍ وَنَاشِرِ
وَعَزَّ مَلِكٌ كُنْتُ فِي دِيْوَانِهِ تَنْشِئُ مَا يَلْعَبُ بِالضَّمَائِرِ
إِذَا تَرَسَّلْتَ إِلَى أَعْدَائِهِ أَغْنَيْتَهُ عَنِ الْحَسَامِ الْبَاتِرِ
يَا فَاضِلًّا أَخَى عَلَيْهِ دَهْرُهُ لَا تَخْضَعْنَ لِنَكْبَةِ فِي الظَّاهِرِ
فَاصْبِرْ وَلَا تَقْلِقْ لِأَهْوَالِ الرَّدَى فَإِنْ ثَبَّتَ نَلْتَ أَجْرَ الصَّابِرِ
أَرْجُو لَكَ الْعُودَ لِمِصْرٍ سُرْعَةً مَظْفَرًا كَمَا يَظُنُّ خَطَّاطِرِي

فكُتِبَتْ أَنَا الْجَوَابُ إِلَيْهِ ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

يَا بَرَقَ هَلْ تَرْتِي لَصَبٍ سَاهِرٍ وَهَلْ لِمَا قَدْ نَابَهُ مِنْ رَاحِمٍ
وَهَلْ لَأَنْيَسَ لِي إِلَّا الَّذِي أَيْبَتْ لَأَنْيَسَ لِي إِلَّا الَّذِي
أَخْرَجَنِي كَالسَّهْمِ مِنْ كِنَانَةٍ وَابْتَزَنِي صَبْرِي وَمَا أَرَى الْوَرَى
فَأُضْلَعِي تُحْنِي عَلَى جَرِّ الْفَضَى وَمِنْ غَدَا بَاطِنُهُ مَشْتَعَلًا
وَمَقْلَتِي تَعَثَّرَتْ دُمُوعُهَا وَالنَّوْمُ لَأَعْرِفُ مِنْهُ سَنَةً
يَا دَهْرُ قَدْ رَمَيْتَنِي بِنَكْبَةٍ عَدِمْتُ فِيهَا قُوَّتِي وَنَاصِرِي

القاتل المحل يجود كفّـه
 كم حدّثني راحتاه عنّ عطا
 ياقاطع البيد إلى أبوابه
 لا تشك في القفر ظمًا فكفّـه
 ويأجاريه لغايات العلا
 كم قد جرى البرق على آثاره
 ويأمنّأوي بأسه إلى الوغى
 أما ترى ماحاز من فضائل
 والسيف واليراع في بنانه
 سيادة في بيته مشهورة
 آه على مافات من نواله
 ولطفه ذاك الذي إذا بدا
 أبعدني دهرى عن أبوابه
 وربّما يسمّح لي بعودة

وصاحب الإبداع في المفاخر
 وم روى إحسانه عن جابر
 ظفرت من جدواة بالجواهر
 أطبقها على الخضمّ الزاخر^(١)
 قف واسترح من هذه الخواطر
 فلم يفسز إلاّ يجدد عاثر
 جهلت ما تبغي فلا تخاطر
 فاقت على قطر الغمام الماطر
 ما اجتمع إلاّ على المآثر
 يعدها في كابر عن كابر
 وفضله وجبره لخاطر
 تعرّفه في كل روض زاهر
 يا ويح دهر بالفراق ضائري^(٢)
 فيعفر الأوّل عنسد الآخر

وكنّت كتبت إليه من الرّحبة سنة تسع وعشرين وسبع مئة :

لي حالة بعد الأمير ناصر الـ
 ضنيت بالبعد فما لي قوة

سدين لها كل الأنعام عاذر^(٣)
 وغاب عن عيني فما لي ناصر^(٤)

(١) في الأصل : « في القفر ظمًا » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) (خ) : « صائري » .

(٣) في الأصل : « له حالة » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) لعلّه يشير إلى قول القائلة :

من لي من بعدك ياعامر
 قد ذلّ منّ ليس له ناصر

قامت تبكيه على قبره
 تركتني في الدار ذا غربة

انظر : للذكر والمؤنث لابن الأنباري : ١٨٨/١ .

وكتبت أيضاً إليه :

يا غائباً عني بحكم النوى وذكره ما زال في خاطري
قد جاز في الحكم زماني ولا بدع إذا اشتقت إلى ناصري

١٥٤٢ - محمد بن جوهر بن محمد *

أبو عبد الله التلعفري المقرئ المجود الصوفي .

قرأ على أبي إسحاق بن وثيق^(١) لأبي عمرو ، وأخذ عنه التجويد ومخارج الحروف .
وسمع مجلب عن ابن رواحة ، وابن خليل ، والصلاح موسى بن راجح ، وغيرهم .

قال شيخنا الذهبي : قدم علينا دمشق ، وقرأت عليه مقدمته في التجويد وجزءاً
من الحديث . وكان شيخاً ظريفاً فيه دعاة وحسن محاضرة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة ست وتسعين .

ومولده بتلعفر سنة خمس عشرة وست مئة .

١٥٤٣ - محمد بن حازم بن حامد **

ابن حسن الشيخ الإمام الصالح شمس الدين أبو عبد الله بن القدوة المقدسي ، إمام
دار الحديث الأشرفية بالجليل .

كان شيخاً صالحاً بهي المنظر ، حسن الهيئة ، كثير الخير ، مشكور السيرة ، حدث

* الشذرات : ٤٣٦/٥ .

(١) في الأصل : « رشيق » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الشذرات ، وهو : إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن بن
وثيق (ت ٦٥٤ هـ) ، غاية النهاية : ٢٤/١ .

** الشذرات : ٤٣٦/٥ .

بـ (صحيح) البخاري وغيره ، وسمع عن ابن اللّتي ، والحسين بن صّرى ، والناصح الحنبلي ، وابن غسان ، والفخر الإربلي ، وغيرهم .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي الحجة سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة عشرين وست مئة أو بعدها بقليل .

ووجد سماعه في أول سنة خمس وعشرين وست مئة حضوراً .

١٥٤٤ - محمد بن الحرّاني *

ناصر الدين التاجر الشرايشي ^(١) .

كان للأمير سيف الدين تنكز به اعتناء ، وإذا توجه للقاهرة يقف حوله ويشترى له ما يريد ، وما يخرج من القاهرة حتى يقترض منه مبلغاً كبيراً من المئة ألف وما فوقها وما دونها ، وما كان القاضي شرف الدين النشو يعارضه لأجل تنكز .

توفي - رحمه الله تعالى - في سنة أربعين وسبع مئة ، وخلف ستة عشر ألف ومئتين وستين ديناراً ، ومئة وخمسة وثلاثين ألف درهم ، وحججاً على أناس بمئة وخمسين ألف درهم ، وخلعاً وقماشاً بسبعين ألف درهم ، وأملاًكاً بمئتي ألف درهم ، ولم يخلف وارثاً ، وكان عند موته يقول : مالي .. مالي .. مالي .. إلى أن مات .

١٥٤٥ - محمد بن الحسن بن إبراهيم **

فتح الدين الأنصاري المعروف بالقمّني .

* لم تقف على ترجمة له .

(١) في الأصل : « الشرايشي » ، ولعلّها محرفة ، والشراب : ضرب من النسيج الرقيق .

** الوافي : ٣٣٩/٢ ، والدرر : ٤١٨/٣ .

سمعت عليه بثغر الإسكندرية في صفر سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة جميع الحديث
المسلسل بروايته عن النجيب عبد اللطيف الحراني ، وأجاز لي جميع ما يجوز له
روايته ، وكتب بذلك بخطه ^(١) .

١٥٤٦ - محمد بن الحسن بن سباع*

الشيخ الإمام العروضي ، شمس الدين الصائغ الدمشقي .

كان من مشيخة الأدب ، والناس ينسبون إليه من كل حدب ، أقرأ الناس في
دكانه بالصاغة زمانا ، وأخذوا عنه لشعرهم ميزانا ، والعروض أول ما كان يعرف ،
وينفق من حاصله لمن يقصد ويصرف .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح الصائغ في الأحياء ضائعا ، وصوّح روض الأدب
منه ، وكان به ضائعا .

وتوفي - رحمه الله تعالى - ليلة الثلاثاء ثالث شهر رمضان المعظم سنة عشرين
وسبع مئة ^(٢) . والصحيح أنه مات في ثالث شعبان .

ومولده في صفر سنة خمس وأربعين وست مئة .

رأيت غير مرة وكان يتردد إلى القاضي قطب الدين بن شيخ السلامية ، وينفق
آدابه عليه ، وله نظم كثير ، ونثر كثير ، وشرح (ملحة الإعراب) ، و (اختصر
صحاح) الجوهري ، فجرّده من الشواهد ، وله قصيدة عارض بها (القصيدة الهيئية)
التي لشيطان العراق ، فما داناها وشرحها على هوامشها ، وملكتها بخطه وأخرجتها عن

(١) في الأصل : « خطّه » ، وأثبتنا ما في الوافي .

* الوافي : ٣٦١/٢ ، وفوات الوفيات : ٣٢٦/٣ ، والدرر : ٤١٩/٣ ، والشذرات : ٥٢/٦ ، وذبول العبر :

١١٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٨/٩ .

(٢) الذي في الوافي والفوات أنه توفي سنة (٧٢٢) تقريبا .

يدي ، (وشرح الدريدية ^(١)) في مجلدين من أربعة ^(٢) ، ملكتها بخطه ، وقد أخرجتها عن يدي لما وقعت على أشياء في الشواهد ضبطها بخطه على غير الصواب ، وله (المقامة الشهابية) ^(٣) وضعها للقاضي شهاب الدين بن الخويي ، ملكتها بخطه مشروحة .

ومن شعره :

إن جَزَتْ بالموكب يوماً فلا	تسأل عن السيّارة الكُنس
فثم آرامٌ على ضُميرٍ	الله مساتقعل بالأنفس
بأحمرٍ هذا وذا أصفر	وأخضر هذا وذا سندي
فقل لذي الهيئة ياذا الذي	ينقل ما ينقل عن هُرمسي ^(٤)
قولك هذا خطأ باطل	أما ترى الأقمار في الأطلس ^(٥)

قلت : أخذه من سيف الدين بن قزل المشدّ وتقّصه ، لأنه قال :

زعم الأوائـل أنا	تبدو الذوائب للكواكب
وتوهموا الفلك المعظ	م أطلساً ما فيه ثاقب
أتراهم لم ينظروا	ما في الزمان من العجائب
كم من هلالٍ قد غدا	في أطلس ولـه ذوائب ^(٦)

وأنشدني من لفظه القاضي شهاب الدين أحمد بن عزّ الدين الفارقي الموقع ^(٧) قال :

(١) هي مقصورة ابن دريد في اللغة .

(٢) في الوافي : « يقربان من أربعة » .

(٣) في الوافي : « المقالة » . وانظر كشف الظنون : ١٧٨٥/٢ .

(٤) حكيم فرعوني ، ويقال إنه النبي يونس .

(٥) في الوافي والفوات : « هذا خطل » .

(٦) في الوافي والفوات : « قد بدا » .

(٧) هو أحمد بن سعد الله بن مروان الفارقي (ت ٧٣٧) ، وفيات ابن رافع : ١٧/١ .

أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ شمس الدين الصائغ ملغزاً :

ما اسم إذا عكستهُ رأيتهُ بنفسه
كذلك إن ضاعفته لم يختلف بعكسه
قلت : هو في « سدس » وضعفه ثلث ، وهذا في اللغز بديع .

وقال الشيخ شمس الدين الصائغ وهو بمصر يتشوق إلى دمشق :

لي نحو ربعك دائماً يا جلق
وهول دمع من جوى بأضالعي
أشتاق منك منازل لم أنسها
طلل به خلقي تَكُونُ أولاً
وقف عليك لذا التأسف والبكا
أدمشق لا بعدت ديارك عن فتى
أنفقت في ناديك أيام الصبا
ورحلت عنك ولي إليك تلفت
فاعتضت عن أنسي بظلك وحشة
فلبست ثوب الشيب وهو مشهر
ولم أسكن عنك قلباً طامعاً
منها :

والريح تكتب في الجداول أسطراً
خط له نسخ النسيم مُحَقَّقٌ^(٤)

(١) في الأصل : « أكابده » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات ، والنجوم .

(٢) في الفوات : « عيني » .

(٣) في الفوات : « وخلعت ثوب » ، وفي الأصل : « الشرح » بالحاء المهملة ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .

(٤) في الفوات : « والريح تكتب والجداول أسطر . الربيع محقق » .

والطير يقرأ والنسيم مرّدّ والغصن يرقص والغدير يصفق
ومعاطف الأغصان غنتها الصبا طرباً فذا عار وهذا مؤرق
وكأن زهر اللوز أحداق إلى الزوار من خلل الغصون تحدّق^(١)
وكأن أشجار الغياض سرادق في ظلّها من كل لون تمّرق
والورد باللّوان يجلو منظراً ونسيمه عطر كسك يعبق^(٢)
فبلابل منها تهيج بلابلي ولذاك أثواب الشقيق تشقّق^(٣)
وهزاره يصبو إلى شحروره ويجاوب القمريّ فيه مطوّق^(٤)
فكأنّا في كلّ عود صاّرخ عود حلا مزموّمه والمطلّق^(٥)
والورق في الأوراق يشبه شجوها شجوي وأين من الطليق الموثق^(٦)

قلت : وهي طويلة جداً ، وقد ذكرتها مستوفاة في الجزء الأول من (التذكرة)
التي لي^(٧) .

١٥٤٧ - محمد بن الحسن بن محمد*

الخطيب كمال الدين أبو عبد الله ابن الشيخ^(٨) الإمام العلامة نجم الدين أبي محمد ابن
الشيخ كمال الدين القرشي الأموي القرطبي الأصل الصفدي الخطيب بن الخطيب بن
الخطيب ، الدمشقي المولد^(٩) .

- (١) في الأصل : « حلل » .
- (٢) في الفوات : « بالأكوان » ، وفي الأصل : « عطرأ » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .
- (٣) في الفوات : « بلابلاً وكذاك » .
- (٤) في الأصل : « ويحارب » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .
- (٥) في الفوات : « صادح » .
- (٦) في الفوات : « الخليّ الموثق » .
- (٧) وأثبتها بتمامها أيضاً صاحب الفوات .
- * الوافي : ٣٦٦/٢ ، والدرر : ٤٢٤/٣ .
- (٨) في الوافي : « ابن الخطيب الشيخ » .
- (٩) وزاد الوافي في نسبه : « العثماني » .

كان خطيباً مصقفاً ، وأديباً ترك ريع البلاغة بعده بلقفاً ، كم أسال الدموع وفضها على الحدود من الخشوع ، وكم علا ذروة المنبر واستقبل الناس فقالوا : هذا بدر قد بدا في سماء من العنبر . ليس للحائم مثل أسجاءه إذا غرّدت ، ولا للفصحاء مثل عبارته التي جمعت أنواع البيان فتفرّدت .

وكان ممن ينظم وينثر ، ويجري قلمه ^(١) في ميدان البلاغة ولا يعثر ، يأتي فكره بقصائد كأنها قلائد ، ونثره برسائل كلها فرائد :

لا تطلبن كلامه متشبهاً فالدرّ ممتنع على طلابه
كلم كنظم العقيد يحسن تحته معناه حسن الماء تحت حبابه

خطب في حياة والده ، وهو خالي الوجنة من النبات ، وحير العقول بمآله من الإقدام والثبات ، وكان وهو أمرد [يفتن] ^(٢) القلوب بنظره ، ويقسم الأفق أنه أحسن من قمره .

ومات والده وهو عارٍ ^(٣) من حلي الآداب سارٍ في مئعة ^(٤) الصبا والشباب ، فلما مات والده - رحمه الله تعالى اجتهد ودأب ، وتمسك بعرا الفضل والأدب ، فنظم ونثر وكتب .

ولم يزل على حاله إلى أن خاطبه الخطب فجاءه ، ولم يدفع الطبيب دأه .

وتوفي رحمه الله تعالى - يوم الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين وسبع مئة .

ومولده بدمشق ، تقريباً سنة تسع وسبع مئة .

(١) في (خ) : « ويجري جواد قلمه » .

(٢) زيادة من (خ) .

(٣) في الأصل : « خال » ، وأثبتنا ما في (خ) ، وهي أنسب للجناس .

(٤) في الأصل و (خ) : « مئعة » ، وما أثبتنا أشبه .

صلى الظهر بالناس يوم الاثنين ، وجاء إليه المؤقت فقال له : إن بعض المؤذنين ما يلزم التأذين ، فأحضره وأنكر عليه ، وحصل له منه غيظ ، دخل بعد ذلك إلى بيته ونام ^(١) فجأة على فراشه . وكذلك توفي والده رحمه الله تعالى - فجأة بصفد أيضاً ، وقد تقدم ذكره في حرف الحاء مكانه .

وكان الخطيب كال الدين يكتب خطأ حسناً وهو من بيت بلاغة وكتابة ، ويثني وبينه مكاتبات ومراجعات ، ذكرت أكثرها في كتابي (ألحان السواجع بين البادي والمراجع) ، وكنت أود ما يوده ، وأختار ما يختاره من مسكنه ^(٢) دمشق - رحمه الله تعالى - وما اتفق له ذلك .

وكان قد كتب هو إلى من صفد في أواخر سنة أربع وخمسين وسبع مئة :

سلام كَنَشْرِ الْمِسْكِ يَسْرِي وَيَعْبِقُ	على مَعَهْدِ كَالْبَدْرِ يَغْلُو فَيُشْرِقُ
وَمَشْهُدُ أَنْسٍ حَلَّاهُ مِنْ أَحَبَّتِي	مُوالٍ لَهُمْ فِي شَاهِدِ الْمَجْدِ مُشْرِقُ
وَسَادَاتُ عَزٍّ قَيَّدُوا الْقَلْبَ فِي الْهَوَى	على حَبِّهِمُ وَالْدَّمْعِ فِي الْخَدِّ أَطْلَقُوا
يَذْكُرْنِهِمْ كُلُّ شَيْءٍ يَرُوقُنِي	فَلِي بِهِمْ مَعُ كُلِّ حُسْنٍ تَعْلُقُ
وَيَذِكِي فُؤَادِي هَجْرَهُمْ وَبِعَادَهُمْ	وَلِي نَحْوُهُمْ فِي كُلِّ حِينٍ تَشَوُّقُ
يَرُدُّهُ سَارٍ يَنْمُ بِهِ الشَّدَا	وَيُخْبِرُ عَنْ جَارٍ مِنَ الدَّمْعِ يَسْبِقُ
وَيَتَلَوُ عَلَى سَمْعِ التَّعَطُّفِ مِنْهُمْ	حَدِيثِي عَسَى يَوْمًا يَرِقُ وَيَشْفِقُ ^(٣)
وَيَرْفَعُ حَالًا نَكَّرْتُ وَصَفْتُ لَمَتِي	بِعُطْفِ ابْتِدَاءِ لِي عَلَى الْوَدِّ يُنْسِقُ
وَيَنْسَخُ أَشْوَاقِي بِرِيحَانِ قُرْبِهِ	وَيَرْقُمُهُ [حَقًّا] دَنَوِي الْمَحَقَّقِ ^(٤)
أَحِبَابِنَا إِنْ لَمْ أَفْزِ بِلِقَائِكُمْ	فَمُنُوا بِطَيْفٍ فِي الْكُرَى وَتَصَدَّقُوا

(١) كذا ، ولعله نام فأت .

(٢) (خ) : « سكنه » .

(٣) في الأصل : « ويعطف » ، سهو ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) الزيادة من (خ) .

فقد طال هذا البعد والزمن انقضى
 وإن كان مع بُعدي صحيحاً ودادكم
 سقى دوحةً كنّا نلوذ بظلّها
 وحيّاً زماناً كان فيه بوصلكم
 فإكان أنها عشنا وألذّه
 ولا فرقت أيدي الحوادي شملنا
 فوهاً على أوقاتٍ قُربٍ قطعتُها
 ووصلكم داني الجنى في ربا المني
 مضتُ بسلامٍ ثم أغقتِ الأسي
 فإ ذات طوقٍ راعها فقد إلفها
 وأنطقها بالنوح في الدوح والبكا
 بأشجى فؤاداً أو أشدّ تشوّقاً
 وأبرح مني أو بأذكى تلهّباً
 لعمرى لقد كنت البعيد مزاره
 وإن تنكر الأيام مالي عندها
 فديتك كن لي في ودادي معاضداً
 ورأيك مسعود فكن لي مُساعداً
 وإن أنت لم تسمع لقول شكايقي
 فشكري أياديك الجميلة واجبّ

بأحلام قُربٍ لا تيمّ فتصدّق
 أكيد ولكنّ التّداني أوفّق
 من القُرب سحاح الندى متدفّق
 لسان حُبوري بالمسرات ينطق
 وما راعنا بعد ولا شاب مفق
 ولا بات قلبي من لقّا البين يخفق
 بكم وشبابي مائس الغصن مُورق
 وصافي التصافي بيننا يترقّق^(١)
 فؤاداً سوى إعراضكم ليس يفرّق
 وأشجى حشاها بينه والتفرّق
 غريم غرام شفّها والتحرّق
 وأحرى لعباتٍ بها العين تشرق^(٢)
 على قرب إلفٍ أو على الطيف يطرق
 فحبُّك في سوداء قلبي ملصق^(٣)
 فأنت على دعوى ودادي مُصدّق
 فأنت بإسعادي أحق وأخلق^(٤)
 فإنك ذو الرأي السعيد الموفّق
 فعيش سالماً مما يسوء ويُرهِق
 أقوم به مادمتُ أحيّاً وأرزق^(٥)

(١) (خ) : « ربا الرضا » .

(٢) (خ) : « وأجرى » .

(٣) (خ) : « لأن كنت » .

(٤) (خ) : « في زماني » .

(٥) (خ) : « أياديك القديمة » .

وأسجع من مدحي بكل غريبة لأنني بعقد المنّ منك مُطوّق
فدُمّ في بقاءٍ ثَبُتَ العزّ والغنى فأنت لنا الكثر الذي مِنْهُ تُنفِق

يُقَبِّلُ الأرض التي يسأل الله تعالى أن يحمي حماها من الغير ، ويجعلها كعبة تطوّف بها
الآمال والفكر ، وأن يمنح ربّها من مزيد النعم « ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر » ^(١) ، ويُنْهِي أشواقه التي أصبحت من حرها على خطر ، ويذكره الذي كم له فيه
مِنْ وَطَر ، فلا يخلو منه أين كان ولا أنى نظر ، وصحيح ودّه الذي هو بَنَقْل الثقات مُعْتَبَر ،
وحديث حَبّه المُسْتَطَر ، وقديم ولائه الذي هو للسان الملائسَر .

وتلك نِسْبة رَقٍّ قد عُرِفَتْ بها حفظُ الولا منكم حقٌّ لها يَجِب
يامالكي أين إسعافي بما طَمِعْتُ نفسي به من بعيد الدار يقترب ^(٢)
فقد سُمْتُ حياتي مع بعبادكم وقد خشيت الردى تأتي به النُوبُ
وإن قضيتُ ولم يُقْضَ اللقاء لنا فكم مضى بحزازات الحشا وصبُ
فلا تعينوا على قلبي بقسوكم فقد كفاه الجفا والشوق والنَّصَبُ
وإن تباخل أحبابي بقرهم فالرُّسل والطيف يكفي الصبّ والكتبُ
وإن تجنّوا برفع السود من خبر فالعبدُ للحب في الحالين ينتصب
فكتبت أنا الجواب إليه من رأس القلم ارتجالاً :

تحيّة ذي ودّ براه التشوّق وأضناه بلُ أفناه وجُد مُؤرّق ^(٣)
تَرَوّق كم راقّت معاني حديقة إليها عيونُ الناظرين تحدّق
وتأني بلطفٍ من تخصّ ربوعه كدمعة صبّ ودقّها يترقق
إلى مجدك السامي البنا الغامر الثنا تروح وتغدو دائماً تتأنّق ^(٤)

(١) من حديث قديسي أوله : (قال رسول الله ﷺ ، قال الله : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين

رأت ...) ، وهو في صحيح البخاري ، الحديث رقم ٣٢٤٤ ، ٤٢٤/٣ .

(٢) في الأصل : « أسعى بما » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) في الأصل : « تحية ذا » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) (خ) : « على مجدك » .

بعثت كمال الدين نحوي مشرفاً
تزهت منه في رياض بلاغة
كأن قوافيه كؤوسٌ يُديرها
قوى في قوافيه التي قد تمكنت
به ألفات كالغصون تقوَّت
ولا عين إلا مثل عين مريضة
ولا ميم إلا مبسم من رضابه
وأين البها أعني زهياً فلو رأى
وذلك شعر ليس للناس مثله
وذاك قريضٌ قد سما للسا وذا
وذاك إمام في البلاغة شامل
فأذكرتني عهد الصبا بقدومه
إذا ذكرت نفسي زماناً قطعتُه
تصوبُ على خدي سحائب أذمَعِ
ولو كان لي صبرٌ لقيت به الأسى
فيا زمني بالغت في عكس مقصدي
فلا وطني يدنو ولا وطري أرى
أمولاي مدَّتْ يَتْننا حُبُّ النوى
فإن كان مولانا به صفدٌ صَفَتْ

عَقودٌ لآليه لجيدي تُطَوِّقُ^(١)
بها أدبٌ أنهاره تَتَدَقَّقُ
على السمع مني البابلُ الْمُعَتَّقُ
يخور لها عند البيان الخَوَزَنُ
من الهمز يعلوها الحمام المطوق
يهم بها في الناس من يتعشَّقُ
رضاب يحاكيه المدام المُرَوِّقُ^(٢)
أزاهر هذا كان في الحال يُطَرِّقُ
ولكنّ ذا أندى وأحلى وأرشق
على أذن الجوزاء قرطٌ مُعَلَّقُ^(٣)
وهذا موشى بالبديع موشق^(٤)
وذلك عهد في الصبابة معرق^(٥)
وعُصْنُ الصبا ريان باللّهو مَورِقُ
فلولا زفيري كنت بالدمع أغرقُ
ولكنّ ثوب الصبر عني مَمَزَّقُ
فالي بالحرمان أرزى وأرزقُ
ومن دون ما أبغيه هامٌ تَفَلَّقُ
وما رُفِعَتِ والعمر من ذاك أضيّقُ
فإنك قد جلّت بقربك جَلَّقُ

(١) في الأصل : « لعقدي » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) في (خ) : « مبسم من ورائه » .

(٣) في (خ) : « وذاك قريض للسا سما وذا » ، وفيه خلل .

(٤) في (خ) : « وذلك سام في الفصاحة سامك » . والسامك : الرافع . وفي الأصل : « مشوق » ، وأثبتنا

ما في (خ) . والتوشيق : التقطيع .

(٥) في (خ) : « في اللذاذة » .

وهبكَ خطيباً قد علا فوق منبرٍ
أدم شقّ لجّ البين في عرصاتها
وجدد لباس العزّ في غير ريعها
وضمّ بنا شمل التآلف واللّقا
فكلّ مكان يُنبِت العزّ طيّب
فلو وضحت لي من مرادك لحمة
فما أنا في حفظ الوفا متّصّعا
وأنت فتدري ما اقتضته جبلي
ولكنّ دهرأ قد بلّينا بأهله
أناس تنازلنا إلى أن ترفعوا
فكانوا أصولاً في صحائف عزهم
فثق بقضاء الله وارض بحكمه

أما في دمشق منبر بك أليق
فكم من أناس أفلحوا مذ تدمشقوا^(١)
فطول مقام المرء في الحي مخلّق^(٢)
«بأسحم داج عؤّض لا تتفرّق»^(٣)
وفي كل أفق للسعادة مشرق
لكنّ لو فُقد الريح والبرق أسبق
ولا أنا للزور القبيح منق
فا أدعي إلا وأنت تصدّق^(٤)
أباعوا به ثوب النفاق ونفقوا
علينا ألا ياليتهم لو ترفّقوا
ونحن على بعض الهوامش ملحق
فلي أمل لا بدّ فيك يُحقّق

يقبل الأرض ويُنهي ورود المثال الكريم الذي فضح كآله القمر، وسلب بسحره
الألباب وقمر، وأحيا رسم البلاغة، فساد بما شاد وعمر، وهمى غمام فضله وسقى
رياض الفصاحة وهَمَر^(٥)، وقسم نظمته ونثره فهذا للنّدامى غناء، وهذا للمُحدثين
سمر، وخالف العادة لأنّه جاء بستاناً في ورقه، إلّا أن جميعه زهر وثمر، وأمر ونهى في
سلطان فضله، فأذعن الفصحاء له وقالوا له: السمع والطاعة فيما^(٦) نهى وأمر، وأطرب

(١) (خ) : « عن عرصاتها » ، وهي أقرب .

(٢) فيه معنى قول أبي تمام :

وطول مقام للرء في الأرض خلق لدياجيته فاعترب تتجدد

(٣) عجز بيت للأعشى ، صدره : رضيّ لبان ثدي أم تحالفا

والأبيات قالها في مدح آل الهلق .

(٤) (خ) : « ما اقتضته » .

(٥) في الأصل : « وسطى ... وهمز » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٦) (خ) : « لما » .

المسامع فعلم أن مَنْ أنشأه لو شاء بالطرس طِبْلٌ ^(١) وزمر ، فوقف المملوك على أبياته
وأمن بآياته وعلم أنه يُقَصِّر عن مباراة مباديه وهو في غاياته ، وتصور عُتْبَه فتصور ،
وتفكر في أمره الأمر فتكفر ، وتربص لما يدبره في معناه فما تبصر ، وترفق للحيلة فما
رأى لها دليلاً تقرّر ، وتحري فيما يعتمده فما وجد فيه بحثاً تحرّر :

سوى حضورك في أمن وفي دعة ليقضي الله ما نرجو ونرتقب
أو فالتصبر أولى ما أدرعت به فالسؤل يقضى به والقصد والأرب
فلي أمانى خير فيك أرقبها أرى بعيد مداها وهو مقرب
فلا يضق لك صدر من أذى زمن أيامه تمنح الحسى وتستلب ^(٢)
وربما كان مكروه الأمور إلى معروفا سبباً ما مثله سبب

وكنت قد كتبت له توقيعاً من الفخري لما كان بدمشق ، على أن يكون موقعاً
[بصفد] ^(٣) في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، ونسخته :

« رَسَم بالأمر العالي ، لازال يزيد بُدور أوليائه كالا ، ويُفيد سفور نَعْمائه جمالاً ،
ويُعيد وفور آلائه ^(٤) على من بهر بفوائده التي غدا سحر بيانها حلالا ، أن يرتب المجلس
السامي القضائي الكالي في كذا ، لأنه الأصيل الذي ثبت في البيت ^(٥) الأموي رُكْنه ،
وتفرع في الدوحة العثمانية عُصْنه ، وكَمَل قبل بلوغ الحلم حِلْمه ، فلم يكن في هضبات
الأبرقين ^(٦) وزنه ، وألف حين أشبل غاب المجد حتى كأنه كنه ، والبلوغ الذي تساوى في
البديع نظْمه ونثره ، وخلب العقول من كلامه سحره ، وفاق ^(٧) زهر الليالي لآليه

(١) في (خ) : « بالطرس والقلم طبل » .

(٢) في الأصل : « صدرأ » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) زيادة من (خ) ، ومثله في الوافي .

(٤) في الأصل والوافي : « الآية » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٥) في الوافي : « النسب » .

(٦) الأبرقان : غير ما موضع في الجزيرة العربية ، انظر : (معجم البلدان) .

(٧) في الأصل : « وفارق » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

ودرارها [دَرَه]^(١) ، والفاضل الذي ألقى إليه العلم فَضَلَ الرّسن ومَجَّ السهادَ ثُمَّ جَفَنِه
وغيرَه قد ذَرَّ الكسل فيها فترة الوسن ، وبهر^(٢) في مذهبه فللشافعية به كما للحنفية
محمد بن الحسن ، والخطيب الذي يعلو صهوة المنبر فيعرفه وإن لم يضع العمامه^(٣) ،
ويطمئن له مطاء حتى كأن بينه وبين عَلميه علامه ، ويبرز في سواد شعاره بوجه
يُخجل البدر إذا بدا في الغمامه ، وَيَوَدُّ السَّع إذا أطاب^(٤) لو أطال ، فإنه ماسامة منه^(٥)
سامه ، ويغسل درن الذنوب إذا أيّه^(٦) بالناس وذكر أهوال القيامة ، ويتحقق الناس
أن كلامه رَوْضٌ ومنبره غصن ، وهو في أعلاه حَمَامه .

فليأشر ذلك مباشرة هي في كفالة مخائله ، وملامح شمائله ، ومطامح الآمال في
نتيجة المقدمات من أوائله ، وَلْيُذَبِّج المهارق بأقلامه التي تنفث السحر في العقد^(٧) ،
وتشب برق الإسراع حتى يقال : هذا الجمر قد وَقَدَ^(٨) ، وتنبّه على قدر هذا الفن فإنه
من عهد والده خمل وخمد ، وتنبّه فإن مارق لما رقد ، ليسرّ ذلك الليث الذي شبّ له
منه شبّله ، وذلك الغيث الذي فضّ له منه^(٩) فضله ، والوصايا كثيرة وهو غنيّ عن
شرحها . مَلِيّ بحراسة سرحها ، فلا يهدى إلى هجره منها تمره^(١٠) ، ولا يُلْقَن إلى بحر
منها دُرّه ، ولكن تقوى الله تعالى أَمّ الوصايا وأهم نفعاً مما في حنايا الزوايا من
الخبايا ، وهو بها يأمر الناس على المنابر ، والآن تنطق بها ألسنة أقلامه من أفواه

(١) زيادة من (خ) والوافي .

(٢) في الوافي : « وبرع » .

(٣) يشير إلى بيت سحيم الذي تمثّل به الحجاج ، وقد سلف غير مرّة .

(٤) (خ) : « أطال » ، والوافي : « طاب » .

(٥) ليست في الوافي .

(٦) أي قال : يا أيّها .

(٧) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ [الفلق : ٤/١١٣] .

(٨) (خ) والوافي : « وقد وقد » .

(٩) ليست في الوافي .

(١٠) في الأصل : « ثمره » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي ، وفي للثل : (كستبضع التمر إلى

هجر) ، انظر : مجمع الأمثال ١٥٢/٢ .

المحابر ، فليكن بها أول مأمور ، وأول^(١) متّصف أسفر له صُبْحُهَا من سواد الديجور . والله يزيده فضلا ، ويزيده^(٢) من القول المحكم فضلا .
والخطُّ الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه حُجّة ثبوته ، والعمل بمقتضاه إن شاء الله تعالى .

١٥٤٨ - محمد بن الحسن *

الأمير ناصر الدين ابن الأمير عماد الدين بن النشائي .
كان أمير عشرة مقدماً على خمسين بدمشق ، وأحد^(٣) الحجة بين يدي النواب وأخذ حكومة البندق بعد الأمير سيف الدين بلغاق المقدم ذكره في حرف الباء .
وتوفي - رحمه الله تعالى - في شهر رمضان سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وصلي عليه بالجامع الأموي ودفن بسفح قاسيون .

١٥٤٩ - محمد بن الحسن بن يوسف الأرموي **

الفقيه المحدث الصالح ، صدر الدين الشافعي نزيرل دمشق .
قدم دمشق ولزم ابن الصلاح ، وحدث عنه ، وعن كريمة ، والتاج بن حموية ، وابن قميرة ، وعدة . وتفقه وحصل وتعبّد .
قال شيخنا الذهبي : كتبت أنا عنه وسائر الرفاق .
وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة سبع مئة .
ومولده سنة عشر وست مئة .

(١) الوافي : « وأولى » .

(٢) الوافي : « ويفيده » ، وهي أشبه .

* الدرر : ٤٢٥/٣ ، ووقع في الأصل : « الحسين » وليس موقعها ههنا ، وأثبتنا ما في الدرر .

(٣) في الأصل : « وأخذ » ، وأثبتنا ما في الدرر ، وهي أصح .

** الإعلام للذهبي : ٢٩٣ .

١٥٥٠ - محمد بن الحسن *

الأمير صلاح الدين أبو الحسن ابن الملك الأجد مجد الدين ابن السلطان الملك الناصر داود ابن السلطان الملك المعظم عيسى ابن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب .

سمع حضوراً من والده ، وروى عنه ، وسمع من ابن البخاري والفاوئي وجماعة . وكانت له ديون كثيرة .

ولم يزل في تعب إلى أن توفي - رحمه الله تعالى في تاسع عشر شهر رمضان سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده في رابع عشري القعدة سنة أربع وستين وست مئة .

١٥٥١ - محمد بن الحسين بن محمد **

ابن يحيى الأرمني ، جمال الدين .

كان فقيهاً ذكياً ، كريم النفس أيتاً ، لطيف الذات ، ظريف الصفات ، نهايةً في السباح ، لا يلحقه البرق في ذلك ولا عاصف الرياح ، حتى أفضى به ذلك إلى الفقر ، وأدّى بحاله إلى العقر .

وكان أديباً ناظماً ناثراً ، إذا جرى في فنّ الإنشاء لم يكن عاثراً .

ولم يزل على حاله إلى أن حضرت منيته ، وانقطعت من الحياة أمنيته .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بأرمنت سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

كان قد أخذ الفقه عن الشيخ بهاء الدين القفطي ، والشيخ جلال الدين أحمد^(١)

* الدرر : ٤١٩/٣ .

** الوافي : ٢٠/٣ ، والطالع السعيد : ٥١٠ ، والدرر : ٤٢٩/٣ .

(١) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الدشناوي (ت ٦٧٧ هـ) . الطالع السعيد : ٨٠ .

الدشناوي ، والأصول عن الشيخ شهاب الدين القرّافي والشيخ شمس الدين محمد بن يوسف الجزري^(١) الخطيب ، وأصول الدين والمنطق عن بعض العجم ، وذكر للشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، فقال : الفقيه ابن يحيى ذكيّ جداً ، فاضل جداً . وتولى الحكم بأدقّو^(٢) ، ناب في الحكم بقوص وبنى بأرمنت مدرسة ودرّس بها .

ومن شعره :

عَرِيب النقي قلبي بنار الجوى يكوى وجيدي عنكم دائم الدهر لا يَلَوِي
ولي مُقلّة تبكي اشتياقاً إليكم ولي مُهَجّة ليست على هَجْرِكُم تقوى
نشرتُم بساط البُعد بيني وبينكم ألا يا بساطَ البُعد قل لي متى تُطَوِي
بعمادكم والله مرّ مذاقُه وقربكم أحلى من المنّ والسَّلوى^(٣)

١٥٥٢ - محمد بن الحسين بن تغلب*

موفق الدين الأَدْفَوِي خطيب أَدْفو .

كان فيه كرمٌ وجودٌ وسماح ، شاع خَبَرُه في الوجود ، وله في الطب يدٌ باسطه ، وقوة في العلاج ناشطة^(٤) ، وينظم وينثر ، ويخطو لمّا يخطب فلا يَعتُر . ومعرفته بالوثائق جيّدة وكتابته^(٥) .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح فلم يجد لعلّته علاجا ، وأمسى وقد اتخذ إلى المعاد معاجا .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في أوائل سنة سبع وتسعين وستّ مئة .

(١) في الأصل : « الجرري » ، وأثبتنا ما في الوافي والطالع .

(٢) في الوافي : « بأدفو وقولا » .

(٣) الأبيات وغيرها في الطالع السعيد : ٥١٣ - ٥١٤ .

* الوافي : ٢١/٣ ، والطالع السعيد : ٥١٥ ، وفيه : « ابن ثعلب » .

(٤) في الأصل : « باسطة » ، وما أثبتناه أقرب .

(٥) كنا ، وعبرة الوافي : « ويكتب خطأ حسناً » . وكذلك في الطالع السعيد .

قال الفاضل كمال الدين الأذفوي : رأيته مرات ، وكان يأتي الجماعة أصحابنا أقاربه فيسمعهم يشتمونه ، فيرجع ويأتي من طريق أخرى حتى لا يتوهوا أنه سمعهم .
ووقفتُ له على كتاب لطيف تكلم فيه على تصوّف وفلسفة^(١) .

وكان وصيّاً على ابن عمّه وعليه ثمر للديوان وقف ، عليه منه^(٢) خمسة وعشرون أردباً ، فشدد الطلب عليه ، فتقدم الخطيب إلى الأمير وأنشده :

وَقَفْتُ عَلَى الْمَقَرَّرِ خَمْسَةَ مَضْرُوبَةٍ فِي خَمْسَةِ لَا تُنْكِرُ^(٣)
مِنْ ثَمَرِ سَاقِيَةِ الْيَتِيمِ حَقِيقَةً لَيْتَ السَّوَاقِي بَعْدَهَا لَا تُثْمِرُ
حَمَتِ النَّصَارَى بَيْنَهُمْ رَهْبَانُهُمْ وَأَنَا الْخَطِيبُ وَذَمِّي لَا تُخْفِرُ^(٤)

واجتمع يوماً بالجامع جماعة وعملوا طعاماً وطلبوا « جعفر »^(٥) المؤذن ولم يطلبوا الخطيب ، فبلغه ذلك ، فكتب إليهم أبياتاً منها :

وَكَيْفَ رَضِيتُمْ بِمَا قَدْ جَرَى صَحَبْتُمُ الْمُؤَذِّنَ دُونَ الْخَطِيبِ^(٦)
أَمْنْتُمْ مِنَ الْأَكْلِ أَنْ تَمْرُضُوا وَيَحْتَاجُ مَرْضَاكُمْ لِلطَّبِيبِ

قال : وكان يَمْشِي^(٧) للضعفاء والرؤوساء ويطبّهم - رحمه الله تعالى - .

(١) الطالع السعيد : ٥١٦ .

(٢) عبارة الوافي : « وقف عليه منه للديوان » .

(٣) في الوافي والطالع : « لا تحقر » .

(٤) في الوافي : « تحقر » .

(٥) في الوافي « جعفرأ » .

(٦) كنا في الوافي والطالع : صحبتو .

(٧) في الأصل : « عيسى » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والطالع .

١٥٥٣ - محمد بن الحسين *

الشيخ شمس الدين الغوري ، بضمّ الغين المعجمة وسكون الواو بعد راء ، الحنفي المدرّس .

كان فاضلاً ، وكان في لسانه عُجْمة ، وكتب بخطّه كُتُباً في العربية ، ووقع المسكين في لسان الفخر عثمان النصيبي ، فجعل يمسُخر به في حكاياته ، ويذكر وقائعه ويزيد في بعضها من مضحكاته . ولقد حُكي عنه مرة حكاية تنمّر فيها تنكز نائب الشام ورسم بقتل الشيخ شمس الدين بالمقارع ، وما خلاص من ذلك إلا بالجهد . وأهل دمشق يحكون عنه حكايات مشهورة بينهم . وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

١٥٥٤ - محمد بن الحسين بن القاسم **

ابن علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين ، الصدر الأصيل بدر الدين ابن العدل عماد الدين ابن الحافظ بهاء الدين ابن الحافظ الكبير أبي القاسم بن عساكر . كان رجلاً حسناً .

قال شيخنا البرزالي : روى لنا عن ابن أبي اليسر ، وسمع على جماعة ، وشهد على الحكام بدمشق ، وولي الولايات من جهة الكتابة ، وحجّ وأقام بالين مدة ، وكان له ثلاثة أولاد نجباء قدّمهم بين يديه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

* الوافي : ٢٢/٣ ، والدرر : ٤٣٠/٣ .

** الدرر : ٤٢٩/٣ .

١٥٥٥ - محمد بن الحسين بن عبد الله*

ابن الحسين ، زين الدين أبو عبد الله القرشي ابن الفويي^(١) .
 رَوَى (الخَلَعِيَّات) كاملة عن ابن العباد ، وكان من الفقهاء بمصر .
 وكان عدلاً خيراً ، عَمَّ وتفرّد في وقته ، وأخذ الناس عنه .
 وتوفي - رحمه الله تعالى - سادس عشري المحرم سنة ثلاث وسبع مئة .
 ومولده سنة أربع عشرة وست مئة .
 وأجاز شيخنا البرزالي .

١٥٥٦ - محمد بن الحسين بن عتيق**

ابن رشيقي ، الشيخ الإمام علم الدين المصري المالكي .
 سمع (الأربعين المخرّجة) لابن الجُمَيْزِي عليه ، وسمع (صحيح) مسلم من ابن
 البرهان .
 وكان فقيهاً عارفاً بالمذهب مفتياً ، ولي نيابة القضاء بالإسكندرية نحو اثنتي عشرة
 سنة ، وليها قبل شرف القضاء ابن الربيعي نحو سنة وأكثر ، ثم وليها بعده بقية المدة ، ثم
 عَزَلَ واستمرَّ إلى أن مات .
 وكان متعیناً للقضاء ، وعيَّنه بدر الدين بن جماعة لقضاء دمشق ، وكان يقول :
 ما عندي مثله .

* الدرر : ٤٢٧/٣ .

(١) في الدرر : « لفوي » .

** الدرر : ٤٢٧/٣ ، وذيل العبر : ١١٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥٠/٩ ، وفيه : « محمد بن محمد بن الحسين » .

وتوفي - رحمه الله تعالى - حادي عشر المحرم سنة عشرين وسبع مئة ، ودُفن بالقرافة .

وكان يكتب في الإجازات :

أجزت لهم أبقاهم الله كل ما
وما سمعت أذنأي من كل عالم
على شرط أصحاب الحديث وضبطهم
وبالله توفيقى عليه توكلي

رويت عن الأشياخ في سلف الدهر
وما جاد من نظمي وماراق من نثري
برياً من التصحيف عارٍ من النكر
له الحمد في الحالين والعسر واليسر

١٥٥٧ - محمد بن الحسين*

السيد الشريف شمس الدين ابن السيد شهاب الدين الحسيني الموقع ، تقدم نسبته في ترجمة والده رحمه الله تعالى .

كان يكتب خطاً حسناً ، ويجعل الطروس بسطوره تختال بين سناء وسفى ، كأن المهارق تحت خطه خمائل ، وألفاته فيها غصون تتأيل ، وكان والده ينشئ وهو يكتب ، فما ترى أحداً يتعنت ولا يعتب .

ولم يزل على حاله إلى أن لحق أباه قريباً ، وما خلاص من شرك المنية من كان الأجل لأجله رقيباً .

وجاء الخبر إلى دمشق بوفاته في حادي عشر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

ومولده ... (١)

وكان قد دخل إلى توقيع الدست الشريف بالديار المصرية لما توجه والده لكتابة

* الدرر : ٤٣٠/٣ .

(١) كذا بياض في الأصل (خ) .

السرّ مجلب ، واستمرّ على [ذلك] ^(١) ، وحضر صحبة ركاب السلطان الملك الصالح في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وحضر ^(٢) صحبة ركاب السلطان المنصور صلاح الدين محمد بن حاجي إلى دمشق ، وعاد إلى مصر .

وكان قد اختصّ بالكتابة عند الأمير سيف الدين الداودار ، وما سمعت له بنظم ولا نثر ، وإنما كان عنده من إنشاء والده شيء كثير إلى الغاية .

١٥٥٨ - محمد بن حسينا الأمير *

كان قد حكم في مملكة التتار بأذربيجان ، أعطاه يوماً النوين جوبان قدحاً ليشربه ، وذلك في سنة أربع وعشرين وسبع مئة فقال : إن لم تشربه تؤدي ^(٣) ثلاثين توماناً من المال ، فقال : أنا أؤدي ذلك ولا أشربه ، فأشار جوبان إلى جماعة بأن يلزموه على المبلغ ، فخرج محمد حسينا من عنده ، ومضى إلى الأمير نكباي وهو ذو مال عظيم ، فقال له : أعطني ثلاثين توماناً ، فقال له : بريح عشرة توامين ، فقال : نعم ^(٤) ، وكتب عليه حجة بأربعين توماناً وسلمها إليه ، فقال الأمير نكباي للجماعة الذين هم مع حسينا : اذهبوا إلى النوين جوبان وقولوا له : إنّ المال عندي ، فهل أحمله إلى خزانته أو أسلمه إلى العسكر ، وأي شيء تريد من النقود . فحضروا إلى جوبان وعرفوه ذلك ، فطلب محمد حسينا ، وقال له : تُعطي أربعين توماناً من الذهب ولا تشرب قدحاً من الخمر ؟! قال : نعم . فأعجب جوبان ذلك ، وخلع عليه ملبوسه ، ومزق ^(٥) الحجة ، وحكّه حكاً قوياً ، وصار عنده مقرباً .

(١) زيادة من (خ) .

(٢) في (خ) : « وحضر أيضاً صحبة » .

* كذا بياض في الأصل ، ووقع الاسم فيه هكذا : « محمد بن محمد بن حسينا » ولعلّ ما أثبتناه هو الصحيح .

(٣) كذا .

(٤) في الأصل : « لهم » ، ولعلّ ما أثبتناه هو الصحيح .

(٥) في الأصل : « وفرّق » ، وما أثبتناه هو الصواب .

١٥٥٩ - محمد بن الحشيشي *

الشمس الرافضي الموصلي .

قال شيخنا الذهبي ، ومن خطّه نقلت : حدثني الإمام محمد بن مَنُتاب أن^(١) عز الدين يوسف الموصلي^(٢) ، كتب إليه وأراني كتابه قال : كان رفيق معنا في سوق الطعام ، يقال له الشمس بن الحشيشي ، كان يسبّ أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ويبالغ ، فلما ورد شأن تغيير الخطبة إذ ترفض القان خربندا ، افتري وسب . فقلت له : يا شمس ، قبيح عليك أن تسبّ هؤلاء ، وقد ثبت . مالك ولهم وقد درجوا من سبع مئة^(٣) ، والله تعالى يقول : ﴿ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ﴾^(٤) فكان جوابه : والله إنّ أبا بكر وعمر وعثمان في النار ، قال ذلك في ملأ من الناس ، فقام شعر جسدي ، فرفعت يدي إلى السماء وقلت : اللهم يا قاهر فوق عباده يا مَنْ لا يخفى^(٥) عليه شيء ، أسألك بنبيتك إن كان هذا الكلب على الحق فأنزل بي آية ، وإن كان^(٦) ظالماً فأنزل به ما يُعلم هؤلاء الجماعة أنه على الباطل في الحال . فورمت عيناه حتى كادت تخرج من وجهه ، واسودَّ وجهه وجسمه^(٧) حتى بقي كالقير^(٨) ، وخرج من

* الوافي : ٢٢/٣ .

(١) في الأصل : « ابن » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) يوسف بن عبد الكريم بن هبيل الموصلي ، كان متشيعاً ، وكان حيّاً سنة ٧٢٦ هـ ، انظر : الدرر : ٤٦٢/٤ .

(٣) في الوافي : « من سبع مئة سنة » .

(٤) البقرة : ١٣٤/٢ ، ١٤١ .

(٥) في الأصل : « يخفيه » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٦) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٧) عبارة الوافي : « واسودَّ جسمه » .

(٨) في الأصل : « كالقير » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وعبارة هذا الأخير : « كالقير وانتفخ » .

حلقة شيء يصرع الطيور ، فحمل إلى بيته ، فما جاوز ثلاثة أيام حتى مات ، ولم يتمكن أحد من غسله مما يجري من جسمه وعينه . ودفن .

قال ابن منتاب : جاء إلى بغداد أصحابنا وحدثوا بهذه الواقعة ، وهي صحيحة . وتوفي رحمه الله تعالى سنة عشر وسبع مئة .

١٥٦٠ - محمد بن حمزة بن أحمد بن عمر*

القدوة الشيخ الصالح شمس الدين أبو عبد الله المقدسي الحنبلي .

سمع حضوراً من ابن اللّتي ، وجعفر الهمذاني ، وسمع من كريمة ، والضياء ، وجماعة . وتفقه ودرس وأفتى وأتقن المذهب .

قرأ الحديث بالصالحية^(١) التي بالسفح وكتب الخطّ المليح .

وكان صالحاً خيراً إماماً أماراً بالمعروف ، داعية إلى ما يعتقده^(٢) ، يحطّ على من خالفه .

ناب في القضاء عن أخيه مديدة قبل موته .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

* الوافي : ٢٦/٣ ، وسيدكره المؤلف : ١٥٠/٥ ، بلفظ « ابن أبي عمر » .

(١) عبارة الوافي : « قرأ الحديث بالأشرفية » ، والمدرسة الصالحية تقع في تربة أم الصالح بدمشق ، أنشأها

الصالح إسماعيل بن الملك العادل سنة ٦٨٣ ، انظر ، الدارس : ٢٣٩/١ .

(٢) عبارة الوافي : « داعية إلى السنة » .

١٥٦١ - محمد بن حمزة بن عبد المؤمن *

أمين الدين الأصفوني الشافعي .

كان فقيهاً فاضلاً متديناً ، تولى الحكم بأبوتيج^(١) ، وتولى إسنا ، وأعاد بمدرسة سيوط .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده بسيوط .

١٥٦٢ - محمد بن حمزة بن معد **

الفرجوطي ، مجد الدين .

كان له أدب ونظم . قال كمال الدين الأدفوي : أنشدني ابن أخيه أبو عبد الله محمد قال : أنشدني عمي لنفسه :

ياسيداً أسند في جاهه بجانب عز به جانبي^(٢)
عساك أن تنظر في قصّة واجبة تطلق لي واجبي
أوصلك الله إلى مطلب مؤيد بالطالب الغالب^(٣)

وتوفي رحمه الله تعالى بفرجوط سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

* الوافي : ٢٧/٣ ، والطالع السعيد : ٥١٧ ، والدرر : ٤٣٢/٣ .

(١) أبوتيج : على الشاطع الغربي من النيل قبل أسوط . (حاشية الطالع) .

** الوافي : ٢٧/٣ ، والطالع السعيد : ٥١٨ ، والدرر : ٤٣٢/٣ .

(٢) في الدرر والطالع : « أسندي » . وفي الأصل : « عز بي » . وأثبتنا ما في الطالع والوافي والدرر .

(٣) في الطالع : « بالطلب » .

١٥٦٣ - محمد بن الخضر بن عبد الرحمن*

ابن سليمان بن علي ، القاضي تاج الدين بن زين الدين ، المعروف بابن الزين خضر .

كان من جملة كتّاب الدّرج بباب السلطان ، ثمّ إنه كتّب^(١) قدّام الوزير الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي ، وكان حظيّاً عنده ، وكان يجلس في دار العدل هو وشمس الدين بن اللّبان خلفَ موقعي الدست على عادة كتّاب الدّرج للوزير^(٢) . ثمّ إن السلطان الملك الناصر محمد جهّزه إلى حلب كاتب سرّها لما عَزَلَ القاضي جمال الدين^(٣) بن الشهاب محمود . فتوجه إليها في أوائل سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، فباشَرها إلى سنة تسع وثلاثين وسبع [مئة]^(٤) فحضر في أوائلها صحبة الأمير علاء الدين الطنبيغا نائب حلب إلى باب السلطان ، فعزلها معاً ، وجهّزَ بدلها الأمير سيف الدين طرغاي^(٥) الجاشنكير نائباً والقاضي شهاب الدين أحمد بن القطب كاتب سر ، فأقام القاضي تاج الدين بمصر بطّالاً مدة .

وكان الأمير سيف الدين طاجار يعتني به كثيراً ، فسعى له حتى رُتّب منْ موقعي الدست بين يدي السلطان ، فأقام على ذلك مدّة . فلما توفي القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب سر دمشق ، رسم السلطان الملك الكامل للقاضي تاج الدين بكتابه سرّ دمشق عوضاً عنه ، فحضر إليها في سلخ شعبان سنة ست وأربعين وسبع مئة ، وأقام بها إلى ثامن شهر ربيع الآخر من السنة الثانية .

* الوافي : ٣٨/٣ ، ووفيات ابن رافع : ٢٣٢/١ ، والدرر : ٤٣٢/٣ ، والذيل التام : ٨٨ .

(١) في الأصل : « كنت » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٢) في الأصل : « الوزير » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٣) في الأصل : « جمال » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٤) زيادة من (خ) والوافي .

(٥) في الأصل : « طوغاي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

وتوفي ليلة الجمعة من الشهر سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، ودفن بسفح [قاسيون]^(١) وصلى الناس عليه والقضاة والأعيان ، وكان مرضه بدوسنطاريا انقطع به ثمانية أيام .

١٥٦٤ - محمد بن خلف بن محمد بن عقيل *

الشيخ بدر الدين المنبجي التاجر السفار .

كان رئيساً متمولاً معروفاً بالدين والعقل والثقة ، يحضر بمجالس الحديث ، ويسمع لأولاد ابنه .

توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة .

١٥٦٥ - محمد بن خليل **

الشيخ شمس الدين الصوفي .

سمع من الشيخ شمس الدين أبي بكر محمد بن إبراهيم المقدسي^(٢) ، وأبي الهيجاء غازي بن أبي الفضل بن^(٣) الخلاوي ، وغيرهما . حدث مراراً . أجاز لي ...^(٤)

(١) زيادة من (خ) والوافي .

* لم نقف على ترجمة له .

** الوافي : ٥٠/٣ ، والدرر : ٤٣٣/٣ .

(٢) محمد بن الحسن بن عبد السلام (ت ٦٥٤) ، السير : ٢٩٥/٢٣ .

(٣) ليست في الوافي . وكانت وفاته سنة (٦٩٠ هـ) . وسلفت الإشارة إليه .

(٤) وهنا انتهت ترجمته في الوافي أيضاً . وفي الدرر أنه : « مات في شهر رمضان سنة (٧٣٢) ، وله سبع وستون سنة » .

١٥٦٦ - محمد بن دانيال بن يوسف*

الخزاعي الموصلي ، الحكيم الفاضل الشاعر الأديب شمس الدين .

صاحب النظم الخلو ، والقريض الذي ليس فيه بيت من النكت خلو ، والنثر العذب الرائق ، والكلام الذي أصبح وهو على زهر الرياض فائق ، والطباع الداخلة ، والمحيلة [التي]^(١) هي بالصواب غير باخلة .

كان ابن حجاج عَصْرِهِ ، وابن سُكْرَةِ مِصْرِهِ . لو كنا حَيِّين لَقَلَدَاهُ المَجُون . وَعَلِمَا أَن نُّكْتَهُ تَفْعَل بالألْبَاب ما لا تَفْعَلُه ابْنَةُ الزُّرْجُون . قد لطف كلامه ، وظرف نظامه ، يأتي بِمُضْحِكَات تعجبُ منها الثَّكَالِي ، وتنشِطُ الكَسَالِي ، لو رآه أبو نواس لما قال :
« أما ترى الشمس حلت الحمل^(٢) » .

أو ابن الهَبَّارِيَّة^(٣) لَمَّا نَظَم « حيّ على خير العمل » . وكان لا يبالي بما يقول من سُخْفِهِ ، ولا يستحي في المجون إذا رَفَعَ مِرْخَى سَخْفِهِ :

لوعابه سيبويه قال له : خرا الكسائي في لحية الفراء
ولم يزل على حاله إلى أن استجنّ حشا ضريحه ، وأوحش الزمان وأهله خِفَّةَ رُوحِهِ .

* الوافي : ٥١/٢ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٥٨ ، وفوات الوفيات : ٣٣٠/٣ ، والدرر : ٤٣٤/٣ ، والشذرات : ٢٧/٦ .

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) ديوان أبي نواس ص ٦٣ .

(٣) محمد بن محمد بن صالح بن حمزة ، شاعر عباسي (ت ٥٠٤) ، وقيل : (٥٠٩) ، الوافي : ١٣٠/١ ، وفيات الأعيان : ٤٥٣/٤ .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة ليلة الأحد ثاني عَشْرِي جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة .

وكان ابن دانيال رحمه الله تعالى طبيباً كَحَالاً ، أديباً شاعراً مَطْبُوعاً على الدخول في أقواله وأفعاله . توجّه صحبة الأمير سيف الدين سَلَّار إلى قوص ومع الأمير سَلَّار حَسَنُ الحليق ، وكان من جملة مَمَالِيك سَلَّار غلام جميل الصَّوْرة ، له صورة عند أستاذه ، فتمشّى الحليق ومعه الخادم ، فوجدا ظل جَمِيز وَجَدُولاً يجري ، فرقد الحليق هناك ، ونام الخادم عنده . فطلبه أستاذه فلم يجده ، ففرّق المماليك في طلبه ، فوجدهما على تلك الحالة ، فأحضروا وقد اشتدَّ غضب سَلَّار ، فلما رأى ابن دانيال ذلك تقدم وقال : يا خوند ، أقول لك ما تفعل بهذين ، فقال : قل . قال : احلق ذقن هذا الْقَوَاد حَسَن ، واخص هذا الخادم . فضحك سَلَّار ^(١) وسكن غضبه .

حكى لي شيخنا الحافظ فتح الدين قال : اجتزنا ^(٢) جماعة به وهو في دكان داخل باب الفتوح والناس عليه مجتمعون ، فقالوا : تعالوا نخايل على الحكيم ، فقلت لهم : ما أنتم وزنه فلا تشاكلوه فقالوا : لا بدّ وهو يكحل الناس . فقال ^(٣) بعضنا : يا حكيم تحتاج ^(٤) إلى عُصِيَات ؟ فقال : لا والله ، إلا ... أي من كان منكم يشتهي يقود ^(٥) فليتقدم قال : فقلت لهم : قلت لكم : لا تشاكلوه فما قبلتم قولي ، أو كما قال .

(١) في الأصل : « سَلَام » ، سهو .

(٢) في الأصل : « أخبرنا » ، ولا تستقيم ، وعبارة الوافي : « فاجتزت به أنا وجماعة من أصحابه » ، ومثله تقريباً في الفوات .

(٣) في الأصل : « فقالوا » ، سهو ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) في الوافي : « أحتاج » ، وزاد في الفوات بعد هذه العبارة مانصّه : « يعنون أنّ هؤلاء الذين يكحلهم يعمون ، ويحتاجون إلى العصا » .

(٥) في الوافي : « إن كان فيكم أحد يقود » ، وفي الفوات : « إن كان فيكم من .. » .

وله نوادر كثيرة من هذا النمط . يقال إن الملك الأشرف أعطاه قبل أن يلي فرساً ، وقال له : هذا اركبه إذا طلعت القلعة أو سافرت معنا إلى الصيد ، لأنه كان في خدمته ^(١) ، فلما كان بعد أيام رآه وهو راكب [على] ^(٢) حمارٍ مكسَّح ، فقال له : يا حكيم أين الفرس الذي أعطيناك ؟ فقال : بعثها وزدت عليها واشتريت هذا الحمار ، فضحك منه .

وكان له راتب لخمٍ على ديوان السلطان فعمل في وقتٍ استيمار ، وقطع هو وغيره ، فدخل على الأمير سيف الدين سلاّر وهو يعرج فقال له : مابك يا حكيم ؟ قال : بي قطع لحم ، فضحك منه ، وأمر له بإعادة مُرتبته من اللحم .

وله من التصانيف كتاب (طيف الخيال) أبدع فيه وقيل : إنه أخرجه من القوة إلى الفعل ، ولبس ثيابه ورقص بالآته جميعها ، وله أيضاً أرجوزة سماها : (عقود النظام في من ولي مصر من الحكام) .

ومن شعره يستهدي قطراً ^(٣) :

نَعَمْ أَنْتِ أَوْلَى مَنْ نُؤَمِّلُهُ قَدْرًا	وَأَكْرَمُ مَنْ نُهْدِي الْمَدِيحَ لَهُ دُرًّا ^(٤)
وَمَا أَنْتِ إِلَّا دَيْمَةٌ أَيْ دَيْمَةٌ	تَسِحُّ فَيُحْيِي سَحَّهَا الْبَلَدَ الْقَفْرًا
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ يَا ابْنَ الْمَكَارِمِ دَيْمَةً	تَجُودُ لَمَا اسْتَهْدَيْتَ مِنْ جُودِكَ الْقَطْرًا ^(٥)
فَجَدُّ لِي بِهِ مِنْ سَاعَتِي إِنِّي أَمْرُو	أَخَافُ إِذَا جُرِّعْتُ فِي عَسَلٍ صَبْرًا
وَدَعْنِي مِنْ رَفْعِ النُّحَاةِ وَنَضْبِهِمْ	وَجَرَّهْمُ أَنْ يَمْلَأُوا جَرِّي جَرًّا ^(٦)

(١) زاد في الوافي : « فأخذه منه » .

(٢) زيادة من الوافي .

(٣) المختار من شعر ابن دانيال : ٧٥ .

(٤) في المختار : « أَنْتِ أَعْلَى » .

(٥) في المختار : « الْأَكَارِمُ من صوبك » .

(٦) في المختار : « جَرِّي جَرًّا » .

عليه وأبدت السنأ للظما حراً^(١)
وقد ضيقت من طول وحشتها الصدرأ^(٢)
قلوبأ، فقلب اللوز منكسر كسراً
أنقطه حتى يكون لكم شكراً^(٣)

فقد لبت عندي القطائف غلة
وشقت له أيدي الكنافة جيها
وقد صدع البين المشت لبغده
وإن جاءني مع ذلك القطر سكر

ومنه في الثقة عامل الملقاة بالجيزة :

والعطف والمُنزلقه
تحصيلها والمَلَقه
بكل قدم موسقه
زحامهم مضيقه
وضنكها في بوتقه
أمواجه المصفقه
طريقه متفقه
بُ تسارة مشرقه
رفيقنا اللص الثقه
حان الذي قد خلقه
لا ، ذقنه والغنفقه^(٤)
عائنه أو حققه
خساسة مالحقه
كان ثقيلاً طبقه

مالي وللمنخرقه
وغله الخالص في
ورحلتني في مركب
أرجاؤها علي من
بت بها لضيقتها
ترقص في البحر لدى
والرياح لا تجري على
تهب غرباً وتهب
كانها من هوج
أقبحنا خلقاً فسب
بصورة القرود فلو
وأنه الكلب لمن
والكلب لوجاراه في
شيخ لنقصه وإن

(١) في المختار : « فقد لهت » .

(٢) في المختار : « وحشته » .

(٣) في المختار : « حتى يعود » .

(٤) في المختار : « بصورة كالقرود لولا ... » ، والغنفقة : ما بين الشفة السفلى والذقن .

رافَقْتُهُ ولم تكن
 حتى إذا ما غيَّب الأ
 وهوَم الناس فلا
 نام فكان ناءماً
 وقام في الليل كمث
 يسعى إلى عبدٍ له
 عبُل الذراع أسود
 لو جاز رأس أثره
 أولجَّه في سُرْمِه
 وفكَّ سندان استِه
 ولم يزل حتى رمى
 فقلت في نفسي ترى
 وعاد نحوي قائلاً
 ما أطيب الأير سج
 ولو أتاني نكته
 أحسن من ذاك وذا
 جديدة في حسنها
 ذات حرٍ يضيق بالأيد
 حرٌّ رميت طيرَه
 فخرَّ مصروعاً ولم
 غنت فأغنت عن شدا ال
 لله صبَّ لا يضي
 رفاقتيه رَفَقَهُ^(١)
 فُقُ لَدِينا شَفَقَهُ
 عَيْنُ امرئٍ مَوَّرَقَهُ
 كالْحَيَّةِ المطوَّقَهُ
 لِمَنْ يُريد السرقَهُ
 وَجَّةٌ شبيه الدَرَقَهُ
 بِشَفَّةِ مُشَقَّقَهُ
 في كَمِّ قاضٍ فَتَقَهُ
 ثُمَّ عَلَيْهِ طَبَقَهُ
 بِقَيْشَةِ كالمِطْرَقَهُ
 بيض الخَاصِي زنبَقَهُ
 خَيْطُهُ أَمْ فَتَقَهُ
 وَجَحْرُهُ مُبْصَقَهُ
 قفا والخَصِيَّ مَدَقَقَهُ
 على سبيل الصدَقَهُ
 جاريةً مُعَشَّقَهُ
 وقهوة معتَقَهُ
 ر إلى أن يخنَقَهُ
 من خِصيتي بِنَدَقَهُ
 يقطع سِوَايَ سَبَقَهُ
 حمامة المطوَّقَهُ
 مع عَهْدِهِ وَمَوْتَقَهُ

(١) في المختار: « زافقته زفافيته » ، والمزافعة : التكلم بخشونة .

أو شادن عليه أكـ بآد الوری مَحْتَرَقُهُ
 عَلِقَ نَفِيسٌ كُلُّ مَهْ جَاةٍ بِهِ مُعْتَلَقُهُ
 يَوجُ عِنْدَ نِيكِهِ تَحْتَكِ مِثْلَ الْعَلَقَةِ^(١)
 يَكَادُ مَوْجُ رِذْفِهِ لِلصَّبِّ أَنْ يَفْرَقَهُ^(٢)
 كَمْ لَيْلٍ رَكَّبَنِي مِنْ خَلْفِهِ فِي الْحَلَقَةِ
 لَمَّا اسْتَجَادَ عِدَّتِي فِي الْعَرَضِ يَوْمَ النَفَقَةِ^(٣)
 وَجَوْنَةٍ^(٤) زَاهِيَةٍ بَظْلَمَةٍ وَبِرِزْقِهِ
 ذَاتَ شَوَاءٍ قَدْ غَدَا مَشْتَلًا بِمِجْرَدَقِهِ^(٥)
 وَافِي وَنَفْسِي لَمْ تَزَلْ إِلَى لِقَاءِ شَيْقِهِ
 لَوْلَا خُلُوقُ ثَوْبِهِ لَكَدْتُ أَنْ أُخْلَقَهُ
 فِي إِثَرِهِ دَجَاجَةٌ مَصْلُوقَةٌ فِي مَرْقِهِ
 تَتَّبِعُ بَوْرَانِيَّةً فِي دَهْنِهَا مَعْرَقَهُ^(٦)
 فَمَنْ حَبَّتْهُ هَذِهِ سَبْحَانَ رَبِّ رِزْقِهِ
 وَقَالَ يَوْمَ كَتَبَ كِتَابَهُ :

قَدْ تَجَاسَرْتُ إِذْ كَتَبْتُ كِتَابِي طَمَعًا فِي مَكَارِمِ الْأَصْحَابِ

وهي طويلة وقد أوردتها في الجزء الأول من (التذكرة)^(٧) .

(١) في المختار : « تحت ... عندك » .

(٢) في المختار : « يَحْرَقُهُ » .

(٣) في المختار : « الحلقة » .

(٤) سَلَّةٌ تَكُونُ مَعَ الْمَطَارِينِ .

(٥) الجردقة : نوع من الخبز ، فارسية .

(٦) في المختار : « معرقة » .

(٧) انظر : المختار من شعره ١١٨ ، وما بعدها .

وقال وقد أبطلوا المنكرات في أيام الملك المنصور حسام الدين لاجين^(١).

رأيت في النوم أباً مَرَّه
وعينه العوراء مقروحة
يصيح واويلاه من حَسْرَتِي
وحَوْلِهِ مِنْ رَهْطِهِ عَصْبَةٌ
مِنْ كُلِّ عِلْقٍ مِثْلُ بَذْرِ الدُّجَى
مُظْفَرُ اللَّحْظِ بَعْشَاقِهِ
شَمْسٌ ضَحَى غُصْنٍ نَقَى قَدُّهُ
تَجْمِشُهُ ثَقَلٌ لَنْ ضَمُّهُ
يَهْوَنُ وَزْنَ اللَّالِ فِي وَصْفِهِ
وَمِنْ سَحُورِ الْعَيْنِ فَتَانَةٌ
تَقُولُ لِلْعَشَّاقِ مِنْ مَعْصِي
إِذَا رَأَى عَاشِقَهَا كَسَهَا
وَكُلَّ قَوَادٍ لَهُ ضَرْطَةٌ
يَسْطُو عَلَى الْعَاشِقِ فِي سَوْمِهِ
يَقُولُ وَالْكِيفَاحِ مِنْ خَلْفِهِ
زَنْ أَلْفَ دِينَارٍ إِذَا رُمَتْهَا
سَبْحَانَ مَنْ وَلَدَ فِي خَدِّهَا النَّ
هِيَ أَتَمَتَّعَ دِي^(٢) بِحَقِّ الْوَفَا
وَكُلُّ لَوْطِي لَهُ نَهْمَةٌ

وهو حزين القلب في مرّة
تقطر دمعاً قطرة قطرة
تلك التي مامثلها حسرة
فيهم على قلتهم كثرة
قيمه في واحدٍ بذرة
وإنما في جفنه كسره
وظلله من خلفه الشعرة
وجوز التينة بالثمرة^(٣)
طالع الميزان والزهرة
خودها شمس الضحى ضرة
تنزهوا في الماء والخضرة
يود لو ترضعه بظرة
من شذقه يتبعها شخه
مغالبا لما اقتضى حذره
وعنده في قوله شمة^(٤)
إن كنت ماترضى بها بعره
قي يياضاً فوقه حمرة
لاترك القصف على فشره
على سميطة اللحم في السفرة

(١) المختار ١١٩ .

(٢) في المختار : « وجون » .

(٣) الكيفاح : هو المضاجع .

(٤) كذا في الأصل .

يَقْلُ لَهَا يَاطِيهَا نَخْرُهُ
 قَحْبَةٌ فِي صَبْحَتِهِ نَشْرُهُ
 لَكِنْ هَوَاهَا مِنْ بَنِي عَذْرُهُ
 وَمَالُهَا فِي دَلِكْهَا شَعْرُهُ
 كَأْسُ عَلَى عَنَاتِقِهِ جَرُّهُ
 شَارِبُهُ قَدْ بَقِلَتْ خَضْرُهُ
 صَفَى لَهَا صَاحِبُهُ الْمَرْزُ
 مِبَادِلُ أَبْعَى مِنَ الْإِبْرَةِ^(٢)
 عُمَرُ هَاجَتْ بِهِ عُمَيْرُهُ
 وَزَامِرٍ قَدْ جَاءَ فِي الزُّمَرِ
 أَسَالُ مِنْ مَقْلَتِكَ الْعَبْرِ
 كَى وَإِنْ كَانُوا ذَوِي شَرِّهِ
 وَقَعْتُ فِي كُسِّ أَخْتِ مَا أَكْرَهُ^(٣)
 وَعُذْتُ لَا أَمْرَ وَلَا إِمْرَهُ
 فِي بَيْتِهِ كَوْزاً وَلَا جَرَّهُ^(٤)
 عِلْتُهُ مِنْ ذَلَّتْهُ صَفْرُهُ
 وَقَلْبُهُ يُقْلَى عَلَى جَمْرِهِ
 يَجْرَحُ بِالْخَنْجَرِ وَالشُّفْرِ^(٥)

إِنْ وَسُوسَتْ فِي وَجْهِهِ فِسْوَةٌ
 وَكُلُّ زَنْءٍ يَرَى بِوَلَةِ الْ
 وَكُلُّ بِنْتٍ مَالُهَا عَذْرَةٌ
 سَخَاقَةٌ قَدْ كَلَّكَتْ بَظَرَهَا
 وَكُلُّ خَمَّارٍ فِي كَفِّهِ
 وَمِنْ حَشِيشِي سَطِيلٌ عَلَى
 وَمِنْ بَنِي حَامٍ لَهُ مَرْزَةٌ^(١)
 وَكُلُّ بَغَاءٍ بِهِ أُنْبَةٌ
 وَكُلُّ جَلَادٍ عَلَى خَلْوَةٍ
 وَمِنْ خِيَالِي وَمِنْ مُطْرِبٍ
 فَقُلْتُ يَا إِبْلِيسُ مَاذَا الَّذِي
 وَمَا الَّذِي أَزْعَجَ أَشْيَاعَكَ النُّو
 فَقَالَ لِي: يَا بَأْيُ أَنْتَ قَدْ
 قُلْتَ جِيْـشِي وَوَهَى مَنْصِبِي
 وَأَصْبَحَ الْخَمَّارُ لَا يَلْتَقِي
 وَمَنْزِلُ الْمَرْزَازِ صِفْرٌ وَقَدْ
 وَبَاتَ قَلِي الْفَارِ فِي حَسْرَةٍ
 وَكَادَ أَنْ يَسْطُو الْحَشِيشِي وَأَنْ

(١) في الأصل: « زمرة » ، وأثبتنا ما في المختار ، وهو ضربٌ من الأشربة المسكرة .

(٢) في اللُّشْلُ: أَبْعَى مِنَ الْإِبْرَةِ ، وَمِنْ الزَّيْبِ ، وَمِنْ الْمَهْرَةِ . انظر : جمع الأمثال : ١١٩/١ . والأبْنَةُ : العيب .

(٣) في المختار: « ياماني » .

(٤) في المختار: « لا يكفي » .

(٥) في المختار: « يخرج » .

أَكْثَرَهُنَّ الْيَوْمَ فِي الْحَجَرِ
 مِنْهُنَّ إِلَّا أَصْبَحَتْ حَرَّهُ
 أَجَادَ بِالْعَفَقِ بِهَا مَهْرَهُ^(١)
 أَصَفَّ الْمَقْصُوصَ وَالطَّرَهُ^(٢)
 لِمَنْ رُمِيَ بِالْعَيْنِ وَالنَّظَرِ
 عُشَّاقٍ فِي اللَّيْلِ إِلَى بُكَرِهِ
 إِلَّا الَّذِي أَغْوَيْهِ فِي النَّدْرِ
 شَرِبَ وَلَا قَضَفَ وَلَا عَشْرَهُ
 أَقْـوَدَ لَا أَجْرَ وَلَا أَجْرَهُ
 وَطَوَّلَ الْغَيْبَةَ وَالسَّفْرَهُ
 تَقَرَّبَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا خَبْرِهِ
 مَبَارَكَ الطَّلَعَ وَالْفَرَهُ
 لِمَلِكِهِ مَا شَاعَ بِالشُّهْرِهِ
 تَجْرِيسُهُ وَالضَّرْبُ بِالْدَرِهِ

وسائر الستات من قحبنا
 يطلبن أزواجاً فلا قحبة
 وكل سالوس قِمَارٍ وقد
 كم جَهِدَ مَا أَغْوَى وَأَعْوَى وَكَمْ
 وَكَمْ أَرَى الْعَيْنِينَ مَكْحُولَةَ
 وَكَمْ وَكَمْ أَسْهَرُ فِي خِدْمَةِ الْـ
 وَمَا أَرَى الْيَوْمَ وَلَا عَاشِقاً
 قَدْ كَسَدَتْ سَوَاقٍ لِلْعَاصِي فَلَا
 هَذَا عَلَى أَنِّي وَمَنْ غَيَّيْتُ
 قُلْتُ: يَا إِبْلِيسَ سَافِرُ بِنَا
 إِيَّاكَ أَنْ تَسْكُنَ مِصْرًا وَأَنْ
 فَإِنْ فِيهَا صَاحِباً عَادِلاً
 قَدْ عَلِمَ السُّلْطَانُ مِنْ نَصْحِهِ
 جَزَاءً مَنْ خَالَفَ مَرْسُومَهُ
 وَقَالَ عَلَى لِسَانِ الْمَشَاعِلَةِ^(٣):

وَضَوُّهُ الْمُشْتَعِلُ^(٤)
 يُزْرِي بَعْرِفِ الْمَنَدِلِ^(٥)

لَا وَدُخَانِ الْمِشْعَلِ
 وَعَرَفِهِ الَّذِي غَدَا

(١) السالوس : مَنْ أَمِنَ عَلَى شَيْءٍ . وفي المختار : « ساكوس » .

(٢) في المختار : « أعوى وأعوى » .

(٣) المختار : ١٢٥ .

(٤) في المختار : « وجره المشتعل » .

(٥) في المختار : « النني سرا » .

وقد جودها وهي طويلة ، وقد أوردتها في الجزء الثالث من (التذكرة) .
وقال ^(١) :

قد عَقَلْنَا والعَقْلُ أَيُّ وثاقٍ وصَبَرْنَا والصَّبْرُ مَرُّ المذاقِ
كُلٌّ مَنْ كَانَ فَاضِلًا كَانَ مثلي فاضلاً عِنْدَ قِسْمَةِ الأرزاقِ

وقال ^(٢) :

بي من أمير شكار وجدَّ يُذِيبُ الجَوانحِ
لَا حكيَ الطَّيْبِ جيداً حَنَّتْ إِلَيْهِ الجَوارِحِ ^(٣)

وقال ^(٤) :

مَاعَايِنْتَ عَيْنَايَ فِي عَطَلَتِي أَقْلٌ مِنْ حَظِّي وَلَا بَخُتِي ^(٥)
قَدْ بَعْتُ عَبْدِي وَحَمَارِي مَعاً وَصَرْتُ لَافُوقِي وَلَا تَحْتِي ^(٦)

وقال ^(٧) :

يَا سَائِلِي عَنْ صَنَعَتِي فِي الْوَرَى وَحَرَفَتِي فِيهِمْ وَإِفْلَاسِي ^(٨)
مَا حَالُ مَنْ دَرَّهَمَ انْفَاقَهُ يَأْخُذُهُ مِنْ أَعْيُنِ النَّاسِ

وقال ^(٩) :

(١) المختار : ٤٠ .

(٢) المختار : ٦٣ .

(٣) في المختار : « أحنّت » .

(٤) المختار : ٩٢ .

(٥) في المختار : « أفحش » ، وفي الفوات : « أدبر » .

(٦) في المختار : « عبدي وحصاني وقد أصبحت لافوقي » .

(٧) المختار : ٩٢ .

(٨) في الوافي والفوات : « عن حرفتي وضعيتي » ، وفي المختار : « وثروتي فيهم » ، ولعل الصواب :

« واضيعتي فيهم » ، وهو ما ورد في خيال الظل ، انظر : حاشية المختار .

(٩) المختار : ١٣٤ .

إذا ما كنت متخوماً فكن ضيفاً على شير
فما يخرج منه الخب نز إلا بالناشير
وقال^(١) :

يارشاً لحظه الصحيح عليل كل صب بسيفه مقتول^(٢)
لك ردف غادرتة رهن خصي وهو رهن كما علمت ثقیل^(٣)
وقال^(٤) :

وأقطع قلت له أنت لص أو حـد
فقال هذي صنعة لم يبق لي فيها يد
وقال^(٥) :

كم قيل لي : إذ دعيت شمساً لا بد للشمس من طلوع^(٦)
فكان ذاك الطلوع داءً يرقى إلى السطح من ضلوعي^(٧)
وقال وقد صلبوا ابن الكازروني ، وفي عنقه جرة خمر في أيام الظاهر^(٨) :

لقد كان حد الخمر من قبل صلبه خفيف الأذى إذ كان في شرعنا جلداً^(٩)
فما بدا للصلوب قلت لصاحبي ألا تب فإن الحد قد جاوز الحداً

(١) المختار : ١٨٥ .

(٢) في المختار : « رشاً لحظه الصحيح العليل » .

(٣) في المختار : « رهن غصن » .

(٤) المختار : ١٠٤ .

(٥) المختار : ١٦٩ .

(٦) في الأصل : « إذا » ، وأثبتنا ما في المختار والفوات .

(٧) في الفوات : « سما إلى ... » .

(٨) المختار : ١٠٥ .

(٩) في المختار : « حد السكر » .

وقال أيضاً^(١) :

لقد منع الإمام الحرّ فينا
فاجسرت ملوك الجن خوفاً
وصير حدها حـدّ الياني
لأجل الحدّ تدخل في القناني^(٢)
وقال أيضاً^(٣) :

يقولون الحكيم أبو فلان
قلتُ علمتُ ذلك وهو سمح
حوى كرمأ وجوداً في اليدين^(٤)
يضيّع كل يوم ألف عين
وقال أيضاً^(٥) :

قطعت من يومين بطيخة
قالوا خرى الخولي في أصلها
وجدت فيها جعس مصودي
من يوم جرّي الماء في العود^(٦)
قال في مكارم اليهودي^(٧) :

مكارم ما زال في طبّه
أعني به الفارق في دقنه
مكارهاً واللفظ فيه اشتباه
ولست أعني غارقاً في خراه

قلت : وقد اخترت أنا (ديوانه) بالديار المصرية وهو أجمعه في الجزء الرابع
عشرين من التذكرة .

(١) المختار : ٢٨٤ .

(٢) في المختار والفوات : « لأجل الحر » ، وفي الوافي : « السيف » .

(٣) المختار : ٩٤ .

(٤) في المختار :

يقولون الطبيب أبو علي بيذل الجود مهسوط اليدين

(٥) المختار : ٩٥ .

(٦) في المختار والوافي : « أيام » .

(٧) المختار : ١٩١ .

وللحكيم شمس الدين بن دانيال موشحة ظريفة وهي ^(١) :

عُصْنٌ مِنَ الْبَلَانِ مِثْرٌ قَمَرًا يَكَادُ مِنْ لِينِهِ إِذَا خَطَرًا يُعَقِّدُ
 أَسْمَرٌ مِثْلُ الْقَنَاةِ مُعْتَدِلٌ
 وَلِحْظُهُ كَالسَّنَانِ مَنْصَقِلٌ
 نَشْوَانٌ مِنْ خَمْرَةِ الصَّبَا ثَمَلٌ
 عَرَبِدَ سَكْرًا عَلَيَّ إِذَا خَطَرًا كَذَاكَ فِي النَّاسِ كُلِّ مَنْ سَكْرًا عَرَبِدَ
 يَا أَبَايَ شَادَنَ فُتِنْتُ بِهِ
 يَهْوَاهُ قَلْبِي عَلَى تَقَلُّبِهِ
 مَذَّ زَادَ فِي التِّيهِ مِنْ تَجَنُّبِهِ
 أَحْرَمَنِي النَّوْمَ عِنْدَمَا نَفَرًا حَتَّى لَطِيفِ الْخِيَالِ حِينَ سَرَى شَرَّدَ ^(٢)
 عَيْنَاهُ مَثْوَى الْفَتُورِ وَالسَّقَمِ
 قَدْ زَلَزَلَا مِنْ سَطَاهُمَا قَدَمِي
 سِيفَانٌ قَدْ جُرِّدَا لِسَفْكَ دَمِي
 إِنْ كَانَ فِي الْحُبِّ قَتَلْتَنِي نَكْرًا فَهَذَا دَمِي فَوْقَ خَدِّهِ ظَهَرًا يَشْهَدُ
 لَا تَلَحْنِي بِالْمَلَامِ يَا عَذْلِي ^(٣)
 فَإِنِّي فِي هَوَاهُ فِي شَغَلٍ ^(٤)
 وَانْظُرْ لِمَاذَا الْحَبَّ بِهِ بَلِي ^(٥)
 لَوْ عَبَدَ النَّاسُ قَبْلَهُ بَشَرًا لَكَانَ مِنْ حَسَنِهِ بَغِيرَ مَرَا يُعَبِّدُ

(١) المختار : ١٧٧ .

(٢) في الفوات : « قَيْد » .

(٣) في الأصل : « فِي عَذْلِي » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي الْوَاقِيِ وَالْمَخْتَارِ وَالْفَوَاتِ .

(٤) في الفوات والمختار : « مِنْ هَوَاهُ » .

(٥) في الواقي والمختار : « لِمَاذَا بِهِ الْحَبَّ بَلِي » .

حَمَلْتُ وَجُدًا كَرِذْفِهِ عِظْمًا
 وَصِرْتُ نَضْوًا كَخَصْرِهِ سَقْمًا
 لَوْ أَنَّ مَا بِي بِالصَّخْرِ لَانْتَهَدَمَا
 فَالْحَبُّ دَاءٌ لَوْ حُمِلَ الْحَجْرَا لَذَابَ مِنْ هَؤُلَ ذَاكَ وَانْفَطَرَا وَانْتَهَدَا
 جَوَى أَذَابِ الْحَشَا فَحَرَّقَنِي
 وَنَيْلَ دَمْعٍ جَرَى ففَرَّقَنِي
 لَكِنَّهُ بِالدَّمْعِ خَلَّفَنِي
 فَبِتْ^(١) أَجْرِي فِي الدَّمْعِ مُنْهَدِرَا ذَاكَ لِأَنِّي غَدَوْتُ مُنْكَسِرَا مَقْرَدُ
 بَدِيعِ حُسْنِ سُبْحَانَ خَالِقِهِ
 أَحْمَرُ خَدَّيْ يَبْدِي لِعَاشِقِهِ^(٢)
 مِسْكَ ذِكِّي الشَّدَا لِنَاشِقِهِ
 نَمْلٌ عِذَارٌ يَحْيِرُ الشُّعْرَا وَفُؤْدُ شَعْرٍ يَسْتَوْقِفُ الزَّمْرَا^(٣) أَسْوَدُ
 وَقَدْ عَارَضَ ابْنَ دَانِيَالَ بِهَذِهِ الْمَوْشِحَةَ مَوْشِحَةٌ لِأَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ الْمُوصِلِيِّ^(٤) الْوَشَّاحِ
 وَهِيَ :

بِي رَشَا عِنْدَمَا رَنَا وَسَرَا بِاللَّحْظِ لِلْعَاشِقِينَ إِذَا أَسَرَا قِيَّادُ
 السَّحَرِ مِنْ لَفْظِهِ وَمُقْلَتِهِ
 وَالرَّشْدِ مِنْ فَرْقِهِ وَغَرَّتِهِ
 وَالْغِيِّ مِنْ صَدْعِهِ وَطَرَّتِهِ

(١) فِي الْوَلَفِيِّ وَالْمُخْتَارِ وَالْفَوَاتِ : « فَرَحَتْ » .

(٢) فِي الْفَوَاتِ : « أَيْبُضُ ثَغْرِ » .

(٣) فِي الْفَوَاتِ : « وَفَوْقَ شَعْرِ النَّهْرَا » .

(٤) تَرْجَمَ لَهُ فِي الْوَلَفِيِّ ، وَلَمْ يَذْكُرْ سَنَةَ وَفَاتِهِ ، وَهُوَ مِنْ مَدْحُوا لِلنُّصُورِ صَاحِبُ حِمَاةٍ (ت ٦٨٣ هـ) ،
 الْوَلَفِيُّ : ٣٢٢/٦ .

بَدَرٌ بِصُبْحِ الْجَبِينِ قَدْ سَتَرَ بَلِيلَ شَعْرِهِ وَانْظُرْ لَهُ سَتْرًا اسْوَدُ
 إِن قُلْتَ بَدَرٌ فَالْبَدَرُ يَنْخَسِفُ
 أَوْ قُلْتَ شَمْسٌ فَالشَّمْسُ تَنْكَسِفُ
 أَوْ قُلْتَ غَصْنٌ فَالْغَصْنُ يَنْقُصُ

وَسُنَانُ جَفْنٍ سَمَا عَنْ النُّظْرَا وَكُلُّ ^(١) طَرْفٍ إِلَيْهِ قَدْ نَظَرَا سَهَّادُ
 حَاجِبَةٌ مُشْرِفٌ عَلَى شَغْفِي
 عَارِضَةٌ شَاهِدٌ عَلَى أَسْفِي
 نَاطِرَةٌ عَامِلٌ عَلَى تَلْفِي

بِهِ غَرَامِي قَدْ شَاعَ وَاشْتَهَرَا وَسَيُفُّهُ فِي الْحَشَا إِذَا اشْهَرَا يُغَمِّدُ
 زَهَا ^(٢) يَتَغَرَّى كَالدُّرِّ وَالشَّنْبِ
 وَأَطْلَعَ الْأَقْحَوَانَ كَالْحَبِّ ^(٣)
 رَضَعَ شَبَّةَ اللَّجِينِ فِي الذَّهَبِ

حَوَى الثَّرِيَا مِنْ نُورِهِ أَثَرَا لَهُ أَدْمَعِي الَّذِي نَثَرَا ^(٤) نَضَّدُ
 عِذَارَةُ النَّمْلِ فِي الْقُلُوبِ ^(٥) سَعَى
 وَالنَّحْلُ مِنْ ثَغْرِ الْأَفَاحِ رَعَى
 وَيُوسُفُ أَيْدِي النِّسَاءِ قَطَعَا

بِالنُّورِ مِنْ وَجْهِهِ سَبَا الشُّعْرَا وَرَدَّنِي بِالْجَفَا وَمَا شَعْرَا مَكْمَدُ
 بِمَا بِأَجْفَانِهِ مِنَ الْوَطْفِ

(١) في الأصل : « لكل » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .

(٢) في الفوات : « يزهو » .

(٣) في الفوات : « والطلع والأقحوان والحب » .

(٤) في الفوات : « من ثغره أثرا له الذي أدمعي نثرا » .

(٥) في الفوات : « الفؤاد » .

وما بأعطافه من الهيف

وما بأردافه من الترف

ذا الأسمر اللون^(١) ردني سمرًا وفي فؤادي من قدّه سمرًا أمْلُدْ

خَلَدَ طَوْلَ الْحَيَاةِ فِي خَلْدِي

وَكَايَدَتْ لَاعِجَ الْجَوَى كَبْدِي

ضَعِيفٌ خَصِرٌ يُوْهِي قَوَى جَلْدِي

فَخَصَرُهُ حَالَتِي قَدْ اعْتَبَرَا وَعَنْ سَقَامِي فَقَدْ رَوَى خَبْرًا مُسْنَدُ

قلت : وسيأتي في ترجمة شمس الدين محمد بن علي الدهان عدة موشحات في هذا الوزن وهي جيدة .

١٥٦٧ - محمد بن داود بن محمد بن مُنْتَاب*

بضم الميم وسكون وبعدها تاء ثلاثة الحروف وبعدها ألف وباء موحدة ، التقيّ المأمون شمس الدين أبو عبد الله الموصليّ السلامي الشافعي التاجر .

حضر غزاة^(٢) عكا ، وحفظ (التنبيه) و (الشاطبية) وسمع من أبي جعفر بن الموازيني ، وبيغداد من أبي القاسم وغيره .

وسافر للتجارة وغاب عن دمشق زماناً ، ثم إنه عاد إليها وسكنها بعد العشرين وسبع مئة .

وكان مليح الشكل مهيباً جميل اللباس حسن البشر ، دائم البذل والصدقة ، خيراً

(١) في الفوات : « اللدن » .

* الوافي : ٦٤/٣ ، والدرر : ٤٣٧/٣ .

(٢) في الأصل : « غزلة » ، تحريف عما أثبتناه ، وفي الوافي : « غزوة عكا » .

بالأمتعة ، ذا خطٍّ من أُوْرَادٍ وتهجد ومُرّوة ، مجوداً لكتاب الله . وكان التجّار يخضعون له ويحتكون إليه وثوقاً بعلمه ووَرَعه .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الجمعة رابع عشري ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة نيفٍ وسبعين وست مئة .

وصلّي عليه بعد الجمعة ، وشيّعهُ أُمَمٌ من الناس .

١٥٦٨ - محمد بن داود*

المسند الجليل شرف الدّين أبو الفضائل بن الخطيب عماد الدين بن عمر بن يوسف بن يحيى بن عمر بن كامل بن يوسف بن يحيى بن خطيب بيت الأُبار .

رَوَى عن السّخّاوي ، وشيخ الشيوخ تاج الدّين بن حَمَوِيّه ، وإبراهيم الخشوعي ، وعز الدّين بن عساكر ، وعتيق السّلماني ، والصفيّ عَمَر بن البراذعي ، والرّشيد بن مسلمة ، وإسحق بن طرخان الشاغوري ، والمُرّجا بن شقيرة ، والحافظ ضياء الدّين المقدسي ، وابن الصّلاح ، وجماعة .

وتوفي رحمه الله تعالى في عشري شهر رجب الفرد سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

١٥٦٩ - محمد بن داود**

محير الدين بن الأمير سيف الدّين أبي الحسن علي بن عمر بن قَزَل المُشَدّ التركاني

* الدرر : ٤٣٧/٣ .

** الوافي : ٦٤/٣ ، والدرر : ٤٣٦/٣ .

الأصل ، سبط الملك الحافظ ابن السعيد بن الأجد صاحب بعلبك ، القاضي شمس الدين بن الحافظ .

كان فقيهاً حنفياً ، شاعراً ذكياً يقع بقوة ذهنه على المَعْنَى إذا كان خفياً ، ويرى غوامض المواقيت وكيف لا وقد كان للشمس سُمياً ، وله مشاركة في العرييه ، ومداخلة في النكت الأدبيّه . ونثره غير طائل ، وخطّه ليس بهائل .

يعرف الرياضي جيداً ، أعني فيما يتعلق بالحساب ، وآلات المواقيت من الربع والاضطرلاب ، ويضع الآلات بيده ولكن وضعاً عفواً ، ويكتب رسومها رسماً وحشاً . وكان يضع من حيل بني موسى جُمُله ، ويحمل نفسه من تجارب أعمالها ما لا يطيق حمله . قد أفنى عمره في ذلك وسلك طرائقها الموحشة وليله حالك . إلا أنه كان في حلّ المُترجِم آيه ، وذهنه في حلّه بلا فاصلة غايه ، وهو أول من كتب لي مُترجماً وحلّته ، وهزّزت له حسامة وسلّته .

ولم يزل على حاله إلى أن ضاع من ابن الحافظ حسابُ عمره ، وأذهل ذويه مُبهم أمره .

وتوفي رحمه الله تعالى بطرابلس فيما أظن سنة أربع وثلاثين وسبع مئة في تاسع عشر المحرم ، ودفن هناك ، وكان وصّى بأن يُنقل إلى دمشق .

وكان أولاً بصفد ناظر الجيش ، فأقام بها زماناً ، ثم إنه نُقل إلى نظر جيش طرابلس .

وكان قد سمع من ابن شيبان (ثلاثيات المسند) ، ومن ابن البخاري (كتاب الترمذي) ، وسمع بمصر والإسكندرية ، وحدث .

ولما توجه الأمير سيف الدين بكتر الحاجب من صفد والأمير علم الدين الجاولي لحصار سلُع^(١) ، عمل رسالة في ذلك نظماً ونثراً ، وسمعتها من لفظة غير مرّة ، ومما جاء

(١) حصن بوادي موسى قرب بيت المقدس . (معجم البلدان) .

فيها نظماً :

دَعَتْ قَلْعَةَ السَّلْعِ مَنْ مَضَى بَلُطْفٍ إِلَى حَبْهَاتِ الْقَاتِلِ
وَعَرَّتْهُمْ حِينَ أَبْشَدَتْ لَهُمْ مُحِيّاً كَبَدْرٍ دُجَى كَامِلِ
وَلَمَّا اسْتَجَابُوا لَهَا أَعْرَضَتْ دَلَالاً وَقَالَتْ إِلَى قَابِلِ
تَفَانِي الرِّجَالُ عَلَى حَبْهَاتِهَا وَمَا يَحْصُلُونَ عَلَى طَائِلِ

وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ بِصَفْدِ (رِسَالَةِ الْإِصْطِرْلَابِ) لِقَاضِي الْقَضَاةِ بَدْرِ الدِّينِ بْنِ جَمَاعَةَ ،
وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَرَأَهَا عَلَى الْمُصَنَّفِ .

وَحَكَى لِي أَنَّ الْقَاضِي بَدَرَ الدِّينِ حَكَى لَهُ أَنَّ إِنْسَانًا مِنَ الْمَغَارِبَةِ جَاءَ إِلَيْهِ وَهُوَ بِمَنْزِلِهِ
دَارَ الْخُطَابَةِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ قَاضِي الْقَضَاةِ وَخُطِيبًا ، وَقَالَ : يَا سَيِّدِنَا
رَأَيْتَ الْيَوْمَ فِي الْجَامِعِ إِنْسَانًا وَفِي كَمِّهِ آلَةُ الزُّنْدَقَةِ ، فَاسْتَفْهَمْتُ كَلَامَهُ وَاسْتَوْضَحْتَهُ إِلَى أَنَّ
ظَهَرَ لِي أَنَّهُ رَأَاهُ وَفِي كَمِّهِ إِصْطِرْلَابٌ ، قَالَ : فَقَالَ لِي : إِذَا جِئْتَ لِتَقْرَأَ عَلَيَّ شَيْئًا تَحْيِلُ
فِي إِخْفَاءِ ذَلِكَ مَا أَمَكُنْ .

وَوَصَفَ لِي يَوْمًا حَلَّ الْمُتَرْجِمِ وَحَبِيبَةَ وَزَيْنَةَ ، وَقَالَ لِي : يَعْزُوكَ أَنْ تَكُونَ تَحْلَ
الْمُتَرْجِمِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَكْتُبُ لِي شَيْئًا مِنْهُ ، فَكَتَبَهُ لِي وَأَخَذْتَهُ مِنْ عِنْدِهِ ، وَبَتَّ بَعْضَ
لَيْلَتِي أَفْكَرَ فِيهِ ، وَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيَّ بِفِكَهِ مِنْ غَيْرِ شَيْخٍ وَلَا مَوْقِفٍ ، فَحَلَّلْتُهُ وَكَتَبْتُ جَوَابَ
مَا كَتَبَهُ لِي ، وَكَتَبْتُ فِيهِ :

سَلَكْتُ الْمُتَرْجِمَ فِي لَيْلَةٍ وَلَوْلَاكَ مَا كُنْتُ مِمَّنْ سَلَكَ
وَمَا كَانَ لَيْلِي بِهِ ذَا حَيَا لَأَنَّكَ شَمْسٌ تُضِيءُ الْحَلَاكَ

وَكُتِبَ إِلَيَّ يَوْمًا ، وَقَدْ بَلَغَهُ عَنِي كَلَامُ لَمْ أَقْلَهُ ، وَاسْتَقَالَنِي مِنَ الْعُتْبِ فَلَمْ أَقْلَهُ :

أَعْيَذُكَ مِنْ ضَمِيرٍ غَيْرِ صَافٍ وَأَنْتَ كَمَا نَرَاكَ أَبُو الصَّفَاءِ
وَعَرَسَ الدِّينَ لَا يَنْدُوِي ثَرَاهُ فُحْتَاجُ لَشَمْسِ الْاِسْتِوَاءِ

فكيف يرى بعباداً عن سَنَاهَا
أَحَاشِي ذَهَنِكَ الْوَقَادَ يَسْطُوبُ
وَأَنْ تُصْغِي إِلَى الْوَاثِي وَأَنْتَ الـ
فَلَا بِاللَّهِ لَا تَسْمَعُ حَدِيثاً
فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُكَ فِي مَمَاتِي

فكتبت أنا الجواب إليه :

أَيَا شَمْسَ الْعُلُومِ لِمُجْتَئِلِهَا
وَمَنْ قَدْ ظَلَّ [مِنْهُ] الْفُضْلَ فِينَا
أَلَسْتُ إِذْ ادْلَهَمْتُ مَشْكَلاتُ
فَمَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَقَالَ عَشٍّ
أُعِيذُكَ أَنْ تُصَدِّقَ قَوْلَ وَاشٍ
أَتَحْسَبُنِي أَفْسُوهُ بِغَيْرِ شُكْرٍ
وَبَائِكَ مِنْذُ كُنْتُ عَرَفْتُ نَفْسِي
وَمَا أَهْدَى النَّسِيمَ إِلَيْكَ طَيْباً
وَوَدِّي أَنْتَ تَعْلَمُوهُ يَقِيناً
فَلَا تَسْمَعْ لِمَا تَقَلُّ الْأَعَادِي
فَأَصْلُكَ طَيْبٌ حَاشَاهُ يَجْفُو
وَهَبْنِي قُلْتَ هَذَا الصَّبْحُ لَيْلٌ
وَأُنْشِدُنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ :

لِلَّهِ دَرُّ الْخَالِيَجِ إِنْ لَمْ يَكُنْ
حَسْبُكَ مِنْهُ بِأَنْ عَادَتِهِ

وَيُعْمَلُ فَكْرُهُ طَلَبَ الْخَفَاءِ
عَلَيْهِ ظُلْمَةُ الْحِلِّ الْمِرَاءِ
عَلِيمٌ بِصِدْقِ وَدِّي وَانْتَهَائِي
يَمَقُّهُ الْحَوَاسِدُ بِافْتِرَاءِ
خَلِيلاً أَصْطَفِيَهُ وَفِي بَقَائِي

وَيَا مَنْ فَضَّلَهُ بِأَدْيِ السَّاءِ
وَلَوْلَاهُ نُبِذْنَا بِالْعَرَاءِ (١)
جَلَّاهَا بِالتَّرْوِي وَالذَّكَاءِ
لَأَنَّ الْغُشَّ يَظْهَرُ فِي الصَّفَاءِ
وَأَنْ تَمْشِي عَلَى غَيْرِ اسْتِوَاءِ
لِفَضْلِكَ لَا وَخْلَاقَ السَّمَاءِ
عَقَدْتُ عَلَيْهِ أَلْوِيَةَ الْوَلَاءِ
وَكَانَ شَذَاهُ إِلَّا مِنْ ثَنَاءِ
صَحِيحٍ لَا يُكَدِّرُ بِالْجَفَاءِ
وَمَا قَدْ نَمَقَّوهُ مِنْ افْتِرَاءِ
خَلِيلاً دَائِبَهُ رَفَعُ الدُّعَاءِ
أَيَعْمَى الْعَالَمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ

تَفْضُلاً لَا نُطِيقُ نَشْكُرُهُ
يَجِيرُ مِنْ لَا يَسْـَـزَالُ يَكْسِرُهُ

(١) الزيادة يقتضيها الوزن .

قلت : أخذه من قول الأول وفيه زيادة :

سَدُّ الْخَلِيجِ بِكَسْرِهِ جَبَّرَ الْوَرَى طُرّاً فَكُلٌّ قَدْ غَدَا مَشْرُورَا
الْبَاءُ سُلْطَانٌ فَكَيْفَ تَوَاتَرَتْ عَنْهُ الْبَشَائِرُ إِذْ غَدَا مَكْسُورَا
وَأَنْشَدَنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ :

وَذِي شَنْبٍ مَالَتْ إِلَى فِيهِ شَمْعَةٌ فَرَدَّتْ لِإِشْفَاقِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ
فَالَتْ إِلَى قُدَّامِهِ شَغْفًا بِهِ فَقَبَّلَتْ الْبَطْحَاءَ بَيْنَ يَدَيْهِ^(١)
وَقَالَتْ بَدَا مِنْ فِيهِ شَهْدٌ فَهَزَنِي تَذَكَّرْتُ أَوْطَانِي فَلَيْتَ إِلَيْهِ
فَحَالَتْ يَدُ الْأَيَّامِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَعَفَّرْتُ أَجْفَانِي عَلَى قَدَمَيْهِ

قلت : أخذ قول الأول ، وزاد هو عليه :

أَتَدْرُونَ شَمْعَتَنَا لِمَ هَوَتْ لَتَقْيِيلِ ذَا الرِّشَاءِ الْأَكْحَلِ^(٢)
دَرَّتْ أَنْ رِيْقَتَهُ شَهْدَةٌ فَحَنَّتْ إِلَى الْإِفْهِالِ الْأَوَّلِ

١٥٧٠ - محمد بن داود*

الأمير ناصر الدين ابن الأمير نجم الدين بن الزبيق .

كان أولاً أمير عشرة بعد وفاة والده ، ثم إنه أعطي نيابة الرحبة في أيام الأمير سيف الدين أيتمش ، فأقام تقدير سنتين أو أقل ، ثم عزل عنها وأقام في دمشق وهو أمير طبليخاناه ، فولاه الأمير سيف الدين أرغون الكاملي ولاية مدينة دمشق ، فباشرها إلى أن أتى الأمير علاء الدين أمير علي المارداني إلى دمشق نائباً ، فجعله والي الولاية بالصفقة

(١) في الأصل : « شغفاً فيه » ، ولا يستقيم الوزن وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في الأصل : « لمن هوت » ، وأثبتنا ما في الوافي .

* الدرر : ٤٣٨/٣ ، وذيول العبر : ٣٠٨ .

القبلية ، فسفك فيها الدماء ، واستخرج الأموال ، ولكن اطمانت به البلاد من العشران والفتن .

ولم يزل بها إلى أن مرض مدّة ، وتوفي رحمه الله تعالى ، وجاء الخبر إلى دمشق بوفاة في أول شهر رمضان^(١) سنة ست وخمسين وسبع مئة ، ونقل إلى دمشق .

١٥٧١ - محمد بن رضوان *

ابن إبراهيم بن عبد الرحمن ، زين الدّين العُدري ، المعروف بابن الرّعاد ، براء وعين مهملة مشدّدة وبعدها ألف ودال مهملة .

أخبرني شيخنا العلامة أثير الدّين قال : كان المذكور خياطاً بالمحلّة من الغريبة وله مشاركة في العربية وأدب لا بأس به ، وكان في غاية الصيانة والترفع عن الدنيا والتردد^(٢) إليهم ، واقتنى من صناعة الخياطة من الكتب كثيراً ، وابتنى بها داراً حسنة ، ورأيت بالحلّة مراراً .

وأنشدني لنفسه قال : أنشدني للشيخ بهاء الدّين بن النحاس :

سَلَّمْ عَلَى الْمَوْلَى الْبَهَاءِ وَقُلْ لَهُ : شَوْقِي إِلَيْهِ وَإِنِّي مَمْلُوكُهُ^(٣)
أَبْدأُ يَحْرِكُنِي إِلَيْهِ تَشْوَقٌ جِئْتِي بِهِ مَشْطُورُهُ مَنُهَوَكُهُ
لَكِنْ نَحَلْتُ لِبَعْدِهِ فَكَأَنِّي أَلِفٌ وَلَيْسَ بِمُمْكِنٍ تَحْرِيكُهُ^(٤)

وأنشدني قال : أنشدني لنفسه :

(١) وفي الدرر أنه توفي في شعبان .

* الوافي : ٧٢/٣ ، وفوات الوفيات : ٣٥٦/٣ ، والدرر : ٤٤٠/٣ ، والبغية : ١٠٣/١ .

(٢) في الوافي والفوات : « عن أهل الدنيا والتودد » ، وما بين حاصرتين زيادة منها ، وعبارة البغية نقلاً عن الأدفوي : « مترفعاً عن أبناء الدنيا لا يتردد إليهم » .

(٣) في الوافي والفوات : « وصف له » ، وهي أنسب .

(٤) واضح ههنا أن الشاعر أفاد من مصطلحات العروض والصرف في بناء فنّ بديعي يدعى التوجيه .

رَأَيْتُ حَبِيبِي فِي الْمَنَامِ مَعَاتِقِي وَذَلِكَ لِلْمُهْجُورِ مَرْتَبَةٌ عَلِيًّا
وَقَدْ جَاءَ لِي مِنْ بَعْدِ هَجْرٍ وَقَسْوَةٍ وَمَا ضَرَّ إِبْرَاهِيمَ لَوْ صَدَّقَ الرَّوْيَا^(١)
وَأُنْشِدُنِي قَالَ : أُنْشِدُنِي لِنَفْسِهِ :

نَارَ قَلْبِي لَا تَقْرِي لَهَبًا وَامْنِعْنِي أَجْفَانَ عَيْنِي أَنْ تَنَامَا
فَإِذَا نَحْنُ اعْتَنَقْنَا فَارْجَعِي نَارَ إِبْرَاهِيمَ بَرْدًا وَسَلَامَا^(٢)
وَأُنْشِدُنِي قَالَ أُنْشِدُنِي لِنَفْسِهِ :

قَالُوا وَقَدْ عَايَنُوا نُحُولِي إِلَامَ فِي ذَا الْغَرَامِ تَشْقَى
ضُنَيْتَ أَوْ كَدْتَ فِيهِ تَفْنَى وَأَنْتَ لَا تَسْتَفِيْقُ عَشَقَا^(٣)
فَقُلْتُ : لَا تَعْجَبُوا لِهَذَا مَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَبْقَى
قُلْتُ : شَعْرَ عَذَبٍ مَنْسُجٍ .

وتوفي رحمه الله تعالى بالحلة سنة سبع مئة .

وكان قد أخذ النحو عن العلامة أبي عمرو ابن الحاجب .

ومن شعر ابن الرّعاد أيضاً :

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ قَصَّاصًا يُجَرِّعُنِي بِالصَّدِّ وَالْهَجْرِ أَنْوَاعًا مِنَ الْغُصَصِ
إِنْ تُحْسِنِ الْقَصَّ يَمْنَاهُ فُقُلْتُ لَهُ أَيْضًا نَقْصٌ عَلَيْنَا أَحْسَنَ الْقَصَصِ^(٤)

(١) في الوافي والفوات : « وقد رق » . وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا ﴾ الصافات : ١٠٥/٣٧ .

(٢) في الفوات : « نحن التقينا » . وفي البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ الأنبياء : ٦٩/٢١ .

(٣) في الوافي والفوات : « فنيت أو كدت » .

(٤) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ يوسف : ٢/١٢ .

قال كمال الدين الأديفي : أخبرني شيخنا أثير الدين قال : قال لي زين الدين المذكور : أرسل إلي شهاب الدين الخويي حين كان قاضياً بالغريّة أن أرسل إلي بالكتاب الذي استعرتّه مني ، فقلت له : ما استعرت في دهري من أحد شيئاً فأعاد الرسالة^(١) ، فكتبت إليه هذه الأبيات :

عَنِيمَ فَأَطْغَامَ غَنَامَ فَأَغْتَنَّا
أَلَا مَالَكُمْ سُدَّتُمْ فِسَاءَ ظُنُونِكُمْ
عَسَى سَفَرَةٌ شَرْقِيَّةٌ حَلِيبِيَّةٌ
فَنَاعَتُنَا عَنْكُمْ وَمَنْ قَنَعَ اسْتَفَى
وَمِنْ عَادَةِ السَّادَاتِ أَنْ يُحْسِنُوا الظَّنَّ
تَرْجُو بِكُمْ مِنَّا وَتَغْدُو بِكُمْ عَنَّا

وأرسلها إليه ، فما فرغ من قراءته إلا بريدني وصل إليه أن يتوجه إلى حلب قاضياً .

ومن شعرا بن الرعّاد أيضاً قوله :

أَعِذْ نَظْرًا فَمَا فِي الْخَدِ نَبْتُ
وَلَكِنْ رَقَّ مَاءُ الْوَجْهِ حَتَّى
قُلْتُ : مَاخُذْ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

ولما استقلت أعين الناس حَوْلَهُ تراقبُه حيثُ استقلَّ وسارا
تمثلت الأهدابُ في صفو خَدِّهِ خيالاً فخالوا الشعرَ فيه عذارا
ولعلَّ هذا وما قبله منقول من قول ابن سناء الملك :

لَمْ يَهَيِّ إِلَّا هـَـوَاهُ وَلَا دُلَّ
مَا خَلَا خَذَهُ الصَّقِيلُ مِنَ الْخَا
لَ عَلَى السَّقَامِ إِلَّا دَلَالُهُ
لَ وَلَكِنْ سَوَادُ عَيْنِي خَالُهُ

(١) في الأصل : « فاد الرسالة » ، وعبارة الدرر نقلاً عن الأذفوي : « فأعاد السؤال » .

وزاده تصريحاً نحم الدين بن صابر المنجنيقي^(١) حيث قال :

أهلاً بوجه كالبدْر حُسناً صيرني حُبُّهُ هـلالاً
قد رَقَّ حتَّى لحظتُ فيه سوادَ عيني فخلتُ خالاً
وقال تاج الدين مظفر الذهبي :

لاح هلالاً وانثى مثقفاً وصال ليناً ورننا غزلاً
لولم تكن وجنته ماء لما خلت سواد العين فيه خالاً
وكلهم أخذه من الشريف البياضي^(٢) حيث قال :

بوجه شفاء ماء الحسن فيه فلو لثمت صحيفته لسالاً
يؤثر فيه لحظ العين حتَّى رأيت سوادها في الخد خالاً

١٥٧٢ - محمد بن سالم*

ابن نصر الله بن سالم بن واصل ، القاضي الإمام العلامة جمال الدين بن واصل الحموي الشافعي ، قاضي القضاة بحماة .

كان أحد الأئمة الأعلام ، والقائمين بجمع العلوم الخافقة الذوائب والأعلام .

برع في العلوم الشرعية وطلع كالشمس في الفنون العقلية ، وجمع شمل ما تفرق في العلوم الأدبية . صنف وجمع وآلف ، ودخل في كل فنٍّ وما تخلّى عنه ولا تخلف . وأفق واشتغل ودرّس ، وقضى وحكم وفصل لما علم وتفرس . وبعد صيته واشتهر ، وبرز على الأقران في الجدل ومهر . وغلب عليه الفكر إلى أن صار يذهل عن جلسيه ، ويغيب عن وجوده في حضرة أنيسه :

(١) يعقوب بن صابر بن بركات (ت ٦٢٦) ، وفيات الأعيان : ٣٥٧ .

(٢) مسعود بن عبد العزيز بن عبد الحسن (ت ٤٦٨) ، وفيات الأعيان : ١٩٧/٥ .

* الوافي : ٨٥/٣ ، ونكت الهميان : ٢٥٠ ، والشذرات : ٤٣٨/٥ .

وأدّيم نحو محمد بن نظري أن قد فهمتُ وعندكم عقلي
ولي القضاء مدة مديدة ، وفاز منها بالسيرة الحميدة . وأضرّ أخيراً ، وحاز بذلك
أجراً كبيراً .

ولم يزل على حاله إلى قُطْع عُمُر ابن واصل ، ولم يبقَ في حياته حاصل .
وتوفي رحمه الله تعالى يوم الجمعة ثاني^(١) عَشْرِي شَوَّال سنة سبع وتسعين وست
مئة .

ومولده بحجة في ثاني شوال سنة أربع وست مئة .

ودفن بترتبه بعقبة بيرين .

وقيل إنه كان يشغل في حلقاته في [ثلاثين]^(٢) علماً وأكثر ، وحضر حلقاته
نجم الدين دبيران المنطقي ، وأورد عليه إشكالاً في المنطق .

وكان قد جَهَّز عن صاحب مصر رسولاً إلى الأنبرور^(٣) ، فتوجّه ، فأعظمه
الأنبرور ، وسأله عن مسائل تتعلق بعلم المناظر وغيرها ، فأخذها ويات بها ، وأصبح
وقد أُملى الجواب عليها في مُجَلَّد صغير ، فعظم في عين الأنبرور وقال : يا قاضي
ما سألناك عن حلال ولا حرام في دينك الذي أنت فيه قاض ، وإنما سألناك عن أشياء
لا يعرفها إلا الفلاسفة الأقدمون ، فأجبت عنها ، وليس معك كتب ولا مائتتين به ،
مثلك يكون قسيساً ، وحسد المسلمين^(٤) عليه ، وزاد في تعظيمه وإكرامه ، وأحضر له
الأرغل وهو الآلة عندهم في الطرب ، ولا يضرب به إلا في أيام أعيادهم ، فقيل : إنه

(١) في الوافي : « رابع » .

(٢) زيادة من الوافي .

(٣) هو ملك الصقليتين .

(٤) في الأصل : « المسلمون » .

ما اهتز له ولا تحرك ، وعندهم إن أحداً ما يسمعه فيملك نفسه من الطرب ، إلا أنه لما قام وجدوا كغابهة كما حكها في البساط قد أدماها الحك ، وبقي أثر الدم في البساط ، فزاد تعجب الأنبرور منه أيضاً وأعطاه شيئاً كثيراً .

وحكى لي عنه الشيخ شمس الدين بن الأكفاني غرائب من حفظه وذكاؤه ، وحكى الحكيم السديد الديماطي عنه أنه تعشى ليلة عند الشيخ علاء الدين بن النفيس ، وصلينا العشاء الآخرة . قال : إلا أن القاضي جمال الدين كان يجتهد في البحث ويحمار وجهه ، والشيخ علاء الدين في غاية الرياضة ، ثم إن القاضي آخرأ قال : والله يا شيخ علاء الدين أما نحن فعندنا نكيتات ومواخذات وإيرادات^(١) وأجوبة ، وأما أنت فهكذا خزائن علوم ، هذا أمر بارع . أو كما قال .

وأخبرني شيخنا العلامة أثير الدين قال : قدم المذكور علينا القاهرة مع الملك المظفر صاحب حماة ، فسمعت منه ، وأجاز لي جميع مروياته ومصنفاته ، وذلك بالكبش من القاهرة في يوم الخميس التاسع والعشرين من المحرم سنة تسعين وست مئة . وهو من بقايا^(٢) من رأيانه من أهل العلم الذين ختمت بهم المئة السابعة .

وأثبتنا لنفسه مما كتب به لصاحب حماة الملك المنصور محمد بن مظفر :

يا سيِّداً ما زال نجمٌ سَعْدِهِ في قَلَمِكَ العِلياءُ يعلو الأنجَمُ
إحسانك الغمرُ ربيعٌ دائمٌ فلا نرى في صفرٍ مُحَرَّمٍ^(٣)

ومن شعر قاضي القضاة جمال الدين بن واصل أيضاً :

وأعيذ مصقول العِذارِ صَحْبَتَهُ ورَبْعُ سروري بالتأهْلِ عامِرُ

(١) في الأصل : « وإيرات » ، ولعلها محرفة عما أثبتنا .

(٢) في الأصل : « بقايا » .

(٣) في الأصل : « العمر » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وفيه : « فلم ير في صفر » .

وفارقتة حيناً فجاء بلحية
فكررت طرقي في رسوم جماله
« كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا
فقال مجيباً والفؤاد كأننا
« بلى نحن كنا أهلها فأبادنا
تَرُوعَ وَقَدْ دَارَتْ عَلَيْهِ الدَّوَائِرُ
وَأَنْشَدَتْ بَيْتاً قَالَهُ قَبْلُ شَاعِرُ
أَنْيَسَ وَلَمْ يُسْمَرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ^(١)
يَقْلُقُهُ فِي الْقَلْبِ مِنِّي طَائِرُ
صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودِ الْعَوَائِرُ

قلت :ومن مصنفاته (التاريخ) الذي له ، وكان مفرّج الكروب في دولة بني أيوب وله (مختصر الأربعين في أصول الدين) ، (شرح الموجز في المنطق) لأفضل الدين الخونجي ، و (شرح الجمل) له أيضاً ، و (شرح قصيدة ابن الحاجب) في العروض والقوافي ، و (التاريخ الصالح) ، و (مختصر الأدوية المفردة) لابن البيطار ، واختصر (الأغاني الكبير) ، وملكت به نسخة عظمى . وكان خطّه عليها بعدما أضرّ ، وكتاب (نخبة الأملاك في هيئة الأفلاك) .

١٥٧٣ - محمد بن سعد الله*

ابن مروان بن عبد الله القاضي الرئيس عز الدين ابن القاضي سعد الدين أبي الفضل ابن الشيخ الفقيه العدل بدر الدين الفارقي .

كان جيّد الكتابة يكتب المطالعة بديوان الإنشاء بدمشق ، وهو مرّشح لكتابة السر ، مشاراً إليه معظماً .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي رحمه الله تعالى في يوم الجمعة سابع عشرين ، شعبان سنة سبع عشرة وسبع مئة ، وعمره اثنان وخمسون سنة .

(٢) هذا البيت والبيت الأخير من أبيات لمضاض بن عمرو الجرهمي يتشوق مكة لما أجلتهم عنها خزاعة . (معجم البلدان) .

* الدرر : ٤٤٤/٣ .

وهو والد القاضي محيي الدين محمد ، وشهاب الدين أحمد ، كاتب الإنشاء بدمشق .

١٥٧٤ - محمد بن سعيد بن أبي المنى *

الإمام الفقيه بدر الدين الحلبي الحنبلي نزيل القاهرة .

سمع من التقي بن مؤمن ، والعزّ بن الفراء ، والأبرقوهي . ونسخ كثيراً ، وحصل وأفاد . وكانت فيه صفات حميدة .

قال شيخنا الذهبي : انتقيت له جزءاً حدّث به .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وسبعين وست مئة .

١٥٧٥ - محمد بن سعيد بن عبد الله **

تقي الدين المدني الحجازي ، قارئ الحديث بالمدينة النبوية .

كان أسود اللون ، فاضلاً في الأدب . ورَد إلى دمشق ، ثم توجه منها إلى القاهرة ، ليعود إلى المدينة .

فتوفي رحمه الله بالقاهرة في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة .

وسمع بالشام ومصر وكتب عنه من شعره شيخنا البرزالي .

ومولده في أحد الربيعين سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

* الدرر : ٤٤٦/٣ .

** لم تقف على ترجمة له .

١٥٧٦ - محمد بن سعيد بن محمد بن سعيد*

الصدر الرئيس الفاضل شرف الدين ابن الصدر شمس الدين بن الأثير الكاتب ،
تقدم ذكر والده .

كان شاباً حسنّاً عاقلاً ساكناً وقوراً ، كان قد أسره التتار في واقعة غازان فيمن
أسروه ، ومنّ الله عليه بالرجوع إلى وطنه ، وكان وصوله إلى دمشق في تاسع عشر صفر
سنة إحدى وسبع مئة ، فأصيب بوالده ، وترك له ميراثاً جيداً ، فلم يتمتع به .

وتوفي رحمه الله تعالى سابع ربيع الأول سنة ثلاث وسبع مئة ، وكان على طريق
حميدة ودفن عند والده .

١٥٧٧ - محمد بن سعيد بن ريان**

الطائي ، القاضي ، تاج الدين ابن الرئيس عماد الدين .

أول ما عرفت من أمره أنه كان كاتباً إنشاءً مجلب ، ثم إنّه حَضَرَ إلى القاضي
كريم الدين الكبير لما جاء لزيارة بيت المقدس^(١) في سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة ،
وأخذ كتابه إلى الأمير سيف الدين تنكز بأن يكون مباشراً بدمشق ، فتولّى نظر
بَعْلَبَك وأقام بها مدة ، ثم إنه توجه إلى حلب صاحب الديوان ، ثم إنه خرج منها في
واقعة لؤلؤ وعاد إلى دمشق وأقام بها على نظر البيوت وصحابة ديوان الجامع الأموي .

ودام على ذلك مدة ، ثم أصابته فالج فأقعده في بيته بقدر^(٢) أربع سنين أو أكثر ،
إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في بكرة الاثنين ثاني عَشري جمادى الآخرة سنة خمس
وخسين وسبع مئة .

* الدرر : ٤٤٦/٣ .

** الدرر : ٤٤٥/٣ .

(١) (خ) : « لزيارة القدس » .

(٢) (خ) : « تقدير » .

وكان - رحمه الله تعالى - شكلاً حسناً ، فيه رئاسة وسؤدد ، حسن الأخلاق كريماً ، يتجمل في ملبسه ومأكله ، ويكتب خطاً جيداً .

ورأيته يكتب الكتاب مقلوباً من الحسبة إلى البسمة في أي معنى اقترح عليه .
وبرع في كتابة الحساب والإنشاء .

ومات - رحمه الله تعالى - [و ^(١)] قد تجاوز الستين قليلاً .

١٥٧٨ - محمد بن سلمان بن حمائل بن علي*

الصدر الرئيس الفاضل شمس الدين المقدسي ، عُرف بابن غانم . وقد تقدم ذكر أولاده شهاب الدين أحمد ، وعلاء الدين علي ، وبهاء الدين أبو بكر .

قال شيخنا البرزالي : روى لنا [عن ^(٢)] ابن حمويه وابن الصلاح . وكان من أعيان الناس ، معروفاً بالكتابة والكفاية والمعرفة والتقدم وحسن المحاضرة ، وحصل كتباً نفيسة .

ولي التدريس بالعصرونية . وسمع أيضاً في سنة ثلاث وثلاثين وست مئة من الشيخ تقي الدين يوسف بن عبد المنعم بن نعمة بنابلس ، وسمع بدمشق من القرطبي وابن مسلمة وجماعة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شعبان سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة سبع عشرة وست مئة .

(١) زيادة من (خ) .

* تالي وفيات الأعيان : ١٥٦ ، والشذرات : ٤٥١/٥ ، والنجوم الزاهرة : ١٩٢/٨ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق ، ثابتة في الشذرات .

١٥٧٩ - محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين *

العلامة الزاهد جمال الدين أبو عبد الله البلخي الأصل ، المقدسي ، الحنفي المفسر ، المعروف بابن النقيب ، أحد الأئمة .

دخل القاهرة ، ودرس بالعاشورية ، ثم تركها وأقام بالجامع الأزهر مدة .

وكان صالحاً زاهداً متواضعاً عديم التكلف ، أنكر على الشجاعي إنكاراً تاماً ، بحيث إنه هابه وطلب رضاه . وكان الأكبر يترددون إليه ويلتمسون منه الدعاء .

سرف همته أكثر دهره إلى التفسير ، وجمع تفسيراً حافلاً ، جمع فيه خمسين مصنفاً . وذكر فيه أسباب النزول والقراءات والإعراب واللغات والحقائق في علم الباطن . قيل : إنه في ثمانين ^(١) مجلدة . ولهذا التفسير نسخة في جامع الحاكم بالقاهرة .

قال شيخنا الذهبي : سمعت منه حديث علي بن حرب ^(٢) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بالقاهرة في شهر الله المحرم سنة ثمان وتسعين وست مئة . ومولده سنة إحدى عشرة وست مئة .

وقال الفاضل كمال الدين الأدفوني في تاريخه (البدر السافر) في ترجمة ابن النقيب هذا : وله نظم ، منه يمدح الشيخ قطب الدين القسطلاني وهو قوله :

سألت أخاك البحر عنك فقال لي شقيقي إلا أنه الساكن العذب ^(٣)
لنا ديتاً ماءً ومالٍ ، فديمتي تأسك أحياناً وديمتك سكب
إذا نشأت تبريه فله الندى وإن نشأت مجريه فلي السحب

* الوافي : ١٣٦/٣ ، والفوات : ٣٨٢/٣ ، والشذرات : ٤٤٢/٥ ، والنجوم الزاهرة : ١٨٨/٨ .

(١) في الوافي والفوات : « خمسين » .

(٢) الطائي الموصلي (ت ٢٦٥) ، السير : ٢٥١/١٢ .

(٣) في الوافي (عند ترجمة ابن اللبانة) : « أخاه البحر عنه ... أنه البارد » .

أَقْلَّ عَلَيْهِ مِنْ سَاحِ صِفَاتِهِ فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يُدَاخِلَهُ الْعُجْبُ

قلت : كذا قال كمال الدين الأدفوي ، ونسب هذه الأبيات إلى ابن النقيب المفسر ، وليس الأمر كذلك ، وإنما هذه من قصيدة لابن اللبانة^(١) مدح بها المعتمد بن عباد وأولها :

بَكَتْ عِنْدَ تَوْدِيعِي فَمَا عَلِمَ الرَّكْبُ أَذَاكَ سَقِطُ الطَّلِّ أَمْ لَوْلُو رَطْبُ
وَتَابَعَهَا سَرَبٌ وَإِنِّي لَمُخْطِئُ نُجُومُ الدِّيَاجِي لَا يُقَالُ لَهَا سَرَبُ
وأظنُّ ابن النقيب كتب بها إلى ابن القسطلاني^(٢) مستشهداً بها على عادة الناس .
وأورد لابن النقيب أيضاً :

نَسِمَ الصَّبَا هَيَّجَتْ مِنْ قَلْبِي الْمَضْنَى فَنُوناً مِنَ الْأَشْوَاقِ تَفْنَى وَلَا تَفْنَى
وَعَهْدِي بِأَنْفَاسِ الصَّبَا تَبَرَّدَ الْجَوَى وَتَهْدِي مِنَ الْأَرْوَاحِ رَاحاً لِمَنْ أَنَا
فَمَا لِي إِذَا هَبَّتْ سَحِيرًا يَهْـزُنِي غَرَامٌ كَمَا هَزَّتْ جُنُوبِيَّةً غَضْنَا
وَمَا لِي إِذَا هَبَّتْ صَبَا شَامَ بَارِقٍ مِنَ الْحُزْنِ أَنْسَانِي صَمِيمَ الْحَشَا حَزْنَا

قلت : نعم هذا شعر ابن النقيب ، وإلا فأين هذه الطبقة من تلك الطبقة الأولى ، أين الثريا من الثرى .

١٥٨٠ - محمد بن سليمان بن أبي العز بن وهيب*

الإمام المفقي شمس الدين ابن قاضي القضاة صدر الدين الحنفي مدرّس النورية والعدراوية .

(١) محمد بن عيسى بن محمد الداني (ت ٥٠٧ هـ) ، الوافي : ٢٩٧/٤ .

(٢) محمد بن محمد بن الحسن ، ستأتي ترجمته .

* الوافي : ١٣٧/٣ ، والنجوم الزاهرة : ١٩١/٨ .

كان من كبار الحنفية مقصوداً بالفتوى ، أفتى ثيئاً وثلاثين سنة ، وناب في القضاء عن والده ، وكان منقبضاً عن الناس .

توفي - رحمه الله تعالى - نهار الجمعة سادس عشر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وست مئة .

وكانت له إجازة بعد سنة خمسين وست مئة ، ولم يحدث .

١٥٨١ - محمد بن سلمان *

الإمام المفتي وجيه الدين الرومي القونوي الحنفي ، إمام الرتبة .

كان شيخاً فاضلاً متواضعاً ، وليّ تدريس العزبة التي بالميدان ، وأعاد وأفتى .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة تسع وتسعين وست مئة .

١٥٨٢ - محمد بن سليمان بن عمر بن سالم **

الصدر الرئيس بدر الدين محمد بن قاضي القضاة جمال الدين الأذرعي المعروف بالزرعي .

كان رئيساً محتشماً قد باشر عدة أنظار بالديار المصرية ، وكان من أصحاب القاضي كريم الدين الكبير ، وكان قد سمع من ابن البخاري وزينب بنت مكي وجماعة ، وحديث بالقاهرة وبمنفلوط . وآخر ما تولى نظر الفيوم .

فتوفي - رحمه الله تعالى - فجأة في آخر جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

* الوافي : ١٢٧/٣ .

** الدرر : ٤٥٠/٣ ، وفيه : « ابن عمرو » .

١٥٨٣ - محمد بن سليمان بن سومر البربري الزواوي*

قاضي القضاة جمال الدين أبو عبد الله المالكي .

قدم الإسكندرية حدثاً ، وَفَّقَهُ بها ، وَبَرَعَ في المذهب ، وَفَرَّط في السَّماع من ابن رواج والسَّبَط .

ثم إنه سمع من أبي عبد الله المرسى ، وأبي العباس القرطبي ، والشيخ عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ أبي محمد بن بُرْطُلَّة . وعالج الشروط ، وناب في الحكم بالقاهرة ، وحكم بالشرقية وغير مكان .

ثم إنه قدم على قضاء دمشق فحكم بها ثلاثين سنة ، وكان حاكماً ذا صرامه ، قاضياً يبلغ بها الضعيف مرامه ، ماضي الأحكام بَتَاتاً^(١) ، أراق دم جماعة تعرضوا لجناب النبي ﷺ ، عارفاً بمذهبه ، عالماً بمقدمه ومُنْقَلبه ، لوراه مالك رضي الله عنه لَسَرَه ، وأشهب^(٢) لما ركب في إثره إلا المجره .

حَصَلَ له في آخر عمره فالج وعرشه ، وبقي على نطقه من العجز وحشه ، وكان لا ينطق إلا بمشقه ، ولا يأتي بالكلمة إلا حَسِيتَ شفته مُنْشَقَه ، وعجز عن العلامة ، واستناب من يكتب عنه من برئ عنده من الملامه .

وعزل قبل موته بقليل ، وبقي إلى أن سلك تلك السبيل ، ومضى إلى ربّه ذي المنّ والفضل الجزيل .

* الوافي : ١٣٧/٣ ، والبداية : ٨٤/١٤ ، والدرر : ٤٤٨/٣ ، والشذرات : ٤٥/٦ ، والدارس : ١/٢ ، وذبول العبر : ٩٣ .

ووقع في الأصل : « الراوي » ، تحريف ، وفي الوافي : « ابن سرور » .

(١) في الدرر عن الذهبي : « ثباتا » .

(٢) أشهب بن عبد العزيز العامري ، تلميذ الإمام مالك (ت ٢٠٤ هـ) . السير : ٥٠٠/١ ، ووفيات الأعيان : ٢٣٨/١ .

وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وسبع مئة .

عُزل قبل موته بنحو عشرين يوماً بالقاضي فخر الدين بن سلامة^(١) المالكي .

ومولد القاضي جمال الدين الزواوي في حدود سنة ثلاثين وست مئة ، ومات ولم يسرع إليه الشبهات .

وكان بمصر من أعيان العدول ، وناب في الشرقية والغربية ، وناب في القاهرة ، وترجّح لولاية القضاء بالقاهرة عقيب وفاة ابن شاش ، وتولي ابن مخلوف^(٢) ، ثم إنه تولى قضاء دمشق ووصل إليها في عاشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وست مئة ، واستمر بها قاضياً نحو ثلاثين سنة .

وظهر في أيامه مالم يكن معروفاً من مذهب مالك ، وعمر المدرسة النورية والصمصامية^(٣) ، وحصلت له رعية في وسط ولايته وكان يجد له مشقة ، وثقل لسانه عن الكلام أخيراً .

وحدث (بصحيح) مسلم و (الموطأ) رواية يحيى بن يحيى^(٤) ، و (بالشفاء) لعياض وغير ذلك .

١٥٨٤ - محمد بن سليمان بن أحمد بن يوسف *

الشيخ الصالح المقرئ الصنهاجي المراكشي الإسكندري ، إمام مسجد قذّاح .

(١) أحمد بن سلامة بن أحمد . سلفت ترجمته .

(٢) محمد بن علي (ت ٧١١ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل : « العصامية » ، ولا ذكر لها في النارس ، وأتبعنا ما في البداية والنهاية ، وانظر النارس : ٦/٢ .

(٤) يحيى بن يحيى الليثي (ت ٢٣٤ هـ) ، السير : ٥١٩/١٠ ، والكشف : ١٩٠٨/٢ .

* الوافي : ١٣٨٣/٣ ، والذّرر : ٤٤٧/٣ ، والشذرات : ٤٦/٦ ، وذيول العبر : ٩٦ .

سمع عبد الوهاب بن رواج ، ومظفر بن الفوي .

أخذ عنه الرحالون ، وكتب في الإجازات .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة سبع عشرة وسبع مئة .

١٥٨٥ - محمد بن سليمان بن حمزة*

ابن أحمد بن عمر ، ابن الزاهد أبي عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة ، قاضي القضاة عز الدين أبو عبد الله بن قاضي القضاة تقي الدين المقدسي الحنبلي .

وسمع الحديث من جماعة من أصحاب ابن طبرزد ، منهم الشيخ شمس الدين^(١) ، وابن البخاري ، وأبو بكر المهروي . وجدته خديجة بنت خلف ، وحببية بنت الشيخ أبي عمرو ، ومن جماعة غيرهم .

وخرّج له شمس الدين بن سعد^(٢) (مشيخة) عن أكثر من خمسين شيخاً . وأجاز له ابن عبد الدائم وجماعة .

واشتغل وحصل ، وقرأ الفقه على والده وغيره . وكان له محفوظ في الحديث . واستنابه والده في الحكم . وترك تدريس المدرسة الجوزية ، وكتب في الفتوى . وكان فيه عقل وحسن تودّد .

ولما مات والده باشر تدريس دار الحديث الأشرفية بالصالحية ، وانقطع في بيته مدة ولاية قاضي القضاة شمس الدين ابن مسلم الحنبلي ، ولمّا توفي ولّوه مستقلاً ، و [وصل]^(٣) توقيعه بذلك إلى دمشق في ثاني عشر ربيع الأول سنة سبع وعشرين

* البداية والنهاية : ١٥٤/١٤ ، والدُّرر : ٤٤٨/٣ ، والشُّذرات : ٩٦/٦ ، والدارس : ٤١/٢ .

(١) عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي (ت ٦٨٢ هـ) ، العبر : ٣٣٨/٥ .

(٢) يحيى بن محمد ، ستأقي ترجمته .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

وسبع مئة^(١) ، فباشره واختاره الناس لما تقدم لوالده من الحقوق^(٢) ، ولحسن خلقه وتودده ، وقضاء حوائج الناس .

وحجّ ثلاث مرات ، وحدّث في كل حجة منها ، وزار القدس مرّات ، وحضر بعض الغزوات ، وتولّى القضاء مستقلاً أربع سنين ولم يكملها . وكان له ورْد من التلاوة ، ومن الصلاة في الليل .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - يوم الأربعاء تاسع صفر سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، وحضر جنازته خلق كثيرة ، وكان يوماً كثير المطر والوحل ، ودفن بتربة الشيخ أبي عمّر .

ومولده في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وست مئة .

وولي المنصب بعده قاضي القضاة شرف الدّين أبو محمد عبد الله بن الحافظ .

١٥٨٦ - محمد بن سليمان بن أحمد*

تاج الدّين بن الفخر .

سمع من أبي عبد الله محمد بن غالب الجيّاني^(٤) بمكة ، ومن تقيّ الدّين بن دقيق العيد بالقاهرة ، ومن غيرهما .

(١) انظر : البداية والنهاية : ١٢٧/١٤ ، وفيه : أنه قرئ تقليده يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول .

(٢) في الأصل : « الحقوق » .

* الوافي : ١٢٩/٣ ، والطالع السعيد : ٥٢٤ ، والدّرر : ٤٤٧/٣ .

(٣) في الأصل : « ابن تاج ... » ، وأثبتنا ما في الوافي والدّرر . وفي الطالع : « ينعت بالتاج ويعرف بابن الفخر » .

في الأصل : « الجباني » ، وأثبتنا ما في الوافي والدّرر ، والطالع ، وهو محمد بن غالب بن سعيد الجباني (ت ٧٠٢ هـ) ، وستأتي ترجمته .

وحدّث بقوص وغيرها . واشتغل بالعلم . وكان متعبداً ممتعاً عن الغيبة وسماها^(١) .

له في السماع حالٌ حسنة ، وكتب الخط الجيّد ، وكتب كثيراً من الحديث والفقه وغير ذلك .

قال كمال الدّين جعفر الأُدفوي^(٢) : لَمَّا عُدَّ بعض الجماعة بقوص في أيام ابن السديد قام في ذلك وقصد أن لا يقع ، وتوجه إلى مصر وقال قصيدة سمعتها منه أولها :

شريعتنا قد انخلت عُراها فَحَيَّ عَلَى الْبُكَاءِ لِمَا عَرَاهَا
وأقام بمصر .

وتوفّي فيها - رحمه الله تعالى - سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

قلت : أنشدت بالقاهرة وقد تعدّل جماعة سقاط :

تَعُدَّلْ كُلَّ جَمْرِيٍّ بِمَصْرَ وشافَ إلى العَدَالَةِ كُلَّ جَمْرِيٍّ
فَقُلْ لِلْفَاسِقِينَ ازْنُوا تَزْكُوا ولا تتأخروا فالوقتُ بَدْرِيٍّ^(٣)

١٥٨٧ - محمد بن سليمان بن همام بن مرتضى*

الصّدر القاضي جلال الدّين ابن العدل وجيه الدّين ، المعروف بابن البيّاعة ، أحد كتّاب الإنشاء بدمشق ، وناظر ديوان الرّباع . كان أبوه من عدول القاهرة .

(١) في الأصل : « جماعة » ، وأثبتنا ما في الوافي والدُرر .

(٢) الطّالع السعيد : ٥٣٤ .

(٣) في الأصل : « زنوا » .

* الدُرر : ٤٥٠/٣ .

روى عن جعفر الهمداني وغيره ، وسمع منه علاء الدين الوداعي وغيره .

كان يَمْنِي نفسه بالوزارة ، ويزعم أن طيفها جاءه في النوم وزاره ، ويعد أصحابه بوظائف ، ويجعلهم في الذهن كباراً وهم ما بين حارس وطائف ، وله في ذلك آثار ، وعند رفاقه الموقعين أخبار .

ولم يَزَلْ على ذلك إلى أن مرض مرضة طول فيها ، وانقطع عَوَّاده وعدم تلافيها ، وانفلج أخيراً ، ولم يجد له في ذلك أَجْرَةٌ ولا أَجيراً ، ثم إنه أصبح ثالث التراب والمدر ، واتقبض عن الأحياء واتقبر .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة خمسين وست مئة .

وكان شيخاً طَوَّالاً ، مسترسل الذقن خفيفها ، وكانت له معرفة بابن الخليلي الوزير ، وصَحْبِهِ ، فمن هنا كان يحدث نفسه الأمانة بالوزارة ، وبلغت هذه الأمانة شمس الدين غبريال وكان يضحك منه ويهزؤ به ، وما ترتب له على ذلك إلا مصلحة من خلاص جامكيته وماله على الديوان .

جاء الأمير علاء الدين أَلْطَنْبغا من مصر متوجّهاً رسولاً إلى مَهَنَّا عن السلطان قبل أن يلي نيابة حلب ، فلمّا وصل إلى دمشق توجّه إليه صاحب شمس الدين وسلم عليه ، وقال : يا مولانا الساعة يجيء إليك شيخ طوال صفته كذا وكذا ، ونشتهي توهمه أنك سمعت هناك أنه يكون وزير الشام ، وجاء صاحب شمس الدين ، وطلب جلال الدين وقال له : يا مولانا كنا عند هذا الأمير ورأيناه يسأل عنك كثيراً ، وقال : لي معه كلام وأريد أجمع به ، رح إليه وعرفني أي شيء يقول لك ، فتوجّه إلى أَلْطَنْبغا ، فحالما رآه عرفه بالصفة التي قررها عنده صاحب شمس الدين ، فقام إليه وأجلسه إلى جانبه وتلقّاه ، وقال : توقّع مولانا بوزارة دمشق قد كتب في مصر ،

وكان السلطان رسم بأن أحضره إليك ولكن تَعَوَّق ليكون التّشريف قرينه ، وفي هذه الأيام يصل إليك . ويا مولانا أنا والله قد بشرتك والحلاوة أنك لاتنسانا ، فقال : بسم الله ، وبينما هم في هذا الحديث دخل الشيخ كال الدّين بن الزملكاني ، ولم يعلم القضية ، فجلس فوقه إلى جانب الأمير ، فتأذّى جلال الدّين وقال : هذا قلة أدب ، فقال له الشيخ كال الدين : إيش جرى ؟ فذكروا له طرفاً من ذلك وأن تقليده بالوزارة واصل في هذه الأيام . فقال له الشيخ كال الدّين : يا شيخ مسكين هؤلاء يضحكون عليك . فقام وخرَج مُغَضَباً .

وقال يوماً للشيخ شهاب الدّين أحمد بن غانم : بلغني أنك لمّا كنت في مصر سعت عند فخر الدّين ناظر الجيش حتى أبطل كتابة تقليدي ، فقال : والله يا مولانا مادلّة أكون أنا مشيرها وأنت وزيرها إلّا دولة خرا .

وكان قد أنزل عليه الشيخ تاج الدّين اليني^(١) ، وكان في زمن الأفرم بدمشق ، وكان ينشئ له ما يحتاج إليه في الدّيوان .

١٥٨٨ - محمد بن سليمان بن عبد الله بن سليمان*

المحدث الفقيه الفاضل تقّي الدّين الجعبري^(٢) ، الشاهد .

سمع من الحَجّار وطبقته ، وقرأ عليه^(٣) كثيراً ، وتخرّج بوالد حمّيه شيخنا الحافظ جمال الدّين المزّي^(٤) ، وقرأ على العامة ، وهو رفيقي في أكثر مسموعاتي بالشام ، وقد كنت أجزت له ولأولاده .

(١) هو عبد الباقي بن عبد الحميد بن عبد الله ، سلفت ترجمته .

* الدُّرر : ٤٤٩/٣ .

(٢) في (خ) زيادة : « الشافعي » .

(٣) ليست في (خ) .

(٤) عبارة الدُّرر : « تزوّج بنت المزّي ، وقرأ عليه » .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وسبع مئة .

١٥٨٩ - محمد بن سليمان بن أحمد*

القاضي شمس الدين القفصي ، بالقاف المفتوحة والفاء الساكنة ، وبعدها صاد مُهْمَلَة ، نائب الحكم العزيز المالكي بدمشق .

ناب لقاضي القضاة شرف الدين المالكي ، ومن بَعْدَه لقاضي القضاة جمال الدين الْمَسْلَاقِي ^(١) .

كان فيها بمذهب مالك رضي الله عنه ، خبيراً بالأحكام ، وفي لسانه عجمة المغاربة ، يجعل الثاء سيناً والجيم زايأ . وكان يَسْكُنُ المنيحة ^(٢) ، ويدخل المدينة كل يوم ويخرج منها . وكان إذا رأى في مجلس حكمه ما لا يعجبه قال بفمه ، وأشار بيده بالفحش ، ويقول للمرأة التي يتأذى منها : والكَ يا مومس .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في ثاني شَوَّال يوم الأحد سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

وكانت له مشاركة في العربيّة والأصول ، عفا الله عنه وسامحه .

وكان قد ولي نيابة الحكم في صَفَر سنة عشرين وسبع مئة ^(٣) .

١٥٩٠ - محمد بن شَرُّشِيق**

بكسر الشين المعجمة وبعدها راء ساكنة وسين ثانية معجمة وبعدها ياء آخر

* وفيات ابن رافع : ٣٠٩/١ ، والدُّرر : ٤٤٧/٣ .

(١) محمد بن عبد الرحيم بن عبد الملك المسلاقي (ت ٧٧١ هـ) ، وفيات ابن رافع : ٣٩/٢ .

(٢) من قرى دمشق بالغوطة . (معجم البلدان) . وتعرف اليوم (المليحة) .

(٣) البداية والنهاية : ٩٦/١٤ .

** الوافي : ١٤٩/٣ ، ونكت الهميان : ٢٥٣ ، والدُّرر : ٤٥٢/٣ .

الحروف ساكنة وقاف ، ابن محمد بن عبد العزيز بن عبد القادر بن صالح بن دوست^(١) بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحسن بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، الشيخ الإمام العارف الكامل شمس الدين أبو الكرم ابن الشيخ الإمام القدوة حسام الدين أبي الفضل ابن الشيخ الإمام القدوة جمال الدين أبي عبد الله ابن الشيخ الإمام علم الدين الزهّاد شمس الدين أبي المعالي ابن الشيخ الإمام قطب العارفين أبي محمد الجيلي الحسني الحنبلي المعروف بالحلي ، بكسر الحاء المهملة والياء آخر الحروف وألف بعدها لام ، والحيل : بلدة من أعمال سنجار .

حفظ القرآن العظيم في صباه ، والفقه للإمام أحمد ، وسمع الحديث وهو كثير من جماعة منهم الإمام فخر الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد البخاري المقيسي^(٢) بدمشق ، وأبو العباس أحمد بن محمد النصيبي^(٣) بحلب ، والإمام عفيف الدين أبو محمد عبد الرحيم بن محمد بن أحمد بن الزجاج^(٤) بمكة ، والإمام عفيف الدين أبو محمد عبد السلام بن محمد بن مزروع المصري البصري^(٥) بالمدينة الشريفة . ورحل وحدث ببغداد ودمشق والحيل وغيرها من البلاد .

وروى عنه جماعة منهم أولاده المشايخ حسام الدين عبد العزيز ، وبدر الدين حسن ، وعز الدين الحسين ، وظهير الدين أحمد ، ومحدث العراق تقي الدين أبو الثناء محمود بن علي بن محمود الدقوقي الحنبلي^(٦) ، والشيخ الإمام زين الدين أبو الحسن علي بن

(١) في الوافي : « ابن صالح جنكلي دوست » .

(٢) (ت ٦٩٠ هـ) ، العبر : ٣٦٨/٥ ، ووقع في الأصل : « أبو الحسين » ، سهو .

(٣) أحمد بن محمد بن عبد القاهر (ت ٦٩٢ هـ) ، العبر : ٣٧٤/٥ .

(٤) (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٣/٥ .

(٥) (ت ٦٩٦ هـ) ، الإعلام : ٢٩١ .

(٦) ستأني ترجمته .

الحسين بن شيخ العوينة الموصلية الشافعي^(١) ، والإمام بدر الدين محمد بن الخطيب الإربلي الشافعي ، وخلق .

كان مشهوراً بالصَّلاح والعبادة والزهد والسماح ، يكثر الغمام إذا سَحَّ ، ويتحقق البحر الزَّاهر معه أنه سَحَّ . وله هيبة في النفوس وعليه [وقار]^(٢) وناموس ، يعظّمه الناس وهو لا يعبأ بأمرهم ، ولا يلتفت إلى شواظ نارهم ولهب جرمهم ، وكان ملوك دار بكر يحبونه ويخدمونه ويحيّونه ويقبلون إشاراته ويَقْبَلُونَ على رسائله وإماراته ، ولهم فيه اعتقاد وانتفاء لما يؤثره منهم وانتقاد ، ومع ذلك مليح الخلق ، صبيح الخلق ، زائد الحشمه ، كثير الإحسان للناس والخدمه .

ولم يزل على حاله إلى أن حالت حياة الحَيالي وأبليت جدّته الأيام والليالي .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - يوم الجمعة سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده ليلة الجمعة منتصف شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وست مئة بالخيال .

وبيّته بيت رياسة وحشمة وسؤدد ومروءة . والخير والإحسان معروف بهم ، ولم تمسّ يد هذا الشيخ شمس الدّين من نشأته إلى موته فضة ولا ذهباً ، وجوده في تلك البلاد مشهور ، وكان له كشف وأحوال وحلم وتحمّل ، وهو وأهل بيته معروفون بمناصحة الإسلام ، ويكاتبون ملوك مصر ونواب أطراف بلاد الشام .

ولَمَّا كُنْتُ في الرحبة سنة تسع وعشرين وسبع مئة وما بعدها أهديت إليه قماشاً إسكندرياً وأهدى إليّ أشياء من طرائف سنجار ، ولم تزل رسله مدة مقامي بالرحبة تتردد إلى الرحبة وأخدمهم وأقوم بما يجب لأجله . رحمه الله تعالى .

(١) سلفت ترجمته .

(٢) زيادة يقتضيها السّياق .

١٥٩١ - محمد بن شريف بن يوسف*

الفاضل الكاتب المجيد صاحب الخط^(١) الفائق ، شرف الدين ابن^(٢) الوحيد الزرعي .

سافر إلى الحجاز^(٣) والعراق ، واجتمع بياقوت المجرّد^(٤) .

كان تامّ الشكل ، متأنقاً في اللبس والأكل ، حسن البزّه ، لذن المهزّه ، موصوفاً بالشجاعه ، وبالعبارة^(٥) السّادة والبراعه ، يتكلّم بعدة ألّسن ، ويأتي فيها بما يروق ويحسن ، وقد ضرب بحسن كتابته المثل ، وسار ذكرها في السهل والجبل ، لأنها أخلت زهرات الخائل ، وفاقت على [من]^(٦) تقدّمه الأوائل ، فلو رآه ابن البوّاب لجوّد تحت مثاله ، وعلم أنّ بدر هذا فاق على هلاله ، أو ابن مقله شخص إليه إنسانه ، وعلم أنه ماتلحق إجادته ولا حسانه ، أو الولي التبريزي لتحقيق أنه قد برّز وسبقه ، وأنه ما يشم ريحانه ولا محققه .

وكان قد فضح الأوائل والأواخر بفصاح نسخه ، وتفرد هو بكمال الخط وترك غيره يخبط في مسّخه ، فما أحقه بقول البستي^(٧) :

-
- * الوافي : ١٥٠/٣ ، وفوات الوفيات : ٣٩٠/٣ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٥٦ ، وفيات ابن رافع : ٩١/١ ، والدّرر : ٤٥٣/٣ ، والشذرات : ٢٧/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢٠/٩ .
- (١) في الأصل : « الحفظ » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الوافي .
- (٢) في الأصل : « أبو » ، وأثبتنا ما في الوافي .
- (٣) في الأصل : « العراق » بلا واو .
- (٤) هو ياقوت بن عبد الله المستعصي الرّومي (ت ٦٨٩ هـ) ، وفيات الأعيان : ١٢٢/٦ .
- (٥) في الأصل : « بالعبارة » .
- (٦) زيادة يقتضيها السياق .
- (٧) علي بن محمد بن الحسين (ت ٤٠٠ هـ) ، وهو شاعر عصره . وفيات الأعيان : ٣٧٦/٣ .

إِنْ هَزَّ أَقْلَامَهُ يَوْمًا لِيَعْمَلَهَا أَنْسَاكَ كُلَّ كَمِيٍّ هَزَّ عَامِلَهُ
وإن أقرَّ على رقٍّ أنْأَمِلِيهِ أقرَّ بالرقِّ كتابَ الأَنَامِ لَهُ

أما أنا فلا أرى أحداً مثله كتب في المحقق والريحان وفصاح النسخ ، لأنه ^(١) أتى في ذلك بالإبداع . وكان في حياته يبيع المصحف نسخاً بلا تجليد ولا تذهيب ^(٢) بألف درهم . وكان ابن تمام ^(٣) قد كتب عليه وحكى طريقه ، وكان يكتب المصاحف فيقول له : اكتب أنت المصحف وهاته إليّ ، فإذا أتى به يزن له أربع مئة درهم ، ويأخذ الشيخ شرف الدين فيكتب في آخره : كتبه محمد بن الوحيد ، ويبيعه هو بألف درهم .

وروى عنه البرزالي وقاضي القضاة جلال الدين القزويني .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح ابن الوحيد في قبره وحيدا ، وفقد الناس منه كاتباً فريداً .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في البيارستان المنصوري بالقاهرة في يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده بدمشق سنة سبع وأربعين وست مئة .

وكان يتكلم بعدة ألسن ، وكان يتهم في دينه . قيل : إنه وضع الخمر في دواته وكتب منها ^(٤) المصحف .

وأخوه علاء الدين ^(٥) مدرّس البادرائيّة كان ممن يحطُّ عليه ويذكره بكل سوء ،

(١) في الأصل : « لَأَنَّ » ، ولا تستقيم .

(٢) في الأصل : « تذهب » ، ولا تستقيم .

(٣) محمد بن أحمد بن تمام بن السراج (ت ٧٤٩ هـ) . الدرر : ٣١٢/٣ .

(٤) في الوافي : « بها » .

(٥) علي بن شريف بن يوسف الزُّرعي (ت ٧٤٤ هـ) . وفیات ابن رافع : ١٨٤/١ ، والدرر : ٥٥/٣ .

وكان قد اتصل بخدمة الجاشنكير^(١) قبل السلطنة وأعجبه خطُّه . فكتب له ختمة في سبعة أجزاء في ورق بغدادى قطع النصف بليقة ذهب ، قلم الأشعار ، دَخَلَ فيها ألف وست مئة دينار ليقة ، فدخل في الختمة ست مئة دينار وأخذ هو الباقي ، فقيل له في ذلك ، فقال : متى يعود آخر مثل هذا يكتب عليّ مثل هذه الختمة ، وزمّكها صندل^(٢) ، ورأيته أنا وهي وَقَفَتْ بجامع الحاكم بالقاهرة وما أظنها يكون لها ثان من حسننها ، ولَمَّا فرغَتْ أدخله الجاشنكير ديوان الإنشاء ، فما أنجب في الديوان ، فكانت الكتب التي تدفع إليه ليكتبها في أشغال الناس على القصص تبیت عنده وما تُتَنَجَّزُ ، وهذا تعجيز من الله تعالى لمثل هذا الكاتب العظيم . كما يحكى عن الحريري صاحب (المقامات) وأنه بعد عمل المقامات طلب إلى ديوان الإنشاء ببغداد فأعطاه صاحب الديوان كتاباً فكث فيه من بكرة النهار إلى الظهر وهو ينتف عُنُونَه ، ولم يفتح الله عليه بشيء حتى قال فيه ابن حَكِينَا^(٣) :

شَيْخٌ لَنَا مِنْ رَّيْعَةِ الْفَرَسِ يَنْتِفُ عُنُونَه مِنْ الْمَوْسِ
أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِالْمَشَانِ وَقَدْ أَلْجَمَهُ فِي الْعِرَاقِ بِالْخَرَسِ^(٤)

هذا وقد كان يوماً في بعض مجالس الأكابر ، فجرى ذكر البستي وقوله في رجلٍ بخيلٍ شريرٍ : إن لم يكن لنا طمع في دَرْكٍ دَرْكٍ فاعفنا من شَرِّكَ شَرِّكَ ، فلم يبقَ أحدٌ حتى استحسناها ، وأقرَّ بالعجز عن الإتيان بمثلها ، فقال الحريري في الحال : وإن لم تُدِننا من مَبَارِكٍ مَبَارِكٍ فأبعدنا عن مَعَارِكٍ مَعَارِكٍ .

(١) بيبس ، كما في الفوات .

(٢) في الوافي والفوات : « صندل للذهب » .

(٣) الحسن بن أحمد بن محمد ، من ظُرَافِ الشعراء الخلعاء (ت ٥٢٨ هـ) ، ووقع اسمه في بعض المصادر بالجم .

انظر : فوات الوفيات : ٣١٦/١ ، والبيتان الآتيان هما في وفيات الأعيان : ٦٥/٤ .

(٤) الذي في وفيات الأعيان هو :

أَنْطَقَهُ اللَّهُ بِالْمَشَانِ رَمَاهُ وَسَطَ الدِّيَّانِ بِالْخَرَسِ

قلت : وما لابن الوحيد والحريري إلا قول أبي الطيب ^(١) :

وتوهموا اللَّعبَ الوغى والطَّعنَ في الـ هيجاء غير الطَّعنِ في الميـدانِ

ولهذا ، إنَّه كما دخل ابن الوحيد ديوان الإنشاء بلغ القاضي شرف الدِّين بن فضل الله صاحب الديوان عنه كلام يفهم منه أنه يَنْقُصُ به ، فطلبه وقال : اقعـد . أعطوه درجين قطع الثلاثين ، وقال : أوصل أحدهما بالآخر وعجل ، فوصلهما . فقال : اكتب وعجِّل إلى صاحب الين وهذا قوائمه ، وزعِزْ أركانَه فيه ، وتوعِّدْهُ وهذا ، ثم لطَّفِ القولَ حتى لا ييأس ، ثم عُدَّ ببعض تلك الغلطة الأولى وعرفه أنَّ العساكر التي تجهزها إليه يكون أولها عنده وآخرها عندنا ، وذكره باصطناعنا لوالده قبله ، وأنه لو شئنا ما تركناه جالساً على سرير مملكته ، ولكن نحن نرعى هذا البيت الأيوبي ، ومن هذا وأشباهه . وعجِّل بكتابة هذا لأدخُلَ وأقرأه على السلطان ، فبهت شرف الدِّين وأسقطَ في يده وأرعدت فرائضه ، ولم يدر ما يقول ولا ما يكتب ، ثم إنه اعترف وقال : يامولانا والله ما أنا قدر هذا ، والعفو . فقال له : إذا كنت كذا فلا تكن بعدها تكثر فضولك . فاستغفر الله وخرَجَ .

وكان الشيخ شرف الدِّين شيخَ خطيبِ بعلبك وغيره ممَّن كتب عليه .

ونظَّمه فيه يُبسِّسُ قليل ، إلا أنه كان جيِّدَ العربيَّة ، عارفاً باللغة ، وله رسائل كثيرة وقصيدةٌ لامية سماها (سرُّ اللأم في مادة ^(٢) لامية العجم) .

وكان الله تعالى قد رمى بينه وبين محي الدِّين البغدادى ^(٣) حتى عمل له ذلك المنشور ^(٤) المشهور الذي أقطعه فيه قائم الهرمل وأبو عروق وما أشبه هذه الأماكن .

(١) ديوانه : ٤٧٦/٤ .

(٢) في الوافي : « في معنى » .

(٣) في الوافي : « ابن البغدادى » .

(٤) في الأصل : « النشو » ، وأثبتنا ما في الوافي والقوات .

ولقد وقفت أنا بالديار المصرية على كتاب (خواص الحيوان) وفي بعضه ذكر الضبع ، ومن خواص شعره أنه من تحمّل بشيء منه حدث له البغاء ، وقد كتب ابن البغدادى على الهامش : أخبرني الثقة شرف الدين بن الوحيد أنه جرب ذلك فصحّ مَعَه ، أو كما قال.

ومِمَّا ينسب إلى ابن الوحيد^(١) ، ورأيت له غيره :

وخضراء لا الحمراء تفعل فعلها لها وثبات في الحشا وثبات
تؤجج ناراً في الحشا وهي جنة وتبدي مريز الطعم وهي نبات
ومن شعر ابن الوحيد :

الله باري قوس حاجبه التي مدّت وإنسان العيون النابل
ولحاظه نبل لها من هدبه ريش وأفئدة الأنام مقاتل
ومنه :

جهد المغفل في الزمان مضيع وإن ارتضى أستاذه وزمانه
كالثور في الدولاب يسعى وهو لا يدري الطريق ولا يزال مكانه^(٢)

وكان السراج الوراق قد مرض في وقت ، فجهز إليه شرف الدين بن الوحيد أبلوجة سكر ومعها رقعة بخطه المليح ، فكتب إليه السراج ومن خطه نقلت :

أرسل لي ابن الوحيد لَمَّا مرّضتُ بالأمس جام سكر
ومدحّة لي بخطّه لي فقلتُ ذا سكر مكرّر
حلّى وحلّى فمي وجيـدي عقّد شرابٍ وعقّد جواهر

ووقف يوماً شيخنا ناصر الدين شافع على شيء من نظم [ابن] الوحيد فقال :

(١) في تفضيل الحشيشة على الخمر ، كما في الوافي والفوات ، والنجوم .

(٢) في الوافي والفوات : « فلا يزال » .

أَرَانَا يِرَاعُ ابْنِ الْوَحِيدِ بَدَائِعَا
بِهَا فَاتَ كُلَّ النَّاسِ سَبْقًا فَجَبَّدَا
فَقَالَ ابْنُ الْوَحِيدِ :

يَا شَافِعًا شَفَعَ الْعَلِيَا بِحِكْمَتِهِ
بَانَتْ زِيَادَةُ حَظِّي بِالسَّمَاعِ لَهُ
فَجَاءَنِي مِنْهُ مَدْحٌ صَيْغَ مِنْ ذَهَبٍ
فَكِدْتُ أَنْشِدُ لَوْلَا نُورُ بَاطِنِهِ
فَسَادَ مَنْ رَاحَ ذَا عِلْمٍ وَذَا حَسَبٍ
وَكَانَ يَحْكِيهِ فِي الْأَوْضَاعِ وَالنَّسَبِ
مُرْصَعًا بَلْ أَتَى أَهْلِي مِنَ الذَّهَبِ
«أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي»^(١)

فلما بلغت هذه الأبيات ناصر الدين شافعا قال :

نَعَمْ نَظَرْتُ وَلَكِنْ [لَمْ] أَجِدْ أَحَدًا
جَازَيْتَ مَدْحِي وَتَقْرِيطِي بِمَغْيَرَةٍ
وَزِدْتُ فِي الْفَخْرِ حَتَّى قُلْتُ مُنْتَسِبًا
بَانَتْ زِيَادَةُ حَظِّي بِالسَّمَاعِ لَهُ
كَذِبْتَ وَاللَّهِ لَنْ أَرْضَاهُ فِي عَمْرِي
جَازَيْتَ نَظْمِي وَقَدْ نَضَضْتَهُ دُرًّا
وَمَا فَهِمْتُ مُرَادِي فِي الْمَدِيحِ وَلَوْ
سَاتَبَعَ الْقَافَ إِذَا جَاوَبْتَ مُفْتَخِرًا
خَالَفْتُ وَزْنِي عَجْزًا وَالرُّوْيَ مَعًا
يَا مَنْ غَدَا أَوْحَدًا فِي قَلَةِ الْأَدَبِ^(٢)
وَالْعَيْبُ فِي الرَّأْسِ دُونَ الْعَيْبِ فِي الذَّنْبِ^(٣)
بِخَطِّكَ الْيَاسِ الْمَرْئِي كَالْحَطَبِ
وَكَانَ يَحْكِيهِ فِي الْأَوْضَاعِ وَالنَّسَبِ
يَا ابْنَ الْوَحِيدِ وَكَمْ صَنَّفْتَ مِنْ كَذِبٍ
يُرِوقُ سَمْعَ السُّورَى دُرًّا بِمَحْتَلِبِ^(٤)
فَهِمَّتْهُ لَمْ تُوجِّهْهُ إِلَى الْأَدَبِ
بِالزَّايِ يَا غَافِلًا عَنْ سُورَةِ الْغُضْبِ
وَذَاكَ أَقْبَحُ مَا يُرَوَى عَنِ الْعَرَبِ

(١) هو الممتنبي وعجزه : « وأسَمِعْتُ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمٌّ » ، ديوانه : ٣٦٧/٣ .

(٢) الزيادة من الوافي والفوات . وفي الفوات : « غدا واحداً » .

(٣) في الأصل : « بمغيرة » ، وأثبتنا ما في الوافي . وروي صدر البيت في الفوات بلفظ :

« عيّرني ، بمعنى أصبحت تذكره »

(٤) في الوافي : « دَرَيَ وقد نضضته كلاً » . وفي الأصل : « بمخشب » ، ولم نقف على ذكر لها في المعاجم ، وأثبتنا ما في الوافي .

قلت : ابن الوحيد - رحمه الله تعالى - معذور في العدول عن الوزن والقافية لأنه ما كان يجد في ذلك الوزن والقافية مثل قول أبي الطيّب : « أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي » ، فإن ناصر الدّين كان ذلك الوقت قد أضّر ، وقد احتراز ابن الوحيد بقوله : « لولا نور باطنه » احترازاً ، لكنه ما أفاده مع تسرّع ناصر الدّين شافع ، ورحم الله كلاّ منهما .

وأخبرني شيخنا الحافظ فتح الدّين محمد بن سيّد الناس اليعمري - رحمه الله تعالى - قال : كان شرف الدّين بن الوحيد الكاتب [يقول في] ^(١) قول القائل : « النبيذ بغير الدّسم سُم ، وبغير النّغم غم » : هاتان السّجعتان ما وقع لهما ثالث ^(٢) ، وهو قولي : « وبغير الملبيح قبيح » .

قلت أنا : ما كان ابن الوحيد - رحمه الله تعالى - لمح فيهما من الجناس المرقص والمطرب ، ولو أن الأمر راجع إلى السّجع فقط أو إلى الوزن فقط عمل الناس مجلدات من هذا النوع ، ولكن أنا تكلفت لهما ثالثاً : « وبغير النّهم هم » ، أعني أن الإكثار من الشراب سبّب الانسراح والسرور ، على العادة من كلام الذين أولعوا بالشراب وبالغوا في الإكثار وحثّوا على معاقرته .

١٥٩٢ - محمد بن شكر *

الشيخ الإمام الفاضل شمس الدّين الديري الشافعي الناسخ .

كتب ما لا يحصى كثرة ، وكان مُقرّئاً بالسّبع ، وكان يعرف علم الحرف ويتكلم عليه جيّداً إلى الغاية ، وله مشاركة في علوم كثيرة ، وأظنه كتب في المصطبة في وقت . والله أعلم .

(١) زيادة لعل السياق يقتضي نحوها .

(٢) في الأصل : « ثالثاً » ، ولا تستقيم ، وسياق كلامه يدلّ على أنه ما وقع لهما ثالث إلاّ عنده .

وكانت له عناية بتصانيفي ، لا يسمع بشيء منها إلا ويكتبه لنفسه أولاً وللناس ثانياً ، وكتب من الكتب الستة الصحاح كثيراً ، ومن كتب الفقه المطولة كثيراً .
ثم إنه آخر الحال أقام بدار الحديث الأشرفية يرتزق بالنسخ إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة وقد ^(١) قارب التسعين .
عفا الله عنه .

١٥٩٣ - محمد بن الشنكي *

بالشين المعجمة والنون الساكنة وبعدها باء موحدة وكاف ، ناصر الدين .
كان من ظرفاء القاهرة ، ساكناً خيراً ، يلعب بالعود ويلوذ بالقاضي جمال الدين
رئيس الأطباء ، ورأيته بسوق الكتب مرات وكتب إليّ يوماً :

أيا صلاح الدين يافاضلاً لفظك ما أسمى وأسناه
كالدرّ منظم وماءً وإن كان منشوراً فما أغلى وأعلاه
إن دار بين الشرب في أكؤس الـ أفواه ما أجلا وأحلاه
ما الزهر ما الزهر إذا استمتعوا منه برؤياه ورياه
فيطرب السمع لألفاظه ويرقص القلب لمغناه
فكتبت أنا الجواب إليه :

ياناصر الدين الذي نظمته قد زان مغناه ومغناه
أتحفتني منه بشعر غدا كالزهر مرأه ورياه
فلفظته إن حال في منطق حلاه أو في السمع حلاه
يحكي حياك الكريم الذي حياه لي الله وحياه
كذا يكون الشعر يامالك ماكل من أنشاه وشاه

(١) في الأصل : « قد » .

* الدرر : ٤٥٦/٢ ، وفيه أن وفاته بعد سنة ٧٤٠ هـ .

١٥٩٤ - محمد بن شهري*

الأمير شجاع الدين متولّي بعلبك .

توفي يوم الأحد خامس شهر رجب سنة تسع وتسعين وست مئة ، ودفن بمقبرة اللوزة يوم الاثنين .

١٥٩٥ - محمد بن صالح بن حسن**

شمس الدين بن البنا القفطي الشافعي .

كان فقيهاً أديباً شاعراً ، أخذ الفقه والأصول عن الشيخ مجد الدين بن دقيق العيد وتلميذه بهاء الدين القفطي ، وتولّى الحكم بسمهود والبليّنا وجزّجا وطوخ^(١) .

وكان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد يُكرمه ، وتوجّه صحبته إلى دمشق ، وسمع منه . قال ابن الوالي : قد سمع منه بقوص .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة ثمان وتسعين وست مئة .

١٥٩٦ - محمد بن صبيح بن عبد الله***

بدر الدين ، رئيس المؤذنين بالجامع الأموي بدمشق المعروف بالتفليسي ، لأن والده كان عتيق امرأة كانت ابنة كمال الدين التفليسي^(٢) التاجر ، وتارة كان ينتسب إلى الكرخي^(٣) .

* لم تقف على ترجمة له .

** الوافي : ١٥٧/٣ ، والطالع السعيد : ٥٢٥ .

(١) في الأصل : « طوح » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .

*** الوافي : ١٥٨/٣ ، والدّرر : ٤٥٨/٣ ، والبداية والنهاية : ١٢١/١٤ ، وفيه : « أحمد بن صبيح » .

(٢) عمر بن بNDAR بن عمر (ت ٦٧٢ هـ) ، العبر : ٢٩٨/٥ .

(٣) وفي البداية والنهاية : « أبوه مولى لامرأة اسمها شامة بنت كامل الدين التفليسي امرأة فخر الدين الكرخي » .

سمع على أبيك الجمالي^(١) سنة سبع وخسين وهو حاضر في الخامسة ، وسمع بعد ذلك على ابن عبد الدائم ، وعمر الكرمانى ، وأبي بكر بن النشبي ، وأحمد بن نعمة المقدسي ، وغيرهم .

وقرأ القرآن على الشيخ يحيى المنبجي^(٢) . وكان حسن الصوت في القراءة والأذان والتسبيح موصوفاً بذلك مشهوراً في البلاد ، سمع منه الطلبة وأمّ بنائب السلطنة مدة ، وولي حِسبة الصالحية والإشراف على الجامع الأموي . وكان يقرأ في المصحف على الكرسي عقيب صلاة الصبح ويخرج أمام الخطيب يوم الجمعة بالسواد .

توفي - رحمه الله تعالى - في ذي الحجة سنة خمس وعشرين وسبع مئة بخانقاه الطواويس .

ومولده تقريباً سنة اثنتين وخسين وست مئة .

١٥٩٧ - محمد بن أبي طالب الأنصاري الصوفي *

شمس الدين المعروف بشيخ حطّين أولاً ، ثم أخيراً^(٣) بشيخ الربوة . رأيته بصفد مرات ، واجتمعت به مُدَّة مديدة .

كان من أذكى العالم وأقوياء الفهم الذي من رَزَقَه فقد سلم وسالم . له قدرة على الدخول في كل فن ، وجرأة على التصدي لكل ما سَنَحَ في الأذهان وعنّ ، رأيته له عدة من التصانيف في كل علم حتى في الأُطعمه ، وكلّ ما يعمل على النار المُضَرَمه ، وفي أصول الدين على غير طريق الأشاعره ، ولا طريق الاعتزال ولا الحشوية^(٤) المتظاهره ، لأنه

(١) عز الدين الأمير ، سلفت ترجمته .

(٢) في الأصل : « محي » ، تحريف ، وكان من أصحاب أبي عبد الله الفاسي (ت ٦٧٦ هـ) . الشذرات : ٣٥٤/٥ .

* الوافي : ١٦٣/٣ ، والذُرر : ٤٥٨/٣ .

(٣) في الوافي : « آخرأ » .

(٤) هم المشبهة ، ولا مذهب لهم منفرد .

لم يكن له علم . وإنما كان ذكياً ، وعقله بفهم الغرائب زكياً ، فكنت يوماً أراه أشعرياً ، ويوماً أراه مُعتزلياً ، ويوماً أراه حشويّاً ، ويوماً أراه يرى رأي ابن سبعين وقد نحا طريقه ، وتكلم على العرفان والحقيقة . نعم كان يتكلم على الأوفاق ووضعها ، وحفظها فيما يستعمله ورفعها ، ويتكلم على أسرار الحروف كلاماً مناسباً ، ويدّعي أنه لا يرى دونه في ذلك حاجباً ، ويعرف الرمل ويثبته ضرباً ، ويدريه جنساً ونوعاً وضرباً .

وكان ينظم نظماً ليس بطائل ، ويستعير فيه ما يريده من جميع القبائل ، وكان قد لحقه صَمٌّ ، وحصل به له ولن يعرفه أَلَمٌ ، ثم أَضُرَّ بأخرة من عينه الواحد ، وبقي رحمة لمن يراه عدوّاً أو عنده له معانده .

ولم يزل على حاله إلى أن رأى عين اليقين ، وعلم أن معارات الدنيا ^(١) لا يحمين من الموت ولا يقين .

وتوفي - رحمه الله تعالى - فيما أظن في جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وسبع مئة ^(٢) بصفد .

ومولده سنة أربع وخمسين وست مئة .

نقلته من خط شيخنا البرزالي .

كان ذكياً وعبارته حلوة ، ماتمّل محاضراته ، وكان يدّعي عمل الكيمياء ، ودخل على الأفرم وأوهه شيئاً من ذلك ، فولاه مشيخة الربوة ، والظاهر أنه كان يَعْلَمُ منها ما يندع به العقول ، ويتلعب بالألباب الأغمار ، ولما جاء إلى صفد ورأيت به كان شيخ قرية علمين الفقراء ، وهي قرية عند قرية مفران ^(٣) بالقرب من الشريعة عند جسر يعقوب ، وقَفَ السلطان صلاح الدّين يوسف تغمّده الله تعالى برحمته .

(١) معارات الدنيا أي : ماتميره الدنيا .

(٢) وكان ذكر في الوافي أنه توفي سنة ٧٢٥ هـ .

(٣) كذا رسمت في الأصل .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : ومولده بزاوية جده الشيخ أبي طالب بقصر حجّاج بدمشق .

قال الشيخ علم الدين البرزالي : وأعرف جدّه أبا طالب ، وكان صالحاً يصلي الجمعة دائماً تحت النسر ، انتهى .

قلت أنا : وهو شيخ النجم الخطيبي^(١) المعروف بنَجِيم الذي سَرَّهُ السلطان الملك الناصر بالقاهرة وجَهَّزَه إلى دمشق مَسْرَراً على جمل ، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى في حرف النون مكانه ، وكان هذا النجم يخدمه ، وهو شيخ الخانقاه بحطين من بلاد صفد ، ووردَ عليهم إنسان في تلك المدة أضافوه على العادة ، وكان هذا النجم رأى مع الضيف ذهباً ، فاتّبعه لَمَّا سرى من الخانقاه ، وقتله في الطريق وأخذ ذهبه ، وبلغت القضية نائب صفد الأمير سيف الدين كراي ، فأحضر الشيخ شمس الدين وضربه ألف مَقرعة ، على ما قيل ، وعوقب زماناً ، ثم أفرج عنه ، ثم إن هذا النجم كان بعد ذلك يؤذي الشيخ . حكى لنا الشيخ شمس الدين قال : كنت أخافه على نفسي ، فأنام في الربوة وأغلق باب المكان وهو محدود ، وأستوثق من الأقفال وغيرها ، وأكون نائماً آمناً ، وما أشعر به إلا وقد أيقظني فأفتح فأرى السكين في يده مُجَرَّدة^(٢) ، ويقول : يا أفخاذ الغنمة ، ما تريد أن أفعل بك ؟ قال : فأدخل بكلّ طريق من ضروب الخداع والتلطف أنه أيّ فائدة في قتلي ، وفرضنا أني قتلت ، فهل في هذا فائدة تحصل ، ولا أزل أخدعه حتى يمضي ويتركني .

وأنشدنا لنفسه ومن خطّه نقلت :

الله أكبر يا الله من قَدَر حَارَتْ عَقُولُ أُولِي الْأَلْبَابِ فِي صَدْرِهِ^(٣)
نَجِمٌ بِهِ كُسِفَتْ شَمْسٌ وَذَا عَجَبٌ أَنْ يَكْسِفَ الشَّمْسَ جُرْمُ النَّجْمِ مَعَ صِغَرِهِ

(١) في الأصل : « الخطيبي » ، وأثبتنا ما في الوافي والدُرر .

(٢) في الأصل : « مجرّة » .

(٣) في الأصل : « أولو » ، ولا تستقيم .

ولم يزل الشيخ شمس الدين مُروّعاً من هذا النجم إلى أن سَمُر . وكان ما يسمّيه بعد ذلك إلا الهالك ، ويكني عن نفسه بالشخص . فيقول : جَرَى للشخص مع الهالك كيت وكيت ، وما كانت حكاياته عنه تَمَلُّ ، لأنه يؤديها بعبارة فصحي وَيَنَمِّقُها ويزمُّكها .

وجمع هذا الشيخ كتاباً في علم الفِرَاسة سَمَّاه (كتاب السياسة في علم الفِرَاسة)^(١) كتبته بخطي مِنْ خَطِّه ، وتناولته منه بصدد ، ولم أر في كتب الفِرَاسة مثله ، وقد تَقَلَّه مني جماعة أفاضل بمصر والشام منهم الشيخ شمس الدين الأُكفاني ، لأنه جَمَعَ فيه كلام الشافعي رضي الله عنه وكلام ابن عربي وكلام صاحب المنصوري وكلام أفلاطون وكلام أرسطو ، فجاء حسناً إلى الغاية .

ولحقه صَمَمٌ زائد قبل موته بعشرة أعوام ، أَضَرَّت عينه الواحدة . وتوفي ببارستان الأمير سيف الدين تنكز بصدد رحمه الله تعالى .

كان من أفراد العالم وله في كلِّ شيء يَتَلَحَّث فيه مصنف .

وأنشدني من لفظه لنفسه ، ومن خطه نقلت ، في مליح كان يميل إليه ، وتوكل بقرية قَرَادِيَّة من عمل صفد ، ولاه الحاكم بصدد هذه الوكالة :

قُلْ لِلْمُقِيمِينَ بِفَرَادِيهِهِ	مَنْ ذَا الَّذِي أَفْتَى بِإِفْرَادِيهِهِ
وَمَنْ لِحَيْنِي فِي الْهَوَى عَامِداً	أَصْدَرَنِي مِنْ قَبْلِ إِفْرَادِيهِهِ
وَمَا الَّذِي أَوْجَبَ هَجْرِي وَأَنْ	تَقْصِدَ الْأَثْرَاكَ أَكْرَادِيهِهِ
فَقِيلَ مَتَ فِي حَبِّهِمْ أَوْ فَعِشْ	فَبِالْمَقْتُولِ الْهَوَى مِنْ دِيهِهِ ^(٢)
وَهَجْرُكَ الْحَكْمَ الْعَزِيزَ اقْتَضَى	مِنْ غَيْرِ مَا ذَنْبٍ وَلَا عَادِيهِهِ
وَأَنَا سُنَّةُ أَهْلِ الْهَوَى	تُغَايِرُ الْحُضَارَ وَالْبَادِيهِهِ

(١) وهو مطبوع ، كما في الأعلام : ١٧٠/٦ .

(٢) في الأصل : « فقيل : فت ... لقتول » .

ونقلت من خطه له :

لِلنَّفْسِ وَجْهَانِ لَا تَنْفَكُ قَابِلَةً
كَنْحَلَةٍ طَرْفَاهَا فِي مَقَابِلَةٍ
مِمَّا تُقَابِلُ مِنْ عَالٍ وَمُسْتَفِلٍ
فِيهَا مِنَ اللَّسَعِ مَا فِيهَا مِنَ الْعَسَلِ

ونقلت من خطه وأنشديه :

نَظَرَ الْهِلَالَ إِلَيْهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ
وَرَأَاهُ أَحْسَنَ وَهُوَ بِدَرٍ فَهُوَ مِنْ
فَرَأَاهُ أَحْسَنَ مَنَظَرًا فَتَزَيَّيْدَا
غَمٌ يَذُوبُ وَيُضَحِّلُ كَمَا بَدَا^(١)

ونقلت من خطه له :

يَا مَنْ تَعَالَى أَنْ يَجُوزَ بِذَاتِهِ
أَنْتَ الْعَلِيِّ عَنِ الصِّفَاتِ بِأَسْرِهَا
وَصِفَاتِهِ التَّلْوِيحُ وَالتَّصْرِيحُ
لَكِنْ تَنْزِلُكَ اللَّطِيفُ يَبُوحُ
وَالْقَوْلُ مَنْ أَعِنْدَ كُلِّ تَعَقُّلٍ
وَتَحْيَلُ وَتَوْهَمُ سُبُوحُ

ونقلت من خطه له ، يعني نفسه :

تَأَذَّبَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مِنْ يَنْظُرُهُ
وَدَارَسَ مَا فِيهَا فَلَمْ يَرِذَا حَجِيَّ
وَحَتَّى قَلَّتْهُ كُتُبُهُ وَدَفَاتِرُهُ
وَذَا أَدَبٍ مِمَّا يَرَاهُ يُحَاوِرُهُ
وَطَابَ بِهِ الْحِرْمَانُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وِظْلٌ إِلَيْهِ الْفَقْرُ تَسْعَى بِوَادِرِهِ
فَلَوْ رَامَ بَحْرًا زَاخِرًا وَهُوَ ظَامِي
يُحَاوِلُ مِنْهُ شَرْبَةً غَاصَ زَاخِرُهُ

وكان يعرض شعراً كثيراً عليّ وأغْيَرُ مِنْهُ كَثِيرًا .

وكان صبوراً على القلة والفقر والوحدة ، كثير الآلام والأوجاع . وكان به انفتاح في أنثييه يثور به كل قليل ويقاسي منه شدة ، وكان قد كبر سنّه وأنقى شبّه . والذين رأيتهم يقومون بعلم الفراسة ثلاثة : شيخنا نجم الدّين بن الكمال الصفدي الخطيب رحمه الله تعالى ، وهذا الشيخ شمس الدّين ، والحكيم أسد اليهودي ، وكان أصدقهم

(١) في الدُّرر : « ورأه أحسن منه بدرأ فهو من ... » .

فراصة أسد اليهودي ، ولكنه لما رأى هذا المصنّف الذي ذكرته لشيخ الربوة معي بحلب سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة وطلبه مني لينسخه ، فأبيت ، ثم طلبه بدمشق ، ثم طلبه بالقاهرة وما اتفق إعطاؤه .

١٥٩٨ - محمد بن طرنطاي*

الأمير^(١) ناصر الدّين ابن الأمير الكبير حسام الدّين ، أمير مئة مقدم ألف بالديار المصرية .

وكان قد اتصل ببستان ابنة الأمير سيف الدّين قبجق نائب الشام ، أظنها كانت أولاً زوجة الأمير سيف الدّين كراي المنصوري نائب الشام .

كان جيّداً خيراً ، سليم الباطن ، وعنده ثلاثة ممالك اسم أحدهم (حلب) والآخر (مصر) والآخر (دمشق) ، وهو ابن الأمير حسام الدّين طرنطاي نائب الديار المصرية لأستاذه الملك المنصور .

وحجّ الأمير ناصر الدّين أربع مرات .

وكان قد أجاز له ولأخوته سنة سبع مئة الحافظ شرف الدّين الدمياطي ، والأبرقوهي .

وتوفي - رحمه الله تعالى - ليلة الخميس تاسع شهر رجب الفرد سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بمدرسة والده داخل القاهرة .

١٥٩٩ - محمد بن طُغريل الصيرفي**

المحدّث ، المُخرّج ، مفيد الطلبة ، ناصر الدّين الدمشقي .

* الدُّرر : ٤٥٩/٣ ، والنُّجوم الزاهرة : ٢٨٧/٩ .

(١) في الأصل : « ابن الأمير » سهو .

** الوافي : ١٧٢/٣ ، ووفيات ابن رافع : ١٦/١ ، والدُّرر : ٤٦٠/٣ .

روى عن أبي بكر بن عبد الدائم ، والمطعم . وقرأ الكثير . وسمعت بقراءته (صحيح) مسلم على البندينجي الصوفي وغير ذلك . وكان سريع القراءة فصيحا يأتي فيها إتيان السيل إذا تحدر ، لا يكثر ولا يدأب فيها .

توفي - رحمه الله تعالى - غريباً في حمة سنة سبع وثلاثين وسبع مئة ولم يتكهل أو بلغ الأربعين .

قال شيخنا شمس الدين الذهبي : جيد التحصيل ، مليح التصريح ، كثير الشيوخ ، حسن القراءة ، ضعفوه من قبل العدالة ، ثم ترددنا في ذلك وتوقفنا ، فالله يصلحه ، ولو قبل النصح لأفلح .

قلت : لم يطعنوا عليه إلا لأنه إذا قرأ قلب الورقتين والثلاث ، والله أعلم .

١٦٠٠ - محمد بن طغلق شاه*

السلطان الأعظم العادل الفاضل أبو المجاهد ، صاحب دهلي وسائر مملكة الهند والسند ومكران والمُعبر ، وكان يخطب له بمقدشوة وسرنديب وكثير من الجزر البحرية .

ورث المُلْكَ عن أبيه طغلق شاه ، مَلِكٌ هو إسكندر زمانه ، وحاكم الأرض في عصره وأوانه ، قد دَوَّخَ البلاد ، ودخل في طاعته العباد ، يحكم على بلاد الهند ، وما دخل في مسمى السند ، ليس في ملوك الأرض من يدانيه في اتساع ملكه ، ولا من ينخرط دُرّ بلاده في سلكه ، تُكَاثِرُ الرمال عساكره ، وتفاخر النجوم جواهره ، وتغامر البحار الزاخرة ذخائره ، وتُحْصَى الحصى قبل أن تحصى مآثره إذا تغلغل طَرْفُ المرء في طَرْفٍ من ملكه غرقت فيه خواطره ، كريم بَخْلُ الغمام ، وجواد أضحت هباته هي الأطواق والناس الحمام ، تفرق البحار في فضاء كرمه ، وتستحي السيول أن تظاً مواطئ حرمه ، قد وسع الناس طَوْله ، وشملهم بالإحسان فِعْله وقَوْلُه ، مأمته عاف إلا

وتلقاه الغنى ، وسرى^(١) الفقر عنه^(٢) والعنا ، ونوّله في مبادي جوده غايات المنى :

وغير كثير أن يزورك راجِلٌ فيرجع ملكاً للعراقيين وإلياً^(٣)

وأما تواضعه لله تعالى مع هذه العظمة فأمر عجيب ، وفعل لا يصدر إلا ممن إذا دعاه الهدى يجب .

وأما محبته لأهل العلم فشيء زاد على الصفة ، وعجزت عن إدراك كنهها بنت كل شفة ، يجعلهم ندماء الخواص وجلساء الذين هم في بحر كرمه غواص ، يتقرب إليهم بالكارم ، ويحكمهم في أمواله كما يحكم في فريسته الليث الضبارم^(٤) .

لم يزل على حاله إلى أن أوحش^(٥) منه إيوانه ، وما أغنى عنه ماله وهلك عنه سلطانه^(٦) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة تقريباً .

مما يستدل به على عظمة هذا السلطان أنه ورد في وقت كتابته إلى سلطاننا الأعظم محمد في مقلة ذهب وزنها ألفا دينار ، وهي مرصعة بجوهر قوم بثلاثة آلاف دينار .

وكنت يوماً عند الأمير عز الدين أيدمر الخطيري وقد جاء إنسان في زي فقير ، فقال : يا خوند أنا جئت في جملة من أرسله السلطان صاحب الهند محمد بن طغلق

(١) (س) : « وتبرأ » .

(٢) (خ) : « منه » .

(٣) البيت للمتي ، ديوانه : ٢٩٠/٤ .

(٤) الضبارم : الجريء على أعدائه .

(٥) (س) ، (خ) : « استوحش » .

(٦) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ☆ هَلَكَ عَنِّي بُلُطَانِيهِ ﴾ [سورة

الحاقة : ٢٨/٦٩ - ٢٩] .

شاه ، وسبب الرسالة أن السلطان فتح تسعة آلاف مدينة وقرية أو قال : تسعة عشر ألف ، وأخذ من ذلك ذهباً عظيماً يتجاوز الحدّ والوصف ، وانتعل من مدينة دهلي كرسي مملكه إلى وسط هذه البلاد التي فتحها ليكون قريباً من الأطراف ، وأنه أجري يوماً عنده ذكرُ مَكَّة والمدينة . فقال : أريد أن يتوجه من عندنا ركب يحج في كل سنة ، ف قيل له : إن ذلك في مملكة الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فقال : نجهز إليه هدية ، ونطلب منه الإذن في ذلك . وأنه جهز إليه مركباً قد ملئ من التفاصيل الهندية الفائقة خيار ما يوجد ^(١) ، وعشرة بُزاة بيض وخدم وجواري ^(٢) ، وأربعة عشر حقاً قد ملئت من فصوص الماس ، وكنت أنا في جملة المُسَفِّرين . وأتينا لَمَّا وصلنا إلى الين أحضر صاحب الين الممالك الذين في خدمة الرسول ، وقال لهم : أي شيء يعطيكم صاحب مصر ، اقتلوا أستاذكم وأنا أجعلكم أمراء عندي ، فلما قتلوه شق الجميع وأخذ المركب بما فيه ^(٣) ، وأريد أن تحضرني عند السلطان ، فأدخله الأمير عز الدين الحظيري إلى السلطان وحكى له الواقعة .

وكتب القاضي ^(٤) شهاب الدين أحمد بن فضل الله في ذلك الوقت كتاباً إلى صاحب الين جاء فيه عند ذكر ذلك : وَبَعْدَ أَنْ كَانَ فِي عِدَادِ الْمُلُوكِ أَصْبَحَ وَهُوَ مِنْ قِطَاعِ الطَّرِيقِ .

ومن الأدلة على سعة ملكه وكثرة الذهب عنده أنه أقل ما يوجد الدينار عنده مثقالين وثلاثة كثيراً ، ويوجد الدينار خمسين مثقالاً ، وأنا رأيت في الرحبة ديناراً زنته تسعون مثقالاً .

(١) (س) : « يؤخذ » .

(٢) كذا .

(٣) وفي الدرر رواية أخرى لهذه الحكاية .

(٤) في الأصل : « للقاضي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله : وكان طغلق شاه رجلاً تركياً من ممالك ملوك الهند^(١) ، ويقال إنه الذي عمل أبيه فقتله^(٢) . قالوا : وصورة قتله أنه تركه في حركاه وقد بدت به علة ، ثم إنه هيّج^(٣) عليه الفيلة حتى أتى فيل منها على الحركاه وحطمها وألقاها عليه ، وتمادوا في إخراجهم حتى أخرجوه^(٤) ميتاً لا روح فيه .

قال : وكان محمد هذا عنيناً لكي كوي على صلبه أيام^(٥) الحداثة لعلّه حصلت له ، وهو ممتذهب بمذهب أبي حنيفة ، يحفظ في المذهب كتاب (الهداية) . وقد شدا^(٦) طرفاً جيداً من الحكمة ، ويحضر مجلسه الفقهاء للمناظرة بين يديه ، ويجيز الجوائز السنية ، وملكه ملك متسع جداً ، وعسكره كثير .

قال : ذكر الافتخار عبد الله دفتر خوان الواصل في الرسالة في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون أن عسكره مبلغ تسع مئة ألف فارس ، قال : وفي ذلك نظر ، إنما الشائر الذائع أنه يقارب الست مئة ألف يجري على كلهم ديوانه ، منهم الفارس والراجل ، والراجل أكثر لقلّة الخيل عندهم ، لأن بلادهم لا تنتج الخيل وتفسد ما يجلب إليها من الخيل . وذكر أن عنده^(٧) ألفاً وسبع مئة فيل وأن عنده عدداً كثيراً من الأطباء والندماء والشعراء بالعربية وبالفارسية وبالهندية ، وعدداً كثيراً من

(١) في الوافي : « سلاطين الهند » ، وفي الدرر : « صاحب الهند » .

(٢) (س) ، (خ) ، والوافي : « حتى قتله » .

(٣) في الوافي : « هاج » .

(٤) (خ) : « خرج » .

(٥) (س) ، (خ) ، والوافي : « أوان » .

(٦) في الأصل : « شد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

(٧) في الأصل : « عنده من الخيل » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

المغاني^(١) رجال وجواري قال : ونعتُهُ في بلاده : « سلطان العالم ، إسكندر الزمان الثاني ، خليفة الله في أرضه » ، ولهذا يدعو له الخطباء على المنابر في ممالكه والدعاة .

وفي بلاده معادن كثيرة وتجاوره كوة قراجل ، بالقاف والراء والألف والجيم واللام ، وهو جبل يقارب البحر المحيط الشرقي ، وهي بلاد كَفَّار ، وفيها معادن الذهب ، وله عليها أتاة جزيلة إلى غير ذلك . ومما يوجد في بعض بلاده من نفائس الياقوت والماس عين الهر والمسمى بالماذني^(٢) . قلت : هو البنفش الماذني ، يعنون أنه يقول : ماذني كوني لم أكن بسعر البلخش .

قال : وذكر لي الشيخ مبارك الأنباقي^(٣) ، وكان من كبار دولته ثم تزهد : أن ابن قاضي شيراز أتاه بكتب حكيمية منها كتاب (الشفاء) لابن سينا بخط ياقوت في مجلدة ، فأجازه عن ذلك جائزة عظيمة ، ثم إنه أمر بإدخاله إلى خزائنه^(٤) ليأخذ منها ما يريد ، فأخذ منها ديناراً واحداً وضعه في فمه فلما خرج ليقبل يده قيل له : ما فعل شيئاً^(٥) ، وأنه لم يتعرض إلا لدينار واحد فسأله عن ذلك . فقال : أخذت حتى امتلأ بطني^(٦) ، وطلع هذا الدينار من فمي ، فأعجبه ذلك وضحك منه وأمر له بلك من الذهب ، واللُّك عبارة عما يقارب المقي ألف مثقال وسبعين ألف مثقال بالمصري .

قال : ولحقه يُبَسِّس مزاج من قبيل السوداء ، انتهى .

قلت : ومما يؤكد كرمه المفرط ما ذكرته في ترجمة الشريف عَضْد المذكور في حرف العين مكانه .

(١) في الأصل و (س) و (خ) : « الأغاني » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في الأصل و (س) و (خ) : « الماذني » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) في الوافي : « الأنباقي » .

(٤) (س) ، (خ) ، والوافي : « خزائنه » .

(٥) ليست في (س) ، (خ) ، والوافي .

(٦) في الوافي : « حتى امتلأت » .

١٦٠١ - محمد بن طولوبغا*

المحدث ناصر الدين أنو نصر التركي .

شاب ساكن دّين ، كتب الأجزاء ، ودار على الشيوخ وحصل . أجزت أنا له .
وكان قد سمع من الحجار بعض (الصحيح) ، وسمع من ابن أبي التائب^(١) ، وبنت
صصري ، وخلق بنفسه . وكتب ، وتخرّج^(٢) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في^(٣) .

ومولده سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

١٦٠٢ - محمد بن طينال

الأمير ناصر الدين ابن الأمير الكبير سيف الدين نائب طرابلس وغزة وصفد .

كان الأمير ناصر الدين المذكور من جملة أمراء الطبلخانة^(٤) بدمشق . وكان
ذا صورة بديعة ومحيا جعله^(٥) البدر طلعتة في الكمال طليعة ، ووجنات يُقطف الورد
من جناتها^(٦) الغضة ، ويخال أنها خليطا عقيق أحمر وبلور أو مرجان وفضة ، بحيث إنه
ظهر للنساء في دمشق قماش يعرف بخدود ابن طينال ، وبذل الناس في ذلك جملة من
الأموال .

* الوافي : ١٧٦/٣ ، والدُرر : ٤٦١/٣ ، وذيول العبر : ٢٧٨ .

(١) عبد الله بن الحسين ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) عبارة الدُرر : « عني بالحديث والتخريج » .

(٣) كذا في الأصل . ولم يذكر سنة وفاته في الوافي . وفي الدُرر أنه توفي سنة (٧٣٩ هـ) . وكذلك في
ذيول العبر .

** الدُرر : ٤٦١/٣ .

(٤) في الأصل : « الطبلخانة » .

(٥) في (خ) و (س) : « جعل البدر طلعتة له .. » .

(٦) في الأصل : « جنباها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وكان في مرج الشبيبة يجري مُرخى الرسن ، ويملاً عينيه في غفلة الزمان عنه من الوسن ، وورثه والده جملة من الأملاك والعين ، ورختُ الإمرة الذي هو من النعمة الطائلة أحد النصفين ، فأذهب الجميع وتحمل ما يقاربه من الدين .

ولم يزل على حاله إلى أن خسف الموت بدره في الكمال ، وأودع في بطن الأرض منه جملة من الجمال .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في بكرة الأربعاء تاسع عشري شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبع مئة^(١) .

١٦٠٣ - محمد بن عالي بن نجم*

الشيخ شمس الدين الديماطي .

سمع من النجيب ، والمعين الدمشقي .

وأجاز لي بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى في^(٢) .

ومولده سنة خمسين وست مئة .

١٦٠٤ - محمد بن عبد الجبار**

معين الدين الأرمني الفلكي المعروف بابن الدؤيك .

(١) وفي الدرر أنه توفي سنة (٧٥٠ هـ) .

* الوافي : ١٨٠/٣ ، ووفيات ابن رافع : ١٢٧/١ ، والدرر : ١٣٣/٤ ، وفيها : « ابن عالي » .

(٢) كذا بياض في الأصل ، ولم يذكر وفاته في الوافي . وفي وفيات ابن رافع والدرر أنه توفي سنة

(٧٤١ هـ) .

** الوافي : ٢١٦/٣ ، والطالع السعيد : ٥٢٧ ، والدرر : ٤٩١/٣ .

قال الفاضل كمال الدين الأدفوي : كان ينظم ^(١) ، وأنشدني من نظمه ، وكان يعمل التقويم ، وأخبرني في بعض السنين أن النيل يقصر ^(٢) فجاء نيلاً جيّداً ، فعمل فيه بعض الشعراء أبياتاً منها قوله :

أخرم تقويمك يابن الدؤيك من أين علم الغيب يوحي إليك
[وتوفي رحمه الله تعالى في سنة أربعين وسبع مئة .
ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة ^(٣)] .

١٦٠٥ - محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن محمد*

الإمام المفتي البارع شمس الدين أبو عبد الله ابن الشيخ المفتي الزاهد فخر الدين البعلبكي الحنبلي .

سمع من خطيب مرّدا ، وشيخ الشيوخ شرف الدين الأنصاري ، والفقيه محمد اليونيني ، والزين بن عبد الدائم ، والرضي بن البرهان ، والنجم البادراني ، وجماعة ، وتفقه على والده على الشيخ شمس الدين بن قدامة ، وجمال الدين بن البغدادي ^(٤) ، ونجم الدين بن حمدان ^(٥) .

وقرأ الأصول على مجد الدين الرورراوري ، وبرهان الدين المراغي .

وقرأ الأدب على الشيخ جمال الدين بن مالك . وحفظ القرآن وصلّى بالناس وهو

(١) قوله : « كان ينظم » ليس في (س) .

(٢) في الوافي : « مقصر » .

(٣) زيادة من (س) ، ومثله في الوافي .

* ترجم له في الوافي مرتين : ٢٣٨/٣ ، ٢٤٣ ، والعبر : ٤٠٢/٥ ، والشذرات : ٤٥٢/٥ ، والذارس : ٩٢/٢ .

(٤) (س) ، والوافي : « ابن البغدادي » ، وهو عبد الرحمن بن سلمان الحرّاني البغدادي (ت ٦٧٠ هـ) ،

العبر : ٢٩٣/٥ ، والشذرات : ٣٣٢/٥ .

(٥) أحمد بن حمدان بن شبيب الحرّاني (ت ٦٩٥ هـ) ، الإعلام للذهبي : ٢٩٠ .

ابن تسع ، وحفظ (الْمُقْنَع) و (منتهى السُّؤْل) للآمدي ، و (مقدمتي) أبي البقاء ،
وقرأ معظم (الشافية) لابن مالك .

وكان أحد الأذكياء المناظرين العارفين بالمذهب وأصوله ، والنحو وشواهد ، وله
معرفة حسنة بالحديث والأسماء وغير ذلك وعناية بالرواية . وأسمع أولاده الحديث .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شهر رمضان سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة أربع وأربعين .

قال شيخنا الذهبي : سمع^(١) بقراءتي (معجم) الشيخ علي بن العطار ، ولي منه
إجازة .

وكان يبحث مع الشيخ تقي الدين بن تيمية .

١٦٠٦ - محمد بن عبد الرحمن بن سامة*

ابن كوكب بن عز بن حُمَيد الطائي السواديّ ، الدمشقي الصالح الحنبلي ،
الحافظ المتقن المحدث الصالح شمس الدين أبو عبد الله ، نزيل القاهرة .

سمّعه من ابن عبد الدائم . وطلب بنفسه فسمع من ابن أبي عمَر ، وابن الدرجي ،
والكمال عبد الرّحيم ، وأصحاب حنبل والكندي . وارتحل فسمع بمصر من العز الحُرّاني ،
وابن خطيب المزة ، وغازي الخلاوي ، وبيغداد من الكمال الفويرة وعدّة بواسط وحلب
والشَّعر ، وانتهى إلى أصبهان . قال شيخنا الذهبي : وما أظنه ظفر بها برواية .

وقرأ الكثير من الأمّهات ، وانتفع به الطلبة .

(١) في الأصل : « سمعت » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .

* الوافي : ٢٣٨/٣ ، والإعلام : ٢٩٧ ، والدرر : ٤٩٧/٣ ، والشُّذرات : ١٧/٦ ، ووقع في الأصل :
« شامة » تصحيف .

وكان فصيحاً سريع القراءة حسن الخط ، له مشاركة في أشياء ، وفيه كَيْس وتواضع ودين وتلاوة ، وله أوراد ، وتزوّج بأخيرة .

وكان عمّه شهاب الدّين بن سامة محدثاً عدلاً شروطياً ، نسخ الأجزاء وحمل عن ابن عبد الدائم وعدة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - رابع عشري ذي القعدة يوم الثلاثاء سنة ثمان وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وستين وست مئة .

وكانت وفاته بالقاهرة ، ودفن بالقرافة بالقرب من الإمام الشافعي .

١٦٠٧ - محمد بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب*

بهاء الدّين الأسنائي .

كان فقيهاً فرضياً فاضلاً ، تفقّه على الشيخ بهاء الدّين هبة الله القفطي ، وقرأ عليه الأصول والفرائض والجبر والمقابلة ، وكان يقول له : إن اشتغلت ما يقال لك إلا الإمام .

وكان حسن العبارة ، ثاقب الذهن ، ذكياً ، فيه مِرْوّة ، بسببها يقتحم الأهوال ، ويسافر في حاجة صاحبه الليل والنهار .

قال كمال الدّين جعفر : ثم ترك الاشتغال بالعلم وتوجّه لتحصيل المال فما حصل عليه ولا وصل إليه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بقوص ليلة الأضحى سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

* الوافي : ٢٤١/٣ ، والطالع السعيد : ٥٣٣ ، والذّرر : ٤٩٩/٣ .

١٦٠٨ - محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن زيد*

البُقْرَاطُ الدُّنْدَرِي ، بدالين مهملتين بينهما نون ساكنة وبعد الدال راء^(١) .

قرأ القرآن على أبي الربيع سليمان الضرير البوتيجي ، وقرأ أبو الربيع على الكمال الضرير ، وتصدر للإقراء ، وقرأ عليه جماعة بدندرا ، واستوطن مصر مدة ، واشتغل بالنحو مدة ، واختصر (الملحّة)^(٢) نظماً ، وقال في أول اختصاره :

وها أنا اخترتُ اختصارَ الملحّة أمْنَحَةُ الطّلابِ فهو مِنَحُهُ
وفي الذي اختصرته الحشوّ سَقَطُ لِيَقْرَبَ الحِفْظَ وَيُبْعِدَ الغَلَطُ^(٣)
وفيه أيضاً يا أريدُ فائدةٌ يَحْتَاجُهَا المريدُ^(٤)

قال الفاضل كمال الدّين الأدفوي^(٥) : وهو الآن حي .

قلت :^(٦)

١٦٠٩ - محمد بن عبد الرحمن بن محمد**

ابن عمر بن عبد الرّحيم ، الصّدْر الرّئيس الكاتب شهاب الدّين ، أبو عبد الله بن العجمي كاتب الدرج بحلب ، وهو أخو الشيخ عز الدّين عبد المؤمن ، وأخو الخطيب شمس الدّين أحمد .

* الوافي : ٢٤١/٣ ، والطالع السعيد : ٥٣٠ ، والدُّرر : ٧/٤ ، والبغية : ١٥٨/١ .

(١) نسبة إلى دندرة ، بلدة غربي النيل من نواحي الصعيد ، دون قوص . (معجم البلدان) .

(٢) في الوافي والبغية والطالع : « الملحّة » ، والمراد بالملحة : الملحّة البدرية لأبي حيان الأندلسي ، وذكر صاحب الكشف : ١٥٦١/٢ ، اختصار الدندري لها .

(٣) في الدُّرر : « وينتفي الغلط » .

(٤) في الأصل و (س) : « أريد » ، في الوافي : « أزيد » ، وفي الطالع والدُّرر : « أزيد » .

(٥) (س) والوافي : « جعفر الأدفوي » .

(٦) كنا في الأصل و (س) ، ولم تذكر سنة وفاته .

** الدُّرر : ٧/٤ .

وقد تقدّم ذكرها في مكانيهما ، وكانوا قد سمعوا على الشيخ كال الدّين بن النصيبي (الشّائل) للترمذي في سنة ثمان وثمانين وست مئة .

وتوفّي^(١) - رحمه الله تعالى - تاسع عشر شوال سنة ثلاثين وسبع مئة ، ودفن بتربتهم .

١٦١٠ - محمد بن عبد الرّحمن بن عمر*

الشيخ الإمام العلامة ، ذو الفنون ، قاضي القضاة جلال الدّين أبو عبد الله القزويني الشافعي الأشعري .

سمع من الشيخ عز الدّين الفاروئي وطائفة . وأخذ المعقول عن شمس الدّين الأيكي .

كان قاضي القضاة جلال الدّين شريف الخلال ، مُنيف الجلال ، وارف الظلال ، صارف الملل ، طوّد حلم ، وبجر علم ، يتوّج فضائل ، ويتبرّج براهين ودلائل ، بذهن يتوقّد ، ويدور على قطب الصّواب كالفرقد ، قد ملأ الزمان جوداً ، وجعل أقلام الثناء عليه رُكعاً وسجوداً .

ولم يرقّاض أشبه منه بوزير ، ولا إنسان كأنه وفي أثوابه أسد يزير^(٢) ، يجلس إلى جانب السلطان في دار عدله ، ويغدو كالشمس بين^(٣) أهله وأهله ، مهما أشار به هو الذي يكون ، ومهما حركه فهو الذي لا يعتريه سكون . يرمّل على يد السلطان لا يفعل ذلك غيره إذا حضر ، ولا يتقدم عليه سواه من أشراف ربعة أو مضر :

(١) (س) : « وتوفّي شهاب الدّين المذكور » .

* الوافي : ٢٤٢/٣ ، والبداية والنهاية : ١٨٥/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٧٦/١ ، والدّرر : ٣/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٣١٨/٩ ، والبغية : ١٥٦/١ ، والشذرات : ١٢٢/٦ ، والدّارس : ٣٤٨/١ .

(٢) زار يزير : مثل : زار ، يزأر ...

(٣) في الأصل : « في بين » ، وأثبتنا ما في (س) .

فَالْأَمْرُ مُرَدُّ إِلَى أَمْرِهِ وَأَمْرُهُ لَيْسَ لِمَنْ رَدُّ

جمع بين قضاء الشام والخطابة ، وفاز في كل المنصبين بالإصابة ، وطلب إلى قضاء الديار المصرية فسد ما فسد ، وعوّذته مكارمه ﴿ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾^(١) ، وأقام هناك مدة ينشر ألوية علومه ، ويفيض على الناس سواكب غيومه . ثم إنه عاد إلى الشام عود الغمام إلى الروض إذا ذوى ، والبدر التمام إلى الأفق الذي زل^(٢) نجمه وهوى ، فجدد معاهد الفضل والإفضال ، وعمر غابة بالليث الخادر أبي الأشبال .

ولم يزل على حاله إلى أن زال ذلك الطُود ، وزلّ وتقصّع ذلك المطر الجُود^(٣) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - منتصف^(٤) جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وسبع مئة . وشيع جنازته خلق عظيم ، ودفن في مقابر الصوفيّة .

ومولده بالموصل سنة ست وستين وست مئة .

وسكن الروم مع والده وأخيه ، وولي بها قضاء ناحية وله من العمر نحو ثلاثين سنة ، وتفقه وناظر واشتغل ، وتخرّج به الأصحاب ، وناب في قضاء لأخيه قاضي القضاة^(٥) سنة ست وتسعين ، وناب في ما أظن لقاضي القضاة نجم الدين بن صصرى في أول المحرم سنة خمس وسبع مئة . وولي خطابة الجامع الأموي مدة .

وطلبه السلطان إلى دمشق في جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وشافهه بولاية قضاء الشام ، ووصله بذهب كثير ولمّا طلبه دافع عنه تنكز ، فقال : هذا عليه ديون كثيرة ، وابنه نحس ما يجمل أن يكون أبوه قاضي القضاة^(٦) . فقال

(١) سورة الفلق : ٥/١١٣ .

(٢) في الأصل : « الأفق زال » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) (س) : « المطر والجود » .

(٤) في (س) : « في منتصف » .

(٥) (س) والوافي : « قاضي القضاة إمام الدين » .

(٦) في الأصل و (س) : « ما يجمل » ، وعبارة الدرر : « وابنه نحس ما يصلح أن يلي أبوه القضاء فيحتله الناس » .

السلطان : أنا أوفي دينه ، وولده أنا أدعه يقيم في الديار المصرية . فجهزه في نصف جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وسبع مئة . صلى بالناس صلاة الخسوف لأن القمر خُسِفَ تلك الليلة . ثم إنه صلى الصبح يوم الخميس وسافر إلى القاهرة .

وعاد إلى دمشق في خامس شهر رجب يوم الخميس ، وباشر المنصب على أتم ما يكون وصرف مال الأوقاف على الفقراء والمحتاجين وراك المدارس ، واستتاب الشيخ جمال الدين بن جملة والشيخ فخر الدين المصري .

ولما كان في يوم الجمعة نصف جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين وسبع مئة وصل البريد إلى دمشق فطلبه إلى مصر وولاه السلطان قضاء الديار المصريّة ، وعظمه ورفع شأنه ، ورأى من العزّ والوجاهة ما لا يراه غيره .

وكان يرمل على يد السلطان في دار العدل .

قال لي القاضي شرف الدين أبو بكر بن الشهاب محمود ، وقد كان كاتب السّر بمصر ، وقد خرج من يوم اثنين نهار دار عدل^(١) : اليوم أخرج قاضي القضاة جلال الدين من كمّه ست عشرة قصة غير ما شفّع فيه وأشار به وشكر منه ، والجميع يقضيه السلطان وما يردّه .

وحجّ مع السلطان ، ورتّب له ما يكفيه بزيادات ، وأحسن في مصر إلى أهلها وإلى الشاميين ، وكان في باب السلطان ذخراً وملجأ لمن يقصده من الشاميين يشفع له ويساعده على مقاصده ، ويصله عند قدومه وعند سفره وما بين ذلك . وأحبّه المصريون ، وفتح لهم باب الاشتغال في الأصول . كنت يوماً عنده وقد جاء إليه محضر فيه شهود ، فوقف على أسماء الشهود اسماً اسماً ، والتفت^(٢) وقال : من هو فلان ؟ فقال أحد الواقفين : أنا يا مولانا ، فقال له : ما أنت الذي كان يعمل الدوادارية لقبجق ؟

(١) (س) : « دار العدل » .

(٢) في الأصل : « التفت » ، وأثبتنا ما في (س) .

قال : نعم . قال : ما هذه الحالة ؟ فشكا بطلالة وقلة . فقال له : اصعد إلى فوق ، وأجلّسه . ولَمَّا انقضى ذلك الشغل وخفَّ المجلس ولم يبقَ إلّا من هو به ^(١) خاصّ أخرج كيس النفقة ونفضه فنزل منه ما يقارب المئة . فقال ^(٢) : خُذ هذه ارتفق بها في هذا الوقت وعُد إذا فرغت ، ولما كان في ... ^(٣) رسم له السلطان بالعود إلى دمشق قاضي القضاة كما كان أولاً ، فحضر إليها وصحبه ، وصحب أولاده من المجلدات النظيفة النفيسة ما يزيد على خمسة آلاف مجلد ، وفرح الناس به . فأقام قليلاً وتعلّل ، وأصابه فالج إلى أن توفّي - رحمه الله تعالى - في التاريخ المذكور ، وتأسّف الناس عليه لَمَّا كان فيه من الحلم والمكارم وعدم الشرّ وعدم المجازاة لمن أساء إليه إلا بالإحسان .

وكان ينتسب ^(٤) إلى أبي دلف العجلي وكرمه بصدق هذه الدعوى .

وكان فصيحاً بليغاً في وقت البحث والجدل ، منطقياً إلا إذا علا صهوة المنبر فإنه ليس ذلك ، لغلبة الحياء .

وكان مليح الصورة ، حلو العبارة ، كبير الذقن رسلها ، موطأ الأكناف ، سَمْحاً ، جواداً حليماً ، جَمّ الفضائل ، حادّ الذهن ، يراعي قواعد البحث . وكان يحب الأدب ويحاضر به ، وله فيه ذوق كثير يستحضر نكته ، ويكتب خطأً جيّداً حسناً . وصنّف في المعاني والبيان مُصَنِّفاً وسمّاه (تلخيص المفتاح) ، وشرحه وسمّاه (الإيضاح) ^(٥) ، وقرأ عليه جماعة بمصر والشام ، وكان [يعظّم] ^(٦) الأُرْجاني الشاعر ، يرى ^(٧) أنه من مفاخر العجم ، واختار شعره وسمّاه (الشّذر المرجاني من شعر الأُرْجاني) .

(١) (س) : « فيه » .

(٢) (س) : « فقال له » .

(٣) كذا بياض في الأصل و (س) .

(٤) في الأصل : « ينزل » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) وهو مطبوع .

(٦) زيادة من (س) .

(٧) في (س) : « ويرى » . والأُرْجاني هو أحمد بن محمد (ت ٥٤٤ هـ) ، وديوان شعره مطبوع .

الأعلام : ٢١٥/١ .

وعلى الجملة فكان من أفراد الزمان في مجموعه علماً وعقلاً وأخلاقاً . وأجاز لي بخطه في سنة ثمان وعشرين^(١) بالقاهرة .

وكتبت أنا إليه أهنيه في الديار المصرية لما قدم من الحج سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة بقصيدة فائئة وهي :

من خصّ ذاك البنان الغضّ بالتّرف
وصمّ في شفتيها درّ مبسّتها
وحلّل الفرق فرعاً من ذوائبها
علقتها من بنات الترك قد غيّت
يلقى المتيّم من تثيف قامتها
ومنها :

في حفظ سالفها للحسن ترجمّة
يا للهوى عينها عينٌ ؛ وحاجبها
يا هذه إنّ للأشعار معجزة
ضعي بنانك مخضوباً على جسدي ال
يا عاذلي في هوى عيني محبّة
ودّع فؤادي ودّع نصب ناظرها
إنّي لأعجب للعذال كيف رأوا

وزان ذاك القوام اللذن بالهيف
فراح من أحمر المرجان في صدف
والبدر أحسن ما تلقاه في السدف
بدمع عاشقها عن منّة الشنف^(٢)
مالا يلاقيه كوفي من الثّقي^(٣)
فاقت وما اتّفتت للحافظ السلفي
نون وتمّ العنا من قدّها الألفي
تبقي عن السلف الماضين للخلف
بالي ليجمع العناب بالحشف^(٤)
خفّ شرّ ناظرها ، فالسرّ فيه خفي
لا ترم نفسك بين السهم والهدف
شخصي وقد رحت ذا روح تردّد في^(٥)

(١) (س) : « ثمان وعشرين وسبع مئة » .

(٢) في الأصل (و س) : « قد غيّت » ، تصحيف .

(٣) الثّقي هو الحجاج بن يوسف .

(٤) لعلّه أفاد من قول امرئ القيس في معلقته :

كأنّ قلوب الطير رطباً ويابساً
يشير إلى قول المتنبي :

لدى وكريها العناب والحشف البالي

أطارت الرّيح عنه الثوب لم بين

روح تردّد في مثل الخلال إذا

ديوانه : ١٨٦/٤ .

أَلَيْسَ يَشْغَلُهُمْ طَيْبُ الثَّنَاءِ عَلَى
وَيَسْتَفِزُّهُمْ أَفْرَاحُ مَقْدِمِهِ
حَجَّ غَدَا حُجَّةٍ فِي الدَّهْرِ ثَابِتَةٌ
كَمْ جَابَ فِي سَيْرِهِ وَالْعَيْسِ قَدْ سَمَتْ
وَالرَّكْبُ مِنْ فَضْلِهِ أَوْ مِنْ فَضَائِلِهِ
حَتَّى نَضَا إِحْرَامَ مُلَبَّسَهِ
وَرَاخَ ذَا جَسَدٍ قَدْ طَابَ عُنْصُرُهُ
مَا مَسَّ طَيْباً وَإِنْ كَانَ الْحَجِيجُ بِهَا
وَأُمُّ أُمِّ الْقُرَى ذَاتَ الْقَرَارِ وَمَنْ
وَطَافَ بِالْبَيْتِ فَارْتَاخَ الْمَقَامُ لَهُ
فَكُلُّ رُكْنٍ إِذَا حَاذَاهُ مِنْكِبُهُ
وَرَاخَ فِي عُرْفَاتٍ وَأَقْفَاءَ وَلَهُ
وَفِي مَنَى كَمْ أَنْالَ الطَّالِبِينَ مَنَى
وَجَاءَ طَيْبَةً يَقْضِي حَقَّ سَاكِنِهَا
وَزَارَ مَنْ لَمْ يَزَلْ فِي نَصْرِ مِلَّتِهِ
هَذَا الْإِمَامَ الَّذِي تَرْضَى حُكُومَتَهُ
خَبَّرَ مَتَى جَالَ فِي بَحْثٍ وَجَادَ فَلَا
لَهُ عَلَى كُلِّ قَوْلٍ بَاتَ يَنْصُرُهُ
قَدْ ذَبَّ عَنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ ذَبَّ فَقِي
وَمَذْهَبُ السُّنَّةِ الْغَرَاءُ قَامَ بِهِ
يَأْتِي بِكُلِّ دَلِيلٍ قَدْ جَلَا جَبَلًا

قَاضِي الْقَضَاةِ جَلَالَ الدِّينِ عَنْ شَغْفِي
مِنْ حَجَّهِ وَهُوَ مِثْلُ الشَّمْسِ فِي الشَّرَفِ
إِنْ يَنْكَسِفُ نَوْرُهَا لِلشَّمْسِ تَنْكَسِفُ
جَذَبَ الْبَرَى وَالسُّرَى فِي مَهْمِهِ قُذِفَ
مَا بَيْنَ مُغْتَرَفٍ مِنْهُ وَمُعْتَرَفٍ
عَنِ الْهُدَى وَالنُّدَى وَالْعِلْمِ وَالصِّلَفِ
عَارٍ مِنَ الْعَارِ بِالْإِحْسَانِ مُلْتَحِفٍ
أَثْنُوا عَلَيْهِ غَدَا فِي رَوْضَةِ أَنْفٍ
يَطْلُبُ رِضَى اللَّهِ فِي تِلْكَ الدِّيَارِ كُفِيَ
لَمَّا تَمَسَّكَ بِالْأَسْتَارِ وَالسَّجَفِ
يُودُّ لَوْ كَانَ عَنْهُ غَيْرُ مُنْعَطِفٍ
عُرِفَ يَسِيرَ بِهِ عِرْقٌ وَلَمْ يَقِفِ
أَمْسُوا بِهَا عَنْ سَطَا الْأَعْدَاءِ فِي كَنَفِ
وَمِثْلَ ذِمَّتِهِ تُرْعَى لَهُ وَتَفِي
وَشَرَعِهِ بِالْقَضَا يَا خَيْرَ مُعْتَكِفِ
خِلَافَ مَا قَالَهُ النَّحْوِيُّ فِي الصُّحُفِ ^(١)
تَسْأَلُ عَنِ الْبَحْرِ وَالْهَطَّالَةِ الْوَكْفِ
وَجَهْ يَصَانُ عَنِ التَّكْلِيفِ بِالْكَلْفِ
يَحْمِي الْحِمَى بِالْعَوَالِي السُّمْرِ وَالزَّرْعِ
وَتَقَفَ الْحَقُّ مِنْ حَيْفٍ وَمِنْ جَنْفِ
فَلَيْسَ يَنْسِفُهُ مَا مَغْلَطَ النَّسْفِ

(١) يشير إلى بيت الفرزدق للشهور عند النحاة :

ما أنت بالحكم لترضى حكومته

ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجذل

وقد شفى العيِّ لَمَّا باتَ مُنتَصِراً
تحمي دروسَ ابنِ إدريسِ مباحثه
فما رأى ابنَ سَريعٍ إذُ يناظره
ولو أتى مزيئُ الوقتِ أغرقه
وقد أقامَ شِعَارَ الأشعريِّ فما
وليسَ للسيِّفِ حَدٌّ يَسْتَقِيمُ لَهُ
والكاتبِ غَدَا في عَيْنِهِ سَقَمٌ
مِنْ مَعْشَرٍ فَخَرِهِمْ أَبْقَاهُ شَاعِرُهُمْ
هو الحفيُّ بما يوليه من كَرَمٍ
لو شاءَ في رِفْعَةٍ مِنْ مَجْدِهِ وَغَلَا
قد زانَ أَيْامَهُ عدلٌ ومعرفة
يَغْدُو الضعيفَ على الباغينَ مُنتَصِراً
لو يَشْتَكِي النَّهْرُ مِثْلَ الغصنِ عَنْهُ مَعَ
بَلْ لو شَكِيَ الدَّهْرُ خَصَمٌ مِنْ بَنِيهِ غَدَا
دامتَ مآثرُهُ اللّاتي أنظَمَها
ما رَسَخَتْ عَذَبَاتُ البانِ سافحةً
فكتب هو إليَّ قرين ما بُعث به :

يا مولانا هذه الأبيات التي تفضلت بإرسالها ، وأنبطت^(٥) معين زلالها ، ما أقول
فيها إلاَّ أنها ذهبٌ مسبوك ، أو وشيٌّ محبوك ، أو ستر ظلام عن الذراري مهتوك ،
(١) ليست في الأصل ، وهي ثابتة في (س) .

(٢) سلفت الإشارة إليه .

(٣) (س) : « من رفعة » .

(٤) في الأصل : « من خوف » ، ولا يستقيم بها الوزن ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) نبط الماء : نبع .

أو دمع مسفوح من صبّ دَمَّةٌ في الحبّ مسفوك ، قد رقّ وراق وراع ، وأمال الأعطاف
وشنّف الأسماع ، وتألّق في دياجي سطوره برقّ معناه اللّماع . كم قد تلعبت فيه
بضروب الفنون ، وخضت من أنواع العلوم في شجون ، أخملت أَرْجَ الحائل من
الأرجاني ، وأهنت ماعز من أبكار ابن هاني :

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع قولاً يُقال ولا بديعاً يُدعى

فكذا فليكن كلام الأفاضل ، وكذا فليكن من يناصر أو يناضل . لقد تفضل
مولانا بأوصاف هو أحقّ بها ممّن وصفه ، وأولى بأن يجعل إليه مرجعه ومصرفه ، ومن
تمام الإحسان العميم والبرّ الجسيم ، قبول ما جهّزه المملوك^(١) صحبة محمّد القاضي
ضياء الدّين فإنه نزر ، وما يقابل من هذا مدّه بهذا الجزر^(٢) ، والله تعالى يمتّع الزمان
وأهله بهذه الكلمات ، ويمد بعونه في الحركات والسكنات ، إن شاء الله تعالى .

١٦١١ - مُحَمَّد بن عبد الرحمن*

الصّدر الرئيس الكبير ، القاضي شرف الدّين ابن القاضي الكبير^(٣) ابن العدل
أمين الدّين سالم ابن الحافظ بهاء الدّين أبي المواهب الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن
صصري التغلبي^(٤) الدمشقي .

سمع كثيراً من الحديث . وسَمِعَ رضيعاً بقراءة شيخنا البرزالي على والديه وجدته

(١) (س) : « ما جهّزه المملوك صحبة محمّد القاضي ضياء الدّين » .

(٢) في الأصل و (س) : « الحر » ، تصحيف .

* البداية والنهاية : ٨٦/١٤ ، والدّرر : ٩/٤ ، وثمة اختلاف في نسبه ، ففي البداية والنهاية هو
« شرف الدّين محمد بن عال الدّين إبراهيم بن شرف الدّين عبد الرحمن بن أمين الدّين سالم ... » .

وفي الدّرر هو : « محمد بن عبد الرّحيم بن سالم ... » .

(٣) ثمة بياض بعد هذه الكلمة في (س) .

(٤) في الأصل : « الشّعلي » ، وأثبتنا ما في (س) والدّرر .

وخاله ، ثم سمع على الشيخ فخر الدّين [بن] ^(١) البخاري (مشيخة) بكماها . وكان صدرأ يلاً العين والصّدر ، ويخجلُ لحاسنه البدر ، يستحي الغمام من جوده ، ويهب كل ما هو في موجوده ، ساد على الدماشقة ، بكثرة المكارم ، وعلم الناس السّماح حتى الغمام :

ولهذا أثنتُ عليه اللّيلي ومشتُ دون سعيه الأيّام

ولم يزل في المعالي يترقى ويحاذر الملام ويتوقّى إلى أن فاضت نفسه وهو محرم يلبي ، وختم الله له بخير فهو يخبأ له عمله ويربّي .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سابع ذي الحجة سنة سبع عشرة وسبع مئة ، وعمره خمسة وثلاثون سنة ، ودفن ضحوة ^(٢) يوم التروية بمقبرة الحجون على باب مكة .

وكان له همّة وعزمة ومعرفة وكفاية . باشر بدمشق نظر الأشراف ، ونظر الجامع الأموي ، ولبس خلعة بصحابة الديوان في سادس عشر المحرم سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، ولبس الصّاحب غبريال ^(٣) أيضاً لنظر الدواوين ، وكان هو ^(٤) قد وصل من حماة إلى دمشق في شهر رمضان سنة ثمان وسبع مئة ، وكان بها ناظراً لمّا أقطعت حماة للأمير سيف الدّين قبجق ، وولي عوضه بهاء الدّين عبد الصّمد بن المغيزل وباشر نظر الجامع الأموي في ذي القعدة من السنة المذكورة .

ومن مكارمه ما حكاه لي عنه القاضي الرئيس ضياء الدّين أبو بكر بن خطيب بيت الآبار بالقاهرة ، قال : كنّا عنده ليلة وقد أحضر حلوى ليجهزها لبعض أصحابه الذين يقدمون من الحجاز ، قال : فأكلناها بجموعها ، ثم إنه أحضر عوضها مرة

(١) زيادة من (س) .

(٢) (س) : « ضحية » .

(٣) (س) : « شمس الدّين غبريال » .

(٤) ليست في (س) .

أخرى ، فأكلناها بجمعوها ، ثم إنه أحضر الثالثة ، وأنا في شك هل قال : فأكلناها ، وأحضر الرابعة أو لا ، وأهل دمشق يحكون عن كرمه غرائب - رحمه الله تعالى - .

وكان قد تولّى صحابة الديوان بدمشق في سادس عشر المحرم سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، وخَلَعَ عليه وعلى صاحب شمس الدّين غبريال .

١٦١٢ - مُحَمَّد بن عبد الرَّحيم بن الطَّيِّب القيسي*

الأندلسي الضرير العلامة الضرير المقرئ أبو القاسم .

تلا بالسَّبْع على جماعة ، وسكن سبتة ، أَراده الأمير العَزَفِي^(١) أن يقرأ في شهر رمضان (السيرة) فبقي يدرس في كلِّ يوم ميعاداً ويُورده ، فحفظها في شهر رمضان . وكان طيب الصوت صاحب فنون ، يروي عن أبي عبد الله الأزدي ، وأخذ عنه أئمة .

وتوفّي - رحمه الله تعالى^(٢) - في رمضان سنة إحدى وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاثين وست مئة أو نحوها .

١٦١٣ - مُحَمَّد بن عبد الرَّحيم بن مُحَمَّد الأرموي**

الشيخ الإمام العلامة المحقق صفّي الدّين أبو عبد الله الشافعي الأشعري المعروف بالهندي .

* الوافي : ٢٤٨/٣ ، ونكت الهميان : ٢٥٤ ، والدُّرر : ١٠/٤ ، وغاية النهاية : ١٧١/٢ .

(١) محمد بن أحمد ، أمير سبتة ، وهو أول من ولي الإمارة من بني أبي عَزَفَة (ت ٦٧٧ هـ) . انظر الأعلام : ٣٢٢/٥ .

(٢) ثمة بياض بعد هذه الكلمة في (س) . وفي الدُّرر والغاية أنه توفي في رمضان .

** الوافي : ٢٣٩/٣ ، وفيه : « محمد بن عبد الرَّحمن » ، والبداية والنهاية : ٧٤/١٤ ، والدُّرر : ١٤/٤ ، والشُّذرات : ٣٧/٦ ، والدُّرر : ٩٧/١ ، والبدر الطالع : ١٨٧/٢ .

كان قَيِّماً بفن الكلام ، عارفاً بغوامضه التي خفيت عن السيف والإمام ، لورآه ابن قُورَك^(١) لانفرك ، أو الباقلاني لقلا معرفته ، ووقع معه في الدَّرَك ، أو أمام الحرمين لتأخر عن مقامه ، أو الغزالي لما نسج (المستصفى)^(٢) إلا على منواله ولا رصفه إلا على نظامه ، أو ابن الحاجب لحمل العصا أمامه ، وجعله دون الناس إمامه . مع سلامة باطن تنعته يوم حشره ، وديانة طواها الحافظان له إلى يوم نشره ، ومودة لا تنسى عهودها ، ولا تحفو على كبره مهودها ، وانعطاف على الفقراء وحثو ، وبراءة من الكبرياء والعتو^(٣) . أقرأ الكبار وأفادهم ، وأفاض عليهم فضلة فضله وزادهم .

ولم يزل على حاله إلى أن تكدر للصفي مورد حياته ، وناداه الموت بإغفال شياته ، فبات الدين وقد ثلم هندیه ، وثل عرش الأصول بل هدد نديّه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - ليلة الثلاثاء تاسع عَشْرِي صفر سنة خمس عشرة وسبع مئة بمنزله بالمدرسة الظاهرية بدمشق ، ودفن في مقابر الصوفيّة .

ومولده في ليلة الجمعة ثالث شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وست مئة بالهند .

وكان له جدّ لأمه فاضل من [أهل]^(٤) العلم هو شيخه ، قرأ عليه ومات سنة ستين وست مئة ، وخرّج من دهلي^(٥) البلد المشهور بالهند في شهر رجب سنة سبع وستين وست مئة ، ودخل الين ، وأقام بمكة نحواً من ثلاثة أشهر ، واجتمع بابن سبعين .

ولمّا كان بالين أكرمه المظفر وأعطاه أربع مئة دينار . ثم إنه ركب البحر ،

(١) محمد بن الحسن ، من علماء الكلام والأصول (ت ٤٠٦ هـ) ، السير : ٢١٤/١٧ .

(٢) الكشف : ١٦٧٣/٢ .

(٣) في (س) : « والتجبر والعتو » .

(٤) زيادة من (س) .

(٥) في الوافي : « دهلي » .

ودخل الديار^(١) المصرية في سنة سبعين ، وخرج منها ، ودخل البلاد الرومية وأقام بها إحدى عشرة سنة ، منها خمسة^(٢) بقونية ، وخمسة بسيواس ، وسنة بقيصريّة . ودرّس بقونية وسيواس ، واجتمع بالقاضي سراج الدّين الأرموي وأكرمه وأخذ عنه المعقول .

وخرج من الروم سنة خمس وثمانين وست مئة ، وقَدِمَ دمشق وأقام بها واستوطنها وعقد حلقة الإشغال بالجامع الأموي وقرأ عليه الأعيان وفضلاء الناس ، ودرّس في دمشق بالرواحيّة^(٣) والدّولعيّة والأتابكيّة والظاهرية . وكان مقصوداً بالاستفتاء ، ويكتب كثيراً في الفتاوى . وكان فيه خيرٌ وديانة وبرٌّ للفقراء يُفطّر في شهر رمضان عشرة من الفقراء الضعفاء .

وصنّف في أصول الدّين كتاب (الفائق)^(٤) ، وكان يقوم في الليل فيتوضّأ ويلبس أفرثيابه ، وعلى ما قيل حتى الحفّ والمهاز ، ويصلّي ورده في جوف الليل ، وكان يحفظ ربع القرآن لا غير . قيل عنه إنه قرأ يوماً في الدرس : « المصّ » ، مصدر يمصّ مصّاً ، ولم ينطق بها حروفاً^(٥) مقطّعة كما هو لفظ التلاوة .

ومن تخرّج عليه الشيخ صدر الدّين بن الوكيل وغيره ، وأظن الشيخ كال الدّين بن الزملكاني أيضاً ، وكان في بعض مدارسه ناظر لا ينصفه ، فقال : هذه المدرسة يعمل فيها بأيتين من كتاب الله تعالى ، المدرّس : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾^(٦) ، والناظر : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾^(٧) .

ولمّا عقد بعض المجالس للعلامة تقي الدّين بن تيمية عيّن صفي الدّين الهندي

(١) (س) : « إلى الديار » .

(٢) (س) : « خمس سنين » .

(٣) في الأصل : « الرواحية » .

(٤) الكشف : ١٢١٧/٢ .

(٥) في الأصل : « حروف » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٦) سورة آل عمران : ١٢٨/٣ .

(٧) سورة الأنبياء : ٢٣/٢١ .

لناظرته ، فلما وقع الكلام قال لابن تيمية : أنت مثل العصفور تنط من هنا إلى هنا .
وقيل : إن الشيخ تقي الدين ذكر ما هو المشهور في سبب تسمية المعتزلة بهذا ^(١) الاسم ،
وهو أن واصل بن عطاء لَمَّا اعتزل حلقة الحسن البصري سمي بذلك معتزلاً ، فيقال إن
الشيخ صفي الدين قال : لا نُسَلِّم ^(٢) . فقال الحاضرون : ما يقال في نقل التاريخ
لا نُسَلِّم ، وكان ذلك سبب نصرة ابن تيمية . ومنها أن قاضي القضاة نجم الدين بن
صصري قال لابن تيمية : هذا الكلام الذي يثلج الصدر . فقال له الشيخ كال الدين بن
الزملكاني : والله تَسَخَّرَ ^(٣) وجه الشافعية بتلك الحاجة لما كنت ^(٤) أنت حاكمهم ، فقال
لابن صصري : لي يقال هذا الكلام ؟ اشهدوا عليّ أني عزلت نفسي من القضاء ،
فانفصل المجلس على غضب ابن صصري .

قلت : وما أنصف ^(٥) صفي الدين الهندي في قوله ^(٦) ، لعله كان عنده سبب آخر
لتسمية المعتزلة غير ذلك ، إذ هو ممكن .

وما رأيت أضعف ولا أوحش من خَطِّه ومن خط الشيخ شمس الدين بن
الأكفاني ، وقد تقدم ذكره . وقيل إنه أجري بين يديه ذكر خطِّه ، فقال له بعض
الطلبة : والله ياسيدي ما رأينا أوحش من خطِّك . فقال : والله البارحة رأيت كراساً
أوحش من خطِّي . فقالوا له : هذا يمكن . فقام وأتى بالكراسة فإذا بها أوحش من
[خطِّه] ^(٧) ، واعترفوا بذلك ، ثم إنَّ ذلك الطالب تتبع الكلام إلى آخره فوجد آخره :
وكتب محمد بن عبد الرحيم الأرموي . فقالوا : هذه بخطِّك ، فأعجبه ذلك ، وضحك .

(١) في الأصل : « لهذا » ، وفي (س) : « هذا » .

(٢) في الأصل : « نسل » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) (س) : « قد تسخَّر » .

(٤) (س) : « صرت » .

(٥) في الأصل : « انصرف » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٦) (س) : « لقوله » .

(٧) زيادة من (س) .

وكان قد جاءه يوماً حمل دبس هديّة من بعلبك ، فأخذه الرّادّون الذين يقفون في الطريق لأجل المكس . فقالوا : هذا للشيخ تقي الدّين الهندي . فقالوا : هاتوا خطّه ، فحضروا إليه وأخذوا خطّه . وقد كتب : صفى الدّين هندي^(١) في حمل دبس ، إن يكن هو هو فهو هو وإلا فليس به ، وكانت في لسانه عجمة الهنود .

١٦١٤ - مُحَمَّد بن عبد الرّحيم بن إبراهيم *

ابن هبة الله البارزي ، القاضي كال الدّين أبو عبد الله بن البارزي الجهني الحموي . قال شيخنا علم الدّين البرزالي : كان رجلاً جيّداً موصوفاً بالخير ، عنده مَرُوءة وانقطاع ، وكان من الفقهاء المدرّسين ، روى لنا عن جده ، وسمع حضوراً من صفية القرشية .

توفّي - رحمه الله تعالى - في العشر الأخير من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وست مئة .

ومولده في ثالث صفر سنة إحدى وأربعين وست مئة .

١٦١٥ - مُحَمَّد بن عبد الرّحيم بن عمر **

الجزري الباجرّ بقي ، بالباء الموحدة ، وبعدها ألف وجم وراء ساكنة وباء موحدة وقاف^(٢) . الشيخ الزاهد ابن المفتي الكبير جمال الدّين الشافعي .

وقد ذكرت والده^(٣) في (التاريخ الكبير) .

(١) ليست في (س) .

* الوافي : ٢٤٨/٣ .

** الوافي : ٢٤٩/٣ ، وفوات الوفيات : ٣٩٧/٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٦٢/٩ ، والبداية والنهاية : ١١٥/١٤ ،

والدّرر : ١٢/٤ ، وفيه : « ابن غير » .

(٢) ليست في (س) .

(٣) (س) : « والده المذكور » .

كان أمره عجيباً ، وحاله تجعل الولدان شيياً^(١) ، خلب عقول الكبار من الفضلاء ، وسَحَرَ بحاله السادة النبهاء النبلاء . لم نسمع عن أحدٍ ما بلغنا عنه من الأمور الخارقة ، والأحوال التي هي للعوائد مفارقة . حكى عنه جماعة فضلاء لا أتهم علومهم ، ولا أُستزَلُّ حلومهم ، حكايات ما أدري ما هي ، ولا أعرف ما تضاهي ، إلا أنها بعيدة عن تصديق عقلي بها ، نائية^(٢) عن انفعال نفسي لصحَّتِها عند تقليبها .

ولكن شاع هذا عند كثير من أهل عصري ، وأخذ كل منهم على ذلك إصري^(٣) ، فما أدري ما أقول ، إلا أن جماعة كفروه وأخرجوه عن حمى الإسلام ونفروه ، والله يعلم السرائر وما تنطوي عليه الضمائر ، وحُكِمَ بإراقة دمه من دمشق . وكان يكون ذلك دَرِيَّةً^(٤) للسيوف عند المشق .

وَضَاقَتْ خُطَّةٌ فَخَلَصَتْ مِنْهَا خُلُوصَ الْخَمْرِ مِنْ نَسْجِ الْفِدَامِ^(٥)

وفرَّ إلى الدِّيارِ المصريَّةِ ، وانقطع بالجامع الأزهر . وأتى هناك بأشياء مما ألقى به في دمشق وأشهر ، ثم إنه عاد إلى دمشق بعد مدة مديدة^(٦) ، وأقام بالقابون . واستمرَّ الناس يترددون إليه وينتابون .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءه ما أعجز الأوائل والأواخر رَدُّه ، وفَصَّلَ أوصاله الذي لا يلف^(٧) على طول المدى خَدَّه .

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ [المزمل : ١٧/ ٢٣] .

(٢) في الأصل : « نائية » ، ولا وجه لها .

(٣) أفاد من قوله تعالى : ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي ﴾ [آل عمران : ٨١/٣] .

(٤) (س) : « وكاد يكون دريئة » .

(٥) الفدَام : ما يوضع في فم الإبريق . ووقع في الأصل : « الجمر » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٦) في الأصل : « مدَّة » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٧) (س) : « لا يكف » ، وهي أشبه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - ليلة الأربعاء سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

كان والده الفقيه قد تحوّل بولديه بعد الثمانين إلى دمشق ، وسمعا من ابن البخاري ^(١) ، وجلس أبوها للإفتاء . ودرّس ومات وقد شاخ ، فتزهد محمد هذا . وحصل له حال وكشف وانقطع ، وصحبه جماعة فهون لهم ^(٢) الشرائع ، وأراهم بوارق شيطانية ، وكانت له قوة نفسانية فعالة مؤثرة ، فقصده الشيخ صدر الدين بن الوكيل وقلّده جماعة في تعظيمه ، وكان ممن قصده الشيخ مجد الدين التونسي النحوي ، فسلكه على عادته ، فجاء إليه في اليوم الثالث في الوقت الذي قال له يعود فيه ^(٣) ، وقال له : ما رأيت ؟ وقال : وصلت في سلوكي إلى السماء الرابعة . فقال له : هذا مقام موسى بن عمران ^(٤) بلغته في ثلاثة ^(٥) أيام ، فرجع الشيخ مجد الدين إلى نفسه وتوجّه إلى القاضي المالكي وحكى ^(٦) له ما جرى وجدّد إسلامه . وطلب الباجرقي وحكم بإراقة دمه القاضي جمال الدين المالكي قاضي القضاة بحضور جماعة من العلماء في يوم الخميس ثاني ^(٧) ذي القعدة سنة أربع وسبع مئة . وفي سابع عشر رمضان حكم قاضي القضاة تقي الدين الجنبلي بحرق دمه بحكم عداوة اليهود ، وذلك في سنة ست وسبع مئة ^(٨) ، وكان اليهود عليه مجد الدين التونسي وعماد الدين محمد بن مزهر ، والشيخ أبو بكر شرف

(١) في الأصل و (س) : « النجار » ، وأثبتنا ما في الوافي ومصادر ترجمته .

(٢) عبارة الوافي : « جماعة من الرذالة » . وفي الأصل : « فهون له » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) (س) والوافي : « تعود إليّ فيه » .

(٤) في الدرر : « هذا مقام إدريس » .

(٥) في الوافي والفوات : « أربعة » .

(٦) في الأصل : « وتوجّه فقال له ، وحكى » ، وهي مضطربة ، وأثبتنا ما في (س) والمصادر الأخرى .

(٧) في البداية والنهاية : ٣٤/١٤ : « الثاني والعشرين » .

(٨) البداية والنهاية : ٤٠/١٤ - ٤١ .

الصّالحيّ ، وجلال الدّين بن النجاري خطيب الزنجليّة^(١) ، ومحيي الدّين بن الفارغي ، والجمال إبراهيم بن الشيخ إسماعيل اللبناي^(٢) . والذين شهدوا بالعداوة ناصر الدّين بن عبد السّلام ، والشريف زين الدّين [بن]^(٣) عدنان ، وأخوه ، [و]^(٤) القاضي قطب الدّين ابن شيخ السّلاميّة ، وشهاب الدّين الرومي ، وشرف الدّين قيروان الشمسي . فاختمى وتوجه إلى مصر وانقطع بالجامع الأزهر ، وتردد إليه جماعة .

وحكى لي عنه الشيخ شمس الدّين بن الأكفاني حكايات عجيبة وأموراً غريبة ، وحكى لي غيره من مادّتها أشياء ليس للعقل فيها مجال . وحكى لي عنه^(٥) القاضي شهاب الدّين بن فضل الله أن أمين الدّين سليمان رئيس الأطباء حكى له عنه ، قال : كنت يوماً عنده في البستان الذي كان فيه ، فجاء البستاني وهو من أهل الصحراء العوام ، فقال له ابن^(٦) الباجريقي : اقعد . فقعد ورمق الشيخ^(٧) وقال للفلاح : تحدّث مع الرّيس أمين الدّين ، قال : فأخذ ذلك الفلاح يتحدّث معي في كلّيات الطّب وجزئياته وأنواع العلاج وخواص المفردات إلى أن أذهل عقلي ، ثم بعد ساعة شال الشيخ رأسه من عبّه فبطل ذلك الكلام ، وسألت الفلاح فقال : والله ما أدري ما قلت ، ولكن شيء جرى على لساني ما أدري .

(١) وتعرف أيضاً بالزنجارية ، خارج باب توما ، تنسب إلى فخر الدّين الزنجيلي (ت ٦٢٦ هـ) ، الدّارس : ٤٠٤/١ .

(٢) كذا في الأصل و (س) ، ومطبوعة الدّرر : ١٩/١ ، ووقع في بعض أصوله : « الكسائي » ، ولم يذكر سنة وفاته .

(٣) زيادة من (س) والوافي والدّرر ، وفي البداية : « ابن الشريف عدنان » .

(٤) في الأصل : « القاضي » ، وأثبتنا ما في (س) والدّرر .

(٥) (س) : « لي القاضي » .

(٦) في الأصل : « يابن » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٧) في الأصل : « وزنق » ، وأثبتنا ما في (س) والدّرر . وفي الدّرر : « وزمق الباجريقي » .

وقد حكي عنه عجائب من هذا . وكان الشيخ صدر الدين يتردد إليه كثيراً ، ويجلس بين يديه ويحصل [له] ^(١) بهت في وجهه ويضع كفه على ذقنه ويخللها بأصابعه :

عَجَبٌ مِنْ عَجَائِبِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَشَكْلٌ فَرْدٌ وَنَوْعٌ غَرِيبٌ

وشهد عليه مجد الدين التونسي ، وخطيب الزنجليّة ، ومحيي الدين ابن الفارغي ، والشيخ أبو بكر بن مشرف ^(٢) بما أبيح به دمه ، وجنّ أبو بكر هذا أياماً ثم عقل .

وحكي عنه التهاون في الصلوات ^(٣) وذكر النبي ﷺ باسمه من غير تعظيم ولا صلاة عليه ، يقول : ومن هذا محمد ^(٤) ؟ ! فحكم القاضي جمال الدين الزواوي المالكي بإراقة دمه ، فاختفى وسافر ^(٥) . وسعى أخوه بجاه بيبس العلائي إلى القاضي الحنبلي ، فشهد نحو العشرين أن الستة بينهم وبينه عداوة ، فعصم الحنبلي دمه ، وغضب المالكي ، وجدّد الحكم بقتله . ثم إنه جاء بعد مدة ونزل بالقابون ، وأقام به إلى أن مات وله ستون سنة .

وبما قيل عنه إنه قال : إنّ الرُّسل طوّلت على الأمم الطرق إلى الله تعالى .

قلت : بدون هذا يباع الحمار ، بدون هذا يسفك ألف دم من هذا وأمثاله .

١٦١٦ - مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ *

الخطيب محيي الدين شيخ بعلبك ، ومسندها ، وشيخ الكتابة .

(١) زيادة من (س) والفوات .

(٢) في الفوات : « شرف » .

(٣) (س) : « بال صلاة » .

(٤) (س) والوافي والفوات : « ومن محمد هذا ؟ » .

(٥) إلى العراق ، كما في الوافي والوفيات .

* ذيول العبر : ٢٣٣ ، والنجوم الزاهرة : ١٠٤/١٠ ، والدُرر : ١١/٤ .

حدَّث عن ابن عبد الدائم ، والقاسم الإربلي ، والرشيد العامري ، وابن هامل^(١) ،
وطائفة . وسمع الكثير^(٢) ، وكتب المنسوب .
وكان مليح الشكل عاقلاً صينياً .
توفي - رحمه الله تعالى - في تاسع شهر رمضان سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة عن
خمس وثمانين سنة .

١٦١٧ - مُحَمَّد بن عبد الرَّحيم بن علي*

القاضي شرف الدِّين الأرمَتي .

قال الفاضل كمال الدِّين الأذفوني : كان فقيهاً ذا وَرَع ونزاهة ومكارم ، وتولَّى^(٣)
الحكم بقنا ، ثمَّ ارتحل إلى مصر ، وتولَّى الحكم بإطفيح^(٤) ، ثمَّ بمنية بني خصيب
وأبياروقوة^(٥) ودمياط والفيوم وسيوط . قال : وكان قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة
يرعاه ويكرمه لِمَا اتَّصف به من النَّزاهة ، ولا يأكل لأحد شيئاً مطلقاً سواء كان من
أهل ولايته أو غيرهم ، غير أنه كان يقف مع^(٦) حظِّ نفسه ويحبُّ التعظيم وأن يقال عنه
رجل صالح ، وإذا فهم من أحد أنه لا يعتقده يحقد عليه ويقصد ضرره ، ويرى أنه إذا
عزل عن ولاية^(٧) لا يتولَّى أصغر منها ويعالج الفقر الشديد ، وعزله قاضي القضاة

(١) في الأصل : « ابن عامل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وهو محمد بن عبد المنعم بن هامل الحراني
(ت ٦٧١ هـ) ، العبر : ٢٩٦/٥ .

(٢) في الأصل : « الكتب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

* الوافي : ٢٥٠/٣ ، والطالع السعيد : ٥٢٨ ، والدُّرر : ١٢/٤ .

(٣) (س) والوافي والطالع : « تولَّى » .

(٤) بلدٌ بالصَّعيد الأدنى على شاطئ النيل في شرقه . (معجم البلدان) .

(٥) في معجم البلدان : منية أبي الخصيب ، على شاطئ النيل في الصعيد الأدنى . وأبيار : قرية بجزيرة بني
نصر بين مصر والإسكندرية . وقوة : بلدية على شاطئ النيل من نواحي مصر ، قرب رشيد . (معجم
البلدان) .

(٦) في الأصل : « عند » ، وأثبتنا ما في (س) والطالع والوافي .

(٧) في الأصل « ولايته » ، وأثبتنا ما في (س) والطالع والوافي .

جلال الدين القزويني من سيوط ثم عرض عليه دونها فلم يوافق مع شدة ضرورته ، واستمر بطالاً^(١) .

قلت : ما أحقه بقول الأول :

فَأَصْبَحْتُ بَعْدَ ذَاكَ تَفْسُو فَمَا سَوَى عِطْرَهَا فُسَاهَا

قال : وكان يحفظ (التنبيه) حفظاً متقناً معرباً . وكان قليل النقل والفهم ، وله في الحكم حرمة وقوة جنان .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بمصر في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة فيما يغلب على الظن .

١٦٢٨ - مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عَبَّاسٍ*

ابن أبي الفتح بن عبد الغني بن أبي محمد بن خلف بن إسماعيل القرشي ، الشيخ شرف الدين أبو الفتح المعروف بابن النشو .

كان حسن الشكل ، فيه أمانة ومعرفة . وسافر في التجارة إلى بغداد وديار مصر . وكان له مُلك^(٢) .

أسمعه خاله الشيخ برهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الغني القرشي ابن النشو بالقاهرة من ابن رواج ، ويوسف الساوي ، وفخر القضاة ابن الجباب ، وابن الجيزي بهاء الدين ، وغيرهم . وسمع أيضاً بدمشق .

وخرَّج له فخر الدين البعلبكي (مشيخة) في أربعة أجزاء عن نحو عشرين شيخاً . قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأتها عليه ، ومن الأجزاء التي تفرد بها بدمشق ،

(١) انظر الخبر في الطالع السعيد ، ففيه زيادة .

* الوافي : ٢٤٨/٣ ، والدُرر : ١٠/٤ ، والشذرات : ٥٢/٦ .

(٢) عبارة الدُرر : « وله بستان » .

وقرأتها عليه مراراً كتاب (المحدث الفاصل)^(١) الذي للرامهرمزي سبعة أجزاء ،
و (مشيخة وكيع ابن الجراح) ، وحديث إسماعيل [الصفار]^(٢) عن الصفاني
والدوري ، و (مسند عائشة) للمروزي ، والأجزاء الثلاثة من (المحامليات) :
السادس والسابع والتاسع^(٣) من المركبات وغير ذلك .

وتوفي - رحمه الله تعالى - ثالث شوال سنة عشرين وسبع مئة ، ودفن برا الباب
الصغير .

ومولده في جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين وست مئة .

١٦١٩ - مُحَمَّد بن عبد الصمد بن عبد القادر السنباطي*

قطب الدين ، الفقيه الشافعي .

سمع من الحافظ الدمياطي ، وقاضي القضاة ابن جماعة ، وغيرهما . وتَفَقَّه على
ظهر الدين الترمذي ، وتَقَيَّ الدين بن رزين . وبرَّع في مذهب الشافعي . وأفتى ،
وَدَرَّسَ ، وتصدَّر للإشغال ، وانتفع به الطلبة . وكان كثير النقل حافظاً للفروع ساكناً
متديناً . وناب في الحكم بالقاهرة ، وولي الوكالة بالديار المصرية ، ودرَّس بالفاضلية
والحامية ، وأعاد بالصالحية ، وصنَّف تصحيحاً لكتاب (التعجيز)^(٤) و (أحكام
المُبْعَض) .

(١) في الأصل و (س) : « الفاضل » ، تصحيف ، واسمه بتمامه : المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ،
صنَّفه الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي (ت ٣٦٠ هـ) ، الكشف : ١٦١٢/٢ ، والأعلام : ١٩٤/٢ .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) زيادة في (س) : « والثامن والتاسع » .

* الدُّرر : ١٦/٤ ، والبداية والنهاية : ١٠٤/١٤ ، والشذرات : ٥٧/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥٧/٩ .

(٤) الكشف : ٤١٨/١ .

وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولده بشرا من الغربية سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

قول أصحاب الشافعي رضي الله عنه : إنَّ الراهن والمرتهن إذا تَشَاخَا في الرهن يكون عند من يسلمه الحاكم إلى عدل صورة التشاحح ممَّا يسأل عنه .

فإنه إن كان قبل القبض فالتسليم غير واجب ، وإن كان بعد القبض فلا يجوز نزعهُ ممَّن هو في يده .

وكان الشيخ قطب الدِّين السنباطي - رحمه الله تعالى - يَصوِّر ذلك فيما إذا وضعاه عند عدل ففسق ، فإنَّ يده تُزال والرهن لازم ، فإذا تَشَاخَا حينئذٍ فمن يكون تحت يده اتجه اختيار الحاكم وكذلك لو رضى بيد المرتهن لعدالته حين القبض ثم فسق ينبغي أن يكون كذلك .

قلت : هذه الكذلكة الثانية لافائدة فيها فإنها هي الأولى بعينها .

١٦٢٠ - مُحَمَّد بن عبد العظيم بن علي بن سالم*

جمال الدِّين بن السَّقْطِي القاضي الشافعي .

كان رئيساً عاقلاً ليبياً وقوراً ، من قضاة العدل ، تولَّى نيابة الحكم بمصر والجيزة والقاهرة والقلوبية سنين كثيرة ، ولم يؤخذ عليه في حكمٍ حكم به ، ولا تُقَصَّ عليه أَمْرٌ أبرمه . شهد عنده جماعة في قضية فتتَبَّت فيها وركب إلى القرافة وقرأ تاريخ الوفاة من المشهود عليه^(١) ، ورجع الجماعة إليه ، فقال لهم : امضوا إلى قبره ، واقرؤوا تاريخ الوفاة ، فوجوا لذلك .

* الدُّرر : ١٨/٤ ، والشُّذرات : ١٦/٦ .

(١) عبارة الدُّرر : « على قبر للشهود » .

وله حكايات في التوقف وعدم التسامح في الأحكام . ودَرَس بالطيرسيّة بمصر وبالجامع الأحمر .

وسمع الحديث من ابن الصّابوني ، وأجاز له ابن باقا . وترك القضاء مدة .
وتوفي - رحمه الله تعالى - ليلة الإثنين حادي عشر شعبان سنة سبع وسبع مئة .
ومولده سنة اثنتين أو ثلاث وستين وست مئة .

ومن تشدّده - رحمه الله تعالى - ما حكاه الفاضل كال الدّين الأدفوي قال : حكى لي العالم الفقيه أبو إسحاق إبراهيم الإنساني قاضي قوص قال : وَقَعْتُ لشخص عنده قضية احتيج فيها إلى التعريف ، فقال له : أحضر من يعرف بك . فأحضر الشيخ علاء الدّين الباجي ، فقام إليه وأجلسه معه وبجّله ، فقال ذلك الشخص : سيّدي علاء الدّين يُعرّف بي ، فقال القاضي : سيّدي علاء الدّين أكبر من ذلك ، امضِ وأتِ بمن يعرف بك .

قال : وقال لي صاحبنا أبو عبد الله مُحَمَّد الإخيمي الشهير بابن القاسح ^(١) : طلبت من قاضي القضاة الشيخ تقي الدّين بن دقيق العيد ولاية العقود [بالقاهرة] ^(٢) وسألته أن يفوض ذلك إلى ابن السقطي فقال : ما يفعل ، قلت : بلى يفعل . فقال : أنا أقرب في ذلك منه .

وله حكايات في الثبّت والاحتياط والاحتراز معروفة مشهورة بين المصريين .

(١) في وفيات ابن رافع ٥٢/١ : ابن القاصح ، وهو فيه : مُحَمَّد بن يوسف (ت ٧٢٨ هـ) .

(٢) زيادة من (س) .

١٦٢١ - مُحَمَّد بن عبد الغني بن عبد الكافي*

ابن عبد الوهاب بن مُحَمَّد بن أبي الفضائل ، الشيخ زين الدِّين الأنصاري بن الحرساني^(١) .

سمع من ابن صباح ، وابن اللَّيْثي ، وغيرها .

وحدَّث بالدارمي ، قرأه عليه ابن حسيب ، وكان ذَهَبِيًّا^(٢) بقرارية المد ، وله حرمة ووجاهة ببلده لدينه ومكارمه ، وكان حافظاً للحكايات والأشعار يوردها إيراداً جيداً ، وكان يلقب بالنحوي .

توفي - رحمه الله تعالى - سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة خمس وعشرين وست مئة .

١٦٢٢ - مُحَمَّد بن عبد الغني بن محمد**

ابن يعقوب بن إلياس ، الشيخ شمس الدِّين بن عز الدِّين ابن قاضي حرَّان ، الحموي النحوي .

كان مُتَّصِداً بجامع حمة الأعلى للإقراء ، وفقهياً في المدارس ، وله خصوصية بالأمير بدر الدِّين حسن بن الأفضل ، وله عنده منزلة .

توفي - رحمه الله تعالى - في ثامن صفر سنة ثمان عشرة وسبع مئة .

* الوافي : ٢٦٨/٣ ، والعبر : ٤٠٣/٥ ، والشذرات : ٤٥٢/٥ .

(١) في (س) والوافي زيادة : « وعبد الوهاب هو أخو القاضي أبي القاسم بن الحرساني » .

(٢) في العبر : « هو زين الدِّين الذهبي المعروف بالنحوي » .

** الدرر : ١٩/٤ .

١٦٢٣ - مُحَمَّد بن عبد القادر *

ابن عثمان بن منهال المصري ، الصَّدْرُ عز الدِّين .

كان رجلاً جيِّداً عارفاً ، ولم يكن رأى دمشق ، فنزل بالمدرسة الإقباليَّة الحنفيَّة^(١) .

قال شيخنا البرزالي : فاجتمعتُ به وذاكرني في مروياته [ومسموعاته]^(٢) ، وكان له ميل إلى أن يخرج له شيء ، وكان له شعر ، وتولَّى إمامة الجامع الحاكمي بالقاهرة .

وسمع من الحرَّاني ، وشاميَّة^(٣) ، والصفِّي خليل ، وطبقتهم .

وأجاز له جماعة من المتأخرين من أصحاب البوصيري ، وجمع شيوخه بالإجازة ، وربَّتهم فزادوا على الألف .

وتوفِّي - رحمه الله تعالى - ثاني عشر جمادى الأولى سنة تسع وسبع مئة ، ودفن بسفح قاسيون في تربة ابن الجَوْخي .

ومولده سنة إحدى وستين وست مئة .

١٦٢٤ - مُحَمَّد بن عبد القوي بن بدران **

الإمام المفتي النحوي شمس الدِّين أبو عبد الله المقدسي المرداوي الحنبلي .

* الدرر : ٢٠/٤ .

(١) واقفها الأمير إقبال عتيق الخاتون . الدَّارس : ٣٦٢/١ .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) (س) : « شامية » ، تحريف ، وهي شامية بنت البكري ، أمة الحق بنت الحسن بن محمد

(ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٢/٥ .

** الوافي : ٢٧٨/٣ ، والبيغة : ١٦١/١ ، والشُّذرات : ٥٤٢/٥ ، والدَّارس : ٦٥/٢ ، والنجوم الزاهرة :

١٩٢/٨ .

قدم الصّاحيّة ، وتفقّه على الشيخ شمس الدّين وغيره .

وبرع في العربية واللغة ، وأقرأ ودرّس وأفتى وصنّف ، وكان حسن الديانة ، دمث الأخلاق . ولي تدرّيس الصّاحيّة^(١) ، وكان يحضر دار الحديث ويُسّغل بها وبالجليل .

وسمع من خطيب^(٢) مردا ، ومن مُحَمَّد بن عبد الهادي ، وعثمان بن خطيب القرافة ، ومظفر بن الشيرجي^(٣) ، وإبراهيم بن خليل ، وابن عساكر تاج الدّين .

وله قصيدة دالية في الفقه ، وكان على ذهنه حكايات ونوادر . وقرأ النحو على الشيخ جمال الدّين بن مالك وغيره . وأخذ عنه القاضيان شمس الدّين بن مسلم ، وجمال الدّين بن جملة .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده بمردا سنة ثلاثين وست مئة .

١٦٢٥ - مُحَمَّد بن عبد الكريم بن علي التبريزي*

المقرئ المعمّر نظام الدّين .

سافر مع أبيه للتجارة وأقام بحلب ، وسمع من ابن رواحة ، وقال : سمعت بها من بهاء الدّين بن شدّاد . وكَمّل القراءات سنة خمس وثلاثين وست مئة على السخاوي

(١) أنشأتها ربيعة خاتون بنت نجم الدّين أيوب بحبل الصّاحيّة بسفح قاسيون من الشرق . الدّارس : ٦٢/٢ .

(٢) في الأصل : « الخطيب » ، سهو .

(٣) في الأصل : « السيرجي » ، تصحيف ، وسلفت الإشارة إليه .

* الوافي : ٢٨٢/٣ ، والدّرر : ٢٢/٤ ، وغاية النهاية : ١٧٤/٢ .

إفراداً وجمعاً ، وتلا بحرف أبي عمرو بالشعر على أبي القاسم الصِّفراوي ، وبمصر على ابن الرِّمَّاح . وتلا به وبغيره خِتماً على المنتخب الهمداني ^(١) .

ثم استوطن دمشق وأم ^(٢) بمسجد وأقرأ بملقة ، وكان ساكناً متواضعاً كثير التلاوة . قرأ عليه شيخنا الذهبي لأبي عمرو ، وسمع منه (حرز الأمان) بقراءة ابن منتاب .

وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم الأربعاء سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة ست وسبع مئة .

ومولده بتبريز سنة ثلاث عشرة وست مئة .

١٦٢٦ - مُحَمَّد بن عبد الكريم بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد*

الصِّدر مجير الدِّين بن المغيزل .

كان قد تولَّى نظر الدَّواوين ^(٣) بحجة .

وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبع مئة .

وقد تقدم ذكر والده شرف الدِّين في حرف العين مكانه .

١٦٢٧ - مُحَمَّد بن عبد الكريم بن مُحَمَّد بن علي**

الشيخ الإمام العالم الزاهد الورع شمس الدِّين أبو عبد الله القرشي [بن] ^(٤)

الشَّماع .

(١) في غاية النهاية : « المنتخب بن الهمداني » ، وفي الأصل : « المنتخب » . وهو المنتخب بن أبي العز بن رشيد الهمداني (ت ٦٤٣ هـ) . المعبر : ١٨٠/٥ .

(٢) في الأصل : « وأقرأ » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

* الثُّرر : ٢٤/٤ .

(٣) (س) : « الديوان » .

** الثُّرر : ٢٤/٤ .

(٤) زيادة من (س) والثُّرر .

كان فاضلاً ، من أعيان الفقهاء ، وله مشاركة في القراءات ^(١) والحديث والأصول والنحو ، [سمع] ^(٢) من أصحاب الخشوعي وابن طبرزد ، وحصل النسخ ، وقرأ وحديث وتزهد مدة .

أقام بصفد في أواخر عمره إلى أن مات بها - رحمه الله تعالى - في مستهل جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبع مئة .

١٦٢٨ - مُحَمَّد بن عبد اللطيف بن يحيى *

ابن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن تميم بن حامد ، أقضى القضاة تقي الدين أبو الفتح بن أبي البركات بن أبي زكريا الأنصاري الخزرجي السبكي الشافعي .
أجاز ^(٣) له لمّا ولد جماعة من المُسندين منهم الحافظ شرف الدين الدمياطي ، وفي تلك السنة توفي .

وأحضره أبوه على أبي العباس أحمد بن قاضي القضاة شمس الدين مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي ، وأبي الحسن علي بن محمد بن هارون الثعلبي ، وأبي المحاسن يوسف بن المظفر بن كوركيل ^(٤) الكَحّال ، وأبي الحسن علي بن عيسى بن سليمان بن القيم ، وغيرهم .

وأجاز له في سنة سبع وسبع مئة خَلَقَ من أعيان المشايخ بالديار المصرية والشاميّة يطول ذكرهم . ثمّ سمع بنفسه من خلق بالقاهرة ومصر وأعمالها ومكّة والمدينة ودمشق

(١) (س) : « له مشاركة في القراءات » .

(٢) زيادة من (س) ، ولكن فيها : « سمع من ابن الخشوعي » ، وهو سهو ، وفي الثرر : « سمع من جماعة من أصحاب الخشوعي » .

* الوافي : ٢٨٤/٣ ، ووفيات ابن رافع : ٢٠٠/١ ، والدُرر : ٢٥/٤ ، والشذرات : ١٤١/٦ ، وذبول العبر : ٢٤١ .

(٣) أخذ للصَّنَف مادة هذه الترجمة من لفظ ابن السبكي نفسه ، كما في الوافي .

(٤) في الوافي : « كوركيل » ، تحريف ، انظر ، الثرر : ٤٧٨/٤ ، ووفاته سنة (٧١٠ هـ) .

بقراءته^(١) وقراءة غيره كأبي علي الحسن بن عيسى بن خليل الهكاري وأبي الحسن علي بن عمر بن أبي بكر الواني وأبي الهدى أحمد بن مُحَمَّد^(٢) بن علي بن شجاع العباسي ، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، ومُحَمَّد بن عبد الحميد بن مُحَمَّد الهمداني ، وعبد الله بن علي بن عمر بن شبل الحيري ، ويوسف بن عمر بن حسين الختني ، وأحمد بن أبي طالب الصالح ، ويحيى بن يوسف المقدسي ، ويحيى^(٣) الدين بن فضل الله ، وعلي بن إسماعيل الخزومي ، ومُحَمَّد بن عبد المنعم الصواف ، وأبي بكر بن يوسف بن عبد العظيم المصري ، وخلائق يطول^(٤) ذكرهم . وسمع العالي والنازل ، وكتب بنفسه وخرَّج وانتقى وحصل .

وقرأ القرآن بالسبع في ختاتٍ على شيخنا العلامة أبي حيان ، وأجاز له بإقراءه^(٥) حيث شاء متى شاء ، وكتب له خطّه بذلك .

وقرأ الفقه على مذهب الشافعي ، وغيره من العلوم على شيخنا العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وقرأ الفقه أيضاً على جده يحيى بن علي ، وعلى الشيخ قطب الدين السنباطي . وقرأ الفقه أيضاً على ذي الفنون أبي علي الحسين^(٦) بن علي الأسواني ، ولازمه مدة طويلة ، واشتغل بأصول الفقه على جده يحيى .

وقرأ النحو على شيخنا العلامة أثير الدين ، لازمه نحواً من سبعة عشر عاماً ، وشرح عليه (تقريب المُقَرَّب) تصنيفه ، وكتاب (التَّسهيل) لابن مالك ، وأجازة بإقراءها ، وسمع عليه كثيراً من (شرحه للتسهيل) ، وكثيراً من (كتاب سيبويه)

(١) في الوافي : « بذاته » .

(٢) في الأصل : « وأبي الهدى علي بن محمد أحمد ... سهو ، وأثبتنا مافي (س) و (خ) والوافي .

(٣) (س) : « يحيى » ، تحريف .

(٤) في الأصل : « طول » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) ، والوافي .

(٥) (خ) : « وأجاز بإقراءه » ، وفي (س) : « وأجاز به بإقراءه » ، وفي الوافي : « ويأجازه بإقراءه » .

(٦) (خ) : « الحسين » ، تحريف .

ساعاً وشرحاً ، وسمع عليه كثيراً من شعره بقراءتي أنا ، وسمع عليه من شعر غيره ، وكثيراً^(١) من المرويات الأدبية . وسمع عليه (مقامات) الحريري بقراءتي أنا ، وقرأ كتاب (لباب الأربعين)^(٢) وكثيراً من علم الخلاف على شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي . وقرأ كتاب (مطالع الأنوار) مرتين على الشيخ تاج الدين التبريزي ، وسمع عنده كثيراً من الكتب المنطقية والخلافية والأصولية . وجالس في الأدب شيخنا العلامة ناصر الدين شافع بن علي وسمع عليه من شعره وتصانيفه ، ومدحه بأبيات منها :

رأت العدا عباس جدك طاهراً فأتوا إلى علياً نذاك بشافع

كان هذا أفضى القضاة تقي الدين من أصح الناس ذهنأ وأذكاهم^(٣) فطرة كما سفر البدر وهنأ .

شارك في فنون ، وعارك في عدة علوم خاض منها في شجون ، عمل في القراءات عملاً بخل الزمان [به]^(٤) على السخاوي ، وكسر له ابن جبارة فما يقاومه ولا يقاوي^(٥) .

وجدت في سماع الحديث ، وقرأ بنفسه ، فما عند السلفي منه تقده ، ولا ابن عساكر لولاقاه لولئى فراراً وهو^(٦) وحده .

واشتغل بالفقه فلو أن الماوردي في زمانه ماتسمى أفضى القضاة ، أو رآه الروياني نشف بجره في فضاء .

(١) في الأصل : « وحدث وكثيراً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

(٢) لأبي الشتاء الأرموي محمود بن أبي بكر بن أحمد (ت ٦٨٢ هـ) ، وكتابه مخطوط . الأعلام : ١٦٦/٧ .

(٣) في الأصل : « وأذكاه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٤) زيادة من (س) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « ولا يقاري » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٦) في الأصل : « لولاقاه ، لو رآه وهو » .

ودأب في الأصول فما للآمدي^(١) في مداه خطوه^(٢) ، ولا لابن خطيب الرّي ري إذا رقا من المنبر على ذرّوه .

وأكبّ على العربية حتى أطار ابن عصفور عن هذا الفن ، وغدا الزجاجي يكسر قواريره على ضنّه بما ظن . وحضر مادب الأدب حتى افتقر صاحب (الذّخيره) وجعل صاحب (القلائد) مع الحصري على حصيره . وكتب قَرُوضَ المهارق ، وأخل بخطه الخمائل ، وقد أحدثت بها زهرُ الحقائق . ونظم الشعر الذي ترقق وانسجم . ولام الناس صاحب (لاميّة العرب) و (لاميّة العجم) :

لفظٌ كأنّ معاني السُّكرِ تسكنُهُ فَمَنْ تَحَفَّظَ بَيْتاً مِنْهُ لَمْ يَفِقِ
إذا تَرَنَّمَ شَادٍ لِلْيَرَاعِ بِهِ لاقى الْمَنَايا بلا خَوْفٍ ولا حَرَقِ

وأما الدين فإنه تمسّك منه بالجل المتين ، وأما الورع فكان معلّقاً منه في الوتين ، له في ذلك عجائب ، وأخبار تحملها الصّبا والجنائب ، قدم على شيخنا العلامة شيخ الإسلام وهو مقيم بالشام وعاد إلى القاهرة ثم زاره ثانياً فأمسكه إمساك غريم الدّ ، وألزمه بنيابته فسلّك فيها الطريق الأسدّ بالأمر الأشدّ .

ولم يكن يزل على حاله إلى أن جرّ أبو الفتح إلى لَحْدِهِ ، وطوت شقّة الأيام منه نسيج وَحْدِهِ .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - ليلة السبت ثاني عشر ذي القعدة سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

وكان قد نَزَلَ بالمدارس في القاهرة وتولّى الإعادة للفقهاء بالشهد الحسيني والمدرسة السّيفيّة في حدود سنة عشرين وسبع مئة . ودَرَسَ بالمدرسة السّيفيّة المذكورة سنة أربع وعشرين وسبع مئة نيابة عن جده أبي زكريا يحيى ، واستقرّ التدريس بها باسمه ،

(١) في الأصل : « والآمدي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « مدى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

ولم يزل بها مُدرّساً مع ما أضيف إليه من الوظائف إلى أن باشر التصدير بالجامع الطولوني وغيره لَمَّا توجّه شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدّين السبكي إلى الشام وولي القضاء بالمقسّم ظاهر القاهرة .

ثمّ إنه ورد الشام وتولّى تدريس المدرسة الركنيّة الجوّانية وخلافة الحكم العزيز بالشام والتصدير بالجامع الأموي .

وكان - رحمه الله تعالى - شديد الورع^(١) متحرّزاً في دينه محتاطاً لنفسه ، درّس بالركنية فحكى لي بعض الفقهاء^(٢) أنه كان لا يتناول منها ما فيها^(٣) من الجراية ويقول : تركي لهذا في مقابلة^(٤) أني ما يتهيا لي فيها الصّلوات الخمس . وكان سديد^(٥) الأحكام بصيراً بمواقع الصّواب فيها .

وكتب إلى شيخنا العلامة أبي حيان مع خشكنانج [جهّزه]^(٦) إليه بعد عيد الفطر :

أهنيك بالعيد الذي حلّ عندما خلّعت عليه من غلاك جلالاً^(٧)
وحاولت تعجيل البشارة والهنأ فأرسلت من قبل الهلال هلالاً
ومن شعره - رحمه الله تعالى :-

والله لم أذهب لبحر سلـــــوّة لكم ولا تفريج قلب موجّع^(٨)

(١) في الأصل : « الزرع » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) (س) ، (خ) ، والوافي : « بعض فقهاء المدرسة » .

(٣) عبارة الوافي : « ما للدرس فيها » .

(٤) في (س) ، (خ) ، والوافي : « مقابلة على أني » .

(٥) في الأصل و (س) : « شديد » ، وأثبتنا ما في (خ) ، والوافي .

(٦) زيادة من (س) ، (خ) . وفي (س) والوافي : « .. قبل عيد الفطر » .

(٧) (س) : « حلّ عندما » ، وفي الوافي : « حلالاً » .

(٨) (س) : « ببحر » .

لَكِنَّهُ لَمَّا تَأَخَّرَ مُدَّةً أَحْبَبْتُ تَعْجِيلَ الْوَفَاءِ بِأَدْمَعِي

ومنه :

مُنْذُ بَعْدْتُمْ فَسُرُورِي بَعِيدُ وَبَعْدَكُمْ لَمْ أَتَمَتَّعْ بِسَعِيدِ^(١)
وَكَيْفَ يَهْوَى الْعِيدُ أَوْ نَزْهَةً شَهِيدٌ وَجِدٍ وَدُمُوعَ تَزِيدُ
فَالْبَحْرُ مِنْ تَيَّارِ دَمْعِي لَهُ يَبْكِي بِهِ وَالْعِيدُ عِيدَ الشَّهِيدِ^(٢)

وكنْتُ قد كتبتُ إليه في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وسبع مئة :

تَقِيَّ الدِّينَ يَا أَقْضَى الْبَرَايَا وَيَا رَبَّ النَّهْيِ وَالْأَلْمِيَّةِ
وَيَا [مِنْ] رَاحِ أَثْنَيْتِي عَلَيْهِ تَضَوُّعُ كِسْكَ فَطَرْتِهِ الذِّكْيَةِ^(٣)
أَهْزِ إِلَيَّ مِنْكَ بِجَذَعِ عِلْمٍ فَوَائِدُهُ تَسَاقُطُ لِي جَنِيَّةِ
لَا نَسْكَ لَا تَسَامِي فِي عُلُومٍ نَزَلَتْ بِهَا مَنَازِلُكَ الْعَلِيَّةِ
وَنَظْمُكَ نَظْمُ مَصْرِيٍّ طِبَاعاً خَلَاوَتُهُ لَذَلِكَ قَاهِرِيَّةِ
وَدَأْبُكَ فَتَحُ بَابِ النَّصْرِ حَقّاً وَغَيْرِكَ شَغْلُهُ بِالْبَاطِلِيَّةِ^(٤)
أَفِئْدُنَا إِنَّنَا فَقَرَاءُ فَهْمٍ لَمَّا تَمَلَّى فَضَائِلُكَ الْغَنِيَّةِ
تَقَرَّرُ أَنْ فَعَّالاً فَعُولاً مُبَالِغَتَانِ فِي اسْمِ الْفَاعِلِيَّةِ
فَكَيْفَ تَقُولُ فِيمَا صَحَّ مِنْهُ وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ الْبَرِّيَّةِ^(٥)
أَيُعْطَى الْقَوْلُ إِنْ فَكَّرْتَ فِيهِ سَوَى نَفْيِ الْمُبَالِغَةِ الْقَوِيَّةِ
وَكَيْفَ إِذَا تَوَضَّأْنَا بِمَاءٍ طَهُورٍ وَهُوَ رَأْيُ الشَّافِعِيَّةِ
أَزَلْنَا الْوَصْفَ عَنْهُ بِفَرْدٍ فَعَلٍ وَذَاكَ خِلَافُ رَأْيِ الْمَالِكِيَّةِ

(١) في الأصل : « ولم أتمتع » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (س) ، والوافي .

(٢) (س) والوافي : « دمع » .

(٣) الزيادة من (س) ، (خ) ، والوافي . وفي (س) : « كثل فطرته » .

(٤) في الأصل : « دأب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

(٥) فيه اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ [فُصِّلَتْ : ٤٦/٤١] .

فأوضح ما ادهم عليّ حتى
فإن يندو ظلام الشك مني
ودم للمشكلات تميّط عنها
فكتب الجواب إليّ عن ذلك ، وأجاد :

جلوت عليّ ألفاظاً جليّة
ونظمت الجواهر في عقود
وأبدعت المسير من نظام
لآلٍ مثل بدر التّم نوراً
حلاوتها تخالط كل قلب
أتت من حافظ الآداب طراً
وتعزى للخليل فافؤادي
فهمت بما فهمت من المعاني
لأنّ العجز مني غير خاف
تأفّف صاغة الآداب مني
ومنّ جاء الحروب بلا سلاح
فخذ ما قد ظفرت به جواباً
فظلام كبزاز وأيضاً
وقد ينفي القليل لعلّة في
وقد يتحى به التّكثير قصداً
وأما قوله ماء طهور

وسقت إليّ أباراً سنينة
فأزرت بالعقود الجوهريّة^(١)
فالمسير عندي مزيّة
ولكن في النهار لنا مضيّة
ومن حشو وحوشي نقيّة
وقلبي مغرم بالحافظيّة
يميل هوى لغير السّكريّة
ولم أظفر بنكتتها الخفيّة
ومالي في العلوم يد قويّة
ومالي للإجابة صالحيّة
كمن عقّد الصّلاة بغير نيّة
فأنا قدر فطرتك الذّكيّة
فقد يأتي بمعنى الظّالميّة
فوائده بنفي الأكثريّة
لكثرة من يضام من البريّة
ونصرت له لقول المالكيّة

(١) (س) ، (خ) ، والوافي : « فإن يدجو ... فذهنك ذو » وهي أشبه .

(٢) في (س) ، (خ) ، والوافي : « تميّط عنها ... مديّة » .

(٣) (س) و (خ) والوافي : « الكواكب في » .

فَجَاءَ عَلَى مُبَالَغَةِ فَعُولٍ وشَاعَ مَجِيئُهُ لِلْفَاعِلِيَّةِ
وَقَدْ يُنَوَّى بِهِ التَّكْثِيرُ قَصْدًا لِكَثْرَةِ مَنْ يَرُومُ الطَّاهِرِيَّةِ
وَأَيْضًا فَهُوَ يَغْسِلُ كُلَّ جِزءٍ وِلَاءٍ وَهُوَ رَأْيُ الشَّافِعِيَّةِ
فَخَذَهَا مِنْ مُحِبٍّ ذِي دُعَاءٍ أَتَى مِنْهُ الرُّوْيَ بِلَا رَوِيَّةِ
لَهُ فِيكُمْ مَوَالَاةٌ حَلَّتْ إِذْ أَصُولُ الْوُدِّ مِنْهُ قَاهِرِيَّةِ^(١)
فَإِنْ مَرَّتْ إِذَا مَرَّتْ فَعَفُوا فَإِنَّ السِّرَّ شِمَتَكَ الْعَلِيَّةِ
فَمَرَّسَلُ شَعْرَةٍ مَا فِيهِ طَعْمٌ تَجَابُ بِهِنَّ الْقَوَافِي السُّكْرِيَّةِ

وأورد له قاضي القضاة تاج الدِّين أبو نصر عبد الوهاب السبكي في (الطبقات الصُّغرى) له ، قال : وأنشدني أبو الفتح لنفسه بقراءتي عليه :

إِذَا رُمَتْ تَعْدَادُ الْخُلَافِ عُدَّتْهُمْ كَمَا قَلَّتْ تَدْعَى اللَّيْبِ الْمَحْصَلَا
عَتِيقٌ وَفَارُوقٌ وَعَثَانٌ بَعْدَهُ عَلِيٌّ الرِّضَى مِنْ بَعْدِهِ حَسَنٌ تَلَا
مَعَاوِيَةَ ثُمَّ ابْنُهُ وَحْفِيدُهُ مَعَاوِيَةَ وَابْنُ الزُّبَيْرِ أَخُو الْعَلَا
وَمِرْوَانَ يَتْلُوهُ ابْنُهُ وَوَلِيدُهُ سَلِيمَانَ وَافِي بَعْدَهُ عَمْرٌ وَلَا^(٢)
يَزِيدُ هِشَامٌ وَالْوَلِيدُ يَزِيدُهُمْ سَنَاهُمْ وَإِبْرَاهِيمُ مِرْوَانٌ قَدْ عَلَا^(٣)
بَسِيفَاحِ الْمَنْصُورِ مَهْدِيٌّ ابْتَدَى وَهَادٍ رَشِيدٌ لِلْأَمِينِ تَكْفَلَا
وَأَعْقَبَ بِالْمَأْمُونِ مُعْتَصِمٌ غَدَا بِوَأَثَقِهِ يَسْتَبْعُ الْمَتَوَكَّلَا
وَمُنْتَصِرٌ وَالْمُسْتَعِينُ وَبَعْدُهُ لِمُعْتَزِ الْمَتَلَوِّ بِالْمَهْتَدِي انْقَلَا
وَمُعْتَدٌ يَقْفُوهُ مَعْتَصِدٌ وَعَنْ سَنَا الْمَكْتَفِي يَتْلُوهُ مَقْتَدِرٌ سَلَا
وَبِالْقَاهِرِ الرَّاضِي تَعَوَّضُ مَتَّقِي وَبِاللَّهِ مُسْتَكْفٍ مُطِيعٌ تَقْضَلَا

(١) في الأصل : « حكت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « وحفيدة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) في الأصل : « قد تلا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وطائِعُهُمُ اللَّهُ بِاللَّهِ قَادِرٌ
وَمُسْتَرَشِدٌ وَالرَّاشِدُ الْمُتَّقِي بِهِ
وظَاهِرُهُمْ مُسْتَنْصِرٌ قَدْ تَكَلَّمُوا
وَمُسْتَنْصِرٌ وَحَاكَمَ وَابْنَهُ وَلَمْ
فَدُونَكُهَا مِنِّي بَدِيْءًا نَظْمَتُهُ
وَقَائِمُهُمُ بِالْمُقْتَدِي اسْتَظْهَرَ الْعُلَا
وَمُسْتَنْجِدٌ وَالْمُسْتَضِي نَاصِرٌ تَلَا
بِمُسْتَعِصِمٍ فِي وَقْتِهِ ظَهَرَ الْبَلَا
يَقُمُ وَائْتِقَ حَتَّى أَتَى حَاكَمَ الْمَلَا
فَإِنْ أَتَى تَقْصِيرًا فَكُنْ مُتَطَوِّلًا

وكتب له شيخنا العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى :

أَجَدْتُ تَقِيَّ الدِّينِ نَظْمًا وَمَقُولًا
فَمَنْ رَامَ نَظْمًا لِلْأُمَّةِ بَعْدَهَا
لَمْ تُبْقِ شَأْوًا لِلْفَضَائِلِ وَالْعُلَا
يَوْمٌ مُحَالٌ خَاسِبٌ وَمُجْهَلٌ^(١)

قلت : لم يذكر تقي الدين - رحمه الله تعالى - إبراهيم بن المهدي ، وكان قد تولى^(٢) بعد الأمين ، ولا ابن المعتز في خلفاء بني العباس ، لأنه بويغ له في حياة المقتدر بعدما خلع ، وكانت بيعة ابن المعتز يوم السبت لعشر بقين من شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومئتين ، وأقعد في دار الداية ، وسلم عليه بإمرة المؤمنين ، لأن أولياء الأمر قالوا : المقتدر غير بالغ ، ثم كان أمر ابن المعتز يوم السبت وبعض يوم الأحد ، ثم فسد أمره وبطل لأن غلمان المقتدر صعدوا في الطيارات في الماء وصاحوا من دجلة ، فخاف أصحاب ابن المعتز وتفرقوا ، وأخذ وقتل وأعيد المقتدر . وفي ابن المعتز قال القائل :

لِللَّهِ دَرْكٌ مِنْ مَلِكٍ بِمُضِيعَةٍ
وَأَنَا أَدْرِكُهُ حِرْفَةُ الْأَدَبِ^(٣)
مَا فِيهِ لَوْ لَا لَوْلَا تُنْقِصُهُ

(١) (خ) : « مجالاً » .

(٢) (خ) ، (س) : « قد ولي » .

(٣) (س) : « فنقصه » .

وفي قوله - رحمه الله تعالى - : « ووليدته سليمان » تجوّزَ يوهّم من لا علم له أن وليده سليمان واحد ، ومراده اثنان لأنه قال : « ومروان يتلوه ابنه » ، يعني به عبد الملك ، وولي بعد عبد الملك ابنه الوليد الذي عمّر الجامع الأموي ، ثم تولّى بعده سليمان ، فقوله : « ووليدته سليمان » كان ينبغي أن يأتي بينها بفصل ، لأن لفظة الوليد مشتركة بين الولد والعلم .

وقد نظم الشيخ برهان الدّين الجعبري - رحمه الله تعالى - قصيدة في هذه المادة مليحة ذكر الخلفاء إلى آخر وقت كلاًّ منهم بلقبه وعمره ومُدّة خلافته ، لكنها بخلاف بحروف الجُمَل ، وقد ذكرتها مستوفاة في الجزء الرابع عشر من (التذكرة) التي لي . وله قصيدة أخرى نونيّة مردفة بألف ، ذكر ذلك بعد حروف الجُمَل ، بل ذكره تصريحاً^(١) .

ولشيخنا الذهبي أبيات قليلة ضمّنها أسماء الخلفاء أيضاً في ثمانية أبيات ذكرتها أيضاً في هذا الجزء ، وللرشيد الكاتب قصيدة رجز في ذكر الخلفاء ، وقد أودعتها في الجزء السابع والثلاثين من (التذكرة) التي لي ، وبعضهم نظم الخلفاء المصريين وما رأيت من نظمهم غيره ، وهي :

والأوّل المَهْدِيُّ ثُمَّ الْقَائِمُ	وبعدّة المنصور ذاك العَالِمُ
ثُمَّ الْمُعَزُّ بعدّة العَزِيزُ	والحَاكِمُ المَبْرُزُ الإِبْرِيْزُ
والظَّاهِرُ المشهورُ والمُسْتَنْصِرُ	في عهده شَخْصُ المُهْدَى مُسْتَبْصِرُ
والمُصْطَفَى للسّديّن والمُسْتَعْلِي	وأمِرّ والحَافِظُ المُسْتَعْلِي ^(٢)
والظَّاهِرُ المَذْكُورُ ثُمَّ الفَائِزُ	والعَاضِدُ الأخير ذاك الفَائِزُ

(١) (س) ، (خ) : « صريحاً » .

(٢) (س) : « المستعلي » .

ونظم أبو الحسين الجزار أرجوزة سماها : (العقود الدرّية في الأمراء المصريّة) ، ذكر فيها من حكم في مصر من أول الإسلام إلى آخر أيام السعيد بن الظاهر ، ثم كل على ذلك فيما أظن الشيخ علاء الدّين بن غانم إلى آخر أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون في الدولة الثانية ، ثم كل عليها القاضي شهاب الدّين بن فضل الله إلى آخر أيام الملك الصّالح إسماعيل بن الناصر محمد ، ثم إنني أنا كملت عليها إلى آخر وقت ، وهي جميعها في الجزء الرابع من (التذكرة) التي لي .

١٦٢٩ - مُحَمَّد بن عبد الله بن أحمد *

القاضي شرف الدّين [بن صاحب] ^(١) فتح الدّين القيسراني الخزومي .

روى (جزء ابن عرفة) عن ابن عبد الدائم ، وسمع من الفقيه اليونيني ^(٢) ، وإبراهيم بن خليل ، وجماعة .

ولد مجلب سنة ثمان وأربعين وست مئة .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في يوم الجمعة مستهلّ شعبان سنة سبع وسبع مئة .

وكان من بيت حشمة وصداره ، وكتابة ووجاهة وعبارته ^(٣) ، وسيادة تسفل عن مراقبي مراتبهم النجوم السيّارة . جملوا الممالك وصانوها ، وزادوا الدول بهجة بألفاظهم وزانوها .

وكان القاضي شرف الدّين هذا إذا كتب أخذ أرض الطرس زخرفها وأزيّنت ^(٤) .

* الوافي : ٣/٣٧٠ ، والدّرر : ٣/٤٨١ .

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) (س) : « محمد اليونيني » .

(٣) (س) : « ووزارة » .

(٤) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأُزِيَّتْ وَطَنُ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا

أَتَاهَا أَمْرُنَا ﴾ [يونس : ٢٤/١٠] .

وَعَدَّتْ مِنَ الْخَيْرَاتِ [الْيَانِيَّةُ] ^(١) وَتَعَيَّنَتْ . نَظَّمَ كَأَنَّهُ الْقَلَائِدَ ، وَنَظَّمَ يَشْبَهُ الدَّرَّ عَلَى لَبَّاتِ الْخِرَائِدِ ، كُلَّهُ مُنْتَخَبٌ ، وَكُلُّهُ وَجْهٌ غَانِيَةٌ كَأَنَّهُ بِالْحَسَنِ ^(٢) الْبَارِعِ قَدْ انْتَقَبَ :

كَأَنَّ طُرُوسَ رَوْضِ نَضِيرٍ وَأَزْهَارَ الْمَعَانِي فِيهِ غَضُّهُ
فَكَمْ نَالَ الْأَدِيبُ بِهَا غِنَاءَهُ لِأَنَّ كَلَامَهُ ذَهَبٌ وَفِضُّهُ

وَكَانَ مَتِينِ الدِّيَانَةِ ، مُتَوَشِّحاً بِالصِّيَانَةِ ، مَعْرُوفاً بِالْعِفَّةِ وَالْأَمَانَةِ . وَكَانَ يَلَازِمُ تِلَاوَةَ الْقُرْآنِ ، لَا يَخْلُ بِذَلِكَ فِي وَلَا أَوَانَ . يَقْرَأُ الْقِصَصَ ، وَإِذَا فَرَّغَ مِنْهَا عَادَ إِلَى التِّلَاوَةِ عَلَى الرَّاتِبِ . وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ سَجْدَةِ دَارٍ إِلَى الْقِبْلَةِ وَسَجَدَ وَظَهَرَ إِلَى النَّائِبِ . وَتَبَرَّمَ مِنْهُ النَّائِبُ وَشَكَاهُ ، وَذَكَرَ ذَلِكَ لِلسُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ وَحَكَاهُ ، فَمَا رَجَعَ عَنْ عَادَتِهِ ، وَلَا تَرَكَ ذَلِكَ مِنْ سَعَادَتِهِ .

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ سَكَنَ نَبْضُهُ وَبَطَلَ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ قَبْضُهُ .

وَتَوَفَّى - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي التَّارِيخِ الْمَذْكُورِ .

أَخْبَرَنِي شَيْخُنَا الْحَافِظُ أَبُو الْفَتْحِ بْنُ سَيِّدِ النَّاسِ قَالَ : كَانَ الْقَاضِي شَرَفُ الدِّينِ قَدْ تَوَجَّهَ صَحْبَةَ السُّلْطَانِ إِلَى غَزْوَةٍ ، فَرَأَيْتُهُ فِي الْمَنَامِ كَأَنَّهُ مُنْصَرَفٌ عَنْ ^(٣) الْوَقْعَةِ ، وَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا عَلَى التَّتَارِ ، فَأَخْبَرَنِي بِمَا فَتَحَ اللَّهُ بِهِ ، فَنَظَّمْتُ فِي الْمَنَامِ بَيْتَيْنِ ، وَاسْتَيْقِظْتُ ذَاكراً لِلأَوَّلِ مِنْهُمَا وَهُوَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ جَاءَ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ وَاسْتَبَشَرَ النَّيِّرَانِ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ أَعْلَمَهُ بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ إِلَيَّ الْجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ :

أَيَا فَاضِلاً تُلْهِي مَعَانِي صِفَاتِهِ فِكْلٌ بَلِيغٌ فَاضِلٌ مِنْ رَوَاتِهِ ^(٤)

(١) زيادة من (س) .

(٢) (س) : « وكل وجه غانية بالحسن » .

(٣) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) (س) : « بليغ محسن » .

وَمَنْ يَسْتَبِينَ الْفَهْمَ مِنْ لَحْظَاتِهِ لَهُ أَمْرٌ بِالرُّشْدِ فِي يَقْظَاتِهِ
 وَفِي النَّوْمِ يَهْدِيهِ لْخَيْرِ^(١) الطَّرَائِقِ
 وَمَنْ قُرْبُهُ غَايَاتُ كُلِّ فَضِيلَةٍ وَأَسْطَرُهُ تَزْهِى بِزَهْرِ خَمِيلَةٍ^(٢)
 وَجَمَلَتُهُ فِي النَّاسِ أَيَّ جَمِيلَةٍ فَإِنَّ قَامَ لَمْ يَذَابْ لِغَيْرِ فَضِيلَةٍ
 وَإِنْ نَامَ لَمْ يَذَابْ لِغَيْرِ^(٣) الْحَقَائِقِ

يقبل اليد العالية الفتحة فتح الله أبواب الجنة بها ولها ، وأسعد خاطره الذي ما
 اشتغل عن الصواب ولا لها ، ومشتهى خلقه الذي لا أعرف لحسنه مشبهاً ، تقبيل
 مشتاق إلى روايته ورؤيته ، ونتائج بديته ورؤيته ، متعطش إلى روايته وإروائه
 والتأمين بعالي آرائه ، والتخلي به في هذه السفرة المسفرة بمشيئة الله تعالى عن الفلاح
 والنجاح ، والغزوة التي لها الملائكة الكرام النجدة ، والرايات النبوية السلاح ،
 والحركة التي أخلص المسلمون لله تعالى رواحهم ، وغدوهم ، وتعلقت آمالهم بأنه سبحانه
 وتعالى يهلك عدوهم ، فإنهم قد بغوا والبغي وخيم المصراع ، وابتغوا الفتنة والفتنة لمثيرها
 تصرع . وقد تكفل الله تعالى بالملّة^(٤) المحمدية أن يديل دولتها ، وأخبر رسول الله ﷺ
 أن الله لا يسلط على هذه الأمة من يستبيح بيضتها ، فهذا ما أمضينا^(٥) في الشهر ليلاً ،
 ولا أنضينا في السفر خيلاً ، ولا رجونا^(٦) إلا أن « نَحْمِدَ السَّيِّدَ عِنْدَ الصَّبَاحِ »^(٧) ،
 وكدنا أن « نظير إلى الهيجاء زرافاتٍ ووحداناً » بغير جناح ولا جناح . وسمحنَا
 بنفوس نفائس في طلب الجنة والسماح رباح ، وينهي أن المشرف العالي ورد إليه فتسم

(١) في الأصل : « لغير » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) في (س) والوافي : « كل وسيلة » .

(٣) (س) والوافي : « لم يحلم بغير » .

(٤) في (س) والوافي : « للملّة » .

(٥) في الأصل : « أفضينا » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٦) في الأصل : « راحونا » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٧) من أمثال العرب : عند الصباح يحمد القوم السي . انظر جمع الأمثال : ٢/٢ .

أرواح قَرَبِه ، وأوجد مسرّات قلبه ، وأعدم مضرّات كَرَبِه ، وأهجه الكتاب بعبير رَيّاه ، وألهجه ^(١) الخطاب تعبیر رؤياه ، فرأى خطّه وشيأ مرقوما ^(٢) ، ولفظه رحيقاً محتوما ، ووجّده محتوياً على دُرَرٍ كلاميّة وبِشْرِ مناميّه ، وحديث نفس عصاميّه .

نرجو من الله أن نشاهد ذلك أيقاظاً ^(٣) ، ونكون لأبنائه حَقّاظا .

وهو كتاب طويل . وأجاب عنه شيخنا فتح الدّين ، وقد أثبتهما في الجزء الأول من (التذكرة) [التي] ^(٤) لي .

١٦٣٠ - مُحَمَّد بن عبد الله بن المجد إبراهيم*

الشيخ الكبير المشهور الصّالح المرشدي .

[قرأ على] ^(٥) ضياء الدّين بن عبد الرحيم ، وتلا على الصّائغ . وكان فقيهاً شافعيّ المذهب . وكانت له أحوال وهمة عظيمة ، في خدمة الناس على مرّ السنين والأحوال ، يطعم الناس الذين يردون عليه ، ويأتي لكلّ واحد بما في خاطره ويقدمه بين يديه ، اشتهر هذا الأمر عنه وذاع ، وامتلاّت به النواحي والبقاع . ولو وَرَدَ عليه من الألف نفس فما دونها أو جاءوه في أيّ وقت كان من غير هديّة يهدونها وجدوا ما يكفيهم ويكفي دوابهم وشيوخهم وشوابهم .

(١) في الأصل : « وأهجه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) في الأصل : « مرفوعاً » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) في الأصل : « ألفاظاً » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) زيادة من (س) والوافي .

* الوافي : ٣٧٢/٣ ، وفيه : « المجد بن إبراهيم » ، والدّرر : ٤٦٢/٣ ، والشذرات : ١١٦/٦ ، وذبول العبر :

١٩٨ ، والنجوم الزاهرة : ٣١٢/٩ ، والبداية والنهاية : ١٧٩/١٤ .

(٥) زيادة من (س) ، والوافي ، والدّرر .

ولم يكن يقبل لأحد شيئاً البتة . وتحيل الناس عليه في مثل هذا فحالما علم به رده بغيته .

ولم يزل على حاله إلى أن راح إلى خالقه على سداد ، وسكن لحده إلى يوم المعاد .
وتوفي - رحمه الله تعالى - في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وسبع مئة .

كان يحكي^(١) عجائب يحار لها السامع من إحضاره الأطعمة الكثيرة للواردين وكل من حضر وخطر بباله في الطريق قبل وصوله إليه شيء من المأكّل الغريبة أحضره إليه ووضعه قدامه على الخصوص ، وكان مقامه بقرية منية مرشد بالقرب من بلد قوه بالديار المصرية .

تحيل السلطان الملك الناصر محمد وجّهز له^(٢) مع الأمير سيف الدين بكتر الساقى جملة من الذهب ، فغالطه في قبولها ودسّها معه في مأكول جهّزه معه إلى السلطان . وحجّ في هيئة كبيرة وتلامذة .

أنفق في ليلة ماقيته ألفان وخمس مئة درهم ، وقيل : إنه أنفق في ثلاث ليال ماقيته ألف دينار ، وكان يأتيه الأمراء الكبار ومن دونهم الفقراء ، فيقوم بخدمتهم على أتم ما يكون ، وقلّ من أنكر عليه^(٣) ، فاجتمع به إلّا وزال ذلك من خاطره . وكان شيخنا فتح الدين بن سيّد الناس ممن ينكر حاله ويشنّع عليه ، فما كان إلّا أن اجتمع به ، فسألته عنه ، فقال : هو إنسان حسن . ثم إنّه اجتمع به مرّة ومرّة ، وكذلك الأمر ناصر الدين بن جنكلي كان ينكر عليه واجتمع به ، وجرى بينها تنافس في الكلام ، ولم يجرى من عنده إلّا وقد رضي به .

(١) في الدرر : « يحكى عنه » .

(٢) (س) ، والوافي ، والدرر : « عليه ويعث له » .

(٣) في (س) والوافي : « عليه حاله » .

وأخبرني جماعة ممن توجه إليه وأقام عنده أن في مكانه مسجداً ومنبراً للخطيب يوم الجمعة ، وكان يأمر الناس بالصلاة ، ولم يصل مع أحد ، وصلاة الجماعة لا يعيدها شيء . وأمره غريب والسلام ، يتولى الله سريره ^(١) .

وكان قد عظم شأنه ، ويكتب الأوراق إلى دوادار السلطان ، وإلى كاتب السر ، وإلى من يتحدث في الدولة بقضاء أشغال الناس بعبارة ملخصة موجزة على يد من يتقاضاه ذلك ، ويقضي جميع ما يشير به ، وما عظم واشتهر في الديار المصرية إلا بتردد القاضي فخر الدين ناظر الجيش إليه ، فإنه كان يزوره كثيراً ، فعظم لذلك محله في النفوس .

وبات في عافية ، وأرسل إلى الذين من حوله ^(٢) ليحضروا إليه فقد عرض أمرهم ، فأتوه ، فدخل خلوته وأبطأ ، فطلبوه فوجدوه ميتاً في التاريخ المذكور .

والحكايات في شأنه تزيد وتنقص إلا أنه لا يدعي شيئاً ، ولم يحفظ عنه شطح ، حسن العقيدة ، شافعي المذهب ، وكان يخرج إلى الواردين أطعمة كثيرة من داخل مكانه ، ولا يدخل إلى ذلك المكان أحد سواه .

قال القاضي شهاب الدين بن فضل الله : حكى لي الأمير الوزير مغلطاي الجمالي رحمه الله تعالى ، قال : توجهت إلى زيارة الشيخ محمد المرشدي ، فلما قربت منه اشتهيت قحّة بلبن حليب بلحم رميس ، فلما وصلنا جاء ومعه زبديّة كبيرة فيها قحّة بلبن حليب بلحم رميس ^(٣) ، وقال لي : كُلْ . ثم بقي يغيب ويأتي بأشياء أخر ويضعها قدام مماليك ، وكلما أتى بشيء إلى واحد منهم تعجّب منه ويقول : أنا والله كنت اشتهيته ، وأحضرت أكثر من عشرين لونا ما يطبخ إلا في مطبخ السلطان .

(١) في (س) والوافي : « سيرته » .

(٢) (س) والوافي : « إلى القرى التي حوله » .

(٣) (س) : « خروف رميس » .

قال : وحكى لي شهاب الدين أحمد بن مليح الإسكندري بالإسكندرية ، قال : نويت زيارة الشيخ محمد في نفسي . وقلت : لعلّي أصادف عنده هيطليّة بسمن وعسل أكل منها . فجاء كتاب وكيل الخاص باستعمال حوائج السلطان ، فعاقني عمّا عزمت عليه ، فلم يمض غير يومين أو ثلاثة وإذا أنا برجل قد أتاني من عند الشيخ ، وقال : الشيخ يسلم عليك وقد بعث لك هذا السمن والعسل ليعمل لك هيطليّة وتأكل بها ، ولو كانت تحمل إليك لبعث بها .

قال : وقد زعم قوم أن هذه الكرامات إنما كانت بصناعة مقررّة بينه وبين قاضي فوّه فإنها كانا روحين^(١) في جسد ، وكان قد تحصّن بالشيخ ، فلا يقدر قاضي القضاة ولا أحد على عزله ، وطال ذيله ، وأكثر من تسجيل البلاد والتجارة ، والولاية ترعاه إمّا لاعتقاد في الشيخ أو لرجاء العناية من الشيخ بهم عند الدولة . فنت أمواله ، وصلحت حاله ، واتسعت دائرة سعادته ، ولم يبق له دأب إلّا يلقي من يصل من ذوي الأقدار قاصداً زيارة الشيخ ، لأن فوّه طريق منية مرشد ، فإذا وصل الزائر أنزله وأضافه وشرع في محادثته ومحادثة من معه حتى يقف على ما في خواطرهم وما يقترحونه ، ثمّ إنّه يبعث إلى الشيخ بذلك على دوابّ مرّكزة في الطريق بينهما ويمدّه من الأصناف بما لعلّه لا يكون عنده ، ويعطيه حليّة كلّ رجل من المذكورين واسمه .

قلت : هذا فيه بعد إلى الغاية ، وهذا يريد أموالاً كثيرة ينفقها القاضي أولاً على الزائرين ، ثمّ إنّه يجهّز إلى الشيخ بما يطعم به زوّاره ثانياً . ولعلّ الذي كان يشتهي المأكول أو المشروب يشتهيّه بعد فراق القاضي في نفسه ، فمن أين يعلم الشيخ بذلك أيضاً^(٢) ؟ فكلّ من قصد الشيخ يعمل طريقه على فوّه ويجتمع بالقاضي .

(١) في الأصل : « زوجين » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في (س) : « وأيضاً » .

واستفاض^(١) أنه ما راح أحد وتمنى شيئاً يأكله أو يشربه إلا وجاءه الشيخ به .

وكان الشيخ - رحمه الله تعالى - أسمر مبدناً ربعة^(٢) من الرجال ، حسن الشكل ، منور الصورة ، جميل الهيئة ، حسن الأخلاق .

ومات - رحمه الله تعالى - وقد قارب الستين . وكان يفقي من يسأله من غير أن يكتب خطّة .

١٦٣١ - مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ *

ابن علي بن عبد الله الزرزاري^(٣) الإربلي الدمشقي ، قاضي القضاة العلامة شهاب الدّين أبو الفرج وأبو عبد الله بن الإمام مجد الدّين .

سمع من ابن أبي اليّسر ، ومظفر بن عبد الصّمد بن الصّائغ ، والفخر علي ، وابن أبي عمّر ، وأبي بكر [بن]^(٤) الأنماطي ، وابن الصّابوني ، وعبد الواسع الأهرري ، والنجم بن المجاور ، وابن الواسطي ، وابن الزين ، وابن بلبان ، وغيرهم .

وكتب الطباق ، وسمع كثيراً ، وأفقي ، ودرس ، وجوّد العربية والفقه . وكان في الشروط آية ، وفي معرفة الأحكام ونقضها وإبرامها غاية . وكان في المكارم لا يجارى ، وفي الجود^(٥) لا يبارى ، وله على الناس خدم ، وفي المروّة رسوخ قَدَم . ينظر في المکتوب نظرة واحدة فيعرف فساده من صلاحه ، ويزيل منه واواً أو يزيد ألفاً فيأتي

(١) (س) : « وقد اشتهر واستفاض » .

(٢) (س) : « ربعة » ، تحريف .

* الوافي : ٣٧٣/٣ ، والدّرر : ٤٦٧/٣ ، وذيول العبر : ٢٠١ ، والبداية والنهاية : ١٨١/١٤ ، والنجوم الزاهرة : ٣١٤/٩ .

(٣) في الأصل : « الزرزالي » ، وفي الوافي : « الزدزاي » ، تحريف ، وفي البداية : « الرازي » ، وزرزا : قرية من الصعيد الأدنى . (معجم البلدان) .

(٤) زيادة من (س) والوافي والدّرر .

(٥) (س) : « في الكرم ... وفي جود » .

بالمрад على اصطلاحه . ولي قضاء القضاة بدمشق بعد ابن جملة^(١) فلم يحمد ، وعاد طرف الدّين به وهو أمّد .

ولم يزل على حاله إلى أن انهدم ابن المجد ، وأهلك نفوس ذويه عليه من الأئم والوجد .

كان أولاً ينوب في وكالة بيت المال عن القاضي جمال الدّين والقاضي علاء الدّين ابن القلانسي ، ثمّ إنّهُ انفرد بالوكالة في جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ثمّ ولي قضاء القضاة بعد ابن جملة ، ولبس تشريفه لذلك اليوم في يوم الأحد ثامن عشري القعدة سنة أربع وثلاثين وسبع مئة . ولم يزل به إلى أن عزل من باب السلطان بقاضي القضاة جلال الدّين القزويني ، ولم يُعلم ، ثمّ إنّهُ توجّه إلى القاضي شهاب الدّين بن القيسراني يهنّئه بكتابة السّر ، فنفرت به البغلة عن حمام الخضراء قرَضَ دماغه ، فحمل في حفّة إلى العادليّة .

ومات بعد أسبوع في آخر جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وستين وست مئة ، ولم يعمل له عزاء . وأوذى أصهاره .

أنشدني من لفظه لنفسه شمس الدّين مُحَمَّد الخياط الشاعر :

بغلة قاضينا إذا زُلزِلَتْ كَانَتْ لَهُ مِنْ فَوْقِهَا الْوَاقِعَةُ
تَكَاثَرُ أَلهَاءَ مِنْ عَجْبِهِ حَتَّى غَدَا مُلْقَى عَلَى الْقَارِعَةِ
فَاطْهَرَتْ زَوْجَتُهُ عِنْدَهَا تَضَائِقاً بِالرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ^(٢)

وكتب إليه الشيخ جمال الدّين مُحَمَّد بن نباتة^(٣) :

(١) هو يوسف بن إبراهيم بن جملة الممشقي (ت ٧٣٨ هـ) . النجوم الزاهرة : ٣١٧/٨ .

(٢) في الأصل : « روحه » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي ، والدُّرر ، والنجوم .

(٣) ليست في ديوانه .

قاضي القضاة ابق في سماء علا
كم من صديقي قد جاء يسألني
عن ابن صصري وعنك. قلت له:
مقتبيل السعد نافذ الحكم
في البر والمكرمات والحلم
لا فرق بين الشهاب والنجم

١٦٣٢ - مُحَمَّد بن عبد الله بن عمر*

الشيخ الإمام العلامة الخير الورع زين الدين بن علم الدين ابن الشيخ
زين الدين بن المرحل الشافعي . هو ابن أخي الشيخ صدر الدين بن الوكيل .

رَبِّي على طريق خير [وسلامه] ^(١) ، ونشأ في صون وعفاف لم يلحقه في ذلك
سأمة ، يلزم الاشتغال ليلاً ونهاراً ، ويكرّر دروسه في [كل] ^(٢) وقت مراراً . وكان
من أحسن الناس شكلاً ، وأبهجهم وجهاً ، كأنَّ البدر منه تجلّى .

وكان قد جَوَّد الفقه والأصول وتوفّر عنده منهما المحصول .

وأما العريّة فكان فيها ضعيفاً ، ولم يسمع الناس له فيها صريفاً .

وناب في الحكم بدمشق فَحَمِدَت سيرته ، وودَّ الناس ، لودامت على ذلك جيرته .

ولم يزل على ذلك إلى أن رحل ابن المرحل إلى المقابر وعُدَّ بعد أن كان موجوداً
في ^(٣) الغواير .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

* الوافي : ٣٧٤/٣ ، والبداية والنهاية : ١٨١/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٥١/١ ، والدُرر : ٤٧٦/٣ ،
والشذرات : ١١٨/٦ ، والذّارس : ٢١٢/١ عن الوافي ، وذبول العبر : ٢٠٣ .

(١) زيادة من (س) .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في (س) .

وكان عمّه الشيخ صدر الدّين رحمه الله تعالى يحسده ، ويقول : لا إله إلا الله ابن الجاهل طلع فاضلاً [وابن الفاضل طلع جاهلاً ^(١)] يعني بذلك ابنه .

وكان قاضي القضاة شمس الدّين بن الحريري عينه للقضاء وأشار به على السلطان إما لقضاء [مصر] ^(٢) أو لقضاء الشام ، ولم يكن فيه ما يمنعه عن ^(٣) ذلك غير صغر سنّه . وجهزه السلطان على البريد إلى دمشق وولاه تدريس الشاميّة البرانيّة ^(٤) عوضاً عن الشيخ كال الدّين بن الزملكاني ، فوصل إليها يوم الثلاثاء تاسع ^(٥) عشرين شهر رجب سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وكان الناس قد أوهوا الأمير سيف الدّين تنكز ووصفوه بالدين المتين ، فلما جاء كان في الميدان ، فلما رآه ترجل له وجاء وقبّل يده ، فنزل بذلك من عينه ^(٦) .

وأخبرني جماعة أن دروسه لم تكن بعيدة عن ^(٧) دروس الشيخ كال الدّين لفصاحته وعذوبة ألفاظه .

وباشر نيابة الحكم عن قاضي القضاة علم الدّين الأخنائي بدمشق في الحادي والعشرين من صفر سنة ثلاثين وسبع مئة .

١٦٣٣ - مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد الأموي المروي*

الشيخ الأديب محب ^(٨) الدّين أبو عبد الله المغربي المعروف بابن الصائغ .

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) زيادة من (س) والوافي .

(٣) (س) : « من » .

(٤) انظر ، البداية والنهاية : ١١٨/١٤ .

(٥) (س) : « سابع » .

(٦) في الأصل : « فترك بذلك عن عينه » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٧) (س) : « في » ، والوافي : « من » .

* الوافي : ٣٧٥/٣ ، والثّرر : ٤٨٤/٣ ، والشّدرات : ١٦٥/٦ ، وفيه : « للزي » .

(٨) (س) : « مجير » ، تحريف .

رأيتُه بالقاهرة مرات ، واجتمعت به في دروس شيخنا العلامة أثير الدّين وغيرها .
وسمعت أنا وهو (صحيح) البخاري بقراءة الشيخ شهاب الدّين بن المرحّل النحوي على
الشيخ فتح الدّين وأخيه بالقاهرة^(١) أبي القاسم بالظاهرية بين القصرين ، فكان هذا
الشيخ محب^(٢) الدّين يأتي بفرائد في أثناء السماع مما يتعلّق بالعربية الغريبة واللغة .

وكان يعرف العروض معرفة تامّة ، ويجيد الكلام على غوامضها الخاصّة والعامّة .
وأما العربيّة فكان عنده لبابها ، ولديه تجتمع أبوابها ، ذهنه الخارق^(٣) فيها كالنار
إذا توقّدت ، وحلّها بيده إذا تَعَقَّدت .

وشعره فائق جزل ، يسلك به طريق^(٤) الجدّ لا الهزل ، أنشدني منه كثيرا ، وحباني
منه لؤلؤاً نظيماً ونثيراً . وكان يعاني اللعب بالعود^(٥) ، ويُطِيب وقته بالأمانى
والعود .

ولم يزل على حاله إلى أن سكّت الحبّ فأنبس ، وصحّ عنده من أمر الموت
ما التبس .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

وكان قد كتب إليّ وأنا بالقاهرة :

صَلاحَ الدِّينِ ياربَّ المقالِ وَيَا تَرِبَ المعاني والمعالي
تَصَدَّقْ لي بِصَرْفِ زَكَاةٍ جَاهٍ فَفِيهَا إِنِ ارْدَتْ صَلَاحٌ حَالِي^(٦)

(١) ليست في (س) ، (خ) ، والوافي .

(٢) (س) : « مجير » ، تحريف .

(٣) ليست في (س) .

(٤) ليست في (خ) .

(٥) (س) : « وكان يلعب بالعود » .

(٦) (خ) : « فقيها » ، تحريف .

فكتبت جوابه مع شيء أهديته إليه :

حُبَّ السَّيِّدِينَ فِي الْأَدَابِ شَيْخٌ نَوَى لِي أَنْ يَعْرِضَ بِالنَّوَالِ
إِذَا مَا الْجَاهُ لَمْ أَكُ فِيهِ وَجْهًا فَمَالِي لَا أَجُودُ بِفَضْلِ مَالِي

وأنشدني من لفظه لنفسه يمدح القاضي نجم الدين محمد بن محمد الطبري قاضي مكة ، وقد أنشده القاضي خمسة أبيات على هذا الوزن والروي ، وستأتي في ترجمة المذكور إن شاء الله تعالى :

شَرَعَ الْهَوَى هَوْنِي لِعِزَّةِ جَاهِكَ قَارِئِي لِذِلَّةِ مَوْقِفِي بِجَاهِكَ ^(١)
رَقِّي لِحَسْمِ رَقٍّ مِنْ دَنْفِ الْهَوَى وَشَفَاءَ مَا تَحْوِيهِ حَوْشِفَاهِكَ ^(٢)
لَا تَعْجِبِي إِنْ ذُبْتُ شَوْقًا وَاعْجِبِي أَنْ لَيْسَ إِلَّا سَقَمَ طَرْفِكَ نَاهِكَ ^(٣)
وَسَنِّ نَفْيَ وَسَنِي فَنِمْتُ وَلَمْ أَنْمِ مَالِيلَةَ السَّاهِي كَلِيلِ السَّاهِكِ ^(٤)
بَطْطَاءَ وَادِي الْأَثَلِ لَوْلَا تِيهَهَا وَنِفَارَهَا مَا حُمْتُ فِي أَتْيَاهِكَ
وَلَمَّا وَخَدْتُ بِهَا شَوَازِبَ ضَحْرًا أوردتها عَشْرًا ثَغَابَ مِيَاهِكَ ^(٥)
بَدَّلْتُ سِدْرَكَ بِالسَّدِيرِ وَمَا حَوَى وَنَفَائِحَ النَّسْرِينَ فَيَحْ عِضَاهِكَ
وَهَجَرْتُ طَيْبَ كَرِيٍّ وَوَأَصَلْتُ السُّرَى بِمَشَقَّةِ التَّهْجِيرِ فِي إِدْمَاهِكَ ^(٦)
أَدْعُوا بِسَعْدِي أَيْنَ يَمُنْ سَرَايَ إِذْ أَكْرَهْتُمْ وَعَفَّفْتُ عَنْ إِكْرَاهِكَ ^(٧)

(١) (س) : « فادني لليلة » .

(٢) في الأصل : « حلو » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

(٣) في (س) ، (خ) ، والوافي : « ذبت سقياً » .

(٤) الساهك : الرمد .

(٥) في الأصل : « بغاب » ، وفي (س) : « ثواب » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي ، والثغاب : أكثر اللاء للتبقي في الوادي .

(٦) في الأصل : « هوى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي . والدمه : شدة حر الرمل .

(٧) في الأصل : « كرهتم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .

نَصَبُوا عَلَيَّ رِحَاضَهُمْ لَكُنْهُمْ
جُبْتُ الشَّعَابَ وَالْ شَعْبَةَ عِنْدَمَا
أَعْشَوُ إِلَى حَلِي التَّرَائِبِ خَفِيَّةً
ادْفِى اللَّجَيْنِ لِعَسْجَدِي شَاحِبِ
اسْقِي عِمَادَ الدَّمْعِ عَهْدًا بِالنَّوَى
زَمْنًا أُرَدِّدُ أَهْلَةَ الْمَشْغُوفِ مِنْ
أَنْصَارِي اشْتَعَلَ الْمَشِيبُ فَأَنْضَبْتُ
يَنْهَى وَيَنْهَكُنِي مَشِيبٌ صُنْتُهُ
حُلْكَ الْمَفَارِقِ قَدْ تَنْفَسَ صَبْحَهُ
يَسْتَبْدِهُونَكَ لِلنَّسِيبِ فَشَرِّفِي
قَاضِي الشَّرِيعَةِ وَلِلْمَقِيمِ مَنَارَهَا
بُلْدَتِ فِي جُوبِ الْبِلَادِ وَمَدْحَهُ
لَوْلَاهُ أَوْشَكَتِ الْخُمُولُ فَلَا زَمِي
يَا خَيْرَ أَرْضِ اللَّهِ قَدْ رَضِيَ النَّوَى
الْقُطْبِ نَجْمِ الدِّينِ إِشْرَاقِ الدُّنَا
مَنْ إِنْ تَشَابَهَتْ الْوُجُوهُ أَقْلُ لَهَا
إِنْ يَخْفُ مَعْنَاكَ السَّقِيمِ فَعَامِلِ
رَوَى الْحَدِيثَ فَرَوَيْتُ سَاحَاتَهَا

شَاهَتْ وَجُوهُهُمْ لِصَوْلَةِ شَاهِكِ
سَدَلُ الظُّلَامِ رِدَاءَهُ بَرْدَاهِكِ^(١)
إِذَا غَمَضَ الْأَتْرَابُ عَنْ أَفْكَاهِكِ
صَدَى الْإِهَابِ بِمَا اكْتَسَاهُ سَاهِكِ^(٢)
أَنْسَيْتَهُ لَشَفَايَ لَا لَشَفَاهِكِ
حَرَّقِي فَيَحْيِكُنِي تَرْجُعُ أَهَكِ
شَعَلَ الْحَشَامَ رَاقٍ مِنْ أَمْوَاهِكِ
وَلَمَّا عَرَفْتُ بِصُونِ نَاهٍ نَاهِكِ
يَا نَفْسَ هَبِّي مِنْ كَرَى اسْتَعْمَاهِكِ^(٣)
بَشْرِيفِ مَكَّةَ مَنْتَجِ اسْتَبْدَاهِكِ
حَيْثُ الْمَقَامُ وَحَيْثُ بَيْتُ إِلَهِكِ
يَشْفِي فَيَنْفِي تَهْمَةَ اسْتَبْلَاهِكِ
شَكَرَ الَّذِي سَنَى لِقَاءَهُ لِقَاهِكِ
رَجُلٌ ثَوَى فَأَوَى إِلَى أَوَاهِكِ
مَعْنَى الْعُلَا أَسْنَى وَجُوهَ وَجَاهِكِ
مَنْ بَعْدَ هَذَا الذَّهْنِ لَا اسْتَشْبَاهِكِ^(٤)
بَصَحِيحِ حَكْمَتِهِ عَلَى أَفْكَاهِكِ^(٥)
يَا سَحَبَ إِذَا حَلَّتْ غَرَا أَفْوَاهِكِ^(٦)

(١) في الأصل : « برادهك » ، سهو ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) ، والوافي .

(٢) في الأصل : « بمسجدي » ، وأثبتنا مافي (س) ، (خ) ، والوافي .

(٣) (خ) : « حلال » ، تحريف .

(٤) (س) : « تشابهت الرموز » .

(٥) (س) : « فعائل » . وفي الأصل : « تصحيح » ، وأثبتنا مافي (س) ، والوافي .

(٦) في (س) ، (خ) ، والوافي : « ساحاتها » .

عَيْشاً أَغَاثَكَ يَا حِجَازَ بَدْرِهِ
فَاخْضَرَّ مَرْعَاكَ الْمُبَارَكُ مُمْرَعاً
جُودِي سَمَاءٌ يَمْنُ دَعْوَةٌ مِنْ سَمَا
يَا نَفْسَ إِنْكَ قَدْ نَقَهْتَ مِنَ الْغِنَى
هَذَا الْجَوَادُ لِمَا حَوَى يَمْنَاهُ فِي
يَسْخُوبِا يَوْعَى وَيُطْبِي مَا يَعْصِي
دَارَتْ رَحَى الْأَيَّامِ تَبْغِي جَارَهُ
أُمُّ الْقُرَى قَدْ جَارَ مَنْ أُمُّ الْقُرَى
نَاسَبَتْ غَرَّتَهُ وَبَيْتَ نَسِيبِهِ
يَا هِمَّةً عَنْ كُلِّ هُمْ نَزَّهَتْ
لِسُوتٍ حِينَ سَمِهَتْ فِي شَأٍ وَالْعُلَا
يَا فِكْرَةً بَدَهَتْ بِأَبْدَعِ مَلْحَةٍ
عَرَضَتْهَا لِمَعَارِضٍ لَمْ يَحْكِيهَا

وَجَلَا هَوَامِدُ أَغْبَرَتْ بِجَلَاهُكَ
وَالْتَفَتَ الْبَهْمَى بَغْضَ شِبَاهُكَ
رَبَّهَا يَقْلُ لَهَا اتِّعَالَ جِبَاهُكَ
وَلَقَدْ غَنَيْتَ الْيَوْمَ فِي اسْتِنْقَاهُكَ
إِفْقَارَ كَيْسِ الْمَالِ أَمْ إِرْفَاهُكَ ^(١)
كَمْ بَيْنَ كَنْزِ نَفْسِيَّةٍ وَنَفَاهُكَ ^(٢)
فَأَجَارَهُ مِنْ كُلِّ دَاءٍ دَاهُكَ ^(٣)
بِفَنَاءٍ بُدْنِكَ كُلِّهَا وَشَاهُكَ
فَأَعَدْتَ لَيْسَ الْبَدْرُ مِنْ أَشْبَاهُكَ
إِلَّا الْعُلَا دُومِي عَلَى اسْتِنْزَاهُكَ
أَفْرَدْتُ فَالْأَسْمَاءُ فِي أَسْمَاهُكَ ^(٤)
مَا أَقْرَبَ الْإِبْدَاعِ مِنْ إِبْدَاهُكَ
أَنْتَى وَقَدْ لَزِمْتَ قَوَافِيهَا هَكَ

١٦٣٤ - محمد بن عبد الله بن الحسين *

ابن علي بن عبد الله بن عمر بن عيسى ابن أحمد بن حسن ، الشيخ الفقيه الصالح
الزاهد عفيف الدين أبو عبد الله ابن الشيخ الإمام مجد الدين أبي محمد الزرّزاري الإربلي
الدمشقي .

(١) في (س) ، (خ) ، والوافي : « بما حوى أمناه » .

(٢) (خ) : « ويطنى » ، وفي الوافي : « ويطنى » .

(٣) في (س) ، (خ) ، والوافي : « الأزمات » .

(٤) في الأصل : « أسموت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي ، وفي الوافي : « سهمت » .

سمع من شيخ الشيوخ الأنصاري ، وإبراهيم بن خليل ، وجماعة . حفظ
(التنبيه) ، ولما مات والده ولي تدريس الكلاسة مدة بعده . وكان إماماً بالقيمية ، ثم
انتقل عنها إلى الظاهرية .

حدث بالقاهرة ودمشق وبطريق الحجاز .

توفي رحمه الله تعالى ثالث عشرين شهر [ربيع ^(١)] الآخر سنة خمس وعشرين
وسبع مئة .

ومولده مجلب سنة خمس وسبع مئة ، وأثنى الناس عليه عند موته كثيراً ^(٢) .

١٦٣٥ - محمد بن عبد المجيد بن عبد الله *

القاضي سعد الدين بن فخر الدين [بن صفى الدين] ^(٣) ابن الأقفاسي .

كان قد ولي نظر الخزانة بمصر ، ولما توجه السلطان الملك الناصر ^(٤) إلى الكرك في
سنة ثمان وسبع مئة توجه صحبته ، وأظهر هناك شراً كثيراً وعسفاً .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة سنة أربع عشرة وسبع مئة في ثامن عشرين
[ذي] ^(٥) الحجة .

كذلك ^(٦) يقال في السنة العوام : « الأقفاسي » ^(٧) ، وإنما هو الأقفهسي ، بهمة

(١) زيادة من (س) .

(٢) (س) : « ثناء كثيراً » .

* الوافي : ٢٦/٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٣٧ ، والدرر : ٢٧/٤ .

(٣) زيادة من (س) والوافي ، والتالي .

(٤) (س) والوافي : « الناصر محمد » .

(٥) زيادة من الوافي .

(٦) (س) : « كنا » .

(٧) (س) : « ابن الأقفاسي » .

مفتوحة وقاف ساكنة وفاءٍ مفتوحة وبعدها سين مهملة ، نسبة إلى أَفْهَسَ ، وهي قرية من قرى مصر ^(٢) .

١٦٣٦ - محمد بن عبد المجيد بن أبي الفضل *

ابن عبد الرحمن بن زيد ^(٣) الحنبلي ، الشيخ الفقيه الإمام ^(٤) المقي بدر الدين أبو عبد الله .

كان فاضلاً صالحاً مسجلاً ، ليس في بلده له نظير ، وكان يكتب الإجازات ^(٥) والشروط كتابةً مليحة خطأً ولفظاً .
ويقي الناس ويقرئهم ^(٥) .

توفي رحمه الله تعالى تاسع شهر ربيع الأول سنة اثنتين وسبع مئة .
ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

١٦٣٧ - محمد بن عبد المحسن بن الحسن **

شرف الدين الأرمني ، قاضي البهنسا .

كان فقيهاً نحويّاً شاعراً ذكياً ^(٦) كثير الاحتمال ، أريباً باذلاً للنوال . بنى مدرسة ورباطاً ومسجداً بالبهنسا . ورسخ بذلك قدمه في الخير ورساً .

(١) بالصعيد ، (معجم البلدان) .

* الدرر : ٢٧/٤ .

(٢) في الأصل : « يزيد » ، وأثبتنا ما في (س) والدرر .

(٣) في الأصل : « الإمام الفقيه الإمام » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) الإسجال : الكتابة أو التسجيل .

(٥) (س) : « يقرئهم » .

** الوافي : ٣٠/٤ ، والطالع السعيد : ٥٢٩ ، والدرر : ٢٧/٤ .

(٦) (س) والوافي : « ذكياً لبيباً » .

ولم يزل على حاله إلى أن جاءه حتفه ، ورَغِمَ بالموت أنْفَه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وسبعين وست مئة .

وكان قد قرأ الفقه بالصعيد على خاله سراج الدين يونس بن عبد الحميد الأرمني^(١) ، وتأدّب به ولازمه ، وأقام بمصر سنين يشتغل بها مع خاله ، [إلى أن ولي خاله]^(٢) فسار معه وتزوج ابنته ، وكان ينوب عنه حيث كان ، وكان قد عيّن شرف الدين المذكور لقضاء الإسكندرية ، وطلّب إلى القاهرة [فحضر]^(٣) جمع كبير من أهل البهنسا وأظهروا الألم لفراقه ، وسألوا القاضي جلال الدين القزويني ألاّ يغيّره ، فأعفاه ، ورجع إلى البهنسا . ثم إنه عيّن لقوص ، فلم يوافق ، ومات رحمه الله تعالى ولم يُعقب .

وقال القاضي كمال الدين الأدفوي : أنشدني كثيراً من شعره ومنه :

جز بسفح العقيق وانشق خزامه	وفؤادي سلّ عنه إن رُمّت رامه
وإذا ما شهدت أعلام نجد	وزرود وحاجر وتهامه
صف لجيرانها الكرام يوتأ	حالة الصبّ بعدهم وغرامه
وترقق لهم وسلّهم وصالا	وقل الهجر والصدود علامه؟ ^(٤)
عبدكم بعدكم على الودّ باق	لم يغير طول البعاد ذمّامه
يا كرام النصاب إنا نراكم	حيث كنتم بكلّ حيّ كرامه ^(٥)

(١) (ت ٧٢٥ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) زيادة من (س) والوافي ، والطالع .

(٣) زيادة من (س) والوافي ، والطالع .

(٤) في الدرر : « وترقق بهم » .

(٥) الطالع السعيد : ٥٤٠ .

قال : وأنشدني لنفسه يجمع « العبادلة » :

إن العبادلة الأخيار أربعة مناهج العلم في الإسلام للناس^(١)
ابن الزبير وابن العاص وابن أبي حفص الخليفة والخبر ابن عباس
وقد يضاف ابن مسعود لهم بدلاً عن ابن عمرو لوهم أو لإلباس^(٢)

وقال : حكى لي أن بعض عدول البهنا حكى له أن امرأة حضرت مع زوجها إلينا
لنوقع بينهما الطلاق ، فرأيناه لا يشتهي ذلك ، فكلمناها ، فلم تقبل ، فواقعناه ،
فالتفت إلينا وأنشدت :

لما غدا لأكيد عهدي ناقضاً وأراد ثوب الوصل أن يتمزقاً^(٣)
فارقته وخلعت من يده يدي وتلوت لي ولهُ ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا ﴾^(٤)

١٦٣٨ - محمد بن عبد المحسن بن أبي الحسن *

ابن عبد الغفار ، الشيخ الفاضل الواعظ المسند المعمر ، مسند الوقت ، عفيف
الدين أبو عبد الله الأزجي البغدادي الحنبلي الخراط ، والده الدواليبي شيخ الحديث
بالمستنصرية .

سمع سنة أربع وأربعين من ابن الخير إبراهيم^(٥) ، وابن العليق^(٦) ، وابن قميرة^(٧) ،

(١) في الوافي : « الأجبار » .

(٢) الطالع السعيد : ٥٤١ .

(٣) في الأصل : « الصبر » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والطالع .

(٤) ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ ﴾ [النساء : ١٣٠/٤] .

* الوافي : ٢٨/٤ ، والدرر : ٢٧/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٧٤/٩ ، والشذرات : ٨٨/٦ ، وذيول العبر :

١٥٦ ، ووقع في الأصل « ابن عبد القادر » ، وأثبتنا ما في (س) وبعض المصادر الأخرى .

(٥) في الأصل (س) : « ابن أبي الخير إبراهيم » ، وأثبتنا ما في الوافي . وهو إبراهيم بن محمود بن سالم

(ت ٦٤٨ هـ) ، السير : ٢٣٥/٢٣ ، والعبر : ١٩٨/٥ .

(٦) هو الأعز بن فضال البغدادي ، ابن العليق . توفي سنة (٦٤٩ هـ) ، العبر : ٢٠٢/٥ .

(٧) هو يحيى بن أبي السعود (ت ٦٥٠ هـ) ، العبر : ٢٠٦/٥ .

وأخيه يحيى ، وعبد الملك بن قينا^(١) ، وأحمد بن عمر الباذيني ، وعجبة الباقدرية^(٢) ، وطائفة أخرى ، وسمع (للسند) كله بقوت ، و (صحيح مسلم) ، وانتهى علو الإسناد إليه .

كان يقول : حفظت (المع) في النحو و (مختصر الخرقى) .

وحجَّ غير مره . ووَغَظ بكلاسة دمشق ، وسمع منه شيخنا الذهبي بالعل^(٣) وغيرها ، وكان حسن المحاضرة ، طيب الأخلاق ، أخذ عنه الفرضي وابن الفوطي ، وشيخنا البرزالي ، وصفي الدين بن الخطيب ، وسراج الدين القزويني ، وشمس الدين بن خلف ، وأخوه منصور ، وعفيف الدين المطري ، وخلق سواهم .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الخميس ، ودفن يوم الجمعة خامس عشرين جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وسبع مئة [ببغداد]^(٤) .

ومولده سنة سبع وثلاثين وست مئة .

ومن شعره :

كم قد صفت لقلوب القوم أوقات	وكم تقصّت لهم بالليل لذات
فالليل دسكرة العشاق يجمعهم	ذكر الحبيب وصرف الدمع كاسات ^(٥)
ماتوا فأحياهم إحياء ليلهم	ومن سواهم أناس بالكرى ماتوا ^(٦)
لما تجلّى لهم والحجب قد رُمغت	تهتكوا وصبت منهم صابات

(١) في ذيول العبر : « قينا » .

(٢) عجبة بنت الحافظ محمد بن أبي غالب الباقدراني (ت ٦٤٧ هـ) ، الشذرات : ٢٣٨/٥ .

(٣) لم لموضع من ناحية وادي القرى بينها وبين الشام ، نزله رسول الله ﷺ في طريقه إلى تبوك . (معجم البلدان) .

(٤) زيادة من (س) .

(٥) الدسكرة : بيت يكون فيه الشراب واللهو .

(٦) في الأصل : « للكرى » ، وأثبتنا ما في (س) .

وغيبتهم عن الأكوان في حُجَب
 شافي القلوب هو المحبوب يشهده
 إذا صفا الوقت خافوا من تكذِّره
 وكان ينظم الموالياً والكان وكان^(٢) .
 وأظهرت سرّ معنّاهم إشاراتُ
 صبّ له بقيام الليل عاداتُ^(١)
 وللوصال من الهجران آفاتُ

١٦٣٩ - محمد بن عبد المحسن *

القاضي قطب الدين أبو عبد الله بن محمد الدين بن تقيّ الدين السبكي ، قاضي
 حمص .

مولده سنة أربع^(٣) وثمانين وست مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى بدمشق بعدما نزل^(٤) عن القضاء بجمص ، وكان قد وليها
 في سنة تسع^(٥) وأربعين وسبع مئة ، ولم يزل^(٦) إلى أن ولي بعلبك في سنة ثلاث وستين
 وسبع مئة [فأقام بها مدينة يسيرة ، ثم عاد إلى حمص ، وحضر إلى دمشق في شهر
 ربيع الأول سنة أربع وستين وسبع مئة]^(٧) وحصل له ضعف انقطع به إلى أن توفي في
 بكرة الجمعة مُستهل جمادى الأولى سنة أربع وستين وسبع مئة ، ودفن بالصالحية .

(١) في الأصل : « ساقى القلوب » ، وأثبتنا ما في (س) ، ولعلها أشبه .

(٢) في (س) : « كان » بلا واو ، وهو أحد الأنواع الشعرية المستحدثة .

* البداية والنهاية : ٢٩٩/١٤ وفيه : « حمد بن الحسن » . ووفيات ابن رافع : ٣٦٩/١ ، والدرر : ٢٨/٤ ،
 وذيول العبر : ٣٥٩ .

(٣) في ذيول العبر : « ست وثمانين » .

(٤) في الأصل : « ترك » وأثبتنا ما في (س) .

(٥) في ذيول العبر : « سبع » .

(٦) في (س) : « يزل بها » .

(٧) زيادة من (س) .

وكان كثير السكون والميل إلى المودة والركون ، لا يتحدث فيما لا يعنيه ، ولا يؤسس الشر ولا يئنيه . وكان شيخنا قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى يركن إليه ويعتمد عليه .

وروى عن ابن الحبوي^(١) ، وعلي بن محمد بن هارون الثعلبي^(٢) وطائفة .

وكان قد تفقه على الشيخ صدر الدين السبكي ، وأخبرني قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب السبكي أنه كان يستحضر من (الحاوي)^(٣) جملة كبيرة ، وكان كثير التلاوة رحمه الله تعالى .

١٦٤٠ - محمد بن عبد الملك بن عمر*

الشيخ الإمام الزاهد القدوة شرف الدين الأرزوني .

كان شيخاً مشهوراً بالصلاح ، تامّ الشكل ، أسمر ، مهيباً جليلاً قليل الشيب مليح الهمّة والعمة والشيبة والبزة^(٤) ، صاحب سمّت وهدى ووقار .

صحّب الكبار وتعبّد وانقطع [سنة ست وتسعين وست مئة]^(٥) .

١٦٤١ - محمد بن عبد الملك بن إسماعيل**

الأمير الملك الكامل ناصر الدين ابن الملك السعيد بن السلطان الملك الصالح ابن

(١) إبراهيم بن علي بن محمد ، سلفت ترجمته .

(٢) في الأصل : « علي بن محمد بن محمد ... » ، سهو ، وقد سلفت ترجمته ، وفي ذيول المعبر : « الثعلبي » .

(٣) (س) : « الحاوي الكبير للماوري » ، وانظر : الكشف ٦٢٨/١ ، وتوفي للماوري سنة (٤٥٨ هـ) .

* الوافي : ٤٥/٤ ، والدرر : ٣٢/٤ .

(٤) (س) : « مليح العمة والبزة » ، ومثله في الوافي .

(٥) زيادة من الوافي .

** الوافي : ٤٦/٤ ، والبداية والنهاية : ١٣٠/١٤ ، والدرر : ٣١/٤ ، وذيول المعبر : ١٥٢ ، والنجوم

الزاهرة ، ٢٦٩/٩ .

العادل الأيوبي سبط السلطان الكامل وابن خالة صاحب الشام الناصر يوسف وابن خالة صاحب حماة .

حدّث عن ابن عبد الدائم .

كان من أمراء دمشق الأكابر في الطبلخانة ، وكان ذكياً خبيراً بالأمر ، بصيراً بالورود في القضايا والصدور [يُعَدّ في رؤساء الأمراء وسادة الصدور ، ويجلس من المحافل الكبار في الصدور]^(١) ، ينبسط كثيراً مع لطافه ، وينخرط في التنديب إلى سلك يزين عقوده من الزمان أعطافه ، ونوادره عديده ، وبوادره فيها عتيده ، لو عاصره أبو العيّن^(٢) لقال هذا هو الإمام ، أو الجّاز^(٣) قفز وناولوه هذا الزمام . أو أبو العبر^(٤) لعثر ، أو أشعب الطمّع لسلا عما رأى وسمع .

كانت تقع له نكتٌ حارّة ، وتناديب إلى القلوب^(٥) سارّة ، هزّاة ، خلّابة ، [بزّاة سلاّبه]^(٦) .

ولم يزل يستدين ويُنْفِق ويستعين مَن^(٧) لا يرفق إلى أن بهضة حمل الدين ، وصار منه بمنزلة القذى في العين ، وصار كلما نهض بهض^(٨) . وكلما نسخ رسخ .

(١) زيادة من (س) .

(٢) محمد بن القاسم بن خلّاد ، أديب من الظرفاء (ت ٢٨٣ هـ) ، وفيات الأعيان : ٥٠٤/١ ، والأعلام : ٣٣٤/٦ .

(٣) أبو عبد الله محمد بن عمرو ، تحكى عنه نوادر ، وفيات الأعيان : ٧٠/٧ .

(٤) محمد بن أحمد ، له نوادر كثيرة (ت ٢٥٠ هـ) ، فوات الوفيات : ٢٩٨/٣ .

(٥) (س) : « للقلوب » .

(٦) زيادة من (س) .

(٧) في الأصل : « عَمَن » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٨) في الأصل : « نهض » وفي (س) : « رضى » ، ولعل ما أثبتناه أقرب ، يقال : بهضه الأمر إذا شقّ عليه .

كخائض الوحل إذا طال العناء به فكلمًا قلقلته نهضةً ربّاً^(١)

وأنجده الله أخيراً بالأمر سيف الدين تنكز فحجر عليه في إقطاعه ، وترك
الصاحب شمس الدين يتحدث له في مشتراه وإبتياحه ووفاء ديونه وانتفاء غبونه .
فصلحت حاله بعض الصّلاح . وما تقدر على الإمساك كف تعودت البذل والسّماح .

وبقي على حاله حتى فقده الوجود ، وترك العيون عليه بالدموع تجود .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة سنة سبع
وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

وأوصى أن يُدفن عند أبيه بترية الكامل فما مكّن ، ودفن بترية جدتهم أم الصالح ،
و [والدته]^(٢) وهي ربيعة خاتون بنت السلطان الملك الكامل محمد ابن السلطان الملك
العاذل أبي بكر .

وكان الملك المنصور صاحب حمّة ابن خالته ، وكان الملك العزيز صاحب حلب
مزوّجاً بخالته الأخرى .

كان أولاً^(٣) من أمراء دمشق ، ثم نقل إلى حمّة ، ثم أعيد إلى دمشق ، ولما حضر
إليها اجتمع بأصحابه ، فسألوه عن حمّة ، فقال : أنا ما كنت في حمّة بل كنت في
الأردو ، يعني بذلك أن الملك المؤيد ابن خالته صاحب حمّة يتكلم بالتركي .

وعاشر الأفرم وناداه وأحبه كثيراً وقربه ، وكان لا يصبر عنه ، وكان يوماً هو
والشيخ صدر الدين بن الوكيل عند الأمير جمال الدين الأفرم وقد أحضر لهم على بكرة

(١) في الأصل : « العناء » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) ليست في (س) .

سختائر^(١) صنعها لهم وتأنق الطبّاخون بها ، فقال الملك الكامل : يا شيخ أنا أحبّ السختائر فقال صدر الدين : « حب الوطن من الإيمان »^(٢) فانتكى الكامل منها ، وكان قد تقرر بينهم أنه من سبق وحضر إلى حضرة الأفرم يركب الذي يجيء بعده ويدور في المجلس فتأخر الملك الكامل تلك الليلة إلى أن تحقق أن صدر الدين قد سبقه وجاء بعده ، فقال الأفرم : أيش أخرك إلى هذا الوقت ، قم يا شيخ اركبه ، فقال : والله طيّب إن غبنا ما تذكرونا^(٣) ، وإن جئنا تحمّلون علينا الكلاب ! فقال صدر الدين : يا خوند ما يضيع له شي ، استوفّاها .

قلت : والشيخ صدر الدين أخذ تنديتته من قول نصير الدين الحمّامي ، أنشدني من لفظه شيخنا الحافظ فتح الدين اليعمري ، قال : أنشدني من لفظه لنفسه النصير الحمّامي :

رأيت شخصاً أكلاً كرشَةً وهو أخوذ ذوق وفيه فطنٌ
وقال مازلت محباً لها فقلت من الإيمان حبّ الوطن

ونقلت من خط^(٤) الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم ، وأنشد فيه إجازةً :

أيها اللائي لأكلي كُروشا أتقنوها في غاية الإتقان
لا تلمني على الكروش فحبي وطني من دلائل الإيمان^(٥)

(١) السختائر ، عامية : وهي نوع من الطعام يصنع من أمعاء الغنم ومعدته . معروفة في مناطق حمص وحماة بهذا .

(٢) يسخر منه ، إذ جعل أحشاء الماشية وطناً له .

(٣) في (س) ، والدرر : « تطلبونا » .

(٤) ليست في (س) .

(٥) في (س) والوافي ، زيادة : « وتوجه مرة مع الأفرم إلى الصيد ، فضرب الحلقة ، ولما فرغ أحضر على العادة كل أمير مارماه من الصيد ، فقال له الأفرم : وأنت ياملك مارميت شيئاً ؟ قال : نعم ، رميت . قال : وأين هو صيدك ؟ قال : الكف الذي كان معلقاً في حياصتي رميته ، فضحك الأفرم والجماعة » .

وقيل له ^(١) : إن هلال رمضان ثبت البارحة ، فقال : من رآه ؟ فقالوا : محمد الدين الميت ، فقال : هذا ميت وفضولي ، ويخلط شعبان في رمضان .

وحضر عند صاحب شمس الدين ليلة ^(٢) ، فلما أحضرت الحلوى وجاء البابا بالفوطة والماوردية ورشّ على يده ، فأخذ الماورد ومسح به عينيه وقال : الحلوى رأيتهما بعيني ، وأما بيدي فما لمستهما ، لأن صاحب كان قد أشغله بالحديث عنها حتى فرغت ، فضحك صاحب وأحضر له حلوى تخصه .

وحكى لي الأمير شرف الدين حسين بن جندر قال : جرى الحديث بيننا يوماً في حضرة الأفرم ، فقلت المثل المشهور : « فقلت اصفعوني وردّوا شبابي » ، فقال : والله الأولى تقدر عليها الساعة والأخرى ما يقدر عليها إلاّ الله تعالى .

ونظر ولده يوماً في حضرة الأفرم وهو واقف قدامه إلى بعض الفقهاء وقد لبس بابوياً أزرق ، فتعجب ولده من ذلك فقال : لا تعجب منه ، هذا نصراني مقلوب .

ووجدوه يوماً في الصيف وعليه فروة سنجاب ، فقالوا : ياملك في الصيف بفروة ؟ فقال : أنا ما ألبس بالفصول ، إلا إذا بردت لبست الفروة .

وكان من أخص الناس بالشيخ كال الدين الزملكاني ، وكان إذا وقع بينه وبينه ركب فرسه ودار على أصحابه ومعارفه وقال : قد وقع بيني وبين ابن الزملكاني فلا تسمع فيّ ما يقول ، وكذلك يفعل الآخر .

ودخل إليه الأمير شرف الدين حسين بن جندر يعوده في مرضه ، وكان قد طُلب إلى الديار المصرية وأخذ معه ثلاث مئة درهم فقال : هذه برسم الطبيب ، فقال : بالله

(١) (س) والوافي : « له يوماً » .

(٢) في الوافي : « ليلة موعد » .

دعها تحت الطَّرَاحَة^(١) لئلا يبصرها أرباب الدِّين ، وقال له يوماً : أمير^(٢) شرف الدين ما نحنُ كلنا أولاد ناس ، فما أعلم من أين داخلت هؤلاء التتر وصرت منهم ، وما أعلم وَجْهَ المناسبةِ بينكم ، نعم دينك^(٣) هو الذي يجمع بينكم .

وقلت أنا فيه :

الملكُ الكامل في سَعْدِهِ نَقْصٌ وفي تَنْدِيهِ قد كَمَلُ
كَبِيتَ شعر نصفه سائر حُسناً وباقي لفظه قد خَمَلُ

وكان الملك الكامل قد باشر شدَّ الأوقاف بدمشق وصار يولِّي ويعزل ، فغضب ابن صَصْرَى لذلك ، وترك الكلام في الأوقاف ، فصار الملك الكامل يصرف مال الأوقاف الحكيمة بقله إلى أن وصل كتاب السلطان لقاضي القضاة ابن صصرى في أواخر شهر رجب الفرد سنة تسع وسبع مئة باستمراره على نظر الأوقاف ، فانشرح لذلك وتكلم على عادته في الأوقاف .

ولم يزل الكامل في شد الأوقاف إلى أن عزل بالأمير سيف الدين بكثر المنصوري لما^(٤) وصل الناصر من الكرك ، وكان الملك العادل كتبغا قد أمّره في المحرم سنة تسع وتسعين وست مئة لما كان بدمشق .

١٦٤٢ - محمد بن عبد المنعم*

شرف الدين بن المعين^(٥) المنفلوطي .

(١) في التاج (طرح) : « طرح له الوسادة ألقاها ، وطرحوا لهم المطارح : المفارش » .

(٢) في (س) : « يا أمير » .

(٣) في (س) : « ذكرت دينك » .

(٤) في الأصل : « ولما » ، وأثبتنا ما في (س) .

* الدرر : ٣٢/٤ ، والشذرات : ١٣٢/٦ .

(٥) في الأصل : « المعيني » ، وفي (خ) : « المعتني » ، وأثبتنا ما في (س) ومصادر ترجمته .

كان فقيهاً شافعيّاً ، أديباً شاعراً تَفَقَّه بالشيخ نجم الدين البالي وغيره ، وقرأ الأصول على الشمس المَحْجُوب^(١) . وكان مقبولاً عند الحكام ، واختصر (الروضة) ، وتكلم على أحاديث (المَهْذَب) وسمّاه (الطراز المَهْذَب)^(٢) .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ومن شعره :

ما للمليحة مارَعَت حَقَّ الإخا	لحُبِّها يوماً ولم تَذِرِ السَّخَا
أضحت رياح صدودها لِحُبِّها	نكدأ عواصف بعدما كانت رَخَا ^(٣)
وعزيزة بالدّل ظَلَّتْ لعزّها	متذللاً أبغي لِدَيْها مُتَتَخَا
سَفَكَت دمي عمداً وآيةً سَفَكِها	في الخدّ إذ أضْحَى به متَمَخَا
كم أثبتت للصبّ آية صَدَّها	منها أثبت لثبوتها أن تنسَخَا

١٦٤٣ - محمد بن عبد الوهاب بن عطية *

الفقيه المحدث ناصر الدين الإسكندراني .

قال شيخنا الذهبي : صحبتته بالشعر ، وسمعت بقراءته على الغرّافي ، وكان قارئ الحديث عنده بالأبزارية^(٤) ويؤم بمسجد ، وكان ديناً عاقلاً ، مليح الخط .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده في حدود الستين وست مئة .

(١) محمد بن يوسف بن أبي بكر ، ستأتي ترجمته في موضعها .

(٢) كشف الظنون : ١٩١٣/٢ .

(٣) في الأصل و (خ) : « بلدا » ، وأثبتنا ما في (س) .

* الوافي : ٧٧/٤ ، والدرر : ٣٦/٤ .

(٤) لعلها منسوبة إلى : « أبزار » قرية بينها وبين نيسابور فرسخان (معجم البلدان) .

١٦٤٤ - محمد بن عبد الوهاب بن عبد العزيز*

ابن الحسين بن الحَبَّاب ، القاضي نجم^(١) الدين المصري ، وكيل بيت المال بالقاهرة .

روى (جزء الحفَّار) عن علي ابن مختار بن الجَمَل^(٢) ، وسمع أيضاً من جدّه وابن الجُمَيْزِي .

توفي رحمه الله تعالى حادي عشر شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده في شهر ربيع الأول سنة^(٣) أربع وعشرين وست مئة .

وكان موصوفاً بالأمانة والنزاهة ، وهو من بيت رئاسة في مصر .

١٦٤٥ - محمد بن عبد الوهاب بن علي**

القاضي جمال الدين بن السديد الإسناي .

نشأ في سعادة ورئاسه ، وسيادة ونفاسه . وكان له خَدَم ، وأتباع وحَشَم ، وكانت فيه صداره ، وعليه روتق من السعادة والنضاره^(٤) .

وتوفي رحمه الله تعالى ... وسبع مئة^(٥)

* لم تقف على ترجمته ، وأشار إليه في السير : ٧٧/٢٣ .

(١) (س) : « شرف » ، وظاهر كلام الذهبي في السير أنه : « زين الدين » .

(٢) (ت ٦٣٨ هـ) ، السير : ٧٦/٢٣ ، والعبر : ١٥٨/٥ .

(٣) زيادة من (س) .

** الوافي : ٧٧/٤ ، والطالع السعيد : ٥٤٤ ، والدرر : ٣٦/٤ .

(٤) (س) : « ونضارة » .

(٥) كذا في الأصل و (س) ، ولم يذكر في الوافي سنة وفاته ، وفي الدرر : « ومات في سنة ٧٣٩ أو بعد

ذلك . قلت : بل عاد إلى نيابة القضاء بقوص فأني وقفت على مكتوب أثبتته سراج الدين أبو بكر ...

في ذي القعدة سنة (٧٤١ هـ) ، وهو يومئذ ينوب عن جمال الدين هذا في الحكم بقوص » .

ومولده سنة ثمان وسبعين وست مئة .

اشتغل بالعلم ، وقرأ الفقه على الشيخ بهاء الدين القفطي ، وأجازه بالفتوى . وتوجه إلى القاهرة ، وسمع من الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، والحافظ شرف الدين الدمياطي ، وقاضي القضاة ابن جماعة ، وقرأ على شيخنا أثير الدين (الفصول في النحو) ، وعلى الخطيب الجزري (الأصول) وأجازه بالفتوى ، وأجازه الشيخ فخر الدين عثمان بن بنت أبي سعد ^(١) .

وتعدّل وجلسَ بالقاهرة وقوص ، وتولّى العقود ، واستنابه زين الدين إسماعيل السفطي ^(٢) في الحكم بأرمنت ، وتولّى الخطابة بإسنا ، وتولى الحكم بقمولا وقنا وقفط وأصغون ، ثم ولي النيابة بقوص ثم إن قاضي القضاة جلال الدين القزويني قسم عمل قوص بينه وبين شهاب الدين أحمد بن عبد الرحيم بن حرمي القمولي ، فتولّى جمال الدين قوص والبرّ الشرقي وذاك في البر الغربي ، وتزوج بنت ابن حرمي للائتلاف ، وأقبل جمال الدين على المتجر بمجملته ^(٣) ، واستمال ابن حرمي الوالي بالهدايا . فاتّفق أن وقع الغلاء في قوص سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، وكان عند جمال الدين تقدير ألفي إردبّ وخمس مئة إردب ، فقال الوالي لجمال الدين : إنه يبيع بالسعر المعروف ، فأراد التأخير لغلاء السعر ، فكتب الوالي إلى السلطان ، فبرز مرسومه بالحوطة عليه وإحضاره ، وصرف عن القضاء . ثم إن جمال الدين تولّى النيابة خارج باب النصر بالقاهرة بعد سنتين [وشهرين] ^(٤) مدّيدة لطيفة ، فلما تولّى قاضي القضاة عز الدين بن جماعة لم يؤلّه .

(١) هو عثمان بن علي بن يحيى ، سلفت الإشارة إليه .

(٢) إسماعيل بن موسى بن عبد الخالق . سلفت الإشارة إليه .

(٣) في الوافي : « مجملته » .

(٤) زيادة من (س) والوافي ، والطالع .

١٦٤٦ - محمد بن عثمان بن أبي الوفاء*

القاضي بدر الدين بن فخر الدين العزازي ، أحد كتاب الدرج بدمشق .

كان حسنَ البزّة والسّمت ، كثير الوقار يلزم الصمت ، عديم الشرّ ، حافظ السرّ ، يكتب خطأ حسناً ، يطلعُ به في روض الطّرس ورداً وسوسناً .

لم يزل على حاله إلى أن غاب بדרه فما طلع ، وسار على النعش ومراجع .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الخميس ثالث عشر ذي الحجة سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ست وسبعين وست مئة .

حجّ واستصحب معه الشيخ إبراهيم الصيّاح^(١) ، وعادله في الحمل . وكان يعتكف العشر الأواخر من شهر رمضان .

قال شيخنا البرزالي : وسمع معنا على الشيخ تقي الدين الواسطي عدة أجزاء .

قلت : وكان كثير الملازمة بسوق^(٢) الكتب بحسر اللبادين يوم الجمعة ، ويقتني^(٣) الكتب النفيسة ، ومَلَكَ منها ومن الكرند شيئاً كثيراً ، وكان عنده من والده - وقد تقدم ذكره في حرف العين - أشياء نفيسة مثل السرطان البحري والكحل الأصهباني والنصفية في داخل قصبة ، إلى غير ذلك . إلّا أنه كان إذا أنشأ شيئاً يأتي^(٤) بما يُضحك منه .

ولما توفي رحمه الله تعالى طُلِيتُ أنا من الرحبة ورُتِبَ مكانه ، وكان في آخر أمره

* الوافي : ٨٨/٤ ، والدرر : ٤٥/٤ .

(١) إبراهيم بن منير ، سلفت ترجمته .

(٢) (س) : « من سوق » .

(٣) في الأصل : « وتعتني » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) (س) : « أتى » .

قد حنا عليه الأمير سيف الدين ألباي الناصري الدوادار ووعدّه أن يكون مِنْ جملة موقّعي الدست فعاجلته المنيّة ولم تُبلّغه الأمنيّة .

١٦٤٧ - محمد بن عثمان *

الصاحب الأمير نجم^(١) الدين البصري ، ابن أخي قاضي القضاة صدر الدين الحنفي .

كان فيه كرمٌ زائد ، وجودٌ يأتي لعافيه بالصلة والعائد ، وعنده شهامه ، ولديه همّة وصرامه .

ودرّس أولاً ببصرى ، وأتى بفوائد في دروسه^(٢) تترى ، وخدم السلطان الملك الناصر وهو في الكرك ، وتقل إليه ما أراد فابقى ولا ترك ، وسعى له في الباطن مع أمراء دمشق بملطفات^(٣) إلى أن انبرم له الأمر ، وصار لهباً ذلك الجمر ، فرعى له حقه ، وملكّه من السؤدد رقه . فولي الحسبة ، ثم نظر الخزانة ، ثم الوزارة ، وانتقل بعد ذلك إلى الإمارة ، فأعطي طبلخاناه ، ولم يلبس زي الأمراء ، وأنف منه للآذراء .

ولم يزل على حاله إلى أن انبثق نجمه وضقه رجّمه^(٤) .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشري شعبان سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

* الوافي : ٨٩/٤ ، والبداية والنهاية : ١٠٨/١٤ ، والدرر : ٤٦/٤ ، والشذرات : ٦٢/٦ .

(١) في الأصل : « فخر » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) (س) : « درسه » .

(٣) في (س) زيادة : « ومذكرات ومعطفات » .

(٤) في الأصل : « إلى أن ضقه نجمه رغه » ، وأثبتنا ما في (س) ، لكن وقع فيها : « رحمه » ، وما أثبتنا كسبه ، والرجم : القبر . وانبثق : الفجر .

ووصل من مصر^(١) إلى دمشق في سابع صفر سنة عشر وسبع مئة متولياً وزارة دمشق^(٢) ، وترك الحسبة لأخيه فخر الدين سليمان ، وأظنه استمر في الوزارة إلى أن تولاها صاحب عز الدين بن القلانسي ثالث ذي القعدة سنة عشر وسبع مئة^(٣) ، ولبس هو للإمرة يوم الخميس ثالث عشر صفر سنة إحدى عشرة وسبع مئة ولم يغير ملبوسه ، وكان قد وصل من مصر إلى دمشق في ذي الحجة سنة ست وسبع مئة .

وقد تولّى الحسبة عوضاً عن أمين الدين [يوسف العجمي ، ثم إنه وصل من مصر أيضاً متولياً نظر الخزانة عوضاً عن شمس الدين بن]^(٤) الخطيري مضافاً إلى الحسبة في أواخر شهر رمضان سنة سبع وسبع مئة . ثم إنه عزل من الحسبة في عشرين جمادى الآخرة سنة تسع وسبع مئة بالشيخ عز الدين بن القلانسي .

وقد تقدم ذكر أخيه الشيخ صفّي الدين أبي القاسم بن عثمان في مكانه ، وذكر أختها أم يوسف فخرية الصّالحة في مكانه^(٥) من حرف الفاء .

١٦٤٨ - محمد بن عثمان بن يوسف *

الصدر الكبير القاضي بدر الدين أبو عبد الله الأمدي ثم المصري الحنبلي ، المعروف بابن الحدّاد .

تفقه بمصر ، وحفظ (المحرر) وتميّز ، ثم دخل في الكتابة ، واتصل بالأمير قراسنقر ، ودخل^(٦) معه إلى حلب وولي نظر ديوانه والأوقاف والخطابة . ولما تولّى

(١) في الأصل : « حضر » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) البداية والنهاية : ٥٨/١٤ .

(٣) البداية والنهاية : ٥٩/١٤ .

(٤) زيادة من (س) . وانظر البداية والنهاية : ٤٦/١٤ .

(٥) (س) : « مكانها » .

* الوافي : ٨٩/٤ ، والبداية والنهاية : ١١٥/١٤ ، والدرر : ٤٦/٤ ، والشذرات : ٦٥/٦ .

(٦) (س) والوافي : « وسار » .

دمشق ولّى ابنه خطابة دمشق ، انتزعها من الخطيب جلال الدين القزويني ، ثم وصل توقيع جلال الدين بعد أيام من مصر بإعادته . ثم ولي الحسبة عوضاً عن فخر الدين البصروي . ووصل^(١) إلى دمشق من مصر في ذي القعدة سنة أربع عشرة وسبع مئة ، ثم إنه عزل بابين مبشر^(٢) ، ثم أعيد إليها في جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وسبع مئة . وتولى^(٣) نظر البيمارستان النوري ، ثم نظر الجامع الأموي .

وكان له سماع من القاضي شمس الدين بن العماد ، وذكر لقضاء دمشق في وقت . وتوفي رحمه الله تعالى في يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

١٦٤٩ - محمد بن عثمان *

الصدر المقرئ صلاح الدين ابن الشيخ المقرئ شمس الدين [بن] محمد بن منيع بن عثمان بن شاد البشطارى^(٥) .

كان مقرئاً ، رئيس المؤذنين بالجامع الصالحى خارج باب زويلة بالقاهرة ، كانت له قراءات في عدة أماكن ، وفيه مروءة وعصبية ، وله مكانة عند الناس .

توفي رحمه الله تعالى ليلة عيد الأکبر^(٦) سنة ثلاثين وسبع مئة ، ودفن ثاني يوم بالقرافة .

(١) (س) : « وصل » .

(٢) عز الدين المبشر (ت ٧١٦ هـ) ، كما في البداية والنهاية : ٧٨/١٤ .

(٣) ليست في (س) . وانظر البداية والنهاية : ٧٣/١٤ - ٧٤ .

* الدرر : ٤٤/٤ .

(٤) زيادة من (س) .

(٥) كذا في الأصل و (س) ، وفي الدرر : « ساد البسطاوي » .

(٦) في (س) : « عيد الله الأکبر » .

١٦٥٠ - محمد بن عثمان بن أبي الحسن *

ابن عبد الوهاب الأنصاري ، قاضي القضاة ، شمس الدين بن الحريري ، قاضي القضاة بدمشق والقاهرة .

سمع من ابن أبي اليسر ، وابن عطاء ، والجمال بن الصيرفي ، والقطب بن أبي عصرون ، وجماعة . وتفقه فبرع في الفقه ، وحفظ (الهداية) وغيرها ، وأفق ودرّس وتميّز .

وكان من قضاة العدل ، والحكام الذين خصّ ستر وقارهم ^(١) بالمهدل ، نظيف البزّه ، صلب القناة في الحق عند الغمز والهزّه ، عليه مهابة ووقار ، وسُمّت ^(٢) ترمى النجوم عنده بالاحتقار ، وله عيّاره ، وشارة وإشاره ، وكان قوَّالاً بالحق ، قواماً بالصدق ، حميد الأحكام ، صارماً على الخاص والعام ، متين الديانة ، وصيّن الصيانة ، له أوراد يقوم بأوقاتها ، ويعدّ ذلك لنفسه من أقواتها .

وكان يراعي الإعراب في كلامه ، وفي فصله القضاء عند أحكامه ، ومع نسائه وخدامه ، إلّا أنّه كان مفرطاً في تعظيم نفسه ، ورؤية الناس من أبناء ^(٣) جنسه . وبهذا لا غير نُقم عليه ، وبه يشار عند الذم إليه .

ولم يزل على حاله إلى أن لبس الحريري ^(٤) قطن أكفانه ، وأطبق القبر على إنسانه ما يطول من غمض أجفانه .

* الوافي : ٩٠/٤ ، والبداية والنهاية : ١٣٤/١٤ ، والدرر : ٣٩/٤ ، والشدرات : ٨٨/٦ .

(١) في الأصل : « والحكم الذي خص ستر وقارهم » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في الأصل : « شمس » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) في (س) : « من دونه في أبناء » .

(٤) (س) : « ابن الحريري » .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة يوم السبت رابع جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

وفي شهر ربيع الأول ورد البريد يطلبه إلى مصر متولياً قضاء القضاة بها عوضاً عن قاضي القضاة شمس الدين السروجي ، وولاه السلطان أيضاً تدريس الناصرية والصالحية وجامع الحاكم . وكان وهو بدمشق قد عُزل بقاضي القضاة شمس الدين الأذري ، وطلب للأذري توقيع شريف من الشام ، فلما كان في شهر ربيع الآخر سنة ست وسبع مئة وصل البريد من مصر ومعه توقيع فتوهم البريدي أنه لقاضي القضاة ابن الحريري ، فتوجه به إليه ، وحضر أصحابه إليه للهناء به ، ففتح التوقيع وقرأ ، ولما وصل القارئ إلى الاسم وجدّه غيره فطوى التوقيع ، وحصل لقاضي القضاة^(١) خجل من هذا الأمر ، وكانت هذه واقعة غريبة^(٢) .

ولما أقام بمصر قاضياً كان لبكتمر الساقى إصطبل بأرض بركة الفيل لورثة الملك الظاهر وقفاً ، فتعرض إليهم وقال : هذه الأرض زادت معكم^(٣) ، فتوجه وكيل بيت المال ونائب الحكم لقياس الأرض فما زادت شيئاً ، ثم أرسلوهم مرة أخرى وتحيلوا على الزيادة وقالوا : أعطونا أرض الإصطبل بالزيادة ، فقالوا : نحن نُشهد علينا بقبض الأجرة ونعوّض ، فقبل للسلطان : في^(٤) مذهب أبي حنيفة يجوز التعويض ، فقال لابن الحريري عن ذلك ، فقال : هذا رواية عن أبي يوسف وحده^(٥) ، وما أعمل بها ، فولّى السلطان القاضي سراج الدين عمر صهر القاضي السروجي قاضياً وعزل ابن

(١) (س) : « وحصل للقاضي شمس الدين بن الحريري » .

(٢) انظر ، البداية والنهاية : ٤١/١٤ .

(٣) (س) : « معلم » .

(٤) ليست في (س) .

(٥) (س) : « وجدّه » ، تصحيف .

الحريري ، وحكم سراج الدين [بذلك] ^(١) وبقي على القضاء ^(٢) مُدَّة يسيرة ، ثم مات ، وأعيد ابن الحريري ، وعظمت مكانته .

وكان فقيهاً جيِّداً ، له محفوظات جيدة ، ودرَّس بعدة مدارس ، وأفنى وشغل ^(٣) الطلبة وولي قضاء دمشق مُدَّة سنتين ، وانفصل منه ، ثم طُلب لقضاء مصر ، وكان موصوفاً بالنزاهة لا يقبل لأحد هديَّة ، وكان له حرص على خلاص الحقوق وفصل القضايا ، وصُحْبَتُهُ جيدة ، ومودَّتُهُ أكيدة ، ينفع أصحابه ومعارفه .

وكانت جنازته حافلة ، وعُمل عزاءه بالجامع الأموي ، وكان قد سمع الحديث على النجيب المقداد ، وابن علان ، وغيرهم . وحدث بدمشق والقاهرة .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : وخرَّجْتُ له جزءاً عن عشرة من الشيوخ ، قرئ عليه غير مرة .

وفي قاضي القضاة شمس الدين الحريري ^(٤) يقول شمس الدين الباذرائي ^(٥) :

مذ أسلمتني عَيْنُ أُمِّ سَالِمٍ	إلى الردى يُسْتُ مِنْ مُسَالِمِي
وكما قَلَّ نصيبي عندها	تكاثرت في حُبِّهَا لَوَائِمِي
يامقلتي أنتما نعمتَما	والقلب يشقى وهو غير جَارِمِ
جنيتمَا الذنب فلا أقلَّ مِنْ	أن تبكيَا قلبي بدمعٍ ساجِمِ
عيناى عَوْنان عليّ وهما	منّي وهل بعدهما مِنْ راحِمِ ^(٦)

(١) زيادة من (س) .

(٢) (س) : « على قضاء القضاة » .

(٣) (س) : « وأشغل » .

(٤) (س) : « ابن الحريري » .

(٥) (س) : « شمس الدين محمد بن محمد الباذرائي » ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) (س) : « متى فهل » .

قلبي غرّ في أتباع غيّهِ ياليتني بدّلته بمَحَازِمِ^(١)
منها في المديح :

قد ختم الدهر به أجواده وإنّا الأعمال بالخواتم
وقال يمدحه أيضاً :

أشكو إلى عثمان جودة ابنه فقد رماني في الطويل العريض
قد صيّد الباخل بحر الندى وعلم المفحم نظم القريض
والشيء لا يظهر تميّزه للناس إلّا بوجود النقيض
له يد فيّاضة بالندى كالبحر إلّا أنها لا تفيض
عجبت من حاسده كيف لا يقضي أسى وهو المعنى المريض^(٢)

قلت : البيتان الأولان من هذه القصيدة مأخوذان من قول الأول^(٣) :

مارأينا من جود فضل ابن يحيى ترك الناس كلّهم شعراء

١٦٥٠ - محمد بن عثمان بن أسعد*

ابن المنجّ بن بركات بن المؤمل ، الرئيس الإمام ، شيخ الجماعة من الحنابلة ،
وجيه الدين أبو المعالي بن المنجّ التنوخي الدمشقي الحنبلي .

سمع من ابن اللّتي حضوراً ، ومن جعفر الهمداني ، ومكّرم ، وسالم بن صصرى ،
وخضر بن المقيّر .

(١) في الأصل : « غمّة .. بذلته » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في الأصل : « مريض » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) زاد في (س) : « وهو بيت واحد » .

* الوافي : ٩١/٤ ، والدرر : ٢٨/٤ ، والشذرات : ٢/٦ ، وذيول العبر : ١٧ .

وَدَّرَسَ بِالسَّارِيَّةِ ، وَكَانَ صَدْرًا مَبْجَلًا ، [وَجَوَادًا يَذَرُ الْغَمَّ مُبْخَلًا ، دَيْنًا
مَحْتَرَمًا ، صَيَّنَا لَا يَرَى مِنْهُ وَقْتُ مِنَ الْبَرِّ مَحْتَرَمًا ^(١)] ، مَحَبًّا لِلْأَخْيَارِ ^(٢) ، مَجَانِبًا لِلْأَغْيَارِ ،
لَهُ تَسْرِعٌ فِي الْخَيْرِ ، وَهَمَّةٌ تَسَابِقُ الْبَرْقَ فَضْلًا عَنِ الطَّيْرِ .

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ هَلَكَ ابْنُ الْمُنْجَا ، وَأَصْبَحَ عَلَى فِرَاشِهِ مُسْجَى .

وَتُوفِيَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِدَارِ الْقُرْآنِ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ سَابِعِهِ ^(٣) سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعِ مِئَةٍ .

وَمَوْلَدُهُ سَنَةِ سِتْ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ مِئَةٍ .

وَكَانَتْ لَهُ أَمْلاكٌ وَمَتَاجِرٌ ، وَلَهُ بَرٌّ وَأَوْقَافٌ ، أَنْشَأَ دَارًا لِلْقُرْآنِ بِدِمَشْقَ وَرِبَاطًا
بِالْقُدْسِ ، وَبَاشَرَ نَظَرَ الْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ تَبَرُّعًا ، وَكَانَ مِنْ أَوْلَى الْاِقْتِصَادِ فِي مَلْبَسِهِ مَعَ سَعَةِ
دَائِرَتِهِ وَسَعَادَتِهِ ^(٤) .

١٦٥١ - مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ*

سَرَاخُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ الدَّرَنْدِيُّ ^(٥) ، الْفَقِيهُ الشَّافِعِيُّ .

قَرَأَ الْقُرْآنَ ^(٦) عَلَى نَجْمِ الدِّينِ عَبْدِ السَّلَامِ ^(٧) بْنِ حَفَاطٍ صَهْرِهِ ، وَتَصَدَّرَ لِلْإِقْرَاءِ
بِقُوصِ سَنِينَ كَثِيرَةٍ ، وَانْتَفَعَ بِهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ .

(١) زِيَادَةٌ مِنْ (س) .

(٢) فِي الْوَاقِفِ : « لِلْأَخْيَارِ » .

(٣) (س) : « سَابِعُ الشَّهْرِ » .

(٤) فِي (س) : « فِي سَعَادَتِهِ » .

* الْوَاقِفِ : ٩١/٤ ، وَالطَّالِعُ السَّعِيدُ : ٥٤٧ ، وَالذَّرَرُ : ٤١/٤ .

(٥) فِي الطَّالِعِ السَّعِيدِ : « الدَّرَنْدِيُّ » .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « الْقُرْآنَ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) وَالْوَاقِفِ ، وَالطَّالِعِ .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) وَالْوَاقِفِ ، وَالطَّالِعِ ، وَهُوَ عَبْدُ السَّلَامِ بْنُ

عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رِضْوَانَ (ت ٦٨٥ هـ) . الطَّالِعُ السَّعِيدُ : ٣٢٠ .

وكان متقناً ثقة ، وسمع من الحافظ ابن الكومي ، وتقي الدين بن دقيق العيد ،
ومحمد بن أبي بكر النصيبى^(١) ، وعبد النصر بن عامر بن مصلح^(٢) الإسكندري
وغيرهم ، وحدث بقوص .

وقرأ الفقه على جلال الدين أحمد الدشناوي ، وسراج الدين بن دقيق العيد^(٣)
ودرس ، وناب في الحكم بقفط وقنا وقوص .

واستمر في النيابة إلى أن توفي رحمه الله تعالى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

وكان يستحضر متوناً كثيرة من الحديث والتفسير والإعراب ، واختلط في آخر
عمره .

١٦٥٢ - محمد بن عثمان بن محمد *

ابن علي بن وهب بن مطيع ، جلال الدين ابن علم الدين بن الشيخ
تقي الدين بن دقيق العيد .

سمع جدّه ، والحافظ الدميّاطي^(٤) ، والفقهاء المقرئ تقي الدين محمد بن أحمد بن
عبد الخالق الصّائغ ، ومن^(٥) أحمد بن إسحاق الأبرقوهي ، وغيرهم . واشتغل
بالمذهبين^(٦) المالكي والشافعي .

(١) في الطالع : « النصيبى » . وهو محمد بن محمد بن عيسى ، (ت ٧٠٠ هـ) ، الطالع السعيد : ٦١٣ .

(٢) في الأصل : « مصلح » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والطالع .

(٣) هو موسى بن علي بن وهب القشيري ، سراج الدين (ت ٦٧٥ هـ) ، الطالع السعيد : ٦٦٥ .

* الوافي : ٩١/٤ ، والدرر : ٤٣/٤ ، والطالع السعيد : ٥٥١ .

(٤) هو عبد المؤمن بن خلف الدميّاطي . (الطالع) .

(٥) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والطالع .

(٦) في الأصل : « بالمذهب من » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والطالع .

وقراً (مختصر المحصول) لجدّ والده الشيخ مجد الدين^(١) وكان يُذكر بخير ويُنسب إلى دين .

قال الفاضل كمال الدين الأدفوي : وكان قاضي القضاة ابن جماعة يؤثّره ويبرّه ، ودّعه مرّة فأعطاه ذهباً وفضة من ماله ، وكتب [له]^(٢) بتدريس دار الحديث بقوص ، فأقام بها مدة .

وتوفي بالقاهرة سنة^(٣) ست أو سبع وعشرين وسبع مئة .

١٦٥٣ - محمد بن عثمان بن أبي بكر*

قاضي القضاة شرف الدين النهاوندي ، قاضي صفد وغيرها .

كان من أعرف الناس بالمُداراه ، وأخْلَبهم^(٤) في الحادثة والمجاراه ، له دُرّة بسياسة الخصوم ومصالحتهم ، وقوْدهم إلى تراضيتهم بعد تشاحيهم^(٥) ومشاحتهم ، وله قدرة على مداخلة النواب ، والعبور إلى رضاهم من كل باب ، وكان مُتّع المحاضره ، شهياً المسامره ، لطيف الأخلاق ، ذا كرم دَفَاق ، تنقّل في البلاد كثيرا ، وقاسى في آخر عمره قلةً وفقراً كبيراً .

ولم يزل على حاله^(٦) إلى أن ضمّه ترابه وفارقه أحبابه وأترابه .

(١) هو علي بن وهب بن دقيق العيد (ت ٦٦٧ هـ) ، الطالع السعيد : ٤٢٤ .

(٢) زيادة من (س) والوافي ، والطالع .

(٣) (س) : « رحمه الله تعالى في سنة » .

* الوافي : ٩٠/٤ ، والدرر : ٣٩/٤ .

(٤) (س) : « وأجلبهم » .

(٥) في (س) : « تشاحنهم » .

(٦) قوله : « على حاله » ، ليست في (س) .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة أربعين وسبع مئة^(١) بالقاهرة .

كان أولاً قد تولى قضاء صفد بعد والده المقدم ذكره في مكانه من حرف العين ، وأقام^(٢) بها إلى أن طُلب إلى مصر ، وانحرف عليه قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة وعزله بالقاضي فتح الدين القليوبي ، ثم إن قاضي القضاة نجم الدين بن صبرى حنا عليه وولاه قضاء عجلون ، ثم قضاء نابلس ، ثم ولاءه^(٣) قضاء القضاة بطرابلس ، ثم إنه أعيد إلى صفد بعد القاضي [حسام الدين القرمي ، ثم إنه نُقل إلى قضاء طرابلس ، ثم أعيد إلى صفد بعد القاضي]^(٤) جمال الدين عبد القاهر التبريزي فيما أظن وأقام بها إلى أن تغير عليه الأمير سيف الدين [تنكر ، فعزله بالقاضي شمس الدين الحضري ، فأقام في بيته بصفد بطلاً نحواً من أربع سنين ، ثم إنه توجه إلى القاهرة ونزل عند الأمير سيف الدين^(٥) أرقطاي لما بينهما من الصحبة ، فمات هناك في التاريخ .

١٦٥٤ - محمد بن عثمان بن حمدان*

شمس الدين الثعلبي المعروف بابن البياعة .

كان شاعراً ، مدح الأمير علم الدين الدوادار^(٦) وغيره ، وكان مُشيد الرقيق ، ويخدم في الجهات السلطانية .

توفي رحمه الله تعالى حادي عشر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

(١) في الأصل : « أربع وستين وسبع مئة » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، ومصادر ترجمته .

(٢) (س) : « وقام » .

(٣) ليس في (س) والوافي .

(٤) زيادة من (س) والوافي .

(٥) زيادة من (س) والوافي .

* الدرر : ٤٠/٤ .

(٦) في (س) : « الدواداري » .

ومن شعره :

نَعَمْ غرامي بنجدٍ فوق ما زعموا أفنى وأبقى وهذا بعض ما علموا
حَدَّثَ قَدَيْتُكَ عن ذاك الحمى وأعدُّ ففي حديثك ما يُشْفَى به الأُمُّ^(١)
ليس الحمى غير قلبي والذي به ففيه ثأرهم بالشوق يضطرم
بانوا فبان الغضى ذاوٍ ومنهله غَوَّرَ وأنواره من بعدهم ظلم
خيَّمت يا وجدٌ في قلبي لفقدهم فلا رأيت وحشةً من أهلها الخيم
ولا تغيَّرَ واديهم ولا أفلت بدورة وسقت أكنافه الديم
فالقلبُ في حرق والطرف في غرق والصبر منثلٌ والدمع منسجم^(٢)

١٦٥٥ - محمد بن عثمان بن أحمد*

ابن عثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل ، الصدر الفاضل الحكيم فتح الدين أبو عبد الله الشيخ جمال الدين بن أبي الحوافر القيسي .

سمع من النجيب الحراني (مشيخة) ابن كليب ، و (مجالس) ابن مسلمة ، و (مجالس) الخلّال ، وحدّث ، وكان طبيباً معروفاً بالقاهرة .

توفي رحمه الله تعالى في ثاني عشر شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة^(٣) ، ودفن بالقرافة .

١٦٥٦ - محمد بن عثمان بن محمد**

الفقيه^(٤) الإمام شمس الدين الأصبهاني المعروف بابن العجمي الحنفي .

(١) (س) : « الأُم » .

(٢) (س) : « والدمع في غرق » .

* الدرر : ٣٨/٤ .

(٣) ليست في (س) .

** الدرر : ٤٣/٤ ، والدارس : ٣٦٤/١ .

(٤) في الأصل : « العقبة » تحريف ، وأثبتنا ما في (س) .

كان مُدَرِّساً بالإقباليّة للحنفيّة ، وفيها توفّي رحمه الله تعالى في نصف شوال سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .
ودرس أيضاً بالمدينة النبويّة .

سمع من ابن البخاري (مشيخته) ، وكان فيه وسواس في الطهارة وديانة وانجماع عن الناس ، وجمع منسكاً على مذهبه ، وولي تدريس الإقباليّة بعده قاضي القضاة نجم الدين إبراهيم ابن قاضي^(١) القضاة عماد الدين الطرسوسي^(٢) ، وأثنى الناس على درسه وفصاحته .

١٦٥٧ - محمد بن عدنان بن حسن *

الشيخ الإمام العابد الشريف السيّد محي الدين العلويّ الحسيني الدمشقي الشيعي ، شيخ الإماميّة وكبيرهم .

ولي مرةً نظر السبع ، مات ولداه زين الدين حسين وأمين الدين جعفر وهما من جَلّة رؤساء دمشق ، باشر الأنظار وتقابة الأشراف ، وتقدم ذكرهما في مكانها ، فاحتسبهما عند الله تعالى . وأخبرني غير واحد أنّه لما مات كلُّ منهما كان يُسجّيه قَدَامَهُ وهو قاعد يتلو القرآن ولم تنزل له دمعة ، وولي النقابة في حالة^(٣) حياته ابن ابنه شرف الدين عدنان بن جعفر إكراماً لجدّه .

وكان محي الدين ذا تعبد زائد وولاية وتلاوة دائمة وتألّه ، وانقطع^(٤) بالزّرة .

(١) في الأصل : « إبراهيم إلّا أنّ قاضي » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) البداية والنهاية : ١٦٦/١٤ .

* الوافي : ٩٣/٤ ، والدرر : ٤٧/٤ ، والشذرات : ٥٧/٦ ، ووقع في الأصل : « ابن عثمان » ، سهو .

(٣) ليست في الوافي .

(٤) (س) والوافي : « وانقطاع بالزّرة أضّر مدة » .

وكان يترضى عن عثمان وعن غيره من الصحابة ، ويتلو القرآن ليلاً ونهاراً ، ويناظر [منتصراً] ^(١) للاعتزال متظاهراً بذلك .

توفي رحمه الله تعالى ليلة الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع ^(٢) وعشرين وست مئة .

١٦٥٨ - محمد بن أبي العز بن مشرف *

ابن بيان الأنصاري الدمشقي ، الشيخ الجليل ، المُسند المُعمر شهاب الدين البزاز ، شيخ الرواية بالدار الأشرافية ^(٣) .

رَوَى الصحيح غير مرة عن ابن الزبيدي ، وحدث أيضاً عن ابن صَبَّاح والناصح ، وابن ^(٤) المقيّر ، ومكرم ، وابن ماسويه ^(٥) ، وتفرد في وقته .

وكان حسن الإصغاء جيد الخط . أخذوا عنه بيبليوك ودمشق وطرابلس وأماكن ، وعاش سبعاً وثمانين سنة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وسبع مئة في سابع ذي ^(٦) الحجة .

وهو أخو نجم الدين أبي بكر بن العز بن مشرف الكاتب .

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) في الأصل : « ست » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

* الوافي : ٩٤/٤ ، والدرر : ٤٩/٤ .

(٣) دار الحديث الأشرافية البرانية بسفح جبل قاسيون ، بناها الملك الأشرف مظفر الدين موسى . الدارس : ٣٧١ .

(٤) في الأصل : « والناصح بن » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) علي بن المبارك بن الحسن الواسطي (ت ٦٣٢ هـ) ، العبر : ١٢٨/٥ .

(٦) زيادة من (س) .

١٦٥٩ - محمد بن عقيل بن أبي الحسن *

ابن عقيل نجم الدين البالسي ، أحد أعيان الشافعية وفضلائها بالديار المصرية .

سمع من الفخر بن البخاري وغيره بدمشق ، وسمع ببليس من علي بن عبد الكريم ، والفضل بن رواحة وغيرهما . وبالقاهرة من ابن دقيق العيد ، وناب في الحكم بمصر عن ابن دقيق العيد ، وولي قضاء بلبس ودمياط عن قاضي القضاة ابن جماعة ، وولي نيابة الحكم ظاهر القاهرة بالحسينية . ودرس بالمدرسة الطبرسية بمصر وبالمدرسة المعزية ، وبزاوية الدوري بالجامع ^(١) العتيق وبالمسجد بالشارع خارج القاهرة .

وصنف في الفقه مختصراً حسناً لخص فيه كتاب (المعين) ، وشرح (التنبيه) شرحاً جيداً ، ولم يكمله ، واختصر (كتاب الترمذي في الحديث) .

وكان قوي النفس ، حصل بينه وبين فخر الدين ناظر الجيش بسبب أنه ركب لرؤيا الهلال لشهر رمضان ورجع والمديرون أمامه يصيحون على العادة ، فروا على دار فخر الدين ، فأهان المديرين ^(٢) ، وشق ذلك عليه وانزعج ، وتكلم في ذلك ، وكتب محضراً ، وجرى في ذلك كلام ، ولوطف وسئل على أن يجتمع بفخر الدين فلم يفعل .

وطلب منه قاضي القضاة جلال الدين القزويني قضية فتوقف فيها وصرف نفسه ، وكان ينوب عنه بمصر ، ثم استرضى وعاد .

قال كمال الدين الأذفوي : جئته مرة وهو راكب ، وطلبت منه كتاباً من وقف المدرسة المعزية ، فرجع إلى المعزية من دار النحاس بمصر فأخرج [الكتاب] ^(٣) وأرسله

* الوافي : ٩٨/٤ ، والدرر : ٥٠/٤ ، والشذرات : ٩١/٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٠/٩ .

(١) في الأصل : « وبرواية المودي بالجامع » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في الأصل « المديرون » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) زيادة من (س) .

إليّ ، وكان يُؤثر مع ضعف حاله ، قانعاً باليسير ، مقللاً من المأكل والملبس . دارت الفيتا عليه بمصر ، واشتغل طلبة مصر عليه ^(١) .

وتوفي رحمه الله تعالى رابع عشر المحرم سنة تسع وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة ستين وست مئة .

قلت : وأجاز لي بالقاهرة بخطّه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

١٦٦٠ - محمد بن علي بن محمد بن الملاق*

بالتخفيف في اللام ، القاضي بدر الدين الرقي ، الفقيه الحنفي .

سمع من بكبرس الخليفتي ^(٢) (الأربعين الودعائية) ^(٣) وسمعها منه الدواداري ،
وأجاز للدماشقة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة تسع عشرة وست مئة .

١٦٦١ - محمد بن علي**

الأمير شهاب الدين العقيلي ، نائب الدواداري في شد الدواوين بالشام .

قتل في أواخر سنة سبع ^(٤) وتسعين وست مئة ، وكان قد شاخ وأسن وسرّ قاتله .

(١) في (س) زيادة : « وانتفع به أهل مصر » .

* الوافي : ١٩٢/٤ .

(٢) بكبرس بن يلنجق (ت ٦٥٢ هـ) ، الوافي : ١٨٧/١٠ .

(٣) للقاضي محمد بن علي ودعان (ت ٤٩٤ هـ) ، الكشف : ٦٠/١ .

** الوافي : ١٩٣/٤ .

(٤) في الأصل : « تسع » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

١٦٦٢ - محمد بن علي بن محمد بن علي*

ابن منصور المؤمل بن محمود الباسي ، المسند عماد الدين أبو المعالي .
 كان يشهد على الحكّام مُدّة طويلة ، وأسمعه أبوه حضوراً وسماعاً واستجاز له من
 جماعة ببغداد ومصر ودمشق ، وانتفع به الناس ، وحدث بالقاهرة ودمشق .
 ومن شيوخه حضوراً السخاوي ، وابن الصلاح ، وكريمة القرشيّة ، وشيخ الشيوخ
 ابن حمّوية ، والضياء المقدسي الحافظ ، وسالم خطيب عقربا ، وعمر بن المنجا ،
 وإبراهيم الخشوعي ، وإسحاق بن طرخان الشاغوري ، وعتيق السّلماني ،
 وعبد الحق بن خلف وعبد الملك بن الحنبلي ، وعلي بن عبد الصمد الرازي ، وعيسى
 الداركي . وخرّج له شيخنا الذهبي جزءاً جمع فيه شيوخه بالسماع والحضور والإجازة على
 حروف المعجم ، وحدث به .

وتوفي رحمه الله تعالى خامس عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة وسبع مئة .
 ومولده في صفر سنة ثمان وثلاثين وست مئة بدمشق .

١٦٦٣ - محمد بن علي بن وهب بن مطيع**

الإمام العلامة شيخ الإسلام ، أستاذ المتأخّرين ، قاضي القضاة ، تقيّ الدين أبو
 الفتح ابن الشيخ الإمام مجد الدين المعروف بابن دقيق العيد القشيري المنفلوطي المصري
 المالكي الشافعي .

سمع من ابن المقير ، وابن الجُميّزي ، وابن رواج ، والسبط ، وعدّة . وسمع من

* الدرر : ٨٣/٤ ، وذيول العبر : ٦١ .

** الوافي : ١٩٣/٤ ، وفوات الوفيات : ٤٤٢/٣ ، والبداية والنهاية : ٢٧/٤ ، والطالع السعيد : ٥٦٧ ،
 والدرر : ٩١/٤ ، ونبائع الزهور : ٤١١/١/١ ، والشذرات : ٥/٦ ، والبدر الطالع : ٢٢٩/٢ .

ابن عبد الدائم ، والزين خالد بدمشق وخرَجَ لنفسه (أربعين تساعيات)^(١) ولم يحدث عن ابن المقير وابن رواج ، لأنّه داخله شك في كيفية التحمل عنها .

كان الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى إماماً في فنونه ، غاماً فيما يرسله من الفوائد في كلامه وعيونه ، مُفسّراً ، محدّثاً ، سبق في هذين من كان عَجْلاً أو متلبساً ، فقيهاً مدقّقاً ، قام بفروع المذهبين مُحَقِّقاً ، أصولياً أشعريّاً ، حقيقاً بانفراده في ذلك حرّياً ، نحوياً أديباً ، ناظماً ناثراً عجيباً ، لا يباريه في كلّ فنونه مِبارٍ ، ولا يحاربه في مضارها محارٍ ، ولا تعلق له الريح إذا أمّ غايةً بغيار .

وإذا خطّاب القوم في البحث اعتلى فصل القضية في ثلاثة أحرفٍ

وكان ذكياً غوّاصاً على المعاني ، قنّاصاً لشوارد ما يحاوله من العلوم ويعاني ، وافر العقل ، سافر الحُجب عن وجوه النُّقل ، كثير السَّكينة ، لازم الوقار والأبهة الركنه ، بخيلاً بالكلام ، قلّ أنْ يسمع منه غَيْرُ رَدِّ السَّلام ، شديد الورع ، مديد الباع إذا قام في أمر شرعي وشرع ، ملازم السَّهر والسَّهاد ، مداوم المطالعة في استخراج ما ينتفع به في العبادة العباد ، وكانت كفّه تتخرق ، وتدع الغمام حسداً لجوده بنار البرق يتحرّق ، عديم الدِّعاوى ، كثير الشُّكر قليل الشكاوى ، بصيراً بعلل المنقول ، خبيراً بعلل المعقول :

يروي فيرى كلّ ذي ظمأ لهُ بِحَمَى الحديث تَعْلُقُ وَهَيَامُ
بِسَدِيهِةٍ فِي الْعِلْمِ يُقْسِمُ مَنْ رَأَى ذَاكَ التَّسَرُّعَ أَنَّهُ السَّهَامُ

وكيف لا يكون ذلك^(٢) ، وهو الذي بعثه الله على رأس المئة^(٣) لِيُجَدِّدَ لِلأُمَّةِ أَمَرَ دينها ، ويحدّد لها ما اشتبه من قواعد شريعتها عند تبيينها . وهؤلاء الذين أشار إليهم

(١) في الوافي : « تساعية » .

(٢) في (س) : « كذلك » .

(٣) في (س) زيادة : « السابعة » .

رسول الله ﷺ في قوله : « يبعث الله على رأس كل مئة سنة لهذه الأمة من يُجدِّد لها أمرَ دينها » .

كان الأول على رأس المئة الأولى عمر بن عبد العزيز ، وعلى رأس المئة الثانية الشافعي رضي الله عنه ، وعلى رأس المئة الثالثة ابن سريج ، وقيل : أبو الحسن الأشعري ، ويمكن الجمع بينهما ، فإنَّ الأشعري جاء لأصول الدين ، لأن المعتزلة كانوا قد طبقوا الأرض فحجَّزهم رضي الله عنه في قوع السمسم ، وابن سريج جاء لتقرير الفروع .

وعلى رأس المئة الرابعة أبو حامد الإسفراييني ، وقيل : سهل بن أبي سهل محمد المقول [فيه] النجيب ^(١) بن النجيب ، كان أحد عظماء الشافعية الراسخين في الفقه والأصول ^(٢) والحديث والتصوف .

وعلى رأس المئة الخامسة ^(٣) حجة الإسلام أبو حامد الغزالي . وعلى رأس المئة السادسة الإمام فخر الدين الرازي . وعلى رأس المئة السابعة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد .

ومن سعادة الشافعية أنَّ الجميع شافعيون . فإن قلت : فكيف تعمل في عمر بن عبد العزيز ؟ قلت : ما كانت المذاهب الأربعة ظهرت ذلك الزمان .

وقد أنشد شيخ من أهل العلم في مجلس ابن سريج :

اثنان قد مَضَيَا فبورك فيهما عَمَرُ الخليفة ثم حِلْفُ السَّوْدِ
الشافعي الألعِيَّ مُحَمَّد إرث النبوة وابن عمِّ مُحَمَّد

(١) في الأصل (البحث) ، وأثبتنا ما في (س) ، والزيادة منها ، وكانت وفاته سنة (٤٠٤ هـ) . انظر سير أعلام النبلاء : ٢٠٧/١٧ .

(٢) ليست في (س) .

(٣) في الأصل : « السادسة » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) .

أبشر أبا العباس إنك ثالثٌ من بعدهم سقياً لتربة أحمد
فصاح ابن سريج وبكى ، وقال : لقد نعى إليّ نفسي ، ومات في تلك السنة رحمه
الله تعالى .

وزاد على ذلك بعضُ الفقهاء فقال :

والرابع المشهور سهل محمد يأوي إليه المسلمون بأسرهم
أضحى عظيماً عند كل موحّد في العلم إن جاؤوا بخطب مؤبّد
لا زال فيما بيننا خير الوري للمذهب المختار خير مجدّد

وأشد^(١) من لفظه لنفسه مولانا قاضي القضاة تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب
الأنصاري السبكي الشافعي مكلّلاً على الأبيات الأولى التي في ابن سريج :

ويقال إن الأشعري الثالث الـ
والحق ليس بمنكر هذا ولا
هذا لنصرة أصل دين محمد
وضرورة الإسلام داعية إلى
وقضى أناس أن أحمد الأسفرا
فكلاهما فرد الوري المعداد من
والخامس الخبر الإمام محمد
وابن الخطيب السادس المبعوث إذ
والسابع ابن دقيق عيّد فاستمع
وانظر لسر الله أن الكل من

مبعوث للدين القويم الأملد
هذا وعلمها قرآن فقدد^(٢)
لنظير ذلك في فروع محمد^(٣)
هذا وذاك ليهتدي من يهتدي
يبيّن رابعهم فلا تستبعد
حزب الإمام الشافعي محمد
هو حجة الإسلام دون تردّد
هو في أصول الدين أي مؤيّد
فالقوم بين محمد أو أحمد
أصحابنا فافهم وأنصف ترشد

(١) : (س) : « وأنشدني » .

(٢) في الأصل : « أمران فعدد » ، ولعلّ ما أثبتناه هو الوجه .

(٣) : (س) : « كنظير » .

هذا على أنَّ المصيب إمامنا أجلى دليل واضح للمهدي
ياأيها الرُّجُلُ المرید نجاته دَعُ ذا التعصّب والمراءِ وقلِّدْ
هذا ابن عم المصطفى وسمّيه والعالم المبعوث خيرٌ مجدّدِ
وضح الهدى بكلامه وبهديه ياأيها المسكين لم لا تقتدي

ولم يزل الشيخ تقيّ الدين بن دقيق العيد إلى أن طُفِيَ سراجُهُ الوهّاج ، وأُثار عليه لواعج الأحزان وهّاج .

وتوفّي رحمه الله تعالى في يوم الجمعة حادي عشر صفر سنة اثنتين وسبع مئة .

ومولده في البحر الملح وكان والده رحمه الله تعالى متوجّهاً إلى مكّة في البحر ، فولد له عند الينبغ في يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان سنة خمس وعشرين وست مئة ، ولذلك ربما كتب بخطّه : « السجّي » ^(١) . ثم إن والده أخذه على يده فطاف به وجعل يدعو الله أن يجعله عالماً عاملاً .

وقلت أنا فيه :

ومن عند الطوّاف بخير بيت غدا يدعوا أبوه له هنالكُ
بأنْ يمتاز في عمل وعلم فقل لي كيف لا يأتي كذلك

وكان الشيخ تقيّ الدين رحمه الله تعالى قد تَفَقَّه بأبيه الشيخ مجد الدين بقوص ، وبالشيخ عز الدين بن عبد السلام بالقاهرة وبطائفة ، واشتهر اسمه في حياته وحياة مشايخه ، وتخرج به أئمة .

وكان لا يسلك المراء في بحثه ، بل يتكلم بسكينة كلمات يسيرة ، فلا يُراد ولا يراجع . وكان عارفاً بمذهبي مالكٍ والشافعي ، كان مالكيّاً أولاً ، ثم صار شافعيّاً .

(١) كذا ، ولعلّه يشير إلى سجن البحر ، وهو سكونه وامتداده ، وفي الطالع السعيد : « الثبجي » ، أي المعتى .

قال : وافق اجتهادي اجتهد الشافعي إلا في مسألتين أحدهما أن الابن لا يزوّج أمّه والأخرى ...^(١) ، وحسبك بمن يتنزّل ذِهنُه على ذِهن الشافعي .

قلت : أما مسألة الابن وعدم تزويجه لأمّه فلأنه مُتفرّع عن أصلين : أحدهما : أبوه ، ولا ولاية له في تزويج أمّه ، والثاني : أمّه ، وما لها أن تزوّج ابنها^(٢) ، فبطل أن يكون للابن ولاية في تزويج أمّه .

وامتدحه شيخنا الإمام العلامة المحقق النظّار ركن الدين محمد بن محمد بن القُويّ^(٣) بقصيدة طنانة جاء منها في مدحه :

صَبَا للعلم صَباً في صَبَاةٍ فاعل بهمة الصبّ الصَّبِي
وأَتَقَنَ والشباب له لباسٌ أدلّة مالِكٍ والشافعي

وستأتي بقية الأبيات في ترجمة الشيخ ركن الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن .

وكانت ولايته قضاء القضاة بالديار المصرية في يوم السبت ثامن عشر جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وست مئة .

وكان الشيخ تقي الدين لا ينام الليل إلا قليلاً ولا يقطعه إلا ببطالعة^(٤) وذكر وتهجّد ، أوقاته كلّها مغمورة .

وله التصانيف البديعة كـ (الإمام والإمام)^(٥) شرحه ولم يكمله ، ولو كمل لم يكن

(١) كذا بياض في الأصل و (س) والوافي .

(٢) (س) : « نفسها » .

(٣) هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف القرشي التونسي (ت ٧٣٨ هـ) .

(٤) في الأصل : « بطلاله » ، وعبارة (س) والوافي : « إلا قليلاً ، يقطعه بطلالعة » .

(٥) في الطالع : « وأما كتابه المسمى بالإمام الجامع أحاديث الكلام ، فلو كُتبت نسخته في الوجود لأغنت عن كل صنف في ذلك موجود » .

للإسلام مثله ، وكان يجيء في خمس وعشرين مجلدة ، وله « علوم الحديث »^(١) و « شرح العمدة »^(٢) في الأحكام الذي أملاه على ابن الأثير فاضل العصر الذي تعرفه وهو إملاء ، وشرح (مقدّمة) المطرزي^(٣) في أصول الفقه . وألّف (الأربعين في الرواية عن رب العالمين) وشرح بعض (مختصر ابن الحاجب) ، و (شرح ابن الحاجب) في فروع المالكية ، وشرح (مختصر التبريزي) في فروع الشافعية .

وكان رحمه الله تعالى قد قهره الوسواس في أمر المياه والنجاسات ، وله في ذلك وقائع وحكايات عجيبة . وكان كثير التّسرّي ، وله عدّة أولاد سَمّاهم بأسماء الصحابة العشرة .

ولمّا طلع إلى السلطان حسام الدين [لاجين] قام^(٤) له وخطا عن مرتبته .

وعزّل نفسه عن القضاء مرات ، ثم يُسأل ويعاد . وكان شفوفاً على المشتغلين ، كثير البرّ لهم .

قال قطب الدين عبد الكريم^(٥) : أتيت إليه بجزءٍ سَمِعَهُ من ابن رواج والطبقة بخطه ، فقال : حتى أنظر في هذا ، ثم عاد إليه فقال : هو خطّي ، ولكن ما أحقّق سماعي له ولا أذكره .

أخبرني شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي قال : حكى لي الشيخ قطب الدين السنباطي قال : بلغني أنّ الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد قال : لكتاب

(١) في الدرر : « الاقتراح في علوم الحديث » . وفي الكشف : ١٣٥/١ : « الاقتراح في أصول الحديث » . وعبارة الوافي : « علوم الحديث في شرح عمدة الأحكام » . وفي الطالع : « الاقتراح في معرفة الاصطلاح » .

(٢) انظر كشف الظنون : ١١٦٤ .

(٣) في الأصل : « المطرّز » ، وأثبتنا ما في (س) والدرر ، والطالع .

(٤) في الأصل : « حسام الدين أقام » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) (س) : « أظنّه عبد الكريم » .

الشمال عشرين سنة . أو قال : « سنين » ، الشك مني أنا في روايتي عن شيخنا تقي الدين - لم يكتب علي شيئاً ، قال السنباطي : فاجتمعت به وقلت له : قال فلان عن مولانا^(١) كذا وكذا ، فقال : أظن ذلك أو كذلك يكون المسلم ، أو كما قال .

وكان يقول : ما تكلمت كلمة ولا فعلت فعلاً إلا وأعددت له جواباً بين يدي الله تعالى .

ولما جاءت التتار ورَدَ مرسوم السلطان إلى مصر بجمع العلماء وقراءة البخاري ، فقرأوا البخاري إلى أن بقي ميعاد آخره ليُختم يوم الجمعة ، فلما كان يوم الجمعة رُئي الشيخ تقي الدين في الجامع فقال : ما فعلتم ببخاريكم ؟ فقالوا : بقي ميعاد ليكمل اليوم ، فقال : انفصل الحال من أمس العصر وبات المسلمون على كذا ، فقالوا : نخبر عنك ؟ قال : نعم ، فجاء الخبر بعد أيام بذلك ، وذلك في سنة ثمانين وست مئة على حص ، ومقدم التتار منكوتر^(٢) .

وقال عن بعض الأمراء وقد خرج من القاهرة إنه ما يرجع ، فما رجع .

وأساء شخص عليه الأدب فقال الشيخ : نُعيت لي في هذا المجلس ثلاث مرّات ، فمات بعد ثلاثة أيام^(٣) .

واستمع له بعض أصحابه ليلة وهو يقرأ ، قال : فوصل إلى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾^(٤) . قال : فما زال يُكرّرها حتى طلع الفجر^(٥) .

(١) (س) : « قال فلان عن فلان عن مولانا » .

(٢) انظر الخبر في الطالع السعيد : ٥٧٧ .

(٣) هو ابن القصري كما في الطالع السعيد : ٥٧٩ .

(٤) المؤمنون : ١٠١/٢٣ .

(٥) انظر الطالع السعيد : ٥٧٩ .

قلت : ويدل على ذلك تحريره في عدم الكلام ، وأنه كان بخيلاً ، وشعره فيه أيضاً ما يدل على ذلك .

أنشدني الشيخ شمس الدين بن نباته المصري من لفظه ، قال : أنشدني الشيخ تقي الدين لنفسه :

الجسم تذييبه حقوقَ الخدمة والنفسُ هلاكها علوَ الهمة
والعمرُ بـذاك ينقضي في تعبٍ والراحة ماتت فعلية الرحمة

ومن العجيب ما نقلته أنا من بعض التعاليق أنّ هذين البيتين حفظهما تاج الدين أحمد أخو الشيخ تقي الدين ، وكان فارضاً عاقداً^(١) بالحسينية ، فاتفق أنه قال في وقت في الهاجرة بمسجد الجوادي^(٢) ، فرأى في النوم والدهما الشيخ مجد الدين ، رحمه الله تعالى ، فسلم عليه ، وسأله عن حاله ، فقال : ياسيدي بخير . فقال : كيف محمد أخوك ؟ قال : بخير ، الساعة كنت عنده وأنشدني هذين البيتين . وأنشدهما ، فقال : سلم عليه وقل له :

الروح إلى محلّها قد تآقت والنفسُ لها مع جسمها قد عآقتُ
والقلبُ معذبٌ على جمُعهم والصبرُ قضى وحيلتي قد ضاقت

ونقلت أنا من خطّه رحمه الله تعالى لنفسه :

أفكر في حالي وقرب منيّي وسيُري حثيثا في مصيري إلى القبر
فَيُنشئ لي فكري سحائبَ للأسى تسحّ دموعا دونها وابل القطر^(٣)
إلى الله أشكو من وجودي فإنني تعبتُ به مذ كنتُ في مبدأ العمر^(٤)

(١) في الوافي : « وعاقداً » .

(٢) في الوافي : « الجوازي » .

(٣) في الأصل : « في فكري » ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي والقوات ، وفي الأخيرين : « تسح هوماً » .

(٤) في القوات : « مبتداً » .

تروح وتغدو للنايا فجائع تكدره والموت خاتمة الأمر
وتقلت من خطه له أيضاً :

سحاب فكري لا يزال هامياً وليل همي لا أراه راجلاً
قـد أتعبتني همي وفطنتي فليتني كنت مهيناً جاهلاً

قلت : جاء في كلام أرسطو : تعبت بعرفاني فليتني خلقت لا أعرف .

وأشدني الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن نباتة المصري قال : أنشدنا من لفظه
لنفسه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد :

أتعبت نفسك بين ذلة كادح طلب الحياة وبين حرص مؤمل
وأضعت عمرك^(١) لاخلاعة ماجن حصلت فيه ولا وقار مبجل^(٢)
وتركت حظ النفس في الدنيا وفي الـ أخرى ورحت عن الجميع بمعزل

ولقد وقفت له على جواب طويل كتبه بخط يده في درج إلى الأمير سيف الدين
منكوتر نائب السلطان حسام^(٣) الدين لاجين ، وكان عند أستاذه الجزء الذي
لا يتجزأ ، وقد كتب فيه بعد البسملة .

« ورد على العبد الفقير محمد بن علي مخاطبة الأمير الكبير سيف الدين ، ووقف
عليها وعجب منها لأمرين ، ثم إنه ذكر^(٣) كل فصل ويحييه عنه ، إلى أن قال في آخر
ذلك : فكتب الأمير إليّ كتاباً يكتب إلى من ليس عنده من الدين شيء ، ولو كان
الأمير عرف مني ارتكاب الكبائر الموبقات ما زاد على ما فعل ، وبالجملة^(٤) فإن الله تعالى

(١) في الوافي والقوات : « نفسك » .

(٢) في الوافي : « نائب السلطنة لحسام » .

(٣) في الوافي : « الأمرين ثم إنه يذكر » . وفي (س) : « ... ثم ذكر » .

(٤) (س) والوافي : « وعلى الجملة » .

أَمَرَ نَبِيَّهِ بِالْمُبَاهَلَةِ وَالْمَلَاعِنَةِ فِي الدِّينِ ، فَقَالَ لِأَهْلِ الْكِتَابِ : ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لُغْنَةً لِلَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ فَمَثَلُ (١) أَمَرَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ وَقَوْلُ : اللَّهُمَّ يَا شَدِيدَ الْبَطْشِ ، يَا جَبَّارَ ، يَا قَهَّارَ ، يَا حَكِيمَ ، يَا قَوِيَّ يَا عَزِيزَ ، يَا قَوِيَّ يَا عَزِيزَ ، يَا قَوِيَّ يَا عَزِيزَ ، نَسَبُ (٢) إِلَيَّ أَكْلُ الْحَرَامِ مِنَ الْمَدَارِسِ (٣) الْغَائِبَةِ ، وَإِلَى أُمُورٍ أَنْتَ أَعْلَمُ (٤) بِسَرِّهَا ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي عِلْمِكَ صَحِيحًا فَاجْعَلْ لِعَنْتِكَ وَلِعْنَةَ مَلَائِكَتِكَ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ عَلَيَّ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَحِيحًا فَاجْعَلْهَا عَلَيَّ مِنْ افْتَرَى عَلَيَّ بِهَا ، وَإِنْ كَانَ الْوَلَدُ قَدْ فَعَلَ مَا قِيلَ مِنْ أَخْذِ الْبَرَاطِيلِ فَاجْعَلْهَا عَلَيْهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَاجْعَلْهَا عَلَيَّ مِنْ افْتَرَى عَلَيْهِ ، فَهَذَا إِنْصَافٌ وَامْتِثَالٌ لِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ رَسُولُهُ (٥) ، وَرُبُّكَ بِالْمُرْصَادِ (٦) ، وَالشُّكُوى إِلَى اللَّهِ الْحُكْمَ الْعَدْلَ .

فَلَمْ يَلْبِثْ إِلَّا أَسْبُوعًا أَوْ أَقَلَّ أَوْ أَكْثَرَ حَتَّى قَتَلَ السُّلْطَانُ وَحَبَسَ مِنْكُومَتَر ، ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ مَحْبَسِهِ وَذَبَحَ .

وَكَانَ مِنْ شِدَّةِ وَسْوَاسِهِ مَا يَجْلِسُ عَلَى جَوْخٍ وَلَا يَقْرَبُهُ .

وَكَانَ (٧) فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ طَلَعَ إِلَى السُّلْطَانِ حَسَامِ الدِّينِ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى طَرَاةِ جَوْخٍ ، فَجَلَسَ مَعَهُ عَلَيْهَا وَقَضَى شُغْلَهُ ، وَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ ، وَنَزَعَ كُلَّ مَا عَلَيْهِ وَغَسَّلَهُ .

(١) فِي (س) : « فَتْشِيل » . وَالْآيَةُ مِنْ آلِ عِمْرَانَ : ٦١/٣ .

(٢) (س) ، وَأَصْلُ الْوَاقِي : « قَدْ نَسَبَ » .

(٣) فِي الْوَاقِي : « مِنْ مَالِ الْمَدَارِسِ » .

(٤) (س) : « عَالَمٌ » .

(٥) فِي الْوَاقِي : « بِهِ وَرَسُولُهُ » . وَفِي (س) : « اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِهِ » .

(٦) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ ﴾ [الْفَجْرِ : ١٤/٨٩] .

(٧) (س) : « وَلَمَّا كَانَ » .

فقالوا له : يا سيدي لا كنت جلست عليها ، فقال فكّرت إن جلستُ دونه أكن قد أهنت^(١) مُنْصِبَ الشرع ، وهو أمر ما يزول ، فجلست معه وغسلت ما عليّ فزال .

وقيل : إنه امتنع من أكل الحلوى فقليل له في ذلك ، فقال : لأني رأيت يوماً بعض الصناع يحرك دست حلوى^(٢) ثم إنه أراق ماءً ولم يستنج . وقيل : كان يغسل الحلوى ويأكلها .

وكان قد عَزَلَ نفسه في شهر ربيع الآخر سنة سبع وتسعين وست مئة ، ثم إنه أُعيد إلى القضاء وخُلِعَ عليه ، ورُسِمَ له أن لا يستنيب وَلَدَهُ محبّ الدين .

وعلى الجملة فكان امرأ غريباً قلَّ أن تَرَى العيونُ مثله زهداً وورعاً وتصميماً وتحريّاً واجتهاداً وعبادةً وتوسّعاً في العلوم .

فهو الذي بحج الزمان بذكره وتزيّنتُ بحديثه الأشعار^(٣)

وأما ما كان يقع في حقّه من شيخنا العلامة أثير الدين فله سببٌ ، أخبرني شيخنا الحافظ أبو الفتح اليعمري قال : كان الشيخ تقيّ الدين قد نزل عن تدريس مدرسة لولده ، أنسيت أنا اسم المدرسة واسم ابنه ، فلما حضر الشيخ أثير الدين دُرْسَ قاضي القضاة تقيّ الدين بن بنت الأعزّ قرأ آيةً يدرس بها ذلك^(٤) اليوم وهي ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ ﴾^(٥) الآية ، فبرز أبو حيّان من الحلقة وقال : يا مولانا قاضي القضاة « قدّموا أولادهم » ، يكرّر ذلك ، فقال قاضي القضاة : ما معنى هذا ؟ فقال : ابن دقيق العيد نزل لولده فلان عن تدريس المدرسة الفلانية ، فنقل المجلس إلى الشيخ

(١) (س) : « دونه فقد أهنت » .

(٢) (س) : « الحلوى » .

(٣) في الوافي : « الأخبار » . وبجح : فرح ، وتبجّح : فخر .

(٤) (س) : « قرأ آية يدرسها ذلك .. » ، وعبارة الوافي : « يفسرها دُرْسَ ذلك » .

(٥) الأنعام : ١٤٠/٦ .

تقي الدين ابن دقيق العيد فقال : أمّا أبو حيان ففيه دعابة من أهل الأندلس ومجونهم ، وأمّا أنتَ يا قاضي القضاة يَبْدُلُ ^(١) القرآن في حضرتك وما تنكر هذا ^(٢) الأمر . فما كان إلا قليل ^(٣) حتى عَزَلَ ابن بنت الأعز عن ^(٤) القضاء بابن دقيق العيد . وكان ^(٥) إذا خلا شيء من الوظائف التي تليق بالشيخ أثير الدين يقول الناس : هذه لأبي ^(٦) حَيَّان ، فتخرج عنه لغيره . فهذا هو السبب الموجب لحطّه عليه وشناعته ^(٧) .

والصحيح أن أهل العصر لا يُرْجَعُ إلى جَرْح بعضهم بعضا لهذه الواقعة ^(٨) وأمثالها :

إن العرائن تلقاهن مُحَسَّدة ولا ترى للناس حُسَّادا

وبعد هذا ما خَلَصَ ابن بنتِ الأعز من ضَرْبِ العُنُقِ إلا ابن دقيق العيد ، لأنّ الوزير شمس الدين بن السَّلْعُوس لما عمل على ابن بنت الأعز وعَزَلَه ، وعمل مَحَاضِر بكفره ، وأخذ خطّ الجماعة على المحاضر ، ولم يبق إلا خطّ ^(٩) ابن دقيق العيد ، أرسل إليه المحاضر مع النقباء وقال ^(١٠) : يامولانا الساعة تضع خطك على هذه المحاضر ، فأخذها وشرع يتأملها واحداً واحداً ، والنقباء من القلعة يتواترون بالحِث والطلب والإزعاج ، وأنّ الوزير والسلطان في طلب ذلك ، وهو ^(١١) لا يزعج ، وكلّما فرغ محضراً

(١) في الوافي : « فَيَبْدُل » .

(٢) (س) : « وما تذكر عن هذا » .

(٣) (س) : « فما كان عن قليل » ، وفي الوافي : « فما كان إلا عن قليل » .

(٤) (س) والوافي : « من » .

(٥) في الوافي : « فكان » .

(٦) في الأصل : « لابن » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٧) في الوافي : « وشناعة عليه » .

(٨) (س) والوافي : « لمثل هذه الواقعة » .

(٩) (س) : « وأخذ خطّ الجماعة إلا خطّ » .

(١٠) (س) والوافي : « مع نقباء » . وفي (س) : « وقالوا » .

(١١) (س) : « انتظار ذلك وهما يحثان الطلب ، وهو .. » .

دَفَعَهُ إِلَى الْآخِرِ وَقَالَ^(١) : مَا أَكْتُبُ فِيهَا شَيْئاً . قَالَ الشَّيْخُ فَتَحَ الدِّينَ : فَقُلْتُ أَنَا : يَا سَيِّدِي لِأَجْلِ السُّلْطَانِ وَالْوَزِيرِ ، فَقَالَ : أَنَا مَا أَدْخَلُ فِي إِرَاقَةِ دَمِ مُسْلِمٍ ، قَالَ : فَقُلْتُ^(٢) : فَكَيْفَ كُنْتُ تَكْتُبُ خَطَّكَ بِذَلِكَ ، وَبِمَا يَخْلُصُ فِيهِ ؟ فَقَالَ : يَا فُقَيْهَ مَا عَقَلِي عَقْلُكَ ، هُمْ مَا يَدْخُلُونَ إِلَى السُّلْطَانِ وَيَقُولُونَ : قَدْ كَتَبَ فُلَانٌ بِمَا يَخَالِفُ خُطُوطَ الْبَاقِينَ ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ : قَدْ كَتَبَ الْجَمَاعَةُ ، وَهَذَا خَطُّ ابْنِ دَقِيقِ الْعِيدِ ، فَأَكُونُ أَنَا السَّبَبُ الْأَقْوَى فِي قَتْلِهِ^(٣) ، قَالَ : فَأَبْطَلَ ذَلِكَ عَمَلَهُمْ ، وَسَكَّنَ سَوْرَتَهُمْ ، وَأَطْفَأَ شَوَاطِئَ نَارِهِمْ .

قَالَ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ : وَمَا كَانَ الشَّيْخُ تَقِيَّ الدِّينِ يَعْجَبُهُ مِنْ يَقُولِ^(٤) : قَاضِي الْقَضَاةِ الشَّافِعِي ، فَإِذَا قُلْنَا : قَاضِي قَضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ قَالَ : إِيَّاهُ^(٥) هَذَا .

وَأَخْبَرَنِي شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ شَهَابُ الدِّينِ أَبُو الثَّنَاءِ قَالَ : قَالَ لِي يَوْمَ الشَّيْخِ تَقِيَّ الدِّينَ : قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ^(٦) :

أَوْ كَانَ صَادَفَ رَأْسَ عَازَرٍ سَيْفَهُ فِي يَوْمٍ مَعْرَكَةٍ لِأَعْيَا عَيْسَى

فِي هَذَا شَيْءٍ غَيْرِ إِسَاءَةِ الْأَدَبِ ، فَفَكَّرْتُ^(٧) سَاعَةً ، ثُمَّ قُلْتُ : نَعَمْ ، كَوْنُ الْمَوْتِ مَا يَتَفَاوَتُ إِنْ كَانَ بِالسَّيْفِ أَوْ بغيرِهِ ، فَالْإِحْيَاءُ مِنَ الْمَوْتِ سَبِيلٌ وَاحِدَةٌ ، فَقَالَ^(٨) : أَحْسَنْتَ يَا فُقَيْهَ . أَوْ كَمَا قَالَ .

(١) (س) وَالْوَافِي : « فَقَالَ » .

(٢) (س) وَالْوَافِي : « فَقُلْتُ لَهُ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « حَقُّهُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) وَالْوَافِي .

(٤) فِي (س) وَالْوَافِي : « قَوْلٌ مِنْ يَقُولُ » .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « إِنَّهُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) وَالْوَافِي .

(٦) دِيَوَانُهُ : ١٩٨/٢ .

(٧) فِي الْوَافِي : « فَأَفَكَّرْتُ » .

(٨) (س) : « فَقَالَ لِي » .

وهذه المؤاخذة دقيقة لا تصدر إلا من أديب كبير كالجاحظ أو غيره .

قال لي شيخنا شهاب الدين : ما رأيت في أهل الأدب مثله ، وناهيك بمن يقول مثل الشهاب محمود في حقه مثل هذا^(١) ، وقد كان شيخ الأدب في زمانه ، ووقفت أنا له على كتاب كتبه إلى قاضي القضاة شهاب الدين الخوئي شافعاً ومُتَشَوِّقاً :

« يخدم المجلس لا زال حافظاً لأحكام الجود ، محفوظاً بضمان الله في ضمن السعود ، محروس العزم من دواعي الهوى والعزم من دعاوي^(٢) الحسود ، مقابل وجه الرأي بمرآة^(٣) الحق ، موالي جناب الباطل جانب الصدود ، ولا برج على العُفَاة سحائب كَرَمِه ، ويروي الرواة من بحار علوم تَمَدُّ^(٤) مِنْ قَلَمِه ، ويجلو أبقار الأفكار مقلدة بما نظم^(٥) السحر من حلي كَلِمِه ، ويبرز خفيات المعاني منقادةً بأيدي ذهنه وأيدي حكمه ، ويسمو إلى غايات المعالي حتى يقال : أين سَمَوَ النجم من هِمَمِه ، ويسبغ من جمال فضله وجيله ما يبصره الجاهل على عماء ، ويسمعه الحاسد على صَمَمِه ، وينهي من ولائه ما يشهد به ضميره الكريم ، ومن ثنائيه ما هو أطيب مِنْ ودائع الروض في طيِّ النسيم . ومن دُعائه ما يقوم منه بوظيفة لا تهمل ، ويُشَيِّعُه برجاءٍ يَطْمَعُ معه بكرم الله أن يُقبل ويقبل ، ويجري منه على عادة إذا انقضى منها ماضٍ تبعه الفعل في الحال والعزم في المستقبل ، غير خاف أنه ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾^(٦) ، ولكل مقصود أسباب ، ولم يزل يهم بالكتابة والأيام تدافع ، ويعزم على المخاطبة فتدفع في صدر^(٧) عزمه الموانع ، حتى

(١) في الوافي : « بمن يقول شهاب الدين محمود في حقه هذا » .

(٢) في الأصل : دواعي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) في الأصل : « بمرأى » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) في الوافي : « بَمَدُّ » .

(٥) (س) : « بما نظم » .

(٦) الرعد : ٣٨/١٣ .

(٧) في الوافي : « صدور » .

طلع بهذا الوقت فجر حظّه ^(١) ، واستناب منافثة قلمه عن مشافهة لفظه ، وقال لخدمته هذه : ردي مورداً غير آسن ، وتهني بحاسن ^(٢) لا تشبهها المحاسن ، وتوطني المحلة المسعودة فكما يسعد الناس ، فكذلك تسعد الأماكن ، وشاهدي من ذلك السيد صدرأ بشره بالنجح ضامن ، وشهاباً مازلنا نعد السيادة سبباً حتى عززت لنا منه بثامن ، وكان السبب في ذلك أن القاضي نجم الدين بمحلة منف ^(٣) لما قدم القاهرة أقام بحيث تقيم ، وحاضرنا محاضرة الرجل الكريم ، ونافث منافثة ﴿ لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾ ^(٤) ، ولازم الدروس ملازمة لولا أنها محبوبة لقلنا ملازمة ^(٥) غريم ، وتلك حقوق له مرعيه ، ومعرفة أنسابها ^(٦) مراضة العلوم الشرعيه ، وقصد هذه الخدمة إلى المجلس ، فكان ذلك من واجب حقّه ، وذكر ثناءً فقلنا : رأيت الحق لمستحقّه وسيّدنا ^(٧) حرسه الله تعالى أهل لتقليد المنن ^(٨) ، ومحلّ لأن يظنّ به كل حسن ، والعلم بمروءته لا يقبل تشكيك المشكك ، وأبوة ^(٩) يقتضي أن يرتقي من بعروة ودّه يستمسك . والله تعالى يرفع شأنه ، ويُعلي برهانه ، ويكتب له يوم إحسانه إحسانه ، ويطوي على المعارف اليقينية جنبه ، ويطلق بكل صالحة يده ولسانه بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

قلت : ما أعرف من كتب الإنشاء بعد القاضي الفاضل رحمه الله تعالى مثل القاضي

(١) في الأصل : « خطّه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) في الوافي : « وتهن محاسن » .

(٣) اسم مدينة فرعون بمصر . (معجم البلدان) .

(٤) الطور : ٢٢/٥٣ .

(٥) (س) : « هي ملازمة » .

(٦) في الأصل : « أنشأ بها » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٧) في الأصل : « وسيد » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٨) في الأصل « المن » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٩) في (س) والوافي : « وأبوية » .

محيي الدين ابن عبد الظاهر ، وماله مثل هذه المكاتبة إذا^(١) لم تعتبر التورية علم ذلك من علمه وجهله^(٢) مَن جَهِله .

وأنشدني شيخنا الحافظ فتح الدين بن سيد الناس قال : أنشدني من لفظه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد لنفسه :

أحباب قلبي والذين بذكرهم وترداده طول الزمان تعلقي^(٣)
لئن غاب عن عيني بديع جمالك وجار على الأبدان حكم التفرق
فاضرنّا بُعد المسافة بيننا سرائرنا تسري إليكم فنلتقي
وبالسند المذكور له أيضاً :

قالوا فلان عالم فاضل فأكرموا مثل ما يرتضي
فقلت لـمـا لم يكن ذا تقي تعارض المانع والمقتضي
ومن شعر الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى :

كم ليلة فيك وصلنا السرى لا نعرف الغمض ولا نستريح^(٤)
قد كَلَّت العيس فجَدَّ الهوى واتسع الكَرْبُ فضاقت الفسيح^(٥)
وكادت الأنفسُ تَمُاها تزهب والأرواح منها تطيح^(٦)
واختلف الأصحاب ماذا الذي يزيل من شكواهم أو يريح^(٧)

(١) (س) : « إذ » .

(٢) في (س) والوافي : « أوجهله » .

(٣) في الطالع : « أحبة ... في كل وقت تعلقي » .

(٤) في (س) : « لا نغرم الغمض » . وفي الطالع : « وصلت السرى لا نرقد الليل .. » .

(٥) في الأصل و (س) : « فسد » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات . وفي الطالع : « يجد الهوى .. فضاقت » .

(٦) في الفوات : « منا تطيح » .

(٧) في الطالع : « يرد من أنفسهم .. » .

فَقِيلَ تَعْرِيسُهُمْ سَاعَةً وَقِيلَ بَلْ ذَكَرَكَ وَهُوَ الصَّحِيحُ ^(١)
 قُلْتُ : لَا أَعْرِفُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَلَا مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ حَسَنَ هَذَا الْخُلُصِ ^(٢) ثُمَّ إِنَّهُ
 نَصَّ عَلَى الصَّحِيحِ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَمِنْ شَعْرِهِ :

يَا مُعْرَضاً عَنِّي وَلَسْتُ بِمُعْرَضٍ بَلْ نَاقِضاً عَهْدِي وَلَسْتُ بِنَاقِضٍ ^(٣)
 أَتَعْبَتَنِي فَخَلَّائِقُ لَكَ لَمْ يَفِدْ فِيهَا وَقَدْ جَمَعَتْ رِيَاضَةُ رَائِضٍ ^(٤)
 أَرْضَيْتَ أَنْ تَخْتَارَ رَفْضِي مَذْهَباً وَيُسْنَعُ الْأَعْدَاءُ أَنَّكَ رَافِضِي ^(٥)
 وَمِنْهُ :

قَدْ جَرَحْتَنَا يَدُ أَيَّامِنَا وَلَيْسَ غَيْرَ اللَّهِ مِنْ آسٍ
 فَلَا تَرْجُ الْخَلْقَ فِي حَاجَةٍ لَيْسُوا بِأَهْلٍ لِسُوءِ الْيَاسِ
 وَلَا تَزِدْ شَكْوَى إِلَيْهِمْ فَلَا مَعْنَى لَشَكْوَاكَ إِلَى قَاسِي ^(٦)
 وَإِنْ تَخَالِطَ مِنْهُمْ مَعِشَرًا هَوَيْتَ فِي الدِّينِ عَلَى الرَّاسِ ^(٧)
 يَأْكُلُ بَعْضٌ لَحْمَ بَعْضٍ وَلَا يَحْسَبُ فِي الْغَيْبَةِ مِنْ بَاسٍ ^(٨)
 لَا وَرَعَ فِي السُّدَيْنِ يَحْمِيهِمْ عَنْهَا وَلَا حَشْمَةَ جُلَاسٍ

(١) (س) : « ذَكَرَكَ » . وَفِي الطَّالِعِ : « وَقِيلَ بَلْ قَرَبَكَ » .

(٢) (س) : « التَّخْلُصُ » . وَفِيهَا زِيَادَةٌ : « مَا كَانَ فِي هَذَا الشَّعْرِ إِلَّا إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ ، قَدْ أَلْقَى مَسْأَلَةَ خِلَافٍ ، وَهُوَ يَذْكُرُ فِيهَا أَقْوَالَ الْأَصْحَابِ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَلَيْتَ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) وَالْوَافِي وَالْفَوَاتِ وَالطَّالِعِ .

(٤) فِي الْفَوَاتِ وَالطَّالِعِ : « بِخَلَّائِقُ » .

(٥) فِي الْوَافِي وَالْفَوَاتِ وَالطَّالِعِ : « فَتُسْنَعُ » . وَفِي الْأَصْلِ : « أَنِّي رَافِضِي » وَأَثْبَتْنَا مَا فِي الْمَصَادِرِ السَّابِقَةِ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « تَرَدُّ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) وَالْوَافِي وَالْفَوَاتِ .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « إِلَى » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) وَالْوَافِي وَالْفَوَاتِ . وَفِي الطَّالِعِ : « فَإِنْ » .

(٨) فِي الْفَوَاتِ : « وَلَا يَخَافُ فِي الْغَيْبَةِ » .

من ذلّة الكلب سوى الخاسي^(١)
لا خير في الخلطة بالناس

لا يعدم الآتي إلى بابهم
فاهرب من الناس إلى ربهم
ومن شعره رحمه الله تعالى :

إذ عَضُّنا الدهرُ الشديداً بنابه
سُؤالا لخلق فليس بنابه
يرجّونه باق فلوذي بيابه^(٢)

وقائلة مات الكرام فن لنا
فقلت لها : مَنْ كان غاية قصده
لئن مات من يَرْجى فعطيهم الذي
ومنه :

بسلطان حكم لا ينازع في الحكم
رقيق حواشي الطرف والحسن والفهم^(٣)
تحيل في رشي الرضاب بلائهم^(٤)

ومستعبد قلب الحب وطرفه
متين التقى عف الضمير عن الخنا
يناولني مساوكه فأظنه
ومنه :

تذكّرت أهلي باللوى فحجّر
إلى ساكني نجد وعيّل تصبّري
فمن لي بنجد بين أهلي ومعشري^(٥)

إذا كنت في نجد وطيب نسيها
وإن كنت فيهم ذبت شوقاً ولوعة
وقد طال ما بين الفريقين قصتي
ومنه ، وقيل إنه في ابن الجوزي :

أبديت ما يسحر أو يسي

دققت في الفطنة حتى لقد

(١) الخاسي : الذليل المهان .

(٢) الطالع السعيد : ٥٩٠ .

(٣) (س) : « مبين » . وفي الوافي : « الطرف » .

(٤) الطالع السعيد : ٥٩٠ .

(٥) الطالع السعيد : ٥٩٠ .

وصرت في أعلى مقاماتها
وسارمًا صيرت من جوهر الـ
ثم تنـازلت إلى حيث لا
تثبت ما تجحده فطرة الـ
أنت دليل [لي] على أنه
ومنه ما نظمه في بعض الوزراء :

مقبل مدبر بعيد قريب
عجب من عجائب البر والبحر
ومن شعره :

يا هـل أقضى حاجتي من منى
وأرتوي من زمزم فهي لي
يهم قلبي طربـلاً كلـما
ويستخف الوجد عقلي وقد
ومنه :

تمنيت أن الشيب عاجل لمـتي
وقرب مني في صباي مزاره

(١) في (س) ، والوافي : « سيرت » .

(٢) (س) والوافي : « ولألب » .

(٣) الزيادة من (س) والوافي ، والطالع السعيد .

(٤) في الطالع السعيد : « وشكل عجيب » .

(٥) (س) : « يأهل » . والإبل للمهرية : منسوبة إلى مهرة بن حيدان .

(٦) لها : بقر الوحش .

(٧) (س) والوافي : « تهم نفسي » . وهذا البيت والذي يليه جاء أولاً في الطالع السعيد .

(٨) في الطالع : « قلبي وقد أصبح لي حسن الحجا » .

لَاخِذْ مِنْ عَصْرِ الشَّبَابِ نَشَاطَهُ وَأَخِذْ مِنْ عَصْرِ الْمَشِيبِ وَقَارَهُ

ومنه :

يَا شَبَابِي أَفْسَدْتَ صَالِحَ دِينِي يَا مَشِيبِي نَقَصْتَ طَيِّبَ عَيْشِي
فَعَدَّوْا أَنْتَا لِأَصَدِيقِي ن تَلَعَّبْتُمْ بِالْجَلَمِيِّ وَطَيْشِي

ومنه :

لَمْ يَبْقَ لِي أَمَلٌ سِوَاكَ فَإِنْ يَفَتْ وَدَعَتْ أَيَّامُ الْحَيَاةِ وَدَاعِيَا^(٢)
لَا أَسْتَلِذُّ لَغَيْرٍ وَجْهَكَ مَنْظَرًا وَسَوَى حَدِيثِكَ لَا أُرِيدُ سَمَاعَا

وأنشدني الشيخ شمس الدين بن نباته قال : أنشدني له :

لِعَمْرِي لَقَدْ قَاسَيْتُ بِالْفَقْرِ شِدَّةَ وَقَعْتُ بِهَا فِي حَيْرَةٍ وَشَتَاتِ
فَإِنْ بُحْتُ بِالشُّكْوَى هَتَكْتُ مَرْوَعِي وَإِنْ لَمْ أَبْحِ بِالصَّبْرِ خَفْتُ مَمَاتِي
فَأَعْظَمَ بِهِ مِنْ نَازِلٍ بِمِلْمَةٍ يُزِيلُ حَيَائِي أَوْ يُزِيلُ حَيَاتِي

وأنشدني من لفظه شيخنا فتح الدين قال : أنشدني من لفظه له :^(٣)

الْحَمْدُ لِلَّهِ كَمْ أَسْعَى بِعِزْمِي فِي نِيلِ الْعِلَاءِ وَقِضَاءِ اللَّهِ يَنْكِسُهُ^(٤)
كَأَنِّي الْبَدْرُ أَبْغَى الشَّرْقِ وَالْفَلَكَ الـ أَعْلَى يَعَارِضُ مَسْعَاهُ فَيَعْكِسُهُ

قلت : هذا مثل قول الأَرَجَانِي :

سَعِي إِلَيْكُمْ فِي الْحَقِيقَةِ وَالَّذِي تَجِدُونُ عَنْكُمْ فَهُوَ سَعْيُ الدَّهْرِ بِي
أَنْحُوَكُمْ وَبِرْدٍ وَجْهِي الْقَهْقَرَى دَهْرِي فَيَسِيرِي مِثْلَ سِيرِ الْكَوْكَبِ^(٥)

(١) الطالع السعيد : ٥٩٣ .

(٢) في الأصل : « فلم يفت » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

(٣) (س) : « لنفسه » .

(٤) في الأصل : « يعكسه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

(٥) في الأصل : « أنحوا بكم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

فالقصد نحو المشرق الأقصى له والسير رأي العين نحو المغرب

قلت : إلا أن هذا المعنى الذي أتى به الشيخ تقي الدين في بيتين فهو ^(١) أخصر .
وقد تكلمت في (شرح لامية العجم) ^(٢) على معنى الأرجاني وأوضحته .

وأخبرني شيخنا الحافظ فتح الدين ، وكان خصيصاً بالشيخ تقي الدين قال : كان
الشيخ مغرئاً بالكياء ، معتقداً صحتها ، قال : لأنه اتفق لي ^(٣) في مدينة قوص من
صنعها بحضوره وحكي لي الواقعة بطولها في ذلك .

وممن روى عنه الشيخ فتح الدين بن سيد الناس ، وقطب الدين بن منير ،
وقاضي القضاة علاء الدين القونوي ، وقاضي القضاة علم الدين الأحنائي ، وآخرون ،
وحدث شيخنا الذهبي إملأ .

وقال كمال الدين الأدفوي : حكي ^(٤) القاضي شهاب الدين بن الكويك التاجر
الكارمي رحمه الله تعالى ، قال : اجتمعت به مرة واحدة ، فرأيت في ضرورة ، فقلت :
ياسيدنا ما تكتب ورقة لصاحب الين ؟ اكتبها وأنا أقضي فيها الشغل ، فكتب ورقة
لطيفة فيها :

تجادل أرباب الفضائل إذ رأوا بضاعتهم موكوسة الحظ في الثمن
وقالوا عرضناها فلم نلف طالباً ولا من له في مثلها نظر حسن ^(٥)
ولم يبق إلا رفضها واطراحها فقلت لهم لاتعجلوا السوق بالين

وأرسلها إليه فأرسل له مئتي دينار ، واستمر يرسلها صاحب الين ^(٦) إلى أن مات .

(١) (س) : « وهو » .

(٢) الغيث المسجم : ١٤٥/١ .

(٣) (س) : « له » .

(٤) (س) : « حكي لي » .

(٥) (س) : « ولا من له فيها » . وفي الطالع : « فقالوا » .

(٦) في الطالع : « واستمر يرسلها كل سنة إلى أن مات . يعني صاحب الين » .

وقال كمال الدين أيضاً : قال لي عبد اللطيف بن القفصي : هجوتهُ مرّةً فبلغه ،
فلقيته في الكاملية فقال : بلغني أنك هجوتني ، أنشدني ، فأنشدته بُليقةً أولها :

قاضي القضاة أعزلَ نفسُو لما ظهر للناس نحسو^(١)
إلى آخرها فقال : هجوت جيداً .

وقال قالي صاحبنا الفقيه الفاضل الثقة مجير الدين عمر بن اللمطي^(٢) ، قال :
كنت مرّةً بمصر ، وطلعت إلى القاهرة ، فقالوا لي : الشيخ طلبك مرّات ، فجئت إليه ،
فقال أين كنت ؟ قلت : بمصر في حاجة ، قال : طلبتك في حاجة^(٣) ، سمعتُ إنسانا
ينشد خارج الكاملية :

بكيت قالوا عاشق سكت قالوا قد سلا
صلّيت قالوا زوكر ما أكثر فضول الناس

وقال : حكى لي صاحبنا فتح الدين محمد بن كمال الدين أحمد^(٤) بن عيسى القليوبي
قال : دخلتُ مرّةً عليه وفي يده ورقة ينظر فيها زماناً ، ثم ناولني الورقة^(٥) وقال :
اكتب من هذه نسخة ، فأخذتها فوجدت فيها « بُليقة » أولها :

كيف أقدر أتوب ورأس إيرى مثقوب

وقال : قال لي شيخنا تاج الدين محمد بن أحمد الدشناوي : سمعته يُنشد هذه
« البليقة » أولها :

(١) في الوافي : « نفسه .. نحسه » . وفي الطالع : « عزل » .

(٢) هو عمر بن عيسى بن نصر اللمطي (ت ٧٢١ هـ) . الطالع السعيد : ٤٤٨ .

(٣) قوله « في حاجة » ، ليس في (س) والوافي ، والطالع .

(٤) (س) : « ابن أحمد » ، سهو ، وسلفت ترجمته في موضعها .

(٥) (س) : « تلك الورقة » .

جَلَدَ عَمِيرَةَ^(١) بِالزَّجَاجِ وَلَا الـ————زَّوْجِ

ويقول : بِالزَّجَاجِ يَافِقِيهِ ... !

وقال : حكى لي القاضي سراج الدين يونس بن عبد الحميد الأرمني قاضي قوص قال : جئت إليه مرة ، وأردت الدخول ، فنعني الحاجب وجاء الجلال العلوجي فأدخله وغيره ، فتألمت ، وأخذت ورقة وكتبت فيها :

قُلْ لِلتَّقِي الَّذِي رَعِيَّتُهُ رَاضُونَ عَنْ عِلْمِهِ وَعَنْ عَمَلِهِ

انظر إلى بابـ————ك يلوح من خلله^(٢)

باطنه رحمة وظاهرة يأتي إليك العذاب من قبله^(٣)

ثم دَخَلْتُ وجعلتُ الورقة في الدواة ، وظننت أنه ما رأي^(٤) ، فقال : أجلس ، ما في هذه الورقة ؟ قلت : يقرأها سيدنا ، فقال : أقرأها أنت ، فكررت عليه ، وهو يرد عليّ فقرأتها ، فقال : ما حملك على هذا ؟ فحكيت له ، فقال : وقف عليها أحد ؟ فقلت : لا ، فقال قطعها .

قال^(٥) : وأخبرني برهان الدين إبراهيم المصري^(٦) الحنفي الطبيب ، وكان قد استوطن قوص سنين ، قال : كنت أباشر وقفاً ، فأخذني شمس الدين محمد ابن أخي الشيخ ، وولاه لآخر ، فعز عليّ ، فنظمت أبياتاً في الشيخ ، فبلغته ، فأنا أمشي خلفه

(١) (س) والوافي والطالع : « العميرة » .

(٢) كنّا يياض في الأصل و (س) والوافي ، والطالع .

(٣) يشير إلى قوله تعالى ﴿ فَضْرَبْ بَيْنَهُمْ سَوْرَ لَهٗ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحديد : ١٣/٥٧] .

(٤) عبارة الوافي والطالع : « أنه ما رأي وقت » .

(٥) الأدفوي في الطالع السعيد : ٥٨٥ .

(٦) إبراهيم بن محمد المصري ، سلفت ترجمته في موضعها .

مرة فإذا به قد التفت إلي وقال : يا فقيه ، بلغني أنك قد هجوتني ، فسكت فقال :
أنشدني ، فألح علي فأنشدته :

وَلَيْتُ قَوْلِي الزَّهْدُ عَنْكَ بِأَسْرِهِ وِبانَ لَنَا غَيْرُ الَّذِي كُنْتَ تُظْهِرُ
رَكَنْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَعَاشَرْتَ أَهْلَهَا وَلَوْ كَانَ عَنْ جِدِّ لَقَدْ كُنْتَ تُعَذِّرُ

فسكت زمانا وقال : ما حملك على هذا ؟ فقلت : أنا رجل فقير ، وأنا أبأشر وقفاً
أخذه مني فلان ، فقال : ما علمتُ هذا ، أنت على حالك ، فباشرتُ الوقفَ مُدَّةً ،
وخطر لي الحج ، فجئتُ إليه استأذنه ، فدخلت خلفه ، فالتفت إلي وقال : أمعك
هجو آخر ؟ فقلت : لا ، ولكنني قصدتُ الحج ، وجئتُ أستاذن سيدي ، فقال : مع
السلامة ما نغير عليك .

وقال ناصر الدين شافع : من شعر الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد قوله :

تَجَاوَزْتَ حَدَّ الْأَكْثَرِينَ إِلَى الْعِلَا وَسَافَرْتَ وَاسْتَبَقَيْتَهُمْ فِي الْمَعَاوِزِ^(١)
وَحَضْتَ بِجَارٍ لَيْسَ يُعْرِفُ قَدْرَهَا وَأَلْقَيْتَ نَفْسِي فِي فِسِيحِ الْمَفَاوِزِ
وَلَجَجْتُ فِي الْأَفْكَارِ ثُمَّ تَرَجَّعْتُ إِخْ تَيَّارِي إِلَى اسْتِحْسَانِ دِينِ الْعَجَائِزِ

وكتب إليه ناصر الدين حسن بن النقيب الفُقَيْسِي^(٢) لما قدم الديار المصرية في سنة
أربع وسبعين^(٣) وست مئة :

أَنْتَ كَالشَّافِعِيِّ إِذْ حَلَّ مِصْرًا فَهُوَ فِيهَا عَلِيًّا وَإِنْ فَاتَ عَصْرًا
قَدْ رَأَيْنَاهُ مُذْ قَدِمْتَ عَلَيْنَا وَسَمِعْنَاهُ بَعْدَ مَا حَلَّ قَبْرًا
وَارْتَضَيْنَاكَ مَالِكًا وَإِمَامًا فَاْمُضْ فِينَا الْأَحْكَامَ نَهْيًا وَأَمْرًا

(١) في الوافي : « في المفاوز » .

(٢) هو الحسن بن شاور بن طرخان بن حسن الكتاني (ت ٦٨٧ هـ) الوافي : ٤٤/١٢ .

(٣) (س) : « وتسعين » ، تحريف .

وهي ثلاثون بيتاً ، فأجاب الشيخ عنها بأبيات أولها ^(١) :

قد تاملت ما بعثت به لا زلت تهدي لمن يواليك براً ^(٢)
 فرأيت الجمال كَمَل والإجـ مال فاستجمعاً وسمي شعراً
 وتزهت في رياض بديع من صنيع البيان أطلعن زهرا
 يا أميراً حتى على النظم والنثـ ر لقد زدت في الإمارة قدراً

وهي خمسة عشر بيتاً ، وكتب الجواب ابن النقيب أيضاً وأوله :

أرسلت أياتاً إليّ بنشرها غرف الجنان تزخرفت وقصورها
 وبها غيـون الشعر إلا أنها ولدان هاتيك الجنان وخورها
 ورأيت ألفافاً من الجنات إلا أنهن حروفها وسطورها

وهي أحد عشر بيتاً ، وقد أثبت الجميع في الجزء التاسع والعشرين من (التذكرة)
 التي لي .

وكان الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى صحح حديث القلتين ^(٣) ، واختار ترك
 العمل به للمعارض أرجح بل ^(٤) ، لأنه لم يثبت عنده بطريق يجب الرجوع إليه شرعاً
 تعيين لمقدار القلتين .

وقال رحمه الله تعالى : ذكر بعضهم المسألة السريجية وقال : إذا انعكست انحلت
 [وتقريره أن ^(٥) صورة المسألة : متى وقع عليك طلاق فأنت طالق قبله ثلاثاً ، أو
 متى طلقتك ، فوجّه الدور أنه متى طلقها الآن وقع قبله ثلاثاً ومتى وقع قبله ثلاثاً لم

(١) (س) : « بأبيات منها » .

(٢) (س) : « ولا زلت » .

(٣) وهو : « إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل نجساً » ، وفي رواية : لم يحمل خبثاً . اللسان (قلل) .

(٤) (س) : « به » .

(٥) زيادة من (س) .

يقع ، فيؤدي إثباته إلى نفيه ، فانتفى ، وعكسُ هذا أن يقول : متى طلقته ، أو متى وقع عليك طلاق فلم يقع فأنت طالق قبله ثلاثاً ، فحينئذ متى ^(١) طلقها وجب أن تقع الثلاث القبلية ، لأنه حينئذ يكون الطلاق القبلي ثابتاً على النقيضين ، أعني المنجز وعدم وقوعه ، وما ثبت على النقيضين فهو ثابت في الواقع قطعاً ، لأن أحدهما واقع قطعاً ، فالملق به واقع قطعاً . وهذه مقدمة ضرورية عقلية لا تقبل المنع بوجه من الوجوه ، وأصل المسألة الوكالة . وكان شيخنا العلامة شيخ الإسلام تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى يقول : هذا فيه نظر ، وإنما يلزم وقوع الطلاق المعلق بالنقيضين المذكورين لو قال : إن طلقته فوقع عليك طلاق [أو لم يقع فأنت طالق قبله ثلاثاً ، ثم يقول لها : أنت طالق] ^(٢) ، فحينئذ يحكم بأنها طلقت قبل ذلك التطليق ثلاثاً عملاً بالشرط الثاني ، وهو عدم الوقوع ، لأن الطلاق المعلق مشروط بأحد أمرين : إما الوقوع وإما عدمه في زمن واحد مُستند إلى زمن واحد قبلي ، ولا يمكن الحكم بالوقوع القبلي استناداً إلى الشرط الأول وهو الوقوع للزوم الدور ، وأما الوقوع في ذلك الزمان القبلي مستنداً إلى عدم الوقوع فلا مجال فيه ، لأنه لا يمكن أن يقال : لو وقع فيه لوقع قبله ، لأنه إما أن يحتل القبلية على المتسعة ^(٣) التي أولها عقب التعليق ، أو على القبلية التي تستعقب التطليق ، فإن كان الأول لم يكن وقوع الطلاق قبله ، لأنه يكون سابقاً على التعليق ، وحكم التعليق لا يسبقه ، وهذا فائدة فرضنا التعليق على التطليق ونفيه بكلمة واحدة ، وإن كان الثاني لم يتمكن القول أيضاً بالوقوع قبله استناداً إلى الشرط الأول ، لأنه كما تتقيد القبلية القريبة بالنسبة إلى الشرط الثاني كذلك تتقيد بالنسبة إلى الشرط الأول ، فلا يكون على تقدّم [الوقوع] ^(٤) على ذلك الزمان دليل ، ولأله موجب ، هذا كله إذا كان التعليق بالنقيضين بكلمة واحدة ، كما فرضناه ، وبيان لك

(١) (س) : « متى إن » .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) في (س) : « على القبلية للمتسعة » .

(٤) زيادة من (س) .

بهذا أنّ الحكم بالوقوع ليس لكونه معلّقاً بالنقيضين وأنّ ما تعلّق بالنقيضين واقع ، كما توهّمه القائل لأنّ التعليق بالعدم ، وأنّه لا مانع منه ولا استحالة فيه حتى لو انفرد التعليق بالعدم ، وكان كذلك فلا أثر للتعليق معه على الوجود وإن وقع في فرض المسألة .

١٦٦٤ - محمد بن علي بن أحمد*

ابن فضل ، المسند المبارك شمس الدين أبو عبد الله ، أخو الإمام القدوة تقي الدين الواسطي^(١) .

حضر على الشيخ الموقّ ، وموسى بن عبد القادر ، وابن راجح ، وسمع عن ابن أبي لقمة ، والقزويني ، وابن البنّ ، وابن صّري ، والبهاء ، وابن صّبّاح الكاشغري ، وابن غسان ، والزبيدي ، وعمر بن شافع ، وطائفة .

خرّج له شيخنا الذهبيّ عوالي في جزء ضخم ، وخرّج له ابن النابلسي (مشيخة) في جزأين ، وسمع منه شيخنا المزي ، وشيخنا البرزالي ، وشيخنا ابن سيّد الناس ، والمقاتلي ، وابن المهندس ، ونجم الدين القحفازي ، وشمس الدين بن المهيني ، وغيرهم .

وتوفّي رحمه الله تعالى في منتصف شهر رجب الفرد سنة سبع مئة .

ومولده سنة خمس عشرة وست مئة تقريباً .

١٦٦٥ - محمد بن علي**

الوزير الكبير سعد الدين الساوجي العجمي .

* الوافي : ١٩٣/٤ ، والمعبر : ٤٠٤/٥ ، والشذرات : ٤٥٣/٥ ، وفي هذين الأخيرين أنه توفي سنة

(٦٩٩ هـ) ، وكذلك في النجوم الزاهرة : ١٩٣/٨ ، عن الذهبي .

(١) في الوافي : « ابن الواسطي » ، وكذلك في المعبر .

** الوافي : ٢٠٩/٤ ، والدرر : ١٠١/٤ ، وذيل المعبر : ٦٣ .

كان من جملة وزراء خربندا ، كان جباراً ظالماً ، إلا أنه كان عمر بيغداد جامعاً أنفق عليه ألف درهم ، رافعوه ، فقتله خربندا ، ودُبح ابنه قبله . صُلّي ركعتين قبل قتله وودّع أهله وثبت للقتل ، وخلع فُرجيته على قاتله ، فباس يده واستجعل منه في حلٍّ ، ثم إنه أطار رأسه وقتل معه الوزير مبارك شاه ^(١) ، وصاحب الديوان المانشري ، وتاج الدين الآوي كبير الأشراف ، والمملك ناصر الدين يحيى بن إبراهيم ^(٢) صاحب سنجار ، وذلك في سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

١٦٦٦ - محمد بن علي بن يحيى بن علي*

الشيخ العلامة الغرناطي المالكي المقرئ بالمدينة ، أبو محمد .

كان فقيهاً نحوياً مشاركاً في عدة فنون ، أديباً شاعراً ، سمع بالمغرب (الموطأ) من أبي محمد بن هارون ، وسمع بالحجاز من جماعة ، وشرح (الجمل) في النحو وحدّث .

سمع منه شيخنا البرزالي وجماعة ، وجاور بمكة والمدينة [مدّة ^(٣)] ، وله نظم كثير في المديح النبوي أكثر من ألفي بيت .

وتوفي رحمه الله تعالى بالمدينة في يوم الاثنين سادس صفر سنة خمس عشرة وسبع مئة .

ومولده بأجوار غرناطة سنة إحدى وسبعين وست مئة .

١٦٦٧ - محمد بن علي بن عمر المازني الدهان**

شمس الدين الدمشقي الشاعر المشهور .

(١) الدرر : ٢٧٦/٣ .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعها .

* الوافي : ٢٠٩/٤ ، والدرر : ٩٦/٤ ، وغاية النهاية : ٢١٢/٢ ، والبغية : ١٩٣/١ .

(٣) زيادة من (س) والدرر .

** الوافي : ٢٠٩/٤ ، وفوات الوفيات : ٥/٤ ، والدرر : ٧٨/٤ ، والشذرات : ٥٨/٦ .

كان يعرف (مقامات) الحريري ، وربما يحفظها ، ويدري الموسيقى ، ويرى محاسنها ويلحظها ، فينظم الشعر الرقيق ويلحنه ، ويروجه بذلك على الأساع ويملاه بهجة ويشجنه . وكان يلعب بالقانون ، ويرى أنه يصلح ^(١) لمنادمة المأمون .

وكان له مكان قد عمره في الربوة ، واعتنى به ، وجعله بالزخرفة حظوه ، يجمع به أحابيه وأترابه وأصحابه ، ويأخذ أرباب الملاهي ^(٢) عنه الألحان ، ويرون أنهم أشوق إليها من بنت الحان .

ولم يزل على حاله إلى أن دهي الدهان ، وأمسى تحت الأرض إلى أن تصير السماء وردة كالدهان ^(٣) .

وتوفي رحمه الله تعالى في خامس شهر رجب يوم السبت سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

أنشدني من لفظه لنفسه القاضي شهاب الدين بن ^(٤) فضل الله قال : كتبت إليه مضمناً :

رأيتك [أيها] الدهان تبغى مزيدا في التودد بالمساعي
« فلو صوّرت نفسك لم تُزدها على مافيك من كرم الطّباع » ^(٥)

وذكرت أنا هنا ما نظمته في مليح دهان :

ودهان أقول له ونفسي من الوجد المتبرّح لم أجدها ^(٦)

(١) (س) : « كان يصلح » .

(٢) (س) : « الملاهي والطرب » .

(٣) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان ﴾ [الرحمن : ٢٧/٥٥] .

(٤) (س) : « أحمد بن .. » .

(٥) البيت لأبي تمام . انظر ديوانه .

(٦) (س) : « من الوجه » .

ملكت جميع حسن في البرايا فلو صوّرت نفسك لم تزدها
 وكان قد اشترى مملوكاً وأحبّه وربّاه وهذّبه وخرّجه ، فمات ، فحزن عليه حزناً
 عظيماً ، وأسف عليه أسفاً كبيراً ، ورثاه بأشعار كثيرة ، ولحنها وغنّى بها على قانونه ،
 ونقلها المغنون عنه وتداولها الناس مدّةً مديدة .

وأشدني من لفظه لنفسه جمال الدين يوسف الشاعر الصوفي في ذلك :

لئن مات يادهان مملوكك الذي بلغت به في الفسق ما كنت ترتجي
 فثّله بالأصباغ وجهاً وقامةً وخصراً وردفاً ثم عاينه واصلج^(١)

ومن شعر شمس الدين الدهان ممّا رثى به مملوكه :

مُصيبةٌ فقد أيقظت كلّ هاجع ووثبة حَتَفَ فاجأت بالفواجع
 ولوعة حزن فاجأت لاعج الأسى فصدمتها الشنعاء بين الأضالع
 ووقعة رُزء لم تدع حين هدّمت قوى الصبر قلباً وقعها غير واقع
 إذا مادّعا داعي التذكر باسمها أجابت حيناً هاطلات للمداع^(٢)
 لقد ضل من يبغي اجتماعاً وألفةً من الدهر والأيام ذات القوارع
 ومّا الدهر إلّا ظالم غير منصف وموجد تفريق لنا غير جامع
 ومّا هذه الأجساد إلّا منازل وأرواحنا فيهنّ غير ودائع^(٣)

ومنها :

ألا في سبيل الله شخص رزئتُه على غيرة والدهر جمّ الفجائع
 فُجعتُ به كالبدر في السنّ والسنا وكالشمس في إشراقها والمنافع
 سريع إلى داعي الجميل مبرّاً من العيب عفّ طرفه في المجامع

(١) الأصل : الشديد الأملس .

(٢) (س) : « حبيباً » .

(٣) (س) : « غير منازل » .

جميل الحيّا فيه تلمح صادقا رزانة كهل وهو في سنّ يافع^(١)
وهي طويلة تزيد على الحسين بيتاً .
وقال فيه أيضاً :

سَلُّوا طول هذا الليل يخبركم عني بأني لم يغمض لفقْدكم جفني
رَحَلْتُم بصري واستمر مريركم وأسلمت قلبي إلى لوعة الحزن^(٢)
وعوضتوني عن سروري بالأسى وبالبعد عن قربي وبالخوف عن أمني^(٣)
وقد كان ظني أن يدوم وصالكم فأخلفت الأيَّام في وصلكم ظني
ومن شعره فيه ما أنشدنيه^(٤) عنه الصارم إبراهيم بن عبد الرحمن العوَّاد :

مَا سَيَّجَ الورد في خديك ریحان إلاً وَوَجَّهَكَ في التحقيق بُستان
وَلَا تَعَطَّفَ مِنْكَ العِطْفُ من صَلَفٍ إلاً وَرَيْقَكَ خمرٌ وهو نشوان
لله فتنة ذاك الطرفِ منك لقد سَبَى المحبِّين لحظ منه فَتَانُ
لو لم يكن سلبُ العشاق نومهم مَارَاحٍ مِنْ غير سُهد وهو وَسنان

قلت : البيت الرابع أخذه من قول مهذب الدين بن القيسراني :

هذا الذي سلب العشاق نومهم أَمَا تَرَى عَيْنَهُ مَلَأَى من الوسن

وما أحسن ما أتى بهذا تضميناً شيخنا العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود رحمه الله تعالى ، أنشدنيه لنفسه إجازة :

(١) (س) : « وزانه » .

(٢) استمرت مريرته عليه : استحكم عليه .

(٣) (س) : « من أمني » .

(٤) (س) : « ومن شعر الدهان ما أنشدنيه » .

من الكرى وأطالوا في لومهم
هذا الذي سلب العشاق نومهم

قالوا وقد عاينوا عيني ساهرة
فقلت: عهدي به من يوم فارقي
وبه قال : أنشدني له :

وغرام هزله في القول جد
وله بين شغاف القلب وقد
منه وجه يشبه البدر وخد^(١)
فوقه من ريقه خمر وشهد

عند قلبي منك وجد لا يحد
واشتياق ناره لا تنطفئ
أيها البدر الذي تيمني
وسباني جواهر من ثغره
وبه^(٢) قال : أنشدني له :

والحب أقصاه ما أفضى إلى الفتن^(٣)
سر الهوى بلسان المدمع الهتين
بين الجوانح تذكها يد المحن
في ساحة الحي إلا كل ذي شجن^(٤)

دلائل الوجد لا تخفى على الفطن
كم ذا التستر والأشواق تعرب عن
دع التكم فالكتمان نار جوى
وبح فليس بعار أن تبوح فما
قلت : الرابع أخذه من قول الأول .

واشرح هواك فكلنا عشاق

لا تخف ما صنعت بك الأشواق
وبه قال : أنشدني له :

وطيب شذى من عرفه المتأرج
وكل قويم القيد غير معوج

ألا حبذا الوادي وروض البنفسج
وأغصان بان في نواحيه ميد

(١) (س) : والوافي : « يخجل البدر » .

(٢) في الأصل : « ومنه » ، وأثبتنا ما في (س) قياساً على ما سبق .

(٣) (س) : « أقصى » .

(٤) في الوافي : « ونح .. أن تنوح » .

وأَنهار ماءٍ في صفاءٍ ورقَّةٍ تسيل بها ما بين روضٍ مدبَّج
فإن جَعَدته خَطَرَةً مِن نَسيهِ فيأحسن مرأى مائه المتَّوجَّج^(١)
ومن شعره ملغزاً في الجوز :

ومجلود لـيه جرمٌ بـلا جرمٍ ولا ذنب
يعـاقبُ وهـو من كرم السجـيـة طيـب القلب
وكتب إليه الجير أحمد الخياط ، نقلته من خطه^(٢) :

بات بعيد الدار عن سَكْنَةٍ صبَّ قريب المزار من شجنه^(٣)
متيمٌ يذرف الدموع دما في الرُّبع بعد الدما على دمنه
لم يبق فيه بلى الرسوم سوى وسم خيال يلوح من بدنه
رام اكتسب الغرام مستتراً بالصبر والصبر ليس من جنه
وكيف يُخفي الهوى وعبرته تنقل من سرّه إلى علنه
رقّ له الشامتون حين رأوا فرط اكتئاب علاه من حزنه
مدلّة لا يعي الملام ولا يدخل عذل العذول في أذنه^(٤)
أقسمت بالبيت ذي السُّور وبال حجيح والراقصات من بدنه^(٥)
ويوم جمع والمشعرين ومن وفّى قروض الميقات مع سننه
إن أبا عبد الله نادرة أحسن ما في الزمان من حسنه
ليس يوازي بمن يشاكله في سائر الناس من بني زمنه
لا في نهاء ولا فضائله ولا ذكاء كـلا ولا فطنه

(١) في الوافي : « متنه المتَّوجج » .

(٢) (س) : « ومن خطّه نقلت » .

(٣) (س) : « الديار » .

(٤) (س) : « لا يعي الغرام » .

(٥) الراقصات : الإبل في سير الحبيب .

غُذِّي لَبَانِ الْآدَابِ فِي حَكْمِ الْ
وَفَاقِ فِي الْمَوْسِقَا وَمَعْبَدِ فِي
وَفِي الْقَرِيضِ الْجَزَلَ الرِّيقِ شَأْيُ
هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي يَدَاهِنِي
وَأَعْدَنِي ذُورَةَ وَقَدْ عَلَقْتُ
فَإِنْ يَبَادِرُ إِنْجَازَهَا عِدَّةً
وَلِلْحَبِّ الدَّاعِي إِلَيْهِ هَوًى
سَنَ لَهْ شَوْقُهُ تَبَاعُدَهُ
وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى وَدَادِكَ مَاعَا
قُلْتُ : قَدْ حَذَفْتُ مِنْهَا كَثِيراً لَمَا فِيهِ مِنَ اللَّحْنِ وَالزَّحَافِ^(٣) وَفَسَادِ التَّرَكِيبِ .

وكتب شمس الدين الدهان إليه الجواب عن ذلك :

شَفَّ الْمَعْنَى وَزَادَ فِي شَجْنِهِ^(٤)
دَعَا هَدِيلاً شَطَطَ بِهِ غُرْبَةً أَلْ
فَاهْتَجَنَ مِنْ دَائِهِ الدَّوِيُّ عَقَا
أَذْكَرَهُ طَيْبَ عَيْشَةٍ سَلَفَتْ
فَبَاتَ يُجْرِي دَمْعاً يَشَارِكُهُ أَلْ
وَاصْطَلَمَ الْبَيْنَ صَبْرَهُ وَنَفَى
هَاتَفَ أَيْكَ أَوْقَى عَلَى فَنَنِهِ^(٤)
بَيْنَ فَاْمَسَى يَبْكِيهِ مِنْ شَجْنِهِ^(٥)
يَيْسَلُ غَرَامَ لَهُ إِلَى سَكْنِهِ
وَانْصَرَمَتْ بِالْقِيَانِ مَعَ فَنَنِهِ
غَيْثٌ إِذْ الْغَيْثُ أَرْفَضَ عَنْ مُزْنِهِ^(٦)
عَنْ جَفْنِهِ الْمُسْتَلْذِ مِنْ وَسَنِهِ

(١) (س) : « من حلم » .

(٢) الفريض : المغني المجيد .

(٣) في الأصل : « والزخارف » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) في الأصل : « سجنه » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) (س) : « من حزنه » .

(٦) (س) : « إذا » .

حافظ عهد المغيب مؤتمنه
سوى خيال يلوح من بدنه
م ودّعه إن كنت لم تعنه
مكّن كفّ الغرام من رسنه
قد خضعت فانضوت إلي محنه
غرّ القوافي فاتّضعن في قرنه
مسا وفاقت إياس في لسنه
عرض صافي الأديم من درنه^(١)
ذات بيان دلّت على فطنه
يخال سحراً قد صُبّ في أذنه^(٢)
ت بغمدانه ولاعدنه^(٣)
حسان وابن الحباب من حسنه^(٤)
ضغنة أمسى يطوي على ضغنه
كلام منشوره ومتّزنه
رجّعت الساجعات في غصنه

فياله من فتى أخى حرق
ماترك الحبّ حين جدّ به
فقال لإلاحيه في الغرام دع اللو
لاتبع بالعدل أن تقاد فقد
وللهوى المستلذّ مهجّته
كما لعبد المجير قد خضعت
أيّ بليغ أعبت بلاغته
صريح ودّ من أن يشاب تقيّ الـ
كاتبتني محسناً بمحكمة
رقت ورّقت فراح سامعها
لم يجز سبقاً لمثلها ابن أبي الصّد
أربى على جرول بها وشأى
يفديك عبد المجير مضطغن الـ
فاسلم على رغمه تصرف في الـ
ماانعطف البان بالنسيم وما

قلت : قوله : « فقل للإلاحيه في الغرام » البيت قافيته ملحونه ، لأنّه قال : « إن كنت لم تعنه » لأنّ النون ساكنة ووقع له قبلها أخرى في بيت حذفته ، وهو معذور لأنّ المجير وقع له مثل ذلك ، وحذفته ، فقلّده الدهان ، وكلاهما اغتر بقول النحاة : الساكن إذا تحرك كسّر ، ذاك إذا كان الساكن متطرفاً ، أمّا وبعده ضمير أو غيره فلا .

(١) في الأصل : « تقي » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) (س) : « يخال » .

(٣) أمية بن أبي الصلت .

(٤) (س) : « مع حسنه » . وجرول : هو الخطيئة ، وحسان بن ثابت ، واللبة بن الحباب ، والحسن بن هانئ أبو نواس .

ولشمس الدين الدهان رحمه الله تعالى :

يا بآبي غصن بانه حَمَلًا بدر دجى بالجمال قد كَمَلَا أَهَيْفُ
 فريد حسن ماماس أو سَفَرَا
 إِلَّا أَغَارَ الْقَضِيبُ وَالْقَمَرَا
 ييدي لنا بابتسامه دُرْرا
 في شهد لذ طعمه وَحَلَا كَأَنَّ أَنْفَاسَهُ نَسِيمٌ طِيلَا قَرَقَفُ
 مُورَدُ الْخَدِّ فَاتَرُ الْمُقَلَّ
 يفوق ظبي الكناس بالحمل
 وينثني كالقضيبي في الميَلَّ
 مِنْ حَمَلٍ رَدَفَ مِثْلَ الْكُثِيبِ عَلَا نِيَطُ^(١) بَخْصَرٍ كَأَضْلَعِي نُحَلَا مُخْطَفُ
 ظَبْيٍ مِنَ التَّرَكِّ يَقْنَصُ الْأَسَدَا
 مقروطق قد أذابني كَمَدَا
 حاز بديع الجمال فانقردا
 وَاهَا لَهُ لَوْ أَجَارَ أَوْ عَدَلَا لِمَسْتَهَامٍ بِهَجْرِهِ نُحَلَا^(٢) مُدْنَفُ
 غَزَالُ سِرْبٍ جَمَالُهُ شَرَكُ
 سُرَّاصْطَبَارِي عَلَيْهِ مُنْتَهَكُ
 لِكُلِّ قَلْبٍ هَوَاهُ مُنْتَهَكُ
 عَلَّمَ قَلْبِي الْوَلُوعَ وَالْغَزَالَ طَرَفُ^(٣) لَهُ بِالْفَتُورِ قَدْ كَحَلَا أَوْطَفُ
 اللَّهُ يَوْمَ بِهِ الزَّمَانُ وَفِي
 إِذْ مِنْ بِالْوَصْلِ بَعْدَ طُولِ جَفَا
 حَتَّى إِذَا مَا اطْمَأَنَّ وَانْعَطَفَا

(١) في الأصل : « ينط » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

(٢) في الأصل : « نجلا » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

(٣) في الأصل : « ظبي » وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

أسفر عنه اللثام ثم جلا وزداً بغير اللحاظ منه فلا يُقَطِّفُ
 فَظَلْتُ من فرط شدة الترح^(١)
 إذ زارني والرقيب لم يَلْحَاحِ
 أَلَمْ أَقْدَامُهُ من الفرح
 وَقُلْتُ إذ عَنُ صدوده عدلاً أهلاً من بعد جفوة وقل^(٢) أسعَفُ
 قلت : والأصل في هذا التوشيح أن بعضهم أخذ^(٣) قول أبي نواس الحسن بن
 هانئ^(٤) :

أما ترى الشمس حلت الحملاً وطاب وقت الزمان واعتدلاً
 فجاء إلى آخره وزاده توشيحة فقال : « فاشرب » ، ولما فتح هذا الباب لأهل
 النظم طاروا إليه زرافاتٍ ووجدانا ودخلوا أرسالاً لحفته^(٥) وعدوبته ، وغالب من نظم
 فيه لزم الباء في التوشيحة ، وبعضهم علمها دالاً ، وبعضهم علمها فاءً مثل الدهان . فأول
 من علمته نظم في هذا ولزم الباء إبراهيم بن سهل المغربي^(٦) فقال :

رَوْضٌ نَضِيرٌ وَشَادَنٌ وَطَلَا فاجتن زهر الربيع والقبلا واشرب
 ياساقياً ماوقيت فتنته
 حك^(٧) كؤوس الرحيق صورته
 فثَلَّتْ ثغره ووجنته

(١) في الفوات : « البرح » .

(٢) (س) : « أضعف » .

(٣) في الأصل : « إن أخذ » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) انظر : ديوان أبي نواس ص ٦٣ .

(٥) (س) : « ودخلوه أرسالاً بحفته » ، والأرسال : القطيع .

(٦) (ت ٦٤٩ هـ) ، الوافي : ٥/٦ ، وأثبت الصفي موشحته الآتية ثمة .

(٧) في (س) والوافي : « جلت » .

هذا حجابٌ كالسِّلَكِ معتدلاً وذا رحيقٌ لهذا الزجاجِ علا كوكبُ
أقمتُ حربَ الهوى على ساق وبعثتُ عقلي بالخمَرِ من ساق
أسهر جفني بنوم أخـُـداق تمثّل السحر وسطها كحلا فاعجبُ
قلبك صخر والجسم من ذهب معتلة وهي تُبْري العِلا مذهبُ
أيا سمي النبي ياذهبي جاورت من مهجتي أباهب مذهبُ
يا باخلاً لأدّم ما فعلا صيرت عندي محبة النجلا مذهبُ
يامنيقي والمنى من الخـُـدع مانتُ سولي ولا الفؤاد معي
هل عنك صبر وفيك من طمع ^(١) أفنيتُ فيك النُموع والحِلا ولا مآربُ
أتيتُ أشكوه لوعتي عجباً فصدّ عني بوجهه غضباً
فعند هذا ناديت يا حرباً تصدّ عني يامنيقي مللاً تغضب
وأشتكي من صدودك العِلا ^(٢) قلت : ولما علقت هذه الموشحة راق لي وزنها فنظمت فيه مع علمي بأنني

ما أوفيه ، وهو :

لا تحسب القلب عن هواك سلا وإنما حاسدي الذي تَقْلا حرف

(١) في الواقي : « أوفيك » .

(٢) في الواقي : « المِلا » .

أسلو ولا صبر لي ولا جلدٌ
 ونار شوقي وسط الحشا تقد
 وكلّ وجد دون الذي أجدٌ
 ما وصل القلبُ في هواك إلى هذا وإن شئت أن يرى بدلاً سَوْفَ
 لي بدر تم للعقل قد قرأ
 وفاق شمس النهار والقمر
 وطرفه للأنام قد سحرًا
 والريق خمر قد حلّ لي وحلّا لأنه بالئني إذا بَخَلّا يَرشِف
 وجفنه صح سكره وصحا
 كم بات حتفٍ لصّبه فتحا
 وعذُر ذاك العذار قد وضحا
 سعى إلى فيه يرشف^(١) القَبَلَا والنمل سار إلى أن^(٢) رأى العَسَلَا يَزحف
 ياشادنًا سلّ سيف مقلته
 وهزّ قدّ القنّا بخطرته
 وأخجل البدر حسن صورته^(٣)
 وجهك يزداد بالجمال غلا والبدر في تمة إذا كُملا يُخسف
 تبدو فترمي الغصون بالخجل
 فلم يمس عطفها من الكسل
 وأنت مغرى الأعطاف بالميل
 وقدك اللذن كلّا اعتدلا أخشى عليه إن مال وانفتلا يَقصف

(١) (س) : « يطلب » .

(٢) في الأصل : « مازال أن » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) (س) : « طلعت » .

شعرك ليل ووجهك القمر
والريق حلو وحشوة دُرر
والقد غصن ووجهك الزهر
خدّ زها الورد فيه واشتعل
وعقرب الصّدغ فيه قد نَزلا
والتفّ

وأنشدني لنفسه إجازة صفّي الدين الحلّي رحمه الله تعالى (١) :

زار وصبغ الظلام قد نصلا بدر جلا الشمس في الظلام ألا
جاء وسجف الظلام قد فتقا
والصبح لم يبق في الدجا رمقا
وقد جلا نور وجهه الفسقا

وأدم الليل منه قد جفلا وقد أقي رائد الظلام على
أفديه بدرأ في قالب البشر
قد جاء في حسنه على قدر
يرتفع في روض خدّه نظري

خدّ بلطف النعيم قد صقلا كأنه من دمي إذا خجلا
يامن غدا ظلّ حسنه حرما
لما حوى ما به الجمال حمى
فرعاً وصدغا منذ حكّا ظلّما

فأرقم الجعد يحرس الكفلا وحارس الخدّ منه قد جعلا
هلاً تعلمت بـذلّ ودك لي
من المليك المؤيد بن علي

(١) ديوان صفّي الدين الحلّي : ٢١٢ ، وفيه اختلاف يسير عما هاهنا .

سَلَطَ — انْ عَصَرَ سَمَا عَلَى الْأَوَّلِ
لَوْلَا أَيَادِيهَا الْوَرَى شَمَلَا لِأَصْبَحَ النَّاسُ كَالسَّمَاءِ بِلَا
وَقَالَ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْعَفِيفِ التَّلَسَّانِي (١) :

بَدَرَ عَنِ الْوَصْلِ فِي الْهَوَى عَدَلَا مَالِي عَنْهُ إِنْ جَارَ أَوْ عَدَلَا
مُتَرَّكَ اللَّحْظَ لَفْظُهُ خَنْثُ
إِلَيْهِ يَصْبُو الْحَشَا وَيَنْبَعَثُ
أَشْكُو إِلَيْهِ وَلَيْسَ يَكْتَرِثُ
دَعَا فَوَادِي لَأَنْ يَذُوبَ قَلْبِي وَالْمَوْتَ وَاللَّهَ مِنْ مَقَالِي لَا
لَمْ يَبْقَ لِي مَقْلَّةٌ وَلَا كَبْدُ
وَالْقَلْبُ فِيهِ أَوْدَى بِهِ الْكَمْدُ
وَلَيْسَ يُلْفَى لَهُجْرُهُ أَمْدُ
لَا تَعْجَبُوا إِنْ غَدَوْتُ مُحْتَمَلَا لَكِنْ قَلْبِي إِنْ كَانَ عَنْهُ سَلَا
بِالْحَسَنِ كُلِّ الْعُقُولِ قَدْ نَهَبَا
وَالْحَزْنَ كُلِّ الْقُلُوبِ قَدْ وَهَبَا
شَمْسٌ وَلَكِنِّي لَدَيْهِ هَبَا
فَانْظُرْ لَذَاكَ الْقَوَامَ كَيْفَ حَلَا غَضَّتْنَا وَكَمْ مِنْهُ بِالْجَمَالِ جَلَا
غَيْهَبُ

١٦٦٨ - مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْقَوِيِّ *

ابن عبد الباقي محيي الدين التنوخي المعري ثم الدمشقي ، ابن المارستاني الحنفي ،
نزير القاهرة .

(١) ديوان العفيف ص ٢٤٥ .

* الوافي : ٢١٢/٤ ، والدرر : ٦٨/٤ .

سمع من عثمان بن علي ، وإبراهيم بن خليل ، وفرج الخادم ^(١) ، وعبد الله بن الخشوعي ، وعدة . وخرّج له الدميّاطي (مشيخة) ، وسمعها منه قديماً .
 وكان مديماً للاشتغال ، ورعاً زاهداً متواضعاً مفسّراً ، من كبار الحنفية ، أعاد بالمنصورية والناصرية والظاهرية والصالحية ، وحمل عنه الطلبة من سماعاته (جزء)
 الذهلي ^(٢) على ابن خطيب القرافة ^(٣) سنة اثنتين وخمسين وست مئة .
 وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشر شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة .
 ومولده سنة سبع وأربعين وست مئة .

١٦٦٩ - محمد بن علي بن الحسين بن سالم*

الشيخ المقرئ الصالح الحاج ، بقيّة المُسنّدين ، شمس الدين ، أبو جعفر السلمي
 المرداسي بن الموازيني .
 سماعه سنة اثنتين وعشرين وبعدها ، إذ كان عند الملّقن .
 سمع أبا القاسم بن صصرى ، والبهاء عبد الرحمن ، وتفرد بالرواية عنها . وسمع من
 إسماعيل بن ظفر ^(٤) ، وأبي سليمان بن الحافظ ، والشيخ الضياء .
 وورث من أبيه ثروة وعقاراً ، وجاور مدّة ، وأنفق في البرّ والقرب ، ثم أعطى
 ملكه لابنته ، وبقي لنفسه كلّ يوم درهمين ، ولبس العسلي وتزهد ، وحدث بالحرّم ،
 وانحطم بالهرم ^(٥) ، وثقل سمعه وضعف بصره .

-
- (١) في الأصل : « وفرج بن خليل » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وفي الدرر : « فرج مولى
 القرطبي » ، وهو فرج بن عبد الله الحبشي الخادم (ت ٦٥٢ هـ) ، العبر : ٢١٣/٥ .
 (٢) محمد بن يحيى بن عبد الله النيسابوري (ت ٢٥٨ هـ) ، السير : ٢٧٣/١٢ ،
 (٣) عثمان بن علي (ت ٦٥٦ هـ) ، السير : ٢٤٧/٢٢ .
 * الوافي : ٢١٢/٤ ، والدرر : ٦٣/٤ ، والشذرات : ١٨/٦ ، وذيل العبر : ٤٤ .
 (٤) كذا في الأصل ، وهو ابن المطفر ، انظر ترجمته في العبر : ١٦٠/٥ .
 (٥) في الأصل : « وانهمز » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

وحدّث عنه ابن الخباز وباقي الطلبة .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الاثنين منتصف ذي الحجة سنة ثمان وسبع مئة .
ومولده سنة خمس عشرة تقريباً .

١٦٧٠ - محمد بن علي *

الإمام الفاضل الفقيه النحوي الأصولي تاج الدين البارنباري الشافعي .

أخبرني شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، رحمه الله تعالى ، قال :
قرأ المذكور على الشيخ حسن الراشدي ^(١) القراءات السبع بالفاضليّة ، وقرأ المعقول على
الشيخ شمس الدين الأصبهاني ، وحفظ (التعجيز) ، وكان يستحضره إلى آخر وقت ،
ويعرفه جيداً ، وحفظ (الجزوليّة) ، واستمرّ على حفظ القرآن إلى أن مات .

وكان جيد المناظرة ، متوقّد الذّهن في الفقه والأصولين والعربية والمنطق ، وكان
عديم التكلف في ملبسه ، ولم يكن بيده غير فقاهاات بالمدارس ^(٢) ، كان يلقب بطوير
الليل .

توفّي رحمه الله تعالى سنة سبع عشرة وسبع مئة .

وقال لي ^(٣) شيخنا قاضي القضاة تقي الدين ، قال لي ابن الرفعة : من عندهم من
الفضلاء في دُرُسِ الظاهريّة ؟ فقلّت له : قطب الدين السنباطي ، وفلان ، وفلان ،
وعددت حتى انتهيت إلى ذكر البارنباري ، فقال : ما في من ذكرت مثله .

* الوافي : ٢٢٢/٤ ، والدرر : ١٠٠/٤ .

(١) حسن بن عبد الله وبحيات (ت ٦٨٥ هـ) ، وغاية النهاية : ٢١٨/١ .

(٢) في الوافي : « فقاهاات للدارس » .

(٣) ليست في (س) .

ومن مباحثه في السؤال الذي يورد في قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ ^(١) وتقديره أَنَّ السَّنَةَ أَعْمُ مِنَ النِّوْمِ ، ويلزم مِن نفي العام نفي الخاص ^(٢) ، فكيف قال ﴿ وَلَا نَوْمٌ ﴾ بعد قوله ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سَنَةٌ ﴾ ؟

وقد أجاب الناس عن هذا بأجوبة كثيرة ، ومن أحسنها ما قاله البارنباري هذا ، قال : الأمر في الآية على خلاف ما فهم ، والمنفي أولاً إنما هو الخاص وثانياً العام ، ويُعرف ذلك من قوله ﴿ لَا تَأْخُذْهُ ﴾ أي لا تغلبه ، ولا يلزم ^(٣) مِنْ أَخَذَ السَّنَةَ التي هي قليل من النوم أو النعاس عَدَمَ أَخَذَ النِّوْمَ له ، فقال ﴿ وَلَا نَوْمٌ ﴾ فعلى هذا فالسؤال منتفٍ ، وإنما يصح إيرادُه أن لَوْ قِيلَ لا يحصل ^(٤) له سنة ولا نوم . وهو [جواب] ^(٥) بليغ ، قال مولانا قاضي القضاة تاج ^(٦) الدين السبكي : إِلَّا أَنْ لَكَ ^(٧) أَنْ تَقُولَ : فلم لا اكتفي بنفي ^(٨) أخذ النوم على هذا التقدير ^(٩) الذي قررت ، وما الفائدة في السنة ^(١٠) .

ومن سؤلات تاج الدين طوير الليل : سَوَى الْأَصْحَابِ بَيْنَ الْمَنَاعِ الْحَسِيِّ وَالْمَنَاعِ الشَّرْعِيِّ فِيمَا إِذَا بَاعَ جَارِيَةً حَامِلاً بِحَرٍّ أَوْ بَاعَ جَارِيَةً إِلَّا حَمْلَهَا ، فَإِنَّ الصَّحِيحَ فِيهَا الْبَطْلَانُ ، وَلَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ فِيمَا إِذَا بَاعَ دَاراً مُسْتَأْجَرَةً ، فَإِنَّ الصَّحِيحَ فِيهَا الصَّحَّةُ ، وَالْبَطْلَانُ فِيمَا إِذَا بَاعَ دَاراً وَاسْتَثْنَى مَنَفْعَتَهَا شَهْرًا ^(١١) .

(١) البقرة : ٢٥٥/٢ .

(٢) (س) : « على الخاص » .

(٣) في الأصل : « ويلزم » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) في الأصل : « يصل » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) زيادة من (س) .

(٦) (س) : « تقي » .

(٧) في الأصل : « إِلَّا لَكَ » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٨) في الأصل : « حكم لا النفي بنفي » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٩) (س) : « التقرير » .

(١٠) (س) : « ذلك السنة » .

(١١) ليست في (س) .

وأجاب ، وقد سئل : كيف يقول الغزالي إن النية في الصلاة بالشروط أشبه وهي بشرط^(١) أن تكون مقارنة للتكبير ، والتكبير ركنٌ ، فيتحد زمان الركن والشرط مع كون الركن لا بد أن يكون داخل النية^(٢) والشرط خارجاً ؟ بأن المراد بالداخل ما تتقوّم به الماهية ولا تصدق بدونه وبالخارج^(٣) ما ليس كذلك سواء أقرن الداخل في الزمان أم لا ، فالترتيب ليس في الزمان ، والنية لا تتقوّم بها الصلاة ، لجواز^(٤) أن توجد بلا نية^(٥) ، وتكون صلاة فاسدة ، وكذلك ترك الأفعال الكثيرة في الصلاة فيأنه شرط مع أنه^(٦) لا يوجد إلا داخل الصلاة .

قال مولانا قاضي القضاة تاج الدين السبكي : هذا جوابه ، وهو على حُسْنه قد يقال عليه : هذا يتم^(٧) إذا قلنا : إن الصلاة موضوعة لما^(٨) هو أعم من الصحيح والفساد لتصدق صلاة صحيحة وصلاة فاسدة ، أمّا إذا قلنا : إنما هي موضوعة للصحيح فقط ، فحيث انتقى شرطها لا تكون موجودة . وقد حكى الرافعي الخلاف في أن لفظ العبادات هل هو موضوع لما هو أعم من الصحيح والفساد أو هو مختص^(٩) بالصحيح [حيث قال في كتاب الإيمان : وسيأتي خلاف أن لفظ العبادات هل هو موضوع لما هو أعم من الصحيح^(١٠) والفساد ، أو هو مختص بالصحيح ؟ وإن كان لم يف بما وعد إذ لم يحكه بعد ، على ما رأيناه .

(١) (س) : « يشترط » .

(٢) في الأصل : « داخل إليه » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) (س) : « والخارج » .

(٤) (س) : « بجواز » .

(٥) (س) : « ثلاثية » .

(٦) (س) : « مع كونه » .

(٧) في (س) : « إنما يتم » .

(٨) في الأصل و (س) : « لها » ، وما أثبتنا أشبه .

(٩) في الأصل : « محض » ، وأثبتنا ما في (س) .

(١٠) زيادة من (س) .

١٦٧١ - محمد بن علي بن محمد بن غانم*

الشيخ الفاضل القاضي بدر الدين ابن الشيخ علاء الدين بن غانم ، تقدم ذكر أبيه وعمه وأخيه وابن عمه .

كان من جُملة كتاب الإنشاء ، كان على الاشتغال مكباً وإلى التفهم مُنصباً لا يثنيه عن ذلك ثانٍ ، ولأله من بيته في هذا ثانٍ ، يكون في ديوان الإنشاء جالسا ، وتراً في (مختصر) ابن الحاجب دارسا ، كثير الصمت ، عليه وقار وسمت ، يفيض جماعة الإنشاء فيما يفيضون فيه ، وهو مشغول بنفسه وصلاح حاله وتلافيه . يتشدد في الكتابة فلا يكتب إلا ما وافق الشريعة ، وكان مضمونه إلى الحق ذريعه . وكتب كثيراً وعلق تراجم والتقط ذلك من التواريخ والمعاجم ، وكان غاوياً باقتناء الكتب ، رافعاً عن البذل فيها أذيال الحُجب ، على مسكّة كانت في يده ، وشحّ سكن في خلوده .

وكان جميل الصورة في صباه ، مصوناً في مزيّاه . ثم إنه سأل الإغفاء من ديوان الإنشاء ، فأجيب إلى ما قصده ، وتناول ما رصده .

ولم يزل على ذلك إلى أن سلك سبيل من مضى [من]^(١) الأمم ، وأصبح وقد عُدد في الرّمم .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس عشر جمادى الأولى سنة أربعين وسبع مئة .

وكان مُنجمعاً عن الناس لا يتكلّم فيما لا يعنيه ، يكرّر على محافظته^(٢) الليل والنهار . وكان قد حفظ القرآن و (المنهاج) و (مختصر) ابن الحاجب و (الحاجية)

* الوافي : ٢٢٢/٤ ، وفيات ابن رافع : ١٠٨/١ ، الدرر : ٨٤/٤ ، والدارس : ٣٣٠/١ .

(١) زيادة من (س) .

(٢) في الوافي : « محفوظاته » .

و (المُلحة) ، وعرض ذلك على الشيخ كال الدين ^(١) ، وعلى الشيخ برهان ^(٢) وعليه تفقه .

ولما توجه الشيخ كال الدين بن الزملكاني إلى قضاء حلب وصار بها ^(٣) كَتَبَ له إذناً بالإفتاء ^(٤) ، وجهّزه إليه إلى دمشق ، وفي آخر أمره سأل الإعفاء من كتابه الإنشاء وأن يكون له نظير معلومه على الجامع الأموي ، فأجيب إلى ذلك . وكان بيده تدريس القليجية الشافعية والشريفية عوضاً عن القاضي نجم الدين الدمشقي ^(٥) ، وباشر العمادية والدماغية عوضاً عن الشيخ [بدر الدين بن] ^(٦) أبي اليسر ابن الصائغ ^(٧) لما توجه لخطابة القدس ، وكان يحمل المعلوم إلى أقارب الشيخ بدر الدين ، ولما عاد ابن الصائغ إلى دمشق استمرّ بدر الدين في تدريسها ، فوشى به الأمير حسام الدين بن النجيبى مشدّ الأوقاف إلى الأمير سيف الدين تنكز ، فأمر بإعادة المدرستين المذكورتين إلى ابن الصائغ ، وكان قد عيّن لخطابة القدس عوضاً عن ابن الصائغ ففضّ ^(٨) ذلك منه .

ولما توجه الشيخ برهان الدين إلى الحجاز ألقى عنه الدرس بالبادرائية ، وكان معه عدّة وظائف من قراءات على الكراسي ^(٩) وغير ذلك ممّا يقارب ^(١٠) الألف درهم في كل شهر .

(١) ابن الزملكاني ، كما في الدرر .

(٢) الفزاري ، إبراهيم بن عبد الرحمن ، سلفت ترجمته .

(٣) قوله : « وصار بها » ليست في (س) .

(٤) في الأصل : « إذا بالإفتاء » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) الدارس : ٢٣٨/١ .

(٦) زيادة من (س) .

(٧) محمد بن عبد الخالق (ت ٧٤٩ هـ) ، الدارس : ١٧٨/١ .

(٨) في الأصل : « بعض » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٩) في الأصل : « الكرسي » ، وأثبتنا ما في (س) .

(١٠) في الأصل : « مما رب » ، وأثبتنا ما في (س) .

وكان جماعةً للكتب ، أبيع له لما مات قريب الألفي مجلدة ، وعلّق على (المنهاج)
تعليقه ، وكان يحب الصالحين .

١٦٧٢ - محمد [بن علي] بن محمد بن سعيد*

ابن حمزة الشيخ الصدر الرئيس شرف الدين بن الصدر علاء الدين التيمي ، ابن
القلانسي .

من بيت كبير ، وكان صاحب ثروة ، تزوّج في شبابه بابنة قاضي القضاة
صدر الدين بن سنيّ الدولة ، وهو صاحب حَمّام الزهور بالصالحية ، وهو خال
عز الدين بن القلانسي .

كان محبّاً للفقراء والصالحين ، وسمع [من السخاوي]^(١) والقرطبي ، والعز بن
عساكر ، وابن^(٢) مسلمة ، غيرهم .

وتوفّي رحمه الله تعالى في حادي [عشري]^(٣) جادى الأول سنة أربع وسبع مئة .
ومولده سنة ست وثلاثين [وست مئة]^(٤) بدمشق .

١٦٧٣ - محمد بن علي بن عبد الواحد**

الأنصاري السّماكي الدّمشقي الزمלקاني ، الشيخ ، الإمام ، العالم العلامة ، ذو

* الدرر : ٨٢/٤ ، وما بين حاصرتين زيادة من (س) والدرر .

(١) زيادة من (س) .

(٢) ليست في (س) .

(٣) زيادة من (س) .

(٤) زيادة من (س) .

** الوافي : ٢١٤/٤ ، وفوات الوفيات : ٧/٤ ، والبداية والنهاية : ١٣١/١٤ ، والدرر : ٧٤/٤ ، وبدائع

الزهور : ٤٥٨/١/١ ، والشذرات : ٧٨/٦ ، والدارس : ٢٤/١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٧٠/٩ ، وذبول

العبر : ١٥٤ .

الفنون ، الذكيّ التحرير ، شيخ الشافعيّة في عصره ، كمال الدين أبو المعالي قاضي القضاة مجلب .

سمع من أبي^(١) الغنائم بن علّان ، والفخر عليّ ، وابن الواسطي ، وابن القوّاس ، ويوسف بن المجاور^(٢) ، وعدّة ، وطلب الحديث .

وكان فصيحاً في قراءته متّسرعاً^(٣) . قال شيخنا شمس الدّين الذهبي : له خبيرة بالمتون ، تفقّه على الشيخ تاج الدين الفزاري^(٤) [وأفتى]^(٥) وله نيّف وعشرون سنة ، وسُمّي بالشيخ وعمره عشرون سنة .

وقرأ العريّة على الشيخ بندر الدين بن مالك ، وقرأ على قاضي القضاة شهاب الدّين الخويّي^(٦) وشمس الدين الأيكي .

وقرأ الأصول على الشيخ صفّي الدين الهندي أوّل قدومه البلاد ، أمّا لما عاد لم يقرأ عليه^(٧) ، وقرأ على قاضي القضاة بهاء الدين بن الزكي .

وأخبرني شيخنا نجم الدين بن الكمال الصفدي ، قال : قلّت له : قرّطت في المنطق ، قال : كان في طلبي له تلك الأيام شخص^(٨) يعرف بالإفسنجي^(٩) ، وكنت قد

(١) في الأصل : « ابن أبي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وأبو الغنائم هو المسلم بن محمد بن المسلم القيسي البمشقي ، ابن علان ، (ت ٦٨٠ هـ) . العبر : ٣٢٢/٥ .

(٢) في الأصل : « الحار » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وهو يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الشيباني ، (ت ٦٩٠ هـ) . العبر : ٣٧٠/٥ .

(٣) في الفوات : « متسرعاً » .

(٤) في الأصل : « العزاري » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) زيادة من (س) والوافي .

(٦) في الأصل : « ابن الخوي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٧) عبارة الوافي : « أمّا لما عاد الشيخ صفّي الدين وأقام بدمشق لم يقرأ عليه » .

(٨) عبارة الوافي : « فقال كان بدمشق أيام طلبي له شخص » .

(٩) في الوافي : « الأفسنجي » .

دَرَسْتُ وَتَمَيَّزْتُ ، أَوْ قَالَ : وَأَفْتَيْتُ ، فَكَنتُ أَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ عَلَى كُرِّهِ مِنِّي ، وَالْعِلْمُ فِي نَفْسِهِ صَعْبٌ ، وَعِبَارَةُ الْأَفْسَنْجِي فِيهَا ^(١) عَجْمَةٌ ، فَإِذَا أَرَدْتُ مِنْهُ زِيَادَةَ بَيَانٍ ، أَوْ قُلْتُ لَهُ : مَا ظَهَرَ لِي ، جِثًا ^(٢) وَأَدَارَ وَجْهَهُ عَنِّي ، فَأَنْفَتُ مِنْ تِلْكَ ^(٣) الْحَالَةِ ، وَبَطَلْتُ الْإِشْغَالَ ^(٤) ، أَوْ كَمَا قَالَ .

قُلْتُ : أَغْنَاهُ فَكْرُهُ الصَّائِبُ وَذَهْنُهُ الثَّاقِبُ عَنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الْمُنْطِقَ عِلْمٌ عَقْلٍ لَا تَقُلُ ، عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ مِنْهُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَصُولِ الدِّينِ وَأَصُولِ الْفَقْهِ ، فَالْمُنْطِقُ نَحْوُ ^(٥) الْمَعَانِي ، كَمَا أَنَّ النُّحُوَّ مَنْطِقُ الْأَلْفَاظِ ، وَابْنُ الزَّمْلَكَانِي كَانَ ^(٦) يَعْرِفُ الْمُنْطِقَ عَلَى وَجْهِ كَلِمَةٍ ، كَمَا أَنَّ أَمْرًا الْقَيْسَ وَغَيْرَهُ مِنْ فَصَحَاءِ قَرِيْشٍ يَعْرِفُونَ النَّحْوَ عَلَى وَجْهِ كَلِمَةٍ ، وَقَالَ ابْنُ سِينَا : وَاضِعُ النَّحْوِ وَالْعُرُوضِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ يُشَبِّهُ وَاضِعَ الْمُنْطِقِ وَالْمَوْسِقَا فِي اللُّغَةِ الْيُونَانِيَّةِ .

قُلْتُ : لِعَمْرِي هَذَا تَشْبِيهٌُ مَنْ عَرَفَ حَقِيقَةَ هَذِهِ الْعُلُومِ الْأَرْبَعَةِ ، وَلَقَدْ أُورِدَ بَعْضُ الْأَفْضَالِ عَلَى تَعَلُّقِ ^(٧) الْمُنْطِقِ : إِنَّ كَانَتْ هَذِهِ الْأَلَاتُ مِنَ الْفَطْرِيَّاتِ ^(٨) فَلَيْسَتْغَنَ عَنْ تَعَلُّمِهَا ، وَإِلَّا افْتَقَرْتُ إِلَى آلَةٍ أُخْرَى ، وَدَارَ وَتَسَلَّسَلَ ، وَأَجَابَهُ ^(٩) الْمُتَنَصِّرُونَ بِأَنَّ بَعْضَهَا فَطَرِيٌّ وَبَعْضُهَا كَسْبِيٌّ ، فَانْدَفَعَ الْإِشْكَالُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْأَصْبَحِي فِي » وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) .

(٢) (س) : « قَالَ : جِثًا » ، وَفِي الْوَاقِفِ : « قَالَ جَاءَ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « ذَلِكَ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) وَالْوَاقِفِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الْإِشْغَالَ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) وَالْوَاقِفِ .

(٥) (س) : « هُوَ نَحْوُ » .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « وَكَانَ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « عِلْمٌ تَعْلِيْقٌ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) .

(٨) فِي الْأَصْلِ : « الْآيَاتُ » ، وَفِي (س) : « الْآلَةُ مِنَ النَّظَرِيَّاتِ » .

(٩) (س) : « أَوْ تَسَلَّسَلَ وَأَجَابَ » .

قلت : بل الإشكالُ باقٍ على حاله ، فنقول فيما هو فطري ما قلناه أولاً ، وفيما هو كسبي ما قلناه أولاً ، وما كان الشيخ في ذلك بحيث إنه يجهل معرفة التصور والتصديق ، ودلالة المطابقة ، ودلالة التضمن^(١) ، ودلالة الالتزام ، والضرب من^(٢) الشكل المنتج والكاذب ، ومواد البرهان ، والمقدم والتالي ، وقياس الخلف ، وغير ذلك مما يَدْخُلُ في الأصولين ، بل كان يعرف ذلك معرفةً جيّدةً تامةً يتسلط بها على باقي الفن^(٣) ، أمّا أنه كان يُطَلَّبُ مِنْهُ^(٤) أن يشغل في مختلطات كشف الأسرار للخونجي فلا ، وقلت أنا في مقتضى حال الشيخ كال الدين رحمه الله تعالى :

أغناه ثاقبٌ ذهنيه وذكاؤه عَنْ أَنْ يَقْلُدَ فِي الْأَنَامِ سِوَاهُ
مَنْ كَانَ كَالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ ذَهْنُهُ فَجَمِيعُ مَا تَحْوِي الْعُلُومُ يَرَاهُ

وقال : وكان^(٥) الشيخ كال الدين رحمه الله تعالى عَلَامَةً الزمان وَثَلَامَةً^(٦) البهتان ، قائماً بالفقه ودقائقه وغوامضه وحقائقه ، لو رآه الروياني لأغرقه في بحرهِ ، أو المتولي^(٧) لَعَزَلَ عما أكسبه نهاية فخره ، أو القفال لفتح له أبواب نصره ، أو الرافعي لا نَحْطُ إلى خَفْضِهِ وَجَرِّهِ . قاعداً بالأصول فقهاً وديناً ، ناهداً كالأسد وقد جعلت له الأقلام عريناً ، فلو رآه الحلبي^(٨) لسَفَّهَ رأيهُ ، أو الباقلائي لكان باقلاً^(٩) في الرواية والدراية ، كأنا عناه الغزي بقوله ، واقتصر به على طَوْلِهِ ، حيث قال :

(١) (س) : « التضمن » .

(٢) (س) : « في » .

(٣) قوله : « يتسلط ... الفن » ليس في (س) .

(٤) (س) : « فيه » .

(٥) في (س) : « وكان » بلا « وقال » .

(٦) ثلم الشيء : كسر حرفه .

(٧) عبد الرحمن بن مأمون بن علي (ت ٤٧٨ هـ) ، وفيات الأعيان : ١٣٣/٣ ، والسير : ٥٨٥/١٨ ،

والكشف : ١/١ .

(٨) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي (ت ٤٠٣ هـ) ، السير : ٢٣٢/١٧ .

(٩) يشير إلى المثل : « أعيان من باقل » .

لم يَبْرَحَ الفقه رَوْضاً فاقَ فيكَ له سَخَابَةٌ وَرَدَهُ مِنْهَا وَعَبْهَرَةٌ^(١)
 ذو الدرس سهل المعاني في عبارته يكاد يحفظه مَنْ لا يَكْرَهُه^(٢)
 أمّا الجِدالَ فيدانَ قَوارِسه تُقَرُّ أَنَّكَ دُونَ الناسِ عَنَتُهُ

لا يرى الناس أفصح من عبارته ، ولا أملح من إشارته ، لو سمعه الأصمعي لم ينقل عريبه عن أعزابه ، أو يونس بن حبيب لما قلده سيوبه في إعرابه ، كأن عبارته السكر المذاب ، أو رشف الثنايا العذاب ، تدخل الأذن بلا إذن لفصاحتها ، ويرشفها الذهن لصناعتها ونصاعتها .

وكان شكله يرى وهو من أحسن الأشكال ، ومثله^(٣) لا يرى وليه معه إلا أن يذل^(٤) له الأذال ، وعدوه سوى إن كال^(٥) له الأتكال ، بعمّة لا يحسن أحد أن يديرها ولا يصدق تصويرها ، وطلعة يستحي القمر أن يقابلها ، والشمس أن تُشاكلها ، وشيبة عليها نور الإيمان ، ورونق الإيقان ، وكرم نفس لا يذكر معه صوب الغوادي ، ولا النيل ذو الأصابع ولا البحر ذو الأيادي .

وأما خطّه فلم يكتب أحد في زمانه مثل تعليقه ، ولا يصل معه كاتب إلى تعليقه ، كأن طروسه رياض دبجها أيدي^(٦) الغمام ، سطوره حدائق ألفتها غصون ، والهمزات عليها حمام ، كأنما :

تَنَاولَ من لطافته نهاراً وَفَرَّقَ فَوْقَهُ لَيْلاً بَهِيّاً

هذا إلى معارف حواها من سائر الفنون . وأخذ من كل منها محاسن النكت وفوائد

(١) العبهر : العظيم ، والنجس والياسمين .

(٢) في الوافي : « في جزالته » .

(٣) (س) : « ونبله » .

(٤) في (س) : « يذل » .

(٥) في الأصل : « كان » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٦) (س) : « إير » .

العيون ، فما باشر شيئاً إلا وزَّانَه ، وَفَقَى عنه ما شابه وشأنه ، تنقل في مباشرات الدولة ، ونال فيها الوجاهة والعزَّ والصون والصلوة ، وولي في آخر عمره قضاء قضاء حَلَب غَضَباً ، ولقي فيها نَصَباً ، وإن كان قد وَجَدَ فيها رَفْعاً وَنَصَباً ، ثم إنَّه عزل [منها وطلب إلى] باب^(١) السلطان فاصل ، ونزع خضاب سعدة ونَصَلَ ، ومرض في طريق الرَّمَل . وانبَتَّ من حياته الشَّمْل ، فَعَدِمَ الوجودَ كآله ، وما وصل جرح حياته اندمَّاله .

وأدركه أجلُّه في بُلْبُيس سادس عشر شهر رمضان سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وله من العمر ستون سنة .

كان^(٢) مولده في شوال سنة سبع وستين وست مئة .

وحَمَلَه ولده عبد الرحمن^(٣) إلى القاهرة ودفنه بالقرافة عند الشافعي رضي الله عنه .

وكان قد حفظ (التنبيه) فيما أظن و (المُنتخب) في أصول الفقه ، و (المُحَصَّل) في أصول الدين . وكتب المنسوب الفائق ، كان يقال إنَّه ما كتب على نجم الدين بن البصيص أحسنَ منه ومن الشيخ بدر الدين [حسن]^(٤) بن المحدث ، وخطُّه هو أحسن ، وقيل^(٥) : إنَّه كان يكتب الكوفيَّ طبقة .

وذكره شيخنا الذهبي في (معجمه) المختص فقال فيه : شيخنا عالم العصر ، انتهى .

(١) في الأصل : « عزل من باب » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) (س) : « وكان » .

(٣) (س) : « تقي الدين عبد الرحمن » .

(٤) زيادة من (س) والوافي .

(٥) في الوافي : « وقيل لي » .

وكان الشيخ من بقايا المجتهدين ومن أذكياء أهل زمانه ، تخرّج به الأصحاب ، وانتفع به الأئمة . لم ير مثل كرم نفسه وعلوّ همته وتجلّله في ملبسه ومأكله ، لم تزل تلاميذه الخواصّ على مائدته ، يحب الطالب الذكي ويجذب بضّعه^(١) من ورطة الخمول ويكبره . ويعظّمه ويَزَهْرُه^(٢) له ، ويسير إليه في البحوث ويصوّب ما يقول ويَحَسِّنُه ويُعجب الحاضرين منه ، فعل ذلك بجماعة ، ونزل للقاضي فخر الدين المصري من تدرّيس العادلية الصغيرة ، وما رأى أحد أسعد منه في علمه وقوله ، كان إذا دُوغ^(٣) أحداً بكلمة سوء لبسته من فرقه إلى قدمه ، وكذا في الخير غضب مرة على فخر الدين المصري فقال : مَنْ أرادني وأحبّني فلا يكلمه ، وكان^(٤) المسكين يراه الناس في الجامع فما يجسر أحد يسلم عليه ، وعمل خطبة افتتحها بقوله : الحمد لله الذي جعل « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ، وكان لا يتعب على التلميذ ، بل إذا رأى الطالب [في] دروسه وذهنه جيّد وقد تعب على نفسه اجتذبه إليه ونوّه به وعرف بقدره ، فيُعرف به ويُنسب إليه ، وإذا جاء مبتدئ ليقرأ عليه يقل له : رُح الآن إلى الشيخ كال الدين بن قاضي شهبة وإلى الشيخ شمس الدين بن النقيب وإلى مجد الدين التونسي وإلى نجم الدين القحفازي ، فإذا تَنَبَّهتْ عُدْ إليّ .

واشتهر في زمن أشياخه وتقدم عليهم إلى أن سادهم^(٥) ورأس وساد في الدولة ، وطار ذكره .

وصنف رسالة في الردّ على الشيخ تقي الدين بن تيمية في الطلاق^(٨) ، ورسالة في

(١) أي : بعضه .

(٢) في الأصل و (س) : « ويزهر » ، وأثبتنا ما في الدرر .

(٣) كذا ، يقال : أصابتنا دوغة ، أي : برد ، والمراد أنه إذا رمى أحداً بكلمة .

(٤) (س) : « فكان » .

(٥) انظر : الجامع الصغير ١/١٣٤ .

(٦) في (س) : « .. الطالب في دروسه .. » .

(٧) قوله : « إلى أن سادهم » ، ليس في (س) .

(٨) قوله : « وصنّف رسالة » حتى هنا بياضٌ في أصول الوافي لم يتّه المحقق ، وهو ثابت في الفوات .

الردّ عليه في مسألة الزيارة ، وصنّف مُصنّفين في تفضيل البشر^(١) ، أحدهما سماه (تحقيق الأولى في الرفيق الأعلى)^(٢) ، وجوّده ما شاء ، وشرح من (منهاج) النووي قطعاً مفرقه ، وكان يلقي الدروس من (نهاية المطلب) . وله رسالة سماها (رابع أربعة) نظماً ونثراً ، وشرح في (عمدة الأحكام) قطعة .

ودرس بالشاميّة البرّانية . والظاهرية الجوانيّة والرواحيّة ، وباشر في وقتٍ دار الحديثِ الأشرفيّة تحت القلعة عوضاً عن الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، تقدير نصف شهر ، ثم أخذها منه كمال الدين بن الشُّريثي في شعبان سنة عشرٍ وسبع مئة .

وولي نظر ديوان الأفرم ، ثم بطله ، وولي نظر الخزانة ووكالة بيت المال ، وكتب في ديوان الإنشاء مدّة [وقع في الدست]^(٣) قدام الأفرم وغيره ، فكان لا يدع أحداً يتكلم لا من وزيرٍ ولا من قاضيٍ ولا من ناظر جيشٍ ولا من حاجبٍ ولا من كاتبٍ سرٍ ، ولا من مُشدّ أوقافٍ ولا من والي المدينة ولا أحد [له]^(٤) وظيفة ، وكلامه في جميع [ذلك]^(٥) سادّ وافٍ بالمقاصد ، وكلّ ذلك لمعارفه وسعة علمه وخبرته ودُرْبته [ومعرفته]^(٦) بتراجم أهل العصر .

وله الإنشاء الجيّد ، ونثره خيرٌ من نظمه . وله التواقيع الجيدة المليحة ، وكتب عن الأفرم في فتح جبل كسروان^(٧) بعد البسمة : ﴿ ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ﴾^(٨) .

(١) (س) : « البر » .

(٢) في الكشف ٣٧٧/١ : تحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى .

(٣) زيادة من (س) والوافي .

(٤) زيادة من (س) .

(٥) زيادة من (س) .

(٦) زيادة من (س) .

(٧) في الأصل : « السروان » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٨) طه : ٩٧/٢٠ .

ولما كان في شهر شعبان سنة أربع وعشرين وسبع مئة رَسَم له السلطان بقضاء حلب ، فامتنع ، ودخل على الأمير سيف الدين تنكز وسأله الإعفاء ، فكتب له إلى السلطان ، فجاء الجواب بالتشديد في أمره وتجهيزه قولاً واحداً ، فتوجّه بعد ما قضى أشغاله من دمشق في رابع عشر شوال من السنة المذكورة ، وتأسّف الناس على فراقه .

ولما دخل^(١) إلى حلب يوم الثلاثاء سادس عشري شعبان قال له نائب حلب كانت قلوبنا قد انكسرت فجبرتها ، وقال : يا حليبيّ لقد سعدتم وأراد الله بكم الخير ، والآن عظمت حلب بهذا الرجل . ولما وصل إلى حلب نزل بمكان يعرف بالفردوس ، وكان قد توجه معه شمس الدين محمد الحياط الشاعر ، فأنشده وأنشدنيه من لفظه غير مرّة :

يا حاكم الحُكّام يامن به قد شرفت رتبته الفاخره^(٢)
ومن سقى الشهباء إذ حلّها بحار علم وندى زاخره^(٣)
نزلت في الفردوس فابشر به دارك في الدنيا وفي الآخرة

وتألّم أهل دمشق لفراقه^(٤) وتأسّفوا على بُعده ، لأنه كان للشافعية واسطة قلاذيتهم وشمس سيادتهم ، وأقام في حلب مدّة وما رزق فيها سعادة ، وتعكّس في أيام الأمير سيف الدين أرغون الدوادار وكان أصحاب الناس إليه ، وذلك لأنه عبث باليهود عبثاً [عظيماً]^(٥) وأخذ منهم كنيسة كانت لهم وفتحها مدرسة ، فتسلّطوا عليه وبرطلوا وبذلوا ، فنودي عليه في الجامع بعد صلاة الجمعة على رؤوس الأشهاد ، وقاسى من ذلك شدة وتألّم .

(١) (س) : « وصل » .

(٢) في الوافي : « قد شرقت » .

(٣) (س) والوافي : « مدّ حلها » .

(٤) (س) : « بفراقه » .

(٥) زيادة من (س) .

وطلبه السلطان بعد ذلك إلى الديار المصرية بعد ما وصل من حلب إلى دمشق في عشرين شعبان سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، فأقام بدمشق أربعة أيام ، وتوجّه على البريد إلى القاهرة ليؤليه قضاء الشام أو كتابة [السر] ^(١) بمصر ، فقبل : إنه مات [وهو] ^(٢) مسموم ، وعند الله تجتمع الخصوم ^(٣) .

على أنّ القاضي شهاب الدين بن فضل الله حكى لي عن ولده تقي الدين أنّ والده الشيخ كال الدين قال له وقد بدا في المرض في الرمل : والله يا ولدي أنا ميت ولا أتولى لا مصر ولا دمشق ^(٤) وما بقي بعد حلب ولاية أخرى ، لأنه في الوقت الفلانيّ حضر إلى الجامع الأموي فلانّ الصالح فتردّدت إليه وخدّمته وطلّبت منه التسليك ، فأمرني بالصوم مدّة ، ثم أمرني بصيام ثلاثة أيام ، أظنه ، قال لي : أفطر فيها على الماء واللبن الذكر ، وكان آخر ليلة في ^(٥) الثلاث ليلة النصف من شعبان ، فقال لي : الليلة تجيء إلى الجامع تتفرّج ^(٦) أو تخلو بنفسك فقلت : بل أخلو بنفسي ، فقال : جيّد ، ولا تزال تصلي حتى ^(٧) أجيء إليك ، قال : فخلوت بنفسي أصلي كما وقفني ساعة جيدة ، فلما كنت في الصلّة إذا به قد أقبل ، فلم أبطل ^(٨) ، ثم إني خيل لي قبة عظيمة بين السماء والأرض ، وظاهرها معارج ومراقي ، والناس يصعدون فيها من الأرض إلى السماء ، فصعدت معهم ، فكنت أرى على كلّ مرّقة مكتوباً : نظر الخزانة ، وكالة بيت المال ، نظر المارستان النوري ، التوقيع ، المدرسة الفلانية ، المدرسة العلانية ، قضاء حلب ، هذا

(١) زيادة من (س) .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) في الأصل : « تلتقي الخصوم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات ، وهو عجز بيت .

(٤) في الأصل : « مصر » ، سهو وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) الوافي « من » .

(٦) في الأصل : « وتفرّج » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

(٧) (س) والوافي : « إلى أن » .

(٨) (س) والوافي والفوات : « فلم أبطل الصلّة » .

أعلى المراقي المفرقة^(١) ، ولما وصلت إلى هذه المرقاة أشفقت من هذه الحالة^(٢) ورجعت إلى حسي وبث ليلتي . فلما اجتمعت بالشيخ قال لي : كيف كانت ليلتك ؟ جئت إليك وما قصرت ، لأنك ما اشتغلت بي ، والقبة التي رأيته هي الدنيا ، والمراقي هي المراتب والوظائف والأرزاق ، وهذا الذي رأيته^(٣) تناله كله . والله يا عبد الرحمن وكل شيء رأيته^(٤) قد نلتها ، وكان آخر الكل قضاء حلب ، وقد قرب الأجل . أو كما قال .

وكان الشيخ كالدين - رحمه الله تعالى - كثير التخيل ، شديد الاحتراز ، يتوهم أشياء بعيدة ويثني عليها ، وتعب بذلك ، وعادى أصحابه ، وحسد^(٥) ، وعمل عليه مرّات ، ونجّاه الله ببركات العلم . وطارد كثره ، ورماه الناس أنه يؤذي أصحابه ، حتى قال فيه صدر الدين بن الوكيل ما أنشدنيه من لفظه القاضي علم الدين إبراهيم بن سليمان المستوفي ، قال : أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ صدر الدين بن الوكيل :

طَبَّاعِ الزُّمْلِكِيِّ لَهَا مِثَالٌ كَعَقْرَبٍ أُخْفِيتَ فِي الْبَيْتِ مَعْنَا
فَمَا مَرَّتْ بِشَيْءٍ قَطُّ إِلَّا وَتَضْرِبِيهِ سَرِيعاً لَا لِمَعْنَى

ولقد رأيته مرّة في الظاهرية وفي يده قائمة الحساب وهو يساق المباشرين على المصروف فيسبّحهم إلى الجمع وعقد الجملة ، ويبقى ساعة ينتظرهم إلى أن يفرغوا ، فيقول : كم جاء معكم ؟ فيقولون : كذ وكذا ، فيقول : لا ، فيعيدون الجمع ، إلى أن يصح .

ومرض مرّة بالمشرا ، وكان يعوده لعلاجه من جملة الأطباء [أمين الدين رئيس الأطباء]^(٥) ، فخرج يوماً من عنده وقال : الله لا يعافي هذا الشيخ كال الدين ، قالوا

(١) (س) : « هكنا على مراقي مفرقة » .

(٢) (س) : « أشفقت على تلك الحالة » ، وفي الوافي : « استفتت من تلك الحالة » ، وفي الفوات : « أشفقت من تلك الحالة » ، وعبرة الدرر : « وأفتت من غيبي » ، ومعنى الإفاقة ههنا أقرب .

(٣) في الوافي : « رأيته » .

(٤) عبارة الوافي والفوات : « وعودي وحسب » .

(٥) زيادة من (س) .

له : لأي شيء ؟ قال : حتى يطول علاجنا له واجتماعنا به ^(١) ، لأننا نسمع منه أسماء أعضاء ما كنا نحققها وأمراض ما نصّحها ، فاستفدنا منه تصحيح ألفاظ ذلك كله .

وخرج له الشيخ صلاح الدين العلائي ^(٢) عوالي وأربعين ، وقرأها شيخنا الذهبي عليه .

ومن نظمه ما كتبه [إلى] ^(٣) قاضي القضاة شرف الدين بن البارزي يطلب منه (تيسير الفتاوي في توضيح الحاوي) :

يا واحد العصر ثاني البدر في شرف	وثالث العمرين السالفين هدى
تيسيرك الشامل الحاوي الوجيز له	نهاية لم تنلها غاية أبدا
محرر خص بالفتح العزيز ففي	تهذيبه المقصد الأسنى لمن قصدا
وقد سمت همتي أن أصطفيه بها	وأن أعلمه الأهلين والولدا
فانعم به نسخة مقابلة	ولاح نورك في أثنائها أبدا ^(٤)
لازلت بحر علوم طاب مورده	وكل ظمان علم منه قد وردا
ومن نظمه رحمه الله تعالى ^(٥) :	

أهواك ياربّة الأستار أهواك	وإن تباعد عن مغناي مغناك
وأعمل العيس والأشواق ترشدني	عسى يشاهد مغناك مغناك
تهوي بها البيد لا تخشى الضلال وقد	هدت ببرق الثنايا الغر مضناك ^(٦)
تشوقها نسبات الصبح سارية	تسوقها نحو رؤياك برياك ^(٧)

(١) قوله : « حق به » ليس في (س) .

(٢) في الوافي : « ابن العلائي » .

(٣) زيادة من (س) .

(٤) (س) : « بها ... وبدا » .

(٥) وفي الوافي : أنه نظمها يذكر فيها الكعبة المعظمة ، ويمدح النبي ﷺ .

(٦) في (س) : « تهوي البيد » .

(٧) (س) : « تشوقها نحو » .

وافاء من أين هذا الأمن لولاك^(١)
 لنا الخال من رؤية المحكي والحاكي
 من لي بتقيله من بعد يُمناك
 ترمي النوى لي [سريعاً] نحو مرماك^(٢)
 تحط أثقال أوزاري بلقياك
 وقلت للنفس بالأمول بشارك
 وفاتح الخير ماحي كل إشراك
 أوطأ أسافلها من علو أفلاك
 من أنبياء ذوي فضل وأملاك
 مارد جاهك إلا كل أفاك
 أنت الشفيع لفتاك ونسأك
 ولا شفى الله يوماً قلب مرضاك^(٣)
 ومن أعانك في الدنيا ووالاك^(٤)
 خير الخلائق من إنس وأملاك^(٥)
 في الذنوب وهذا ملجأ الشاكي^(٦)
 قصدي إلى الفوز منها فهي أشراكي^(٧)
 فيما بقي وغنى من غير إمساك
 منا عليك السلام الطيب الزاكي

ياربّة الحرم العالي الأمين لمن
 إن شبهوا الخال بالمسك الذي فه
 أفدي بأسود قلبي نور أسوده
 إنني قصدتك لألوي على بشر
 وقد حططت رحالي في حماك عسى
 كما حططت بياب المصطفى أملي
 محمد خير خلق الله كلهم
 سما بأخصه فوق السماء فكم
 ونال مرتبة مانالها أحد
 يا صاحب الجاه عند الله خالقه
 أنت الوجية على رغم العدا أبدا
 يا فرقة الزينج لا لقيت صالحة
 ولا حظيت بجاه المصطفى أبدا
 يا أفضل الرسل يا مولى الأنام ويا
 ها قد قصدتك أشكو بعض ما صنعت
 قد قيّدني ذنوبي عن بلوغ مدى
 فاستغفر الله لي واسأله عصمه
 عليك من ربك الله الصلاة كما

(١) في الأصل : « أمن ... أولاك » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والقوات .

(٢) الزيادة من (س) . وفي الوافي والقوات : « سراعاً » .

(٣) في القوات : « ولا سقى » .

(٤) (س) : « وأولادك » .

(٥) في الأصل : « جنس » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والقوات .

(٦) في الوافي والقوات : « بي النوب » .

(٧) (س) والوافي والقوات : « ذنوب » .

قلتُ : . ولم أقف للشيخ رحمه الله تعالى على نظم هو خير من هذه القصيدة لقصدها الصالح ، وقد أشبع فيها الكاف كسرة في خطاب المؤنث في ثلاثة أماكن ^(١) حتى نشأت ياءً ، لكنه جائز . وعَمِلَ على هذه القصيدة ، أو على قصيدة ميمية مديح في النبي ^(٢) ﷺ أو عليها ، كراريس سماها (عجالة الراكب) .

ومن شعره :

يَسَائِقُ الظَّنَّ قَفْ بِهذه الكُثْبُ	عَسَايَ أَقْضِي بَهَا مَا لِلْهُوَى يَجِبُ
وَارْفَقْ قَلِيلًا [لكي] تَرْوِي الثَّرَى سَحْبُ	مَنْ نَاطِرِي بُمَزْنٍ مِنْهُ تَنْسَكِبُ ^(٣)
فَمَنْ حَيٍّ حَيَاتِي فِي خِيَامِهِمْ	فَالْمَوْتُ إِنْ بَعَدُوا وَالْعِيشُ إِنْ قَرَّبُوا
لِي فِيهِمْ قَرٌّ وَالْقَلْبُ مَنْزِلُهُ	لَكِنْ طَرَفِي لَهُ بِالْبُعْدِ يَرْتَقِبُ ^(٤)
لَدُنَّ الْقَوَامِ رَشِيقُ الْقَدِّ ذَوْهَيْفِ	تَغَارُّ مِنْ لَيْنِهِ الْأَعْطَافُ وَالْقَضْبُ ^(٥)
حُلُوٌّ لِلْقَبْلِ مَعْسُولٌ مَرَّاشُقُهُ	يَجُولُ فِيهَا رَضَابٌ طَعْمُهُ الضَّرْبُ
لَا غَرُو إِنْ رَاحَ نَشَوَانًا فِي فَمِهِ	خَمَرٌ وَدَّرْ ثَنَائِيَاءَ لَهَا حَبَبُ ^(٦)
وَلَا أَمُّ لَامَنِي فِي الْبُعْدِ عَنْهُ ^(٧) وَفِي	قَلْبِي مِنَ الشُّوقِ نِيرَانٌ لَهَا لَهَبُ ^(٧)
فَقُلْتُ : إِنْ صُرُوفُ الدَّهْرِ تَصْرِفُنِي	عَمَّا أُرُومُ فَالِي فِي النُّوَى سَبَبُ
وَمُذْ رَمَانِي زَمَانِي بِالْبُعَادِ وَلَمْ	يَرْحَمْ خُضُوعِي وَلَمْ يَبْقَ لِي نَشَبُ ^(٨)

(١) في الوافي : « في موضعين » . وهو الصحيح ، في قوله : « معنك ، رؤياك » .

(٢) عبارة الوافي : « مدح بها النبي » .

(٣) الزيادة من (س) والوافي .

(٤) في الوافي : « القلب » ، وفي الوافي : « في القلب » .

(٥) في الأصل : « ذي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

(٦) في الأصل : « ثناياها » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

(٧) في الأصل : « البعد وفيه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

(٨) في الوافي ، والفوات : « ولما يبق » .

ولما توفي رحمه الله تعالى نظم فيه المولى جمال الدين محمد بن نباته قصيدة مليحة يرثيه بها ، أولها ^(١) :

بَلَّغَا الْقَاصِدِينَ أَنَّ اللَّيَالِي	قَبَضَتْ جُمْلَةَ الْعُلَا بِالْكَالِ
وَقَفَا فِي مَدَارِسِ الْعَقْلِ وَالنَّقْ	لِ وَنُوحَا مَعِيَ عَلَى الْأَطْلَالِ
مَائِلَاهَا عَسَى يُجِيبُ صَدَاهَا	أَيْنَ وَلَّى مُجِيبُ أَهْلِ السُّؤَالِ
أَيْنَ وَلَّى بَحْرُ الْعُلُومِ وَأُبْقَى	بَيْنَ أَجْفَانِنَا الدَّمُوعَ لَآلِي
أَيْنَ ذَاكَ الذَّهْنُ الَّذِي قَدْ وَرَّثَنَا	عَنْهُ مَا فِي الْحَشَا مِنَ الْاشْتِعَالِ ^(٢)
أَيْنَ تِلْكَ الْأَقْلَامُ يَوْمَ انتِصَارِ	كِعْوَالِي الرِّمَاحِ يَوْمَ النَّزَالِ ^(٣)
يَنْقُلُ النَّاسَ عَنْ طَرِيقِ هَذَاهَا	طُرُقَ الْعِلْمِ عَنْ مَتُونِ الْقَوَالِي ^(٤)
وَتَفِيدُ الْجَنَّا مِنَ اللَّفْظِ خُلُوعًا	حِينَ كَانَتْ نَوْعًا مِنَ الْعَسَالِ

وكننت قد اختلفت أنا والمولى شرف الدين حسين بن ريان في وقتٍ بصفد في قول الحريري في بعض (مقاماته) :

فلم يـــــــزل يَبْتَزُّه دَهْرُهُ مَافِيه من بطشٍ وعود صليب ^(٥)

فذهب هو في إعراب قوله : « مافيه » إلى أن هذا في موضع نصبٍ على أنه مفعول ثانٍ ، وَذَهَبْتُ أَنَا إلى أنه بدل اشتغال من الهاء في قوله : « يَبْتَزُّه » ، فكتب شرف الدين فتوى من صفد وجهزها إلى الشيخ كال الدين رحمه الله تعالى ، ونقلتها مِنْ خَطِّهِ وهي :

(١) ديوان ابن نباته : ٤٠٥ .

(٢) في الأصل : « الاشتغال » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والديوان والفوات .

(٣) في الديوان : « أين ملك » . وفي الأصل : « لعوالي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) في الوافي والديوان والفوات : « عن حديث » .

(٥) مقامات الحريري ، للقائمة الفارقة ، للقائمة (٢٠) .

ما تقول السادة علماء الدهر، وفضلاء هذا العصر، لا برحوا لطالبي^(١) هذا العلم الشريف قبلة، وموطن السؤال ومحله، في رجلين تجادلا في مسألة نحوية، وهي في بيت من (المقامات الحريية) وهو:

فلم يَزَلْ يَبْتَزُّ دَهْرُهُ مافيه من بطش وعود صليب

وذهبوا إلى أن معنى « يبتزه » يسلبه، وكلّ منها وافق في هذا مذهب خصمه مذهبه، وأصل^(٢) سؤالهما الغريب إعراب قوله: « مافيه من بطش وعود صليب ». لم يختلفا في نصبه، بل خلفها فيما انتصبت به، فذهب أحدهما إلى أنه بدل اشتغال من الهاء للنصوبة في « يبتزه »، وله على ذلك استدلال، وذهب الآخر إلى أنه مفعول ثانٍ « ليبتزّه » وجعل للمفعول الهاء، واختلفا في ذلك وقاصديكم جاء^(٣) وقد سألا الإجابة عن هذه المسألة^(٤).

فكتب الشيخ كال الدين رحمه الله تعالى الجواب، ونقلته من خطه وهو: الله يهدي للحقّ، كلّ من المختلفين المذكورين قد نهج نهج الصواب، وأتى بحكمة وفصل خطاب، ولكلّ من القولين مساع في النظر الصحيح، ولكنّ النظر إنما هو الترجيح^(٥)، وجعل ذلك مفعولاً أقوى توجيها في الإعراب، وأدق بحثاً عند ذوي الأبواب^(٦). أمّا من جهة المعنى فإن^(٧) المقام مقام تشكّ وأخذ بالقلوب، وتمكين، هذا

(١) (س) والوافي: « الطالب ».

(٢) (س) والوافي: « وموطن ».

(٣) في الأصل: « جاء »، وأثبتنا مافي (س) والوافي.

(٤) في (س) والوافي زيادة: « وقد اضطر في ذلك إلى للسألة ».

(٥) في (س) والوافي: « في الترجيح ».

(٦) في (س)، والوافي: زيادة: « أمّا من جهة الصناعة العربية فلأن للمفعول متعلق الفعل بذاته التي هي بوقوع الفعل عليه معنية والبدل مبين لكونه الأول معه مطرحاً في النية، وهذا الفعل بهذا متعد إلى مفعولين وما فيه من بطش هو أحد ذينك الاثنين لثلا يفوت متعلق الفعل المستقل والبدل يرجع إلى توكيد بتأسيس للمعنى غل ».

(٧) (س): « فلان ».

للعنى أقوى إذا ذكر ما سلب ، منه مع بيان المسلوب^(١) ، فذكر المسلوب مقصود
كذكر^(٢) ما سلب ، وفي ذلك من تمكين المعنى ما لا يخفى على ذوي الأدب^(٣) ، ووراء
هذا بسط لا تحتله هذه العجالة ، والله أعلم . كتبه محمد بن علي .

قلت : لأعلم في ذلك العصر أحداً يأتي بهذا الجواب غيره ، لمعرفته بدقائق النحو
وبغوامض علمي المعاني والبيان ودُرْبته بصناعة الإنشاء .

وأما صورة الخط الذي نقلت منه هذه الفتوى فما كانت إلا قطعة روض^(٤)
تدبجت ، أو هوامش عذارٍ على طرس الخد تخرجت ، رحمه الله وأكرم^(٥) مثواه ،
وجعل الجنة مُتَقَلِّبَةً وَعَقْبَاه .

ونقلت من كلامه تعليقاً على قوله تعالى : ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾^(٦) الآية : فإن
قليل : كيف ترك العطف في جميع الصفات وعطف (النهي عن المنكر) على (الأمر
بالمعروف) بالواو ؟ قلت : للمفسرين والعلماء في الجواب عن هذا السؤال أقوال ، فمنها
قولهم لأنها الصفة الثامنة ، فهي واو الثمانية ، وهذا في غاية السخافة ، منها أن هذا من
التفنن في الكلام ، وهو جواب إقناعي^(٧) ، ومنها أن المراد التنبيه على أن الموصوفين
بالصفات المتقدمة هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، وهذا بعيد في الإعراب
ومقصود الكلام^(٨) ، ومنها أن هاتين الصفتين متعلقتان بالغير فاحتاجت إلى مزية ،
وهو كالأجوبة التي قبله .

قال : وعندي في هذا وجه حسن ، وهو أن الصفات تارة تُنْسَقُ بحرف العطف

(١) (س) : « أنه مسلوب » .

(٢) في (س) ، والواو : « منه مقصود كذكر .. » .

(٣) في (س) والواو : « الأرب » .

(٤) (س) : « روضة » .

(٥) (س) : « وكرم » .

(٦) التوبة : ١٢/٩ .

(٧) قوله : « ومنها أن هذا » حتى هنا ليس في (س) .

(٨) في الأصل : « في الكلام » ، وأثبتنا ما في (س) .

وتارة تُذكر بغيره ، لكل مقام معنى يناسبه ، فإذا كان المقام مقام تعدد صفاتٍ من غير نظير إلى جمع أو انفراد حسن إسقاط حرف العطف ، فإن أُريد الجمع بين الصفتين أو التنبيه على تغايرهما عطف بالحرف أيضاً ، وفي القرآن أمثلة تبين ذلك ، قال الله تعالى : ﴿ عسى ربّه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ﴾ ^(١) الآية ، فأتى بالواو بين الوصفين لأن المقصود بالصفات الأول ذكرها مجتمعة ، والواو قد توهّم التنويع ، فحذف ، وأما الأبقار فلا يكنّ ثيبات والثيبات ^(٢) لا يكنّ أبكاراً ، فأتى بالواو لتضاد النوعين ، وقال تعالى : ﴿ حم ☆ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ☆ غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول ﴾ ^(٣) ، فأتى بالواو في الوصفين الأولين ، وحذفها في الوصفين الآخرين ، لأن غفران الذنب قبل التوب ^(٤) ، وقبول التوب قد يظن أنها مجريان مجرى الواحد لتلازمهما ^(٥) ، فَمَنْ غَفَرَ الذنب قبل التوب ، فبين الله تعالى بعطف أحدهما على الآخر [أنها] ^(٦) مفهومان متغايران ووصفان مختلفان يجب أن يُعطى كل واحد حكمه ، وذلك مع العطف أبين وأرجح وأوضح ، وأما شديد العقاب ، وذو الطول فهما كالتضاديين ، فإن شدة العقاب تقتضي اتصال الضرر ، والاتصاف ^(٧) بالطول يقتضي اتصال النفع ^(٨) ، فحذف ليعرف أنها مجتمعان في ذاته المقدسة موصوفاً ^(٩) بهما على الاجتماع . فهو في حال اتصافه بشديد ^(١٠) العقاب ذو ^(١١)

(١) التحريم : ٥/٦٦ .

(٢) (س) : « وكذا الثيبات » .

(٣) غافر : ١/٤٠ - ٢ .

(٤) قوله : « قبل التوب » ليس في (س) .

(٥) في الأصل : « للزمام » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٦) زيادة من (س) .

(٧) في الأصل : « والاتصال » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٨) في الأصل : « المنع » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٩) (س) : « موصوفة » .

(١٠) (س) : « شديد » .

(١١) كنا في الأصل .

الطول ، فحسن ترك العطف لهذا المعنى . وفي هذه الآية التي نحن فيها يتضح معنى العطف وتركه مما ذكرناه ، لأن كل صفة مما لم يُنسَق بالواو مغايرة للأخرى ، والغرض أنها في اجتماعها كالوصف الواحد لموصوف واحد ، فلم يُحتج إلى عطف ، فلما ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهما متلازمان أو كالتلازمين مستمدان من مادة واحد كغفران الذنب وقبول التوب ، حَسُنَ العطف ليبين أن كل واحد معتد به على حدة ، فإنّه ^(١) بذاته لا يكفي منه ما يحصل في ضمن الآخر ، بل لابد من أن يظهر أمره بالمعروف بصريح الأمر ، ونفيه عن المنكر بصريح النهي ^(٢) ، فاحتاج إلى العطف ، وأيضاً فلما كان الأمر والنهي ضدّين أحدهما طلب الاتحاد والآخر طلب الإعدام كالنوعين المتغايرين [في] ^(٣) قوله تعالى : ﴿ ثِيَّاتٍ وَأَبْكَاراً ﴾ فحسن العطف [بالواو] ^(٤) ، فهذا ما ظهر من الجواب . والله أعلم .

قلت : وكنت أنا في زمن الصبا والإشغال قد جمعت في هذه الواو كراسة وفيها فوائد .

١٦٧٤ - محمد بن علي بن أبي بكر الرقي *

الشيخ الصالح الواعظ المحدث شهاب الدين بن تاج الدين [المعروف بـ ابن] ^(٥) العُدَيْسَة .

(١) (س) : « قائمة » .

(٢) في الأصل : « اللفظ » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) زيادة من (س) .

(٤) زيادة من (س) .

* الوافي : ٢٢١/٤ ، الدرر : ٦٠/٤ ، والدارس : ١٣٢/٢ ، عن البرزالي .

(٥) زيادة من (س) والدارس .

كان شيخ الخاتقاه المجاهديّة ظاهر دمشق ، وله مواعيدٌ حديث يقرأ فيها في الجامع الأمويّ والجامع السيفيّ وأماكن^(١) أُخر ، وكان يعاني شيئاً من المواعظ^(٢) في كلامه ، وكان فيه تعبٌ وانقطاعٌ وكَرَمٌ وسخاء ، وحجّ مراتٍ وجاور ، سمع على عمر^(٣) بن القواس ، ويوسف الغسولي وغيرهما ، وسمع بعلبك من الشيخ تاج الدين عبد الخالق ، وحدث .

وتوفي رحمه الله تعالى بوادي الأخضر^(٤) في يوم الخميس عاشر ذي القعدة سنة ست وثلاثين .

ومولده

وأظنّ الحجير الحياط فيه يقول :

في الـ _____ دهر شيء عَجِيبٌ مرآه يُقْذِي اللّـوَاحِظَ
ابن الرّزّير خَطِيبٌ وابن العُدَيْسَةِ وَاعِظَ

١٦٧٥ - محمد بن علي بن سعيد الأنصاري *

الشيخ الإمام الفاضل المُفَنّن بهاء الدين أبو محمد المعروف بابن إمام المشهد .
قرأ القرآن العظيم وأتقنه بالروايات السبع على الكفري^(٥) ، واشتغل بالعريّة على

(١) (س) والدارس : « وبأماكن » .

(٢) (س) : « الوعظ » .

(٣) في الأصل : « وجاور مع علي بن عمر » ، وأثبتنا ما في (س) والدارس .

(٤) في طريق الحجاز قرب تبوك ، (معجم البلدان) وفي (س) : « الأخضر » .

* الوافي : ٢٢٢/٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٠٩/١ ، والدرر : ٦٥/٤ ، والشذرات : ١٧٢/٦ ، والدارس : ١٤٩/٨ .

(٥) حسين بن سليمان بن فزارة الكفري الحنفي (ت ٧١٩ هـ) سلفت ترجمته في موضعها .

الشيخ محمد^(١) التونسي ولازم الشيخ نجم الدين القحفازي كثيراً ، وقرأ الفقه على الشيخ برهان الدين بن تاج الدين . وسمع بمصر والإسكندرية وحلب ، وبدمشق من أسياف عَصْرِهِ .

وكان حسنًا شكله يَبِيناً فَضْله ، كثير التَّبَسُّم ، غزير الارتياح للسيادة والتسم . جاب البلاد وما هاب الجدال والجلاد ، وقطع المفاوز بِحَظٍّ هابط وعزمٍ صاعد . وشام كلَّ بارق ، وانتجع كلَّ راعد ، إلى أن أقرَّ ليل حَظَّهُ الدجوجي بعدما تَطَوَّر في أطوار أبي زيد السروجي^(٢) .

وكان قد جَوَّدَ الفِقهَ والعريه ، وعلَّقَ التعاليق الأدبيه ، وبلغ ما أراد من الوصول إلى الأصول ، واستنفد الحاصل واستغرق المحصول . وكتب المنسوب الفائق ، وقطع في حسنه الدرج والدقائق ، ونَظَمَ جَيِّداً وَثَر . ورقا درج منبره ، وكان كَأَنَّهُ في^(٣) أعلاه حمام هَدَر :

يَنْمُتُ الحَظُّ لَا يَجْتَابُ أَحْرَفَهُ والوشي مهمًا حكاها منه يجتابُ
إلى تصانيف في أكملها ثَمَرٌ تحنيه بالفهم دون الكفِّ أَلْبَابُ

ولم يزل على حاله إلى أن نزلت به دُؤُول^(٤) بنة الرق ، وأصبح كفَّ الموت من شخصه يَنْتَقِم .

وتوفِّي رحمه الله تعالى بدمشق في بكرة الأربعاء ثامن عَشْرِ شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة .

(١) في (س) ، (خ) والوافي : « مجد الدين » وهو « محمد » ، لكن لم يتقدم للصفدي أن ذكره إلا بلفظ « مجد الدين » ، وستأتي ترجمته .

(٢) هو بطل مقامات الحريري .

(٣) في الأصل : « كَلَّه حمام في ... » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٤) هي الداهية . وفي (خ) : « دُؤُول » .

ومؤلده في ذي الحجة سنة ست وتسعين وست مئة .

وجمع كتاب (الأحكام) في ست^(١) مجلدات وجوّد ، وتناولته منه ، وأجازني رواية ماله تسميعه بديوان الإنشاء في المحرم سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة بدمشق .

وكان قد أمّ بدار الحديث ثم بمسجد الكنيسة ، ودّرس بالقوصية ، وأقام بحلب مدة ، وتردّد إليها مرات ، ثم أقام بطرابلس مدة ، وتوجّه إلى صفد وأهلها على عطش ، ومعه أشياء بخطه فأباعها بأوفر الأثمان ، وتوجّه إلى مصر مرّات ، وحضر في سنة ست وثلاثين بين يدي السلطان الملك الناصر^(٢) ، وساعده القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، فولاه المدرسة الأمينية بدمشق عوضاً عن القاضي علاء الدين بن القلانسي ، وحضر إلى دمشق على البريد ، وذكر الدرس بها في رابع شهر رمضان سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، وحضره الأعيان . ثم إنّه سعى وأخذ نظرها أيضاً من الخطيب بدر الدين ، ومشت بذلك حاله قليلاً ، وهو من وراء السعي والطلب .

ثم إنّه سعى وتولّى الحسبة بدمشق بعد موت القاضي عماد^(٣) الدين الشيرازي في أيام سيف الدين أرغون شاه . وكتبت أنا توقيعاً له بذلك وهو « الحمد لله الذي زاد الدين بهاءً بمحمّده ، وزان العلم الشريف بكل حبرٍ جَمَل مُعَيَّه^(٤) حُسْنُ مشهده ، وكَمَل الفضل بكلّ عالمٍ يشهد من يومه مخائل الزيادة في غده .

فحمده على نعمه التي أعلت الرتب ، ونفت الشبهة وكشفت الرّيب ، وكفّت المؤونة في رفعة قدر من توكل على الله واحتسب .

(١) (خ) : « ستّة » .

(٢) (س) ، (خ) : « الناصر محمد » .

(٣) في الأصل : « علاء » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وهو عماد بن أحمد ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٤) في الأصل : « معيه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا يدخل الشك إقرارها ، ولا يحو الإفك أنوارها ، ولا يبهرج الحك^(١) دينارها .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ذو الخلق العظيم ، والجود الذي اختص به وهو للخلق عيم ، والفضل الذي أوتي به ﴿ من لدن حكيم عليم ﴾^(٢) صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين اتبعوا أوامره ، وسمعوا زواجره ، ووضعوا على هامة الثريا مناقبه ، ورفعوا^(٣) على فرق الفرقد مفاخره . صلاة تشرف بحفظها كل جمع ، وتشنف^(٤) بلؤلؤ لفظها كل سمع ، ماعن نظري المصالح فأنعم ، وملأ إناء الأني^(٥) قطر الإحسان فأفعم ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن النظر في مصالح الجمهور ، والفكر في المنافع العامة الوافية الأجور من الأمور التي تتجمل بها^(٦) الدول ، وتفخر بها الأيام المختصة بحاسنها على الليالي الأول ، والنظر في أمر الحسبة الشريفة سلك ينخرط فيه هذا الجوهر الفاخر القيم ، وملك تتنافس في ادخاره الأخلاق الطاهرة^(٧) الشيم . كم باطل أقام به الحق منه الأود ، وقوم المئيل ، وكم نجس أزاله [به]^(٨) من الذراع والميزان والكيل ، وكم غش أخرب الله به عشه في معاش النهار والليل ، وكم زغل طهر الله به الكم فولى وقد شمر الذيل .

(١) (خ) : « الحل » .

(٢) النمل : ٦/٢٧ .

(٣) (س) ، (خ) : « ورفعوا على هامة ... ووضعوا » .

(٤) (س) : « يتشرف ويتشف » .

(٥) أي : الحلم والوقار .

(٦) في الأصل و (خ) : « به » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٧) (س) : « الظاهرة » .

(٨) زيادة من (خ) و (س) . - عبارة (س) : « وكم نجس أزاكه الله به من الذراع » .

وكان الجنب العالي الشخي البهائي من اشتهر فضله ، ونزع^(١) في قوس الإحسان فأصاب الصواب بئله الذي أرسله بئله ، وخدم العلم الشريف حتى عز في عصره أن يوجد في فنونه^(٢) مثله ، وتفرغ عن أصل زكا فكان والده رحمه الله تعالى ليثاً وقد شب له منه شبلة .

أما القراءات فباع صاحب القصيدة معه [فيها] قصير ، ومسلك مصنف (التيسير) أصبح وهو عسير .

وأما العربية فأين صاحب (المجل) من هذا التفصيل . وأين صاحب (الحجة) من هذا التعليل .

وأما الفقه فلو رآه الروياني علم أن بحره في حوضه قطره ، ولو سمعه النووي لأطلع من كلامه بروضته في كل شطر^(٤) سطر زهره .

وأما الأصول فالإمام يتأخر عن محراب فخره ، والسيف لا يثبت له عند هزه .

وأما الخطابة فهو من فرسان منابرها ، وأبطال محاريبها^(٥) ومحابرها . كم أذاب حصاة قلب تحت منبره ، وأذرى بها دمعا إذا جرى تعثر في مخجره .

وأما الكتابة فما فتح ابن البواب لغيره فيها بابا ، ولا رفع ابن مقله فيها لغيره أهدا ، فشهادة^(٦) شهدت له بالخلوة نصاً . وياقوت أصبح في خاتمه فصاً ، هذا إلى سياسة حلب بها أشطر الأمور ، وعلم بها مصالح الجمهور ، وملك بعرفانها أزمة تسقط

(١) (خ) : « ويرع » .

(٢) (س) : « فنونه للتنوعة » .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) .

(٤) (س) : « شط » .

(٥) في الأصل : « محاربتها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٦) شهادة بنت أحمد بن الفرخ ، فخر النساء (ت ٥٧٤ هـ) ، السير : ٥٤٢/٢٠ .

على حَبَّهَا طَيْرُ المصالح . ويصبح راجي العدل بها وميزانه راجح ، وتَصَدَّق بتوخيها
المنى والمناجح .

فلذلك رسم بالأمر العالي المولوي السلطاني أن يرتب في الحسبة الشريفة بالشام
الحروس ، لأن هذا العقد بجيده ^(١) لائق ، وهذا التاج لا يعوقه عن ^(٢) مفرقه عائق ،
وهذا الميدان لا يجري معه فيه سابق ولا سائق .

فليباشر ذلك مباشرة من هذَّبته العلوم ، وتَدَرَّب بالقواعد الشرعيَّة فاستدلَّ
بالمَنطوق على المفهوم ، وساد بنفسه العصاميَّة ، فكان له من الرياسة سرب ^(٣) معلوم ،
وملك من السياسة ما يعرف ^(٤) به وجه الظالم من المظلوم ، فقد وَلَّينَاك هذه الوظيفة
وأنت ملء قلبها ، وَعَدَّقْنَا ^(٥) أمرها بك ، وأنت أَوْلَى مِنْ قَالِهَا وقال بها . فَتَمَّ تَقْصُّهَا
بكمالك ^(٦) ، ومشَّ الناس فيها على أقوم المسالك . وأَقَمَّ المهابة فإنها تَرعى هؤلاء
الرَّعَاع ، ومالك فيها إلَّا مذهب مالك ^(٧) ، وافعل ما تقتضيه معرفتك من احتكار
ومَنع ، وانخفاض ^(٨) سعر ورَفَع ، وتحرير ما يخرج من دار الضرب من النقود وتصحيح
العيار ، فكم درهم ودينار هو في المَعْدُوم معدود ، وقد يَتَغَطَّى الزين بالرين ^(٩) ويشتبه
الشيء الحسن بالشين ، وضبط ما يمتد فيه باع الذراع ، ويتحرك به لسان الميزان
ويبتلعه قَمَّ الصاع ، ومنع العطارين من بيع العقاقير الغريبة لمن هو مجهول ،

(١) (خ) : « لجيده » .

(٢) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) في الأصل و (خ) : « شرب » ، وأثبتنا ما في (س) ، والسرب هو المسلك والطريق .

(٤) في الأصل : « وما يعرف » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٥) العاذق من يقوم بأمر النحل . وهو يريد هنا المثل المشهور : « أنا جذيها المحكك وعذيها
المرجب » . انظر جمع الأمثال : ٣١/١ .

(٦) في الأصل : « بك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٧) (خ) : « ملك » .

(٨) (س) ، (خ) : « وانخفاض » .

(٩) الرين : الصدا . وقع في الأصل : « الزين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

والأصناف التي لا يلتئم اجتماعها وريعتها بالهلاك مأهول ، وأهم ما عندك خبر الخبز فامتع العيون ببدور رغفانه^(١) ووجوه لَجِين عَجِينِه الذي تتَلَوْنَ^(٢) في النار خدود عقيانه ، وانظر في جليل أمره ودقيقه ، وقف على مبتدأ حَبّه وخَبَرِ دقيقه . وأنتَه إلى غاية^(٣) أمره إذا خرج من النار المسقره ، واقصد العدل كمن^(٤) عمل مُغْدَلَة وسعره ، وغش البواطن فاستعن بالله على إزالته ، وصلاح فسادهِ وإحالاته ، لأن ما أمره مغيب يُتَوَقَّف في أمره ويستتراب ، والداء القاتل أكثر ما يكون من الطعام والشراب . إلى غير ذلك مما يطول شرحه ، ويضيق هذا المقام فلا يتوسع فيه شرحه . وأنت بتفصيل الوصايا جد^(٥) بصير ولو قيل لك قليل كان عندك منه علم كثير .

وتقوى الله تعالى حِلْيَة لكل راع ، وزينة^(٦) لكل فاضل انعقد عليه الإجماع . فلتكن عين جمالك وحاجب جلالك ، والله يوفّق مسعاك . ويحفظك ويرعاك .

والخطّ الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه حجة في ثبوت العمل بمقتضاه . والله الموفق بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

ثم إنّه أقام في الحسبة إلى أن وصل القاضي عماد الدين بن الفرفور على الوظيفة في أوائل سنة إحدى وخمسين^(٧) ، فتوجه ابن إمام المشهد إلى الديار المصرية ، ومعه زوجته الحموية ، وكان قد غرم عليها جملةً إلى أن مات ما يقارب المئتي ألف درهم .

(١) سقطت من الأصل راء « رغفانه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) (س) : « تتكَوْن » .

(٣) (س) : « آخر » .

(٤) (س) : « لمن » .

(٥) في الأصل : « ماجد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٦) (خ) : « وربّية » .

(٧) في الأصول جميعها : خمس وخمسين ، وزاد في (س) : « وسبع مئة » ، ولا يستقيم ذلك ؛ لأن وفاة إمام للشهد كانت سنة (٧٥٣ هـ) ، وأثبتنا ما في البداية والنهاية فإنه ذكر أن القاضي عماد الدين بن الفرفور تولى الحسبة سنة (٧٥١ هـ) .

وأنشد^(١) بدر الدين حسن بن علي الغزي^(٢) فيه ، واشتهر بذلك عنه في الشام

ومصر :

قلت لَمَّا سَارَ البهَاءُ لمصرِ وَسَرَى نَحْوَهَا بعِرسَ ظَريفَةٍ
أنتَ لاشك أنْ تعودَ ولكن لا بهَا يابها ولا بالوظيفه

فتوصل هناك إلى أن وصل للأمير^(٣) سيف الدين شيخو ، وسعى ، وتولّى الوظيفة ثانياً ، ثم أخذت^(٤) منه للقاضي جمال الدين الفاقوسي في أيام الأمير سيف الدين أيتش ، ثم إنّه سعى وأخذها ، ولَمَّا حضر الأمير سيف الدين أرغون الكاملى إلى دمشق أخذها منه وأعطاها للقاضي بدر الدين ابن وهبيّة^(٥) قاضي بعلبك ، فأقام بها قليلاً ، ولم تقض الولاية من مصر وأعيدت إليه .

ولم يزل فيها إلى أن مَرِضَ مرضَةً طويلة قريباً من سنة إلى أن مات في التاريخ . وكان بيده أيضاً خطابة جامع العقبة ..

وأنشدني له إجازة :

وَلَوْلَا مَا أَخَافُ مِنَ الْأَعَادِي وَأَنْ حَدِيثَنَا فِيهِمْ يَسِيرُ
جَنِّتُ بِكُمْ كَمَا مَجْنُونٌ لَيْلَى وَإِنْ طَالَ الْمَدَى فَكَذَا نَصِيرُ

وأنشدني له في ناعورة :

كنت في دوحه الرِّياض مَهْنَا أنهل الطلّ بين تلك الغصُون

(١) في (س) ، (خ) : « وأنشدني » .

(٢) سلفت ترجمته في موضعها .

(٣) (س) : « إلى أن دخل إلى الأمير » .

(٤) في (س) ، (خ) : « ثم إنها أخذت .. » .

(٥) (س) : « وهيب » .

فلنوح الحَمَام فوق طويلاً عَرَقْتَنِي كما تراني عيــــــــــــــــوني^(١)

قلت : تقدّم لي في ترجمة القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، وله عدة مقاطيع في الناعورة ، ومما قلّته أنا فيما يشبه هذا^(٢)

وأشدني ابن إمام المشهد [له]^(٣) إجازة :

أَنْتُمْ بِلَائِي وَأَصْلُ بَلِّيَالِي	وغيركم مَـا يَرّ في بـالي
يَا جِيرة فِي الغوير قد نزلوا	الله من جيرة ونُــــــــــــــــزال
مَاعْطَل الطرف بَعْدَ بَعْدكم	عن دمعته واسألوا عَن الحال
فلو زعمت أَنِّي سَلُوتكم	ويعلم الله أَيُّنا السَّـالي ^(٤)
لا تلتفوا مهجّةً لَمْ خُلقت	فقد نهى عن إضاعة المال

قلت : أحسن ما رأيت في هذه المادّة ، أعني البيت الرابع قولُ السَّراج الوراق رحمه الله تعالى ، ومن خطّه نقلت :

قال صَديقي ولم يَعدني	وعــــــــــــــــارضُ السَّقَم في أثر
لقد تغيّرت يا صديقي	ويَعْلَمُ الله مَنْ تَغَيَّر

١٦٧٦ - محمد بن علي بن أبيبك*

الشيخ المُحدّث الإمام شمس الدين أبو عبد الله السروجي .

عرض القرآن وهو ابن تسع سنين ، وارتحل إلى حلب ودمشق وغيرها من البلاد

(١) (خ) : « عرفتني » . وفي الأصل و (خ) : « العيون » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) كذا بياض في الأصول .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) .

(٤) في (س) ، (خ) : « فلم زعمت » .

* الوافي : ٢٢٥/٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٨٦/١ ، والدرر : ٥٨/٤ ، وذيول العبر : ٢٢٨ ، والنجوم الزاهرة : ١٠٨/١٠ .

الشامية^(١) مرّات ، وأخذ عن الشيخ فتح الدين بن سيّد الناس ومَنْ عاصره مِنْ أسيّاخ العِلْم ، وصار من الحَفَاط ، أَتَقَن المتون وأسماء الرجال وطبقات الناس والوقائع والحوادث ، وضبط الوقّيات والمواليد .

ومال إلى فنّ الأدب ، وحَفِظ من الشعر القديم والمُحَدَث جملةً ، وكتب الطباق^(٢) والأجزاء ، وحصل ما يرويه عن أهل عصره في البلاد التي ارتحل إليها . ولم أر بعد شيخنا الحافظ أبي الفتح مَنْ يقرأ أسرع منه ولا أفصح ، وسألته عن أشياء من تراجم الناس ووفياتهم وأعصارهم وتصانيفهم ، فوجدته حفظة لا يغيب عنه ما حصله ، وهذا الذي رأيته منه في هذه السنّ القريبة كبير على من غلب^(٣) سنّه من كبار العلماء ، ومع ذلك فله ذوق الأدباء وفهم الشعراء ، وخفة روح الظرفاء . وكان قد خرّج لنفسه تسعين حديثاً متباينة الإسناد . قال شيخنا الذهبي : سمعناها^(٤) منه ، ثم إنه كلّمها مئة . وتوفي رحمه الله تعالى مجلب ثامن شهر ربيع الأول سنة أربع وأربعين وسبع ومئة ، ودفن ثاني يوم الجمعة بكرة .

وسألته عن مولده فقال : في ذي الحجة سنة أربع^(٥) عشرة وسبع مئة .

١٦٧٧ - محمد بن علي بن محمد*

ابن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن محمد بن قطرال الأنصاري الخزرجي الحارثي ، القرطبي الأصل ، ثم المراكشي .

(١) (س) والوافي : « من بلاد الشام » .

(٢) في الأصل : « الطبقات » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) في (س) والوافي : « كثير ... علت سنه » .

(٤) في الأصل : « سمعناه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) في ذيول العبر : « سنة خمس عشرة » .

كان رجلاً فاضلاً صالحاً ، له نظم ونثر ، وعنده صلاح وانقطاع وديانة . سمع كثيراً بالمغرب ، ودخل مصر والشام ، وسمع ، وحجَّ غير مرّة ، وجاور .

وتوفي رحمه الله تعالى بمكة برباط الجزري^(١) عند باب إبراهيم عليه السلام في رابع جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة ، غسل ثوبه وطلع إلى سطح الرباط لينشره فوق من أعلاه فمات ، ودفن بباب المَعْلَى .

ومولده سنة خمس وخمسين وست مئة .

١٦٧٨ - محمد بن عليّ بن أبي طالب*

ابن أبي عبد الله ، الشريف شمس الدين بن الشريف علاء الدين الحُسَيْنِي الموسويّ العطار المعروف بالشريف عطوف .

كان يَروِي (صحيح) مُسَلَّم عن المشايخ الاثني عشر . وسمع من جدّه لأمه محمد بن أبي بكر النيسابوري^(٢) ، وسمع من ابن مسامة ، وسمع (جزء الأنصاري) من المشايخ الأربعة والأربعين مجتمعين ، وحدث .

وله إجازات من بغداد سنة إحدى وثلاثين وست مئة . أجازاه ابن القطيعي ، ونصر بن عبد الرزاق ، وابن اللّتي ، وابن روزبة ، وزهره بنت حاضر^(٣) وجماعة . وأجازاه بمصر أبو الخطاب بن دحية^(٤) ، ومرتضى^(٥) ، وابن الصفراوي^(٦) . ومن دمشق ابن الشيرازي ، وابن ماسويه ، والفخر الإريلي ، وابن صباح ، ومكرم .

(١) في الدرر : « الخوزي » .

* الدرر : ٦٦٤ .

(٢) هو محمد بن أبي بكر بن علي الحنفي الفقيه (ت ٦٣٧ هـ) ، الشذرات : ١٨٦/٥ .

(٣) زهرة بنت محمد بن أحمد بن حاضر شيخة صالحة صوفية (ت ٦٣٣ هـ) الشذرات : ١٥٩/٥ .

(٤) عمر بن حسن بن علي (ت ٦٣٣ هـ) ، السير : ٢٨٩/٢٢ .

(٥) مرتضى بن حاتم بن السّلم (ت ٦٣٤ هـ) ، السير : ١١/٢٣ .

(٦) عبد الرحمن بن عبد المجيد (ت ٦٣٦ هـ) ، السير : ٤١/٢٣ .

وتوفي رحمه تعالى بالقاهرة في خامس^(١) جمادى الآخرة^(٢) سنة عشر وسبع مئة .

١٦٧٩ - محمد بن علي بن عبد الكريم *

الشيخ الإمام العلامة ذو الفنون أفضى القضاة ، فخر الدين ، أبو الفضائل وأبو عبد الله المصري الشافعي الأشعري المعروف بابن كاتب قطلوبك . تقدّم ذكر والده في مكانه .

قرأ القرآن على جماعة منهم الشيخ موسى العجمي . وقرأ العربية والفقه أولاً على الشيخ كمال الدين بن قاضي شهبه ، ثم قرأ الفقه على الشيخ برهان الدين ابن الشيخ تاج الدين ، وقرأ بقيّة العلوم على الشيخ كمال الدين بن الزملاكي ، وهو أكثرهم إفادة له ، وكان معجباً به وبذهنه وبحافظته ، يشير إليه في المحافل والدروس وينوّه بقدره ويثني عليه ، ونزل له عن تدريس العادليّة الصغيرة . وقرأ على الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، وبحث على الشيخ مجد الدين التونسي ، وعلى الشيخ نجم الدين القحفازي . كتاب^(٣) (المُقَرَّب) في النحو ، وحفظ (الجُزُولِيَّة) ، وبحث [منها]^(٤) جانباً على شيخنا نجم الدين الخطيب وقرأ الجست على النعمان^(٥) ، والمنطق على جماعة أشهرهم الشيخ رضي الدين المنطقي ، وعلى الشيخ علاء الدين القونوي بمصر . وحفظ (التنبيه) و (المنتخب) في أصول الفقه ، وحفظ (مختصر) ابن الحاجب في مدّة

(١) (س) : « حادي » .

(٢) في الدرر : « جمادى الأولى » .

* الوافي : ٢٢٦/٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٩٩/١ ، والذيل التام : ١١٥ ، والدرر : ٥١/٤ ، والدارس : ١٨٤/١ ، ٢٧٩ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥٠/١٠ ، وفيه : « محمد بن علي بن إبراهيم بن عبد الكريم » وذيل العبر : ٢٨٣ .

(٣) في الأصل و (خ) : « وكتاب » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .

(٥) هو النعمان بن دولات ، فاق في المعقولات ، وستأتي ترجمته في موضعها ، وعبارة الدارس عن الصفدي

في الوافي : « وقرأ الحساب ... » .

تسعة عشر يوماً ، وهذا أمر عجيب باهرّ إلى الغاية ، فإنَّ ألفاظ (المختصر) غَلَقَة عقدة ما يَرْتَسِم معناها في الذهن ليساعد على الحفظ ، وحفظ (المحصل) في أصول [الدين] ^(١) وهو قريب من ألفاظ (المختصر) وحفظ (المنتقى) في الأحكام ، وقال : أحفظ منه في كل يوم خمس مئة سطر . وشرع في حفظ أشياء لم تكمل مثل (مطلع النيرين) ^(٢) و (المنهاج) للنووي ، و (تصريف) ابن الحاجب .

وأذن له بالإفتاء وعمره ست وعشرون سنة ، وولي تدريس العادليّة الصغيرة في سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وفيها أذن له بالإفتاء ، ولما توفي شيخنا ^(٣) الشيخ [برهان الدين ابن الشيخ] ^(٤) تاج الدين جلس بعده بالجامع الأموي وحلقة ^(٥) الإشغال في المذهب عند الرخامة ، وتآدب مع شيخه ، فأخلى مكانه وجلس إلى جانب منها .

وأنشدني شيخنا العلامة مفتي الإسلام وشيخهم قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى يذكر أول من جلس إلى هذه الرخامة إلى ^(٦) آخر وقت من المصّدرين . للإشغال ، ومن خطه نقلت وهو :

الجامع المَعْمُورُ فيه رِخَامَة	يَأُوي لها مَنْ للفضائل يَطْلُبُ
الشيخ فخر الدين ابن عَسَاكر	والشيخ عز الدين عنه يَنْسَبُ
والشيخ تاج الدين نجل فزارَة	عنه تلقاها يَفِيدُ ويدأب
ثم اثبته أكرمُ به مِنْ سَيِّدٍ	وَرَعَ له كل المناير تَخْطُبُ ^(٧)

(١) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .

(٢) في الحديث ، الكشف : ١٧٢١/٢ .

(٣) في الأصل : « تولى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي . وفي (س) : « توفي شيخه » .

(٤) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .

(٥) (س) : « في حلقة » .

(٦) (س) ، (خ) : « و إلى » .

(٧) (خ) : « المناصب » ، و (س) : « المناسب » .

وتلاه فخر الدين وَاحِدٍ مُضْرَهُ بِذَكَائِهِ كَالنَّارِ حِينَ تَلْهَبُ
وابني يليهم زادهم رَبَّ السَّمَا علماً وفهماً ليس فيه يُنْصَبُ^(١)

وأقدم من سمع عليه الحديث هدية بنت عسكر ، وأحمد بن مشرف .

وحجَّ إلى أن مات تسع^(٢) حجات فيما أظن أو ثمانية ، وجاور في بعضها مرّات بمكة
والمدينة .

وكان رحمه الله تعالى في الذكاء والحفظ أعجوبه ، لم يكن في زمانه من يلحق
أسلوبه ، قد صار الفقه والأصول له طباعاً ، وتقل فروع المذهب هَوًى مطبوعاً ، متى
دعاه لبّاه وجاءه مسرعاً ولا يأباه ، فلو رآه أبو ثور^(٣) لزم التسلسل في التعجب^(٤) أو
الدور ، وما قال بتقديم الوصيّة على الدّين ، وهو في المذهب أغرب من بياض غراب
البين ، أو الزعفراني لخلق ثيابه بها فرحاً ، وفتح دربه ببغداد مَرَحاً ، أو عاصره المَزَنِي
لغرق في قطره وتحقق أنّ الفخر لمصره ، أو ابن سُرَيْج لعلم أنه لم يكن من خيل^(٥) هذه
الحلّة ، ووصى للماوردي أن يكون صاحب الشّناء عليه ونَبّه^(٦) . وما أحقّه بقول
الأرجاني :

عَبَّرْتَ فِي غَرَرِ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا فِي الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْفَضَائِلِ وَالْعُلَا
وَسَبَقْتَهُمْ وَلَرَبَّ آخِرِ حَلْبَلَةٍ بَسَطَ الْعَنَانَ لَهُ فَصَارَ الْأَوَّلَا

وكان يَتَجَرَّ وَيَقْتَنِي الْأَصْنَافَ وَيَدْخُرُ إِلَى أَنْ تُورَ نِعْمَةُ طَائِلِهِ ، وَحَصَلَ جَمَلَةُ
هَائِلِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخْرِجُ الزَّكَاةَ . أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ مَنْ صَدَقْتَهُ لَمَّا حَكَاهُ .

(١) في الأصل : « وابني عليهم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) في الوافي : « سبع » .

(٣) إبراهيم بن خالد الكلبي مفتي العراق (ت ٢٤٠ هـ) ، السير : ٧٢/٢ .

(٤) (س) : « في التعجب منه » .

(٥) ليست في (س) ، (خ) .

(٦) في الأصل : « بعده » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

ولم يزل على حاله إلى أن نَزَلَتْ بشعاب حياته شعوب ، ولبست الدنيا من الأصيل عليه ثوبَ شحوب^(١) .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد سادس عشر^(٢) ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، وصَلَّى عليه الظهر بالجامع الأموي ، ودفن في مقابر الباب الصغير ، وكانت جنازته حافلة . وتوفي بدمشق في داره بالعادية الصغيرة بعد مرضة طويلة عوفي منها ثم انتكس .

وسألتُه عَنْ مولده فقال : في سنة إحدى وتسعين^(٣) وست مئة^(٤) .

واجتمعتُ به غير مرة . وكان ظريفاً ولطيفاً ، وكان قد حج بعض حجاته وجاور ، ولما حضرَ كتبتُ له توقيعاً بإعادة نظر الدولعية وتدريسها إليه ، وهو :
« رُسِمَ بالأمر العالي أعلاه تعالى^(٥) ، لا زال يرتفع به العلم الشريف إلى فخره ، ويعيده إلى خير خبر تُقبس الفوائد من نُوره وتُعتَرَف من بحره ويجمل الزمان بمن^(٦) هو عَلمُ عصره وفخرُ مصره أن يعاد المجلس العالي القضائي الشيخي الفخري إلى كذا وكذا ، وضِعاً للشئ في مَحَلِّه ، ورفعاً للوبل على طَلِّه ، ودفعاً لسيف النظر^(٧) إلى يَدِهي مألَف هزِه وسلَّه ، ومنعاً لشُعْب مكة أن ينزله غَيْرُ أَهْلِه^(٨) ، إذ هو لأصحاب الشافعي رضي الله عنه حجَّه ، ولَبَّخِرَ مذهبه الزاخر لَجَّه ، ولأهل فضله الذين يقطعون مفاوِزَه بالسرى صبح وبالمسير مَحَجَّه ، طالما ناظر الأقران فَعَدَّهم ، وجادل الخصوم في حومة

(١) (س) : « الشحوب » .

(٢) (س) : « عشري » .

(٣) (س) : « وسبعين » تحريف .

(٤) زاد في (س) : بظاهر القاهرة في الحياتية ، وفي الوافي : « الحياتية » ، وخرج من القاهرة أول سنة اثنتين وسبع مئة .

(٥) قوله : « أعلاه الله تعالى » ، ليس في الوافي .

(٦) عبارة الوافي : « ويجمل الزمان بولائه من هو » .

(٧) (خ) : « القطر » ، تحريف .

(٨) يشير إلى القول المشهور : « أهل مكة أدرى بشعابها » .

البحث فجدهم وجدّهم . كم قطع الشبهات بحجج لا يعرفها السيف^(١) ، وأتى بوجه مارأى الروياني أحلى منه في أحلام الطيف ، ودخل^(٢) باب علم فتحه القفال لطالب (نهاية المطلب)^(٣) التبري ، وارتوى من معين وردّ عين حياته الحضري^(٤) . وتبسّك بفروع صحّ سبّكها فقال ابن الحداد^(٥) : هذا هو الذهب^(٦) المصري ، وأوضح المغالط بما نسّف به جبال النسفي ، وروى أقوال أصحاب المذهب بحافظة يمتناها الحافظ السلفي .

كم جاور بين زمزم والمقام ، وألقى عصا سفره لما رحل الحجيج وأقام ، وكم طاب له القرار بطيبيه . وعطّر بالإذخر والجليل^(٧) ردّنه وحبيته . وكم استروح بظل نخلها والسّمّرات^(٨) . وتعلّى بمشاهدة الحجرة^(٩) الشريفة ، وغيره يسّفع على قرب تربها العبرات ، وكم كتب له بالوصول^(١٠) وصول ، وبث شكواه فلم يكن بينه وبين الرسول رسول ، لا جرم إنّه عاد وقد زاد وقارا ، وآب بعد ما غاب ليلاً فتوضّح شيبه نهارا .

فليباشر ما فوّض إليه جرياً على ما أُلّف من إفادته ، وعهد من رياسته لهذا العصاة وسيادته ، وعرف من زيادة يومه على أمسه ، فكانت كنيل بلاده ، لا^(١١) يتعجب من

(١) (خ) : « للسيف » ، والمراد : السيف الأمدي .

(٢) في الأصل : « ودخل على » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٣) نهاية المطلب في دراية المذهب للجويني (ت ٤٢٨ هـ) في الفقه الشافعي . الكشف ١٩٩٠/٢ .

(٤) في الأصل : « الحضري » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وفي مطبوعة الدارس عن الوافي : « الحضرمي » .

(٥) محمد بن أحمد بن محمد بن الحداد الشافعي (ت ٣٤٤ هـ) ، السير : ٤٤٥/١٥ .

(٦) في الأصل : « المذهب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٧) الإذخر : حشيش طيب الريح . والجليل : الثام .

(٨) في الأصل : « السرات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٩) في الأصل : « قرب الحجرة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(١٠) في الوافي : « بالوصول » .

(١١) (س) ، (خ) والوافي : « ولا » .

زيادته ، حتى يحیی بدرسه ما درس ، ويشر^(١) عود الفروع ، فهو الذي أنبتة بهذه المدرسة وغرس ، مجتهداً في نظر وقفها ، معتبداً على تتبع ورقات حسابها وصحفها ، عاملاً بشروط الواقف فيما شرط ، قابضاً ما قبضه باسطاً^(٢) ما بسط ، وتقوى الله جنة يرتع فيها خاطره ، ويسرح في رياضها الناضرة ناظره . ومثله لا يتبّه عليها . ولا يوماً^(٣) له بالإشارات إليها ، فلا يتنزع ما لبس^(٤) من حلاها ، ولا يسر في مهمه فهم إلا بسناها . والله يديم فوائده لأهل العلم الشريف ، ويجدد له سعداً يشكر منه التالذ والطريف .

والخط الكريم أعلاه حجة بثبوت مقتضاه^(٥) ، إن شاء الله تعالى .

وكان قاضي القضاة جلال الدين القزويني قد استنابه واستناب جمال الدين يوسف بن جملة ، واستمرّا على ذلك ، ولما جاء القاضي علاء الدين القونوي بأشر النيابة في أيامه ، ثم إنّ القاضي فخر الدين استعفى في شهر شوال سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، وكان يعتكف في بعض السنين في شهر رمضان بقصورة الخطابة رحمه الله تعالى .

١٦٨٠ - محمد بن علي بن محمود*

ابن الدقوقي البغدادي المعمر .

توفي رحمه الله تعالى ببغداد في سنة أربعين وسبع مئة عن خمس وسبعين سنة .

سمع من ابن أبي الدينة (مسند) الإمام أحمد ، وحدث عن أبي محمد بن ورخز .

(١) (خ) : « ويتم » .

(٢) (س) ، (خ) والوافي : « وباسطاً » .

(٣) في الأصل : « ولا ما يوماً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٤) في الوافي : « لبسه » .

(٥) في الوافي : « حجة بمقتضاه » .

* الدرر : ٩٠/٤ ، وذيول المبر : ٢٢٢ ، وفيه وفاته (٤٧١ هـ) .

١٦٨١ - محمد بن علي بن حرّمي*

الشيخ الإمام الفاضل الفَرَضِي المحدث عماد الدين أبو عبد الله الدميّاطي .

سمع من الدميّاطي ، والأبرقوهي ، وبنّت الإسعدي وطائفة بمصر ، وبدمشق^(١) من الموازيني ، وابن مشرف . وسمع بقراءتي (المقامات الحريريّة) وغيرها على شيخنا العلامة أثير الدين ، وعلّق غني أشياء .

وكان حلو المحدث ، كثير التودّد ، غزير الحاسن ، وله خصوصيّة زائدة عن الحدّ بقاضي القضاة عز الدين بن جماعة ، وليّ مشيخة الكاملية .

وتوفي رحمه الله تعالى في سابع جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وسبع مئة بطاعون

مصر .

١٦٨٢ - محمد بن علي بن أحمد**

ابن عبد الواحد بن أحمد ، الشيخ شمس الدين أبو عبد الله ، ابن الشيخ الإمام المسند فخر الدين أبي الحسن الصالح الحنبلي ، المعروف بابن البخاري .

سمع من إبراهيم بن خليل ، وعبد الله الخشوعي^(٢) ، وعليّ بن إسماعيل بن إبراهيم بن طلحة المقدسي^(٣) ، وابن عبد الدائم ، وغيرهم .

وأجاز له جماعة من بغداد منهم إبراهيم الرعيني^(٤) ، ومحمد بن الحصري^(٥) وهما من

* الوافي : ٢٢٨/٤ ، وفيات ابن رافع : ٢٦٠/١ ، والدرر : ٦٠/٤ .

(١) في الأصل : « ودمشق » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

** الدرر : ٥٥/٤ .

(٢) (س) : « ابن الخشوعي » .

(٣) (ت ٦٦١ هـ) ، الشذرات : ٣٠٦/٥ .

(٤) إبراهيم بن عبد العزيز (ت ٦٨٧ هـ) ، النجوم : ٣٧٨/٧ .

(٥) في الدرر : « محمد بن نصر الحصري » .

أصحاب ابن شاتيل . وسافر إلى العراق بسبب الأسرى ، وحدث بدمشق والقاهرة ، وكان شيخ الحديث بالمدرسة الضيائية ، ولها بعد موت سعد الدين سعد ، وخرج له ابن المُنحِب جزءاً من عواليه فيه خمسة عشر شيخاً بالسماع .

وكان فيه همة وشجاعة وقوة نفس وكرم ، وعنده عبادة وقيام ليل .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس عشر ذي القعدة سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وخمسين وست مئة .

١٦٨٣ - محمد بن علي بن أبي القاسم *

المقرئ الإمام الكبير ، بَقِيَّةُ السَّلَف ، أبو عبد الله الموصلي الحنبلي ابن خروف ، ويعرف بابن الوَرَّاق .

ارتحل إلى بغداد في طلب العلم سنة اثنتين وستين وست مئة ، وتلا بعدة كتب على الشيخ عبد الصمد ، وسمع من جماعة ، وقرأ كتباً كباراً ، وقرأ (تفسير الكواشي) على المصنّف و (جامع أبي عيسى) ^(١) على ابن العجمي ^(٢) .

قال شيخنا الذهبي : قدم علينا وسمعنا منه ..

وتوفي رحمه الله تعالى بالموصل في جمادى الأولى سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة أربعين وست مئة .

١٦٨٤ - محمد بن علي بن مخلوف بن ناهض **

قاضي القضاة محي الدين ابن قاضي القضاة زين الدين المالكي .

* الوافي : ٢٢٩/٤ ، والدرر : ٧٧/٤ ، وغاية النهاية : ٢٧٠/٢ .

(١) محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، الكشف : ٥٥٩/١ .

(٢) في الدرر : « محمد بن مسعود العجمي » .

** الدرر : ٩٠/٤ .

كان مشكورَ السيرة عاقلاً دَيِّناً كثيرَ السكون ، يفضلُه الناس على والده ، وناب عن والده مُدَّةً في الحكم .

وتوفي رحمه الله تعالى حادي^(١) عشر ذي الحجة سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وكان من أبناء الأربعين . وقد تقدم ذكر والده .

١٦٨٥ - محمد بن علي *

الكاظم المَجْدُود البارع أمين الدين ابن المهتار الصفدي ، كانت يُعْرَف عند بعض الناس بدرويش ، بفتح الدال المهملة وسكون الراء وكسر الواو وبعدها ياء آخر الحروف ساكنة ، وشين معجمة .

كتب المنسوب الفائق ، وأبرزه للعيون في المنظر اللائق الرائق^(٢) ، ووضع سطره في طروسه فحكى نظرات الأحداق ونضارة الحدايق ، وفاق كُتَّابَ العصر^(٤) ، إلا أنَّ خطَّه كان لِحَظَّه من أكبر العوائق ، لم أر ولا غيري مثل الصِّفاء الذي كان في خطِّه في سائر الأقلام ، والقوة التي يشهد بها أرباب العلوم والأعلام ، والتحرير^(٥) الذي لم تشاهد العيون مثله في اليقظة والأحلام^(٦) ، فيالها من كتابة :

ذَهَبَتْ كما ذهبَتْ بِسَاطِعِ نَوْرِهَا شمسُ النَّهَارِ وَأَعْقَبَ الإِظْلَامَ

مولدُه تقريباً في سنة سبع وسبع مئة .

وأظنَّ وفاته كانت بالقاهرة في طاعون مصر ، سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

(١) (س) : « في حادي » .

* الدرر : ٩٠/٤ .

(٢) ليست في (س) .

(٣) في الأصل : « الفائق » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٤) (س) ، (خ) : « عصره » .

(٥) (خ) : « والتحرير » .

(٦) (س) : « ولا أحلى في الأحلام » .

وكان والده ركائباً^(١) عند الأمير علاء الدين أقطوان أمير حاجب بصفد ، ونشأ هو بصفد ويده قابلة يكتب خطاً قوياً إلى الغاية ، لكن خطّه غير منسوب ، فنزل إلى دِمَشق ، ونزل عند الشيخ العلامة كمال الدين بن الزملاكي بَوَّاباً في المدرسة الرواحية ، فحنا عليه لحسن كتابته .

وكتب على الأشياخ المجوّدين ، ومهر ، ثم عاد إلى صفد ، وأقام قليلاً ، ثم توجه إلى بغداد ، وكتب هناك على طريقة ياقوت المستعصي ، وجوّد النسخ الفُضّاح ، ثم إنّه دخل إلى الهند ولبس زيّ الفقراء ، وجاء إلى الين ، ثمّ قدم إلى القاهرة ، فرأيتّه بها في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ثمّ عدت رأيتّه بها في سنة ست وثلاثين إلى سنة تسع وثلاثين . وقد اتّصل بالقاضي الرئيس ضياء الدين بن الخطيب ، وقد أحبه وحنا عليه وجعله نائبه في الفروع من الحسبة ، ثمّ^(٢) إني رأيتّه بدمشق سنة ست وأربعين وسبع مئة ، وعاد منها إلى الديار المصرية ، وكان ذلك آخر عهدي به .

وكان ينظم متوسّطاً ، إلّا أنّه كان مُنحرفَ المزاج ، في أخلاقه زعارة ، وعنده طيش ، وفيه سلس^(٣) ، فكان ذلك سببَ تأخيره وعدم تقدّمه .

كتب إليّ في أول شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبع مئة وأنا بالقاهرة :

تصوم بخير في سُرور وغبطةٍ	وضدك في عكس القضية خامل ^(٤)
وحكمك ماض في البرية نافذ	وأمرك في أقصى الأقاليم واصل ^(٥)
لأنّ صلاح الدين أفضل منْ وشي	وأنشأ إذا التفت عليه المحافل

(١) في الأصل : « ركائباً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) (س) : « نائبه في بعض فروع ثم ... » .

(٣) فيه سلس أي : « جنون » .

(٤) (خ) : « وصدك » ، تصحيف .

(٥) في الأصل : « في القضية » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وكننت قد كتبت إلى القاضي علاء الدين بن فضل الله صاحب ديوان الإنشاء
الشريف قصيدة على وزن قصيدة ابن بابك^(١) التي أولها :

عَلَّقْتَهُ أَسْوَدَ الْعَيْنِينَ وَالشَّعْرَةَ

ولهج بها المصريون ، ونظم جماعة كثيرة^(٢) على وزنها ، فكتب هو إليّ في ذلك
الوزن ، والجميع هو في الجزء الرابع والعشرين^(٣) من (التذكرة) :

سَرَتْ نَسِيمَ الصَّبَا فِي رَوْضَةِ حَبْرِهِ	فَرَنْحَتْنَا بِأَنْفَاسٍ لَهَا عَطَرُهُ
وَعَثَّتِ الْوُرُوقُ فِي الْأَغْصَانِ مِنْ طَرَبٍ	عَلَى رِيَاضِ بَيَانَاتِ الْحَمَى عَطَرُهُ
وَزَمْجَرُ الرَّعْدِ فِي أَكْنَافِ سَارِيَةٍ	وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ عَايِنًا إِذَا مَطَرُهُ
وَصَفَقَ الْمَاءُ فِي الْغَدْرَانِ مِنْ فَرْحٍ	وَالْغَصْنُ أَهْدَى لَنَا بِأَصَاحِبِي ثَمَرَهُ
وَنَحْنُ فِي مَجْلَسِ اللَّذَاتِ نَكْرَعُهَا	مِنْ كُلِّ صَافِيَةٍ صَفَاءً مَعْتَصَرَهُ
وَنَغْمَةُ الشَّيْزِ فِي رَاحَاتِ غَانِيَةٍ	أَغْنَتْ بِمِسْمَهِا عَنْ أَنْ تَرَى قَمَرَهُ ^(٤)
وَحُسْنُ سَاقٍ سَقَى صَرْفًا فَأَسْكُرْنِي	فَا رَأَيْتُ لَهُ عَيْنًا وَلَا أَثَرَهُ
دَعْ عَنْكَ ذَلِكَ وَانْظُرْ فِي فُضَائِلِهِ	وَأَفْتُ وَحَقِّكَ فِي الْمَنْظُومِ مَنْتَرَهُ ^(٥)
صَلَّاحَ دِيْوَانِ إِنْشَاءِ الشَّامِ بِهِ	فَمَا عَلَى الْحَقِّ مَا مَحْمُودٌ مِنْ غَبْرِهِ
قَدَمْتَهُ وَفَقَ آيَاتٍ نَظَرْتُ لَهَا	فَمَا تَلَعَّمْتُ أَنْ وَافَيْتُ بِالْعَشْرِ

وكتب إليّ كثيراً ، وهذا القدر يكفي من أنموذجه .

(١) عبد الصمد بن منصور (ت ٤١٠ هـ) ، وفيات الأعيان : ١٦٦/٣ .

(٢) في الأصل : « كثير » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « والعشرون » .

(٤) في الأصل : « من أن نرى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٥) وقع البيت في (س) ، (خ) بلفظ :

..... وانظر فضل من وردت منه الفضائل في المنظوم منتثرة

١٦٨٦ - محمد بن علي بن حسن *

الأمير ناصر الدين ابن الأمير علاء الدين بن المرواني .

كان هذا الأمير ناصر الدين أحد أمراء العشرات ، ولما كان والده والي القاهرة^(١) كان هو والي مصر ، ولما تُوَفِّي والده وتوفي السلطان الملك الناصر محمد حضر هو إلى الشام ، وتعمَّس ، وتوجَّه إلى حلب ، ثم إنه عاد مع الأمير يلبغا^(٢) اليحيوي لما حضر إلى دمشق نائباً ، فولَّاه برِّ دِمَشْق ، وأقام به مدَّة ، ثم انفصل وبقي بطَّالاً مدَّة .

ثم إنه تولى بيروت وأقام به^(٣) مدَّة ، ثمَّ إنه حَضَرَ إلى دمشق وأقام مُدَيِّدَةً .

وتوفي رحمه الله تعالى^(٤) ، وكان فيه حشمة وخدمة للناس ورعاية وتودد^(٥) ، وتولى ولاية المدينة بدمشق أيضاً وكانت وفاته في^(٥)

١٦٨٧ - مُحَمَّد بن علي بن محمد **

الفاضل الأديب المُنَجِّم شمس الدين أبو عبد الله ، المصري مَوْلِداً الغزي مُنشأً ، المعروف بابن أبي طرطور .

أقام بغَزَّة مدَّة ، وكابد فيها من الأقلال شِدَّة . ووَرَدَ إلى دمشق وسكَّنَها ، وأزاح بأدابه لَكَنَها . وكان يجتمع بالصاحب شمس الدين وبناصر الدين الدوادار . وكَلَّفَ به

* الدرر : ٦٣/٤ .

(١) في الأصل : « العشرة » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) (س) : « سيف الدين يلبغا » .

(٣) وقع بعد هذه الكلمة بياض في (س) بمقدار سطر .

(٤) هنا تنتهي الترجمة في (س) .

(٥) كذا في الأصل ، وفي الدرر أنَّ وفاته بعد الحسين وسبع مئة .

** الوافي : ٢٢٣/٤ ، والدرر : ٨٨/٤ .

(٦) اللكن : العجمة .

ناصر الدين ، لأنه على مثله طَوَّفَ وسَعَى ودار . وامتزج برؤساء [الشام] ^(١) ،
حَصَلَ على مراده لما انتجع بَرَقَهم وشام ، ثم توجَّه إلى حماة أيام الملك الأفضل ، فسانه
وَحَمَاه .

وأنزله من جودِه الغامر في رُبعِه العامر ^(٢) وَحَمَاه ، فأجْرَى عليه راتباً يكفيه ، ولم
يدع نوعاً من البرِّ إلّا ويجزُلُ ^(٣) قِسْمَه منه ويوفيه . فَتَخَيَّرَهَا مقاماً ، وشفى من داء
فقره سقاماً . وعَرَّدَ بدياحه لما أصبح بإحسانه وهو مُطَوَّق ، وناضل الفقر بسهامه
فأصاب مَقَاتِلَه لما سَدَّهَا إليه وفَوْق . ولما مات الأفضل رحمه الله تعالى لم يتخذ غَيْرَ
حماة سَكَنًا ، وأَلِفَهُ أَهْلُهَا وأَلْفَهُمْ ، فصَرَّحَ بشكرهم وكَنَى .

وكان يعرف النِّجامة ، ويقول لمن سأله منها النِّجَامَه ؟ ويعرف ما يتعلق
بالإسطرلاب ، ويتكلم على ما فيه من بروج الاستواء والاقبال ، وكتب الخط الفائق
ورقاً ^(٤) فيه درجاً ، يعزّ على غيره أن ينال ما فيها من الدقائق . ونَظَّمَ فنونا من الشعر
وغيره . وأمال الأعطاف بأسجاع طَيْرِه .

ولم يزل على حاله بحماة إلى أن أصابه الحِجَامُ بسهمٍ رماه ، فأصبح الغزّي مَغْرُؤًا ،
ووجوده إلى العدم مَغْرُؤًا ^(٥) .

وتوفي رحمه الله تعالى في العُشْر الأواخر من ذي القعدة في سابع عشره سنة إحدى
وستين وسبع مئة .

ومولده في سنة خمس وثمانين وست مئة .

(١) زيادة من (س) ، (خ) .

(٢) ليست في (س) .

(٣) (س) : « ويجزُل » .

(٤) في الأصل : « ورقاً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « مغرؤ ، مغرؤ » وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

ووجد في بيته بخان الخطيب بحاة ، وهو سكنه ، ميتا بعد ثلاثة أيام وهو جالس ، ووجد له خمسة وسبعون ديناراً مصريّة هرجة ، وثلاث مئة درهم ، وقماش بدنه يبيع بخمس مئة درهم ، وكتبه مجلدات بيعت بست مئة درهم .

واجتمعت به غير مرة بالقاهرة ودمشق وصفد وحاة ، وكان خفيفاً على القلوب حسن العشرة ، كثير النادرة ، حلو التديب ، قد برته الأيام في صحة الناس ومخالطة الأكياس . وكان حسن الشكل ظريف الملبس يتأق في مأكله ومشاربه ، ولكنه ما كان يجلس في بيته إلا وحوله عفاش كثير من الزبادي والأواني ، وكان يطبخ قدامه ، فلهذا كان كثير العفاش . وأما محاضراته فلا تملّ ، وكانت له بديهة عظيمة وعنده جرأة وقوة عين زائدة ، مع النظم الحلو والكتابة الحسنة ^(١) . وما أحقه بقول ^(٢) الشريف الرضي في ابن حجاج رحمهم الله تعالى أجمعين وهي :

وما كنت أحسب أن الزمّا ن يغفل مضارب ذاك اللسان
ليبك الزمان طويلاً علي لك فقد كنت خفة روح الزمان

أنشدته لنفسه بصفد سنة أربع وثلاثين وسبع مئة :

يا حسنه رشاً تحلّى الليث عن وثباته وثباته في حربيه
تروي السقام جفونه عن خضره عن عهده وعن الصبا عن صبه
فأنشدني هو رحمه الله تعالى لنفسه :

بأي غزال غزل هذب جفونه يكسو الضنا صبا أذيب بصدّه
يروى حديث السقم جسم محبّه عن جفنه عن خضره عن عهده

(١) قوله : « وكان حسن الشكل » حتى ههنا ، ليس في (س) .

(٢) (س) ، (خ) : « بمريّة » .

وأنشدني هو لنفسه رحمه الله تعالى في التاريخ :

مرّ في الفستقيّ يجلو عليّنا طلعة حلوة الرضاب شهيه
قلتُ: مَنْ للفقير لوداق في السط لمة من ذي الحلاوة الفستقيّه
فأنشدته أنا لنفسي :

في فستقيّ اللّون لما بدا عيس مثل الغصن المورق
مَنْ وقد مرّ على صبه وما ألدّ المنّ بالفستقي
وأنشدته أيضاً لنفسي :

لما بدا في الفستقيّ معذبي ناديت مِنْ وَجدي وفَرط تحرقبي
كانت لوجهك في الفؤاد حلاوة كملت لذتها بهذا الفستقي
وأنشدته أنا لنفسي أيضاً :

لاتقيسوا إلى الحامة حزني إنّ فضلي تَذري به العشاق^(١)
أنا أُملي الغرام عن ظهر قلبٍ وهي تملّ وحوّلها الأوراق
فأنشدني هو لنفسه رحمه الله تعالى :

أتشكى مع البعاد إليكم برقيق العتاب فرط اشتياقي
وكأنّي الورقاء من فرقة الإل ف تلّهت بالسجع في الأوراق

وكتب هو إليّ وقد قدّمتُ إلى حماة لتلقي النائب الجديد لحلب في المحرم سنة

ستين وسبع مئة :

ملكة الشهباء على الشهب علّت فاستبشرت بالخير والفلاح
لما شكت سرّاً فسّاد حالها أعانها السلطان بالصلاح

(١) (س) : « حزناً » .

يقبل الأرض التي ابتهلت أول أمرها بعلو قدرها ، وابتهجت في سرّها بمقدم كاتب^(١) سرّها ، فله دُرّها دولة اقتضت آراؤها الشريفة لمملكتها^(٢) الحلبية بمن صانها وزانها ، وارتضت آلاؤها المنيفة من أصلح شأنها الذي شأنها ، فجانست أوامرّها العالية بين مقام أعلم خليل ، وبين مقام أكرم خليل ، وآنسته رَشداً بتقدم^(٣) فاضل زمانه ، وإن كان اللائق بالتقديم والتفضيل ، فأقرت عيناً بأيات^(٤) الفضائل السجّية الصلاحية ، وأقرّت وألقت في ساحتها من ساعتها عصاها واستقرّت^(٥) ، ومدّت وارِفَ ظلّها عليها الرياسة والسيادة فإساءت حين سرّت . وينهي أن المملوك ممن سرّته هذه البشرى التي ردت شوارد الأدب بعد مفرّها إلى مقرّها ، وأسبغت ظلّالها على سر الصناعتين بعد هجير هجرها ، فلقد دلت على الهدى ، وجلّت صداً الصدا بأنوارها وأنوائها^(٦) ، وجلّت في حلّة المعالي على أبلقها وشقرائها بشهبائها ، فله الحمد على منة لا ترد إلا منة ، وله الشكر على نعمة لا تصد إلا عنه .

زِنْتُمْ رَغْمَ الحَسود محلّها كنتم أحقّ بها وكنتم أهلّها

والقصد أن مولانا يعفّي خطأها وخطلّها ، ويسامح مجلّمه جهلّها ، ويسبل عليها ستر معروفه لأنّه مالك الحلّ والعقد ، وإليه مرجع النقل والنقد ، لا زال جابراً بقبوله وإقباله ، ساتراً بخلاله الكريمة ما خفي عن المملوك من إخلاله بمحمد وآله إن شاء الله تعالى .

(١) (س) : « كتاب » .

(٢) (خ) : « بمملكتها » .

(٣) في (س) : « وآنست رَشداً بتقديم » .

(٤) (س) : « بإيات » .

(٥) يشير إلى قول معقر بن حمار :

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى كما قرّ عيناً بالإياب المسافر

اللسان (عصا) (نوى) .

(٦) في الأصل : « وأنوائها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

١٦٨٨ - محمد بن علي بن عبد الواحد*

ابن يحيى بن عبد الرحيم ، الشيخ الإمام العالم الفاضل المُفسّر المحدث شمس الدين أبو أمانة الدُّكالي ، بالبدال المهملة المضمومة وكاف بعدها ألف ولام وياء النسبة ، ودُّكَال : قُلْعَة بِالْمَغْرِب^(١) ، المعروف بابن النقاش .

كان شكلاً حَسَنًا ، راقَ سنَاءً وسنا ، حلو الصورة والشكالة ، يريح بمحاضرتِه أَلَمَ مَنْ شكا له ، يستحضر من التفسير كثيراً ، ويحل من غرائبِه محلاً أثيراً . وكانت طريقه^(٢) في التفسير غريبة ، يأتي^(٣) فيها بكلّ عجيبة ، ما رأيت له في ذلك نظيراً ، ولا توهمت أن غيره من أبناء جنسه^(٤) يكون على ما يأتي به قديراً . حصّل من الدنيا جانباً ، وأكبّ على السعي فيها فما كلّ اجتهداه^(٥) ولا نبا . وكان يدخل إلى الملك الناصر حسن ، وقادّة [الله]^(٦) إليه بغير رسن ، وعمل على شيخه قطب الدين الهرمّاس^(٧) ، فأبعده عنه حتى كأنّه ما خطر بين يديه ولا ماس^(٨) . وكان يصحب أمراء الدولة ، حتى صار له في كل جَوْ جَوْلَة . فنال^(٩) مرامه وتعدى أقرانه ، وتجاوز الغاية في علو المكانة .

* وفيات ابن رافع : ٣٧٤/١ ، والبداية والنهاية : ٢٩٢/١٤ ، والدرر : ٧١/٤ ، والبغية : ١٨٣/١ ، والبدر

الطالع : ٢١١/٢ ، وبدائع الزهور : ٥٨٩/١/١ ، والشذرات : ١٩٨/٦ ، والنجوم الزاهرة : ١٣/١١ .

(١) الذي في معجم البلدان أن : « دكالة » بفتح أوله ، وتشديد ثانيه : بلدٌ بالمغرب يسكنه البربر .

(٢) في الدرر : « طريقته » .

(٣) (س) : « ويأتي » .

(٤) قوله : « من أبناء جنسه » ليس في (س) .

(٥) في الأصل : « اجتهداه فيها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٦) زيادة من (س) ، (خ) .

(٧) هو محمد بن محمود بن هرماس الشافعي . (ت ٧٦٩ هـ) .

(٨) انظر في البداية والنهاية أحداث سنة (٧٦١ هـ) : ٢٧١/١٤ - ٢٧٢ .

(٩) (خ) : « فقال » .

يَكَادُ مِنْ صِحَّةِ الْعَزِيمَةِ مَا يَفْعَلُ قَبْلَ الْفَعَالِ يَنْفَعُلُ

ولم يزل على حاله إلى أنْ مُحِيت من الحياة سَكَّةُ ابنِ النَّقَّاشِ ، وتَلَقَّاهَا ^(١) الدهر بعد البشر بالتقطيب والإيحاش .

وجاء الخبر إلى دمشق بوفاته في القاهرة ^(٢) في أواخر شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

وكنْتُ سألته عن مولده فقال : في نصف شهر رجب سنة عشرين وسبع مئة .

أخبرني أَنَّهُ قرأ القرآن على الشيخ برهان الدين الرشدي كاملاً ، وقرأ العربية عليه وعلى الشيخ محب الدين أبي عبد الله بن الصائغ الأندلسي ، وعلى العلامة أثير الدين ، قال : وقرأت (أَلْفِيَّةَ ابنِ مالِك) على ابن معاوية ، وسمِعْتُ في شرح (التسهيل) وَغَيْرِهِ على أثير الدين ، قال : وحفظت (الحاوي) في الفقه ، وأنا أول مَنْ حفظه بالقاهرة ، و (منهاج الأصول) للبيضاوي على العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي وعلى الشيخ شهاب الدين الأنصاري وعلى غيرها ، قال : وعلقت مُثْلًا على (التسهيل) ، وقرأت (الْعُمْدَةَ في الأحكام) وألّفت (شرحاً) لها يجيء في ثمان مجلدات ، قال : وألّفت كتاباً سَمَّيْتُهُ (كاشف الغمّة عن شافعيّة الأئمّة في أحاديث الرافعي) قال : وسمّيته ^(٣) (أمنيّة الألعى في أحاديث الرافعي) ، قال : ووضعت شرحاً (لألفيّة ابن مالِك) وسمّيته (توضيح الألفيّة وإحاقها بالجرجانيّة) ، وكتاب (النظائر وفروق المذهب) و (تفسير آيات وسور) .

وكان قد قدم إلى دمشق ، واجتمعت به في شهر رمضان سنة خمس وخمسين وسبع مئة ، ونزل لما جاء إلى دمشق عند العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وكانت

(١) (س) : « وتلقاه » .

(٢) (س) : « من القاهرة » .

(٣) (س) : « وسميته أيضاً » .

بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّائِبِ علاء^(١) الدين أمير علي المادريني نائب الشام معرفة من مصر ، فأكرمه وأقبل عليه وأحسن رعايته ، وتوجه إلى حماة لمعرفة بينه وبين الأمير سيف الدين طازيرق نائب حماة ، وقامت له سوق بدمشق ، ورزق منها الحظ والخطوة ، وعمل مجلساً بالجامع الأموي في التفسير ، وتكلم فيه كلاماً كثيراً ، واستحضر^(٢) أحكاماً وأقوالاً ومذاهب ورقائق^(٣) وتصوراً بجنان ثابت ولسان فصيح من غير توقف ، ووسّع فيه المجال ، وأبدع فيه المجال ، ولما فرغ منه كتبت أنا إليه :

أتينا المجلس حبر الوري فسرّ القلوب بما فسرّا^(٤)
وحرك أعطانا نشوة ولا تسأل الدّمع عمّا جرى
فشبهتها بغصون سمت وشبهته بنسيم سرى^(٥)

وأنشدني من لفظه لنفسه يمدح قاضي القضاة تقي الدين السبكي لما كان بالقاهرة :

طرقت وقد نامت عيون الحسد وتوارت الرقباء غير الغرقد^(٦)
والعسكر الزنجي رُمح سماكه قان وعضب الفجر لم يتجرد
والليل قد نشرت غلائل مسكه لما طوى الإساء حلة عسجد^(٧)
وسرى يجر على الهجرة ذيلـه إذ طوقت من شبهها بمقلد
ربعية حلت بأكناف الحشا ودموعها بين النقا والأنجد
غراء يفضح خدّها ولحاظها مرأى الغرالة والغزال الأغيد^(٨)

(١) (س) ، (خ) : « الأمير علاء » .

(٢) في الأصل : « وأحضر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) كنا في الأصل و (خ) ، وفي (س) : « ومذاهب دقائق » .

(٤) في الأصل : « خير الوري » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والدرر . وفي الدرر أيضاً : « بما قد قرا » .

(٥) (س) ، (خ) : « فشبهتنا » .

(٦) (س) : « وتوارث » . وهنا البيت فقط في النجوم الزاهرة .

(٧) (س) : « قد غشيت » .

(٨) في الأصل : « يصح » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) . والغزاة : الشمس .

خلصت إليّ ودونَ رُبُعي حاجزُ
وأنتَ ولم تضربَ لوصلَ موعدا
تَهْفُو بِمُعْطَفِهَا الشُّوْلُ كما هفت
أرَجّتْ بِقَاعِ الرِّقَتَيْنِ وشعْبُهَا
شرفَ المَجَالِسِ شيخنا علمَ الفخا
ياقوتَ سلكِ البَحْرِ أحكمَ نظمهِ
عينَ السِّيَادَةِ حلَّ منها رُتَبَةٌ
من سَيْلِ أجفاني ونارِ توقّدي
أحلى المني ما لم يكن عن موعد^(١)
أيدي الشَّمَائِلِ بالقَضِيبِ الأملد^(٢)
وتشَرَّفْتَ أعلامَ ذاكَ المَعْهَدِ^(٣)
رَ الأُوْحِدِيّ الأَلْمَعِيّ الأَجْهَدِيّ^(٤)
فَالدَّرَ بَيْنَ مَرَصِّعٍ وَمَنْضَدٍ
كَيَوَانَ يرصدها بغين الأرمَدِ^(٥)

وهي طويلة وقد أوردتها في ترجمته في (تاريخي الكبير)^(٦) .

وكتبت أنا إليه ملفزاً في فيل ، وهو :

يا إِمَامَ الأنَامِ في كلِّ علمٍ
وهو شمسُ التحقيقِ في كلِّ فنٍّ
أَيُّمَا اسمٍ تَرْكِيْبُهُ من ثَلَاثٍ
حَيَوَانَ وَالْقَلْبُ مِنْهُ نَبَاتٍ
فِيكَ تَصْغِيْفُهُ وَلَكِنْ إِذَا مَا
فَأَبْنَاهُ لَازَلَتْ فِي ظِلِّ سَعْدٍ
وإليه الوري ترى منتهاه
وسواه يكون فيه سَهَاهُ^(٧)
وهو ذو أربع تعالي الإله
لم يكن عند جوعه يرْعَاهُ
رُمْتَ عَكْساً يكون لي ثُلْثَاهُ
مَآ تَمَلَى طَرْفٌ بِطَيْبِ كَرَاهُ

فكتب هو الجواب عن ذلك :

- (١) في الأصل : « ولم تصرف » .
- (٢) الأملد : « الناعم اللين » .
- (٣) في الأصل : « العهد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
- (٤) (س) : « علم الفخار الأُوحدِيّ الأُوحد » ، وفي (خ) : « الأُوحدِيّ الأُوحدِيّ الأُوحد » .
- (٥) (س) : « الأملد » . وكَيَوَانَ : كوكب زحل .
- (٦) الظاهر أنه يريد : في ترجمة تقي الدين ، وتقع في الجزء الحادي والعشرين من الوافي ، ولم يطبع .
- (٧) في الأصل : « سواه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والدرر .

يا إماماً قد حاز علماً وفضلاً
وهو للدين والعلوم صلاح
إن لغزاً أبدعت فيه لعمرى
قلبه بالعراق في النخل باد
ما أحب الشطرنج إلا بدا لي
هو غني باد فإن زاح منه
دمت لي مهدياً جواهر علم
وسواً على الورى بنسده^(١)
جل رباً بكل حسن حباه
يقصر الفهم عن بلوغ مده
وهو بالهند كل عين تراه
منه خصم داع لحربي أخاه^(٢)
آخر غدت جهراً أراه
لك كل الورى ترى منتهاه

محمد بن علي بن عبد الرحيم*

الشيخ علم الدين بن بهاء الدين بن الإمام محي الدين ، عرف بابن الدمي .
أجاز لي رحمه الله تعالى في سنة^(٣)
ومولده سنة خمس وسبعين وست مئة بدار الزعفران بزقاق القناديل بمصر .
وتوفي رحمه الله تعالى^(٤)

١٦٩٠ - محمد بن علي**

الأمير ناصر الدين بن الأمير علاء الدين بن الفراء .
كان والده علاء الدين بن الفراء أمير طبلخاناه ، وهو مقدم البريدية ، وكان هذا

(١) في الدرر : « على الورى وعده » .

(٢) في الدرر : « ما أخذت » و « الحرب » .

* الوافي : ٢٢١/٤ ، وفيه : « ابن عبد الرحمن » ، والدرر : ٦٧/٤ .

(٣) كذا بياض في الأصل ، وفي (س) : « رحمه الله تعالى » .

(٤) كذا بياض في الأصل و (س) والوافي والدرر .

** الدرر : ١١٠/٤ .

ناصر الدين ولده أمير عشرة بدمشق ، وكان صورة جميلة ظريفاً لطيفاً ، فيه حياء وحشمة ، وفيه كرم وهمة .

ولم يزل حاله يقوم في ديونه ويقع إلى أن توفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وسبع مئة ، وقد تقدّم ذكر والده في حرف العين مكانه .

١٦٩١ - محمد بن عمر بن أبي بكر البانياسي *

كان شاباً ذكياً متيقظاً ، قرأ القراءات وبرع فيها ، وقرأ الفقه والعريضة والأصول ^(١) ، وأفاد في القراءات ، وله نظم .
ومات سنة تسع وتسعين وست مئة ^(٢) .

١٦٩٢ - محمد بن عمر بن عبد الله بن عمر **

الخطيب الأمين الصالح الفاضل موفق الدين عبد الله ابن الخطيب الزاهد نجيب الدين الخطيب بقرية بيت الآبار وابن خطبائها ، وهو أخو علاء الدين علي بن عمر ^(٣) المَقْدَم ذكره في حرف العين مكانه ، بينهما في الوفاة أربعة أيام .
سمع الخطيب موفق الدين من الضياء يوسف ، والموفق محمد ^(٤) . وحدّث وحجّ غير مرة . وروى بالعلل وبدر من منازل الحجيج . وأقام خطيباً بالقرية نحو أربعين سنة ، وليها بعد والده .

* الوافي : ٢٨٤/٤ .

(١) قوله : « والأصول » ليس في (س) .

(٢) في (س) : « ومات ولم يبتل خذه ، ولا بلغ العشرين سنة ، ووفاته رحمه الله تعالى سنة تسع وتسعين وست مئة » .

** الدرر : ١٠٨/٤ .

(٣) (س) : « علي بن محمد » ، سهو .

(٤) محمد بن يوسف بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٩٩ هـ) العبر : ٤٠٥/٥ .

كان اشتغل على تاج الدين ، وكتب بخطه الحسن^(١) جملةً من المجلدات ، وكان له خُلُقٌ حسنٌ ، وفيه تواضع .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأربعاء عاشر شعبان سنة ثلاثين وسبع مئة^(٢) .
ومولده في شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وست مئة .

١٦٩٣ - محمد بن عمر بن محمد *

ابن عمر بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد [بن محمد]^(٣)
بن رُشيد ، أبو عبد الله الفهري السبتي .

أخذ العربية عن [ابن]^(٤) أبي الربيع ونُظرائه ، واحتفل في صغره^(٥) بالأدبيات
وبَرعَ فيها ، ورَوَى (البخاري) عن عبد العزيز الغافقي قراءةً من لفظه .

وارتحل إلى فاس ، واشتغل بالمذهب ، ورحل^(٦) إلى سبتة ، وتصدّر لإقراء الفقه
خاصّةً ، وتأدّب مع أشياخه ، فما أقرأ غير الفقه ، وارتحل إلى تونس واشتغل بالأصلين
على ابن زيتون ، ثم رحل^(٧) إلى الإسكندريّة ، وحج سنة خمس وثمانين وست مئة ،
وجاور بمكة والمدينة ونزل بمصر .

(١) (س) : « للحسن » .

(٢) وعده الذهبي في الإعلام ص ٣٠٠ في وفيات سنة (٧١٣ هـ) .

* الوافي : ٢٨٤/٤ ، والدرر : ١١١/٤ ، وذيول العبر : ١٢١ .

(٣) زيادة من (س) والدرر ، وفي الوافي : « ابن حسن بن عمر بن محمد بن رشيد » .

(٤) زيادة من (س) والوافي .

(٥) في الأصل : « شعره » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وعبرة الدرر : « في صباه » .

(٦) (س) والوافي : « ورجع » .

(٧) (س) : « دخل » .

وكان رحمه الله تعالى صاحبَ همة ، وله عز في الطلب وعزيمة ، صنّف تصانيف مفيدة ، وألف تواليف في الإفادة^(١) عتيدة ، وباشِر الخطابة فصّدت على غصن المنبر حمامته ، واستجنّ في حشا^(٢) المحراب فجملته إمامته ، وبث في غرناطة علومه وسفّحت بها غمامته . ثم إنّه أخرج منها وزُخِر عنها ، فأحسن إليه ملك^(٣) العدوّة ، ونوّله إحسانه مساءً وعدوة .

ولم يزل إلى أن توسّد بطن اللحد واستوى منه الاعتراف والجحد .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

أخبرني من لفظه شيخنا العلامة أبو حيان قال : قدم المذكور علينا القاهرة حاجاً وسمع معنا الحديث ، وعُني به ، وكان قد بحث (سيبويه) على أبي الحسين بن أبي الربيع ، ولما توجه من الحجّ صُحبة أبي عبد الله بن الحكيم^(٤) [اتفق أن السلطان أبا عبد الله]^(٥) ابن السلطان أبي عبد الله بن الأحمر ، استوزر^(٦) ابن الحكيم ، فولّى ابن رشيد الإمامة والخطابة بجامع غرناطة ، ولما قتل الوزير أخرج أهل غرناطة ابن رشيد إلى العدوّة ، فأحسن إليه ملك العدوّة أبو سعيد عثمان بن السلطان أبي يوسف بن عبد الحق المريني^(٧) ، وبقي في إيالته إلى أن توفي رحمه الله تعالى ، وكان فاضلاً . انتهى .

(١) في الأصل : « الإعادة » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) (س) : « بحشا » .

(٣) (س) : « بتلك » ، تحريف .

(٤) في الأصل : « الحكم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وهو : محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم الرندي اللخمي (ت ٧٠٨ هـ) ، الأعلام : ١٩٢/٦ .

(٥) زيادة يقتضها السياق ، ثابتة في الوافي .

(٦) في الأصل و (س) : « واستوزر » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وابن الأحمر هو محمد بن محمد ، ويعرف بالخلوع (ت ٧١٣ هـ) . الأعلام : ٣٣/٧ .

(٧) (ت ٧٣١ هـ) ، الدرر : ٤٥٢/٣ .

قلت : وله من التصانيف (الرحلة الشرقية) أربع مجلدات ، (فهرست مشايخه) ، (المقدمة المعرّفة في علو المسافة والصفة) ، (الصراط السوي في اتصال [سماع]^(١) جامع الترمذي) ، (إفادة النصيح في مشهور رواة الصحيح) ، (جزء فيه مسألة العنينة)^(٢) ، و (المحاكاة بين الإمامين) ، (إيضاح المذاهب في تعيين من ينطلق عليه اسم صاحب) ، (جزء فيه حُكْم رؤية هلال شهر رمضان وشوّال) ، (تلخيص كتاب القوانين في النحو) ، (شرح جزء التجنيس) لحازم بن حازم الإشبيلي^(٣) ، و (حكم الاستعارة) ، وغير ذلك .

وله خطبٌ وقصائد نبوية مطوّلة ، ومقطّعات بديعة .

قال شيخنا أثير الدين : كان سرّياً حسن الأخلاق .

وسألته أن يكتب لي شيئاً من شعره ، وكان ممن ينظم بالعروض إذ لم يكن الوزن في طبعه ، فكتب لي بخطّه :

يَا مَنْ يَفُوقُ النَجْمَ مَوْطِنُهُ كَلَّفْتَنِي مَالِيسَ أَحْسَنِهِ
وَلْتُغْضِ عَمَّا فِيهِ مِنْ خَلَلٍ خُلِدَتْ فِي عَزْزِ تَزَيُّتِهِ

وله أبياتٌ كتَبها على خَدُونِ نَعْلِ النَّبِيِّ ﷺ بدار الحديث الأشرفية :

هَنِيئاً لِعَيْنِي أَنْ رَأَتْ نَعْلَ أَحْمَدٍ فَيَا سَعْدَ جَدِي قَدْ ظَفَرْتَ بِمَقْصِدِي
وَقَبِلْتَهُ أَشْفَى الْغَلِيلِ فَزَادَنِي فَيَا عَجَباً زَادَ الظُّلْمَا عِنْدَ مُورِدِي
وَلِلَّهِ ذَاكَ الْيَوْمَ عِيداً وَمَعْلَماً بِمَطْلَعِهِ أَرَحْتَ مَوْلِدَ أَسْعَدِ
عَلَيْهِ صَلَاةُ نَشْرَهَا طِيبَ كَا يُحِبُّ وَيَرْضَى رَبَّنَا مُحَمَّدِ

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) في الأصل : « الضعنة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) هو حازم بن محمد بن حسن بن حازم القرطاجني (ت ٦٨٥ هـ) البغية : ٤٩١/٨ .

١٦٩٤ - محمد بن عمر بن محمود*

الشيخ الإمام بدر الدين الباني^(١) الحلبي ، المعروف بابن جَحْفَل^(٢) الشافعي معيد الباذرائية .

وكان رجلاً جيداً فاضلاً ، عنده معرفة بالنحو ، وفيه سكون كثير ، وانقطاع وملازمة لبيته .

توفي بالباذرائية رحمه الله تعالى في حادي عشري جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وسبع مئة^(٣) ، وكان قد بلغ السبعين أو قاربها .

١٦٩٥ - محمد بن عمر بن أحمد بن المثنى**

بدر الدين المنبجي الشافعي .

سمع من ابن عبد الدائم بدمشق ، ومن النجيب بمصر ، وتخرج في الأدب بمجد الدين بن الظهير الإريلي رحمه الله^(٤) .

توفي رحمه الله تعالى بمصر سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده بمنبج قبل الخمسين وست مئة .

أنشدني شيخنا العلامة أثير الدين إجازة ، قال : أنشدني المنبجي لنفسه :

* الدرر: ١١٥/٧ .

(١) في الأصل : « الباني » ، وأثبتنا ما في (س) والدرر .

(٢) في الدرر : « جحفلة » .

(٣) في (س) زيادة : « ودفن بمقابر الصوفية » .

** الوافي : ٢٨٦/٤ ، والدرر : ١٠٢/٤ .

(٤) ليست في (س) .

ومهفهف ناديته ومحاجري
يامن أراه على الملاح مؤمراً
تذري دموعاً كاللجان مبدداً
بالله قل لي هل أراك مجرداً
ومنه أيضاً :

وبدر دجى وافى إلى بوردة
فقال - وقد أبديت منه تعجباً -
رويدك لا تعجب وعندي بيانه^(١)
هو الورد من روضي بخدي جنيته
وورّد خدودي كلّ وقت أوانه^(٢)
ومنه أيضاً :

ومن عجب سيف بلحظك ينتضى
وأعجب من ذا لحظ طرفك في الورى
فيفتك في العشاق وهو كليل^(٣)
يداوي من الأسقام وهو عليل
ومنه أيضاً :

وكان زهر اللوز صبّ عاشق
وأظنه من هول يوم فراقهم
قد هزه شوق إلى أحبابه
وبعادهم قد شاب قبل شبابه
وذكرت أنا هاهنا ماقلته في زهر اللوز :

عجباً لزهر اللوز حين يلوح في الـ
عكس القضية في الورى، فشيبة
أوراق إذ تجلى على نظّاره^(٤)
يبيض من قبل اخضرار عذاره
وأورد له كمال الدين الأدقوي في (البدر السافر) قوله :

(١) في الوافي : « فعندي » ، وفي (س) : « فعندي أوانه » .

(٢) في الوافي : « زمانه » .

(٣) (س) والوافي : « سيف يجفك » .

(٤) (س) : « يلوح والأوراق » .

وبدر دجى زارنا موهناً فأمسى به الهم في معزل

الأيّات المشهورة :

وأورد له أيضاً :

صل الراح بالراحات واقدح مسرة بأقداحها واعكف على لذة الشرب

ولا تخش أوزاراً فأوراق كرمها أكف غدت تستغفر الله للذنب

قلت : وهذان البيتان مشهوران موجودان في المجاميع الأدبية ، ورأيت بعضهم نسبها إلى ديك الجن ، وهما من أنفاس المتأخرين . وقد ذكرت أنا لي هاهنا أبياتاً جاء فيها ذكر أوراق الكرم ، وهي :

وكم روضة يحكي الزواهر زهرها فلاعجب إن قلت أفق مكوكب

تخال خيال النجم في زهرها إذا تموج إن الدّر يطفو ويرسب^(١)

وتحسب أن النرجس الغضّ أعين لتديّر هذا الكون تسهو وتسهب^(٢)

وطلّ على ورد حكى خدّ غادة به عرق من خجلة يتصبب

وأوراق كرم قد حكت كف سائل لمن كان في نعمائه يتقلب^(٣)

محمد بن عمر بن أبي بكر*

ابن قوام البالسي ، الشيخ الإمام العالم الزاهد القدوة .

روى للجماعة من^(٤) أصحاب ابن طبرزد . وكان يحب الحديث ويسمع أولاده .

(١) (س) : « في نهرها » .

(٢) في الأصل : « ترسو وترسب » ، وأثبتنا ما في (س) ، وهي أشبه .

(٣) (س) : « لمن بات » .

* الوافي : ٢٨٤/٤ ، والبداية والنهاية : ٨٩/١٤ ، والدرر : ١٢٤/٤ ، وذيول العبر : ٩٦ ، والشذرات :

٤١/٦ ، والدرر : ١٦٢/٢ ، ووقع في الأصل : « النابلسي » ، تحريف :

(٤) (س) والوافي : « عن » .

كان فيه تواضع وعليه وقار ، وعنده تَمَسُّكُ بأرباب السنّة والآثار ، وعليه مهابة ، وعنده تفرُّسٌ وإصابة ، وفيه صِدْقٌ وإخلاصٌ وقَبُولٌ عظيمٌ من العامة والخاص ، تحبه القلوب وتقبل إليه ، وتترامى بالتودّد والمولاة عليه .

وكان فيه جُودٌ وكرم ، وسماحٌ له التهاب وضرم ، وله تهجد في الليل وعبادة ، ومعاملة وجد بها عند الله الحسنى وزيادة ، قلَّ أن ترى العيون مثله في بابه ، أو تشاهد له عديلاً في أتواعه وأضرابه .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح في كفنه مُدرجاً ، ووجد له من ضيق الدنيا مخرجاً .

وتوفي رحمه الله تعالى في ...^(١) سنة ثمانى عشرة وسبع مئة ، وله من العمر ثمان وثمانون سنة ، ودفن بزاويته بسفح قاسيون .

وعرض عليه أرباب الدولة راتباً يكون على زاويته ، فامتنع ووقف عليها بعض التجار بعض قرية ، وكان قد جمع (سيرة) لجده رحمه الله تعالى .

١٦٩٦ - محمد بن عمر بن الفضل*

الفضلي ، قاضي القضاة ، قطب الدين التبريزي الشافعي ، قاضي بغداد ، الملقب بأخوين^(٢) ، كان صاحب مشاركة في فنون ، وقد أتقن علمي المعاني والبيان ، ونسخ كتباً كثيرة ، ولم يكن من قضاة العدل .

توفي ببغداد في سادس عشري شهر الله المحرم سنة ثلاثين وسبع مئة .

(١) كذا بياض في الأصل و (س) والدرر . وفي الدارس أنه توفي في الثاني والعشرين من صفر .
* الوافي : ٢٨٧/٤ ، والدرر : ١١٠/٤ ، والشذرات : ١١٤/٦ ، وذبول العبر : ٢٨٩ ، والبداية والنهاية : ١٧٥/١٤ ، وفيها وفاته سنة (٧٣٦ هـ) ، ووقع في (س) : « ابن عمر الفضل » .

(٢) في البداية : « الأحوس » .

ومولده سنة ثمان وستين وست مئة .

وكان فيه تؤدة وحلم ومروءة وكرم ، رحمه الله تعالى ، وكان يكتب خطاً حسناً ، وفيه شفقة وحنوّ على الفقراء والضعفاء وتواضع وحسن خلق . وقال الشيخ سراج الدين القزويني : كان فقيهاً أصولياً مفسراً نحويّاً كاتباً^(١) بارعاً وحيداً فريداً من أعيان أفاضل الزمان .

١٦٩٧ - محمد بن عمر بن حمّاد *

شمس الدين الظفاري البيني الواعظ المعروف بالأبلوج ، لأنه كان يعتّم بعمامة كأنها أبلوج السكر ، فاشتهر بذلك .

وتوفي بالقاهرة في تاسع عشر جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة^(٢) ، ودفن في يومه خارج باب النصر .

وكان قد أقام بدمشق مدة ، ووعظ بمسجد أبي اليمن .

١٦٩٨ - محمد بن عمر بن أبي بكر **

ابن ظافر بن أبي سعيد ، ناصر الدين أبو الفضل البصري الأصل ، الحنبلي .

روى عن ابن الجُمَيزي ، وابن الحباب ، وسبط التلّفي ، والسّاوي ، والمرجى بن شقيرة^(٣) .

(١) ليست في (س) .

* الدرر : ١٠٤/٤ .

(٢) كذا وقع في الأصل و (س) . وفي الدرر أنه توفي في ربيع الآخر سنة عشرين وسبع مئة .

** الدرر : ١٢٤/٤ .

(٣) (س) : « والمرجاني شعره » ، تحريف ، ووفاة المرجى سنة (٦٥٦ هـ) ، الشذرات : ٢٨٥/٥ .

وكان إمام مسجد ، ويلقن القرآن ويحضر الحتم ، وهو فقيه بالمدرسة الصالحية .
 وحَدَّث (بصحيح مسلم) عن ابن الجباب ، سنة سبع وسبع مئة .
 وتوفي رحمه الله تعالى سابع صفر سنة إحدى عشرة وسبع مئة .
 ومولده في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وست مئة .
 قال شيخنا البرزالي : قرأت عليه المجلس الرابع من (أمالي أبي مطيع)^(١) بسماعه
 من ابن الجباب .

١٦٩٩ - محمد بن عمر بن أبي القاسم *

القاضي الصدر الرئيس نجم الدين ابن الشيخ نجم الدين بن أبي الطيب [وكيل
 بيت المال بدمشق وابن]^(٢) وكيل بيت المال بها .
 كان صدراً رئيساً وماجداً جعل الخلق الطلق عليه حبساً^(٣) ، له معرفة تامة
 بتراجم أهل عصره ووقائعهم وماجرياتهم في وظائفهم وصنائعهم ، إذا فُتِح له هذا الباب
 دخل فيه وحده ، وسرد ما عنده .
 وباشر وظائف كباراً جاد له الدهر^(٤) فيها بأمانه ، وتقدم في آخر زمانه . وكان
 مع ذلك عديم الشرّ وادعاً ، قائلاً بالحق صادعاً .
 ولم يزل على حاله إلى أن غاب نجمه في الثرى ، وسلك الطريق التي ما يتخلف
 عنها أحدٌ من الورى .

(١) محمد بن عبد الواحد بن عبد العزيز ، أبو مطيع اللديني (ت ٤٩٧ هـ) ، السير : ١٩٦/١٩٧ ، والوافي :
 ٦٧/٤ .

* الوافي : ٢٨٧/٤ ، والدرر : ١٢٥/٤ ، والمارس : ٣٤٠/١ عن الصفدي .

(٢) زيادة من (س) و (خ) .

(٣) (س) : « جلياً » .

(٤) في الأصل : « الدهر له فيها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع شعبان سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، توفي من جَمْرَة^(١) ظهرت في وجهه ، أقام معها يومين ، ومات - رحمه الله تعالى - .

وكان شافعي المذهب . حسن الشكل ، تام الخلق له تودد وملقى [وملق]^(٢) .

وكان قد تزوج ابنة القاضي محي الدين بن فضل الله ، ولم يزل على حاله الناقص إلى أن توجه محي الدين إلى مصر كاتب سر ، فتولى بواسطته نظر الخزانة ، ووكالة بيت المال ، وكان بيده أولاً نظر الرباع وتدريس المدرسة الكروسيّة^(٣) ، وتولى الوكالة بعد القاضي شهاب الدين بن المجد لما صار قاضي القضاة في يوم عرفة سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وكان ابن المجد قد وليها بعد القاضي علاء الدين بن القلانسي ، وكان علاء الدين قد وليها بعد أخيه القاضي جمال الدين^(٤) أحمد بن القلانسي ، وكان قد وليها بعد كال الدين بن الشريشي ، وكان ابن الشريشي قد وليها بعد الشيخ كال الدين بن الزملكاني ، وكان قد وليها بعد^(٥) نجم الدين بن أبي الطيب والدصاحب هذه الترجمة ، وقد تقدم الكلام في ترجمة والده لأي شيء سمي هذا البيت بابن أبي الطيب .

(١) في الوافي : « حمرة » .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) .

(٣) واقفها محمد بن عقيل بن كروس ، محتسب دمشق ، (ت ٦٤١ هـ) ، وهي إلى جانب المدرسة السامرية الشافعية . الدارس : ٣٣٩/١ ، وعبارة (س) : « للمدرسة الكروسية والمدرسة .. » ، وفي الوافي : « المدرسة الكروسية والصلاحية » .

(٤) (س) ، (خ) : « شهاب الدين » ، سهو ، وهو أحمد بن محمد بن محمد ، سلفت ترجمته .

(٥) في (خ) زيادة : « .. كال الدين بن الشريشي ، وكان وليها بعد نجم » .